

دكتور كرم الصاوى باز

ممالك النوبة فى العصر المملوكى

اضمحلالها وسقوطها، وأثره فى انتشار الإسلام

فى
سودان وادى النيل

(من ٦٤٨ - ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧ م)



مكتبة الأنجلو المصرية



ممالك النوبة فى العصر المملوكى

هذا الكتاب

يقدم موضوعاً فى غاية الأهمية فى تاريخ الإسلام والثقافة العربية فى سودان وادى النيل ؛ ولعل اختيار دراسة ممالك النوبة فى العصر المملوكى (من ٦٤٨-٩٢٣هـ / ١٢٥٠-١٥١٧ م) يضىء العلاقة القائمة بين مصر والنوبة ؛ فقد امتدت السيادة المصرية نحو ممالك النوبة المسيحية (مملكتا المقررة وعلوة) ؛ وتدفقت القبائل العربية لتغير هوية الثقافة النوبية ، وشيوع الثقافة العربية الإسلامية المنطلقة من مصر منبر الإسلام والأزهر الشريف .

ويأتى هذا الكتاب نتاج تخصص دقيق فى الدراسات الأفريقية وتعمق فى الصراع الثقافى ؛ وتغير الهوية النوبية لعصر الممالك والمشيخات الإسلامية (مملكة الفونج ، العبدلاب ، تقلى ، المسبغات ، الفور) .

وتبرز الدراسة التغيرات التى أعقبت هذا السقوط ، اعتماداً على الوثائق التى جمعها الباحث من السودان ، والدراسات الأركيولوجية من النوبة ، وعيذاب ، وقصر أبريم ، وثر أسوان .

مكتبة الأنجلو المصرية

THE ANGLO-EGYPTIAN BOOKSHOP

The World of Words & Thoughts



بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية ، إدارة الشئون الفنية .

باز ، كرم الصاوى .

ممالك النوبة فى العصر المملوكى : اضمحلالها وسقوطها واثره

فى انتشار الاسلام فى السودان وادى النيل :

/ كرم الصاوى باز . - ط ١ . -

القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ٢٠٠٦ .

٦٢٤ ص ، ١٧ × ٢٤ سم

١- السودان - تاريخ - مملكة النوبة المسيحية

أ- العنوان

رقم الإيداع : ٩٦٨٣

ردمك : ٢ - ٢٢٣٩ - ٠٥ - ٩٧٧ تصنيف ديوى : ٩٦٢ و ٤٠١

المطبعة : محمد عبد الكريم حسان

الناشر : مكتبة الانجلو المصرية

١٦٥ شارع محمد فريد

القاهرة - جمهورية مصر العربية

ت : ٣٩١٤٣٣٧ (٢٠٢) ؛ ف : ٣٩٥٧٦٤٣ (٢٠٢)

E-mail : angloebs@anglo-egyptian.com

Website : www.anglo-egyptian.com

ممالك النوبة فى العصر المملوكى

اضمحلالها وسقوطها وأثره فى انتشار الإسلام

فى سودان وادى النيل

(٦٤٨-٩٢٣هـ / ١٢٥٠-١٥١٧م)

تأليف

الدكتور/ كرم الصاوى باز



مكتبة الأنجلو المصرية

١٦٥ شارع محمد فريد - القاهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مستورات



إهداء

الى زوجتى انس العجود

ورحلة عطاء

ابنى محمد الفنان

وعالم الإبداع

أهديكم ثمرة رحلتى

ومشوار حياة عبر النهر الخالد

سلام عليك يا حابى يا من تخرج

الى هذه الأرض، وتأتى لتحيى

مصر ووادى النيل.

شكر وتقدير

لا يسعنى فى هذا المقام إلا أن أشكر الله عز وجل «قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين» صدق الله العظيم.

أسجل شكرى وعرفانى وامتنانى لاسئادى الجليلين المرحوم الاسئاذ الدكتور حسن أحمد محمود أسئاذ التاريخ الإسلامى بكلية الاداب جامعة القاهرة؛ والاسئاذ الدكتور/ محمد عبد العال احمد رحمه الله؛ اسئاذ التاريخ الإسلامى بمعهد البحوث والدراسات الافريقية لتوجيهاتهما ورعايتهما لإخراج هذا البحث فى ثوب قشيب فلهما منى أجزل الشكر مع عرفانى بالجميل.

وانتقدم بالفضل والاعزاز للمرحوم الاسئاذ الدكتور/ محمد ابراهيم أبوسليم مدير دار الوثائق القومية بالخرطوم (سابقا) والدكتور على صالح كرار، والسيدة ناهد ابراهيم طه لاحتضانهم لى وللتسهيلات التى قدمت أثناء اقامتى فى دار الوثائق القومية بالخرطوم. كما أختص بالشكر والتقدير الاسئاذ الدكتور بركات الحواتى الذى أمدنى بكثير من الوثائق وأشجار النسبه وعقود الزواج من بنى الكنز.

وانتقدم بالشكر والتقدير للدكتور أحمد على الحاكم بشعبة الآثار بالخرطوم والدكتور على عثمان والدكتور خضر عبد الكريم بشعبة الآثار، وذلك لتقديم كافة التسهيلات بالإطلاع على وثائق دراستى بالنوبة.

كما اختص بالشكر الاسئاذة الدكتورة محاسن الصافى بمعهد الدراسات الافروآسيوية بالخرطوم، والاسئاذة الدكتورة اليزابيث سارتين بالجامعة الامريكية بالقاهرة لمساعدتهما فى اعطائى المزيد من المعلومات عن وثائق النوبة.

وانتقدم بوافر الشكر والتقدير للأسئاذة الدكتورة زبيدة عطا اسئاذ تاريخ العصور الوسطى بكلية الاداب جامعة حلوان والاسئاذ الدكتور حامد زيان اسئاذ تاريخ العصور الوسطى بكلية الاداب جامعة القاهرة لتفضلهما بأثراء هذا البحث لاجراجه فى ثوب جديد.

وأشكر اسئاذتى بمعهد البحوث والدراسات الافريقية جامعة القاهرة لاحتضانهم لى ومساعدتى اثناء اعداد المادة العلمية سواء فى مصر والخارج جزى الله الجميع عنى خير الجزاء.

— ممالك النوبة فى العصر المملوكى — ٦ —

المقدمة

لا ريب أن ظهور المماليك في ساحة التاريخ الإسلامى . وما سطره من صفحات مجيدة . يعد مأثرة من أعظم مآثر الحضارة الإسلامية . وقد تضافرت عوامل عدة أدت لظهور هذه المأثر يأتى في مقدمتها أمن مصر القومى ، ومدى الفهم البالغ بالعامل الدولى والإستراتيجى ، فقد تصدت مصر لخطرين عظيمين هما المغول والصلبيين ، وخرجت من هذه المحن تمثل مركز الثقل فى العالم الإسلامى .

ولعل اختيار موضوع: ممالك النوبة فى العصر المملوكى : اضمحلالها وسقوطها وأثره فى انتشار الإسلام فى السودان وادى النيل (٦٤٨-٩٢٣هـ / ١٢٥٠هـ-١٥١٧م) اختيار موفق للعلاقات القائمة بين مصر وسودان وادى النيل ، فهما يمثلان كيانا واحدا لا يمكن ان ينفصل أحدهما عن الآخر .

هذا ومع تطور الفن الحربى فى عصر دولة سلاطين المماليك ، أخذت مكانة مصر فى الصدارة تزداد قدماً وترسيخاً للأسس المتينة التى قامت عليها ، الا وهى : الجهاد ، والردع ، والمشاركة ، والتفاوض .

وعملأ بهذه الأسس التى قامت عليها الدولة المملوكية أمدت النفوذ المصرى نحو مملكة النوبة المسيحية (المقرة) ، وذلك منذ أن اختط ملكها داوود سياسة هجومية ضد مصر بغزوه كلا من عيذاب وأسوان فى سنة ٦٧١هـ / ١٢٧٢ م ، ولذلك قامت مصر بحملات عسكرية الغرض منها وضع حدا لهجمات ممالك النوبة المسيحية ، ثم لجعل مملكة المقررة دولة تابعة لمصر .

وقد كانت حملات سلاطين مصر من أهم الأسباب التى قوضت الإطار السياسى لنظام الحكم فى بلاد النوبة . ومهدت لغلبة العرب والمسلمين ، فقد استطاع خلفاؤهم من بنى الكنز اعتلاء عرش النوبة فى سنة ٧٢٣هـ / ١٣٢٣ م ، معتمدين على نظام الوراثة عن طريق الأم ، وعلى تأييد النوبيين المستعربين والعرب الذين صاحبوا الجيوش المملوكية ، وبذا انتقل الحكم الى فرع نوبى مسلم مستعرب .

ويسقوط مملكة المقررة المسيحية فى أيدى المسلمين انهار السد المنيع الذى ظل عدة قرون يحول دون توغل العرب فى حوض النيل الأوسط، ومن ثم تدفقت القبائل العربية، لتغير هوية الثقافة النوبية، بشيوع الثقافة العربية الاسلامية المنطلقة من مصر منبر الاسلام والأزهر الشريف.

ولما وضحت غلبة الاسلام وشيوع الثقافة العربية، وانتشار القبائل العربية فى اجزاء كبيرة من السودان الشرقى، ظهرت سلسلة من السلطنات الاسلامية التى امتدت عبر هذه الاقاليم فى الفترة الواقعة بين منتصف القرن الخامس عشر ومنتصف القرن السابع عشر، وهى ممالك العبدلاب والفونج وهى الواقعة جغرافيا فى منطقة دراستنا، ثم ثقلى والفور والمسبعات.

وكانت أولى هذه الممالك ظهورا مملكة العبدلاب التى نشأت فى الجزء الشمالى من السودان الشرقى مهد بعض الحضارات القديمة ومركز الثقل الحضارى والسياسى فى عهد علوه، وقد تعرضت هذه المنطقة لقدر كبير من النفوذ العربى ممثلا فى استقرار مجموعات كبيرة من العرب فيه، ومن ثم تمت الغلبة للثقافة العربية، وقد ادى ازدهارها الى ظهور عدد من المراكز الدينية الهامة تمكنت من ان تتصدر الزعامة الدينية والروحية، وان تكون مصدر اشعاع اسلامى وحضارى لباقي اقاليم السودان الشرقى. فما ان تمت لهذه الاقاليم الصدارة الثقافية والدينية حتى بدأت هجرة العلماء والفقهاء ورجال الطرق الصوفية الى المناطق حديثة العهد بالاسلام والواقعة على أطراف دار الاسلام، ولم تبلغها الدعوة الاسلامية سواء اكانت فى داخل تكوينات سياسية فى السودان الشرقى او فى خارجه. وبعبارة اخرى فان معظم من حملوا المشعل كانوا جيلا جديدا من المسلمين (من النوبة المستعربين) وأمثالهم، من الركابية والمحس والجعليين.

ان اقتران نشأة هذه الممالك الاسلامية بهجرة القبائل العربية المنطلقة من مصر الى السودان الشرقى دفعنى لأن اركز الدراسة على مظاهر سقوط الممالك

المسيحية؛ ومن ثم نشأة تلك الممالك الإسلامية وتطورها، مستهدفا إبراز مقوماتها الأساسية ومعالمها الرئيسية في حدود ما تظهره الوثائق المتاحة من الأنساب والعقود الخاصة بالفونج والعبدلاب ثم المصادر التاريخية، وكتب الرحلات موضحا تلك البنية التي قام عليها مجتمع السودان وادى النيل بتركيبة الاقتصادى والاجتماعى والثقافى .

ولعل اختيار مصطلح السودان وادى النيل لم يكن معروفا طوال فترة العصور الوسطى، فالنوبة وقتذاك - حسبما ورد فى النصوص والوثائق المعاصرة- كانت اكبر مساحة مما هى الان ، إذا اشتملت وقتذاك على اجزاء وادى النيل الممتدة من اسوان الى جنوبى التقاء النيلين الابيض والارزق، وذلك بالاضافة الى مناطق من حوض النيل الازرق والعطبرا حتى اطراف الحبشة شرقا، واقاليم من كردفان ودارفور غربا .

أما لفظ السودان، كما ورد عند المؤرخين المسلمين والرحالة فيطلق على الاقليم الممتد من البحر الأحمر شرقا حتى المحيط الاطلنطى غرباً، ومعنى هذا ان النوبة وبلاد البجة فى العصور الوسطى هى السودان وادى النيل .

ودراسة هذه الفترة الزمنية من تاريخ مصر المملوكية، وسودان وادى النيل يؤكد انها فترة متميزة ، وبداية عهد جديد، وخاصة لمجتمع السودان وادى النيل، ولكن هذه المرحلة التاريخية كان من الصعب الإلمام بكل ما حدث فيها من تطورات، والسبب فى ذلك قلة ما خلفه الأوائل من السودانين، ولا يرقى الى مستوى المؤلفات التى نبغ فيها الكتاب المسلمون عن هذه الديار، وقد حاول الباحث ان يطرق مجالا يثرى الدراسة التاريخية الا وهو الوثائق المعاصرة لهذه الفترة التاريخية فى السودان وادى النيل، لأن من بينها وثائق تتعلق بالارض والخراج، واسناد المناصب ، وانظمة الادارة ، وطرق التجارة، واثمان البضائع، والمواد الغذائية ، وشراء المنازل ، وعقود الزواج والطلاق، فضلا عن بعض المكاتبات الخاصة التى تكشف عن بعض العادات والحياة الإجتماعية فى السودان وادى النيل .

هذا وقد سافر الباحث الى ميدان هذه الدراسة للحصول على الوثائق الخاصة بتاريخ هذه الفترة ، ولعل من أهم الكتابات التى نالت اهتمام السودانين خاصة بين

القبائل العربية أو النوبة المستعربين، هى أوراق النسبة التى تؤرخ لنسب أسرة أو قبيلة ابا عن جد حتى تصل بشجرة نسبها إلى النبی (ﷺ)، أو عمه العباس أو الزبيرين العوام أو عبد الله الجهنى أو احدا من جلة الصحابة، وقد صور الباحث بعضها من دار الوثائق القومية بالخرطوم، كما حصل من بعض الاسر على انسابها لاسيما اسرة الدكتور بركات الحواتى من الكنوز. وقد الحققت بعضها بملاحق الكتاب لما لها من اهمية فى دراسة انتشار القبائل واندماجها مع عناصر الوطنيين.

وقد اعتمد الباحث فى هذه الدراسة على عدد من المصادر من أهمها : الوثائق: وتأتى فى المقام الاول بين مصادر التاريخ الاسلامى ولعل من أهمها وثيقة الزواج الملكية الخاصة بملك دنقلة الربيعى عام ٧٣٣ هـ / ١٣٣٢ م (متحف الفن الاسلامى بالقاهرة رقم ٤٢٢٢)، وقد زودتنا الوثيقة بمعلومات بالغة الاهمية من حيث تطور عقود الزواج وتوثيقها فى سودان وادى النيل، وتوضح مدى تطبيق الشرع وحدوده من حيث الصداق، وهل كان يدفع نقدا ام عينا، عاجلا أو آجلا، هذا بالاضافة الى عدد الشهود على العقد وتزخر هذه الوثيقة بمعلومات قيمة عن اول ملك عربى مسلم فى دنقلة وهو كنز الدولة ابو عبد الله محمد بن شجاع (٧١٧هـ / ١٣١٧ م)، وتبين النسب والالاقاب المستخدمة وقتذاك.

هذا وقد عرض الباحث مجموعة قيمة من عقود الزواج الخاصة بأمرء واميرات من بنى الكنز من ثغر اسوان، وهى مسجلة بالمتحف المصرى الاسلامى تحت رقم (٤٢٢٣)، (٤٢٢٤)، ويرجع تاريخها الى القرنين السابع والثامن الهجريين، ومع الاطلاع على مجموعة الوثائق الهامة التى اكتشفت فى قصر ابريم عام ١٩٦٦ م، وهى عبارة عن مائة واثنين وعشرين وثيقة وهى تغطى الفترة العثمانية، وقد حاول الباحث اجراء مقارنة بينها وبين وثائق فترة الدراسة لمتابعة مدى التطور فى الموضوعات التى تناولتها خاصة الارض والزواج، وقد نشرت هذه الوثائق فى كتاب: Martin Hinds and Hamdi SAKKout: Arabic Documents

From The ottoman period from Qasr Ibrim, 1986.

ولعل هذه الوثائق تعطى قيمة كبيرة فى إبراز التغيرات التى حدثت فى مجتمع
سودان وادى النيل على اثر انهيار ممالك النوبة المسيحية.

كذلك أمكن الاطلاع على ثلاث وثائق خاصة باقليم دارفور، تم نشرها عام
١٩٧٤م بواسطة R.S.O Fahey & Sharif Harir: Sudan texts Bulletin, VII, :
November 1985, Edited by Ali O`Sman and Robinthelwall, University
of Uister.

وتلقى أضواء جديدة على تطور عقود الزواج، وكذلك النفقة والمطالبة بها فى
سودان وادى النيل.

ومن الوثائق ذات القيمة الكبيرة بحث الفونج والارض الذى اصدرته شعبة ابحاث
السودان التابعة لجامعة الخرطوم بالتعاون مع دار الوثائق المركزية بالخرطوم عام
١٩٦٧م ، وقد حصل الباحث على مسودة الطبعة الجديدة من المرحوم الدكتور محمد
ابراهيم ابو سليم الذى أشرف على تحقيق هذه المجموعة الخاصة بالفونج: وقد تضمنت
هذه الوثائق مجموعة كبيرة صادرة عن شيوخ العبدلاب وعليها اختتامهم الرسمية.

وبرغم ما أخذه عليها الشيخ عثمان اونسه كبير العبدلاب وقتذاك فى مذكرة
رفعها لمدير الشعبة من اضطراب بعض التواريخ الواردة فى ثنايا بعضها، ومن
اختلاف اسلوب هبة الارض الذى جاء فيها عما هو معروف لدى العبدلاب، ومع
خلطها فى اكثر من موضع بين شيوخ قرى وشيوخ الحلفاية، فان قيمتها تظل كبيرة
لأن هذه امور يمكن ان تختلف فيها وجهات النظر، وهى قابلة للاخذ والرد. وقد كانت
هذه الوثائق خير عون لى فى دراسة الجانب السياسى للسلطنات الاسلامية سواء الفونج
او العبدلاب، هذا بجانب انها تحوى على معلومات قيمة عن حياة الارض وعدد
السواقي المستخدمة فى حدود الارض.

كذلك هناك وثائق خاصة باوراق النسبة، منها نسب العبدلاب بدار الوثائق
المركزية، وينسب لابن الحاج حسين ابن شريف الفحل بن ضباب بن اونس بن كليس

بن عجيب بن ديومة بن عبد الله جماع. وقد حوت هذه الاوراق معلومات مفصلة عن نسب العبدلاب وبعض اخبار دولتهم.

وقد جمع ما كما يكل عددا كبيرا من هذه الوريقات بعد ان ترجم اجزاء منها، ودرسها دراسة تفصيلية ضمنها فى كتابيه: - The tribes of Northern and Central Kordofan, Cambridge 1912. - A history of the Arabs in the Sudan, 2 Vols, Cambridge, 1922.

وهناك وثيقة بالغة الاهمية لاحد مشايخ العبدلاب، يرجع تاريخها الى وقت مبكر من حكمهم، قام بنشرها د/ احمد عبد الرحيم نصر فى كتابه، الاغوات: دراسة تاريخية مقارنة لاغوات المسجد الحرام بمكة والمسجد النبوى بالمدينة، وتوضح هذه الوثيقة حدود العبدلاب.

ومن مصادر العبدلاب التى لا يستغنى عنها باحث فى تاريخهم وثيقة نشرها المستر بن A.E.D penn تحت عنوان :

"Traditional Stories of the Abdullab Tribe"

S.N.R XVII. (1934) 58-82 .

واشتملت على تاريخ العبدلاب منذ نشأتها حتى سقوطها، وهو كثير الشبه - من حيث المحتويات والخصائص - بمخطوط واضح البيان وهولاغنى عنه لدراسة مشيخة العبدلاب.

وفى مكتبة الشيخ عثمان اونسى كبيرة العبدلاب نسخة منقولة من مخطوط مجهول المؤلف بعنوان : (تاريخ ملوك العبدلاب) ويبدو من صياغته انه لمؤلف حديث وعلى ايه حال لا يخرج عن مضمون سابقه، مما يدل على انه مأخوذ من كليهما.

ومن المخطوطات بالغة الاهمية مخطوط : واضح البيان فى ملوك العرب بالسودان، وملوك العبدلاب من الشيخ عجيب الى تاريخه من تأليف ابن الارباب الحسن بن شاورين عجيب بن أونسى بن شمام بن عجيب الثالث احد ملوك العبدلاب،

وقد ذكر المؤلف في مقدمتها ان كثرة الروايات المخالفة للحقيقة بالنسبة لتاريخ العبدلاب هي التي دعت له لأن يلبي طلب جماعة من أهل الفضل فيؤلف هذا الكتاب.

والمخطوط لا يزال أصله بيد أسرة العبدلاب، وقد أودعت نسخة مصورة منه بدار الوثائق القومية بالخرطوم رقم : (Misc 1/20/232)

وهو لم ينشر بعد، ولكن نشرت عنه دراسات في عدة حلقات في (مجلة الخرطوم/ يناير ١٩٦٨ م)، وقد اشتمل على تاريخ العبدلاب منذ قيام دولتهم حتى سقوطها سنة ١٢٣٦ هـ، وما بعد هذا التاريخ بقليل. وقد وصفه الاستاذ صلاح محيي الدين بقوله: ان المخطوط أثر تاريخي يشكل مصدرا أصليا بالنسبة لمادة تلك الحقبة فيما يختص بملوك العبدلاب وقبيلتهم بوجه خاص، وهي مخطوطة توارثها احفاد تلك الشجرة من ملوك العبدلاب، وحرصوا على احاطتها بالعناية، بوصفها مصدرا حيا تستحق الاحتفال العظيم، ولا سيما في محيط الباحثين والدارسين والمحققين.

ومن المخطوطات السودانية تاريخ مختصر بارض النوبة محفوظ بدار الوثائق القومية بالخرطوم، تحت رقم: (Misc 1/15/191).

ويتألف المخطوط من جزئين: الاول منسوب الى المقرئ وموضوعه البقط، وقد ذكر فيه بعض أخبار حملات المسلمين الاولى على النوبة، والثاني مجهول المؤلف، ويغلب على الظن انه نسخة اخرى من مخطوط كاتب الشونة لتشابه المحتويات.

وهناك مخطوط للمقرئ بدار الوثائق القومية بالخرطوم تحت عنوان: مخطوط من عبد الله بن ابي السرح وعلاقته بالرسول يتحدث فيه عن البقط المقرر على النوبة، والحملات العسكرية الاولى، وقد صور الباحث نسخة منه.

اما من مضمون هذه المخطوطات فان هذه النسخ جميعها تتشابه بصورة عامة في موضوعها، لكنها تختلف في بعض التفاصيل، وهي تؤرخ لدولة الفونج. فتبدأ بذكر اول ملوكهم عمارة دنقس ثم تتابع تسلسلهم حتى نهاية دولتهم.

كذلك استعنت -عند تحقيق انساب السودان - بمخطوط يعتقد انه كتاب انساب

العرب المفقود الذى الفه الامام السمرقندى (قيل انه عاش فى العقود الاولى من قيام دولة الفونج) بطلب من ملك الفونج عمارة دنقس، وارسل الى السلطان سليم العثمانى، وهى نسخة بخط اليد، غير انها ناقصة فى الاول والآخر، ومع انها وضعت اصلا فى الانساب الا انها اشتملت على بعض الاخبار، وقد اودعت بدار الوثائق المركزية نسخة منها، ويبدو انها النسخة التى اعتمد عليها ماكمايكل فى كتابه الذى سنعرضه له بعد قليل.

وبعد هذا تاتى اوراق نسبة كثيرة جمعتها من دار الوثائق تحت عنوان: متنوعات Misc 1/16/184، والظاهرة المشتركة بين هذه الاوراق جميعا عنايتها بالدرجة الاولى ينسب بعض القبائل العربية فى السودان، غير انها تصور - مع ذلك- بعض جوانب الحياة السودانية بعامة. ويمكن ان نميز من هذه الاوراق:

- نسبة البكرية وبنى العباس جمعها الشيخ ابراهيم الحاج بابكر (ت ١٩٣٠) .
- نسبة أحمد الازهرى.
- مجموعة من نسب القبائل العربية كتبها عبد الجليل محمد دفع الله لأخيه محمد بن الحاج على بن الماحى بن مضوى بن دفع الله، سنة ١٣٢٦ هـ .
- قبائل العرب كتبها عمدة الخط الثانى محمد أحمد عمر بطلب من مفتش (الكاملين) (عزتلو) افندم .
- اوراق نسب لا يعرف مؤلفها فى ملف يحمل صفحات : (٤٨٩-٥٠٣) وقد وجدت فى آخر الاوراق هذه العبارة وهذا ما تحرر مسنودا على شجرة وجدت بخط الحسن بن على اخى السيد احمد البدوى محفوظة بدار الوثائق القومية بالخرطوم تحت رقم (Misc 1/15/184).
- بعض انساب العرب وهناك نسخة مصورة بدار الوثائق القومية بالخرطوم تحت رقم : Misc 1/18/198

- وهذه وان اتفقت فى مضمونها مع اوراق دار الوثائق السابقة الا اننى عثرت عليها فى وثائق انساب الشيخ الامين الفكى يوسف المقيم فى جامع والده ببلدة شندى. واذا افيد باننى قد استفدت من هذه الوثائق .
- اما عن مخطوطه كاتب الشونة. فقد تنبه الباحثون الى اهميتها منذ ان اعتمد عليها ستيورات Stewart، فى كتابه تقرير عن السودان :
- (Stewart, Report on the Egyptian Province of the Sudan, London, 1883).
- اذ تمثل مصدرا هاما للدراسات عن تاريخ مملكة الفونج، وعنه نقل بدج Budge فى كتابه السودان المصرى:
- Wallis Budge: The Egyptian Sudan, London 1907.
- كما تمثل واحدة من مخطوطاتها المتعددة مصدرا هاما لكتاب جاكسون Jackson: سن النار.. London 1912. H.C.Jackson:
- وترجمها ماكمايكل Macmichael فى كتابه: تاريخ العرب فى السودان ونشرت فى طبعتين محققتين الاولى باسم تاريخ ملوك السودان، الخرطوم ١٩٤٧، لمكى شبكية، والثانية باسم: مخطوطة كاتب الشونة او تاريخ السلطنة السنارية والادارة المصرية ، القاهرة ١٩٦٣ م، للشاطر بصيلى عبد الجليل.
- ولا تخلو النسخ العديدة التى عثر عليها من هذا الكتاب من اختلاف واضح فى حجمها، وانتهاء امدها واسلوبها، ومرد ذلك الى ان الكتاب قد تناوله اكثر من تأليف وتنقيح وحذف وزيادة.
- ويقرر الاستاذ الشاطر بصيلى عبد الجليل ان مخطوطة دار الكتب المصرية التى تنتهى فى ربيع الاولى سنة ١٢٥٤/ مايو - يونيو ١٨٣٨ م هى اقدم النسخ التى وصلتنا، ومن ثم اتخذها اصولا لتحقيقه، وقارنها بنسخة مخطوط: اسطنبول تاريخ ملوك السودان، مجموعة عارف حكمت بك رقم ١٣٨/ ٣٤٢٩ مكتبة بايزيد .

(قيل انها صورة طبق الاصل من نسخة دار الكتب المصرية ١٨٠م) ونسخة

باريس :

Bibliothèque Nationale, MS Arabe. 5069, Paris.

ونسخة لندن :

Brithish Museum: Or . 2345.

(وعند بعض السودانين نسخ شبيهة منها) .

ونسخة فينا :

National bibliothek, MS Mixt 677a, Vienna.

ومع تأييد البرفيسور هولت P.M.Holt فى ان نسخة فينا التى تحوى معلومات تاريخية هامة عن اصل الفونج لا توجد فى النسخ الاخرى: هى أقدم اصلا من نسخة دار الكتب الا ان انتهاء سردها فى عام ١١٩٠ / ٧٦٠-١٧٧٧ ربما يجعل منها جزءا من الاصل وليس الاصل كله . وقد ضمن هولت ملاحظاته فى :

P.M.Holt: Fung Origins, A New Critique and Evidence, Journal of African History (IV), 1963, P.M. Holt: Traditional historical writing of the Nilotic Sudan, Rened article of the Centra of African Studies, School of Oriental and African Studies, London.

ومن المخطوطات الهامة التى افادتني فى موضوع دراستي، كتاب الرحلة المسماة بالدرة الثمينة فى اخبار مكة والمدينة تأليف الشيخ عبد المحمود ابن الاستاذ نور الدايم الطي، وهى مخطوطة بدار الوثائق القومية بالخرطوم تحت رقم : Mis 1/ 15/186 وهى غير منشورة ، تحوى الكثير من المعلومات الهامة عن مدن البحر الاحمر، وعلى الأخص مدينة سواكن ، ومشاهد القبور الموجودة بها وخاصة للاولياء، كما توضح كيفية القيام برحلة الحج عبر بحر القلزم، والمشاق التى تعترض المسافرين، وتعطينا معلومات قيمة عن ميناء عيذاب وأهميته الحيوية وقتذاك .

اما الآثار والنقوش فهي مثل الوثائق الرسمية فى القيمة، وقد شاركت بعض البعثات المصرية فى أعمال الحفر والتنقيب عن اثار بلاد النوبة بعد ان وجهت منظمة اليونسكو نداءها لإنقاذ آثار النوبة. ومن البعثات التى كان لها فضل الكشف عن الآثار المسيحية بالمنطقة بعثة مصلحة الآثار فى قسطل وبلانه وتافه ودابود وكلابشه وعمدا ووادى السبوع.

وقد نشرت هذه الحفريات فى :

Shafik Farid: Excavation of the Antiquities Department at El-Sebu (1963).

Fauilles En Nubie II, id , Qustul, Ballana, Tafe, Debod, Kalabsha, Amada and Wadi El-Sebu, Actes du II , Symposium.

وبعثة جامعة الاسكندرية، وكانت حفائرها فى جبل عدة . نشر هذه الحفريات:

Mostafa El-Amir, : Fouilles de l'Universite d'Ale andrie a Gebel Adda, 1959. Fouilles En Nubie I, pp. 35-38).

ومن الجدير بالملاحظة ان المقابر الاسلامية التى عثرت عليها هذه البعثة لم تفحص وقت اكتشافها لعدم وجود متخصصين فى الآثار الاسلامية بين أعضاء البعثة، وهى ظاهرة عامة تميزت بها البعثات الاخرى، مما ادى الى ضياع كثير من المادة الاثرية والمعلومات الخاصة بالآثار الاسلامية فى بلاد النوبة.

اما البعثات الاجنبية فكانت منها البعثة المشتركة لمعهد الدراسات الشرقية بجامعة شيكاغو، والمعهد السويسرى بالقاهرة ، وكانت حفائرها فى المنطقة بين خوردهميت وبيت الوالى :

Keith C. Seele., : From Khor Dehmit to Beit El-Wali Oriental Institute Egyptian Asswan High Dam Program Joint Expedition with the schweizerisches Institut Report of Season 1960-1961 Fouilles En Nubie.

وبعثة المعهد التشيكوسلوفاكى للآثار المصرية بجامعة تشارلز، وكانت حفائرها فى تافة حيث تم الكشف عن معبد تافة الجنوبى الذى بنى فى العهد الرومانى، واستخدمه المسيحيون كنيسة، نشرت هذه الحفريات:

Zbynek Zaba, Tafa and Qertassi, Geiloslovak Institute of Egyptology of Charles University, Asswan High Dam Program, Report of Season 1961. Fouilles En Nubie 1, id Second Season 1962.

كذلك بعثة جامعتى ميلان وروما التى قامت بحفائرها فى دهميت وكلايشة واخمندى والمحرقه وتأميت وغيرها.

وفى قصر ابريم أجرت جمعية التنقيب عن الآثار المصرية بلندن حفائر ذات أهمية كبيرة فيما يتعلق بتاريخ النوبة ، وتولى أيمرى الإشراف على أعمال الموسم الأول الذى بدأ فى الثامن والعشرين من يناير عام ١٩٦١ ثم تولى المهمة مارتن بلمى J.M. Plumley .

وفى قرية عبد الله نرقى قامت البعثة الهولندية التابعة للمتحف الوطنى للآثار بلايدن بحفائرها سنة ١٩٦٢م ال سنة ١٩٦٤ . وبهذا ظهرت عدة أبحاث نشرت منها وجهات نظر جديدة عن تاريخ النوبة المسيحية والإسلامية من خلال الاستفادة من نتائج التنقيب. من هذه الأبحاث :

Adams, W.Y.: Post-pharaonic Nubia in the light of, Archaeology 1, J. E. A 50, 1964, II, J. E. A. , 1965, id III, J. EA. 52, 1966.

وتنفيذا للاتفاقية الثقافية بين جامعة الخرطوم، وجامعة ليون الثانية الفرنسية تكونت بعثة سودانية فرنسية مشتركة للقيام بأبحاث علمية تشمل بيئة سواحل البحر الأحمر السودانية، وقد استفدت من هذا التقرير، وخاص عن مدينة عيذاب وتطورها الحضارى، وقد نشر نتائج هذه الحفريات الدكتور احمد على الحاكم: المشروع السودانى الفرنسى للأبحاث العلمية فى منطقة البحر الأحمر السودانية ٧٩-١٩٨١،

مجلة كلية الآداب، جامعة الخرطوم، العدد الخامس سنة ١٩٨٣ (٣٠-٤٧) .

وأما المصادر العربية، فيعتبر كتاب ابن عبد الحكم (١٨٧-٢٥٧هـ / ٨٠٣-٨٧١م) فتوح مصر وأخبارها من أقدم الكتب التي وصلتنا. والتي تتحدث عن علاقة مصر ببلاد النوبة وارض البجة، وهو يعطى معلومات قيمة عن معاهدة البقط، والحملات الأولى التي جردتها مصر لتأمين الثغور الجنوبية من اعتداءاتهم المتكرر.

ومن الغريب ان ابن عبد الحكم لم يعط اهتماما لهجرة القبائل العربية إلى بلاد النوبة على الرغم من انه كان معاصرا لبعض هذه الهجرات، ومن بينها هجرة قبيلة ربيعة في عام ٢٣٨هـ / ٨٥٢م إلى الحوف الشرقي ومنها الى بلاد البجة، وخاصة منطقة العلاقى، ولعل مرد هذا النقص عند ابن عبد الحكم يعود إلى اهتمامه بالمظاهر الفقهية أكثر من اهتمامه بسرد المعلومات التاريخية وتصنيفها وتحليلها، فضلا عن تركيزه على مصر وبلاد المغرب والأندلس.

ومن المصادر التاريخية المبكرة كتاب فتوح البلدان لمؤلفه احمد بن يحيى البلاذرى (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م) يزودنا البلاذرى فى هذا السفر بمعلومات جيدة حول علاقات مصر مع بلاد النوبة منذ الفتح العربى لمصر وحتى العصر الذى عاش فيه متتبعا الحملات العسكرية الأولى وحتى حملة القمى على بلاد البجة؛ ترجع أهمية معلوماته فى انه اخذ بعضها عن شهود عيان، كما نقل بعضها من وثائق سجلات الديوان فى مصر.

أما كتابه الآخر: انساب الأشراف ، فان البلاذرى يشير إلى هجرة بعض الأمويين ال بلاد النوبة بعد سقوط الدولة الأموية واستيلاء العباسيين على الحكم . وهذه المعلومات تلقى ضوءا على بعض التطورات السياسية والاجتماعية اللاحقة فى السودان وادى النيل حيث ادعت بعض الأسر السودانية، فيما بعد أنها تنحدر من اصل أموى معتمدة فى ذلك على ما تذكره المصادر من هجرة بعض أفراد الأسرة الأموية واتباعهم الى تلك المنطقة هرباً من بطش العباسيين.

أما المسعودى (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٦م) فيعتبر من أجلة المؤلفين وأكثرهم فائدة فيما يتعلق بتاريخ القبائل العربية ، اذ وضع كتابا بعنوان مروج الذهب ومعادن الجوهر وصف فيه النوبيون من حيث أصلهم ، ويزودنا بمعلومات قيمة عن إمارة ربيعة العربية الأولى فى وادى العلاقى ومنطقة المعادن فى صحراء العتباى وعلاقاتهم بالبجة .

ويبدو انه أخذ معلوماته من شهود عيان، ومن التجار الذين كانوا يفدون من بلاد المعدن الى الفسطاط، حيث صنف معلوماته فى هذا الصدد بينما كان فى زيارة الفسطاط هام ٣٣٢م/٩٤٣ .

ويزودنا المسعودى بمعلومات أصلية وجديدة عن استقرار بعض القبائل العربية فى منطقة الصعيد، وفى مدينة أسوان أبان سيطرة ربيعة على تلك المنطقة فى الوقت الذى سجل المسعودى فيه معلوماته فى العقد الرابع من القرن الرابع الهجرى . ويعطى معلومات اقتصادية هامة تشير الى التطور الاقتصادى والزراعى بشكل خاص فى بلاد النوبة وارض البجة .

أما فى كتاب التنبيه والأشراف فان المسعودى يمدنا ببعض المعلومات ذات العلاقة بموضوع بحثنا، وخاصة هجرة بعض الأسر والقبائل العربية الى منطقة الصعيد ومنها الى بلاد النوبة وارض البجة .

اما شهاب الدين ابو القاسم عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسى المعروف بابى شامة (٥٩٩هـ / ١٢٠٣م) (ت عام ٦٦٥هـ / ١٢٦٦م) فهو صاحب كتاب الروضتين فى اخبار الدولتين النورية والصلاحية فقد اعتمد فيه على من تقدمه من المؤلفين مثل عماد الدين الكاتب «البرق الشامى» ، وابن ابى طى مؤلف كتاب «سيرة صلاح الدين» ، وكذلك القاضى الفاضل؛ وابن شداد وغيرهم .

ويزودنا ابو شامة بمعلومات هامة عن علاقة الدولة الأيوبية ببلاد النوبة وخاصة حملة توران شاه عام ٥٦٨هـ ، بداية التطلع المصرى نحو الجنوب .

وثمة مؤلف آخر يزودنا بمعلومات قيمة عن بعض مظاهر العلاقات بين النوبة والسلطنة المملوكية في مصر، وهو ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن علي بن الفرات الذي ولد عام ٧٣٥هـ / ١٣٣٤م ، وتوفي عام ٨٠٧هـ / ١٤٠٥م ألف كتابا بعنوان تاريخ الدول والملوك بدأه بحوادث القرن الثامن الهجري، ثم عاد بالحوادث حتى عام ٥٠٠ هـ ، وتوفي قبل ان يكمل مؤلفه؛ وعلى الرغم ما يجتنب أسلوبه من عدم سلاسة العبارات ، فانه يعطى معلومات قيمة عن العلاقات بين المماليك من جهة ، وبين كل من القبائل العربية في الصعيد، ومملكة النوبة الشمالية من جهة اخرى . وفي بعض الأحيان يزودنا بمعلومات فريدة قد لا نجدها في المصادر الأخرى، مثلما أشار عن الاتفاق الذي عقد بين المماليك وشكندة ملك النوبة ولكن أسلوبه في سرد الحوادث يتسم بالاستطراد والانتقال من فترة تاريخية معينة الى أخرى بعيدة عنها دون مبرر واضح.

وعلى الرغم من هذه الهنات فان الباحث يمكنه الاعتماد على تاريخ ابن الفرات في وصف العلاقات الحربية والسياسية بين المماليك في عهد بيبرس وقلاوون وبين ملوك النوبة، ويوضح دور أمراء ربيعة في هذا الصراع.

بالإضافة الى ذلك فانه يورد بعض المعلومات عن سياسة مصر الإسلامية تجاه بلاد النوبة في صدر الإسلام، ولكنه لا يضيف جديدا لما ذكره من سبقه من المؤرخين والكتاب، ومعلوماته في هذا الصدد مختصرة وغير منظمة .

ومن المؤرخين الذين سطوروا بعض المعلومات حول العلاقات بين مصر والنوبة ودور القبائل العربية فيها. عبد الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٦م) ألف كتابا بعنوان «العبر وديوان المبتدأ والخبر» تتبع فيه هجرة القبائل العربية واستقرارها على طول وادي النيل، مثل جهينة وبنى جعل - خلال العصر المملوكي، كما تكلم عن نظام الحكم في النوبة وثورات القبائل العربية واثار ذلك على بلاد النوبة.

وعلى اى حال فان ابن خلدون قد أضاف نقاط جديدة ، وان اخذ عليه الخلط فى الأشخاص والأماكن والتواريخ.

ويتضح من مطالعة المصادر التاريخية المتوافرة أن المقرئى هو اكثر المؤلفين إسهاما وتفصيلا حول كثير من المعلومات التى تهمنى فى موضوع بحثنا . وقد ولد احمد بن على المقرئى فى القاهرة سنة ٧٦٦هـ / ١٣٦٤م من أسرة عريقة تنحدر أصلا من بعلبك فى بلاد الشام، وتلقى علومه فى القاهرة حيث درس علوم الدين والتفسير واللغة والنحو والأدب والتاريخ. وتلمذ على عدد من كبار العلماء والأساتذة فى عصره من بينهم ابن خلدون، واشتغل المقرئى فى ديوان الإنشاء موقعا، ثم اصبح أحد نواب الحكم، كما اشتغل مدرسا للحديث فى المدرسة المؤيدية، ثم عين محتسبا للقاهرة والوجه البحرى من قبل السلطان برقوق عام ٨٠٠هـ / ١٣٩٨م. ويقال أن له ما يربوا على مائة كتاب، ويهمنى من هذه المؤلفات أربعة هى: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، والبيان والأعراب عما بأرض مصر من الأعراب، والسلوك لمعرفة دول الملوك، واتعاط الحنفا فى أخبار الأئمة الخلفاء.

أما كتاب المواعظ والاعتبار فيحوى كثيرا من المعلومات التى تهمنى فى موضوعنا اذ تكلم عن بعض القبائل العربية وهجرتها الى بلاد النوبة، وأشار إلى معاهدة البقط أساس العلاقات بين مصر والنوبة على مدى ستمائة وخمسين عاما.

وتتبع العلاقات بين مصر والنوبة حتى عام ٦٧٤هـ / ١٢٧٥م زمن الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى، إلا ان هذه المعلومات مختصرة وليس فيها جديد إذا قورنت بالمصادر المتقدمة.

ويزودنا المقرئى بمعلومات جيدة عن بلاد البجة وأرض المعدن وخلال وصفه لهذه المناطق يعطينا معلومات هامة عن النواحي الاقتصادية والاجتماعية والدينية فى تلك البلاد، وهو ينقل معلوماته فى هذا الصدد عن المسعودى، وابن جبير والادفوى. هذا وقد اشرنا الى مخطوط هام للمقرئى عثرنا عليه فى سودان وادى النيل، عند تقييمنا للمادة العلمية التى حوتها المخطوطات.

اما فى كتاب البيان والاعراب فيزودنا المقرئى بمعلومات هامة عن استقرار القبائل العربية فى مصر والنوبة ، كما تحدث عن منافسات ومنازعات القبائل ويطونها المختلفة . ويشير الى علاقة هذه القبائل مع السلطات الحاكمة فى مصر زمن المماليك ، وموقف حكام مصر المملوكية فى احتضانهم أحيانا ، وفى ضربهم أحيانا أخرى .

اما كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك الذى نشر الجزء الأول والثانى منه الدكتور مصطفى زيادة ، والثالث والرابع الدكتور سعيد عاشور ، فقد صنفه المقرئى ليكون تاريخا مفصلا للدولتين الأيوبية والمملوكية وقد زودنا فيه بمعلومات قيمة عن العلاقات بين المماليك والقبائل العربية فى منطقة الصعيد وبلاد النوبة ، ثم أعطانا مادة غزيرة عن حملات المماليك الاولى على بلاد النوبة ، فقد عاصر بعض هذه الحوادث ، ولذا أفاض فى الحديث عنها .

واما عن كتابات الجغرافيين العرب ، فيعتبر من اهم المصادر التى تتوفر فيها مادة فريدة قد لا نجدها فى المصادر التاريخية او بقية الكتب المؤلفة فى العصور الوسطى الإسلامية .

ومن اهم هذه المصادر وأكثرها أهمية كتاب البلدان لمؤلفه اليعقوبى (ت ٢٨٤هـ / ٨٩٧م) حيث يزودنا فيه بمعلومات مفصلة عن أماكن وجود الذهب والزمرد فى بلاد البجة ، وكيفية استخراجها وتصنيعها ، وفى النواحى الاقتصادية ، كما يشير الى بعض القبائل العربية التى استقرت فى أرض المعادن مثل قبائل ربيعة وبنى وجهينة . ويزودنا اليعقوبى بمعلومات جغرافية هامة عن منطقة وادى العلاقى ووقوعها على طرق التجارة ، ولا يضيف اليعقوبى فى كتاب التاريخ جديدا الى ما قاله فى البلدان .

وقد عاصر اليعقوبى جغرافى آخر هو ابو بكر احمد بن محمد بن اسحق الهمذانى المعروف بابن الفقيه (ت ٢٩٠هـ / ٩٠٣م) الذى صنف كتابا سماه البلدان

وذلك بين عامى ٢٨٧هـ ، ٢٩٠ هـ ، وقد وضع له على بن حسن الشيرازى مختصرا حوالى عام ٤١٣هـ / ١٠٢٢م بعنوان : «مختصر كتاب البلدان» وهو يعطى وصفا للممالك النوبة والبجة من النواحى الطبوغرافية، والاجتماعية قبل استقرار العرب فى هذه المناطق، مما يلقى ضوءا على طبيعة التطورات والتغيرات التى حدثت فى المنطقة بعد وصول القبائل العربية اليها واستقرارها فيها، وخاصة ما يتعلق بانتشار الإسلام واللغة العربية، وكذلك تأثرها بالعادات والتقاليد الاجتماعية السائدة عند كل منهما.

وقد عاش فى القرن الثالث الهجرى أيضا جغرافى آخر هو ابو القاسم عبد الله بن عبد الله المشهور بابن خرداذبة (ت ٣٠٠هـ / ٩١٢م) وكتابه المسالك والممالك الذى يتحدث فيه عن أصول ملوك النوبة ، والتأثيرات الثقافية القادمة الى السودان وادى النيل من الناحية اللغوية.

ومن الجغرافيين الذين وصلتنا بعض مؤلفاتهم ابو اسحق إبراهيم بن محمد الاصطخرى الكرخى (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م) الذى صنف كتابا فى الجغرافية اعتمد فيه على مؤلف ابى زيد البلخى (ت ٣٢٢هـ / ٩٣٤م) الموسوم : صور الإقليم الذى فقد ولم يصل الينا . وكان البلخى تلميذا للعالم الجغرافى يعقوب بن اسحق الكندى مؤلف كتابى : المعمور من الأرض ، ورسالة فى البحار والمد والجزر. وقد أفادنا كتابه فى دراسة التكوين السكانى والاجتماعى، ويعرفنا ببعض الأعراف والعادات السائدة فى تلك البلاد. ويبين مدى تأثير هجرة القبائل العربية واستقرارها فى تلك المنطقة .

اما ابو القاسم محمد البغدادى المعروف بابن حوقل (ت ٣٥٠هـ / ٩٦١م) الذى زار مصر وبلاد النوبة بين عامى ٣٣٦ - ٣٤٤هـ ، اى فى الوقت الذى ازدادت فيه هجرة القبائل العربية الى بلاد النوبة وارض المعادن. فانه يزودنا بمعلومات هامة حول نظام الوراثة فى بلاد النوبة والبجة، والذى يوجب توريث الحكم لابن الأخت او ابن البنت ، دون كل قريب وحميم من ولد وأهل ، وقد ادى تبنى هذا النظام من قبل

العرب فى بلاد النوبة الى انتقال الحكم اليهم فى كل من بلاد النوبة وارض البجة . وكان ذلك من العوامل الرئيسية كما سنرى - فى انتقال العرش النوبى الى سلالة عربية . فى العقد الثانى من القرن الثامن الهجرى .

بالإضافة الى ما سبق فان ابن حوقل يعطى معلومات مختصرة - ولكن مفيدة- عن موانى السودان فى عصره مثل باضع وسواكن . وتلقى هذه المعلومات ضوءا على العلاقات التجارية بين مصر والنوبة ، والعالم الخارجى .

وممن يعطون بعض المعلومات عن موضوع بحثنا الجغرافى المعروف ابو عبد الله محمد ابن محمد بن عبد الله ابن إدريس الملقب بالشرىف الادريسى الذى أتم كتابه المعروف نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق نحو عام ٥٤٨هـ / ١١٥٤ م ، وهو عبارة عن وصف للكرة الأرضية ، وقد زودنا فى هذا الكتاب ببعض المعلومات الجغرافية والاقتصادية حول إقليم السودان الشمالى .

ومن المصادر الجغرافية التى تعطى معلومات حول بلاد النوبة كتاب : اثار البلاد وأخبار العباد لمؤلفه زكريا بن محمد ابن محمود القزوينى (ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣) ، وقد زودنا بمعلومات جغرافية ، وتاريخية واقتصادية عن بلاد النوبة ، وارض البجة .

واما كتب الرحلات فهى مصدرا هاما من مصادر التاريخ الإسلامى ، وخاصة ان مؤلفيها يهتمون بأمور قلما يهتم بها غيرهم من المؤلفين مثل وصف عادات الناس وتقاليدهم وأحوالهم الاقتصادية والاجتماعية ومعتقداتهم ، فضلا عن طرق التجارة والقوافل ، والمظاهر الطبوغرافية ، والمزروعات وأنواعها وطرق زراعتها .

ومن اقدم الرحالة المسلمين الذين زاروا منطقة النوبة والبجة ووصفوا مشاهداتهم فيها الرحالة الفارسى ناصر خسرو علوى . مؤلف كتاب سفرنامه الذى وضعه بالفارسية ، وقد نقله للعربية الدكتور يحيى الخشاب . وقد استغرقت رحلة ناصر خسرو نحو تسع سنوات قضى ثلاثا منها فى مصر ، وتجول فى الصعيد وبلاد النوبة ،

واصفا مشاهداته عن السكان ومعتقداتهم، وواصفا أنواع البضائع التجارية المتبادلة بين مصر وبلاد النوبة وطرق التجارة بين أسوان عبر ساحل البحر الأحمر، وبلاد النوبة.

وتعتبر رحلة ابن جبير (ت ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م) من أهم كتب الرحلات العربية التى تفيدنا فى دراسة موضوعنا. ولد ابو الحسن محمد بن جبير الكنانى فى الأندلس عام ٥٤٠ هـ / ١١٤٥ م. والتحق بخدمة السلطان الموحدى ابن ابى سعيد عثمان بن عبد المؤمن واصبح أمين سره، وفى شوال عام ٥٧٨ هـ / ١١٨٣ م ، بدأ ابن جبير رحلته نحو المشرق لاداء فريضة الحج، متخذا طريقة الى مكة عبر صعيد مصر مارا بالقاهرة ثم قوص، وعيذاب ومنها عبر البحر الأحمر إلى جدة وقد وصف خلال مروره بميناء عيذاب ما كان يلاقىه الحجاج من مصاعب وما كانوا يدفعونه من رسوم ألغاهها صلاح الدين الايوبى فى النهاية.

وقد وصف ابن جبير محطات القوافل من قوص إلى عيذاب مشيرا الى ازدهار الحركة التجارية بين عيذاب وبلاد الصعيد. ويذكر ان الطرق كانت آمنة ولا شئ يعكر صفو الحجاج والتجار طيلة سيرهم من قوص أو أسوان الى موانئ البحر الأحمر او العكس. ويصف ابن جبير ميناء عيذاب بأنه «من احفل مراسى الدنيا» وازدهار الحركة التجارية بين موانئ السودان والعالم الخارجى.

ومن كتب الرحلات الأخرى التى تعطى معلومات عن بعض جوانب دراستنا : تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار لابن بطوطة . (ت ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م) والتى اشتهرت باسم رحلة ابن بطوطة وكانت بلاد النوبة من محطاته الهامة. وهو يعطى بعض المعلومات عن بعض القبائل العربية التى كانت مستقرة فى بلاد النوبة مثل الكواهلة والأشراف وجهينة.

اما كتب السير والتراجم، فمن أهمها: محيى الدين بن عبد الظاهر الذى ولد فى القاهرة عام ٦٢٠ هـ / ١٢٢٣ م . ومات فيها عام ٦٩٢ هـ / ١٢٩٢ م . وبذلك عاصر

فترة مهمة فى تاريخ النوبة هى عصور الظاهر ببيرس والمنصور قلاوون، والأشرف خليل بن قلاوون. وكان موظفا فى بلاط هؤلاء السلاطين، وشغل وظيفة صاحب ديوان الإنشاء التى كانت من أهم الوظائف آنذاك.

وقد أتاح له هذا العمل الاطلاع على كثير من الأسرار والوثائق، مما مكنه من تصنيف مؤلفات كثيرة منها ثلاثة فى تاريخ هؤلاء السلاطين هى :

- الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر .

- تشرىف الأيام والعصور فى سيرة الملك المنصور.

- الألفاف الخفية من السيرة الشريفة السلطانية الملكية الإشرافية.

وقد ركز معلوماته على العلاقات بين المماليك والصليبيين وتسجيل انتصار القوات المملوكية، وهى تحوى معلومات بالغة الأهمية، وخاصة حول العلاقات بين مصر المملوكية ، وبلاد النوبة والبجة .

ومن أهم التراجم التى تهمنى فى هذا الكتاب كتاب الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد لمؤلفه ابو الفضل كمال الدين جعفر بن ثعلب الادفوى (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م) ، وقد ترجم الادفوى لبعض الشعراء والعلماء الذين عاشوا فى أسوان وعيذاب، ومن ثم انتقلوا الى بلاد النوبة فأثروا الحياة الثقافية هناك .

ومن كتب الموسوعات الهامة فى دراستنا : كتاب : نهاية الارب فى فنون الادب لمؤلفه شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب الكندى المعروف بالنويرى الذى ولد سنة ٦٧٧هـ / ١٢٧٦م، وتوفى عام ٧٣٢هـ / ١٣٣٢م ، تولى عدة مناصب هامة زمن السلطان المملوكى الناصر محمد بن قلاوون، وشغل وظيفة ناظر الجيش. وقد أتاح له اشتغاله بالوظائف الحكومية الهامة الاطلاع على كثير من الوثائق الرسمية والأسرار السلطانية ، واتصل بكبار رجال الدولة وقادة الجيش، واستقى بعض معلوماته من هؤلاء الأشخاص الذين شاهدوا الحوادث وشاركوا فيها .

ويزودنا النوبرى بمعلومات هامة- وأحيانا فريدة- عن تحركات القبائل العربية فى بلاد النوبة وارض البجة، كما يشير الى النزاع العسكرى المستمر بين هذه القبائل، وبين السلطات المملوكية فى مصر. كما تحدث بأسهاب عن العلاقات بين المماليك وبلاد النوبة، وتكلم عن بوادر انهيار الممالك النوبية امام زحف القبائل العربية ، والقوات المملوكية.

والحقيقة ان كتاب النوبرى يعد من افضل المصادر التى تزودنا بمعلومات مفصلة ودقيقة عن العلاقات بين المماليك والنوبة، والمماليك والقبائل العربية فى جنوب مصر بين عامى ٦٦٨ هـ / ٧١٧ هـ .

اما كتاب مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار لمؤلفه شهاب الدين ابو العباس احمد يحيى بن فضل الله القرشى العدوى العمرى المولود عام ٧٠٠ هـ / ١٣٠١ م ، بدمشق والذى شغل وظيفة كاتب السر وناظر ديوان الإنشاء فى مصر والشام، فيزودنا بمعلومات هامة عن النوبة الا ان كتابه: التعريف بالمصطلح الشريف حوى كثيرا من الوثائق الهامة والرسائل التى كانت تكتب لكبار الدولة، وحكام الولايات، وزعماء القبائل الكبيرة، وقد وصف لنا باختصار العلاقات بين ملك النوبة فى عصره وسلطان المماليك. وحفظ لنا رسم المكاتبة بين سلطان المماليك وحكام النوبة، وكذلك رسم المكاتبة لشيخ الحدارية فى منطقة سواكن.

ومن المؤلفين الموسوعيين الذين امدونا بمعلومات هامة القلقشندى (ت ٨١٢ هـ / ١٤١٨ م) المولود فى مصر عام ٧٥٦ هـ / ١٣٥٥ م . ويرجع نسبة الى قبيلة فزارة من قيس عيلان؛ عمل القلقشندى فى ديوان الإنشاء منذ عام ٧٩١ هـ وحتى عام ٨٠١ هـ . وقد أتاحت له هذه الوظيفة من الاطلاع على كثير من الوثائق الرسمية . لذا ألف كتابه: صبح الاعشى فى صناعة الإنشاء أمدنا من خلاله بالكثير من المعلومات عن أحوال بلاد النوبة فى العصر المملوكى، واعتمد فى ذلك على كثير من الوثائق والمراسلات الرسمية التى كان يزخر بها ديوان الانشاء فى مصر.

وأما عن المصادر المسيحية فتناولت تاريخ الكنيسة القبطية ورؤسائها ، وعلاقتها مع نصارى البلدان الأخرى مثل النوبة والحبشة وتتكلم هذه المصادر عن علاقة الكنيسة بالحكام المسلمين في مصر .

ومن أهم هذه المصادر وأقدمها: تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية لمؤلفه ساويرس بن المقفع، الذي عاش حتى زمن الخليفة الفاطمي المعز لدين الله في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، وقد عين أسقفاً للاشمونيين في صعيد مصر من قبل بطريرك الإسكندرية أنبا مقار (٩٣٢-٩٥٢ م) ، وبقي في منصبه نحو ثلاثين عاماً .

وكان ابن المقفع يتقن اللغات اليونانية والقبطية والعربية، واستطاع الاطلاع على كثير من الوثائق والسجلات المحفوظة في الأديرة في منطقة الصعيد والإسكندرية . وكان أول مؤلف قبطي معروف يضع كتاباً باللغة العربية، ما يدل على أن اللغة العربية قد رسخت وأصبحت لغة بعض الأساقفة الأقباط، ولكن الكتاب نسب إليه كله . ويعطينا معلومات عن علاقة الكنيسة المصرية بكنيسة النوبة والحبشة آنذاك .

ويعطى أبو صالح الأرمني (ت ٦٠٥ هـ / ١٢٠٨ م) في تاريخه معلومات مماثلة ، ويشارك مع ابن المقفع في عدم الدقة بأسماء الولاة، وتواريخ الحوادث .

أما ابن أبي الفضائل القبطي (ت ٧٥٩ هـ / ١٣٥٨ م) فقد كان معاصراً للسلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون، وقد كتب كتاباً سماه: النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد . وقد وضعه ليكمل به تاريخ جرجيس بن العميد الذي وصل فيه حتى سنة ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م . وقد وصل فيه ابن أبي الفضائل حتى عام ٦٩٦ هـ / ١٢٩٦ م؛ وقد زدنا فيه بمعلومات حول علاقة السلطان المملوكي قلاوون بملوك النوبة واحتفظ لنا بالاتفاق الذي عقد بين المماليك وشكندة ملك النوبة، والذي بموجبه أصبحت مملكة المقررة النوبية تابعة من الناحية الاسمية للسلطان المملوكي في مصر .

ومن المصادر السودانية: «طبقات ود ضيف الله» ولد مؤلفه محمد النور بن ضيف الله بن محمد الجعلي الفضلي الوثيقي في أسرة دينية عريقة بحلفاية الملوك،

حاضرة ملوك العبدلاب فى نحو عام ١١٣٩ / ١٧٢٨ م وتوفى فيها سنة ١٢٢٤ / ١٨٠٩ م.

وقد نشأ فى مناخ دينى يغلب عليه التمازج بين المتصوفة والفقهاء وجو مشبع بمآثر الأولياء وكرامتهم. الا ان المؤلف قد نال قسطا وافرا من العلوم النقلية، وكان فقيها وقاضيا عادلا، وتحت تأثير هذه الظروف تم تأليف كتاب الطبقات . ويعلن المؤلف عن مقصده «وبعد فقد سألتنى جامعة من الأخوان ... أن أؤرخ لهم ملك السودان، وأذكر فيه من الأولياء الأعيان فأصبت سؤالهم مع انه لم يكن لأسلافنا وأسلافهم وضع فى هذا الشأن إلا أن أخبارهم متواترة عند الخاص والعام منها ما بلغ حد التواتر فأجبت ان اذكر ما تواتر واشتهر .

ومعجم الشخصيات السودانية هذا كما يدل عنوانه يعد مرآة صادقة وسجلا دقيقا لعصر المؤلف، وكنزا فريدا يحوى معلومات قيمة عن حياة السودانيين الدينية والثقافية، والأدبية والاجتماعية والسياسية فى مملكة الفونج .

وقد أعاننا هذا المؤلف القيم فى فهم الدعوة الإسلامية، وانتشارها فى السودان ومن ثم تغير ثقافة النوبة على أثر هذا الانهيار فى ممالكها المسيحية .

وقد جاء كتاب طبقات ود ضيف الله الذيل والتكملة اختصره إبراهيم عبد الدافع، شرح الشيخ احمد السلاوى . مكمل فى فهم حركة التصوف فى السودان، ومن ثم الثقافة الدينية ومراكزها، واشهر المؤلفات العلمية فى السودان وادى النيل .

ومن المراجع الحديثة التى اعتمدنا عليها كتاب :

Islamisation de la Nubie Chretienne, Publieé Sous La direction de:
Dominique Saurdel et Janine Sourdel Thomine, 1989."

تأليف جوزيف كيوك: (Joseph Cuoq)

وهو احدث ما صدر من أبحاث عن دراستنا ، وقد استفدت منه وخاصة فى الفترة المعنية بالعصر المملوكى ، وعلاقاتهم ببلاد النوبة .

كذلك كتاب : Church and state in Ethiopia, 1270 - 1527, Oxford
 "1972 تأليف تاديس تمرات : (Taddeose Tamrat)، فهو يلقي الضوء على
 الصراعات الإقليمية في منطقة شرق أفريقيا، وهضبة الحبشة، مما اثر بالتالى على
 التدخل لصالح النوبيين ، وسقوط الممالك المسيحية .

ومن المراجع التى اعتمدنا عليها كذلك كتاب : تاريخ العرب فى السودان .
 ما كما يكل MacMichael " A history of the Arabs in the Sudan
 وأهمية هذا الكتاب مستمدة من ان مؤلفه استقى معلوماته من مصادر هامة لا
 توجد الا فى بلاد النوبة نفسها، وما ساعده على ذلك إقامته هناك فترة زمنية طويلة
 بحكم وظيفته فى حكومة السودان، مما ساعده على الاتصال بالقبائل السودانية، فان
 معظمهم يحتفظ بكتب الأنساب، وقد عالج فى مؤلفه الضخم كثيرا من النقاط الحيوية
 عن اختلاط القبائل العربية فى بلاد النوبة، وتفرعها . فهو يعد من الكتب النادرة
 المتخصصة الدقيقة فى انساب القبائل بالسودان .

ومن المراجع العربية التى أنارت لى الطريق كتاب : انتشار الإسلام
 والثقافة العربية فى أفريقية للدكتور حسن احمد محمود ، فقد تعمق فى هذه
 المنطقة بدراسة مستفيضة وتحليلات فلسفية صائبة عن فترة التحولات الثقافية
 للممالك النوبية .

ومن الأبحاث الجديدة فى معالجة العلاقة بين مصر والنوبة زمن الدولة
 المملوكية بحث : موقف مصر من النوبة فى العصر المملوكى الأول للدكتور محمد
 عبد العال احمد، فقد استفدت من آرائه الجديدة ، وتحليلاته لحملات مصر المملوكية
 على بلاد النوبة .

وقد اتبع الباحث منهجا موضوعيا يعتمد على دراسة ممالك النوبة، ودراسة
 عوامل اضمحلالها، ومظاهرها ، حتى سقوطها . وما أدى اليه ذلك من تغير، وعنى
 الباحث بإبراز هذا التغير فى شتى مناحى الحياة من ناحية عناصر وفئات السكان،

وأوضاعهم الاقتصادية ، وعاداتهم الاجتماعية ، والمتغيرات الثقافية التى حدثت على اثر انهيار الممالك المسيحية وقيام الممالك الإسلامية .

وثمة ملاحظة منهجية متعلقة بعنوان الكتاب وهى استخدام مصطلح ممالك النوبة المسيحية على الرغم من انها كانت مملكتين فقط هما مملكة المقررة ، ومملكة علوة ، فعلى الرغم من إدراكنا ان قواعد اللغة تستدعى جعل العنوان ، مملكتا مقررة وعلوة المسيحيتان ، اضمحلالهما وسقوطهما وأثرهما فى انتشار الإسلام فى السودان وادى النيل الا ان المصادر العربية جرت على استخدام لفظة ممالك النوبة المسيحية منذ ان كانت هذه الممالك ثلاثا هى المملكتان السابقتان بالإضافة إلى مملكة نباتا ، ورغم اندماج نباتا فى المقررة الا ان هذه المصادر استمرت على استخدام ذات المصطلح الأول ممالك النوبة المسيحية بالجمع لا التثنية ولقد شئت ان اتسق مع المراجع العربية والمصطلح التاريخى نظر لكونى مؤرخا رغم اصطدام ذلك مع المفاهيم اللغوية وإدراكا منى لأن مملكة نباتا كانت موجود بشكل أو بآخر داخل مملكة المقررة .

وثمة ملاحظة منهجية ثانية متعلقة بما ورد فى عنوان الدراسة من إشارة إلى اثر سقوط الممالك النوبية المسيحية فى نشر الإسلام فى المنطقة ، فان الدراسة ستوضح أن انتشار الإسلام كان سابقا لسقوط هذه الممالك ، وانه لعب دورا هاما فى هذا السقوط ثم أن السقوط كان عاملا هاما فى دفع مسيرة انتشار الإسلام فى المنطقة ومن ثم لا ينبغى أن ينصرف الذهن الى الظن بان الإسلام ، لم ينتشر بالمنطقة قبل سقوط الممالك ، وذلك رغم ان سقوط هذه الممالك أزال آخر عقبة أمام انتشار الإسلام ، باعتبار ما كانت تمثله هذه الممالك من سلطة سياسية مغربة لبعض العناصر النوبية على الاستمرار على عقيدتها المسيحية باعتبار ما نالته من مكاسب فى ظل دولة مسيحية ، بينما كان مجمل شعب المنطقة قد تحول الى العقيدة الإسلامية .

وقد قسمت الدراسة الى ستة فصول ، خصصت الفصل الأول لدراسة : أسباب ومظاهر اضمحلال ممالك النوبة .

وقد قسمته الى خمسة نقاط أساسية :

- ١ - تدفق العرب المهاجرين الى بلاد النوبة وارض البجة وإقامتهم بها .
- ٢ - استتباب النفوذ المصرى بين النيل والبحر الأحمر .
- ٣ - الصراعات الإقليمية فى هضبة الحبشة، وشرق أفريقيا وأثره على التدخل المصرى فى النوبة .

٤ - ضعف النظام الكنسى وانحلاله بالنوبة .

٥ - ضعف التجارة الدولية ، وانقطاع التجارة مع مصر واثار ذلك على ممالك النوبة .

وخصصت الفصل الثانى وموضوعه: «سقوط ممالك النوبة المسيحية» سقوط مملكة المقررة وظهور دولة الكنوز؛ تحدثت فيه عن دور المماليك فى سقوط هذه المملكة وصراعهم مع القوى المحلية فى مصر واثار ذلك فى بلاد النوبة، ثم موقف مصر من النوبة فى عصر دولة المماليك الأولى، بدأ بحملة الظاهر بيبرس، ونهاية بانهيار مملكة دنقلا المسيحية ما بين عام ٦٧٥ - ٧١٢هـ / ١٢٧٦ - ١٣١٢م).

وتتبعنا حملات المنصور قلاوون، ثم الموقف فى عهد السلطان الاشرف خليل والاتصالات بين النوبة والصليبيين ، وايضا الموقف فى عهد سلطنة الناصر محمد، وأخيرا أمراء ربيعة يرثون عرش النوبة، والموقف فى عهد الاشرف شعبان .

أما الفصل الثالث فقد تناول سقوط ممالك النوبة المسيحية - سقوط مملكة علوة وظهور القوى السياسية الجديدة ، وتحدثت فيه عن سوبا عاصمة علوة المسيحية، والأسباب التى أدت الى ضعفها، بداية بأحداث السقوط ومن ثم القوى السياسية الجديدة التى ظهرت بأرض النوبة:

(أ) مشيخة العبدلاب . (ب) سلطنة الفونج الإسلامية .

أما الفصل الرابع ، فقد خصص للنتائج الاقتصادية لسقوط ممالك النوبة،

تحدثت فيه عن النشاط الاقتصادى الجديد من حيث الزراعة وتربية الحيوان، والتعدين، والحرف والصناعات الشعبية، والتجارة، وأخيرا طرق القوافل.

وأما الفصل الخامس وموضوعه النتائج الاجتماعية لسقوط ممالك النوبة. تحدثت فيه عن التكوين الاجتماعى لشعب السودان وادى النيل، ثم العادات الاجتماعية الخاصة من حيث الزواج فى ضوء الوثائق العربية، والنفقة، وعادة الشلوخ، والأنساب العربية، والختان، وأربعون الولادة، والملبس والزينة، والمسكن، والأثر الإسلامى فى الزخارف المعمارية بالنوبة، والمآكل والمشرب وأخيرا الاحتفالات والطقوس الدينية.

وأما الفصل السادس وموضوعه النتائج الثقافية لسقوط ممالك النوبة فتناول العوامل المؤثرة فى الحياة الثقافية.

- انتشار الدعوة الى الاسلام.
- انتشار القبائل العربية واستقرارها، واثار ذلك فى لهجات السودان .
- العوامل الخارجية المؤثرة فى تطور السودان الثقافى ثم اشهر المراكز الثقافية فى السودان واسهامها فى الإنتاج العلمى وأخيرا إسهام هذه المدارس فى الإنتاج الثقافى.

وقد ختم المؤلف دراسته بخاتمة تضمنت ابرز ما توصل إليه من نتائج ، وخلاصة للدراسة على ضوء المصادر الجديدة.

اما الملاحق فقد نشر فيها المؤلف عددا من الوثائق الهامة الخاصة بسودان وادى النيل، كما تضمنت الملاحق بعض الخرائط التوضيحية، كما تضمنت الملاحق أيضا بعض صور الوثائق والمخطوطات والمقتنيات الفنية التى جمعها الباحث من ميدان الدراسة بنفسه.

ونأمل ان يتمخض هذا المؤلف عن إظهار عملية التغير الذى صلب انهيار ممالك النوبة المسيحية، ومن قيام الممالك والمشيخات الإسلامية، اعتمادا على أوثق المصادر من الوثائق والمخطوطات العربية وغير العربية.

وبعد فلعللى أكون قد وفقت فى تقديم دراسة متكاملة عن ممالك النوبة فى
عصر دولة سلاطين المماليك، فان يكن التوفيق حليفى فهذا من فضل الله، وان
أصبت فلى أجران، وان أخطأت فلى اجر.

والله ولى التوفيق،

كرم كمال الدين الصاوى باز

الجيزة/ يناير ٢٠٠٦م

الفصل الأول

أسباب ومظاهر إضمحلال ممالك النوبة

أولاً : تدفق العرب المهاجرين إلى بلاد النوبة وأرض البجة وإقامتهم بها.

ثانياً: استتباب النفوذ المصرى بين النيل والبحر الأحمر.

ثالثاً: الصراعات الإقليمية فى هضبة الحبشة وشرق أفريقيا وأثره على التدخل المصرى فى النوبة.

رابعاً : ضعف النظام الكنسى وانحلاله بالنوبة.

خامساً : ضعف التجارة الدولية، وانقطاع التجارة مع مصر، وأثر ذلك على ممالك النوبة

يعتبر العهد المملوكي (٦٤٨ - ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧ م) نقطة تحول حاسمة في علاقة مملكة النوبة، (أو المقررة)، بمصر الإسلامية. فقد اتخذ الملك داود سياسة هجومية ضد مصر عندما غزا كلا من عيذاب وأسوان في عام ٦٧١ هـ / ١٢٧٢ م وكان رد المماليك ان أرسلوا سلسلة من الحملات العسكرية لوضع حد لهجمات النوبة، وجعل مملكة المقررة دولة تابعة لمصر^(١).

وتحقيقاً لهذه السياسة استغل سلاطين مصر خلافات البيت الحاكم حول اعتلاء العرش، وبعثوا بالأمراء النوبيين الذين اسروا وعاشوا في مصر على رأس تلك الجيوش^(٢). كما سحب الحملات المملوكية التي أخذت تغزو بلاد النوبة منذ عام ٦٧٤ هـ / ١٢٧٥ م أعداد كبيرة من المقاتلين العرب الذين زهدوا في الحياة بمصر بعد تسلط المماليك عليها^(٣)، وضاعت بهم سبل العيش.

إذ يؤكد ابن الفرات ان الجيش المملوكي الذي غزا النوبة في عام ٦٨٨ هـ / ١٢٨٩ م كان يضم مالا يقل عن أربعين ألفاً من الأعراب^(٤). وقد كانت حملات سلاطين مصر من أهم الأسباب التي أضعفت الإطار السياسي لنظام الحكم في بلاد النوبة، ومهدت لغلبة العرب الذين استطاعوا روادهم من بنى الكنز اعتلاء عرش النوبة في سنة ٧٢٣ هـ / ١٣٢٣ م^(٥) معتمدين على نظام الوراثة عن طريق الام، وعلى تأييد المستعربين والعرب الذين صاحبوا الجيوش

(١) ابن ابى الفضائل: النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد، ط باريس ١٩١١ م، ص ٢١١، النويرى: نهاية الأرب في فنون الأدب، مخطوط مصور بدار الكتب المصرية، القاهرة، رقم ٥٤٩، معارف عامة، لوحة

C.F: Newbold. D.: ، ٢٥٩

The Crusaders in the Red Sea and the Sudan, S. N. R. XXVI, part ii, (1945), P. 221.

(٢) ابن ابى الفضائل: النهج السديد، ص ٣٣٤، القلقشندي: صبح الاعشى في صناعة الإنشاء، ط دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٦٣ م، ج ٥، ص ٢٧٧.

(٣) انظر: النويرى: نهاية الأرب، ج ٢٨، ٢٥٩ (أ)، ابن الفرات تاريخ الدول والملوك، ط بيروت، ١٩٣٨ م، ج ٧، ص ٤٧، ٤٨.

(٤) ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك، ج ٨، ص ٨٢، ٨٣.

(٥) انظر القلقشندي: صبح الاعشى، ج ٨، ص ٦، ٧.

C.F: H. A. MacMichael: A history of the Arabs in the Sudan, London 1922, Vol. I, P. 187.

المملوكية^(١)، فانتقلت السلطة داخل الأسرة الحاكمة من فرع نوبى مسيحي إلى فرع نوبى مسلم مستعرب.

ويسقط مملكة المقررة المسيحية فى أيدى المسلمين انهار السد المنيع الذى كان، لعدة قرون يحول دون توغل العرب فى حوض النيل الأوسط، ومن ثم تدفقت القبائل العربية القادمة من مصر إلى بلاد النوبة^(٢).

ومن ثم تضافرت عدة عوامل مهدت لهذا الاضمحلال والسقوط نوجزها فيما يلى:
أولاً : تدفق العرب المهاجرين إلى بلاد النوبة وارض البجة وإقامتهم بها^(٣).
ثانياً : استتباب النفوذ المصرى بين النيل والبحر الأحمر^(٤).
ثالثاً : الصراعات الإقليمية فى هضبة الحبشة وشرق أفريقيا وأثرها على التدخل المصرى فى النوبة^(٥).

رابعاً : ضعف النظام الكنسى وانحلاله بالنوبة^(٦).
خامساً : ضعف التجارة الدولية، وانقطاع التجارة مع مصر . واثار ذلك على ممالك النوبة^(٧).

وسوف نوضح هذه الحقائق التى مهدت السبيل نحو سقوط ممالك النوبة المسيحية وزوالها، وقيام الممالك والمشيخات الإسلامية فى السودان وادى النيل.

(١) انظر: المقرئى: السلوك لمعرفة دول الملوك، القاهرة ١٩٣٤-١٩٧٢، ج ٣، ق ١، ص ١٠٩، ١١٠.
 (٢) انظر : تفاصيل سقوط مملكة المقررة المسيحية فى الفصل الثانى من هذا البحث، انظر : الخريطة بملحق الدراسة ، شكل رقم (١)، رقم (٧).

(3) C.F. Arkell, A.J.: A history of the Sudan from the earliest Times to 1821: London, 1955, P. 190. ff.

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب فى أخبار بنى ايوب، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة ١٩٥٨م، ج ٢، ص ٣١، ٣٢، C.F: Newbold: The Crusades in the Red Sea and The Sudan, S.N.R.XXVI, 2, 1945, P , 213-217.

(5) C.F.: Taddesse Tamrat: Church and State in Ethiopia 1270-1527, Oxford 1972, P. 132-145.

(6) C.F.: Alvarez: Narrative of the portuguses Embassy to Abyssinia, 1520-27, Transl by Stanley, London 1881, P. 352. FF.

(7) John Vantini: The Excavations at Faras Acontribution to the history of Christian Nubia, Italy 1967, P. 268 (F).

أولاً: تدفق العرب المهاجرين إلى بلاد النوبة وارض البجة وأقامتهم بها..
أصبحت مصر بعد الفتح العربى مهبطاً للقبائل العربية المهاجرة من الجزيرة العربية^(١) وقد وفدت هذه القبائل جماعات تلو الأخرى، وبعضها اتجه إلى صعيد مصر^(٢)، وشمال النوبة، حيث تشابهت البيئة إلى حد كبير مع بيئة بلاد العرب، موطنهم الأصلي^(٣).

(١) انظر: ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، ط ليدن ١٩٢٠م، ص ٩٨-١٢٧، الكندى: الولاة والقضاة، ط بيروت ١٩٠٨م، ص ٨، ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، ط بيروت ١٩٦٣، صفحات ٨٤، ٦٥، ٥٠٧، المقرئى: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ط بيروت، ج ١، ص ٢٨٠، عبد الله خورشيد: القبائل العربية فى مصر، دار الكاتب العربى ١٩٦٧م، ص ٥٩، كرم الصاوى باز: التطور الاجتماعى فى مصر الإسلامية وانعكاسه على السودان وادى النيل فى عصر الولاة، رسالة ماجستير بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، ١٩٨٨م، ص ٣٢ وما بعدها، حسن احمد محمود: الإسلام والثقافة العربية فى افريقيا، الجزء الاول، مطبعة لجنة البيان العربى، دار النهضة العربية: ١٩٦٣م، ص ٣١٥، ٣١٦؛

C.F. El Mahadi Mandour: A Short history of the Sudan, Oxford University Press, London 1965, P. 27. FF.

(٢) انظر: ابن عبد الحكم: فتوح مصر؛ ص ١٦٩، ١٧٠؛ الكندى: الولاة ص ١٢، البلاذرى: فتوح البلدان، ج ١، ط بيروت ١٩٧٨م، ص ٢٣٦، ٢٣٧؛ المقرئى: الخطط، ج ١، ص ٢٩٩؛ المؤلف نفسه، البيان والأعراب عما بأرض مصر من الأعراب، تحقيق د. عبد المجيد عابدين، القاهرة ١٩٦١م، ص ٤٣ وما بعدها، يوسف فضل حسن: مقدمة فى تاريخ الممالك الإسلامية فى السودان الشرقى (١٤٥٠-١٨٢١)، الطبعة الثالثة، دار جامعة الخرطوم للنشر ١٩٨٩م، ص ٧، ٨.

(3) Elliot Smith: Ancient Egyptians, London 1911, PP. 87-8, MacMichael: A history of the Arabs in the Sudan, Vol I, P. 3, Y. F Hasan: The Arabs and the Sudan, Edinburgh, 1967, P. 12: Abbas Ammar, the people of Sharqiya, Cairo, 1944, Vol I, P. 15, FF. (١٥) وانظر الخريطة شكل رقم (١٥)

وكانت قلول الأمويين الذين فرو من مذابح العباسيين عقب سقوط الدولة الأموية عام ١٣٢هـ / ٧٤٨م، هم الرواد الأوائل من العرب الذين هاجروا الى بلاد النوبة^(١) .

وبدأ التيار المهاجر صوب الجنوب يزداد عمقاً وشدة بعد ان أصبحت أحوال مصر خاصة لا تشجع العرب على الإقامة إنما تدفعهم صوب الجنوب دفعا^(٢) .

(١) هذا ما أكدته الوثيقة البردية المرسلة من والي العباسي في مصر (موسى بن كعب بن عيينه) الى ملك النوبة ومقرة، بخصوص العلاقات المصرية النوبية عام ١٤١هـ / ٧٥٨م. انظر : بردية منشورة مسجلة بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة رقم (٢٥٤٨٠) .

C.F. : Martin : Studia Arabica of Islamica, American Universty of Beirut , 1981, PP. 209-229.

وانظر كذلك ؛ المسعودي : التنبيه والأشراف، تحقيق عبد الله إسماعيل الصاوي، مكتبة الشرق الإسلامية بمصر ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨م، ج ١، ص ٢٨٥، ابن وصيف شاه: جواهر البحور ووقائع الدهور، مخطوط بمعهد المخطوطات، ميكروفيلم، ص ص ٢٢ ب، ٢٣ أ؛ ابن الجوزي: تنوير الغيش في فضل السودان والحيش ، رسالة ماجستير غير منشورة، القاهرة ١٩٧٦، ص ١٢٨-١٣٣؛ القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ، بيروت، ١٩٦٠م، ص ٢٥، ابن اياس: بدائع الزهور ، ط بولاق ١٣١١هـ، ج ١، ص ص ٢٩، ٣٠؛ بشير إبراهيم بشير : الأصل الاموي في بلاد السودان، مجلة الدراسات السودانية ، جامعة الخرطوم، العدد الأول ، المجلد الرابع، يونيو ١٩٧٣م، ص ١٤٦ ، وانظر دراسة للباحث: التطور الاجتماعي في مصر الإسلامية، ص ٣٥٨ وما بعدها.

(٢) بعد إسقاط العرب من العطاء، بدأت الدولة الإسلامية تقصيمهم من الجيش مستعينة بعناصر أخرى من الفرس او الترك او العبيد السودانيين في العهدين الطولوني والاخشيدي، حيث نظر الى العرب منذ ذلك الوقت كعنصر غير مرغوب فيه، خاصة ان هذه الأسرة الحاكمة، أسرة تركية فرضت نفسها على العرب، بل اطلقت على العرب اسم عناصر الشغب. انظر : الكندي : الولاة ، ط ١٩٣٠؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج ٢، ط الأولى ، دار الكتب المصرية ١٩٢٩م ، ص ص ٢٢٢، ٢٢٣؛ المقرئ: الخطط ج ١ ، ص ٩٤؛

C.F. Vantini: The Excavation at Faras a Contribution to the History of Christian Nubia , P. 265 FF.

حسن احمد محمود: الإسلام والثقافة العربية، ج ١ ص ١١٦ ، مصطفى مسعد : الإسلام والنوبة ، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٦٠، ص ١٣٨

C.F Arkell, A.J. : A history of the Sudan from the earliest times to 1821: London, 1955, P. 190. FF. El Mahadi Mandour : A short history of the Sudan, P . 31.

وقد استغرقت هجرة القبائل العربية واستقرارها في مختلف أنحاء مصر، وقتاً غير قصير، حيث استمرت حتى القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي^(١).

لكن الظروف التي كانت تطرأ على مصر في مختلف العصور الإسلامية كانت تدفع بعض هذه القبائل إلى أن تهاجر إلى جهات أخرى من مصر، إلى أطراف الدلتا أو أعالي الصعيد، وكان هذا الإقليم الأخير أكثر البلاد ملائمة لهذه القبائل العربية، وذلك للبعد عن الحكومة المركزية، فاصبح المهجر التقليدي لهم^(٢). فقبيلة ربيعة امتدت بطون منها إلى بلاد النوبة الشمالية، وشرقاً إلى أراضي البجة، حيث أسسوا بوداي العلاقي أول إمارة عربية إسلامية زمن الفاطميين^(٣).

وكان العامل الاقتصادي والبحث عن موارد الرزق من العوامل التي شجعت العرب على الهجرة عبر نهر النيل، والبحر الأحمر إلى هذه البلاد، يقول المقرئ: «ان البجة كثيراً ما كانت تشن الغارات على القرى الشرقية وأوديتها حتى أخربوها،

(١) عن هجرات القبائل العربية إلى مصر انظر دراسة للباحث: التطور الاجتماعي، ص ٣٢ وما بعدها، حسن احمد محمود: الإسلام والثقافة العربية، ج ١، ص ١٠٩-١١١.

(2) C.F.Hamilton J.A. De. C. : The Anglo-Egyptian Sudan, from Within, London 1935, P. 45.

(٣) استقرت ربيعة في منطقة العلاقي، وأسست أول إمارة عربية بها، وذلك لوفرة المعادن من الذهب والزمرد بأرضها، ووفرة المياه الجوفية بها، ولقربها من موانئ البحر الأحمر، ووقوعها على الطرق التجارية الواصلة بين تلك الموانئ ومصر العليا. انظر: الادريسي: صفة المغرب وارض السودان، نشر دوزي ليدن ١٨٦٦، ص ٢٢؛ ابو الفدا، تقويم البلدان، باريس ١٨٥٠، ص ١٠٥-١٢١، اليعقوبي: البلدان، ط ليدن ١٩٨١ ص ١٢٣-١٢٤،

C.F.E.S Thomas: The ancient mine plant of turin papyrus, Cairo Scientific Journal, Vol. 3, 1913, PP. 16. FF . Y.F.Hasan: Arabs, P. 42-432.

ويقول المقرئ: ولم يزل (ابو عبد الله) رئيساً على ربيعة حتى مات فقام برياستهم بعده ولده ابو المكارم هبة الله بن الشيخ ابي عبد الله محمد بن علي ويعرف بالأهوج المطاع، انظر: البيان والأعراب، ص ٤٥، ٤٦، وانظر أيضاً: نفسه، الخطط، ص ص ١٩٦، ١٩٧،

C.F. Paul, A The Hadareb, A Study in Arab-Beja Relationships, S.N.R., XL. P 75, FF.

يوسف فضل: دراسات في تاريخ السودان، ج ١ جامعة الخرطوم، ط الاولى ١٩٧٥ م، مقال: عبد الله بن عبد الحميد العمري، ص ٥٤ وما بعدها.

فقامت ربعة بصددهم، ثم تزوجوا منهم، واستولوا على معدن الذهب بالعلاقي، فكثرت أموالهم، واتسعوا في أحوالهم^(١).

وتشير المصادر الى اتخاذ القبائل العربية أوطاناً دائمة لها في الإقليم بين أسوان، ووادي حلفا، وهو الإقليم الذي اتخذ اسم مريس^(٢).

ويمكن العرب من التدفق عن طريقه إلى باقي أنحاء النوبة، وهذا ما أشار إليه المسعودي حين قال : «ان لمن بأسوان ضياع كثيرة داخلية بأرض النوبة يؤدون خراجها إلى ملك النوبة، وانهم قاموا بشرائها في العصرين الأموي والعباسي من رعاياه، ولهذا أرسل هذا الملك ، وفدا إلى المأمون حين قدم إلى مصر يسأله الفصل في الأمر ، حيث ان الأرض أرضه والقوم فيها عبيده لا أملاك لهم، ومن ثم لا حق لهم في بيعها إلى العرب، وحيث علم أهل أسوان ان الأرض ستززع من أيديهم احتالوا

(١) انظر المقرئى : البيان والأعراب ، ص ٤٤ ، وأيضا : الخطط ، ج ١ ص ١٩٥ ، سيدة إسماعيل كاشف ، مصر في فجر الإسلام دار الفكر العربى ١٩٤٧م ، ص ٢٢٦ . ولمزيد من الدراسة عن أمانة ربعة انظر:

Bloss, J.F.E : The story of Suakin, S.N.R. XXX., II, 1936, P, 278;

MacMichael : A history of the Arabs in the Sudan, Vol 1, P. 166: El Mahadi Mandour: Op. Cit., P. 31: Paul, A.: A history of the Beja tribes of the Sudan, Cambridge, 1954, P. 64. F., see also:

Van Berchem: Corpus, Inseptionm Arabicarum, Premiere partie, Egypt, paris 1903, PP. 699 FF., G. Wiet, Nouvelles Inscriptions Fatimides, Extrait du Bulletin de L`instut d`Egypt. Vol. 24, (1941-2) P. 146.

وقد نص عقد البقط الذى عقده عبد الله بن سعد عن الإشارة الى وجود مسلمين فى دنقلة منذ فترة سابقة على تأسيس هذه الأمانة . انظر : ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ١٨٨، ١٨٩ ، المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ٢٠٠ ، عطية القوصى: تاريخ دولة الكنوز الإسلامية ، القاهرة ١٩٨١م، ص ٢٠ .

(٢) أهم مدن إقليم مريس هى القصر (٥٠ كم من أسوان جنوبا ، وهى أول إقليم من الشمال، وتالميس (كلايشة) (٥٥ كم) ودرمس وثافة وهما تابعتان لقرية كلايشة حاليا، والدواو الدر ٢١٠ كم ، وابريم (٢٦٠ م.م) ، ويخراش (فرس حاليا) ٣٥٠ كم. والمقس الأعلى وهى آخر مدن الإقليم من الجنوب اى فى نهاية الجندل الثانى ، وتعرف اليوم بساى انظر:

Arkell, A.J. : A history of the Sudan from the earliest times to 1821, P. 190.

وزارة الشؤون الاجتماعية، بلاد النوبة حاضرها ومستقبلها، القاهرة ١٩٦٤، ص ٢٨ . انظر الخريطة شكرا رقم (١)، (٥).

على ذلك بأن جعلوا أهل النوبة يقرون بعدم عبوديتهم لملكهم، وبذلك توارث المسلمون هذه الأرض^(١).

وتؤكد الاكتشافات الأثرية ما ورد في المصادر التاريخية^(٢) عن انتشار المسلمين في البلاد ، ففي بعض جزر كلابشة عثرت بعثة معهد الدراسات الشرقية بجامعة شيكاغو والمعهد السويسري بمصر- خلال أعمالها سنة ١٩٦١م في المنطقة بين بيت الوالى ، وخور دهميت على عملات اسلامية برونزية^(٣).

وتشير المقابر الإسلامية، وشواهد القبور بها الى استخدام أراضي الدفن المسيحية لدفن المسلمين^(٤)، وهى المدافن الإسلامية التى أشار إليها آرثر ويجال جنوب عنبيه بحوالى سبعة كيلومترات^(٥).

وكذلك ما عثر عليه فى جبل عدة من مقابر إسلامية تميزت بقبابها المشيدة بالأجر^(٦) وهى من طراز وجد أيضا مختلفة بالنوبة الشمالية وتشبه ما يوجد فى مقابر أسوان^(٧).

(١) المسعودى: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط بيروت ١٩٧٣، ج ١، ص ٤٤٣، ازنولد: الدعوة الى الإسلام، تعريب حسن إبراهيم حسن، عبد المجيد عابدين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٧٠م، ص ص ١٣٠، ١٣١.

(٢) حين زار احمد بن سليم الاسوانى أثناء بعثته الى بلاد النوبة من قبل الدولة الفاطمية، وجد هؤلاء العرب يتصرفون فى إقليم المريس: وهى الناحية التى يتصرف فيها المسلمون، ولهم فيها قرب املك كذلك يصفهم بانهم مقيمون ولا يفصح احدهم بالعربية، وقد يكون المقصود بذلك المولدين. انظر: المسعودى: مروج الذهب، ج ١، ص ٤٤٣، المقرئى: الخطط، ج ١، ص ١٩٠، انظر الخريطة شكل رقم (١)، شكل (٥).

(3) Keith Seele, From Khor Dehmit to Beit El-Wali, Fouilles en Nubie, P. 84, Gerhard Haeny, Tafa, Kalabsha, Wadi El Sebu, Rock inscriptions and Semna South, Actes du II, Symposium, P. 34.

(4) Save-Soderberg, T., Christian Nubia, Nubische Kunst, P. 230.

(5) Weigall, A report on the Antiquities of Lower, Nubia, P. 123.

(6) Mostapha El-Emir, Fouilles de l'université d'Alexandrie à Gebel Adda, 1959. Fouilles on Nunie I, P. 38.

(٧) فريد شافعى: العمارة العربية فى مصر الاسلامية، عصر الولاة، المجلد الأول، القاهرة ١٩٧٠، ص ٥٦٥، ٥٦٧.

وفى دنقلة العجوز عثرت العثة البولندية أيضا على مقبرة إسلامية بها قبور من أنواع مختلفة، منها قبور تميزت بمصاطب مسطحة ترتفع من عشرين إلى ثلاثين سنتيمتراً، ومغطاء بجص ابيض او محاطة بالأجر. وعثر على الآلاف من قبور هذا النوع، ومنها قبور غطيت بأقبية من الطوب اللبن، وأخرى غطيت بقباب (١)، وعلى الرغم من قيمة هذه المقابر الإسلامية من الناحية المعمارية والفنية الا انها تدل على بداية تعريب السودان وادى النيل.

ونلاحظ ان اغلب ما عثر عليه من شواهد يرجع الى ما قبل العصر المملوكى وبالتحديد الى القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر الميلادى (٢).

ويرى بلوس Bloss انه بعد الفتح العربى لمصر هاجرت جماعات عربية على طول الساحل الأفريقى للبحر الأحمر ن واستقرت فى ارض البجة ، واختلطت بهم وتزوجت من بناتهم (٣).

(١) محمد غيطاس: أضواء جديدة على تاريخ النوبة، ١٩٧٨، ص ١٠٩ .

C.F.: Monneret de villard, Storia Della Nubia, Gristians Roma, 1938, P. 118 FF.,
Adams W.Y.: Sudan Antiquites Service Excavations in Nubia, Fourth Season 1962-63, Kush XII, 1964, P. 326.

نقلا عن C.F.: Save-Soderberg T., Op. Cit., P. 238.

(2) Admas, W. Y.: Sudan Antiquites Service, Kush XII, P. 172-173.

(3) C.F. : Bloss, J.F.E : The story of Suakin, S.N.R. XIX., II, 1936, P, 278, C.F.: E. Navile : The Origin of Egyptian Civilization, Smithsonian Rep. 1907, PP. 459-564.

عبد المجيد عابدين: دراسات سودانية ، ط الثانية ، الخرطوم ، ١٩٧٢ ، ص ١٩ وما بعدها؛ المؤلف نفسه: دراسات فى تاريخ العروبة فى وادى النيل، ملحق كتاب البيان والأعراب، للمقرىزى ، تحقيق عبد المجيد عابدين، القاهرة ١٩٦١ م ، ص٧٧؛ مصطفى مسعد: الإسلام والنوبة، ص ١٠٦؛ محمد عبد العال: النوبة والمحاولات الإسلامية لفتحها فيما بين عامى (٢٠-٣١هـ/ ٦٤١-٦٥٢م) مجلة كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية المجلد ٣٣، ١٩٨٤، ١٩٨٥ م ، ص ٢٧٦، حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام فى القارة الأفريقية، ط الثالثة ١٩٨٤ م ، ص ٢٦، محمد محمد أمين: تطور العلاقات العربية الأفريقية، معهد الدراسات العربية ، لقاهرة ١٩٧٧ م، ص ٤٥، ٥٧، ٥٨، محمد عوض محمد: السودان الشمالى، (سكانه وقبائله)، لجنة تأليف والترجمة، ص ص ٣٣-٣٥، احمد فخرى: دراسات فى تاريخ الشرق القديم، الطبعة الثانية القاهرة ١٩٦٢ م، ص ١٣٤-١٣٦ .

وقد نجحت جماعة من عرب ربيعة في وضع أساس أول أمانة عربية إسلامية بالعلاقي بعد ان استمالوا إليهم البجة^(١)، وجماعات عربية من قبيلتي مضر وتميم فخضع لهم الجميع، يقول المقرئزي: «واستولوا على معدن الذهب بالعلاقي، فكثرت أموالهم، واتسعت أحوالهم وصارت لهم مرافق ببلاد البجة، واختطوا قرية تعرف بالنماس وحفروا بها آبارا^(٢)»، ويتحدث المسعودي عن انطلاق الإسلام جنوبا حتى جزيرة سواكن حيث تسكن جماعة من البجة اعتنقت الإسلام تعرف باسم الخاصة^(٣).

وكان لهذا التسرب العربي الإسلامي المتجه من مصر الى السودان وادي النيل قبيل العصر المملوكي. دوافع ثلاثة:

- ١- الضغط من جانب حكام مصر^(٤).
- ٢- البحث عن الكلاً في أقاليم النوبة الشاسعة^(٥).
- ٣- التجارة وخاصة تجارة الذهب التي ذاعت شهرتها في ارض البجة،

(١) انظر: الادريسي: صفة المغرب وارض السودان، نشر دوزي ليدن ١٨٦٦، ص ٢٢؛ المقرئزي: البيان والأعراب، ص ٤٨.

E.S. Thomas: The ancient mine plant of turin papyrus, Cairo Scientific Journal, Vol. 3, 1913, P. 16 FF.

(٢) المقرئزي: البيان والأعراب، ص ٤٨.

(٣) نقل المقرئزي هذا النص عن المسعودي، الخطط، ج ١، ص ١٩٧.

C.F. : Paul, A.: A history of the Beja Tribes, Cambridge, P. 64 FF.

ولمزيد من الدراسة عن الحملات المرسلة الى ارض البجة انظر: البروفيسور يوسف فضل: دراسات في تاريخ السودان، ج ١، ط الاولى، الخرطوم، ص ٥٤ وما بعدها، وللمؤلف أيضا: انتشار الإسلام في أفريقيا الخرطوم ١٩٧٩م، ص ١٤، Crawford, O. G/S: The Fung Kingdom of Sennar, Gloucester, 1951, P. 26.

(٤) انظر: الفصل الثاني. سقوط مملكة المقررة، حيث يتضح دور الممالك في إقصاء العناصر العربية من وظائف الدولة باعتبارهم عنصر غير مرغوب فيه وإرهابهم بمضاعفة الضرائب، ومن ثم التذمر العربي بالثورات المتلاحقة. انظر: المقرئزي: البيان والأعراب، ص ١١٥-١٢٢.

(٥) الادريسي: صفة المغرب وارض السودان، ص ٢٢.

بالإضافة الى تجارة الرقيق ^(١) وقد سارت هذه العوامل الثلاثة جنبا الى جنب وساعدت على تقويض ممالك النوبة المسيحية.

(١) بوركهارت: رحلات بوركهارت فى بلاد النوبة والسودان، ترجمة فؤاد انداراوس ، نشر مطبعة المعرفة ١٩٥٩م ، ص ١١٧ ، محمد عوض محمد: السودان الشمالى ، ص ١٢ ؛ محمد عمر بشير: تدفق الهجرات العربية للسودان، مجلة الدراسات السودانية ، العدد الاول ،المجلد السابع، ص ٥، محمد السيد غلاب: تطور الجنس البشرى، مكتبة الانجلو المصرية الطبعة السادسة، ١٩٨١م ، ص ص ٢٨٧ ، ٢٨٨ ؛
C.F.: Crowfoot, J.W., :Christian Nubia, J. E. A. XIII. 1927, P. 142, (FF).
انظر الخريطة ، الطرق التجارية فى عصر المماليك، شكل رقم (١١) بمحلق الدراسة.

ثانياً : استتباب النفوذ المصرى بين النيل والبحر الأحمر:

أدت الثورات المتكررة التى قام بها البدو من العرب فى صعيد مصر والصحراء الشرقية الى اضطراب سير القوافل، وإشاعة الخوف بين من يعملون فى ارض المعدن، فاضطر السلطان بيبرس لتأمين تلك الطرق ومد نفوذه حتى ميناء سواكن^(١).

واحس داود ملك النوبة بأن المماليك بتصرفهم هذا يهدفون إلى حرمان ممالك النوبة المسيحية من الاتصال بالعالم الخارجى عبر البحر الأحمر. وعبر داود عن استيائه هذا بتخريب عيذاب^(٢) وصعيد مصر سنة ٦٧١هـ / ١٢٧٢م. وقد حرص سلاطين المماليك على الاهتمام بثغر عيذاب^(٣)، يتضح هذا من قول الرحالة الذين وصفوه بأنه درة المرافئ

(١) انظر. بالتفصيل هذه الدراسة فى الفصل الثانى. سقوط مملكة المقرة، ص ٤٧.

(٢) للاستزادة عن تاريخ عيذاب يمكن الرجوع للدراسات التالية، مرتبة حسب تاريخ ظهورها:

C. F.: J. Teedor Bent,; A visit to the Northern Sudan, the Geographical Journal, VII, (January to June 1896), 335-356; G. W. Murray, Aidhab, Geographical Journal, (XVIII, No. 3 , September 1926), 235-240; A. Paul, Aidhab: A Medieval Red Sea Port, S. N. R. XXXVI, Part I, (June 1955,) 64-70; also: C. H. Becker, El. S. V. Aidhab; H. A. R. Gibb, El, S. V. Serdhab, Y. F. Hassan : The Arabs and the Sudan, Edinburgh, 1967, P. 66. FF.

احمد السيد دراج: عيذاب، مجلة نهضة أفريقيا، وزارة الثقافة القاهرة ١٩٥٨م، العدد التاسع والعاشر (يوليو - أغسطس)، ص ٥٥ ك بشير إبراهيم بشير، الفاطميون والبحر الاحمر، مجلة كلية الآداب، جامعة الخرطوم، العدد الأول ١٩٧٢، ص ١٤٩، ١٥٠.

(٣) لعل أول استخدام لمرفأ عيذاب يعود إلى عصر البطالسة، ولكن الخمول لازمه لقرون عديدة الى ان قدر له ان يعطو ذكره فى النصف الاول من القرن التاسع الميلادى بفضل نشاط العرب التعدينى فى الجبال المتاخمة وجزر البحر المجاورة، ونحو منتصف القرن الحادى عشر الميلادى تحول طريق قوافل الحج لجميع بلدان شمال أفريقيا والأندلس من صحراء سيناء الى ثغر عيذاب لتقاعس الخلفاء الفاطميين عن خفارة تلك الطريق أبان الاضطرابات التى هزت دولتهم يومئذ. وقد تصافرت عدة عوامل لتحوز عيذاب قصب السبق على رصيفاتها من المرافئ. فقد كانت اقرب نقطة الى جدة كبرى مرافئ الحجاز من العدة الأفريقية، ومن ناحية أخرى فان السفن الميمة شطر مصر توفر من الوقت، وتتقى العديد من المخاطر إذا رفأت بعيذاب، ومن ناحية الاستراتيجية، فان موقعها الذى يتوسط البحر الأحمر جعلها اكثر ملائمة من غيرها كقاعدة لأساطيل مصر الإسلامية المناط بها حماية السفن التجارية، انظر: الارييسى: نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، نابلى ١٩٧٠، المجلد الثانى، ص ١٣٤، المقربرى: الخطط ج ١، ص ٢٠٢، على باشا مبارك: الخطط الجديدة لمصر، القاهرة - بولاق - (١٣٠٥)، ج ١٣، ص ٢٠.

البحرية: فهذا ناصر خسرو جاءه عام ٤٤٢هـ / ١٠٥٠م في أثناء رحلته من مصر الى الحجاز، وقد تحدث عنه فقال: «ومدينة عيذاب هذه تقع على شاطئ البحر الأحمر وبها مسجد جمعة، وسكانها خمسمائة، وهي تابعة لسلطان مصر، وفيها تحصل المكوس على ما فى السفن الوافدة من الحبشة وزنجبار واليمن، ومنها تنقل البضائع على الإبل الى أسوان فى هذه الصحراء التى اجتزناها، ومن هناك تنقل بالسفن الى مصر فى النيل^(١)».

ولعل أهم ما انفرد به الرحالة الفارسي عن غيره ما ساقه من ان عيذاب كانت تحت سيطرة الفاطميين، فقد أجمعت المصادر التى أعقبت ناصر خسرو على ان السيادة على الميناء كانت مناصفة بين حكام مصر الإسلامية وملوك البجة^(٢).

وقد أسهب ابن جبير الذى زارها فى عام ٥٧٩هـ / ١١٨٣ن فى وصف عيذاب وواجه حياتها المختلفة، فمن أوجز عباراته عنها، وأغزرها فائدة قوله: «وهي مدينة على ساحل بحر جدة، غير مسورة، أكثر بيوتها الاخصاص، وفيها الآن بناء مستحدث بالجص، وهو من احفل مراسى الدنيا بسبب ان مراكب الهند واليمن تحط فيها، وتقلع منها زائدا الى مراكب الحجاج الصادرة والواردة^(٣)».

وقد أورد ابن جبير ملاحظات أخرى عن عيذاب - تستحق الوقوف عندها، فقد ذكر ان هناك مغاصا للؤلؤ فى بعض الجزائر القريبة من الثغر وان أوان الغوص عليها فى شهرى يونيو ويوليو من كل عام: «ويستخرج منه جوهر نفيس له قيمة ثمينة، يذهب الغائصون عليه إلى تلك الجزائر فى الزوارق ويقيمون فيها الأيام فيعودون بما قسم الله لكل واحد منهم بحسب حظه من الرزق^(٤)».

(١) ناصر خسرو: سفر نامه، نقله للعربية يحيى الخشاب، القاهرة ١٩٤٥، ص ٧١؛ بشير إبراهيم بشير، عيذاب حياتها الدينية والأدبية، مجلة الدراسات السودانية، جامعة الخرطوم، العدد الثانى، المجلد الخامس، يوليو ١٩٧٩، ص ٥٤ وما بعدها.

(٢) الادريسي: نزهة المشتاق، ص ٢٢ وما بعدها، ابو الحسن محمد بن احمد بن جبير: تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار، بيروت ١٩٦٤م، ص ٤٨؛ ابو عبد الله محمد بن عبد الله الطنجى المعروف بابن بطوطة، تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الامصار، الاسفارة، ط بيروت ١٩٦٤م، ج ١، ص ٥٣.

C.F. : B. Fewis, : The Fatimids and the Route to India, Revue de la Fauchte des Sciences Economiques de L`Universite d. Istanbul, No . 1-4 (1949-1950) PP. 50-54.

(٣) ابن جبير: تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار، ص ٤٥، بشير إبراهيم بشير: عيذاب، ص ٥٥.

(٤) رحلة ابن جبير: ص ٤٦، بشير إبراهيم بشير: عيذاب ٥٥.

وربما ألقى قوله هذا المزيد من الضوء على نشأة عيذاب ، حيث كانت نشأتها مرتبطة بالنشاط التعدينى البرى للذهب والزمرد والبحرى للأحجار الكريمة، اما التجارة الشرقية وحركة الحجاج - فهما ضمن أنشطة الميناء ، ثم ان الرحالة الأندلسى أمدنا بمعلومات قيمة عن أهل عيذاب (١) بقوله: «وأهلها الساكنون بها من قبيل السودان يعرفون بالبجاة» (٢) ، ولهم سلطان من أنفسهم يسكن معهم فى الجبال المتصلة بها، وربما وصل فى بعض الأحيان واجتمع بالوالى الذى فيها من الغز إظهار للطاعة، ومستنا به مع الوالى فى البلد، والفوائد كلها له الا البعض منها(٣) .

ويؤكد بقوله هذا ان البجاء(٤) هم العنصر السائد فى الثغر ويكشف فى موضع

(١) المصدر نفسه، ص ٤٨، المرجع نفسه ، ص ٥٥ .

(٢) ورد هذا الاسم عند الواقدي: مرة باسم البجة ويطلق على الوطن ، ومرة اخرى باسم البجاة، ويطلق على نوع السكان ، فتوح مصر والاسكندرية ، ص ٢٧، ٥٦، وقد ذكرها القلقشندي : بلاد البجا صبح الاعشى، ج ٥، ص ٢٧٣، المقرئى الاسم المتداول اليوم للبجة هو بكسر الباء: الخطط ، ج ١، ص ١٩٤؛ محمد عوض : السودان الشمالى ، ص ٢٢، مصطفى سعد: البجة والعرب، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة العدد (٢١) المجلد الثانى ديسمبر ١٩٥٩م، ص ٠١، انظر الخريطة شكل رقم (٦) .

(٣) رحلة بن جبير : ص ٤٨ .

(٤) البجة او البجاة: يرى البعض انها سلالة من السلالات الحامية ، ولقد اثبت سليجمان من خلال دراسته الانثروبومترية ارتباطهم بالمصريين القدماء، شأنهم فى ذلك شأن النوبيين انظر سليجمان: السلالات فى أفريقيا، ترجمة يوسف خليل، مكتبة العالم العربى ١٩٥٩م، ص ٧٨؛ محمد عوض : الشعوب والسلالات الأفريقية، ص ٢٤٦، ٢٤٧؛ وأيضا : السودان الشمالى ، ص ٢٢؛ مصطفى مسعد: البجة والعرب فى العصور الوسطى، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلد الحادى والعشرين، ج ٢ ديسمبر ١٩٥٩م ، ص ١، ٢ .

F.Paul. A.: A history of the Bija Tribes of The Sudan, The Cambridge University, PP. 20-57.

يذكر المسعودى بقوله: اما البجة فانها نزلت بين بحر القلزم ونيل مصر، وتشعبوا فرقا مروج الذهب، ج ١ ، ص ٤٣٨ كذلك حدد المقرئى موقعهم بقوله: أول بلد البجة من قرية تعرف بالخربة معدن الزمرد فى صحراء قوص .. واخر بلاد البجة أول بلاد الحبشة، وهم فى بطن هذه الجزيرة اعنى جزيرة مصر الى سيف البحر الملح مما يلى جزائر سواكن، وباضع ودهلك. الخطط ج ١ ، ص ١٩٤، وقال القلقشندي: وموطنهم فى جنوبى صعيد مصر مما يلى الشرق فيما بين القلزم ، وبين نهر النيل على القرب من الديار المصرية القاهرة ١٩٦٣م، ج ٥، ص ٢٧٣، ٢٧٤؛ ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان ط ليدن ١٩٦٧، ص ٧٨؛ ابن الوردي: تنمة المختصر ، ط بيروت ١٩٧٠، ص ١٢٥؛ ابى الفدا: المختصر ، ط بيروت ، ص ٩٦ .

آخر انهم كانوا أصحاب المال والعقار بها: «وكان نزولنا فيها بدار تنسب لمونح أحد قوادها الحبشيين الذين تأثلوا بها الديار والرباع والعقار»^(١) .

ومن ناحية أخرى فان نص عبارة ابن جبير يدعم ما أشرنا إليه من قبل من ان حكومة عيذاب كانت مشاركة بين حكومة مصر الإسلامية وملوك البجة المحليين. ولعل أول من أشار إلى هذا اللون من الحكم الثنائى بعيذاب الشريف الادريسي الذى كتب قبيل ابن جبير بسنوات قليلة. عند حديثه عن عيذاب ، حيث يقول: «بها عاملان إحداهما من قبل البجة وآخر من مصر يقتسمان جباتها، على المصرى جلب الأوقات وعلى البجاوى حمايتها من الحبشة»^(٢) .

وقد اختتم الرحالة الأندلسى ملاحظاته بالتعريض بأهل عيذاب، واصفا كلبهم على جمع المال من الحجاج، وهى ملاحظة وافقه عليها كثيرون ممن زارها بعده حيث قال ابن جبير: ولاهل عيذاب فى الحجاج أحكام الطواغيت، وذلك انهم يشحنون بهم الجلاب حتى يجلس بعضهم على بعض وتعود بهم كأنها أقفاص الدجاج المملوءة . يحمل أهلها على ذلك الحرص والرغبة فى الكراء حتى يستوفى صاحب الجلبة منهم ثمنها فى طريق واحدة، ولا يبالى بما يصنع البحر بها بعد ذلك ، ويقولون : علينا بالألواح، وعلى الحجاج بالأرواح، وهذا مثل متعارف بينهم^(٣) .

ويضيف فى موضع آخر: فالحلول بها من اعظم المكاراة التى حف بها السبيل إلى البيت العتيق زاده الله تشريفا وتكريما واعظم أجور الحجاج على ما يكابدونه ولاسيما فى تلك البلدة الملعونة ، ومما لهج الناس بذكره قبائحها حتى يزعمون ان سليمان بن داود على نبينا وعليه السلام، كان اتخذها سجنا للعفارتة ، أراح الله الحجاج منها بعمارة السبيل القاصد إلى بيته الحرام، وهى الطريق التى من مصر على

(١) ابن جبير : رحلته ، ص ٤٥، ٤٦ .

(٢) الادريسي: نزهة المشتاق ، ص ٢٢ وما بعدها، بشير ابراهيم بشير: عيذاب، ص ٥٦ .

(٣) رحلة بن جبير: ص ٤٧، ٤٨، وعن طرق الحج ومخاطرها :

عقبة آيلة إلى المدينة المقدسة^(١)، ويشير الجزء الأخير من عبارته إلى عامل من العوامل التي أدت إلى اضمحلال عيذاب ، وهو ان شره العيذابيين دفع بقوافل الحجاج الى طريق سيناء بعد تحريره من سيطرة الصليبيين .

ويواصل ابن بطوطة ملاحظاته فيقول : «وثلت المدينة للملك الناصر وتلثاء لملك البجاء وهو يعرف بالحدري (٢) ... ولما وصلنا إلى عيذاب وجدنا الحدري سلطان البجاء يحارب الأتراك، وقد حرق المراكب وهرب الترك أمامه فتعذر سفرنا في البحر^(٣) .

وابن بطوطة هنا يدعم قول ابن جبير في ان ملك البجة كان يستأثر بالشطر الأعظم مما تقله عيذاب . وفرار الجند المماليك أمام سطوة الحدري (٤) سلطان البجة إشارة إلى الخلافات التي كثيرا ما كانت تؤدي إلى إفساد العلاقة بين الطرفين^(٥)، ولعل تصعيد هذا الخلاف من جانب البجة في الفترة المملوكية كان من اكبر العوامل التي جعلت المماليك يعملون على سلامة الطرق التجارية البحرية والبرية المؤدية إلى عيذاب ، نظر لحيوية التجارة الشرقية بالنسبة للاقتصاد المصري، وما يتصل بذلك من استقرار للنظام السياسي فيها^(٦) . خصوصا ما حدث عام ٦٧١هـ / ١٢٧٢م عندما

(١) رحلة بن جبير ، ص ٤٩ ؛ بشير إبراهيم : عيذاب ، ص ٥٧ .

(٢) يقسمهم المؤرخون إلى عدة قبائل مثل الحدارب والزنافج، والحدارية او الحضارمة نسبة لحضرموت موطنهم الأصلي في جنوب الجزيرة العربية، حيث ينسبون الى ذلك الوطن. انظر : الدمشقي: نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، ص ٢٣٧؛ المقرئ: الخطط ، ج ١، ص ١٩٥؛ القلقشندي: صبح الاعشى ، ج ٥، ص ٢٧٤؛

بوركهارت رحلاته ، ص ٢٤٨ ، Paul. A. : Op. Cit., P. 64,

(٣) ابن بطوطة: رحلته ، ص ٥٣، بشير إبراهيم بشير: عيذاب ، ص ٥٧، وذلك في منتصف شعبان سنة ستة وعشرين وسبعمائة، يوافق اول المحرم منها الثامن من ديسمبر سنة ١٣٢٥م. ابن بطوطة : ص ٥٣ .

(٤) الحدارية او الحضارمة(نسبة لحضرموت موطنهم الأصلي في جنوب الجزيرة العربية، حيث ينسبون الى ذلك الوطن، انظر : بوركهارت: رحلاته ، ص ٢٤٨، Paul. A.: A history of Bija Tribes of the Sudan, p, 64, MacMichael: Op. Cit., Vol. I, p. 347.

(٥) ابن بطوطة : رحلته ، ص ٥٣؛ ابن جبير: رحلته ، ص ٤٨؛ يوسف فضل حسن الهجرات البشرية وأثرها في نشر الإسلام في السودان، من كتاب الإسلام في السودان، الخرطوم ١٤٠٣هـ، ١٩٨٢م ، ص ص ٢٠، ٢١،

(٦) تجلت هذه السياسة منذ أيام الفاطميين ومن بعدهم الأيوبيين، فقد هدد ثغر عيذاب وتصدرت لهم مصر. انظر : المقرئ: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ٣ أجزاء، تحقيق جمال الدين الشيال وأخرون، القاهرة ١٩٦٧-١٩٧٣م ، ج ٣، ص ٥٨؛ ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٥٧م، ج ٢، ص ٣١-٣٢،

D. Newbold: The Crusades in the Red Sea and the Sudan, S. N . R. XXVI, 2, 1945, P. 213-217,

بشير إبراهيم بشير: عيذاب ، ص ٥٨، وأيضا: الفاطميون والبحر الأحمر، ص ص ١٤٩، ١٥٠، يوسف فضل: الهجرات البشرية ، ص ٢١ .

أغار الملك داود صاحب بلاد النوبة على عيذاب وقتل واليها وقاضيتها، وعاد الى دنقلا مثقلاً بالغنائم والأسرى ، وابتنى بدنقلا مكانا سماه عيذاب، سخر في بنائه الأسرى، وذلك سخرية بالمسلمين، وقد استجاب السلطان الظاهر بيبرس لهذا التحدى بإعداد حملة كبرى على بلاد النوبة في عام ٦٦٦هـ/ ١٢٦٧م هزت أركان النظام النوبى، وكانت من أقوى أسباب اضمحلال وانهيار مملكة المقررة^(١).

والى جانب ما أوردنا من محن وأخطار لحقت بالثغر فانه كثيراً ما كان عرضة لهجمات من قبائل البجة والعربان المحليين. كانت كغيرها موضع عناية واهتمام حكام مصر الإسلامية^(٢).

وما ان تم استخلاص الطريق البرى بين مصر والحجاز من قبضة الصليبيين نحو منتصف القرن الثالث عشر الميلادى، حتى سارعت قوافل الحج والتجارة الى ارتياده منصرفة عن طريق عيذاب^(٣).

وباستكمال سيطرة سلاطين المماليك على الحجاز وجده، حاولوا إنعاش التجارة الشرقية، عوضاً عن عيذاب، فان التدهور بدأ يدب باضطراب فى الاقتصاد المصرى نفسه، فقد لاحت بوادر ذلك التدهور منذ القرن الرابع عشر الميلادى. وما ان حل القرن الخامس عشر الميلادى حتى اختفى تجار الكارم سادة التجارة الشرقية^(٤).

(١) انظر بالتفصيل دراسة مستقلة عن سقوط مملكة المقررة، وانظر: ابن ابى الفضائل: النهج السديد والدر الفريد، ج ٢، ص ٢٢١. C.F.: Joseph Cuq: Islamisation de la Nubie ChreTienne, publié Sous de direction de Dominique Saurdel et Junine Sourdel Thomine, 1989, p. 69.

انظر الخريطة ، شكل رقم (٧) .

(٢) المقريزى : السلوك الى معرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة وآخرين، القاهرة ١٩٥٦م، ج ١، القسم الثانى، ص ٥٠٦، ٥٥٠، ٧٠٠، الجزء الثانى ، القسم الأول ، ص ١٦٢، ١٩٤، وأيضا : الخطط، ج ١، ص ٢٠٢ . (٣) انظر : الحسن بن محمد الوزان الزيأتى: وصف أفريقيا، ترجمة من الفرنسية الى العربية الدكتور عبد الرحمن حميدة، ط المملكة العربية السعودية ١٣٩٩هـ، ص ص ٥٥٨، ٥٥٩، مصطفى مسعد: البجة فى العصور الوسطى، ص ص ٤٤، ٤٥ .

(4) Subhi Labib,: Egyptian Commerical policy in the Middle Ages in "Studies in the Economic history of the Middle East" ed M.A. Cook, London, 1970, pp. 63-77, esp. p. 77; E Ashtor: the Karimi Merchants, J. R. A. S., (April, 1956), pp. 45-56, esp. p. 54; بشير إبراهيم بشير: عيذاب ، ص ٥٩ .، وانظر تفصيلات أخرى عن التجارة الكارمية فى الفصل الرابع من هذه الدراسة.

ولم يكن العيذازيون فى غفلة عما يدور حولهم من أحداث تهدد مستقبلهم فمّن بدأوا ينظرون بعين الحقد الى جارتهم جدة فى العدوّة الآسيوية وهى تنمو وتزدهر باضطراد، وتحت تشجيع ورعاية السلاطين المماليك، ولذا تخطوا ذلك فعمدوا الى التدابير العسكرية بالإغارة على قافلة تجارية كبرى ولكن الرد عليهم جاء حاسماً وانتهى الأمر بتدمير ثغر عيذاب عن طريق حملة مشتركة من قبل حاكم سواكن والسلطان برسباى عام ٨٣٠هـ / ١٤٢٦م وفر من تبقى من أهل عيذاب الى سواكن، ودنقلا^(١). ومن ثم استقر رأى السلطان المملوكى على صرف النظر نهائياً عن عيذاب والتعويل على جدة فشرع عام ٨٤٢هـ / ١٤٣٨م فى تعمير ميناء جدة، وانزل حامية به، كما يحدثنا المؤرخ العسقلانى فى حوادث عام ٨٣١هـ / ١٤٢٧م - ١٤٢٨م^(٢).

«وفى رمضان توجه سعد الدين إبراهيم بن المرة الكاتب لاجل المكوس من تجار الهند بجدة ، فعمر بجدة جامعاً وفرضه، وصارت ميناء عظيمة وجهاز السلطان اميراً يقال له ارنبقا من أمراء العشراوات ، وجهاز معه خمسين مملوكا لدفع بنى حسين والقواد من التعرض الى جدة والأعراض عن النهب^(٣)». ومنذ ذلك الحين تحولت عيذاب الى مرسى صغير مغمر ، وربما استمر استخدامه بعض الوقت، فقد ذكرت كأخر نقطة لبريد قوص نحو منتصف القرن الخامس عشر الميلادى^(٤). ثم نجد لها ذكرا نحو نهاية القرن نفسه^(٥).

ونستطيع ان نقرر ان بداية التطلع المملوكى نحو الجنوب كان من أجل المحافظة على شريان التجارة الشرقية، وبالأخص ميناء عيذاب.

(١) انظر : ليو الأفريقى: وصف أفريقيا، ص ٥٥٨، ٥٥٩، وأيضا

Jean-Leon L/ , : African, Description de L'Afrique, ed Tr. A. Epaulard, paris, 1956, Premcise Patie, p. 485.

(٢) الحافظ احمد بن على بن حجر: أنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق حسن حبشى، القاهرة ١٩٦٩-١٩٧٢م / ج ٣، ص ٤٠٤، بشير إبراهيم بشير عيذاب ، ص ٥٩ .

(٣) ابن حجر العسقلانى: انباء الغمر بابناء العمر ، ج ٣، ص ٤٠٤، بشير إبراهيم بشير: عيذاب ، ص ٥٩ .

(٤) غرس الدين خليل بن شاهين الظاهرى: زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والممالك، باريس ١٨٩٤، ص ١١٨ .

(٥) السخاوى : الضوء اللامع لاهل القرن التاسع، القاهرة ١٩٣٤م ، ج ٢، ص ٢٣٠، بشير إبراهيم بشير: عيذاب ، ص ٦٠، احمد محمد على الحاكم: المشروع السودانى الفرنسى للأبحاث فى منطقة البحر الأحمر السودانية ٧٩-١٩٨١م، مجلة كلية الآداب، جامعة الخرطوم ،العدد الخامس ١٩٨٣م ، ص ٣٠، انظر : موقع عيذاب على الخريطة شكل (١) بملحق الدراسة.

ثالثاً: الصراعات الإقليمية فى هضبة الحبشة وشرق أفريقيا وأثرها على التدخل المصرى فى النوبة:

موقف الحبشة : (١) .

لقد سارت سياسة ملوك الحبشة على المحافظة على عاملين أساسيين:

– العامل السياسى والاقتصادى للحد من نشاط المسلمين التجارى، والاستيلاء على بلادهم لتوسيع مملكتهم.

– والعامل الدينى، ولكن ربما كان أساس النزاع سياسياً أكثر منه دينياً (٢).

وليس هذا بغريب اذا علمنا ان الأراضى التى سيطر عليها المسلمون فى الحبشة تفوق فى مساحتها ارض مملكة الحبشة نفسها، وان هذه الرقعة الإسلامية كانت تحوطها من الجنوب والشرق، فضلاً عن إحاطة الإسلام من ناحية السودان وادى النيل فى الشمال والغرب، وقد ادى هذا الى عزل مملكة الحبشة عزلاً تاماً عن العالم

(١) كلمة الحبشة ومنها الأحباش Abyssinia- Abyssinian يرجع اصلها الى قبيلة حبش العربية، وهى أقوى القبائل العربية التى هاجرت من جنوب بلاد العرب فى الفترة بين القرنين العاشر والسادس ق م واستقرت فى أفريقيا، ولم يأت القرن الرابع الميلادى حتى غلب اسم هذه القبيلة العربية على المنطقة التى استوطنتها فى شمال الحبشة بل وعلى الوطنيين أنفسهم. ثم أطلق العرب اسم الحبشة على جميع المنطقة الممتدة بين النيل غرباً والبحر الأحمر شرقاً ومن النوبة شمالاً الى ما وراء خط الاستواء جنوباً .

كما ان لغة الجفر او لسان جعر، وهو الاسم الذى عرفت به اللغة الحبشية القديمة فتنسب الى قبيلة الاجاعز (الاجعازيان) وهى إحدى القبائل العربية التى هاجرت من اليمن الى الحبشة، واستقرت فى الجانب الشمالى الشرقى من الحبشة ولم تلبث ان بسطت نفوذها على سائر البلاد. انظر: ابن حوقل: صورة الأرض، ط ليدن ١٩٦٧، ص ١٦. عبد المجيد عابدين: بين الحبشة والعرب، دار الفكر العربى القاهرة، ص ١٢، محمد عبد الغنى سعودى: أفريقية (دراسة لشخصية الأقاليم)، الانجلو المصرية القاهرة ١٩٦٧م، ص ٢٦٨، ٢٦٩، محمد محمد أمين: تطور العلاقات العربية الأفريقية فى العصور الوسطى، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٧، ص ٣٣؛ الأمين عبد الكريم: الصراع بين القوى الإسلامية والمسيحية فى أثيوبيا الى نهاية القرن التاسع عشر، مجلة دراسات أفريقية، العدد الأول، أبريل ١٩٨٥م، المركز الإسلامى الافريقى بالخرطوم، ص ٦٥ حاشية (١).

(٢) إبراهيم على طرخان: الإسلام والممالك الإسلامية بالحبشة فى العصور الوسطى، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، العدد الثامن ١٩٥٩م، ص ٤٥، الشاطر بصيلى: معالم تاريخ السودان وادى النيل ط القاهرة ١٩٥٥م، ص ٢٩، زاهر رياض: تاريخ أثيوبيا، ط ١٩٦٦م، صفحات ٦٢، ٦٣، ٦٥ .

الخارجي ولا سيما بعد استيلاء المسلمين على ميناء عدل قرب مصوع، وهو ثغر دولة اكسيوم ومخرج أثيوبيا الوحيد الى البحر الأحمر مما أدى الى تدهور احوال الحبشة الداخلية ، وقامت ولايات متطاحنة فيما بينها لتولى الزعامة ، كما تردت العلاقات الدينية مع الكنيسة المصرية^(١).

وعندما تولت الأسرة السليمانية الحكم فى الحبشة عام ٦٦٩هـ/ ١٢٧٠م بارتقاء أول ملوكها يكونوا أملاك Jekuno Amlack (٦٦٩هـ-٦٨٤هـ/ ١٢٧٠-١٢٨٥م) ، عمل على تدعيم أوامر العلاقات بين مصر والحبشة ^(٢) .

ولذا بعث الى الظاهر بيبرس سنة ٦٧٣هـ/ ١٢٧٤م برسالة ضمن كتاب صاحب اليمن الذى طلب ملك الحبشة وساطته، يطلب مطرانا، وتشير الوثيقة الى ان الملك الحبشى أرسل هدية للسلطان، كما تشير الوثيقة الى تهديد خفى بذكر من تحت يد ملك الحبشة من المسلمين، وقد رفض بيبرس إجابة طلبه بحجة عدم حضور رسول من

- (1) C .F. : Si E. A. Wallis Budge : A history of Ethiopia: Nubia and Abyssinia, Vol. (1) (1928) pp. 120-122, Edward Ullendorff: the Ethiopians: An introduction to Country and peoples (1967), pp. 1-2, lonel Bender: Comment on the use of the trem " Abyssinia" American Anthropoligist, Vol. 79, n.1 (January, 1977) and F.C. Gamst "On Abyssinia A response to Bender" Ibid, Vol. 79, n. 4, (December 1977.),

وانظر الخريطة شكل رقم (٨)

الأمين عبد الكريم: الصراع بين القوى الإسلامية والمسيحية فى أثيوبيا إلى نهاية القرن التاسع عشر ، ص ٦٥، وانظر أيضا: الشاطر بصيلى عبد الجليل: معالم تاريخ وحضارات السودان وادى النيل، ص ٩٠ محمد أمين: تطور لعلاقات العربية الأفريقية فى العصور الوسطى، ص ٣٣ وما بعدها؛ قاسم عبدة قاسم : أهل الذمة فى مصر العصور الوسطى، دراسية وثائقية، دار المعارف الطبعة الثانية ، ١٩٧٩، ص ص ٩٦ ، ٩٧،

- (2) Budge: A history of Ethiopia, Nubia & Abyssinia, Vol. I, p. 258, coulbeau (J.B): histoire politique et Religieuse e d' Abyssinie, pp. 284, 286, Trimmingham (J.S) Islam in Ethiopia, pp. 65, 72.

وانظر أيضا : فوزى مكاوى : مملكة اكسوم، رسالة دكتوراه غير منشورة معهد البحوث والدراسات الأفريقية ١٩٧٤م. وللمؤلف أيضا: أضواء جديدة على العلاقات بين مملكة اكسوم وممالك جنوب الجزيرة العربية خلال القرنين الثانى والثالث الميلاديين، دراسات الخليج والجزيرة وأيضا الملاحة فى الحوض الجنوبى للبحر الأحمر وأثرها فى التاريخ السياسى للمنطقة خلال العصور القديمة، ندوة القرن الافريقى ١٩٨٥م.

جهة إمبراطور الحبشة .. «حتى كنا نعرف الغرض المطلوب»^(١).

ويرى بعض الباحثين ان السبب الحقيقي هو ان الظاهر بيبرس أرسل سفارة الى الحبشة للاطمئنان على أحوال المسلمين هناك بوصفه حاكم أقوى دولة إسلامية وتأخرت تلك السفارة فغضب لذلك^(٢). بينما وصلته أنباء الحروب التي شنها يكونو أملاك ضد المسلمين لتزيد من غضبه^(٣). واراد خليفته (يجباصيون)^(٤) Yagbea Seyon تحسين العلاقات فارسل وفدا الى مصر سنة ٦٨٩هـ / ١٢٩٠م واستقبله السلطان قلاوون بترحاب وقبل هدية الإمبراطور وعين الأسقف المطلوب وكان الوفد مزودا بثلاث رسائل أولها للسلطان يطلب السماح لرسله بالتوجه الى بيت المقدس ويوصى بالرهبان الاحباش المقيمين بالقدس ثم يطلب مطرانا لاصلاح بلاد الحبشة ويقرر انه يختلف كثيراً عن ابيه ويطلب تعاوناً وسلاماً لصالح كل من المسلمين والمسيحيين في البلدين ويقرر انه لن يتأخر في إرسال كل ما يحتاجه السلطان اذا وصله المطران، وكانت الرسالة الثانية للبترك توضح مدى العلاقة الوثيقة التي كانت تربط الأحباش باقباط مصر ويطلب الإمبراطور من البترك أسقفا جيداً صالحاً يعلمنى كل شئ وفي الرسالة الثالثة يكرر طلب المطران من السلطان^(٥).

(١) ابن ابى الفضائل : النهج السديد والدار الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد، ص ٣٨٣، ٣٨٧؛ القلقشندي: صبح الاعشى، ط دار الكتب ج ٨، ص ١١٩، ١٢٠؛ ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، ط بيروت ، ج ٧ ص ٢٤، ٢٥ ، قاسم عبده قاسم: أهل الذمة ، ص ٩٧؛ رجب محمد عبد الحليم: العلاقات السياسية بين مسلمي الزيلع ونصارى الحبشة في العصور الوسطى، دار النهضة العربية بالقاهرة ١٩٨٥، ص ٤٠، الأمين عبد الكريم: مرجع سابق ، ص ٥١، ٥٠ .

(٢) سعيد عاشور: بعض أضواء جديدة على العلاقات بين مصر والحبشة في العصور الوسطى، المجلة التاريخية المصرية، مجلد ١٤، ص ١٦ .

(٣) زاهر رياض: الإسلام في أثيوبيا، ط القاهرة ١٩٦٤، ص ١٦٩، ص ١٧٠ .

(٤) يلاحظ ان اسم هذا الملك ليس علماً ولكن جملة معناها سوف يبعث الله صهيون، أما الاسم الذي عمد به فهو سليمان انظر : الأمين عبد الكريم مرجع سابق ، ص ٥١ . . Budge, Op. Cit., p. 287.

(٥) انظر قاسم عبده قاسم: أهل الذمة في مصر ، ص ٩٨، ٩٩، طرخان الإسلام والممالك الإسلامية، ص ٢٩، C.F. : Tadesse Tamrat: Church and state in Ethiopia 1270-1527, Oxford 1972, p. 132-145.

قاسم عبده قاسم : أهل الذمة ، ص ٩٨ .

وإذا كانت مملكة الحبشة قد ضعفت في عهد الملوك السليمانيين الاول فانها لم تلبث ان قويت، وازدهرت خلال حكم عمدا صيون الاول - Amda Sayon (٧١٣-٧١٤هـ/٧٤٤-٧٤٥هـ) (١٣١٣-١٣١٤/١٣٤٣-١٣٤٤م) المؤسس الحقيقي للدولة الحبشية^(١).

وفي سنة ٧٢٦هـ/١٣٢٥م وردت رسل الإمبراطور عمدا صيون الذي خاض حروباً متواصلة ضد مسلمي الحبشة تطلب إعادة ما خرب من الكنائس ومعاملتهم بالحسنى، ويهدد باضطهاد المسلمين في الحبشة، ويسد النيل حتى لا يسير الى مصر فسخر منه السلطان الناصر محمد بن قلاوون ورد رسله^(٢).

ونتيجة لطبيعة العصور الوسطى التي شهدت بعض فتراتهما قمة التعصب الديني، تبودلت المراسلات بين ملوك الحبشة، وحكام مصر المملوكية من اجل معاملة المسلمين في الحبشة او حسن معاملة المسيحيين في مصر، وكان من نتيجة استمرار ملوك الحبشة في محاربة المسلمين في بلادهم^(٣)، واستيلائهم على زيلع سنة ٨١٧ هـ/١٤١٤م، ان رد على ذلك سلاطين المماليك باضطهاد المسيحيين في مصر، ففصل منهم من كان يعمل بوظيفة رسمية في الدولة، وفر بعضهم الى الحبشة، كما لجأ الى الحبشة أيضا بعض أمراء المماليك

(١) يقول القلقشندي ان اسمه عمد صيون، وكان هذا الملك يعاصر العمرى، ومعنى اسمه كما يشرح صاحب صبح الاعشى: ركن صهيون، وصيون هذه بيعة قديمة بالإسكندرية معظمة عندهم. انظر صبح الاعشى، ج ٥ ص ٣٢٢، الأمين عبد الكريم: الصراع بين القوى الإسلامية والمسيحية في أثيوبيا الى نهاية القرن التاسع عشر، ص ٥١، ٥٢، Budge: A history of Ethiopia, pp. 288-9، طرخان: الإسلام والممالك الإسلامية بالحبشة، ص ٥١.

(٢) السلوك: ج ٢، ق ١، ص ٢٧٠. Trimingham: Islam in Ethiopia, pp. 70-71. قاسم عبده قاسم: أهل الذمة، ص ٩٨، ٩٩؛ ومن الملاحظ ان اضطهادات مسلمي الحبشة تنتج رد فعل مماثل في مصر، ففي الفترة ما بين عامي ١٣٣٢م، ١٣٣٨م أرسلت سفارة الى سلطان مصر الناصر محمد برئاسة عبد الله الزيلعي، لتدخل السلطان في الأمر لحماية مصالح المسلمين في الحبشة، فطلب الناصر محمد من البطريق بالإسكندرية ان يكتب رسالة الى ملك الحبشة في هذا الصدد. انظر: مسالك الأبصار: ج ٢، ق ٣، ورقة ٤٧٧؛ صبح الاعشى، ج ٥، ص ٣٣٣، وانظر محمد محمد أمين: تطور العلاقات العربية الأفريقية، ص ٤٣.

(٣) انظر: المقرئى: الإمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام، القاهرة ص ١١.

المسلمين ربما لخلافات داخلية بينهم وبين السلطان وخوفهم على أنفسهم^(١). ولم يقف الأمر عند حد التهديد، بل ان مشروعات حملات صليبية مشتركة ظهرت في تلك الآونة لتدل على المدى الذى كان الأحباش مستعدين للذهاب إليه في الدفاع عن مسيحي مصر والنوبة ، ويؤكد بعض الباحثين ان حملة بطرس لوزجان على الإسكندرية ٧٦٧هـ/ ١٣٦٥م أعدت على أساس ان يهاجم أسطوله الإسكندرية وشمال مصر في الوقت الذى يهاجمها الأحباش والنوبيون من الجنوب، وبذلك يتم القضاء على مركز المقاومة الإسلامية في مصر^(٢).

وهكذا لم يكن ملوك الحبشة الأقوياء من أمثال ، عمدا صيون (١٣١٤-١٣٤٤م) وسيف ارعد (٤٤-١٣٧٢م) وزرعا يعقوب (٣٤-١٤٦٨م) قادرين على تجاهل ماكان يتعرض له أقباط مصر والنوبة احيانا من اضطهاد ، وقد سلك اباطرة الحبشة طرقاً أربعة لصالح المسيحيين في النوبة ومصر اولها: التهديد بإغلاق منابع النيل الأزرق لمنع فيضان النيل من الوصول الى مصر وثانيها: شن الحملات الانتقامية على مسلمي الحبشة، وثالثها: إرسال السفارات الودية المحملة بالهدايا والرسائل الى سلاطين المماليك، ورابعها محاولة التحالف والاتفاق مع القوى الأوروبية المسيحية وممالك النوبة الآخذة في الانهيار ، وبينما لم تثمر الطريقة الأولى والأخيرة عن شئ، فقد أتت اضطهادات مسلمي الحبشة بنتائج عكسية تماما لأهدافها، بينما استطاعت السفارات والاتصالات ان تحقق بعض النتائج الطيبة لصالح المسيحيين في النوبة ومصر^(٣).

(١) المقرئى: الإمام ، ص ١٢، ١٣؛ Trimingham; Op. cit., pp. 37-4.; طرخان: الإسلام والممالك الإسلامية بالحبشة ، ص ٥٧، ٥٨ محمد محمد أمين: تطور العلاقات العربية الأفريقية، ص ٤٣، قاسم عبده قاسم: أهل الزمة ، ص ٩٨، الأمين عبد الكريم ، مرجع سابق ص ٥٣،

C.F.: Tamrat: Church and State in Ethiopia 1270-1527, p. 174, 206.

رجب محمد عبد الحليم : العلاقات السياسية بين مسلمي الزيلع ونصارى الحبشة ، ص ١٤٣-١٤٦ .

(٢) انظر : المقرئى: السلوك/ ج ٤، ق ٢، ص ٧٩، ٧٩٧؛ يوسف فضل : دراسات في تاريخ السودان، ص ٤٢،

حسنين محمد ربيع، البحر الأحمر في العصر الايوبي (ندوة البحر الأحمر)، ١٩٨٠م، ص ١٠٨؛ ج فانتيلى:

تاريخ المسيحية في الممالك النوبية القديمة والسودان الحديثة، الخرطوم ١٩٧٨م ، ص ١٨٠، محمد غيطاس: النوبة

، ص ١١٤، ١١٥، رجب عبد الحليم : مرجع سابق ، ص ٩٨، ٩٩،

C.F. : Newbold . D.:The Crusaders, on the Red Sea and the Sudan, S.N.R. XXVI, part II, P. 221, Henderson, K.D.D.: "Fung Origins " S.N.R.XVII, part I, 1935, p. 150, FF.

وانظر : الدراسة بالتفصيل في الفصل الثانى سقوط مملكة المقررة .

(٣) انظر: رجب عبد الحليم : مرجع سابق ، ص ١٤٢، وما بعدها.

رابعاً : ضعف النظام الكنسى وانحلاله :

ارتبطت الكنيسة المصرية بكنيسة النوبة ، خاصة انها كانت على المذهب اليعقوبى^(١)، مذهب الكنيسة القبطية^(٢)، يقول المسعودى: «ولليعاقبة كرسيا لا ثالث لهما : أحدهما بإنطاكية والآخر بمصر، والغالب على نصارى مصر من الأقباط وغيرها بفسطاطها وسائر كورها وما يليها من ارض النوبة والأحباش رأى اليعقوبية^(٣)» .

وقد أعطى عقد معاهدة البقط بين مصر والنوبة فرصة لازدياد نفوذ الكنيسة القبطية فى بلاد النوبة والحبشة ، بحيث أصبحت هى المسيطرة عليها بلا منافس، ومما ساعد على ذلك أيضا زوال النفوذ البيزنطى من مصر عقب فتح مصر^(٤) .

ويشير ابو صالح الارمنى الى ان ملوك النوبة والحبشة تحت طاعة البطرك القبطى فى مصر «ملك النوبة له النوبة واعمالها وارض علوة والمقرة والاجناس المضافة اليها.. وهى كرسى مارى مرقص الانجيلى ومنه يقسم لهم^(٥)» كل هذا جعل بلاد النوبة من الناحية الروحية تتجه الى الكنيسة القبطية بالإسكندرية التى كانت تتولى تعيين الاساقفة فى الكنيسة النوبية^(٦) . ويقول القلقشندى ان كرسى الاسكندرية يعد مصيره الى اليعاقبة قد تبع البطرك القائم به على مذهب اليعاقبة الحبشة والنوبة وسائر متنصرة السودان.. ولولا ان معتقد دين النصرانية لطائفة اليعاقبة انه لا يصح تعمد

(١) نسبة الى يعقوب البرازعى "Jacob Baradeus الذى سمي هكذا لأنه كان يرتدى البرازع والثياب البالية المخرقة، وهو قس من أهل نصيبين انظر: القلقشندى: صبح الاعشى، جـ ١٣، ط القاهرة ١٩٦٣، ص ٢٧٨، ٢٧٩ / ويقول المقرئى: وقيل بل كان يعقوب كثير العبادة والزهد، يلبس خرق البرازع ، فسمى يعقوب البرازعى من اجل ذلك وانه كان يطوف البلاد، ويرد الناس الى مقالة ديسقورس فنسب من اتبع رأيه اليه وسمو يعقوبية انظر المقرئى: الخطط، ج ٢، ص ٤٩٠ .

(٢) حول انتشار المسيحية فى بلاد النوبة القديمة: انظر: فانتينى: مرجع سابق، ص ٤٠ ، مصطفى مسعد: الإسلام والنوبة، ص ٤٣-١٠٥ .

(٣) المسعودى: التنبيه والأشرف ، ص ١٥١، مصطفى مسعد: المكتبة السودانية العربية ص ٤٧ .

(٤) عبد المنعم ماجد: ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها فى مصر، الانجلو ١٩٦٨م، ص ٢٣٢، وأيضا الدولة العربية ، ج ١، ط الرابعة ، مكتبة الانجلو ١٩٧١، ص ٢٣١ .

(٥) ابو صالح الارمنى: تاريخه ، ص ١٢٥، ١٣٤، مصطفى مسعد المكتبة السودانية (حاشية ص ١٣٦) .

(٦) المقرئى: الخطط، ج ١، ص ١٩١ .

معمودى الا باتصال من البطريرك، وان كرسى البطريرك كنيسة الإسكندرية^(١)، كل هذا يوضح حرية ممارسة شعائر العقيدة، وفي هذا دليل على انه لم يكن هناك ضغط للتحويل للإسلام.

إن الكنيسة النوبية لم تنجب علماء متخصصين فى اللاهوت او الفلسفة الدينية المسيحية، بعكس الحال فى الكنيسة المصرية، فظل الجهاز الكنسى ببلاد النوبة والحبشة بيد رجال دين مصريين، معينين من قبل الكنيسة القبطية ، بينما اقتصر تعيين العنصر الوطنى على المناصب الدينية قليلة الأهمية، وتحدد مستقبل الكنيسة النوبية بنوع العلاقات بين الكنيستين القبطية والنوبية، غير ان هذه العلاقات لم تلبث ان خضعت لعوامل سياسية ، فكثيرا ما كان مركز الكنيسة النوبية يتأثر تبعا لتدخل السلطات الحاكمة فى مصر فى شئون الكنيسة المصرية^(٢).

ومن الواضح كذلك ان اعتناق النوبيين للمسيحية كان صورياً ، واقتصر اثرها على المدن والقرى الكبيرة ، وظلت الغالبية العظمى من النوبيين تمارس عاداتها الوثنية القديمة، بدليل ما لاحظته ابن سليم من ان بعض سكان النوبة يعرفون الله ولكنهم يشركون معه بعض مظاهر الطبيعة كالنجوم والكواكب والأشجار، ويعتقدون فى السحر^(٣).

ويؤيد هذا وجود بعض التقاليد الموروثة عن العهد الوثنى^(٤).

وعلى الرغم من ان اعتناق النوبيين للمسيحية لم يكن نابعاً عن فهم عميق لها، وبالتالي عدم ظهور علماء متخصصين فى الدين منهم، فان الكنيسة النوبية —كما يبدو— تمتعت بسلطة كبيرة فى البلاد نبتت من ارتباطها الوثيق بسلطات الدولة، فقد اسند الى حكام الأقاليم القيام بوظائف كهنوتية إلى جانب أعمالهم الإدارية كذلك تشير النقوش الى قيام الأساقفة ورجال الدين من القسس والشمامسة والمرتلين بمهام إدارية مدنية^(٥).

(١) القلقشندي: صبح الاعشى، ج ٥ ، ص ٣٠٨ .

(٢) مصطفى مسعد: الإسلام والنوبة ، ص ١٠٠ .

(٣) المقرئى: الخطط، ج ١ ، ص ١٩٣ .

(٤) نادية بدوى: الزينة الشخصية عند العبادة، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة القاهرة، معهد الدراسات

الافريقية ١٩٨٥م، ص ٩ .

(5) Monneret De Villard: Storia Della Nubia Cristiana Roma, 1938, p . 167.

هذا وكانت بلاد النوبة تضم ثلاثة عشر أسقفية تابعة للكنيسة القبطية في مصر، وكانت مدينة ساي Say بالنوبة السفلى عند الشلال الثاني، مقرا لاحدى هذه الاسقفيات، وقد أشار الى ذلك مؤرخ النوبة احمد بن سليم الاسوانى الذى زار بلاد النوبة فى مستهل العصر الفاطمى ^(١) بقوله «ومن هذه المسلحة قرية تعرف بساي^(٢) جنادل أيضا، وهى احد كراسيهم، ولهم فيها أسقف وفيها برابا..»^(٣).

هذا وبلغ عدد الاسقفيات بالنوبة السفلى وحدها سبع اسقفيات، بينما بلغ عددها بالنوبة العليا ست اسقفيات، وهذه الاسقفيات بالنوبة السفلى هي: قورته Korta^(٤)، ابريم Ibrim^(٥)، بجراس Bujras^(٦)، دنقلة Dangola^(٧)،

(١) المقرئى: المواعظ والاعتبار، ج ١، ص ١٩١، مصطفى مسعد: الإسلام والنوبة، ص ٩٣، انظر الخريطة شكل رقم (٢).

(٢) ساي اوصاى قرية نوبية فى نهاية إقليم مريس من الجنوب قرب وادى حلفا الحالية، ومازالت هذه القرية تعرف بهذا الاسم، وهى التى كانت تعرف باسم المقسى او المقسى الاعلى طوال العصور الوسطى. انظر: المقرئى: الخطط، ج ١، ص ١٩٠، ١٩١؛ اباصالح الارمنى: تاريخه، ص ١٢٠.

(٣) برابا: يعنى معبد او آثار فى اللغة المريسية انظر مصطفى مسعد: المكتبة السودانية، ص ٩٥ حاشية رقم (١)، ص ١٤٦ حاشية رقم (١) وأيضا الإسلام والنوبة ص ٦٧، ٦٨.

(٤) مازالت قرية قورته النوبية (١١٥ كم جنوبا من أسوان) تحمل اسمها القديم الى اليوم، وتعتبر هذه القرية من اكبر القرى النوبية مساحة وسكانا، ولهذا قسمت من الناحية المساحية الى ثلاثة قرى هي: قورته أولى، قورته ثانية، قورته ثالثة، انظر: وزارة الشؤون الاجتماعية: بلاد النوبة حاضرها ومستقبلها ص ٢٨، انظر الخريطة شكل رقم (٢)، (٣).

(٥) ابريم: من القلاع النوبية الحصينة فى إقليم مريس (٢٢٧ كم من أسوان جنوبا) وبها معبد فرعونى عظيم، وينسب إليها لقمان الحكيم، وذو النون المصرى طبقا لما ورد عند ابن سليم الاسوانى وكانت كنيسة تحمل اسم السيدة العذراء مريم، تعلوها قبة عظيمة، تحمل صليبا عظيما انظر: المقرئى: الخطط، ج ١، ص ١٩٠، اباصالح الارمنى: تاريخه، ص ١٢١.

(٦) بجراس: وتعرف حاليا باسم فرس على الضفة الغربية للنيل، وعلى الحدود المصرية النوبية وكانت عاصمة مملكة نوباديا التى كانت تشمل إقليم مريس قبل اتحادها مع مملكة مقرة المسيحية وظلت تحتفظ بأهميتها حتى بعد ان تم الاتحاد المشار إليه، حيث ظلت مقرا لحاكم إقليم مريس (صاحب الجبل) الى جانب ابريم فى الشمال. ويبدو ان كنيسة كانت فوق سفح جبل عال أطلق عليه مؤرخو العرب اسم جبل زيدان على الضفة الغربية للنيل انظر: المقرئى: الخطط / ج ١، ص ١٩٠، اباصالح الارمنى: تاريخه، ص ١٢١.

(٧) دنقلة: هى عاصمة مملكة النوبة السفلى، ومازالت تحمل نفس الاسم، وتقع على النيل فى الطرف الغربى، وكانت كنيسة لها هى الكنيسة الرئيسية (تسمى كنيسة اسوس) انظر: النويرى: نهاية الأرب، ج ٢٩ مخطوط دار الكتب رقم ٥٤٩ معارف عامة، ورقة ٢٧٤ (أ)، ٢٧٤ (ب)، المقرئى: السلوك ج ١، ق ٣، ص ٧٥٢، انظر الخريطة شكل رقم (٥).

ساي^(١)، تيرموس اوديرموسى Teemus^(٢)، سنيكور Scienkur^(٣).

اما اسقفيات النوبة العليا فهي ، بورا Bora ، جاجارا Gagara ، مارتن Martin ،
ارودياس Arodias ، بنازا Banaza ، منكسا Menkesa ، ومازالت بقايا هذه الاسقفيات
قائمة الى اليوم ^(٤).

ويشير ابو صالح الارمنى الى عدد الكنائس في مدينة علوة بقوله مدينة علوة
بها جيش ومملكة عظيمة جدا، وأعمال متسعة ، وبها أربعمائة كنيسة^(٥).

كما يشير الى العدد بالتحديد في دنقلة بقوله : مدينة دنقلة بها سرير الملك وهي مدينة
عظيمة على شاطئ بحر النيل المبارك، وبها كنائس كثيرة وأدار كبار وشوارع متسعة^(٦) هذا
بخلاف الكنائس والأديرة والبيع التي كانت كثيرة الانتشار في مختلف أنحاء بلاد النوبة.

ويتضح من قول ابى صالح ان الطقوس بالكنائس كانت تؤدى باللغة اليونانية،
غير انه في خلال القرن الثامن الميلادى أخذ النوبيون يترجمون الطقوس الدينية عن
اليونانية الى اللغة النوبية^(٧). فوجود اللغة اليونانية في النوبة كان أمرا طبيعياً لصلة

(١) ساي : سبق التعرف بها في ص ٥٩ حاشية رقم (٢) .

(٢) ديرموس مازالت تحمل اسمها القديم، وتقع عل الضفة الشرقية من النيل فيما بين قريتي أمير كاب وكلاشة

(٥٥٥ م. جنوبا من أسوان) انظر: ابا صالح الارمنى: تاريخه ، ص ١٢٥ ، بوركهارت: رحلاته ، ص ١٠،

وانظر (3) MacMichael, H.A.: A history of the Arabs in the Sudan , Vol. I, p. 77 FF.

الخريطة شكل رقم (٣)، (٤).

(٤) الشاطر بصيلى عبد الجليل: تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط من القرن السابع الى القرن التاسع عشر
الميلادى، القاهرة ١٩٧٢م، ص ١٢٠، فانتيلى : مرجع سابق، ص ٥٢، ٥٣ وما بعدها.

(٥) ابو صالح الارمنى: تاريخه، ص ١٢٠،

(٦) المصدر نفسه، ص ١٢١، ١٤٣،

(٧) المصدر نفسه، ص ١٢٥ وقد اسهم وصلواتهم روميا، الدمشقى: نخبة الدهر، ص ٢٦٩، ان استعمال اللغة اليونانية
في الطقوس الدينية ببلاد النوبة دليل على دخول المسيحية الى هذه البلاد قبل ان تترجم الطقوس الدينية من اللغة
اليونانية الى اللغة القبطية في مصر.

C. F. Budge, E.A.W.: A history of Ethiopia: Nubia, and Abyssinia, Vol. I. p. 117, Budge
: The Egyptian Sudan, its history and Monuments, London 1907, p. 301, Jakobielski, S.:
Some Remarks on Faras inscriptions Nubische Kunst, 1970, p. 32, Gadallah, FF.,: The
Egyptian Contribution to Nubian Christianity. S.N.R.XL, 1959, P. 42.

هذه البلاد بالبيزنطيين، ومن قبلهم بالبطالمة والرومان، ولا شك ان انتشارها زاد مع التبشير بالمذهب الملكاني في مقرة، وربما أبقت الكنيسة المونوفيزتية في أول عهدها على هذه اللغة في الطقوس كما كان الحال في مصر في القرون الأولى^(١).

ثم كان استخدام هذه الكنيسة للغة القبطية بعد ذلك، ويدل على ذلك أجزاء من انجيل مخطوط باللهجة الصعيدية^(٢) عثر عليه في أرضه الرواق الأوسط والبلاطة الشمالية بكنيسة عبد الله نرقى، ويرجع ان هذه الأجزاء من القرن التاسع او العاشر الميلاديين^(٣).

وكان استخدامها في الوثائق الرسمية والدينية استخداماً صحيحاً دون أخطاء لغوية او إملائية، ولعل ذلك يرجع الى اختيارهم لكاتب لديه المقدرة على كتابتها بصورة صحيحة، والى الحرص على تعليمها في الأديرة، كما تشير تلك النقوش القبطية المدرسية على جدران كنيسة فرس^(٤). ورغم شيوع هاتين اللغتين -القبطية والنوبية- فان اللغة النوبية القديمة كانت لغة الحديث بين عامة النوبيين، ويرجع اقدم نموذج منها الى سنة ١٧٩هـ/ ٧٩٥م في وادي السبوع، ويحتوى على صلوات لاحد قساوسة فرس يدعى بطرس^(٥).

(1) Gadallah, FF., The Egyptian Contribution to Nubian Christianity S.N.R.XL, 1959, p. 42.

(٢) اللهجة الصعيدية: وهي من الكلمات العربية «صعيد»، ومعناها اعالي الأرض اى الوجه القبلى، وهي لهجة طيبة وفيما بعد أصبحت لهجة آداب الوجه القبلى، وكانت تسمى سابقاً الطيبية، وكانت اللهجة الصعيدية لهجات عديدة اندمجت في بعضها بعضاً كالبهيرية انظر: مراد كامل: القبط في ركب الحضارة، مطبوعات جمعية مارمينا العجايبى بالإسكندرية، بدون، ص ص ٤٢، ٤٣.

(٣) كشفت حفائر جمعية التنقيب عن الآثار المصرية في قصر ابريم عن أجزاء من إنجيل يوناني للقديس مرقس يرجع في الغالب الى عصر جستنيان.

C.F.: Moorsel, Paul van, and others: The central Church of Abdallah Nirqi, Leiden, 1975, pp. 20-21.

ومن الملاحظ ان اللغة القبطية لغة اللاجئين الى النوبة من مصر فررا من الاضطهاد الدينى قبل الفتح الإسلامى، ومع انتشارها عن طريق القوافل التجارية وارتباط كنيسة النوبة بكنيسة الإسكندرية أصبحت لغة رسمية الى جانب اللغة اليونانية. انظر: مراد كامل، مرجع سابق، ص ٤٢، ٤٣.

(4) Jakobielski.: Bishopri, pp. 58, 132-134.

(5) Griffith, F. Li.: Oxford Excavations in Nubia, L. AAA X III, 1926, p. 53.

كما عثر على شاهد قبر دونت نقوشه بهذه اللغة فى كنيسة الأعمدة الجرانيتية بدنفلة العجوز مؤرخ سنة ٧٩٧م، وتضم هذه اللغة كلمات قبطية ويونانية وحروفا من اللغتين، تؤكد استخدامها فى الكتابات الكنسية، وفى ترجمة أجزاء من القداس، وفى الحديث عن بعض المعجزات التى تنسب للقديس مينا^(١).

وتؤكد إشارة أبى المكارم الى ان الملك سلمون خط كتبهم بالقلم النوبى مما يؤكد شيوع استخدام هذه اللغة فى تدوين المخطوطات^(٢).

وفيما يتعلق باستخدام هذه اللغة فى الطقوس الدينية بعلوة، فان الشواهد الأثرية الدالة على ذلك نادرة، غير ان بن سليم^(٣) يذكر ان أهل علوة ترجموا الطقوس الدينية الى اللغة النوبية وفى نفس الوقت الذى وجدت فيه إشارات أخرى إلى استخدام اللغة اليونانية لهذا الغرض^(٤).

اما عن علاقة الكنيسة النوبية بالكنيسة المصرية، وموقف حكام مصر الإسلامية، فلا شك ان هذه العلاقة كانت طيبة بفضل هيمنة الكنيسة المصرية وإرسال الأساقفة إلى بلاد النوبة، فنشأت فى البداية علاقة طيبة بين ملوك النوبة المسيحيين وبطاركة الكنيسة المرقسية^(٥). واختلفت طبيعة هذه العلاقات من حين إلى آخر تبعاً لما تقتضيه مصالح الطرفين^(٦).

هكذا كان ملوك النوبة يتأثرون لمعاملة بعض حكام مصر الإسلامية للأقباط، فكانت تدفعهم عاطفة الاخوة الدينية الى مساعدة المسيحيين فى مصر فى رفع ما

(1) Budge, W.: Text relating to Saint Mena of Egypt and Canons of Nicaea in a Nubian dialect with Facsimile, London, 1909, p. 5. FF.

(٢) ابو المكارم : كنائس وأديرة مصر المنسوب لآبى صالح الارمنى، اكسفورد ١٨٩٥، ص ١٢٤-١٢٥.

(٣) المقرئى : الخطط، ج ١، ص ١٩٣.

(٤) مصطفى مسعد: الإسلام والنوبة، ص ٩٦.

(٥) احيانا كانت تتوتر العلاقات بين كنيسة النوبة والحبشة، انظر: ابن المقفع: سير الأباء البطاركة، ج ٢، ص ١٣١.

(٦) هناك أمثلة عديدة عن الخلافات التى سبقت الدراسة قبل العصر المملوكى انظر: ابو المكارم: كنائس وأديرة مصر، ص ١٢٢، ١٢٣، ابن المقفع: سير الأباء البطاركة، م ١، ج ٢، ص ٢٨٢، ٢٨٣.

Jakobielski, Bishopric, pp. 52-67.

كانوا يتعرضون له من مظالم، وذلك أما عن طريق الوساطة الدبلوماسية لدى حكام مصر^(١) أو عن طريق الإغارة على حدود مصر الجنوبية إذا ما لزم الأمر^(٢).

وأخيراً قطع الاتصال الدينى والمدد الروحى بين الكنيسة المصرية فى الإسكندرية وكنائس النوبة فى دنقلة وعلوة منذ وفاة أسقف النوبة البطريرك سيريل ٦٣٣هـ/ ١٢٣٥ م ، فقد صعب إرسال أساقفة يخلفونه منذ ذلك الحين بسبب الحروب التى كانت دائرة بين القبائل العربية فى مملكة المقررة ، ثم تضاعفت الصعوبات بسقوطها^(٣) فحدث هذا الانفصام الروحى أثراً خطيراً فى حياة السكان المسيحيين فى النوبة؛ حتى ان الرحالة الفاريز^(٤) يصف الحالة المتردية للانهيال الكنسى بقوله: ان أولئك النوبيين يجهلون دينهم، فلا هم بالمسيحيين، ولا هم بالمسلمين او اليهود، ويقال انهم كانوا على النصرانية، غير انهم فقدوا دينهم ولم تبق لهم عقيدة، وهم يعيشون بأمل انهم مسيحيون^(٥) . حتى اذا ما زار مدينة دنقلة المبشر الرحالة بونسية فى سنة

(١) مثال ذلك ما قام به كريكوس ملك النوبة سنة ١٢١ هـ من وساطة لدى الخليفة هشام بن عبد الملك لرفع ما قام به فى مصر الوالى عبيد الله بن الحجاب من اضطهاد للمسيحيين، وطلبية الإفراج عن بطريركهم واعادته فى نفس الوقت جيشاً قوامه ١٠٠ ألف رجل لغزو مصر اذا لم تنفع الوساطة لكن هذا الغزو لم يتم بسبب استجابة الخليفة لمطالب ملك النوبة.. Jakobielski, Bishopric, pp. 52-67.

(٢) ومثال ذلك ايضا ما قام به سنة ٦٧١ هـ داود ملك النوبة من هجوم على عيذاب وأسوان بسبب تعرض الأقباط فى مصر لحوادث الاضطهاد على عهد السلطان الظاهر بيبرس لاتهامهم بحرق بعض أحياء القاهرة انظر: المقرئى: الخطط ، ج ١، ص ٢٠٢، عطية القوصى: تاريخ دولة تالكنوز الإسلامية، دار المعارف، ص ٤٥، فانتينى : مرجع سابق، ص ١٦٢، ١٦٣، انظر فى الفصل الثانى سقوط مملكة المقررة تتبع مراحل العلاقات بين مصر والنوبة على الصعيدين الدبلوماسى والعسكرى فى العصر المملوكى.

(٣) انظر : النويرى: نهاية الأرب، ج ٢٨، ورقه ١٠٩، ابن بهادر: فتوح النصر فى تاريخ ملوك مصر، مخطوط بمكتبة جامعة القاهرة رقم ٢٦١٦٦، ج ١، ورقه ١٣٠، حسن محمد الفاتح: التصوف فى السودان إلى نهاية عهد الفونج، الخرطوم، ص ٢١-٢٢، مصطفى مسعد: الإسلام والنوبة ، ص ١٨٥-١٨٦ .

(٤) فرنسكو الفاريز. رحالة برتغالى زار المنطقة ، ودون مشاهداته عن أخبار علوة، عندما كان البرتغاليون فى المحيط الهندى والبحر الأحمر، انظر: مكى شيكة: مملكة الفونج الإسلامية، ص ١٨، مصطفى مسعد: المرجع السابق، ص ١٨٥، ١٨٦، C.F.: Alvarez (FF): Narrative of the Portuguses Embassy to Abyssinia, 1520-27, Transl. by Stanley, London 1881, p. 352, Trimingham: Op. Cit., p. 77.

انظر الخريطة شكل رقم (١) .

(٥) مكى شيكة: الفونج ، ص ١٨ .

(١١١٠هـ / ١٦٩٨م) وصفها بقوله: «وفي طريقنا عثرنا على عدد كبير من الصوامع والكنائس ، المخربة نصف تخريب»^(١).

وأشار الدكتور يوسف فضل حسن الى انقراض المسيحية بالنوبة بقوله: ان انتشار القوة الإسلامية في الشرق الأدنى قد قطع كل الاتصالات بين المسيحيين والكنائس الأفريقية بالحبشة والنوبة وعطل سير الكنائس التي كانت منتشرة في الجنوب لعدم اتصالها الحيوى بالكنائس في بلاد البحر الأبيض المتوسط، اختنقت الديانة المسيحية وفقدت الثقافة الحية المستمرة التي كانت تتزود بها لنموها وازدهارها ، وقد كانت قبل ان تقطع بينها الاتصالات في نمو ظاهر وازدهار عظيم كما تشهد بذلك الآثار النوبية^(٢).

العصر المسيحي المتأخر:

وبهذا يمكننا ان نحدد حالة مسيحية النوبة فيما يمكن تسميته بالعصر المسيحي المتأخر، اى بعد سقوط الدولة الفاطمية سنة ٥٦٧هـ / ١١٧١م وبداية العصر الايوبي في مصر. والحدث التاريخي الفاصل بين عصر الرخاء وهذا العصر هو تلك الحملة التي قادها تورانشاه أخو صلاح الدين الايوبي على النوبة سنة ٥٦٨هـ / ١١٧٢م وربما كانت هذه الحملة رداً على تأييد النوبيين للفاطميين وهجومهم على أسوان، ثم تقدمهم في صعيد مصر، ومهما يكن من أسباب هذه الحملة فانها كما يذكر ابو المكارم استطاعت الاستيلاء على قصر أبريم، واسر عدد من النوبيين، وقامت بتحويل كنيسة

(١) انظر : عبد المجيد عابدين: قبائل من السودان الأوسط والسودان الغربى، الدار السودانية ١٩٧٢م ، ملحق الكتاب ص ٧٥ .

(2) Y.F.Hasan: External Islamic influences and the progress of Islamization in the Eastern Sudan between the fifteenth and the Nineteenth Centuries, Sudan in Africa, 1968, pp. 74-75.

ويتفق مع د/ يوسف فضل فى رأيه.

C.F.: J.Cuoq: Islamization de la Nubie Chretienne, Publié saus la direction de, Dominique Saurdel et Janine Sourdel. Thomine, 1989, pp. 23-24.

العذراء مريم الى مسجد^(١)، وكانت لسياسة الردع الأيوبي أثرها في قطع الاتصالات بين النوبة ومصر مما حرّمها من التبادل الثقافي^(٢).

وتشير الاكتشافات الأثرية الى اندماج اسقفية فرس في اسقفية ابريم مما يدل على قلة عدد المسيحيين بالمنطقة. ولا شيء محدد يمكن ذكره عن كنائس هذا العصر سوى ما يتعلق بوضوح التأثير الإسلامي واعادة استخدام الكنائس السابقة كمساجد^(٣).

وفي ضوء ما تقدم فان من الضروري ان نعرض بالبحث لنقطة هامة آثارها E.A.W.Budge عن دور المسلمين في مصر في القضاء على المسيحية ببلاد النوبة، اذا يقول: «إن اضطهاد المسيحيين في مصدر امتد الى النوبة وإن كثيراً من العرب قد ساروا على نهج شركائهم في العقيدة بمصر، فأحرقت الكنائس، وشيدت المساجد في مواضعها، وكانت نهاية الكنيسة في النوبة قبل القرن الرابع الميلادي^(٤)».

هذا ما ذكره بودج سنة ١٩٠٧م، وبعد حوالي ثمانين عاما من هذا التاريخ نجد رايا آخر يعتمد على جهود ضخمة من البحث والتنقيب لوليام آدامز الذي يذكر انه من غير الممكن ان ننسب الى المصريين اية محاولة مدبرة لتحطيم العقيدة المسيحية في بلدهم او في بلاد النوبة، وإن ما قامت به حملة تورانشاه من مهاجمة للكنيسة (قصر ابريم) وذبج خمسمائة خنزير كان حدثاً عارضاً لا صلة له على الإطلاق بالغرض الرئيسي من الحملة، ويضيف آدامز ان التلف الذي حدث للآثار المسيحية في النوبة على يد الحملات المصرية

(١) أبو المكارم: كنائس وأدير مصر، ص ١٢١، ١٢٢، محمد غيطاس: النوبة: ص ١٢٣؛

Shinie, Christian Nubia, In "The Cambridge history, Vol.2. London 1978, p. 583,

Vantini, G., Christianity in Medieval Nubia, Cairo 1976, p. 24.

(2) C.F.: Vantini: Ibid, p. 24 FF.

(3) Adams., W.Y.: J.E.A. 51, p.175, idems, W.Y.: the evolution of Christian Nubian Pottery. Nubische Kunst, p. 121; Hans.D. Schneider, Abdallah Nirqi - Deserption and chronology of the Central Church, Nubische Kunst, p. 91. ,C.F.: Crowfoot, J.W.: J.E.A.X II, p. 145.

(4) C. F.:Budge, :Egyptian Sudan, its history and Monuments, II, p. 130, C.F.: Mustafa M. Musad: The Downfall of the Christian. Nubian, Kingdoms, S.N.R. P. 126.

كان قليلاً نسبياً، ولم يكن التعصب الديني دافعاً إلى ذلك، وإن اضطهاد المسيحيين المصريين في عصر الدولة المملوكية الأولى لم يصحبه قمع للعقيدة^(١).

إن ما ذكره آدامز من حقائق يدعمها ما ورد في المصادر التاريخية وما كشفت عنه أعمال التنقيب عن الآثار، فالحملات العسكرية التي جردت كانت ضرورة فرضتها حماية رعايا الدولة الإسلامية، أو رداً على محاولات النوبة عدم وفاء ملوكها بما قطعوه على أنفسهم في معاهدة البقط، أو كانت رداً على اعتداءاتهم المتكررة على الحدود والمناطق الخاضعة لسلطان المماليك، كما جردت بعض هذه الحملات لتأييد ملك بعينه، وكان الاحتفال بتتويج ملوك المقررة في هذه الفترة يتم في كنيسة المسيح (سوس) أكبر كنائس دنقلة، حيث كان الأمراء يمدون السماط لتناول الطعام، ويعد ذلك يتوج الملك ويقوم بحلف اليمين^(٢).

وتشير الاكتشافات الأثرية إلى أن المزارعين المسيحيين، وأولئك الذين اتخذوا الجزر ملاجئ لهم في المنطقة الواقعة بين المحرقة والشلال الثالث عاشوا في سلام، لأنهم اكتفوا بمراقبة تحرك الجيوش وهي في طريقها^(٣) إلى دنقلة أو إلى أسوان. ويؤكد هذا أن الخمس والسبعين كنيسة التي عثر عليها في هذه المنطقة لم تحول إلى مساجد، اللهم إلا البازليكا في قصر ابريم، والتي حولت إلى مسجد في القرن السادس عشر بعد أن هجر البناء ولم يعد مستخدماً ككنيسة^(٤).

وفي النوبة السفلى التي خضعت للكنوز، وكانت من المناطق الخاضعة لسلطان الظاهر بيبرس، وجدت الآثار الدالة على وجود جماعة مسيحية حتى بعد سقوط مملكة المقررة بحوالي نصف قرن، كما تدلنا هذه الاكتشافات على استمرار العلاقات بين مصر والنوبة، التي تميزت باستقلالها عن الأحوال السياسية والعسكرية^(٥).

(1) C.F.: Adams, W.Y.: J.E.A. 52, p.149.

(٢) المقريري: لسلوك، ج ١، ق ٣، ص ٧٥٢.

(3) C.F.: Adams, W.Y.: Op. Cit., pp. 152-153.

(4) Adams., W.Y.: Op.Cit., p.152-153.

(5) Adams., W.Y.: Ibid, p.149.

— أسباب ومظاهر اضمحلال ممالك النوبة — ٧١ —

ومن هنا يمكن القول ان انتشار الإسلام فى بلاد النوبة كان تطوراً طبيعياً حدث مع فهم النوبيين للإسلام، ولم يكن ناتجاً عن اتباعهم لدين ملوكهم، الذين ظلوا على اعتناقهم للمسيحية بعد تحول شعبهم للإسلام.

خامساً : ضعف التجارة الدولية ، وانقطاع التجارة مع مصر واثار ذلك على ممالك النوبة :

استمرت ممالك النوبة تؤدى دورها الحيوى فى تبادل السلع التجارية الهامة فى خلال العصور الوسطى، الا انها أخذت تفقد ذلك الدور وتسير فى طريق الانهيار، وذلك لاضمحلال التجارة الدولية وعلى الأخص تجارة مصر.

وهناك تاريخان مهمان يمكن ان نحدد بهما بداية هذا الاضمحلال وهما: عام (٧٦٧هـ / ١٣٦٥ م ، وعام ٨٠٣هـ / ١٤٠٠ م).

ففى عام ٧٦٧هـ / ١٣٦٥ م نهبت الإسكندرية، بحملة بطرس لوزجنان^(١) وهى الحملة التى أشرنا إليها من قبل بالتحالف مع الأحباش والنوبيين ، الا انها باءت بالفشل، واستعادت الإسكندرية مركزها التقليدى فى عالم التجارة^(٢) والضربة الثانية التى منيت بها حدود السلطنة المصرية هى غارة تيمورلنك وانعكاساتها على أسواق القاهرة^(٣).

واذا كان من المعروف ان سلاطين دولة المماليك الأولى، قد بذلوا جهدا عظيما من اجل الحفاظ على مكانه مصر التجارية بين الشرق والغرب فان الأمر كان على

(١) انظر المقرئى: السلوك ، ج ٤ ، ق ٢ ، ص ٧٩٥ ، صبحى لبيب: سياسة مصر التجارية فى عصرى الأيوبيين والمماليك، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، المجلدان الثامن والعشرون والتاسع والعشرون ١٩٨١ - ١٩٨٢ م، ص ١٤١ ، الحويرى: أسوان فى العصور الوسطى، ط دار المعارف ، ١٩٨٠ م ، ص ١٣٣ ، قاسم عبده قاسم: اهل الذمة، ص ١٠٠ ،

C.F.: John Vantini: The Excanations at Faras A Contribution to history of Christian Nubia, Italy 1967, p. 268, , (FF).

رجب عبد الحليم: مرجع سابق ، ص ١٠٤، ١٠٥

(٢) انظر: صبحى لبيب: التجارة الكارمية، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، المجلد الرابع عشر، ١٩٦٨ م، ص ٢٤ ، ٢٥

(٣) المقرئى: الخطط ، ج ١ ، ص ١٩٧ ؛ صبحى لبيب: سياسة مصر التجارية ، ص ١٤١، ١٤٢ ،

C.F.: Oliver Roland and Mathew, G.: History of East Africa, Vol. I, Oxford, 1963, pp. 94, 95.

عكس ذلك في دولة المماليك الثانية^(١) نتيجة اختلال نظام الإقطاع^(٢)، وتطرق الفساد اليه، فضلا عن ضعف الإنتاج الزراعي وحاجة السلاطين للأموال الوفيرة لسد مطالب الحروب وغيرها^(٣) كل ذلك دفع السلاطين للاشتغال بالتجارة، فاتبعوا سياسة الاحتكار التجارى للحصول على اكبر قدر من الأموال، وقد أدت تلك السياسة التي بلغت مداها في عصر السلطان برسباي (٨٢٦-٨٤٢هـ / ١٤٢٢-١٤٣٨م) الى إنزال ضربة قاصمة بتجارة الأوروبيين مثل الفلفل والبهار^(٤)، كما دفعت سياسة الاحتكار الى فتور العلاقات بين مصر والدول الأوروبية الأمر الذى حملها على محاولة التخلص من أهمية مركز مصر التجارى بين الشرق والغرب^(٥).

وانتهت هذه المنافسة بتحول طرق التجارة عبر رأس الرجاء الصالح^(٦) ومما زاد الامر سوءا وساعد على تدهور النشاط التجارى لدولة المماليك الجراكسة ان البدو من اهالى الصحراء الشرقية عملوا على مهاجمة القوافل المتجهة من قوص الى عيذاب ونهبها وقتل أصحابها، ونتيجة لذلك أخذت عيذاب تفقد أهميتها شيئا فشيئا فى

(١) لمزيد من التفاصيل عن تدهور نشاط مصر التجارية انظر:

S. Labib (1) Les Marchands Ka'rimis eu Orient et Sur L'Océan Indienin: M. Mallat (Ed.): Societes et Companies de Commerce eu Orient et dans l'Océan Indien Paris, 1970, (2) Medieval Islamic Maritime Policy in the Indian Ocean Area in "Les GrNDES Escaies" Recueils de la Societe` Jean Bodin, T. 32 Bruxelles, 1974, (3) Die Mittelaiterliche Islamische politik Im Mittelmeerraum, in: "Studnmemoria d`federzo Melis" Vol. 1, Roma 1978.

وانظر أيضا : سعيد عاشور: العصر الممالىكى فى مصر والشام ، القاهرة ١٩٦٥ ، ص ٢٩٥ ، صبحى لبيب : سياسة مصر التجارية ، ص ١٤٣ .

(٢) قاسم عبده قاسم: أسواق مصر فى عصر سلاطين المماليك، القاهرة ١٩٧٨ م ، ص ٥٩، انظر الخريطة شكل رقم (١١).

(٣) المقرئى: السلوك ، ج ٢ ، ق ١ ، ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ .

(٤) كروياتشيك: النوبة من نهاية القرن الثانى عشر حتى فتح الفونج فى بداية القرن السادس عشر، اليونسكو (تاريخ أفريقيا العام)، المجلد الرابع، ١٩٨٨م. ص ٤١٦، ٤١٧ .

(٥) المرجع نفسه، ص ٤١٦، ٤١٧ .

(٦) تمام همام: الهجمات الاستعمارية والمقاومة الإسلامية (سلسلة مقالات منشورة فى مجلة الهداية بدولة البحرين فى عام ١٩٧٦، ١٩٧٧)، ص ١٣١، ١٣٢، كروياتشيك: مرجع سابق ، ص ٤١٦ ، ٤١٧ .

القرن الرابع عشر الميلادي^(١) ومن ثم تحول المماليك الى مدن جدة والحجاز^(٢).

ولم يتوقف بدو الصحراء الشرقية عن مهاجمة القوافل التجارية التي تعبر تلك الصحراء محملة بالسلع والبضائع، والأمر الذي دفع السلطان برسباي الى إرسال حملة عن طريق البحر الأحمر لمهاجمة ميناء عيذاب وتخريبها^(٣)، ويضيف الرحالة ليو الأفريقي هذا التدهور بقوله: وكان لهم في الماضى مدينة ضخمة على البحر الأحمر تدعى عيذاب، حيث كان يقوم ميناء واقع مباشرة تجاه ميناء جدة الواقع على مسافة أربعين ميلا من مكة، ولكن منذ مائة عام خلت قام هؤلاء بنهب قافلة كانت تنقل السلع والأقوات الى مكة، فاستشاط سلطان مصر غضباً، وأرسل عن طريق البحر الأحمر اسطولاً احتل مدينة عيذاب وميناءها وخربها^(٤).

ومن العوامل المباشرة التي أدت الى تدهور التجارة في النوبة اضطراب الأحوال الداخلية لبلاد النوبة في القرن الرابع عشر الميلادي، فأصبحت تلك البلاد— في نهاية ذلك القرن— مسرحاً للفوضى التي آثارها بنو الكنز، وغيرهم من القبائل العربية التي استقرت هناك. وقد تسببت تلك الفوضى في قطع طرق المواصلات التجارية بين أسوان والنوبة. مما أدى في النهاية الى شل الحركة التجارية بين مصر والنوبة^(٥) وزاد الأمر سوءاً أن بنى الكنز دابوا على مهاجمة حدود مصر الجنوبية التي أصبحت مصدر قلق لدولة المماليك الجراكسة. ومنذ نهاية القرن الرابع عشر الميلادي، ازدادت هجماتهم العنيفة المحزنة على أسوان حتى خرجت عن يد السلطنة وهذا ما سوف نوضحه في سقوط مملكة المقرّة^(٦).

(1) J.F.E.Bloss: the Story of Suakin, S.N.R. Vol. XIX, 1937, p.283.(FF), Hinterland : Anglo Egyptian Sudan from within, ed. Hamilton, London1935, p . 151 FF.

(٢) انظر ما سبق ذكره عن ثغر عيذاب، ص ٥٩.

(3) Bloss: Op. Cit., p. 285.

(٤) انظر: ليو الأفريقي، وصف أفريقيا، ص ص ٥٥٨، ٥٥٩.

(5) C.F . Bloss: The Story of Suakin , S.N.R. p. 283, FF.

كروياتشيك: مرجع سابق، ص ص ٤١٦، ٤١٧، قاسم عبده قاسم: دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي عصر سلاطين المماليك، ط دار المعارف ١٩٧٩، ص ص ٧٤، ٧٥.

(٦) انظر: المقريري: السلوك، ج ٢، ص ١٩٤، ٢٣٥، ٩٠٧، ٩١٥ وانظر كذلك ثورات العربان وتصدى المماليك لهم مما سيكون لهم أثراً في الهجرة العربية لسودان وادي النيل والمتغيرات التي حدثت في المنطقة الفصل القادم سقوط مملكة المقرّة.

الفصل الثانى

سقوط ممالك النوبة المسيحية
سقوط مملكة المقرّة.. وظهور دولة الكنوز

- المماليك وصراعهم مع القوى المحلية فى مصر واثّر ذلك على بلاد النوبة.
- موقف مصر من النوبة فى عصر دولة المماليك الأولى .
- حملة الظاهر بيبرس (٦٥٨-٦٧٦هـ / ١٢٦٠-١٢٧٧م).
- انهيار مملكة دنقلا المسيحية (ما بين ٦٧٦-٧١٢هـ / ١٢٧٦-١٣١٢م).
- حملات المنصور قلاوون (٦٧٦-٦٨٨هـ / ١٢٧٧-١٢٨٩م).
- الموقف فى عهد السلطان الأشرف خليل (٦٨٩-٦٩٣هـ / ١٢٩٠-١٢٩٤م).
- الاتصالات بين النوبة والصليبيين.
- الموقف فى عهد سلطنة الناصر محمد (٦٩٣- / ٦٩٨-٧٠٨هـ / ٧٠٩-٧٤١م).
- أمراء ربيعة الكنوز يرثون عرش النوبة .
- الموقف فى عهد الأشرف شعبان (٧٦٤-٧٧٨هـ / ١٣٦٣-١٣٧٦م).

كان وصول المماليك إلى الحكم في مصر نقطة تحول في تاريخ القبائل العربية في مصر عامة ، وفي بلاد النوبة خاصة؛ وحتى نتعرف على الدور الحقيقي الذي لعبته دولتي المماليك في هذه الفترة في تاريخ المنطقة لابد لنا من دراسة علاقات المماليك بالقوى المحلية- اقصد القبائل العربية في منطقة الصعيد- ثم لمعرفة مدى تأثير هذا الصراع على مملكة المقررة النوبية .

– المماليك وصراعهم مع القوى المحلية في مصر واثار ذلك في بلاد النوبة :

عندما تولى المماليك حكم مصر في منتصف القرن السابع الهجرى ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م، أنفت القبائل العربية من الخضوع لهؤلاء الغرياء، ونادى زعماء بعض القبائل العربية بالوقوف في وجه حكام مصر الجدد، وأمروا اتباعهم بعدم الخضوع لهؤلاء السادة الأجانب يقول المقریزی: «ولم يزلوا رجال القبائل العربية، بالبحيرة إلى ان كانت سلطنة المعز عز الدين ايبك التركمانی، أول ملوك الترك بديار مصر، وأنفت عربان مصر من تملكه عليهم، لأنه مملوك من جملة المماليك ، قد مسه الرق (١) .

وقد بدأت حركة المقاومة العربية للمماليك عام ٦٥١هـ / ١٢٥٣م بزعامه رجل قرشى ينتهى نسبه إلى جعفر الصادق (٢) ، وهو الشريف حصن الدين ثعلب بن الأمير الكبير نجم الدين على بن الأمير الشريف فخر الدين إسماعيل بن حصن الدولة؛ ولقب بمجد العرب ثعلب الجعفرى (٣) . وأعلن ان العرب أحق بالحكم من المماليك (٤) . وبايعته العرب، والتف حوله كل الساخطين على الحكم الجديد، ورفضت القبائل العربية دفع الخراج لعمال الضرائب. وتشير المصادر إلى ان العرب اجتمعت إلى حصن الدين ثعلب من مختلف أنحاء مصر، وخاصة من منطقة الصعيد، وكانوا في

(١) انظر: المقریزی: البيان والأعراب عما بأرض مصر من الاعراب: تحقيق د. عبد المجيد عابدين، القاهرة ١٩٦١، ص ٩، ص ٣٨؛ ليلى عبد اللطيف احمد: الصعيد فى عهد شيخ العرب همام، الهيئة المصرية للكتاب ١٩٨٧، ص ٤١؛ إبراهيم على طرخان: مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسة ١٣٨٢/١٥١٧؛ القاهرة. النهضة المصرية ١٩٦٠م، ص ٢٦٧، كروياتشيك: مرجع سابق ، ص ص ٤١٦، ٤١٧ .

(٢) المقریزی: البيان والاعراب ، ص ١٠ .

(٣) المصدر نفسه، والصفحة ، المؤلف نفسه، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، تحقيق د. محمد مصطفى زيادة، القاهرة ، ١٩٥٧، ص ٣٨٩ .

(٤) المقریزی: السلوك، ج١ ، ص ٣٨٦ .

كثرة من الرجال والمال والخيول، اذ بلغ عدد الفرسان نحو أثني عشر ألفا بينما كان عدد الجند الآخرين من الكثرة بحيث تعذر إحصاؤهم^(١).

وعلى الرغم من المبالغة الواضحة في هذه الأرقام الا ان فيها دلالة على كثرة من اجتمع الى حصن الدين ثعلب لمحاربة المماليك؛ وعندما علم السلطان معز الدين أيبك (٦٤٨-٦٥٥ هـ / ١٢٥٠-١٢٥٧ م)، جهز حملة مكونة من خمسة آلاف فارس مدربين تدريباً جيداً، ومزودين بالمؤن الكافية والعدة اللازمة، وساروا نحو الثوار العرب وهزموهم في معركة حامية في قرية دهروط في بلاد الاشمونين، وفر حصن الدين ثعلب، وقبض عليه بعد عدة سنوات، حيث سجن بالإسكندرية ثم قتل وصلب من قبل السلطان المملوكي الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري (٦٥٨-٦٧٦ هـ / ١٢٦٠-١٢٧٧ م)^(٢).

وعلى الرغم من هذه الهزيمة فان القبائل العربية في الصعيد صمدت على الا تستكين او تخضع لحكم المماليك، فكان رجال القبائل ينتهزون كل فرصة لاعلان العصيان والثورة المسلحة^(٣). ففي عام ٧٠٠ هـ / ١٣٠٠ م ثار العرب في منطقة الصعيد ورفضوا دفع الضرائب مستغلين انشغال المماليك في مجابهة المغول في بلاد الشام^(٤).

ولكن قوة مملوكية بقيادة شمس الدين سنقر الأعسر هزمتهم وقتلت عدداً من زعمائهم^(٥)؛ وفرض القائد المملوكي عليهم ضريبة باهظة، كما جردهم من

(١) المصدر نفسه، والجزء، ص ٣٨٣، C.F: Joseph Cuoq.

Islamisation de la Nubie chretienne, Publiee` sous la direction de: Dominique Saur-del et Janine Sourdel thomine, 1989, p. 70.

(٢) المقرئى: البيان والاعراب، ص ٣٨ ٣٩، وايضا: السلوك، ج١، ص ٣٨٧،

C.F.: J. Cuoq: Op. Cit., p. 70-71.

(٣) المقرئى: السلوك، ج١، ق٣، ص ٩٠٤، وانظر ايضا ص ٩٢٠.

(٤) محمود نديم: الفن الحربى للجيش المصرى فى العصر المملوكى البحرى، دار الكتب المصرية ١٩٨٣، ص ٢١؛ سعيد عاشور:

مصر فى عصر دولة المماليك البحرية، ١٩٥٩، ص ٧٨؛ المؤلف نفسه، العصر المماليكى، القاهرة: ١٩٦٥ م، ص ٨٠.

(٥) العربان القاطنين فى هذه الأقاليم هم: اولاد بكر، وأولاد عمر، وأولاد شريف، وأولاد شيبان، وأولاد الكنز، وبنى

هلال وغيرهم انظر المقرئى: السلوك، ج١، ق٣، ص ٩٠٤ وما بعدها، الحريرى: أسوان فى العصور الوسطى،

ص ٤٠، يوسف فضل: مقدمة، ص ٩.

السلح^(١)، ويصف المؤرخ المقرئزى هذه الحادثة بقوله : «فأوقع شمس الدين سنقر الأعرس بكثير من بلاد الصعيد الكبسات، وقتل جماعات من المفسدين، واخذ سائر الخيول التى ببلاد الصعيد ، فلم يدع بها فرسا لفلاح ولا بدوى ولا قاضى ولا فقيه ولا كاتب، وتتبع السلح الذى مع الفلاحين والعربان فأخذه عن آخره، واخذ الجمال ، وعاد من قوص إلى القاهرة ومعه ألف وستون فرساً، وثمانمائة وسبعون جملاً، وألف وستمائة رمح، وألف ومائتا سيف وسبعمائة درقة، وستة آلاف رأس من الغنم، فسكن ما كان بالبلاد من الشر، وذلت الفلاحون، وأعطوا الخراج^(٢) .

وعلى الرغم مما تعرض له العرب فى هذه الحملة من إذلال وتنكيل، فقد عادوا للثورة من جديد، وامتنعوا عن دفع الضرائب ، بل انهم فرضوا ضرائب على المناطق الخاضعة لنفوذهم فى الصعيد الأوسط والأعلى ، وقد تمثلت المقاومة هذه المرة فى قبائل عرك وجهينة وبلى التى استقرت فى الصعيد الأعلى منذ لعصر الفاطمى ، بعد ان أرغمهم الفاطميون على إخلاء مواطنهم الأولى فى بلاد الأشمونين لتوطيد القرشيين مكانهم، فأرتحلوا جنوباً، واستقروا فى منفلوط وأسيوط ، وفى المنطقة الواقعة بين عيذاب شرقاً وسوهاج غرباً^(٣) ، وكثرت المنازعات بين هذه القبائل قبل وصول المماليك إلى الحكم، ولكنهم تصالحوا وزالت الشحناء بينهم واتحدوا أمام عدوهم المشترك^(٤) .

وقد بدأ الأعراب ثورتهم بالتمرد على ولاة المماليك، وعدم دفع الالتزامات المالية «وفرضوا على التجار وأرباب المعاش بأسيوط ومنفلوط فرائض جبوها. واستخفوا بالولاية، ومنعوا الخراج، وتسموا بأسماء الأمراء^(٥)»، فأرسل المماليك حملة كبيرة ضدهم، وامرت بوضع السيف فى رقاب كل الأعراب بالصعيد، وقد عززت الحملة بفتوى شرعية من القضاة تتيح للجند المماليك حرية القتل والنهب وتدمير ما تقع عليه أيديهم فى بلاد الصعيد^(٦) .

(١) المقرئزى: السلوك، ج١، ق٣، ص ٩٠٤ .

(٢) المصدر نفسه، والصفحة .

(٣) المقرئزى: البيان والأعراب ، ص ٣٢، ٤٣؛ الحويرى: مرجع سابق، ص ٤٠، ٤١ .

(٤) المقرئزى: البيان والأعراب، ص ٣٣ .

(٥) المقرئزى: السلوك، ج١، ص ٩٢١، ٩٢٢، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٨، ص ١٤٩، ١٥٠ .

(٦) يقول المقرئزى: «فاستدعى الأمراء القضاة والفقهاء واستفتوهم فى قتال العربان فأفتوا بجواز ذلك، انظر، السلوك

، ج١، ق٢، ص ٩٢٠ .

وحاول المماليك إخفاء نواياهم وأشاعوا ان الحملة موجهة إلى بلاد الشام، وتبعاً لذلك فان العرب في الصعيد أخذوا على حين غرة حينما فاجأهم الجيش المملوكي، فهرب منهم جنوباً، بينما تعرض الباقون لهزيمة شنعاء على أيدي الجند المماليك الأتراك، واسر عدد كبير منهم، وعاد الجيش المملوكي إلى القاهرة مصحوباً بالأسرى والغنائم التي كانت تشمل الخيول والجمال، وقطعان الماشية من الغنم والبقرة كذلك نقوداً وأسلحة وافرة (١).

ويصف المقرئزي ما حدث للعرب في هذه الحملة بقوله: «ووقع الرعب في قلوب العربان حتى طبق عليهم الأمراء وأخذوهم من كل جهة فروا إليها، وأخرجوهم من مخابئهم حتى قتلوا من بجانب النبل إلى قوص، وجافت الأرض بالقتلى، واختفى كثيرا منهم بمغائر الجبال، فأوقدت عليهم النيران حتى هلكوا عن آخرهم، واسر منهم نحو ألف وستمائة لهم فلاحات وذروع، وحصل من أموالهم شيء عظيم جداً تفرقتة الأيدي، واحضر منه للديوان ستة عشر ألف رأس من الغنم من جملة ثمانين ألف رأس بين ضأن وماعز، ونحو أربعة آلاف فرس، واثنتين وثلاثين ألف جمل، وثمانية آلاف رأس من البقر، غير ما ارصد في المعاصر (٢)، ومن السلاح نحو مائتين وستين حملاً ما بين سيوف ورماح. ومن الأموال على بغال محملة مائتين وثمانين بغلاً، وصار لكثرة ما حصل للأجناد والغلمان والفقراء الذين اتبعوا العسكر، يباع الكباش السمين من ثلاثة دراهم إلى درهمين، والمعز بدرهم الرأس، والجزء الصوف بنصف درهم، والكساء بخمسة دراهم، والرطل السمن بربع درهم، ولم يوجد من يشتري الغلال من كثرتها (٣)».

ويبلغ من شدة ما تعرض له العرب في الصعيد في هذه الحملة ان بلاد الصعيد خلت من أهلها «بحيث صار الرجل يمشى فلا يجد في طريقه أحداً، وينزل القرية فلا يرى الا النساء والصبيان الصغار (٤)».

(١) المقرئزي: السلوك، ج١، ق٢، ص ٩٢٠-٩٢٢.

(٢) المصدر نفسه، والجزء، ص ٩٢١،

Y.F. Hasan: Op. Cit., pp. 102-3.

(٣) المقرئزي: السلوك، ج١، ق٢، ص ٩٢١.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ق٢، ص ٩٢٢؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٨، ص ١٥٣.

بالإضافة إلى ما تقدم فقد أدى التدمير والفقر الذى أصاب الناس إلى استئفاف النزاع والتنافس بين القبائل العربية على بعض المناطق الزراعية الخصبة المحاذية للنيل فى الصعيد الأعلى، مما أدى إلى تسهيل مهمة المماليك فى القضاء على نفوذ القبائل العربية فى مناطق الصعيد.

ففى عام ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م تحول التنافس إلى قتال فعلى بين قبيلتى عرك وبنى هلال^(١)، ويبدو ان العركيين كانوا اقوى من الهلاليين فقام المماليك بمساعدة بنى هلال للقضاء على العركيين، ليسهل عليهم بالتالى القضاء على بنى هلال أنفسهم.

وفى عام ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م أرسل المماليك حملة لمساعدة الهلاليين فى حربهم على العركيين، ومنى العركيون بهزيمة ساحقة، ولكنها لم تكن حاسمة، اذا لم تضع حدا للنزاع بين بنى عرك وبنى هلال^(٢). وكان هذا التدخل من جانب المماليك بداية للنزاع استمر نحو خمسة أعوام (٧٤٩-٧٥٤هـ) بين قبيلة عرك وحلفائها من جهة وبين المماليك وبنى هلال وحلفائهم من جهة أخرى. وقد تزعم الحلف العركى محمد بن واصل العركى الملقب بالأحدب^(٣)، واستطاع الأحدب ان يهزم جيشاً مملوكياً عام

(١) يرجع وجود بنى هلال وسليم الى العصر الفاطمى، عندما شجع الخلفاء الفاطميين هاتين القبيلتين على الهجرة الى مصر فى زمن الخليفة العزيز، وقد استقروا فى الحوف الشرقى ثم سار بعضهم جنوباً نحو الصعيد، وهناك انضمت لهم قبائل عربية أخرى من فزارة القيسية ومعقل اليمنية، وغلب على هذه القبائل جميعها اسم بنى هلال لان الزعامة كانت فى هذه القبيلة. ولكن هذا الحلف الهلالى لم يخلد للهدوء بل قام بمحاربة الآخرين. وأثار القلاقل مما أدى إلى الفتنة، وعدم الاستقرار، وتبعاً لذلك فقد قام الوزير الفاطمى البازورى بعد عام ٤٢٢هـ، بتشجيعهم على العبور غرباً والهجرة الى شمال أفريقيا مستعيناً بهم ضد المعز بن باديس الذى أعلن انفصاله عن الفاطميين، ولكن قسماً منهم بقى فى الصعيد الأعلى مثل بنى مجير ورفاعة وبنى عمرو وبنى عقبة وبنى جميلة وغيرهم، انظر: عبد الحميد يونس: الهلالية، القاهرة ١٩٥٦، ص ٦١، ٦٢، ٦٥، ٧٠ احمد عبد الرحيم نصر، رصد ودراسة لبعض الجوانب السيرة الهلالية فى السودان، مجلة الدراسات السودانية، العدد ٢٢١ مزدوج، المجلد الثانى، أكتوبر ١٩٨٨، ص ٨١، ٨٢، عبد المجيد عابدين: المرجع السابق، ص ١٢٥-١٢٨.

(٢) المقرئى: السلوك، ج٢، ص ٧٧٠، عبد المجيد عابدين، ص ١٢٩.

(٣) لقب بالأحدب لطوله وانحناء قامته.

٧٥٢هـ / ١٣٥١م^(١)، وكان هذا داعياً لأن يجهز المماليك حملة قوية لإنهاء حركة الأحذب. فقام الأخير بحشد اتباعه من عرك وعرب منفلوط وعرب المراغة وبنى كلب وجهينة، وبلغ عدد فرسانه أكثر من عشرة آلاف فارس مزودين بالعدة والعتاد، بالإضافة إلى أعداد كبيرة من الجنود المشاة^(٢)؛ ليس هذا فحسب بل إن الأحذب قرر نزع السلطة المملوكية كلية وادعى أنه أحق بالملك منهم، واتخذ إشارات السلطنة وبايعته القبائل العربية الموالية له، وفى ذلك يقول المقرئى: «وادعى الأحذب السلطنة وجلس فى جتر»^(٣)، وجعل خلفه المسند واجلس العرب حوله، ومد السماط بين يديه، فنفذ أمره فى الفلاحين.. وحدثته نفسه بتملك الصعيد، وقويت نفسه بتأخر ولاية الأمور عنه، وأقام له حاجبا وكاتباً^(٤).

وأمام هذا التحدى جهز المماليك حملة جديدة لملاقاة الأحذب واتباعه من القبائل العربية فى الصعيد، وقاد الحملة الأمير شيخو، وعندما وصلت الحملة الى أسيوط انضمت اليها جماعات صغيرة من العرب القاطنين هناك خوفاً ورهبة من المماليك لا عن رغبة وقناعة. وسموا عرب الطاعة أى الذين يطيعون أولى الأمر ولا يخرجون عن سلطانهم، ولكن هذه المجموعات العربية هولت على الأمير كثرة أعداد العرب، أصحاب الأحذب، وحسن استعدادهم، وأشارت عليه بأخذ الحيلة والحذر، فلجأ الأمير المملوكى إلى خطة مأكرة للخلاص من العرب فى المنطقة حتى وإن كانوا حلفاء سابقين للمماليك مثل بنى هلال، فقد بعث أحد قواده إلى بنى هلال ودعاهم إليه للثأر من أعدائهم القدامى بنى العرك، أصحاب الأحذب وعشيرته، وانخدع الهلاليون بذلك وأقبلوا إلى الأمير المملوكى بأسلحتهم وخيولهم، ولكن ما إن وصلوا إليه حتى اعمل السيف فى رقابهم، وأفناهم جميعاً وسلب عدتهم وعتادهم^(٥).

(١) المقرئى: السلوك، ج٢، ق٣، ص ٨٣٩، ٨٤٣.

(٢) المصدر نفسه، والجزء، ص ٩١١.

(٣) جتر: تعنى مظلة على هيئة قبة من حرير اصفر مزركش بالذهب على أعلاها طائر من فضة وهى من شعارات السلطنة. انظر عبد المنعم ماجد: نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم فى مصر، ص ٣٧، محمود نديم: الفن الحربى، ص ٢٠٩.

(٤) المقرئى: السلوك، ج٢، ق٣، ص ٩٠٨.

(٥) المصدر السابق، ص ٩١١.

ولا تشير المصادر إلى أسباب هذه المذبحة الشنعاء التي ارتكبها الجند المماليك ضد بنى هلال، ولعل الأمير المملوكي أراد بذلك ترهيب القبائل العربية الأخرى، وفي الوقت نفسه رفع معنويات جنده وتشجيعهم على المضي لتحقيق هدفهم في إبادة الحلف القبلي العربي الذي كان يتزعمه الأحدب شيخ بنى عرك، وتدل هذه الخطوة على أن المماليك كانوا ينظرون برؤية وشك لجميع العرب القاطنين في الصعيد سواء كانوا بدوا أم فلاحين، وسواء وقفوا ضد السلطة أو بقوا محايدين^(١).

وبعد هذه المذبحة المريعة التي أوقعها القائد المملوكي بنى هلال، سار لملاقاة قوات الأحدب، وجرت معارك ضاربه بين الطرفين قتل فيها عدد كبير من الفريقين، وانتهت بهزيمة الحلف العركي، وهرب الأحدب، ونكل الجند المماليك بالعرب قتلا وتشريدا وهرب الباقون جنوبا واستقروا في شمال النوبة التي كانت آنذاك خاضعة لنفوذ بنى ربيعة الكنوز، أما الأحدب عاد واستسلم وطلب الأمان من السلطان المملوكي الذي منحه الأمان شرط أن يقوم هو ومن تبقى معه من أتباعه في الصعيد الأعلى بزراعة الأرض والمحافظة على الأمن، وأن يلتزم بدفع الضرائب التي يفرضها السلطان مهما بلغت، ويمتنع عن أي عمل عدواني ضد ولاية السلطان وعماله ونتيجة لذلك هدأت الأحوال في الصعيد، والتزم العرب هناك بالدعة والهدوء وبقوا على هذه الحال نحو ربع قرن من الزمان.

(١) المقرئى: السلوك، ج ٢، ق ٣، ص ٩١١-٩١٦، إبراهيم طرخان: دولة المماليك الجراكسة، ص ٢٦٨، ليلي عبد

اللطيف أحمد على: الصعيد في عهد شيخ العرب همام، ص ٤٢، ٤٣؛ صلاح أحمد هريدى: دور الصعيد في

مصر العثمانية، دار المعارف، ١٩٨٤، ص ١٧٦، ١٧٧؛

C.F.: Dubois-Aymé, Memoire sur les tribus Arabes Des Deserts de L`Egypte, T; 12; 1809, pp. 330-331.

- موقف مصر من النوبة في عصر دولة المماليك الأولى:

- حملة الظاهر بيبرس:

استغل النوبيون المشاكل التي عانى منها المماليك وخاصة ثورات القبائل العربية المستمرة في الوجه القبلي، فتحدوا سلطة المماليك ونفوذهم، وامتنعوا عن دفع البقط السنوي المقرر عليهم منذ أيام عبد الله بن أبي السرح، يدل على ذلك قول ابن خلدون: «وربما كانوا يماطلون بها أو يمتنعون من أدائها، فتغزوهم عساكر المسلمين من مصر حتى يستقيموا»^(١).

وكان للانتصارات التي أحرزها السلطان الظاهر بيبرس، أكبر الأثر في خوف ملك النوبة، وسعيه إلى التودد إلى السلطان المملوكي بإرسال قصاده بالهدايا، فقد ذكر المقرئى وصول ملك النوبة سنة ٦٢٢هـ/١٢٦٣م إلى البلاط المملوكي وإسلامهم مع غيرهم من الرسل على يد الظاهر بيبرس^(٢).

وإذا كان عصر المماليك البحرية قد شهد حلقة من انشط حلقات الحروب الصليبية فإن ذلك زاد من مظاهر العداء بين مصر الإسلامية ومملكة النوبة المسيحية^(٣)، إذ انتهز داود ملك النوبة فرصة انشغال السلطان الظاهر بيبرس بحروبه

(١) ابن خلدون: العبر، ج ٥، ص ٩٢١، القلقشندى: صبح الاعشى، ط دار الكتب، ج ٥، ص ٢٧٦؛ محمد عبد العال احمد: موقف مصر من النوبة في العصر المملوكي الاول، نشره بمعهد البحوث والدراسات الافريقية ١٩٨٧، ص ٧، C.F.: Y.F. Hasan: External. Islamic, p. 74.

(٢) المقرئى: السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٦٠٨؛ الحريرى: أسوان ص ٥٥؛ فانتينى: تاريخ المسيحية في الممالك النوبية القديمة، ص ص ١٦٢، ١٦٣؛ محمد عبد العال: المرجع السابق، ص ٧؛ سعاد ماهر: البحرية في مصر الإسلامية، ص ١١٥، Couq: Op. Cit., p. 70.

(٣) لقد كان الصليبيون يهدفون الى التحالف مع النوبة المسيحية ليهاجموا ارض مصر من جبهتين وهما: الجبهة الشمالية وهى تطل على البحر الأبيض المتوسط ومنها تتقدم قوات الصليبيين بأساطيلهم، والجبهة الجنوبية تتقدم منها جيوش النوبة والحبشة، وكانت هذه الاستراتيجية معروفة من أقدم العصور لجعل مصر بين فكي الرحى، ويبدو من الوثائق التاريخية ان الصليبيين والنوبة كانوا يسعون للاتصال والتنسيق فيما بينهم وتنظيم حركاتهم وتوقيتها لمحاربة سلطان مصر، لذلك فرض سلطان مصر رقابة شديدة لمنع كل اتصالا بين النوبة والصليبيين. وهناك تحفة أثرية محفوظة في المتحف القومي بسودان وادى النيل تثبت وجود اتفاقيات بين بعض الدول الغربية والنوبة، وهى تمثال خشبي صغير لآحد الصليبيين الغربيين، وهو يلبس عدة الحروب بكاملها. وتم اكتشافه فى قرية النوبة القديمة، ص ١٥٩، ١٦٠، انظر ملحق الدراسة تمثال خشبي لآحد الصليبيين من حفريات ايتيرى- صليب تم اكتشافه فى قبر أسقف من أواخر الأساقفة بفرس حوالى سنة ١٣٠م شكل رقم (٥/٩)، وانظر كذلك:

Newbold. D., the crusaders in the Red Sea and the Sudan, S.N R. XXVI, Part II, p. 221.

في أرمينيا الصغرى عام ٦٧١هـ / ١٢٧٢م^(١) ، وأغار على ثغر عيذاب ، فنهب متاجره ، وقتل عددا من أهله بما فيهم القاضي والوالى ثم أغار على أسوان ، فنهبها وخرب سواقيها ، واسر عددا من أهلها^(٢) .

وإزاء ذلك توجه وإلى قوص على رأس جيش لمحاربة النوبيين ، فتمكن من صدهم عن أسوان ، واخذ يطاردهم إلى أن وصل بالقرب من دنقلة ، فقتل واسر وعاد إلى ولايته^(٣) .

وقد أدرك الظاهر بيبرس هذا الخطر الصليبي الكامن في الجنوب ، وأدرك احتمال طعن النوبيين لمصر من الخلف أثناء انشغالها بتصفية الجيوب الصليبية في بلاد الشام^(٤) هذا فضلاً عن تهديد الطرق التجارية بين موانئ البحر الأحمر والعالم الخارجى ، وخاصة الحجاز واليمن ، وتهديد ثغرى عيذاب وأسوان^(٥) .

وتخليدا لهذه الذكرى شيد داود في مملكته مكاناً سماه عيذاب ، واستخدم في بنائه المسلمين الذين أسرههم خلال حملته ، وبنى في ذلك المكان كنائس ومنازل وميادين ،

(1) J. Cuoq: Op. Cit., p. 72,

سعيد عاشور: الظاهر بيبرس، القاهرة ١٩٦٣م، ص ١١٨، ١١٩،

(٢) ابن ابى الفضايل: النهج السديد، باريس ١٩١١م، ص ٢١١؛ النويرى: نهاية الارب في فنون الادب، مخطوط، دار الكتب المصرية، القاهرة، رقم ٥٤٩، معارف عامة، ج ٢٨، لوحة ٢٥٩،

(٣) المقرئى: الخطط، ج ١٣، ص ٢٠١، وأيضا السلوك، ج ١، ق ٣، ص ٦٠٨؛ ابن كثير: البداية والنهاية، القاهرة ١٣٥٨هـ، ج ٣، ص ٢٦٣؛ ابن اياس: بدائع الزهور، بلاق ١٣١١هـ، حوادث عام ٦٧٤هـ؛ ج فانتينى: المرجع السابق: ص ١٦٢، ١٦٣؛ الحويرى: اسوان ص ٥٥، أسوان، ص ٥٥، سعيد عاشور، مصر فى عصر دولة المماليك البحرية، ص ٧٨؛ العصر المماليكى، ص ٨٠، وانظر كذلك.

J. Cuoq: Op. Cit., p. 69,

(٤) انظر: ابن عبد الظاهر: تشريف الايام والعصور بسيرة الملك المنصور قلاوون. مخطوط رقم ٢٢٢٦ بدار الكتب المصرية، ورقة ٣٠٩ب؛ حسن احمد محمود: الاسلام والثقافة العربية، ج ١، ص ٢٩١، ٢٩٢،

(٥) النويرى: نهاية الارب، ج ٢٨، ورقة ٢٥٩ أ؛ احمد مختار العبادى: قيام دولة المماليك الأولى فى مصر والشام، دار النهضة العربية ١٩٦٩، ص ٢٣٣؛ سعيد عاشور: الظاهر بيبرس، ص ١١٩؛

C.F. : J. Cuoq: Op. Cit., p. 72, Newbold, D.: The Crusaders in the Dea Red and the Sudan, S.N.R.XXVIII, Part 1, pp. 220-226.

ونقش عليها صوراً لقتلى المسلمين واسراهم في عيذاب^(١) ومنطقة أسوان^(٢)، وكان طبيعياً أن يواجه الظاهر بيبرس بكل صلابة وحزم ملك النوبة النصراني - وتأديبه - ووضع حداً لأعماله العدوانية وإخضاعه^(٣) مستغلاً في ذلك النزاع الداخلي الذي احتدم آنذاك بين أفراد الأسرة المالكة النوبية^(٤)، ومغتتماً فرصة لجوء أحد أفرادها واسمه شكند^(٥) إلى بلاط السلطان المملوكي طالباً المعونة والنجدة ضد ابن عمه داود الذي كان قد اغتصب العرش بالقوة^(٦) وأغار على حدود مصر الجنوبية^(٧).

ففي عام ٦٧٤هـ / ١٢٧٥م، أغار النوبيون على أسوان، وقاموا بأعمال السلب والنهب والتخريب فيها، واسروا عدداً من أهلها، سخرتهم في بناء كنيسة سوس (المسيح) في دنقلة^(٨).

(١) تقع أنقاض عيذاب شمال ميناء حلايب على البحر الأحمر بمسافة ١٥ ميلاً شمالاً.

C.F.: Paul: Aidhab, A Medieval Red Sea, Part, S.N R. XXXVI, 1955., p. 64.

أحمد دراج عيذاب، ص ٥٥.

(٢) النويري: نهاية الأرب، خط، ج ٢٨، ورقة ٢٥٩، ابن الفرات: تاريخ الدول ج ٧، ط بيروت ١٩٣٨، ص ٤٧، ٤٨.

(٣) العيني: عقد الجمان، مخطوط مصور رقم ١٥٨٤، تاريخ بدار الكتب المصرية، مجلد ٥٤، ص ٥٨٠، العبادي: مرجع سابق، ص ٢٣٣.

(٤) ابن أبي الفضائل: النهج السديد، ص ٣٣٤، ابن خلدون: العبر، ج ٥، ص ٨٦٢، القلقشندي: صبح الاعشى، ج ٥، ص ٢٢٧، سعيد عاشور: العصر المالكي، ص ٨١.

(٥) ابن أبي الفضائل: النهج السديد، ص ٢٣٤؛ ابن إيبك: كنز الدرر، مخطوط رقم ٤٦٤٣، تاريخ بدار الكتب، ج ٨، ص ١٩٨، وقيل إن اسمه مشكد، المقريزي: السلوك، ج ١، ص ٦٢١، وقيل شكند، المقريزي: الخطط، ج ١، ص ٢٠٢، أو مرقشكر، صبح الاعشى، ج ٥، ص ٢٢٧، أو مرتشكين أو تشكيل ابن خلدون، ج ٥، ص ٨٦٢ أو شكده أو اشكندة، ابن الفرات ج ٧، ص ٤٧، ٤٨.

(٦) المقريزي: الخطط، ج ١، ص ٢٠٢.

(٧) انظر: المقريزي: مخطوط من عبد الله بن أبي السرح وعلاقته بالرسول، دار الوثائق القومية بالخرطوم ورقم ١٠، وانظر كذلك: القلقشندي: صبح الاعشى، ج ٥، ص ٢٧٦.

(٨) ابن إيبك: كنز الدرر، مخطوط رقم ٤٦٤٣، تاريخ بدار الكتب ج ٨، ص ١٩٨، ابن الفرات: تاريخ الدول، ج ٧، ص ٤٥، ٤٦، العيني: عقد الجمان، مجلد ٥٤، و ٥٨٠؛ محمد عبد العال أحمد: المرجع السابق، ص ٩، الحويري: المرجع السابق، ص ٥٦، فانتيني: المرجع السابق ص ١٦٢،

C.F.: J. Cuoq: Op. Cit., p. 72- 73.

جهز السلطان بيبرس حملة برية وبحرية في عام ٦٧٤هـ/١٢٧٥م، وأسند قيادتها لاثنتين من الأمراء هما الأمير شمس الدين آقسنقر الفارقاني الاستادار (١). وعززه بالأمير عز الدين إيبك الأفرم أمير جاندار (٢)، كما طلب من الولاة في قوص وسائر الوجه القبلي مساعدتهما ومدتهما بالمال والرجال (٣)، وبذا ضمت الحملة عددا من جند الأقاليم الأكفاء، وعرب الوجه القبلي، هذا بالإضافة إلى ثلاثمائة فارس (٤). وشاركت البحرية النيلية بعدد من الحراريق (٥) تم شحنها بكثير من الأثقال والسلاح، وانفق السلطان على رجال الحراريق والزرافين (٦) والرماء (٧) وجهزت الزرد خاناة (٨). وكان خروج الحملة من القاهرة في طريقها إل بلاد النوبة في مستهل شعبان عام

(١) الاستادار: وظيفة أرباب السيوف يتولى صاحبها شئون بيوت السلطان كلها من المطابخ والشراب خاناة والحاشية والعلمان، وله مطلق التصرف في استدعاء ما يحتاجه كل من في بيت السلطان من النفقات والكساوى، وما يجرى مجرى ذلك من الممالك وغيرهم. انظر: القلقشندي: صبح الاعشى، ج٤، ص ٢٠، ج٥، ص ٤٥٧، ابن التخرى بردى: النجوم الزاهرة، ج٨، ص ٢٢ حاشية (١)؛ محمود نديم: المرجع السابق، ص ٢٠١.

(٢) أمير جاندار: الأمير الذى يستأذن على دخول الأمراء للخدمة السلطانية ويدخل أمامهم الى الديوان. انظر: القلقشندي: صبح الاعشى، ج٤، ص ٢٠، ج٥، ص ٤٥٩، محمود نديم: المرجع السابق، ص ٢٠٢.

(٣) ابن إيبك: كنز الدرر، ج٨، ص ١٩٨، الذهبى: تاريخ الإسلام، مخطوط رقم ٣٩٦ تاريخ بدار الكتب، ج٢٩، ص ١٢٨، ابن خلدون: العبر، ج٥، ص ٨٦٢؛ المقرئى: الخطط، ج١، ص ٢٠٢، محمد عبد العال: المرجع السابق، ص ١٠، C.F. : J. Cuoq: Op. Cit., p. 74.

(٤) النويرى: نهاية الأرب، ج٢٨، ص ٢٥٩ (١)؛ ابن الفرات: تاريخ الدول ج٧، ص ٤٧، ٤٨، (٥) الحراقة: (Brulot) جمعها حراقات وحراريق. والحراقات سفن فيها مرامى نيران، وقيل هى المرامى أنفسها، وجاء فى الجوهر الحراقة بالفتح والتشديد ضرب من السفن فيها مرامى نيران يرمى بها العدو فى البحر، كما كانت تستعمل فى حمل الأسلحة النارية والحراقة سفينة حربية مهمتها رمى النار على الأعداء، وقد استعملت فى العصور الوسطى، وانتشرت فى جميع أنحاء العالم الاسلامى. انظر: المقرئى: الخطط ج٢، ص ١٩٤؛ سعاد ماهر: البحرية الإسلامية ص ٣٣٩، ٣٤٠؛ محمود نديم: الفن الحربى، ص ٢١٠.

(٦) الزرافين: أى رامى النفط الزراق وهى الأنبوبة التى يزرق بها النفط. السلوك، ج١، ص ٥٩٨ حاشية (٢)؛ محمود نديم: الفن الحربى، ص ٢١٦.

(٧) ابن الى الفضائل: النهج السديد، ص ٢٣٤؛ ابن الفرات: تاريخ الدول ج٧، ص ٤٥، ٤٦؛ المقرئى: الخطط، ج١، ص ١، ٢٠٢، محمد عبد العال: المرجع السابق، ص ١٠.

(٨) الزرد خاناة: أطلق اللفظ أحيانا على السلاح نفسه، أو على السجن المخصص للمجرمين من الأمراء وأصحاب الرتب. محمود نديم: الفن الحربى، ص ٢١٧.

٦٧٤هـ/ ٢٠ يناير ١٢٧٦م^(١). وأمر السلطان قادة الحملة «بتسليم شكندة ما يتم الاستيلاء عليه من البلاد على أن يكون لشكندة النصف والربع من البلاد والربع خالصاً للسلطان^(٢)، وعندما تقدمت الجيوش الزاحفة بحذاء البر الشرقي ومعهم الأساطيل النيلية نحو بلاد النوبة، توجه الأمير عز الدين الأفرم إلى قلعة الدو(الدر) فوجدها محصنة، ولذا قوبل بمقاومة عنيفة حيث كان التكتيك الحربى للقبائل النوبية يعتمد بصورة أساسية على أسلحة الحراب^(٣)، فيذكر ابن الفرات: «ولما قربوا من بلاد السودان خرجوا اليهم على النجب الصهب، وفي أيديهم الحراب، وليس عليهم غير اكسية سود تسمى الدكاديك^(٤)، فبادرهم بالقتال فانهمزموا وقتل منهم خلق كثير واسر أكثر مما قتل^(٥)».

ويبدو مما سبق أن عدة الحرب لدى ملوك النوبة ضئيلة بالنسبة لما كان للجيش المملوكي من الخبرة والدق والبيض من جهاز الدفاع والمعدات الحربية فقد ذكر النويري منها الزراقين والرماة ورجال الحراريق وجهاز الزرد خاناه، وهذه عبارة عن أجهزة تركية تلقى النفط الملتهب؛ وما كان للنوبة سبيل للدفاع عن انفسهم منها^(٦).

(١) النويري: نهاية الأرب، ج٨، ص ٢٥٩ (أ)؛ ابن أبيك: كنز الدرر، ج٨، ص ١٩٨؛ محمد عبد العال، المرجع السابق، ص ١٠؛ فانتيني: المرجع السابق، ص ص ١٦٢، ١٦٣.

(٢) المقصود بالربع الذي للسلطان هو بلاد الجبل، وبلاد العلى فهي ربع بلاد النوبة، أما النصف والربع الباقيين لملك النوبة فالمشاطرة في متحصلاتها. انظر: ابن أبي الفضائل: المصدر السابق، والصفحة، ابن أبيك: نفس المصدر والصفحة، وقال ابن أبيك أيضا أن المتحصل يكون مشاطرة، والنصف للسلطان والآخر لعمارة البلاد وحفظها، كنز الدرر، ج ٨، ص ٢٠٠، سعيد عاشور: مصر في عصر دولة المماليك، ص ٧٩، محمد عبد العال أحمد: المرجع السابق، ص ١٠، C.F. : J. Cuoq: Op. Cit., p. 74.

(٣) ابن الفرات: نفس المصدر، الجزء، ص ص ٤٦، ٤٧.

(٤) الدكاديك: أكسية غلاظ غالبها سود يلبسها النوبيون. ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، مخطوط بدار الكتب رقم ٥٥٩ معارف عامة، ج ٢، لوحة ٤٩٢.

(٥) ابن الفرات: تاريخ الدول، ج ٧، ص ص ٤٦، ٤٧.

(٦) ابن الفرات: المصدر السابق، ج ٧، ص ص ٤٦، ٤٧، النويري: نهاية الأرب، ج ٢٨، ورقة ٢٥٩ (أ) فانتيني: المرجع السابق، ص ١٦٤ وانظر، ملحق الدراسة شكل رقم (٩/٩).

C.F. : J. Cuoq: Op. Cit., p. 74- 75, FF.,

ويشير النويرى واصفاً ميدان القتال، فقال «أغار الأمير عز الدين الافرم على قلعة الدو^(١)، وقتل وسبى اعداداً كبيرة، وسار الأمير شمس الدين فى أثره ليستأصل شأفة من فاقة، وقد رتب رجال البحرية والمشاة البرية، وهم يقتلون من وجدوه فى البحر والبر على حد سواء^(٢)».

ونزل الأمير شمس الدين بجزيرة ميخائيل^(٣)، وهى رأس جنادل النوبة وهى اكثر الأماكن الوعرة، وتقع فى وسط البحر، وقتلوا واسروا جماعة. وانتشلوا المراكب من الجنادل حيث كانت غير صالحة للملاحة^(٤).

واستطاع صاحب الجبل^(٥) ويدعى قمر الدولة كشى الفرار من قلعة الدو، واعتصم بجزائر ميخائيل، حيث كان الملك داود قد ولاه على إقليم مريس خلفا لسلفه الذى كان قد وقع فى الأسر فى الحملة السابقة^(٦). ولما كان من نجاح سياسة المماليك

(١) ارجح الاحتمالات ان الدواو عدوه هى عدة المدينة المحصنة الثالثة بإقليم المريس بعد ابريم ونجراس (فرس)، وكانت تقع على بعد ١٦ كم من الحدود السودانية، وهى تناسب بتحسينها كقلعة مقر حاكم الإقليم انظر: الخريطة شكل رقم (٢، ٣)،

C.F.: Mileham, G., S.,: Churches in Lower Nubia, Philadelphia, 1910, p, 3 FF.

(٢) النويرى: نهاية الأرب، ج٢، ص٢٥٩ (أ)؛ فانتينى: المرجع السابق، ص ١٦٤.

(٣) جزيرة ميخائيل: إحدى الجزر المعروفة بهذا الاسم فهى تقع عند مدخل الشلال الثانى (الجنبل الثانى) وجزائر ميخائيل مجموعة من الجزر الصخرية التى تكون الجنبل الثانى جنوبى حلفا الحالية فى المنطقة المعروفة باسم بطن الحجر. انظر: الخريطة شكل رقم (٢)؛

Mileham, G. S. : Op. Cit., p. 5, Somers Clarke, : Ancient Egyptian frontier fortresses, J. E. A. III, p. 164, Adams, Kush XII, pp. 222. FF., Griffith, IAAAXIV, P. 103;

وانظر كذلك، مصطفى مسعد: الكتبة السودانية، حاشية (٢)، ص٢١٩.

(٤) ابن الفرات: المصدر السابق، والصفحة، النويرى: المصدر نفسه، والجزء والصفحة.

(٥) يعرف حاكم إقليم المريس بصاحب الجبل، وهو من اكثر الولاة مكانه باعتباره المسئول عن الجزء الشمالى من النوبة، من حيث الدفاع عن حدودها، وكذا الإغارة على مناطق مصر الجنوبية. انظر: محمد غيطاس: النوبة، ص ٨٥، مصطفى مسعد: الإسلام والنوبة، ص٨٦، ٨٧.

Plumley: Some examples of Christian Nubian : Excavations at: Qasr Ibrim:

Nubische Kunst, p. 129.

وعن صاحب الجبل انظر: المقرئى الخطط، ج١، ص ١٩٠، وأيضاً السلوك، ج١، ق٣، ص٧٣٧، ٧٥٣.

(٦) انظر: ابن الفرات: المصدر السابق، ج٧، ص٤٦، ٤٧، فانتينى: المرجع السابق، ص ١٦٤، ١٦٥.

في استمالة الأعوان، فقد عمل الفارقاني على اكتساب قمر الدولة فأعطاه أماناً، وأقره على نيابته، وإقامة نائباً عن شكنده، على أن يقسم يمين الولاء والطاعة له ولسلطان مصر^(١)، فقام صاحب الجبل بدور كبير في مساعدة الحملة. «وحصل النفع به في إحضار رجال المريس^(٢)، ومن يقفز المراكب، وظهر همة عالية^(٣)»، فكان لما قام به رجاله من تعدية المراكب إلى ما بعد منطقة الجنادل جنوباً، أثره الكبير في استخدام تلك السفن لمساندة الجيش البري، ومواصلة التقدم جنوباً، فوصلوا إلى دنقلة في الثالث عشر من شوال ٦٧٤هـ / ١٢٦٧م^(٤)، وكانت تلك هي المرة الأولى التي تصل فيها حملة إسلامية مدعمة بأسطول حربي، أما الملك داود فانه كان قد استعد للتصدي للحملة، وخرج مع اخوته وبنى عمومته، وجيوشه ممتطين النجب، بأيديهم الحراب، وليس عليهم غير أكسية سود يسمونها الدكاديك^(٥)، فناوشوهم القتال، فلم تكن غير ساعة حتى ولى السودان منهزمين بعد ما قتل منهم خلق كثير بالنشاب وغيره، واسروا منهم ما لا يقع عليه الحصر.. وانهزم الملك داود فيمن انهزم، وقطع بحر النيل إلى البر الغربي، ثم هرب في الليل إلى بعض الحصون^(٦) ووقع شنكو أخو الملك داود اسيراً^(٧).

(١) النويري: نهاية الارب، ج٢٨، ص ٢٥٩ (أ)؛ المقرئ: المواعظ والاعتبار، ج١، ص ٢٠٢، فانتيني: المرجع

السابق، ص ١٦٤، ١٦٥؛ محمد عبد العال: المرجع السابق، ص ١٢.

(٢) عرف الجزء الشمالي من مملكة النوبة المتاخمة لحدود مصر باسم المريس، واليها يضاف الريح المريسية، انظر:

المسعودي: مروج الذهب، ج ١، ص ٢٤٥، المقرئ: الخطط، ج ١، ص ١٩٠؛ السلوك: ج ١، ق ٣، ص ٧٣٧،

محمد غيطاس: النوبة، ص ٨٥.

(٣) ابن الفرات: المصدر السابق، ج ٧، ص ٤٦، ٤٧؛ ج. فانتيني: المرجع السابق، ص ١٦٥.

(٤) ابن ابيك: كنز الدرر، ج ٨، ص ١٩٨؛ ابن ابي الفضائل: النهج السديد، ص ٢٣٥؛ محمد عبد العال: المرجع

السابق، ص ١٢.

(٥) العمري: مسالك الأبصار، مخط، دار الكتب المصرية رقم ٥٥٩ معارف عامة، ج ٢، ورقة ٤٩٢، انظر ايضاً،

الدكاديك فيما سبق ذكره.

(٦) ابن ابيك: نفس المصدر، والجزء، ص ١٩٨-١٩٩؛ ابن ابي الفضائل: نفس المصدر والصفحة، النويري: نهاية

الأرب، ج ٢٨، ص ٢٥٩ (أ).

(٧) النويري: نفس المصدر والصفحة؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، مخطوط رقم ٣٩٦ تاريخ بدار الكتب، ج ٩ ص ١٢٨؛

ابن الفرات: نفس المصدر، ج ٧، ص ٤٧؛ فانتيني: المرجع السابق، ص ١٦٥.

فلما علم الأمير الفارقاني بفرار الملك داود ، جرد جماعة من العسكر ليلحقوا به^(١) ، وقيل بل واصلت الحملة تقدمها لمطاردته والقضاء على الفارين من جنده ، واستمروا في المطاردة ثلاثة أيام «مجددين الليل والنهار في طلبه»^(٢) ، ومازال السيف في ظهورهم حتى دخل الجميع في الطاعة^(٣) .

اما الملك داود فقد تمكن من النجاة بنفسه وابنه والوصول إلى جهة الأبواب^(٤) تاركاً أمه وأخته وابنه ليقعن أسرى في أيدي قادة الحملة ، الذين توقفوا عن مطاردة الملك وعادوا إلى دنقلة^(٥) .

أما شكندة فقد قام الأمير شمس الدين آقسنقر الفارقاني بتنصيبه ملكاً على النوبة ، وأجلسه على العرش بدلاً من داود ، والبسه التاج على عادة ملوك النوبة ، وقرر عليه قطيعة يرسلها سنوياً إلى السلطان المملوكي^(٦) ، عبارة عن ثلاثة زرافات ، وثلاثة فيلة ، وخمس إناث من الفهود ، وصهب جياد تصل إلى المائة ، وأبقار جياد تصل إلى الاربعمائة ، على ان تكون البلاد مناصفة للسلطان ، والنصف الآخر لعمارة البلاد وحفظها ، لاحتمال ان يطرقها عدو ، وان تكون بلاد العلي والجبل للسلطان وهي قدر ربع بلاد النوبة ، لقربها من أسوان وحمل ما يكون بها من الأقطان والتمر بخلاف ما فرض من بقط عليهم^(٧) . واستوثق منه وحلفه بما نصه : «والله ، والله ، والله ، وحق الثالث المقدس ، والإنجيل الطاهر ، والسيدة الطاهرة

(١) ابن الفرات: نفس المصدر ، ج ٧ ، ص ٤٧ .

(٢) ابن ابيك: كنز الدرر ، ج ٨ ، ص ١٩٩ ؛ ابن ابي الفضائل: نفس المصدر والصفحة ، ابن الفت: ج ٧ ، ص ٤٧ ، محمد عبد العال: المرجع السابق ، ص ١٣ ، فانتيني: المرجع السابق ص ١٦٥ .

(٣) ابن الفرات: نفس المصدر والصفحة .

(٤) الابواب: انظر الفصل الاول؛ المقرئى: الخطط ، ج ١ ، ص ٢٠٢ ، وانظر: الخريطة شكل رقم (١) ، (٢) .

(٥) ابن ابيك: نفس المصدر ، ص ١٩٩ ، النويرى: ج ٢٨ ، ص ١٠٩ ؛ ابن ابي الفضائل : نفس المصدر ، ص ٢٣٥ ؛ ابن الفرات: نفس المصدر والصفحة ؛ ابن خلدون: ج ٥ ، ص ٤٠٠ ، سعيد عاشور مصر في عصر دولة المماليك البحرية ، ص ٨٠ ، العصر المماليكي ، ص ٨١ ، محمد عبد العال: المرجع السابق ، ص ١٤ .

(٦) النويرى: نهاية الارب ، ج ٢٨ ، ص ٢٥٩ ب ؛ ابن الفرات: نفس المصدر ، ج ٧ ، ص ٤٧ ؛ المقرئى: الخطط ، ج ١ ، ص ٢٠٢ ؛ مصطفى مسعد: الاسلام والنوبة ، ص ١٤٨ ؛ حسن محمود: الإسلام والثقافة العربية ، ص ٢٨٠ ، احمد مختار العبادى: قيام دولة المماليك الاولى ، ص ٢٣٣ ؛ محمد عبد العال: المرجع السابق ، ص ١٤ .

(٧) النويرى: نهاية الارب ، ج ٢٨ ، ص ٢٥٩ ب ؛ ابن الفرات: نفس المصدر ، ج ٧ ، ص ٤٧ ، ٤٨ ؛ المقرئى: الخطط ، ج ١ ، ص ٢٠٢ .

العذراء ام النور والمعمودية، والأنبياء المرسلين والملائكة والحواريين والقديسين والشهداء الأبرار، وألا اجحد المسيح كما جحد يودس، وأقول فيه ما يقول اليهود، واعتقد ما يعتقدونه، وألا أكون يودس الذى طعن المسيح بالحريه، أننى أخلصت نيتى وطويتى من وقتى هذا وساعتى هذه للسلطان الملك الظاهر ركن الدنيا والدين ببيرس، وأننى ابذل جهدى وطاقتى فى تحصيل مرضاته، وأننى مادمت نائبه لا اقطع ما قرر على فى كل سنة تمضى، وهو ما تفضل من مشاطرة للبلاد على ما كان يحصل لمن تقدم من ملوك النوبة، وإن يكون النصف من المتحصل للسلطان مخلصا من كل حقى، والنصف الآخر يرصده لعمارة البلاد وحفظها من عدو يطرقها^(١) وإن يكون على فى كل سنة من الافيلة ثلاثة ومن الزرافات ثلاث ومن إناث الفهود خمس ومن الصهيب الجياد مائة ومن الأبقار الجياد المنتخبة أربعة مائة، «وأننى أقرر على كل نفر من الرعاية الذين تحت يدى فى البلاد من العقلاء البالغين دينارا عينا وإن تفرد بلاد العلى والجبل خاصة للسلطان. وأنه مهما كان لدواد (الثانى) ملك النوبة ولأخيه شنكو ولامه ولأقاربه ومن قتل من عسكره بسيوف العساكر المنصورة احمله إلى الباب العالى مع من يرصد لذلك وأننى لا اترك منه شيئا أقل ولا جل ولا أخفيه ولا أمكن أحد من إخفائه.

«ومتى خرجت عن جميع ما قررته او شئ من هذا المذكور أعلاه كله كنت بريئا من الله تعالى ومن المسيح ومن السيدة الطاهرة، واخسر دين النصرانية واصلى إلى غير المشرق واكفر بالصليب واعتقد ما يعتقد اليهود».

«وأننى لا اترك أحداً من العربان ببلاد النوبة، ومن وجدته منهم أرسلته إلى الباب السلطانى».

«ومهما سمعت من الأخبار الضارة والنافعة طالعت به السلطان فى وقته وساعته ولا انفرد بشئ من الأشياء اذا لم تكن مصلحته. وأننى ولى من وإلى السلطان، وعدو من عاداه والله على ما نقول وكيل^(٢)».

(١) النويرى: نفس المصدر، والصفحة؛ ابن الفرات: نفس المصدر، ج ٧، ص ٤٧، ٤٨؛ ابن ابى الفضائل: النهج السديد، ص ٢٣٦ وما بعدها.

(٢) ابن ابيك: كنز الدرر، ج ٨، ص ٢٠٠، ٢٠١، اما القلقشندى فقد أورد نص اليمين على ان ملك النوبة أقسم به للسلطان الملك المنصور قلاوون عند استقراره نائباً عنه فى بلاد النوبة. انظر: صبح الاعشى ج ٣، ص ٢٩٠، ٢٩١؛ محمد جمال الدين سرور: دولة بنى قلاوون فى مصر، ١٩٤٧م، ص ١٥٢، محمد عبد العال: المرجع السابق، ص ١٦، سعيد عاشور: الظاهر ببيرس، ص ١٢٣، العصر المماليكى، ص ٨١.

وفيما يلي صورة الحلف التي حلف بها الرعايا بدنقلا:

..(انى أطيع)، نائب السلطان وهو الملك شكنده المقيم بدنقلة «دنقلا»، وكل نائب يكون للسلطان انا مطيع ولا أرى عليه بردئ ولا أخبئ عنه مصلحة، وكلما اسمعه من الأخبار الجيدة والرديئة أطالع نائبه به؛ ومتى علمت على نائبه الملك شكنده أمراً يخالف المصلحة لا أطيعه فيه، وأطلع السلطان به فى الوقت والساعة. واننى لا ادخل فى حكم داود ولا أكون معه ولا اطلعه بخير من الاخبار ولا ارتضى به ملكا؛ ورضيت بان أقوم بدينار عينا فى كل سنة خالية على^(١).

ويبدو من محتويات القسم ان أهم أغراض السلطان منه كان أمن الحدود الجنوبية لمصر، ولذلك الزم ملك النوبة بان يكون خاضعا له فى كل شئ، وان يخبره باى خبر يتصل بالأمن العام لمصر، ثم تمسك بالحصون المنيعه والممرات الضيقة المسيطرة على الملاحة النهرية فى النيل.

وأخيراً جعل شرطاً واضحاً، وهو ان لا يسمح الملك النوبى بدخول العربان ارض النوبة، ومن المعلوم ان العربان آنذاك كانوا رحالة فى صعيد مصر، وان ولاءهم غير مضمون للسلطان المملوكى، ولذلك كان لا يريد ان يبتعدوا عن يد السلطان خشية ان يتحالفوا مع النوبة، ويصبحون خطراً على حدود مصر^(٢).

وقد وردت فى كتاب المفضل بن ابى الفضائل، وابن الفرات قائمة القرى والحصون التى يملكها السلطان بيبرس ملكاً خالصاً له، ونذكر هنا الأماكن لأهميتها فى الماضى، وربما حصلت بعض الأخطاء فى كتابة أسماء هذه الأماكن ولذلك لا يمكننا تشخيصها كلها. ولكن البعض منها بلاشك واضح بين، وهذه قائمة الأماكن كما دونها أولاً ابن عبد الظاهر كاتب الانشا فى عهد السلطان بيبرس^(٣)، ونقلها عنه المؤرخون:

(١) ابن الفرات: المصدر السابق، ج ٧، ص ٤٨، ٤٩.

(٢) ان تكرار النص على الاحتياط على العربان وعدم تركهم فى بلاد النوبة وإمساحهم لإرسالهم الى السلطان المملوكى، انما يرجع الى ما قاموا به من تعديات على جنوب مصر، والتجائهم الى بلاد النوبة فراراً من السلطان: يؤيد ذلك ما ذكره المقرئى فى حوادث شهر رجب عام ٦٦٠ هـ. انظر ما سبق حملات الظاهر بيبرس، ص. وانظر كذلك: كنز الدرر، ج ٨، ص ٢٠١، ابى الفضائل: مصدر سابق، ص ٢٣٩؛ ابن الفرات: المصدر السابق، ج ٧، ص ٤٨، ٤٩.

(٣) ابن عبد الظاهر: تشریف الأيام والعصور بسيرة الملك المنصور قلاوون، مخطوط بدار الكتب المصرية. ورقة ٢٩٠ (ب)، ٢٩٣ (أ)، ٣٠٧ (ب). انظر الخريطة شكل (٧).

«جزيرة فيلة وضواحيها) واللحاسة). وربما تكون هي جزيرة الحسا الواقعة تلقاء فيلة او قرية الهيسية بقرب ابريم^(١) - (ويودي) وربما هي دبود- (وارض الماء^(٢)) - ولا نعرف ما يقصد بها- (وفيذاك) - غير معروفة ودمهيت وسبقنورة .

وتقع هذه الأماكن في الجزء الأسفل للنوبة المعروفة بالجبل^(٣)، ثم الأماكن الآتية أسماؤها وهي : «الجزء المعروف بالعالى «ادمة، وابريم والدو ودندال- وهي ادندان اليوم، وبخارص (فرص) وسمنة في بطن الحجر. وجزيرة ميخائيل- ثم ذكر الكاتب إقليم بكر ودنقلة واشو^(٤)، . وهذه الأماكن تقع خارج المريس، ولكن السلطان وضع فيها فرقة من جنوده للحراسة^(٥) . وذكر المفضل بن ابى الفضائل ان السلطان اقطع هذه الأماكن إقطاعا لواحد من اقرباء الملك شكند^(٦) .

(١) ابريم من القلاع النوبية الحصينة في إقليم مريس (٢٢٧ ك.م من أسوان جنوبا، وبها معبد فرعونى عظيم (جزيرة فيلة) وينسب إليها لقمان الحكيم وذو النون المصرى طبقا لما ورد عند ابن سليم الاسوانى، وكانت كنيسة تحمل اسم السيدة العذراء مريم، تعلوها قبة عظيمة انظر: المقرئى: الخطط، ج ١، ص ١٩٠، أبا صالح الارمنى: تاريخه، ص ١٢١ .

(٢) ورد عند ابن عبد الظاهر: والى صاحب بارة وهي إحدى الأقسام الإدارية التى كانت تتألف منها مملكة علوة. وليس من المعروف تماما موقعها على وجه الدقة. غير ان دى فيار يرى ان شعب بازة الذين أشار إليهم ابن سليم الأسوانى، وباريا Baryaالذين ورد اسمهم فى نقش عيزانا حوالى أوائل القرن الرابع الميلادى والميجاباريين Megabariالذين ورد ذكرهم جميعا أولئك البارة الذى اشتق اسم الإقليم من اسمهم وانهم كانوا يقطنون على صفاف نهر الاتبرا، فأتبرا تعنى مياه بارة انظر : تشريف الايام ، ورقم ٢٩٣(أ)

C.F. : De Villard Storia Della Nubia Cristiana, p. 148.

(٣) سبق التعريف بها . انظر الخريطة شكل رقم (١) .

(٤) ذكرها بونسية مشو: قرية مشهورة على شاطئ النيل الغربى (٥١٩,٣٤ شمال و ٣٠,٢٣ شرق بين جزيرتى بدين وارفو فى منطقة دنقلا وهي تمثل اهم نقطة على حدود مملكة الفونج الشمالية ، وفيها تجبى الرسوم الجمركية وقد وصفها الرحالة بونسية أثناء رحلته فى مملكة الفونج،

C.F.: C.J. Poncet; A Voyage to Ethiopia made in the year 1698, 1699, 1700, in-
incorporated in the Red Sea and Adjacent countries at the close of the 17th century. Ed
by sir William Forster, London, Vjt society 1949, pp. 96-97.

(٥) ابن ابى الفضائل ، ص ٢٣٩، ابن الفرات، ج ٧، ص ٤٨، ٤٩، ابن عبد الظاهر ، تشريف الايام ، ورقة ٢٩٠ ب، ٢٩٣ أ، ٣٠٧ ب.

(٦) ابن ابى الفضائل: المصدر السابق، ص ٢٣٩، فانتينى: المرجع السابق ، ص ١٦٨ .

بهذه الاتفاقية أصبحت مملكة المقرّة النوبية تابعة من الناحية الفعلية لسلطان مصر للحقائق التالية:

أولاً : ان النوبة (مملكة المقرّة) أصبحت جزءاً من درا الإسلام وان ملك النوبة اصبح نائب السلطان فيها.

ثانياً: يدفع ملك النوبة للسلطان مقدار البقط المعتاد دفعة من ملوك النوبة السابقين، بالإضافة إلى ثلاثة فيلة، وثلاث زرافات، وخمس من إناث الفهود، ومئة من الجياد الأصيلة، وأربعمائة بقرة.

ثالثاً: يدفع الملك نصف واردات دولته للسلطان ، والنصف الآخر يبقى فى يد الملك لعمارة البلاد، ودفع اى عدو يريد غزوها.

رابعاً: ان تصبح منطقة المريس (الجبلة) التى تساوى ربع مساحة مملكة النوبة جزءاً من أراضى السلطان ينيب عليها من يشاء مباشرة.

خامساً: ان يقوم شكندة بإرسال كل ما يخص الملك السابق داود وأقاربه من ممتلكات منقولة إلى السلطان فى القاهرة.

سادساً: ان يدفع كل واحد قادر من السكان النصارى النوبيين جزية سنوية مقدارها ديناراً واحداً.

سابعاً: ان يتعهد ملك النوبة بان يخبر السلطان بكل ما يحدث فى بلاد النوبة ويوافيه بكل الأخبار باستمرار، وان يوالى من يوالى السلطان، ويعادى من يعاديه، وان يحضر إلى الأبواب السلطانية كلما دعاه السلطان، ولا يتأخر عن الحضور لاي سبب من الأسباب الا بمقدار ما يدبر وما يحتاج إليه فى سفره.

ثامناً: ان يمنع العربان من الاستقرار فى النوبة وان يرسل من يقبض عليه منهم إلى الأبواب السلطانية.

تاسعاً: بالإضافة إلى ما سبق. فقد حلف سكان مملكة النوبة(المقرّة) الأيمان الغليظة بان يطيعون شكندة الملك مادام الأخير فى طاعة السلطان وإذا خلع طاعة السلطان فلا طاعة عليهم^(١).

(١) انظر: النويرى: المصدر السابق، ج ٢٨، ورقة ٢٥٩، ٢٦٠؛ ابن الفرات: المصدر السابق، ص ٤٧، ٤٩، ابن ابى

الفضائل: النهج السديد، ص ٢٣٤-٢٣٩، FF., p. 74- 75, C.F. : J. Cuoq: Op. Cit.,

وقد قام قادة الحملة باستنقاذ الاسرى المسلمين الذين أسرهم الملك داود عند إغارته على عيذاب وأسوان^(١)، واعادوهم إلى بلادهم؛ ومما يذكر ان الملك داود كان قد سخر هؤلاء الاسرى في أعمال البناء بموقع في دنقلة سماه عيذاب ، بنى فيه «منازل وكنائس ، وميدان ، وصور فيه قتلى المسلمين بعيذاب ، واسراهم بأسوان، فمحيت تلك التصاوير^(٢)، فوجدوا عدداً من الصلبان الذهب والأواني الفضية وغيرها، قدرت بنحو ثلاثة عشر الف وثلاثمائة دينار، فاستولوا عليها^(٣)».

واقام قادة الحملة في دنقلة لمدة سبعة عشر يوماً، بعد عودتهم من مطاردة الملك داود^(٤)، وانتهوا خلالها من إقرار الأوضاع، واتخذوا طريقهم بعدها للعودة بما غنموه من أموال وسبى وماشية إلى مصر^(٥)، فكان وصولهم إلى القاهرة في الخامس من ذى الحجة سنة ٦٧٤هـ/٢١ مايو ١٢٧٦م، فاحتفل السلطان بيبرس بعودتهم واحسن استقبالهم واجتمع بقائدى الحملة وشكرهما وخلع عيهما^(٦).

ومما يذكر انه بلغ من كثرة السبى، ان بيع الواحد منهم بثلاثة دراهم، وقيل انه بلغ قيمة ما بيع منهم مائة الف درهم وعشرة آلاف من الدراهم، ومع ذلك بقى عشرة آلاف من السبى من غير بيع^(٨). وقد اصدر السلطان مرسوماً حرم فيه بيع احد من هؤلاء لغير المسلمين^(٩)، والا يفرق بين الام وأولادها^(١٠).

اما الملك داود الثانى فانه عندما واجه الجيش المملوكى صاحب الخبرة الحربية المتفوقة انهزم في ميدان دنقلا وهرب إلى المناطق الداخلية وفقاً لاستراتيجية قديمة

(١) النويرى: المصدر السابق، ج ٢٨، ص ٢٥٩ ب.

(٢) النويرى: المصدر نفسه، ج ٢٨، ص ٢٥٩ ب، ابن الفرات: نفس المصدر، ج ٧، ص ٤٧-٤٩.

(٣) ابن الفرات: المصدر نفسه، ج ٧، ص ٤٧-٤٩، محمد عبد العال: المرجع السابق، ص ٧١.

(٤) المقرئى: السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٦٢٣.

(٥) المقرئى: الخطط، ج ١، ص ٢٠٢.

(٦) المقرئى: السلوك، ج ١، ص ٦٢٣.

(٧) ابن ابيك: كنز الدرر، ج ١، ص ١٩٩؛ ابن ابى الفضائل، ص ٢٣٦؛ ابن الفرات: نفس المصدر، ج ٧، ص ٤٩؛

سعيد عاشور: مصر فى عصر دولة المماليك البحرية، ص ٨١؛ العصر المماليكى، ص ٨٣، محمد عبد العال:

المرجع السابق، ص ١٨، وانظر C.F. : J. Cuoq: Op. Cit., p. 74- 75, FF.,

(٨) النويرى: نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٢٥٩ ب، ابن الفرات: ج ٧، ص ٤٩-٥٠، المقرئى: السلوك، ج ١، ص ٦٢٣.

(٩) ابن شاکر الکتبى: عیون التواریخ: مخط بدار الکتب المصریة، ج ١، ص ٥٢؛ ابن ابيك: كنز الدرر، ج ٨، ص ١٩٩.

(١٠) ابن ابى الفضائل: النهج السديد، ص ٢٣٦، سعيد عاشور: العصر المماليكى، ص ٢٨٣، C.F. : J. Cuoq: Op. Cit., p. 74- 75, FF.,

عرفها النوبيون، وهي الانسحاب إلى داخل بلادهم ليستدرجوا العدو بعيداً عن قواعده، وبذلك ينفذ عنده الزاد، فيصبح من اليسير عليهم مطاردته وإبادته^(١).

وهذا ما ورد في كتاب ابن دقماق برواية ابن الفرات: «وإما ما كان من أمر الملك داود، فقال الأمير صارم الدين الشهير بابن دقماق ما معناه: إن الملك داود الثاني لما انهزم من الأمراء قطع البحر إلى البر الغربي، وهو قد هرب في أثناء الليل إلى بعض الحصون فبلغ خبره الأمير عز الدين الأفرم، والأمير شمس الدين الفارقاني فركبا في من كان معهما وساروا في طلبه ثلاثة أيام وهم مجدون الليل والنهار^(٢)».

ويمكننا أن نتساءل عن المكان الذي التجأ إليه الملك داود في هربه وربما كان موضعاً في الشلال الرابع الواقع على كريمة وهي منطقة كثيرة الأوعار والحصون مثل قصر (الكاب) الذي له ممر في بطن الأرض يؤدي إلى النيل. وهذا ما ورد عند المؤرخ المذكور: «فلما أحس بهم ترك أمه وأخته وابنه أخيه ونجا بنفسه هو وابنه. فأخو حريمه ورجعوا إلى دنقلة فأقاموا بها إلى أن ملكوا الشكندة ورتبوه في الملك وقرروا مع كشي وهو صاحب بلاد الجبل أن يكون الدو وإبريم، وهما قلعتان حصينتان قريبتان من أسوان بينهما سبعة أيام خاصة بالسلطان. وفرضوا معه أمر نيابة السلطنة^(٣)».

أمام الملك داود الثاني بعد هرويه من مخبأه السري، فقد التجأ إلى ملك الأبواب. الذي اسمه ادر (أو أدور) وكان أحد الملوك التابعين لملك سوبا الكبير^(٤). غير أن الملك (أدور) لم يقبل لجوئه، بل حاربه وأسره وقيده هو وابنه وأرسلهما إلى مصر فأبقاهما السلطان في قلعة الجبل مسجونين^(٥)، وهكذا انتهت الحملة المملوكية الأولى على مملكة دنقلا^(٦).

(١) ابن الفرات: المصدر السابق، ج ٧، ص ٥٠ (عن ابن دقماق)، ج فانتيني: المرجع السابق، ص ١٦٩.

(٢) ابن الفرات: المصدر السابق، ص ٥٠ (عن ابن دقماق).

(٣) ابن الفرات: المصدر السابق، ج ٧، ص ٥٠.

(٤) المصدر نفسه، والجزء، والصفحة.

(٥) المصدر نفسه، والجزء، والصفحة، ابن خلدون: العبر، ج ٥، ص ٤٠٠، القلقشندي، صبح الاعشى، ج ٥، ص ٢٢٧.

سعيد عاشور: العصر المملوكي، ص ٨٣-٨٤، محمد عبد العال: المرجع السابق، ص ١٩.

(٦) يصور أحد الشعراء هذه الحملة، والذي كان شاهد عيان للدمار الذي أحدثته، ببعض الأبيات التي نقلها عنه ابن الفرات:

(هذا هو الفتح لما أن سمعت به : في شاهد العين لما في الاسانيد)

وكتب المؤرخ القاضي محمد محي الدين عبد الظاهر، وهو مؤلف سيرة الملك الظاهر:

يا يوم دنقلة وقتل عبيدها من كل ناحية وكل مكان

من كل نوبى يقول لأمه نوحى فقد دقوا قفا السودان

انظر: ابن الفرات: ج ٧، ص ٥٠، ٥١.

وانتهت تلك الحملة الناجحة، بعقد اتفاقية جديدة تنظم العلاقات بين مصر والنوبة، وأسفرت عن خضوع بلاد النوبة خضوعاً فعلياً لمصر لأول مرة ، بعد ان تمكنت الحملة من فتحها فتحاً حقيقياً^(١). وكانت ثمرة هذا الفتح نتائج نسوقها فيما يلى:

- ضم القسم الشمالى من بلاد النوبة إلى مصر، ويشمل بلاد العلى والجبل بما فيه قلعتى الدو وأبريم، وتقدر بنحو ربع بلاد النوبة واصبح تحت السيادة المباشرة للسلطان المملوكى، ويقوم صاحب الجبل بصفته نائب للسلطان بحكمه^(٢).

- أصبح ملك النوبة نائبا للسلطان المملوكى على ما بقى تحت يده من البلاد، وبذلك استقر نفوذ مصر فى بلاد النوبة، وانتظم ملوكها فى أداء ما التزموا به للسلطان المملوكى، الذى اصبح من حقه تعيين ملوك النوبة او عزلهم^(٣).

- عوملت بلاد النوبة معاملة البلاد المفتوحة عنوة، واصبح غير المسلمين من أهلها، أهل ذمة، يؤدون ما فرض عليهم من جزية ماداموا على غير الإسلام^(٤).

- اعتناق ملك النوبة الإسلام، ويستدل على ذلك مما ورد فى كتاب من إنشاء ابن عبد الظاهر، كتبه على لسان السلطان بيبرس رداً على رسالة الأمير شمس الدين اقسنقر الفارقانى، ومما جاء فيه: «وأورث سليمان المؤمن ملك داود الكافر^(٥)»، وهذا يعنى ان شكندة بعد ان انتزع الملك من داود، وقد اسلم وتسمى بسليمان.

- انشأ السلطان بيبرس ديواناً جديداً، وهو ديوان النوبة، و اضافه إلى وزارة صاحب بهاء الدين بن حنا ، ورسم له ان يتولى الاشراف عليه، ويستخدم عمالاً على ما يستخرج من النوبة من جزية وخراج ومتابعة انتظام وصولها.

(١) ابن الفرات، ج٧، ص ٥٠، ٥١، سعيد عاشور: العصر المماليكى، ص ٨٣؛ محمد عبد العال، المرجع السابق، ص ١٩.

(٢) النويرى: نهاى الأرب، ج ٢٨، ورقة ١٠٩؛ ابن بهادر: فتوح النصر فى تاريخ ملوك مصر، مخطوط بمكتبة جامعة القاهرة، رقم ٢٦١٦٦، ج ١، ورقة ١٣٠؛ الحويرى: أسوان، ص ٥٦.

(3) C.F. : J. Cuoq: Op. Cit., p. 74- 75.

(٤) محمد عبد العال: المرجع السابق، ص ٢١.

(5) C.F. : J. Cuoq: Op. Cit., p. 75.

- إقبال ملوك الأبواب التابعين لمملكة علوة، الواقعة جنوب مملكة المقررة على الارتباط بعلاقات ودية مع السلطنة المملوكية بعد ان تمكنت قواتها من التوغل داخل أراضي تلك المملكة في مطاردة الملك داود، ولهذا تدفقت هداياهم على البلاط المملوكي ضمنا لعدم تعرضهم للمخاطر^(١).

- تحقق تأمين الحدود الجنوبية لمصر، ولتحقيق الاستقرار فقد تم إنشاء طريقين هامين، يبدأان من مدينة قوص، ويمتد أحدهما إلى أسوان ومنها جنوبا إلى النوبة. ويربط الطريق الثاني بين قوص وعيذاب على البحر الاحمر^(٢).

- تم تنظيم البريد فيما بين مصر والنوبة، لتحقيق الاتصال السريع ومتابعة أخبارها أولا بأول.

بالإضافة إلى الشروط السياسية والاقتصادية المهيمنة في الاتفاق، كان على النوبة ان تتحمل استنزافاً لمواردها البشرية، حتى لو كان رقم (١٠٠٠٠) عشرة ألف أسير الذين نقلوا كما أوردت المصادر التاريخية إلى مصر كعبيد، رقماً مبالغاً فيه بالتأكيد، وربما هذا له دلالاته من الناحية السياسية اذا ان هؤلاء الأسرى كانوا يضمنون رهائن اخذوا من الأسرة المالكة والملك السابق داود الذي سلمه عاهل الأبواب، عندما سعى إليه طالبا اللجوء، وتشهد المراسلات بين بيبرس ويكونوا أملاك على قلق العاهل الأثيوبي على مصير الملك الأسير^(٣).

وعلى أية حال فان حملة السلطان الظاهر بيبرس على النوبة حققت مالم تستطع حملة أخرى ان تحققه في تلك البلاد منذ الفتح العربي لمصر؛ فقد بسطت نفوذ مصر السياسي على بلاد النوبة التي لم تعد تشكل خطراً على حدود مصر الجنوبية

(١) ابن الفرات: المصدر السابق، ج٧، ص ٥١، المقریزی: السلوك، ج ١، ص ٦٢٣؛ العبادي: قيام دولة المماليك، ص ٢٣٣، J. Cuoq: Op. Cit., p. 76.

(٢) انظر: ل. كرويانشيك: النوبة من نهاية القرن الثاني عشر حتى فتح الفونج في بداية القرن السادس عشر، بحث مستخرج من تاريخ أفريقيا العام، المجلد الرابع، اليونسكو، ١٩٨٨م، ص ٤٠٣، سعيد عاشور: العصر المماليكي، ص ٨٢، محمد عبد العال: المرجع السابق، ص ٢١؛ انظر: الخريطة شكل رقم (١).

(٣) ل. كرويانشيك: المرجع السابق، ص ٤٠٤،

الممثلة فى أسوان، وإذا كانت العلاقة بين مصر والنوبة لم تقف عند ذلك الحد فإنها أخذت شكلاً جديداً فقد توقفت اغارات النوبيين على مصر، وصارت سلطنة المماليك بعد بيبرس تتدخل فى شئون النوبة الداخلية، وانتهى الأمر فى عصر الناصر محمد بن قلاوون بسقوط ممالك النوبة المسيحية فى النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادى واعتلى عرشها ملك مسلم هو كنز الدولة (كما سنرى فيما بعد) .

- انهيار مملكة دنقلا المسيحية.

ما بين (٦٧٦هـ-٧١٢هـ / ١٢٧٧م-١٣١٢م)

استقر الملك شكندة في ملك النوبة على ما التزم بأدائه سنوياً ، واستمر الاهتمام بأمر النوبة في عهد السلطان الملك الظاهر بيبرس الذي حرص على استقرار الأوضاع في بلاد النوبة بعد حملته الأخيرة، يبيت العيون لاستقصاء أخبار تلك البلاد، ومراقبة تصرفات الملك شكندة، والتأكد من مدى التزامه بالطاعة والولاء له^(١). فقد كانت أجهزة الاستطلاع في الجيش المصري في العصر المملوكي ركيزة للفن الحربي المملوكي، فكان يتطلب لتحقيقها وتنفيذها من المسؤولين عنها عدة شروط تتحقق من مراعاة إجراءات أخرى مثل ان يوضع في الاعتبار أهمية الاختيار بين وسائله وهي متعددة منها اختيار صاحب الطلائع رجلاً بصيراً، ناضجاً ، أميناً، جسوراً، وحذراً ، كما كان ينبغي ان يكون أهل الطليعة من أهل النصيحة والخبرة والتجربة^(٢).

ولهذا اختار بيبرس لهذه المهمة فداوياً اسماعيلياً يدعى سلامة ليتردد على ملك النوبة، ويكون عيناً عليه للسلطان دون ان يكشف عن شخصيته، فاستصحب معه زميلاً له، فلما وصلا إلى دنقلة تظاهرا بالخلاف وافتعلا خصومة وافترقا، وتمكن زميله من الالتحاق بخدمة شكندة، فأمن له الملك وجعله سلاح داره، وتمكن من اكتساب ثقة الملك، ولم يلبث ان وثب عليه وقتله ، ثم قتل نفسه بعده^(٣).

ويصور لنا ابن عبد الظاهر هذه الحادثة بقوله: «كان قد ترتب في مملكة النوبة بعد الملك داود في الايام الظاهرية ملك اسمه (مشكدت) - وهو شكندة نفسه، وكان الملك الظاهر بيبرس قد أرسل من مملكة الأبواب فداوياً من الإسماعيلية اسمه سلامة

(١) ابن عبد الظاهر: تشریف الايام والعصور، ص ٣٠٩ ب، ٣١٠ أ،

Y.F. Hasan: Op. Cit., p. 111-2 .

فانتيقي: المرجع السابق، ص ١٧١، ١٧٢، الحويري: اسوان، ص ٥٧؛ سعيد عاشور: العصر المماليكي، ص ٨٢ .

(٢) ابن منكلى: التدابير السلطانية في سياسة الصنائع الحربية، مخطوط بدار الكتب المصرية، ص ٢٠؛ الهرثمي:

مختصر سياسة الحروب، مكتبة كويريلي باسطنبول ١٢٩٤، ص ٤٨؛ محمود نديم، مرجع سابق، ص ١٧٠ .

(٣) ابن عبد الظاهر: تشریف الايام والعصور، ص ٣٠٩ ب؛

C.F. : J. Cuoq: Op. Cit., p. 76- 77.

Y.F. Hasan: Islamic External, influences, p. 76.

لكي يتردد على ملك النوبة المذكور. وأمره السلطان بان يخفى انه فداوى. واتفق ان سلامة هذا استصحب صبياً لزيقاً، فظهر سلامة خصومه بينه وبين الصبي اللزيق، ففارقة. وأقام اللزيق عند الملك مشكدت (شكندة). فاطمأن الملك إليه وجعله سلاحداره- اى الحارس الشخص للملك- فجلسوا فى مشربه فقفز الصبي على الملك مشكدت وقتله. وقتل الصبي، وملك شخص اسمه برك وتوج فى الأيام السلطانية^(١).

ويعتقد الدكتور مصطفى مسعد ان سلامة هذا كان من أولئك النوبيين العاملين بمصر، واصله من مملكة الأبواب التابعة لمملكة علوة، ويبدو ان السلطان بيبرس لم يكن مطمئناً تمام الاطمئنان إلى ولاء مشكدت فقرر أزالته واستبداله بملك آخر يطمأن إلى إخلاصه للسلطنة المملوكية ويكون عينا للسلطان فى ارض النوبة، وكلف بيبرس سلامة التابع للطائفة الإسماعيلية باغتيال مشكدت- شكندة- وهذا يدل على خبرة سلامة ببلاد النوبة، وعادات أهلها وتقاليدهم لأنه كان نوبيا^(٢).

وبعد اغتيال الملك شكندة توج الملك برك حسب عادات النوبة؛ وكان ذلك فى بداية عهد السلطان الملك المنصور المعروف بابن قلاوون (٦٧٦-٦٨٨هـ/١٢٧٧-١٢٨٩م^(٣)).

ورغبة فى تشديد قبضة مصر على النوبة، فقد تم إرسال الأمير علم الدين سنجر المعظمى سنة ٦٨٥هـ/١٢٨٦م، إلى ملك الأبواب وعلى الرغم من انفراد ابن عبد الظاهر بأخبار تلك السفارات، الا انه توقف عن ذكر الأسباب الداعية إلى إرسالها، ومع ذلك يمكن القول ان السلطان قلاوون كان حريصاً على استقصاء أخبار تلك البلاد من أجل توطيد أواصر العلاقات مع المملكة النائية، يؤكد ذلك انتهاز ملك الأبواب فرصة وصول الأمير المملوكى لبيعث برسله معه، حاملين رسالة وهدية للسلطان قلاوون، تقريباً إليه، ولتقديم فروض الطاعة والولاء له، وللشكوى من ملك

(١) تشریف الايام والعصور، ٣٠٩ب، ٣١٠أ.

(٢) يتفق مع رأى الدكتور مصطفى مسعد المؤرخ المستشرق Joseph Cuq.

Islamisation de la Nubie Chretienne, p, 76,

المكتبة العربية السودانية، ص ٢٠٠، ٢٠١؛ فانتيلى: المرجع السابق: ص ١٧١، ١٧٢.

(٣) J. Cuq: Op. Cit., p. 76.

دنقلة، فكان وصول رسل صاحب الأبواب بصحبة الأمير سنجر المعظمى إلى القاهرة في رمضان عام ٦٨٥هـ/مارس ١٢٨٦م^(١). ويبدو ان ملك دنقلة أحس بان توطيد العلاقات بين ملك الأبواب والسلطنة المملوكية، خطر على بلاده^(٢)، ويضعها بين شقى الرجا، مصر فى الشمال، ومملكة الأبواب فى الجنوب، لذلك ترصد الأمير المملوكى واعترض طريقه أثناء عودته، وقام باحتجازه، واعتزم ان يقتله، لكن رجال حاشيته تصدوا له، وقالوا: «أتريد ان تخرب ديارنا واعمارنا» وثاروا عليه وعزلوه، وقاموا بتنصيب ملك غيره^(٣).

وقد لاحظ الدكتور محمد عبد العال ان ابن عبد الظاهر برغم انفراده بجزئيات دقيقة بحكم عمله، واتصاله المباشر بالسلطين، الا انه تناقض فى بعض النصوص منها^(٤):

- انفراده بذكر استخدام الظاهر بيبرس للفداوى الاسماعيلى، مع ان الواقع ينفى إمكانية تعاون الإسماعيلية معه، بعد ان قضى عليهم واكتسح حصونهم ومعاقلم فى نهاية عام ٦٧١هـ/١٢٧٢م.

- وفى الوقت الذى أشار فيه ابن عبد الظاهر إلى قيام أصحاب ملك النوبة بعزله، عندما هم بقتل الأمير التركى علم الدين سنجر المعظمى سنة ٦٨٥هـ/١٢٨٦م، وتنصيب ملك آخر بدله، وعدم ذكر اسم اى من الملكين. عاد وأشار فى موضع آخر إلى هذين الملكين باسميهما، وجعل عزل الملك على يد الأمير علم الدين سنجر المسرورى المعروف بالخياط، وهو غير علم سنجر المعظمى السابق

(١) انظر: ابن عبد الظاهر : تشرىف الايام والعصور، ص ٢٩٠ب، ٢٩٣(أ)؛

C.F. Cuoq: Op. Cit., p. 77.

(٢) انظر: ابن عبد الظاهر: نفس المصدر، ورقة ٢٩٠ ب.

(٣) انظر: ابن عبد الظاهر: نفس المصدر، رقم ٢٩٠ب؛ سعيد عاشور: العصر المماليكى، ص ٨٦، محمد عبد العال:

المرجع السابق، ص ٢٣، غير ان برك قتل فى موضع آخر من كتاب ابن عبد الظاهر بامر السلطان قلاوون، كما

ورد بقوله: «فلما توجه الامير علم الدين سنجر السوروى امسكه واتلف الملك برك وولى بدله شخص اسمه

شمامون النوبى». انظر ابن عبد الظاهر : نفس المصدر، ورقة ٢٩٠ (ب)؛ فانتينى : المرجع السابق، ص ١٧٢.

(٤) محمد عبد العال احمد: المرجع السابق، ص ص ٢٤، ٢٥.

(٥) المقريزى : السلوك، ج ١، ص ٦٠٨.

الإشارة إليه، فقد أشار في حوادث عام ٦٨٦هـ / ١٢٨٧م، إلى ان الملك برك- الذي تولى بعد مقتل شكندة- كانت قد بدت منها أموراً استوحيت قيام السلطان بإرسال من يتولى إقرار الأوضاع ، قال ابن عبد الظاهر: «ولما توجه الأمير علم الدين سنجر المسروري، امسكه وأتلف وولى شخص اسمه سامون^(١)» .

وهكذا جعل ابن عبد الظاهر عزل الملك عن طريق علم الدين سنجر الخياط وليس عن طريق حاشية القصر، كما سبق وأشار في حوادث السنة السابقة ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م مع ان حملة علم الدين سنجر الخياط سنة ٦٨٦هـ / ١٢٨٧م كانت موجهة ضد سامون، ولم تكن موجهة ضد برك اى انها لم تكن من نتائجها تنصيب سامون^(٢) .

(١) ابن عبد الظاهر: نفس المصدر ، ورقة ٢٩٠ ب؛ مصطفى مسعد: الاسلام والنوبة، ص ١٥٣؛

C.F. : J. Cuoq: Op. Cit., p. 77.

(٢) انظر فيما يلى - ص ١٠٦ وما بعدها.

حملات المنصور قلاوون:

كان سمamon هو ملك النوبة المعاصر للمنصور قلاوون، وكانت ولايته بعد عزل سلفه برك عن طريق حاشية القصر سنة ٦٨٥هـ/١٢٨٦م، وليس بمعرفة الأمير سنجر الخياط سنة ٦٨٦هـ/١٢٨٧م، لأن التوقيت الأخير يتعلق بحملة السلطان المنصور قلاوون^(١)، التي اسند قياداتها إلى هذا الأمير، والتي كانت من اجل القضاء على سمamon، ولم تكن من اجل تنصيبه ملكا على تلك البلاد. يؤكد ذلك قيام سمamon- بمجرد توليه عرش النوبة- بإعداد سفارة إلى السلطان قلاوون، وصلت إلى القاهرة في السادس من رمضان ٦٨٥هـ/٢٦ أكتوبر ١٢٨٦م، أي في نفس الوقت الذي عاد فيه سنجر المعظمي من سفارته، بعد نجاته على ايدي حاشية الملك برك الذي كان قد اعتزم قتله، وأن رسل سمamon قد جاءوا بصحبة ذلك الأمير المملوكي بما معهم من الهدايا^(٢) التي بعثها معهم في محاولة منه للتظاهر بالولاء للسلطان المملوكي، اكتسابا لتأييده.

ولقد كان الملك سمamon قد التزم للسلطان عند تنصيبه بأمر لا تختلف عما تعهد به شكندة، ولكنه لم يف بوعده، وفهم السلطان ان سمamon لم يكن افضل من الملوك السابقين من ناحية الوفاء للسلطنة^(٤). ولذلك توجهت من مصر ثلاث حملات لتأديب هذا الملك، وإخضاعه للسلطنة غير ان سمamon لم يواجه الجيوش المملوكية، اذ هرب إلى داخل البلاد وربما فر إلى موضع بقرب جزيرة مقرات الواقعة في النيل تجاه ابي حمد، وكان من الصعب الإبحار إليها. وبعد رجوع الجيوش من دنقلا إلى مصر كان سمamon يعود إلى مقرة، ويؤدب كل من تعاون مع عدوه^(٥).

(١) يذكر ابن خلدون والقلقشندي ان حملة قلاوون تلك كانت ٦٨٠هـ، العبر ج ٥، ص ٩٢١؛ صبح الاعشى، ج ٥، ص ٢٢٧؛ محمد عبد العال: المرجع السابق، ص ٢٥.

(٢) ابن عبد الظاهر: المصدر السابق، ورقة ٢٩٣ (أ).

(٣) ابن عبد الظاهر: نفس المصدر، والصفحة؛ سعيد عاشور: العصر المماليكي، ص ٨٥، ٨٦؛ مصطفى مسعد: الاسلام والنوبة ص ١٥٣.

(٤) ابن عبد الظاهر: نفس المصدر، ورقم ٢٩٣ (أ)؛ فانتيبي، المرجع السابق، ص ١٧٢،

J. Cuoq: Op. Cit., p. 76.

(٥) فانتيبي: المرجع السابق، ص ١٧٢، ١٧٣،

J. Cuoq: Op. Cit., p. 77.

وفيما يلي تفاصيل الحملات على النوبة:

اما عن الحملة الأولى فقد وصل إلى مصر في شهر رمضان ٦٨٥هـ / أكتوبر ١٢٨٦م، وفداً من الملك آدور ملك الأبواب يحمل هدية وهي فيل وزرافة ورسالة تعبر عن طاعة ذلك الملك، وأن الملك آدور هذا هو الذي قبل منذ عشر سنين القبض على الملك داود الثاني ملك دنقلا وسلمه مقيداً إلى السلطان؛ واشتكى الوفد من بعض العراقيل التي جعلها سمamon ملك دنقلا أمام رسل ملك الأبواب فاجبر الرسل على السفر إلى مصر عن طريق البحر الأحمر بدلاً من النيل (١).

وفي عشرين من ذي القعدة سنة ٦٧٥هـ / الموافق ٧ يناير سنة ١٢٨٧م، أرسل السلطان قلاوون الأمير علم الدين سنجر المعظم رسولاً إلى آدور ملك الأبواب وهذا يدل على وجود علاقات حسنة بين ملك الأبواب والقاهرة (٢).

وسافر رسول السلطان إلى ملك الأبواب عن طريق دنقلا، فحاول سمamon إلقاء القبض عليه وقتله، ولكن كبار المملكة منعه من ذلك قائلين أتريد أن تدمر ديارنا وتقتصر أعمارنا، ولذلك يذكر ابن عبد الظاهر أن النبلاء اسقطوا الملك وأقاموا ملكاً بدلاً منه غير أن سمamon لم يتخل عن العرش (٣). ولما عاد الأمير علم الدين إلى مصر اجبر على أن يأخذ طريقاً آخر في العودة، واشتكى من معاملة ملك دنقلا أمام السلطان، وبعد عودة الأمير علم الدين المعظم إلى القاهرة وصل وفد من الملك سمamon ببذل الهدايا ويعبر عن طاعته، وقدم مائتي بقرة، ومائة وتسعين رأس رقيق هدية للسلطان (٤). غير أن السلطان قرر إرسال رسولين آخرين أحدهما إلى الأبواب والآخر إلى دنقلا ليقيفا على حقيقة الأمور في تلك البلاد. وربما كان يقصد أن يتجسسا عليهما استعداداً لحملة حربية أخرى (٥). وفعلاً قام السلطان قلاوون بتكليف وإلى القاهرة علم الدين سنجر المسروري المعروف بالخياط للقيام بحملة على بلاد النوبة (٦). بالاشتراك في القيادة العسكرية مع

(١) ابن عبد الظاهر: المصدر السابق، ورقة ٢٩٠ب، فانتيني: المرجع السابق، ص ١٧٣.

(٢) ابن عبد الظاهر: المصدر السابق، ورقة ٢٩٣أ، محمد عبد العال: المرجع السابق، ص ٢٦.

(٣) ابن عبد الظاهر: المصدر السابق، ورقة ٢٩٠ب.

(٤) المصدر نفسه، ورقة ٢٩٠ب.

(٥) ابن عبد الظاهر: مصدر سابق، ورقم (أ)، فانتيني: المرجع السابق، ص ١٧٣.

(٦) أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، ط بيروت ١٢٨٦هـ، ج ٤، ص ٢٢؛ المقرئ: السلوك، ج ١، ق ٣، ص

٧٣٦ وما بعدها؛ عاشور: العصور المملوكية، ص ٨٦، ٨٧؛ محمد عبد العال: المرجع السابق، ص ٢٦.

الأمير عز الدين الكوراني. ويبدو أن الأمر كان خطيراً وعاجلاً، لأن السلطان لم ينتظر حتى يتم إعداد الحملة التي تكونت في قوص من «جماعة من أجناد الولايات بالوجه القبلي. والقراغلامية، وجرّد الأمير عز الدين أيدمر السيفي السلاح دار متولى الأعمال القوصية بعدته وبمن عنده من المماليك السلطانية المركزيين بالأعمال القوصية، وأجناد مركز قوص وعربان الأقاليم وهم: أولاد أبى بكر وأولاد عمر وأولاد شريف، وأولاد شيبان، وأولاد الكنز، وجماعة من العربان البرلسية وبني هلال^(١)».

وتوجه الأمير سنجر الخياط وزميله في طريقهما إلى قوص في السادس من ذى الحجة ٦٨٦هـ/١٢٨٨م لتنظيم القوات ومواصلة التقدم إلى بلاد النوبة، للتخلص من سمّامون والعمل من أجل إقرار الأوضاع في تلك البلاد، وضمان إرسال ما تم إلزام النوبة بالوفاء به، منذ عهد الظاهر بيبرس ووصوله إلى مصر في موعده.

وبوصول الحملة إلى الأراضي النوبية، تم تقسيم الجيش إلى قسمين، أحدهما بقيادة الأمير علم الدين سنجر الخياط في البر الغربي للنيل، وأسندت قيادة القسم الثانى إلى الأمير عز الدين أيدمر في البر الشرقى، وهو الجانب الذى فيه مدينة دنقلة وغيرها^(٢) من المدن الهامة، ولهذا كانت المعارك أو معظمها على تلك الضفة من النيل^(٣).

ويقرر المقرئى أن تحرك القوات المملوكية سواء فى الصعيد الأعلى أو منطقة المريس، والأراضى النوبية - حيث تسيطر عليه بنو ريبة الكنوز. كان مجال ترحاب

(١) النويرى: نهاية الارب، ج ٢٩، لوحة ٢٧٣ (ب)، ابن خلدون: العبر، ج ٥، ص ٨٦٣، المقرئى: السلوك، ج ١، ص ٧٣٦، ٧٣٧.

(٢) النويرى: نهاية الارب، ج ٢٩، ص ٢٧٣ (ب): السلوك، ج ١، ص ٧٣٧.

(٣) وتقع دنقلا العجوز على الشاطئ الايمن على خطى ١٣، ١٨، ٥ شمالاً و ٤٥، ٣٠ شرقاً وقد اندثرت معظم معالم المدينة ولم يبق منها الا مسجدها المشهور ايضا :

Y.F. Hasan: Op. Cit., p. 110, 125, Poincet, pp. 99-100.

وانظر: الطبقات، حاشية (١٤)، ص ٢١٧، وانظر الخريطة شكل رقم (٤).

(٤) النويرى: نهاية الارب، ج ٢٩، ص ٢٧٣ (ب)؛ المقرئى: السلوك، ج ١، ص ٧٣٧؛ مصطفى مسعد: الاسلام والنوبة، ص ٥٥؛ محمد عبد العال احمد: المرجع السابق، ص ٢٧.

من مشايخ البلد وأعوانه، اذا يظهرون لهم الطاعة والولاء ويأخذون عهدا بالأمان^(١). وكان سمamon ذا مكر ودهاء وبأس اذا ما قورن بغيره من ملوك النوبة، فلم يكدر يعلم بوصول الحملة إلى أطراف بلاده، حتى أرسل إلى صاحب الجبل ويدعى جريس - وهو نائبه على جزائر ميخائيل- وعمل الدو- وأمره بإخلاء بلاده من أهلها أمام الجيش المملوكي الزاحف^(٢)، والانسحاب بمن معه للانضمام اليه في دنقلة لتكثر بهم قواته، ويتمكن من التصدي للقوات المملوكية^(٣)، والدخول في معركة معها حين وصولها منهكة القوى لطول الطريق ونفاذ ما معها من مؤن؛ فكان جريس يرحل بمن معه أمام الممالك منزلة بمنزلة إلى ان وصلت إلى دنقلة^(٤).

انتهاز سمamon فرصة وصول الأمير عز الدين أيدمر السيفي بقواته أمام دنقلة والتحم معه في معركة عنيفة قبل ان تستريح تلك القوات، غير ان المعركة انتهت بهزيمة ساحقة لسمamon ومقتل عدد كبير من جنده. واسرع إلى الفرار جنوبا إلى مملكة الأبواب فتعقبه الأمير لمسيرة خمسة عشر يوما جنوبى دنقلة^(٥).

ولكنه تمكن من الإفلات، لذلك اكتفى أيدمر بأسر جريس صاحب الجبل واحد أبناء خاله الملك، وعاد بهما إلى دنقلة^(٦).

وما ان عاد الأمير أيدمر حتى بادر بتنصيب ابن أخت سمamon ملكا على النوبة^(٧)، وقبل مغادرة الحملة بلاد النوبة، قام قادتها بإقرار الأوضاع؛ فاصبح جريس نائبا للملك على المناطق التي كان واليا عليها، بعد ان اقسام يمين الولاء للسلطان

(١) المقرئى: السلوك، ج ١، ص ٣، ص ٧٤٩.

(٢) النويرى: نفس المصدر، والصفحة؛ المقرئى: السلوك، ج ١، ص ٧٣٧، محمد جمال الدين سرور، دولة بنى قلاوون، ص ١٥٠.

(٣) محمد عبد العال: المرجع السابق، ص ٢٨، محمد جمال الدين سرور: المرجع السابق، ص ١٥٠ C.F. : J. Cuoq: Op. Cit., p. 77. (FF).

(٤) النويرى: نهاى الارب، ج ٢٩، ص ٢٧٣ (ب)؛ سعيد عاشور: العصر الممالكي، ص ٨٧.

(٥) ابن خلدونه: العبر، ج ٥، ص ٨٦٣.

(٦) انظر: المقرئى: الملوك، ج ١، ص ٧٣٧؛ محمد جمال الدين سرور: دولة بنى قلاوون، ص ١٥٠؛ محمد عبد العال: المرجع السابق، ص ٢٨.

(٧) ابن خلدون: العبر، ج ٥، ص ٨٦٣، فانتيلى: المرجع السابق، ص ١٧٤.

المملوكى وملك النوبة، وتقرر عليهما قطيعة^(١) يحملانها إلى الأبواب السلطانية سنويا، وترك معهما فريق من الجند لمساندتهم^(٢).

ويورد القلقشندي نصا لاتفاقية جديدة بين المماليك والملك الجديد تشبه في محتوياتها المعاهدة التي عقدت مع شكندة أيام السلطان بيبرس مع وجود بندين مختلفين^(٣).

الأول. عدم وجود شروط بطرد العربان الذين يلجأون إلى مملكة النوبة ولعل ذلك ناتجا عن تبدل العلاقة بين المماليك والقبائل العربية نظراً للدور الذى لعبته هذه القبائل فى مساعدة القوات المملوكية التى هزمت الملك النوبى سمامون.

اما البند الثانى فينص على وجوب مصادرة جميع أنواع الأسلحة من أيدي السكان المحليين؛ وهذا شرط وقائى لمنع الناس من الثورة على الملك الجديد الموالى للسلطان المملوكى، وكذلك لاضعافهم حتى لا يقوموا بالهجوم على الحامية المملوكية فى دنقلة^(٤).

أما قادة الحملة فقد عادوا مع باقى العسكر إلى القاهرة فى التاسع من رجب عام ٦٨٧هـ / ٩ أغسطس ١٢٨٨م بعد ان «ملكوا بلاد الدر والنوبة وتلك الأماكن جميعها، وقتلوا أهلها واسروهم»^(٥)، وغنموا كثيراً من الرقيق والخيل والجمال والأبقار والاكسية، احضروها معهم مع عدد كبير من الأسرى، فاحسن السلطان استقبالهم، وكان يوماً مشهوداً، اذ قام السلطان بتوزيع كثير من السبى على خواصه وحاشيته، والأمراء والجند، وبيع غيرهم بأبخس الأثمان، حتى كثروا بأيدي الناس، وخلع السلطان على الأمير علم الدين سنجر الخياط وولاه المهمندارية^(٦).

(١) القطيعة: ما يفرضه السلطان على ولاية او ناحية من المال سنويا، او ما يقرره فى احوال غير عادية كالغرامة الحربية.

انظر: الخطط الجديدة التوفيقية لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، ط بولاق ١٣٠٥هـ ج ١١، ص ٤.

(٢) انظر: ابن الفرات: المصدر السابق، ج ٨، ص ٥٢، ٥٣، فانتينى: المرجع السابق، ص ١٧٤.

(٣) القلقشندي: صبح الاعشى، ج ١٣، ص ٢٩٠، ٢٩١.

(٤) القلقشندي: صبح الاعشى، ج ١٣، ص ٢٩٠-٢٩١.

(٥) ابن الفرات: نفس المصدر، والجزء ص ٥٢، ٥٣؛ محمد جمال الدين سرور: المرجع السابق، ص ١٥٠؛ سعيد

عاشور، مصر فى عصر دولة المماليك البحرية، ص ٨٤؛ محمد عبد العال: المرجع السابق، ص ٢٩.

(٦) المهمندار: هو الذى يتلقى الرسل والعربان والواردين على السلطان وينزلهم دار الضيافة، ويتحدث فى القيام

بامرهم. انظر: ابن الفرات: المصدر السابق، ج ٨، ص ٥٢، ٥٣؛ القلقشندي: صبح الاعشى، ج ٤، ص ٢٢،

ج ٥، ص ٤٥٩؛ محمود نديم: المرجع السابق، ص ٢٣٤؛ محمد عبد العال: المرجع السابق، ص ٣٠.

ومما يذكر ان المراسلات كانت متواصلة بين قادة الحملة وبين السلطان فقد أشار المقرئى إلى وصول كتب الأمير علم الدين سنجر الخياط مع الأمير ركن الدين منكورس الفارقانى إلى السلطان فى جمادى الأخرى عام ٦٨٧هـ / يوليو ١٢٨٨ ، تفيد بفتح دنقلة ، فخلع السلطان عليه واعاده بجواب الرسالة إلى دنقلة ، وقد امر فى جوابه بعودة الأمير علم الدين سنجر الخياط ببقية قواته ، اما الأمير عز الدين أيدمر والى قوص فقد أمر السلطان بان يظل فى دنقلة مع من تقرر بقاءهم هناك ، كما أرسل اميراً نوبياً يدعى سعد الدين سعد وهو ابن أخت الملك داود ، ليكون مع الأمير أيدمر لمعاونته ، لما له من خبرة بأحوال بلاده ، غير ان أيدمر اكتفى بترك حامية وعاد مع الحملة ، فأقام سعد الدين عنده بقوص^(١) .

(١) المقرئى: السلوك، جـ ١، ٣، ص ٧٤٣؛ سعيد عاشور: العصر الممالكى، ص ٨٨؛ مصطفى مسعد: الاسلام والنوبة، ص ١٥٦؛ فانتينى: المرجع السابق، ص ١٧٤ .

– حملة قلاوون الثانية :

لم يكد الجيش المملوكى يعود إلى القاهرة . حتى ظهر سمamon من جديد وقام بطرد الملك الذى نصبه المماليك، وكذلك حاكم المريس، كما طرد الحامية التى تركها الجيش المملوكى فى دنقلة^(١).

ولما وصلت الأنباء إلى القاهرة أرسل السلطان المملوكى حملة عام ٦٨٨هـ / ١٢٨٩م^(٢)، وقام بتجهيزها على ان تكون أقوى من الحملة السابقة^(٣). واسند قيادة هذه الحملة للأمير عز الدين ايبك الافرم أمير جاندار، وأرسل معه ثلاثة من الأمراء هم: الأمير سيف الدين قبجاق المنصورى والأمير سيف الدين بكتمر الجوكندار، والأمير عز الدين ايدمر وإلى قوص، وفى صحبتهم ملك النوبة ونائبه. وجرى معهم اطلاق^(٤). كثير من الأمراء، وسائر أجناد المراكز بالوجه القبلى، ونواب الولاة، ومن عربان الوجهين القبلى والبحرى عدة أربعين ألف رجل^(٥). وجهز معهم نحو خمسمائة من

(١) المقرئى: السلوك: ج ١، ص ٧٤٣؛ الحويرى: اسوان ص ص ٤٠، ٤١؛ محمد عبد العال: المرجع السابق، ص ٣٠؛ سعيد عاشور، العصر المماليكى، ص ٨٨؛ مصطفى مسعد: الاسلام والنوبة، ص ١٥٦،

C.F. : J. Cuoq: Op. Cit., p. 78.

(٢) ابن الفرات: نفس المصدر، ج ٨، ص ٨٣٨٢؛ السلوك، ج ١، ص ٧٤٣؛ محمد جمال الدين سرور: المرجع السابق، ص ١٥١. MacMichael: Op. Cit., V. 1, p. 184.

ونذكر الدكتور سعيد عاشور ان اسم الملك الجديد هو (بدمه)، العصر المماليكى، ص ٨٩،

C.F. : J. Cuoq: Op. Cit., p.78- 79.

(٣) النويرى: نفس المصدر، ج ٢٩، ص ٢٧٣ (ب)، ابن الفرات: نفس المصدر، ج ٨، ص ٨٣٨٢؛ ابن خلدون: العبرة، ج ٥، ص ٨٦٣؛ المقرئى: السلوك، ج ١، ص ٧٤٣؛ محمد عبد العال: المرجع السابق، ص ٣٠، فانتينى: مرجع سابق، ص ص ١٧٤، ١٧٥.

(٤) «اطلاب، لفظ كردى معناه الامير الذى يقود مائتى فارس فى ميدان القتال، ويطلق اللفظ ايضا على قائد المائة او السبعين، وقد عدل مدلول اللفظ فاصبح يطلق على الكتيبة من الجيش، انظر: محمود نديم: الفن الحربى فى العصر المملوكى، ص ٢٢٢؛ سعيد عاشور: العصر المماليكى، ص ٤٥٥، وقد ضمت الحملة طلب الامير زين الدين كتبغا المنصورى، وطلب الامير بدر الدين بيدرا المنصورى، وطلب الامير سيف الدين بهادر رأس نوبة الجمدارية، وطلب الامير علاء الدين الطبرسى وطلب الامير شمس الدين سنقر الطويل. النويرى: نفس المصدر، ج ٢٩، ص ٢٧٣.

(٥) النويرى: نفس المصدر والصفحة؛ ابن الفرات: نفس المصدر والصفحة، المقرئى: السلوك، ج ١، ص ٧٤٩؛ سعيد عاشور: مصر فى عصر دولة المماليك البحرية، ص ٨٥؛ العصر المماليكى، ص ٨٩؛ مصطفى مسعد: الاسلام والنوبة ص ١٥٧.

الحراريق والمراكب الصغار والكبار لحمل الازواد والزررد خاانة والاثقال^(١).

كان خروج الحملة من القاهرة فى الثامن من شوال سنة ٦٨٨هـ / ٢٨ أكتوبر ١٢٨٩م^(٢) ولم تكد تصل إلى أسوان حتى مات ملك النوبة المصاحب للحملة، فأرسل الأمير عز الدين ايبك الافرم إلى السلطان لإبلاغه، فجهز أحد أبناء أخت الملك داود ليتم تنصيبه بدلاً عنه، فأدرك الحملة على خيل البريد قبل مغادرتها أسوان، واستأنفت الحملة تقدمها مع تقسيم الجيش إلى قسمين كالمعتاد، فكان نصف العسكر بقيادة ايبك الافرم، وسيف الدين قبجاقي فى البر الغربى، أما النصف الثانى فكان بقيادة عز الدين ايدمر وسيف الدين بكتمر فى البر الشرقى، والمراكب فى النيل بالازواد والأثقال والسلاح^(٣)، وتقدم جريس نائب ملك النوبة طليعة أمام الحملة ومعه أبناء الكنز أمراء أسوان، لتأمين أهل البلاد، وإدخال الطمأنينة على قلوبهم، ولتجهيز الاقامات لرجال الحملة، فكان إذا وصلت بعدهم استقبلها المشايخ والأعيان بفروض الطاعة والولاء، فيؤمنهم الأمراء، وقد تم ذلك فى المنطقة الواقعة فيما بين قلعة الدو وجزائر ميخائيل. وهى البلاد التى تحت يد جريس صاحب الجبل ونائب الملك، اما البلاد الواقعة إلى الجنوب منها، فلم يكن لصاحب الجبل عليها ولاية او سلطان، وقد قام أهلها بإخلاؤها تنفيذاً لأمر سمamon^(٤).

فلما انتهى قادة الحملة إلى دنقلة لم يجدوا فيها الا شيخاً كبيراً وامراً عجوز، وتأكد التجاء سمamon إلى إحدى الجزر النيلية الواقعة على مسيرة خمسة عشر يوماً إلى الجنوب من دنقلة، فتعقبه ايدمر ومن معه، ولم تصحبهم حراقة ولا مركب لعدم صلاحية الملاحة فى تلك المنطقة^(٥). فلما وصل الأمير ايدمر وأصحابه إلى البر المقابل للجزيرة^(٦)، قام بمراسلة سمamon لافئاعه بالدخول فى الطاعة، وبذل له الأمان، فلما ابى

(١) النويرى: نفس المصدر والصفحة؛ ابن خلدون: العبر، ج ٥، ص ٨٦٣.

(٢) ابن الفرات: نفس المصدر والصفحة؛ المقرئى: السلوك، ج ١، ص ٧٤٩.

(٣) النويرى: نهاية الارب، ج ٢٩، ص ٢٧٤ (ب).

(٤) المقرئى: السلوك، ج ١، ص ٧٤٩؛ سعيد عاشور، العصر المماليكى، ص ٩٠؛ محمد عبد العال: المرجع السابق،

ص ٣٢؛ فانتينى: المرجع السابق، ص ١٧٤، ١٧٥.

(٥) المقرئى: السلوك، ج ١، ق ٣، ص ٧٥٠.

(٦) المصدر نفسه، والجزء، ص ٧٥١.

أوهمه بأنه أرسل في طلب الحراريق والمراكب لاقتحام الجزيرة والقضاء عليه، فلاذ بالفرار إلى جهة الأبواب على مسافة ثلاثة أيام جنوبى تلك الجزيرة- وعندئذ تخلف عنه معظم أمرائه وجنده، وكذلك فارقة الأسقف والقس ومعهم الصليب الفضى- الذى يحمله الملك على رأسه وتاج الملك، وطلبوا الأمان من الأمير أيدمر ودخلوا فى طاعته فأمنهم وخلع على اكابرهم، ثم عادوا معه إلى دنقلة^(١).

وقد توصل الأستاذ الدكتور محمد عبد العال عندما تعرض للأمير عز الدين ايبك الافرم ودوره فى تلك الحملة^(٢)، انه ورد فى كتاب تشريف الأيام والعصور لابن عبد الظاهر خبر عن الأمير ايبك الافرم مبتور البداية، ومتصل بخبر اخر لا علاقة له ببلاد النوبة، وهو بدوره مبتور النهاية^(٣)، ولهذا اعتبر البعض ان ما ورد عن الأمير الافرم يتعلق بحملة قام بها هذا الأمير فى عهد الاشرف خليل^(٤). ولما كان كتاب تشريف الأيام والعصور يتعلق بسيرة المنصور قلاوون، فقد أثار نسبة هذا الخبر إلى الاشرف خليل مع وجود البتر فى بداية الخبر الشك فى ان الكتاب المذكور لم يحظ بالعناية الكافية من المحققين، مما استلزم الرجوع للنسخة الخطية الوحيدة التى اعتمد عليها المحقق، واذا كان قد تبين انه لا خلاف بين المخطوط وبين ما تم نشره، الا انه تم التأكد من وجود بتر فى المخطوط نتيجة فقد عدد من كراسات المخطوطة تتضمن بقية حوادث عام ٦٨٦ هـ اعتبارا من شهر ربيع الأول وإلى أثناء حوادث ٩٨٩ هـ حيث الخبر المبتور البداية المتعلق ببلاد النوبة مما يجعل من المرجح انها تتعلق بحملة قلاوون الثانية، وانها لم تكن فى عهد الاشرف خليل، يؤكد ذلك اتفاق بعض تفصيلاتها مع ما أورده المصادر الأخرى عن حملة قلاوون الثانية^(٥).

(١) ابن الفرات: نفس المصدر، ج٨؛ محمد جمال الدين سرور: دولة بنى قلاوون، ص ١٥١؛ سعيد عاشور: مصر فى عصر دولة المماليك البحرية؛ ص ٨٩؛ مصطفى مسعد: الاسلام والنوبة، ص ١٥٨؛ محمد عبد العال: المرجع السابق، ص ٣٣.

(٢) محمد عبد العال احمد: المرجع السابق، ص ٣٣.

(٣) اشار الدكتور سعيد عاشور الى ان اخبار تلك الحملة مقتضية. انظر مصر فى عصر دولة المماليك البحرية، ص ٨٨.

(4) MacMichael: Op. Cit. Vol. 1, p. 185.

مصطفى مسعد: الاسلام والنوبة، ص ١٥٨-١٦١.

(٥) مخطوط رقم ١٧٠٤ بالمكتبة الاهلية ببائيس، وصورتها رقم ٢٢٢٦ تاريخ تيمور بدار الكتب المصرية.

ويبدو ان الأمير ايبك الافرم، قد توغل جنوبا للقبض على الملك انى الذى كان قد تمكن من الوصول إلى جهة الانج، وهى من الأقاليم التابعة لصاحب الأبواب^(١) - وقد يكون (آنى) هذا نائبا لسمامون)، وربما كان هو الذى أشارت إليه بعض المصادر باسم (أمى^(٢)) او (آى^(٣)) او (إياى^(٤)) بعد ذلك - ومن اجل اللحاق به ساق الأمير ايبك الافرم خلفه متعديا ونقله بمدة ثلاثة وثلاثين يوماً، ولكن الملك آنى تمكن من النجاة، وعانى العسكر المملوكى من شدة العطش وقلة المؤن. ويبدو انه كلف ملك الأبواب بالقضاء عليه، ويستدل على ذلك من كتاب ملك الأبواب للأمير ايبك الافرم، حيث ورد فيه انه «ساق خلف الملك آنى، وان بلاد الانج تغلب عليها ملك غير ملكها، وانه متحيل فى أخذها منه وإذا أخذها صار بلاد السودان فى قبضة مولانا السلطان وطاعته^(٥)».

ولما اجتمع أمراء الحملة - بعد عودتهم - فى دنقلة احتفلوا بتنصيب الملك الجديد ولبست العسكر آلة الحرب ، وطلبوا من الجانبين الشرقى والغربى للنيل - وزينب الحراريق، ولعب الزراقون بالنفط، ومدت الاسمطة، ثم ملكوا الملك النواصل من الأبواب السلطانية^(٦) ، والبسوه التاج على عادة ملوكهم، وحلفوه للسلطان قلاوون^(٧) وحلفوا له الرعية انهم لا يطيعونه إلا مادام فى طاعة السلطان، «وانه اذا خرج عن الطاعة ينزع التاج منه، ويسير إلى الأبواب العالية، وقال له أهل البلاد: لولا مولانا

(١) ابن عبد الظاهر: نفس المصدر ، ٣١١ (ب).

(٢) القلقشندى: صبح الاعشى ، ج ٥ ، ص ٢٧٧، ويرى الدكتور مصطفى مسعد ان انى كان ملكا (مكا) تابعا للملك الكبير سمamon ، وربما كان هذا الملك حاكما على المنطقة المجاورة لمملكة الأبواب التابعة لمملكة علوة، وربما يكون عدائه للسلطان. انظر: المكتبة لسودانية ، حاشية رقم (٢)، ص ١٩٩ .

(٣) ابن خلدون: العبر، ج ٥، ص ٩٢٢.

(٤) المقرئى: السلوك، ج ٢، ص ٨، ٧.

(٥) ابن عبد الظاهر: نفس المصدر ، ص ٣١١ (ب)، ٣١٢ (أ)؛ محمد عبد العال: المرجع السابق، ص ٣٤ .

(٦) ذكر ابن عبد الظاهر ان الملك الجديد اسمه (بُدْمَة)، تشرىف الايام والعصور، ص ٣١١ (ب) .

(٧) النويرى: نفس المصدر، ج ٢٩، ص ٢٧٤ (ب)؛ ابن الفرات: نفس المصدر، ص ٨٢، ٨٣؛ المقرئى: السلوك، ج ١، ص ٧٥٢؛ محمد جمال الدين سرور، نفس المرجع ، ص ١٥١، سعيد عاشور: نفس المرجع، ص ١٥٣؛ محمد عبد العال: نفس المرجع، ص ٣٥ .

السلطان ما اطعنك، ومتى تغيرت امسكانك، ونحن نرضى ان يقيم مولانا السلطان لنا ملكا فلاحا او جبليا، فان بلاد النوبة مالها ملك الا مولانا السلطان ونحن رعيته^(١).

كما قرر قادة الحملة على بلاد النوبة، ما كان قد تقرر على من سبقه من بقط وخلافه، ثم رتبوا معه طائفة من العسكر مقدمهم ركن الدين بيبرس العزى أحد ممالكك الأمير عز الدين أيدير وإلى قوص^(٢)، وكانت عودة الحملة إلى القاهرة في آخر جمادى الأولى ٦٨٩هـ / يونية ١٢٩٠م^(٣)، بعد ان حققت الهدف الذي أرسلت من اجله من حيث الانتقام من سامون، وتنصيب من اختاره السلطان المملوكى ملكا على تلك البلاد.

غير ان الأمور لم تستقر طويلا، اذ تمكن سامون من العودة إلى دنقلة ليلا «وصار يقف على باب كل سوكرى (أمير) بنفسه ويستدعيه، فإذا خرج ورآه، قبل الأرض بين يديه، وحلف له، فما طلع الفجر حتى ركب معه جميع العسكر النوبى، فرحفت بهم على دار الملك، وقبض على الملك وأرسل إلى ركن الدين بيبرس ان يتوجه إلى مخدومه بحيث لا يلتقيا، فتوجه ركن الدين ومن معه إلى قوص، واستقر سامون بدنقلة، واخذ الملك الذى ملكه العسكر، فقراه من ثيابه وذبح ثورا وقد جلده سيورا ولفها عليه طرية.. فبيست تلك السيور فمات وقتل جريس أيضا^(٤)».

وتفاديا لوصول حملات مملوكية أخرى، لجأ سامون إلى التودد إلى السلطان قلاوون، وأرسل إليه بعض رجاله بكتاب وهدية، ليستعطفه ويسأله الصلح^(٥)، والإقرار به ملكا على النوبة، وتعهده بالالتزام بطاعته، وإرسال البقط وما يزيد عليه منذ عهد

(١) ابن عبد الظاهر : تشریف الايام والعصور، ورقم ٣١١ (ب).

(٢) النويرى: نفس المصدر، والصفحة؛ ابن الفرات: نفس المصدر، والصفحة.

(٣) النويرى: نفس المصدر، والصفحة؛ ابن الفرات: نفس المصدر، والصفحة، وذكر ابن عبد الظاهر عودة عز الدين ابيك الافرم فى الخامس من شهر ربيع الثانى ٦٨٩هـ؛ محمد عبد العال: المرجع السابق، ص ٣٥.

C.F. : J. Cuq: Op. Cit., p. 79. (FF).

(٤) النويرى: نهاية الارب، نفس المصدر والصفحة؛ ابن الفرات: نفس المصدر، ج ٨، ص ٨٢، السلوك، ج ١، ص ٧٥٣.

C.F. : J. Cuq: Op. Cit., p. 78-79.

(٥) النويرى: نهاية الارب، ج ٣٠، ص ٣٣٣، ابن خلدون: العبر، ج ٥، ص ٨٦٤.

بيبرس. كما احتوت هديته على الرقيق وكثير التقادم، فكان وصول هذه السفارة في أواخر عهد السلطان المنصور قلاوون، في وقت شغل السلطان فيه بما هو أهم من النوبة، وذلك انه كان يستعد للزحف على عكا لاستخلاصها من بقايا الصليبيين، وقيل ان المنصور قلاوون استجاب لسامون واقره على النوبة، بعد ان حلف على يمين مطابق لذلك الذي حلف عليه شكندة من قبل، فاستقر سامون بالنوبة إلى أيام كتبغا المنصوري (٦٩٤-٦٩٦هـ / ١٢٩٤-١٢٩٦م^(١)).

(١) ابن الفرات: المصدر السابق، ج ٨، ص ٩١؛ النويري: ج ٢٩، ورقة ٢٧٤ (ب)؛ السلوك، ج ١، ص ٧٤٩؛ سعيد عاشور: مصر في عصر دولة المماليك البحرية؛ ص ٢٨٧؛ فانتيني: المرجع السابق، ص ١٧٧.

- الموقف فى عهد السلطان الاشرف خليل:

(٦٨٩-٦٩٣هـ / ١٢٩٠-١٢٩٣م)

اما فيما يتعلق بالموقف على عهد السلطان الاشرف خليل بن قلاوون فليس لدينا سوى ما أورده محى الدين بن عبد الظاهر فى كتاب الألفاظ الخفية وهو يتعلق بمحاولة ملك النوبة تبرير تأخره فى إرسال البقط المقرر، وأوضح انه اضطر إلى ذلك نتيجة لما لحق ببلاده من تخريب «بسبب دخول العساكر الإسلامية إليها كرة بعد كرة ، واحتج بصاحب الأبواب الملك ادر، وانه قد زاد بلاده خرابا إلى خرابها، وذهابا إلى ذهابها، وسوادها، وفسادا إلى فسادها»^(١).

وفى الوقت نفسه كتب إلى السلطان يعتذر عن عدم قدرته على دفع البقط، ويستفسر عن صحة أقاربه الموجودين فى القاهرة رهائن فى البلاط المملوكى^(٢).

وجاء الرد بان أقاربه بخير وانهم يتلقون معاملة ممتازة، وعناية خاصة، وتوعده السلطان بالويل والثبور ان لم يعد لدفع الالتزامات المترتبة عليه^(٣)، ويقول النويرى: «وأرسل السلطان خليل (الاشرف بن قلاوون) رسولا ينذر (شمامون) ملك النوبة. فخاف ملك النوبة من الإنذار السلطاني. وكان الملك مهتما بأحوال والدته وحريمه اللواتى أخذهن السلطان رهائن فى الأبواب السلطانية؛ فأفاده السلطان بان حالتهم بخير فقررت لهم الرواتب وأجزلت المواهب؛ فأرسل شمامون البقط ، وكان فى وفده أخوه رسول الملك إلى السلطان»^(٤).

ويبدو ان شمامون أوجس خيفه وخشى من عاقبة مناكفته للسلطان، لذلك بعث وفدا إلى الأبواب السلطانية فى القاهرة برئاسة أخيه مصحوبا بهدايا قيمة ، وبما اعتاد

(١) ابن عبد الظاهر: الالفاظ الخفية، ط ليبزج، ١٩٠٢م، ج٣ ، ص ٣٩-٤٠،

J. Cuq: Op. Cit., p. 80. FF.

(٢) قال ابن عبد الظاهر: «ان ملك النوبة كانت عنده خشية تحجزه ، وخفيفة تعجزه ، فسير اليه مولانا السلطان امانا شريفا يزيل وجهه ويبسط امله وحصل الالتفات الى والدته وأخوته وعمته واهله المقيمين رهائن فى الابواب الشريفة بدور الضيافة، فقررت لهم الرواتب وأجزلت المواهب، انظر المصدر السابق، والصفحة.

(٣) ج. فانتينى: المرجع السابق، ص ١٧٧، ١٧٨ .

(٤) النويرى: نهاية الارب، ج٢٨، ورقة ٢٧٤ .

ملوك النوبة دفعه للسلطان من أموال^(١). وحمل الوفد رسالة إلى السلطان يعرض فيها سمamon طاعته ، ويلتمس من السلطان قبول ولائه، ويستعطف رضائه وعفوه ويرجوه إرسال والدته إليه، لأن ملوك النوبة ، كما قال في رسالته ، «لا يدير ملوك النوبة سوى النساء ، ويقترح إرسال والدته لتديره هي ومن معها»^(٢).

ان ما كتبه سمamon ملك النوبة عن الدور الذي كانت تلعبه والدته الملك في بلاده عادة قديمة تعود إلى عصر المملكة المروية قبل ظهور الديانة المسيحية وكانت (قنداة). الملكة الوالدة المروية- تشترك مع ابنها الملك في تدبير شئون المملكة. وإذا ماتت والدته الملك كان من عادات الملوك ان يختاروا إحدى نساء الأسرة ويطلقون عليها لقب (الملكة الوالدة) وهي تلعب دور الملكة الام^(٣) ، ولا شك في ان ما كتبه سمamon عن دور والدته وحريمه حسب تقاليد النوبة يدل على استمرار هذه العادة المروية القديمة حتى عهد النوبة المسيحية اى لمدة تزيد على ألف عام^(٤).

وفى الوقت نفسه يشكو من ملك الأبواب، ويطلب من السلطان عدم تصديق وشاياته به، وسير سمamon هدية رقيق مائتان رأسا وهجن وجمال مائتان، وتمر مائتان إردبا وشب مائة وعشرون قنطار، وسند باج ألف وخمسمائة رطل، وفهود وهزير أربعة إلى غيرها كما جرت العادة^(٥).

ويبدو ان السلطان قبل عذره ولبى التماسه. ولا تتحدث المصادر بعد ذلك عن العلاقات بين الممالك وسمamon الذىبقى يحتل عرش النوبة حتى ايام الملك العادل

(١) ابن عبد الظاهر: المصدر السابق، ص ٤٠، J. Cuoq: Op. Cit., p. 80.

(٢) ابن عبد الظاهر: الاطراف الخفية، ص ٣٩-٤٠؛ ابن الفرات: المصدر السابق، ج ٨، ص ٩٢.

(٣) فى العهد المسيحي جاء فى قول ابن الملك زكريا ملك دنقلا عند زيارته لبغداد فى عهد الخليفة العباسى المعتصم

(٨٣٣-٧٤٢م) عن قومه «ان امرنا بايدى نساءنا، انظر البلاذرى: ص ٢٣٨، ومازال السودانيون يرددون المثل

القاتل «الخال شريك الوالد، وفى المآتم تنادى النساء الميت «ياود امى، ان كان رجلا او «يايت امى، ان كانت

امراة، وكلها تعابير تكشف عن صدق ومتانة الصلات الامومية التى غرست فى البيئة السودانية منذ العهد

المروى. انظر: عمر حاج الزاكي: الاله آمون فى مملكة مروى ٧٥٠ ق م - ٣٥٠م؛ جامعة الخرطوم ١٩٨٣، ص

١٢٧، فانتيلى: المرجع السابق، ص ١٧٨.

(٤) عمر حاج الزاكي: الاله آمون فى مملكة مروى، ص ١٢٧.

(٥) ابن عبد الظاهر: الاطراف الخفية، ص ٤٠.

زين الدين كتبغا المنصوري (٦٩٤-٦٩٦هـ / ١٢٩٤-١٢٩٦م^(١)). ولا توضح المصادر الكيفية التي انتهى فيها سامون ، وهل خلع عن العرش او مات موتاً طبيعياً. كان ذلك ما أورده ابن عبد الظاهر في كتابه المذكور، خاصا بأخبار بلاد النوبة في عصر الاشرف خليل. وليس فيما أورده اية إشارة إلى قيامه بإرسال حملات على بلاد النوبة، مما ينفي ما ذكره البعض عن إرساله حملة بقيادة الأمير عز الدين الافرم، اعتمادا على ما ورد في كتاب تشريف الأيام والعصور من خبر مبتور البداية عن حملة الأمير عز الدين الافرم، أثبت أستاذنا الدكتور محمد عبد العال انه متعلق بحملة السلطان قلاوون الثانية، والتي كان عز الدين الافرم قائدا لها^(٢).

وعلى ايه حال فان العلاقات بين مصر المملوكية والنوبة بقيت ودية نحو عقد من الزمان، وتصمت المصادر عن ذكر اية معلومات عن العلاقة بين الطرفين حتى عام ٧٠٤هـ/ ١٣٠٤م عندما وصل الملك آماى ملك النوبة إلى القاهرة حاملا الهدايا ومقدما الولاء للسلطان، وفي الوقت نفسه طلب مساعدة السلطان لقمع ثورة في بلاده،، ولا تشير المصادر إلى طبيعتها أو تفصيلاتها، ولبي السلطان طلب الملك النوبى وأرسل معه قوة عسكرية استطاع بمساعدتها ان يتخلص من الثائر، وبقي ملكا على النوبة حتى قتل عام ٧١١هـ/ ١٣١١م من قبل أخيه كرنبس الذى خلفه في الحكم^(٣).

هكذا نستنتج مما ذكرته المصادر التاريخية ان نفوذ المماليك في النوبة كان

(١) النويرى: نهاية الارب ، ج ٢٨ ورقة ٢٧٤، ابن الفرات: ج ٨ ، ص ٩٢، ويذكر دى فيلارد : De Villars ان سامون قد حكم حتى عام ١٢٩٣م، ولكن هذا القول يناقض ما تذكره المصادر حول هذا الموضوع، بالاضافة الى ذلك فان قائمة ملوك النوبة التي صنفها De Villars تحتاح الى اعادة النظر، واعادة ترتيب بعد استقصاء المصادر العربية المختلفة ، ولا تصلح لان يعتمد عليها دون مقارنتها بالمعلومات الواردة في المصادر الاولى .
انظر M. Monneret De Villars: Storia Della

Nubia Cristiana, Roma, 1938, p. 223.

وجدير بالذكر ان كلا من د/ مصطفى مسعد، ود/ عطية القوصى ينقل قائمة ملوك النوبة عن دى فيلارد دون مناقشة او تعديل. انظر: مصطفى مسعد : الاسلام والنوبة، ص ٢٨١-٢٨٢؛ عطية القوصى: تاريخ دولة الكنوز، ملحق رقم ٤، ص ١٤٨، ١٤٩ .

(٢) انظر فيما سبق ، ص ١١٣ .

(٣) المقرئى: السلوك، ج ١ ، ص ٤٢١، ج ٢ ، ص ٧؛ فانتيني: المرجع السابق، ص ١٧٩ .

متزايداً، أما قوة النوبيين فكانت تتضاءل سنة بعد أخرى، والدليل على ذلك هو استعانة الملك آماي بالسلطان المملوكي لينتصر على عدو لم يذكر اسمه، وربما كان أحد الأمراء من الاسرة المالكة، وقد هرب من دنقلا إلى داخل البلاد. فأرسل السلطان فرقة من الجيش المملوكي تحت قيادة الأمير سيف الدين طقصبا وإلى قوص كما سنعرض في سلطنة الناصر محمد^(١).

(١) أبو الفدا: المختصر، ج ٤، ص ٥١؛ المقرئ: السلوك ج ٢، ص ٧-٨، محمد عبد العال: المرجع السابق، ص

C.F. : J. Cuoq: Op. Cit., p. 80.٣٩,

الاتصالات بين النوبة والصليبيين:

عندما كانت ممالك النوبة في الربع الأول من القرن الرابع عشر الميلادي تتضاءل وبأخذ نجمها في الأفول، وبينما كان كرنيس يبذل كل ما في طاقته لكي يمنع الزحف العربي الإسلامي إلى أول معقل في ممالك النوبة وهي دنقلا في هذا الوقت حاول الصليبيون ان يتصلوا بالنوبة ليدخلوا حلفا عسكريا^(١). لكي يتمكنوا ان يضعوا مصر بين فكي الرحى من الوجه القبلي ومن الوجه البحرى فى آن واحد^(٢). والبرهان القاطع لهذه المحاولة هو ما جاء على لسان الراهب هيطون الأرمني، وهو شقيق ملك أرمينيا آنذاك، فى كتابه زهرة الشرق، إذ ذهب هذا الراهب إلى فرنسا حيث كان البابا مقيما، وقدم له كتابه عن أحوال الشرق الأدنى، واقترح ان يكتب قداسه خطاباً- باللغة اللاتينية إلى ملك النوبة المسيحى فيرسلها إلى ملك أرمينيا- المقيم فى جزيرة قبرص آنذاك- فيقوم الملك بترجمتها ثم يرسل رسولا موثوقا به ليحمل الخطاب الى ملك النوبة وأضاف الراهب الكاتب قائلاً: انه لا شك لديه فى أن يقوم الملك النوبى ويخرج معه جيوش ضد جيوش السلطان المصرى - محمد ناصر بن قلاوون- إكراماً لإيمانه بالمسيح^(٣).

ولا نعلم هل كتب البابا الخطاب حسب طلب الراهب المذكور ، ولكنه يبدو من هذا ان الصليبيين قد حاولوا التحالف مع القوات المسيحية الموجودة جنوب مصر، الا انهم لم يعلموا حالة النوبة آنذاك وحقيقة الوضع فيها وربما كان الكثيرون من الصليبيين - لعدم دقة المعلومات الجغرافية- قد خلطوا بين النوبة- اى مملكة دنقلا - والحبشة الذى ظهر فيها بعض الملوك من أمثال عمدا صيون ١٣١٤-١٣٤٤ م من بين الذين دخلوا فى صراع مع المسلمين واشتهر فى الشرق والغرب آنذاك.

(1) Newbold. D., : The Crusaders in the Red Sea and the Sudan, S. N. R. , XXXV Part II, p. 221.

(٢) انظر: يوسف فضل حسن: دراسات فى تاريخ السودان والمعالم الرئيسية فى الهجرة العربية الى السودان، ص ٤٢، حسنين محمد ربيع: البحر الاحمر فى العصر الايوبي، ندوة البحر الاحمر، ص ١٠٨؛

C.F. : J. Newbold: Op. Cit., p. 221.

محمد غيطاس: النوبة ، ص ص ١١٤، ١١٥ .

(٣) ج. فانتيلى : المرجع السابق، ص ١٨٠ .

أما الكاتب مارين سانودو البندقى فقد وضع خطة عسكرية لمحاصرة مصر برا وبحرا، وتضييق الحناق على السلطان فى سبيل المعركة الفاصلة، وقد تقدم بهذه الخطة حوالى سنة ٧١٠هـ / ١٣١٠م للمرة الأولى، ثم خطته فى سنة ٧٢٠هـ / ١٣٢٠م للمرة الثانية وتحديث فى كتابه عما إذا كان النوبيون يثورون فى بلادهم على السلطان على حدود مصر الجنوبية، ولكنه أضاف قائلاً ان قوة النوبة العسكرية ضئيلة للغاية - ان وجدت لديهم- واستطرد قائلاً ان النوبيون محتاجين إلى تأييد من الغربيين وليس فى طاقاتهم ان يسيروا بقوة عسكرية كبيرة من الجبهة الجنوبية^(١).

ويبدو ان هذا الكاتب كان يعلم حالة النوبة علما صحيحا، وربما كانت مصادر معلوماته هم التجار الذين أتوا من مدينة جنوة من اجل ان يصدروا إلى مصر بعض المواد الضرورية ، فوافق السلطان على ان يذهبوا إلى دنقلا فى سبيل تجارتهم وذلك منذ عام ٦٨٩هـ / ١٢٩٨م^(٢).

(١) فانتينى: المرجع السابق، ص ١٨١، انظر ملحق الدراسة: قطعتان من الفن الفخارى النوبى كلاهما من دنقلا. اناء

معلق يوضع فيه المصباح وستار للشباك (شعرية) بشكل صليب ، متحف السودان القومى. شكل رقم (٦/٩) .

(٢) ج. فانتينى: المرجع السابق، ص ١٨١ .

– الموقف فى عهد سلطنة الناصر محمد :

أما عن الموقف فى عهد سلطنة الناصر محمد ، ففي عام ٧٠٤هـ / ١٣٠٤م وفد الملك آى^(١) على البلاط المملوكى حاملا الهدايا من الجمال والأبقار والرقيق والشب والسنباذج^(٢)، فاحسن السلطان استقباله واكرم وفادته وقبل هديته، واستجاب له وأمدّه بنجدة لمساعدته على استعادة عرشه، واسند قياده هذه الحملة إلى الأمير سيف الدين طقصبا نائب السلطنة بقوص^(٣)، وقد أرسل معه قوة عسكرية متمثلة فى جماعة من الوافدية وعدة من أجناد الحلقة، ونحو ثلاثمائة فارس من أجناد الولاية بالوجه القبلى بالإضافة إلى كثير من العربان^(٤).

بقيت هذه الحملة المصرية فى النوبة تسعة عشر شهراً، وواجهت من المشاق والأهوال بسبب قلة الأزواد، وهجوم الأعداء الشرش حسب ما جاء فى قول المقرئى: «وفى سنة ٧٠٦هـ (١٣٠٦م) عاد الأمير طقصبا ومعه العسكر من بلاد النوبة إلى قوص بعد غيبتهم تسعة عشر شهرا ومقاساتهم أهوالا فى محاربة السودان وقلة الزاد^(٥)».

ولا تمدنا المصادر عن هذا الملك الا انه ظل جالسا على عرش دنقلا عندما شرع الأخ هيطون الأمير الأرمنى سنة ٧٠٧هـ / ١٣٠٧م ان يتوسط بين ملك النوبة وقادة الصليبيين ليدخلوا حلفا عسكريا استعدادا لمحاربة مصر من الجبهة الشمالية – البحرية- والجبهة الجنوبية – النوبية^(٦) اذ قال ابن خلدون: «لا أدري أكان متعاقبا

(١) ذكر كل كم المقرئى والقلقشندى ان اسمع (أمى) السلوك، ج٢، ص ١٠٧؛ صبح الاعشى، ج٥، ص ٢٢٧؛ وسماء ابو الفدا (إيادى) المختصر، ج٢، ص ٥٣، وليس من المستبعد ان يكون هو (أنى) الذى اشار ابن عبد الظاهر الى مطاردة عز الدين الافرم له الى منطقة الابواب اثناء حملة قلاوون الثانية . انظر: محمد عبد العال: المرجع السابق، ص ٣٩ .

(٢) السنباذج: مادة حجرية للجلا.

C.F.: Dozy: Supp. Dict. Arab.

(٣) ابو الفدا : المختصر، ج٤، ص ٥١؛ المقرئى: السلوك، ج٢، ص ٧-٨ .

(٤) المقرئى : السلوك، ج٢، ص ٧-٨ .

(٥) المصدر نفسه، ج٢، ص ٧ .

(٦) ج. فانتيلى: مرجع سابق، ص ١٨٠ .

لسمامون أو توسط بينهما متوسط، وقد توفي آى سنة ٧١٦هـ/١٣١٦م) وملك بعده فى دنقلة أخوه كرنبس وقيل ان وفاة آى سنة ٧١١هـ^(١).

وعندما تولى كرنبس عرش النوبة بعد مقتل أخيه. عمل على اكتساب تأييد السلطان المملوكى له، وتوجه بنفسه إلى القاهرة سنة ٧١١هـ/١٣١١م لتسليم ما التزم ملوك النوبة بأدائه مما قرر عليهم^(٢).

— جهود الناصر محمد فى إقرار الأمن فى بادية عيذاب :

يشير المقرئى إلى إرسال الناصر محمد لحملتين إلى صحراء عيذاب ومنها إلى دنقلة كانت الأولى سنة ٧١٥هـ/١٣١٥م بسبب استيلاء عرب بركة عيذاب على هدية كان سلطان اليمن قد بعثها مع رسله إلى السلطان الناصر محمد عن طريق البحر الأحمر.

وعندما علم السلطان قام بإرسال جيشا مدربا على أحدث النظم العسكرية وقتذاك، وجعل على قيادتها الأمراء علاء الدين مغلطاي بن أمير مجلس، وسيف الدين ساطى السلاح دار، وصارم الدين أزيك الجرمكى، وعز الدين أيدمر الدوادر، وعلاء الدين بن قراسنقر، وعلم الدين سنجر الدينسرى، فى عدة من الأجناد ومقدمى الحلقة وأمرهم بالتوجه إلى دنقلة فكان خروجهم من القاهرة فى أول شوال ٧١٥هـ/ديسمبر ١٣١٥م^(٣).

أما الحملة الثانية فترجع أسبابها أيضا إلى مهاجمة عرب بادية عيذاب لسفارة يمنية كانت فى طريقها إلى القاهرة سنة ٧١٦هـ/١٣١٦م واستولوا على ما كان معهم من الهدايا، وعلى ما كان مع أصحابهم من التجار^(٤). فقام السلطان الناصر بإعداد حملة بقيادة علاء الدين مغلطاي بن أمير مجلس، وقد اتخذت الحملة طريقها فى العشرين من شوال سنة ٧١٦هـ/ ٥ يناير ١٣١٧م إلى قوص ثم توجهت منها أوائل

(١) ابن خلدون: العبر، ج ٥، ص ٩٢١.

(٢) المقرئى: السلوك، ج ٢، ص ١٦٤، ٧.

(٣) المصدر نفسه، والجزء، ص ١٤٥-١٤٦؛

J. Cuq: Op. Cit., p. 80- 81.

(٤) الفيومى: نثر الجمان فى تراجم الاعيان، مخطوط رقم ١٧٤٦، تاريخ دار الكتب المصرية، ج ٣، ص ١١٤ (ب).

المحرم ٧١٧هـ / مارس ١٣١٧م إلى صحراء عيذاب ، ومنها إلى سواكن فنأحية الأبواب ثم إلى دنقلة ، وكانت عودة الحملة إلى القاهرة فى التاسع من جمادى الآخرة سنة ٧١٧هـ / ١٩ أغسطس ١٣١٧م^(١).

وكما هو واضح فان الحملتين اللتين أشار المقرئى إليهما ، كانتا بسبب مهاجمة عرب بادية عيذاب لرسل صاحب اليمن، وكان الأمير علاء الدين مغلطاي قائدا للحملتين، والواقع انه لم يكن هناك غير حملة ٧١٦هـ / ١٣١٦م، لأن رسل اليمن وصلوا سنة ٧١٥هـ / ١٣١٥م دون ان تتعرض لهم القبائل^(٢).

اما فيما يتعلق بتجاوز الحملة منطقة عيذاب إلى سواكن، ومنطقة الأبواب ثم إلى دنقلة، فيبدو ان ذلك من اجل مطاردة القبائل التى لاذت بالفرار إلى تلك المناطق.

– حملة الناصر محمد الثانية على النوبة:

بدأ كرنبس عهده بإعلان الطاعة والولاء للسلطان المملوكى، الا انه لم يلبث ان جنح إلى العصيان، وامتنع عن دفع البقط، وبقيّة الالتزامات الأخرى مثل الخراج والجزية، وقرر السلطان تبعاً لذلك ، ان يرسل حملة عسكرية ضد كرنبس مصحوبة بأحد الأمراء النوبيين الذى كان قد اخذ رهينة فى وقت سابق وهو صغير^(٣).

قام السلطان الناصر بإعداد الحملة بقيادة الأمير عز الدين ايبك جهاركى عبد الملك، ومعه من الأمراء صلاح الدين طرخان بن بدر الدين بيسرى، وعلاء الدين على الساقى، وسيف الدين قيراز الحسامى كل بنصف عدته^(٤)، وأرسل السلطان معهم أحد أمراء النوبة المسلمين، ويدعى سيف الدين عبد الله برشنبو^(٥)، وكان توجه

(١) النويرى: نفس المصدر، ج ٣٠ ، ورقة ٩٥؛ المقرئى: نفس المصدر، ج ٢، ص ١٦٢ .

(٢) النويرى: نفس المصدر، ج ٣٠ ، ورقم ٩٥، العينية: عقد الجمان فى تاريخ اهل الزمان، مخطوط رقم ١٥٨٤، تاريخ

دار الكتب مج ٦٠، ص ٥٦، محمد عبد العال: بنو رسول وبنو طاهر، وعلاقات اليمن الخارجية فى عهدهما،

الاسكندرية ١٩٨٠، ص ٤٠٥ .

(٣) انظر: ابن خلدون: العبر، ج ٥، ص ٩٢٢؛ محمد عبد العال: النوبة فى العصر المملوكى، ص ٤١ .

(٤) ابن خلدون: ج ٥، ص ٩٢٢، سعيد عاشور: مصر فى عصر دولة المماليك البحرية، ص ٨٩ .

(٥) النويرى: نفس المصدر، والجزء ، ورقة ٩٥، اما ابن خلدون فقد سماه (نشلى) العبر، ج ٥، ص ٩٢٢؛ القلقشندى:

صبح الاعشى ، ج ٥، ص ٢٧٧ .

الحملة في الثالث والعشرين من شعبان ٧١٦هـ/ نوفمبر ١٣١٦م^(١).

وينتسب برشنبو إلى بيت ملك النوبة، وكان قد هاجر إلى مصر، واعتنق الإسلام وحسن إسلامه، «وأقام بمصر بالأبواب السلطانية وأجرى عليه السلطان الناصر رزقا^(٢)»، ولم يزل مقيماً بها إلى أن امتنع كرنبس سنة ٧١٦هـ/ ١٣١٦م عن أداء الجزية. فرأى السلطان أن ينصبه ملكاً بدلاً من كرنبس^(٣).

عندما سمع كرنبس بقرار السلطان المملوكي حاول أن يثني السلطان عن عزمه، وأرسل إليه يطلب العفو والصفح، ويعرض على السلطان توليه ابن أخته كنز الدولة بن شجاع الدين نصر بن فخر الدين مالك ملكاً بدلاً من عبد الله برشنبو الأنف الذكر^(٤). وقال كرنبس في رسالته إلى السلطان إذا كان يقصد مولانا السلطان أن يولى البلاد لمسلم فهذا مسلم، وهو ابن أختي، والملك ينتقل إليه بعدى^(٥). لم يكتف كرنبس بذلك بل أرسل ابن أخته إلى الأبواب السلطانية ليسأل شموله بالأنعام السلطاني وتعيينه ملكاً على النوبة، ولكن السلطان الناصر محمد بن قلاوون، بدلاً من الاستجابة لطلبه، زج به في السجن واحتفظ به في القاهرة، وأرسل حملته العسكرية عام ٧١٦هـ/ ١٣١٦م^(٦).

استطاعت الحملة أن تصل إلى دنقلة، وتجبر كرنبس وأخاه إبرام على الهرب جنوباً إلى الأبواب، حيث قام حاكمها بتسليمهما إلى مقدم العسكر المملوكي، الأمير عز الدين أبيك جهاركي، الذي أرسلهما بدوره إلى الأبواب السلطانية في القاهرة حيث تم اعتقالهما ونصب مقدم العسكر المملوكي عبد الله برشنبو ملكاً على النوبة، ومنح لقب

(١) النويري: نهاية الارب، خط، ج ٣٠، ورقة ٩٥؛

C.F. : J. Cuoq: Op. Cit., p. 82- 83 .

(٢) القلقشندي: صبح الاعشى، ج ٥، ص ٢٣٧ .

(٣) النويري: نفس المصدر والصفحة.

(٤) النويري: نهاية الارب، ج ٣٠، ورقة ٩٥ انظر ايضا المقرئى: السلوك، ج ٢، ص ١٢١ .

(٥) النويري: نهاية الارب، ج ٣٠، ورقة ٩٥؛ محمد جمال الدين سرور: دولة بنى قلاوون، ص ١٥٣-١٥٤؛ سعيد

عاشور: مصر في عصر دولة المماليك البحرية ص ٨٩؛ مصطفى مسعد: الاسلام والنوبة، ص ١٦٦؛ محمد عبد

العال: المرجع السابق، ص ٤٢ .

(٦) النويري: نهاية الارب، ج ٣٠، ورقة ٩٥ .

سيف الدين (١) وباعتلاء سيف الدين عبد الله برشنبو عرش النوبة بدأ دور جديد في تاريخ بلاد النوبة تميز بظاهرتين:

الأولى : تمكن بنى ربيعة الكنوز بعد سنة واحدة من الوصول إلى عرش النوبة.

والثانية : اعتناق النوبيين للدين الإسلامي، وانتهاء النصرانية كدين رسمي في تلك البلاد.

وما ان تم تنصيب برشنبو ملكاً على النوبة، واستقر في عاصمته دنقلة حتى غادرت الحملة ارض النوبة، فكان وصلوها إلى القاهرة في جمادى الأولى عام ٧١٧هـ/ يوليو ١٣١٧م. وجدير بالذكر ان عبد الله برشنبو حول كنيسة دنقلة الكبرى إلى مسجد وماتزال اللوحة التذكارية الموجود في فناء المسجد تحمل اسمه إلى الوقت الحاضر (٢).

وقد ذكر المؤرخ ابن خلدون «ان كثيراً من النوبيين قد دخلوا في الإسلام منذ عصر الملك شكندره الا ان الملك عبد الله برشنبو ، وهو أول ملك مسلم قد أقام مسجداً في قصر الملك دنقلة (٣). وقد كان تدشين هذا المسجد في ١٦ من ربيع الأول سنة ٧١٧هـ الموافق ٢٩ مايو سنة ١٣١٧م، وتشير الكتابة التي نقشت على هذه اللوحة إلى هذا المعنى تحويل هذا المكان إلى مسجد للصلاة (٤)».

(١) انظر : النويري: نهاية الارب، ج ٣٠، ورقة ٩٥،

C.F. : J. Cuoq: Op. Cit., p. 82 - 83.

(2) Y.F. : Hasan: Op. Cit., p. 125.

(٣) انظر: ابن خلدون: العبر، ج ٥، ص ٩٢٢ .

(٤) كان الاعتقاد ان هذا البناء الذي حول الى مسجد هو كنيسة دنقلة العجوز برغم الاقرار باختلاف طراز بنائها عن كل الطرز الشائعة للكنائس.

C.F. : Crowfoot, J.W.: Christian Nubia, J. E. A XIII, pp. 144- 145,

مصطفى مسعد: الاسلام والنوبة، ص ١٠٤، الا ان الحفائر الحديثة للبعثة البولندية في دنقلة العجوز سنة ١٩٦٩، والتحليلات المعمارية عن هذا المبنى اشارت الى انه ليس كنيسة كما هو شائع، وانما هو قلعة او قاعة استقبال ملكية وهي بهذا تؤيد رأى سومر زكلارك في عدم اعتبارها كنيسة انظر:

Somers clarke, Christian Antiquities in the Nile Valley, p. 44,

Michalowski, FaUILles Polonaises a` Dongola, Nubische Kunst, p. 165.

انظر ملحق الدراسة شكل رقم (٣/٩).

وقد اتضح من التنقيبات والأبحاث الأثرية التى أجريت حديثاً فى هذا المسجد سنة ١٩٧٤ م، وسنة ١٩٧٥ م ان المبنى كان قصراً ملكياً فى الأصل وان الملك عبد الله برشنبو حول قاعة واحدة منه فى الطابق الثانى ولم يكن المبنى فيما قبل كنيسة حولت إلى مسجد بخلاف ما كان العلماء يظنون قبل إجراء هذا التنقيب^(١).

(١) ج. فانتيلى: تاريخ المسيحية فى الممالك النوبة، ص ١٨٣، انظر قصر ابريم بملحق الدراسة، شكل رقم (٨/٩).

أمراء ريبة الكنوز يرثون عرش النوبة:

أما عن كيفية وصولهم إلى عرش النوبة، فتذكر المصادر أن السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون، أثناء فترة حكمه الثالثة (٧٠٩-٧٤١هـ / ١٣٠٩-١٣٤٠م) أرسل حملة إلى النوبة عام ٧١٦هـ / ١٣١٦م، وطرد كرنبس ملك النوبة وعين عبد الله يرشنبو ملكاً بدلاً منه، وقد نجحت الحملة، وتم للسلطان ما أراد؛ وقبض على كرنبس وأخاه إبرام وأرسلوا إلى القاهرة رهن الاعتقال، وكان كرنبس قد أرسل ابن أخته كنز الدولة بن شجاع الدين المملوكي يستعطفه ويطلب منه أن يولييه العرش باعتباره صاحب الحق الشرعي بعد كرنبس طبقاً للتقاليد والأعراف النوبية ولكن السلطان المملوكي قبض عليه وأبقاه في القاهر مسجوناً^(١). ولما وصل كرنبس وأخوه إلى القاهرة التمس كنز الدولة بن شجاع الدين من السلطان أن يعيده إلى أقطاعه في أسوان، وتعهده بان يدفع جميع الخراج المستحق على سواقيه للديوان السلطاني ووعد بان لا يثير القلاقل. والفتن، ولا يتجاوز أسوان جنوباً إلى النوبة. وقد وافق السلطان على إطلاق سراحه وعودته إلى أسوان^(٢). ولكن كنز الدولة نكث بوعده، وتوجه مباشرة إلى دنقلة بدلاً من أسوان، ولما وصل إلى الدو، وهي أول بلد النوبة، نادى بنفسه ملكاً واستقبله أهل البلاد بالطاعة وحيوه تحية الملك^(٣)، ويعود السبب في ترحيب الناس ربه إلى أن عبد الله يرشنبو- الذي فرض عليهم من قبل المماليك- سار فيهم سيرة غير محمود، وعاملهم بشدة وقسوة، وغير الأعراف والتقاليد التي اعتادها النوبيون، كما كان مختالاً متكبراً، فكرهوا ولايته وتمنوا زوال حكمه ووجدوا في كنز الدولة الملاذ والأمل^(٤). تقدم كنز الدولة من الدو إلى دنقلة العاصمة فخرج إليه عبد الله يرشنبو بجيش لقتاله، ولكن كنز الدولة وإتباعه انتصروا عليهم، وقتل

(١) انظر فيما سبق ذكره سابقاً

J. Cuoq: Op. Cit., p. 85.

(٢) النويري: نهاية الارب، خط، ج ٣٠، ورقة ٩٥-٩٦؛ ابن بهادر: فتوح النصر، ج ٢، ورقة ٢٣٦؛ المقرئزي: السلوك، ج ٢، ص ١٦٢؛ سعيد عاشور: مصر في عصر دولة المماليك البحرية، ص ٩٠؛ مصطفى مسعد: الاسلام والنوبة، ص ١٦٧.

(٣) النويري: نفس المصدر، والصفحة.

(٤) النويري: ج ٣٠، ورقة ١٩٥.

برشنيو وملك كنز الدولة بلاد النوبة، الا انه لم يضع تاج الملك على رأسه رعاية لحق أخواله وتعظيما لهم^(١).

وعلى الرغم من ذلك ، فقد خشى المماليك من نوايا كنز الدولة الذي كان يهدف الى تأسيس سلالة عربية حاكمة في النوبة، وقرروا ان يضعوا حداً لطموحاته. ووجدوا ان افضل وسيلة للخلاص من كنز الدولة زرع الخلاف بينه وبين أخواله من النوبيين؛ وكان بعض الأمراء النوبيين من أخوال كنز الدولة محجوزين في القاهرة، ومن بينهم ابرام وأخيه الملك النوبى السابق كرنبس^(٢). فقام السلطان المملوكي بإطلاق سراح أبرام، خال كنز الدولة ، وأرسله إلى دنقلة ليقبض على كنز الدولة ويرسله إلى القاهرة، ووعدده السلطان ان نجح فى هذه المهمة- أن يطلق سراح أخيه كرنبس ويعينه على استعادة عرشه^(٣).

توجه ابرام إلى دنقلة، فاستقبله ابن أخيه كنز الدولة بالترحاب واعترف له بالملك، وأعلن طاعته إليه واخلص فى خدمته، ولكن ابرام احتال على ابن أخته، اذ خرجا إلى بعض البلاد المحاذية الى أسوان من جهة الجنوب بحجة إخضاعها. وفى بلدة الدوقبض إبرام على كنز الدولة وقيده، وعزم على إرساله إلى الأبواب السلطانية فى القاهرة، ولم ينج كنز الدولة الا بمعجزة غير متوقعة، اذ مات إيزام بعد ثلاثة أيام، واجتمع الناس الى كنز الدولة ونادوا به ملكا من جديد؛ ويبعدوا ان كنز الدولة تألم كثيراً من غدر خاله به، فقرر هذه المرة ان يتبوأ مركزه ويعلن نفسه ملكا ويلبس التاج

(١) المصدر نفسه، وقيل ان برشنيو بقى فى الملك حتى قتل اهل مملكته سنة ٧١٩هـ فبعث الناصر اليهم كرنبس ملكا بعده، صبح الاعشى، ج ٥ ، ص ٢٧٧، ويقال انه لم يضع التاج على رأسه، لأن التاج عليه علامة الصيب، انظر: محمد جمال الدين سرور: دولة بن قلاوون، ص ١٥٤؛ سعيد عاشور: العصر المماليكى، ص ٩٩؛ مصطفى مسعد: الاسلام والنوبة، ص ١٦٨ هامش ٩٤، غير انه لو كان الامر كذلك لتمسك بالعرش ولم يسلمه لخاله ابرام. انظر محمد عبد العال : النوبة ، ص ٤٤ .

(٢) اثناء هذه التطورات اعلن كرنبس اسلامه فى القاهرة املاً فى ان يكسب عطف السلطان ورضاه ويعيده الى مملكته ، وبالفعل فقد وعده السلطان المملوكى بمساعدته فى العودة واعادة تنصيبه ملكا فى دنقلة بدلا من كنز الدولة انظر: النويرى: نهاية الارب، ج ٣٠ ، ورقة ٩٦ .

(٣) النويرى: نهاية الارب، ج ٣ ، ورقة ٩٥، ٩٦؛ المقرئى: السلوك، ج ٢ ، ص ١٦١، محمد جمال الدين سرور: نفس المرجع، ص ١٥٤، سعيد عاشور: مصر فى عصر دولة المماليك البحرية، ص ٩٠، محمد عبد العال: مرجع سابق، ص ٤٤ .

وشارات الملك الأخرى؛ وإمعانا في تأكيد عزمه على ممارسة سلطته كاملة في دنقلة فقد أعلن استقلاله كليا عن سلطان مصر وتم ذلك في عام ٧١٧هـ / ١٣١٧م^(١).

حملة الناصر محمد الثالثة:

كان لخروج كنز الدولة عن الطاعة، واستيلائه على بلاد النوبة دون موافقة السلطان المملوكي، واستقلاله بأمرها، وامتناعه عن إرسال ما هو مقرر على بلاده، أثره في إصرار الملك الناصر على إقصائه عن عرشه، فقام بتجهيز حملة للقضاء عليه، وإعادة تنصيب كرنبس، وعهد بقيادة الحملة الى الأمير سيف الدين أيدير الكبكي والأمير طقصبای، وأمدهما بخمسمائة من أجناد الحلقة^(٢).

وقد نوهنا من قبل بأن الذي جعل السلطان المملوكي يتقاعس عن أداء دور مصر الريادي في تأمين الجنوب، من خطر كنز الدولة لمدة ستة أعوام، هو ما قامت به في قمع ثورة القبائل العربية القاطنة بالقرب من عيذاب، حيث انتشرت هذه الثورة حتى شملت المنطقة الساحلية الواقعة بين عيذاب وسواكن، كما ثارت قبائل الهلنكة (الخلانقة) السودانية في المنطقة نفسها^(٣). ووجدت السلطات المملوكية عناء كبيرا في إعادة السيطرة على تلك المنطقة التي تتحكم بموانئ البحر الأحمر الأفريقية، وبالتالي تتحكم بالطرق التجارية البحرية بين مصر من جهة؛ واليمن والشرق الأقصى من جهة أخرى^(٤). وتبعاً لذلك فقد صرف السلطان المملوكي نظرة مؤقتاً عن النوبة تاركاً كنز الدولة وشأنه حتى عام ٧٢٣هـ / ١٣٢٣م. وفي هذا العام أرسل السلطان الناصر محمد بن قلاوون حملة ضد كنز الدولة وبصحبته الملك النوبي السابق كرنبس، ليتم تنصيبه ملكاً في دنقلة للمرة الثانية. وقد

(١) انظر: النويري: نهاية الارب، ج ٣٠، ورقة ٩٥، ٩٦ السلوك، ج ٢، ص ١٦١؛ سعيد عاشور: العصر المماليكي،

ص ١٠٠. J. Cuoq: Op. Cit., p. 85.

(٢) انظر ما سبق ص ١٠٥. C.F. : J. Cuoq: Op. Cit., p.85.

(٣) الخلانقة: المنطقة الواقعة جوار جبل كسلا، وتشمل جزءاً من القاش وقد ذكرها ابن عبد الظاهر في القرن الرابع عشر، (التشريف، ٢٩٣) (أ) وقال النويري: نهاية الارب ج ٣٠، ورقة ٩٧، أن سكان الخلنقة وهي جنس من السودان. وسكان المنطقة الاصليون من القبائل البجاوية، ويشملون الهدندوه، والخلنقة، والبنى عامر، انظر ايضاً: الطبقات: ص ٥٧، يوسف فضل: الطبقات، هامش (١٠) ص ٥٧.

(٤) حول هذه الثورة: انظر: النويري، ج ٣٠، ورقة ٩٦، ٣٨١؛ ويجدر بالذكر ان النويري يأخذ معلوماته مباشرة من احد القادة المماليك الذين اشتركوا في قمع الثورة وهو عز الدين الدوادر، الذي يصفه النويري بأنه ثقة في اخباره.

تمكنت الحملة المملوكية من هزيمة كنز الدولة الذى فر هاربا الى الأبواب. واجلس كرنبس على عرش النوبة وعادت الحملة الى القاهرة بعد غياب تسعة اشهر، ولكن كنز الدولة لم يلبث ان ظهر من جديد ، فالتفت حوله قبيلته وبقية القبائل العربية الأخرى التى استوطنت المنطقة واستطاع ان يهزم خاله كرنبس الذى فر شمالا الى أسوان، حيث استنجد بالسلطان المملوكى، وبقي ينتظر المساعدة عامين بدون جدوى^(١).

ولا تشير المصادر إلى الأسباب التى دعت السلطات المملوكى الا يهب لنجدة كرنبس ، ويبدو ان عدم نجدة السلطان المملوكى إلى كرنبس يعود إلى أن المماليك قد سئمو من كثرة الحملات د النوبة التى كانت تكلفهم جهدا ومالا وارواحا لا يستطيعون الاستمرار فى تحملها. والاهم من ذلك ان كنز الدولة قد أعلن ولاءه للسلطان المملوكى ويذكر المقرئى «ان رسول ملك النوبة كنز الدولة، كان من بين رسل الأمراء والملوك الذين كانوا يزورون البلاط المملوكى لتقديم الطاعة»^(٢). ويذكر ان فضل الله العمرى ٧٠٠-٧٤٩ هـ. الذى كان معاصرا لهذه الفترة ، وشغل وظيفة ناظر ديوان الإنشاء فى البلاط المملوكى، وأن ملك النوبة «رعية من رعايا صاحب مصر، عليه حل مقرر يقوم به كل سنة ويخطب ببلاده لخليفة العصر وصاحب مصر»^(٣).

أما رسم المكاتب لملك دنقلة المسلم فكان كما يلى: «صدرت هذه المكاتبه إلى المجلس الجليل الكبير الغازى المجاهد المؤيد، والأوحد العضد مجد الإسلام، زين الأنام، فخر المجاهدين، عمدة الملوك والسلطين، ، وكان السلطان يعلم له بخطه»^(٤). ويذكر ابن فضل الله العمرى: «ان كنز الدولة كان يرسل الهدايا للسلطان ويدفع اتاوة محددة سنويا، وهى عبارة عن عدد من العبيد والإماء والحراب والوحش النوبية»^(٥).

(١) التويرى: نهاية الارب، ج٣٠، ورقة ٣٨١ .

(٢) المقرئى: السلوك، ج٢ ، ص ٢٥٩ .

(٣) ابن فضل الله العمرى: التعريف بالمصطلح الشريف، القاهرة ١٣١٢ هـ، ص ٢٩ ،

C.F. : J. Cuq: Op. Cit., p.85. FF.

(٤) المصدر نفسه: انظر ايضا: القلقشندى: صبح الاعشى، ج٨ ، ص ٦، قارن مع عطية القوصى: مرجع سابق، ص ٩٨ .

(٥) يقول العمرى: «وعلى ملوك دنقلة حمل مقرر لصاحب مصر. وهذه الاتاوة لا ذهب فيها ولا فضة، بل هى عدد من عبيد والاماء والحراب، والوحش النوبية ؛ انظر العمرى: مسالك الابصار ، خط، رقم ٥٥٩ معارف عامة، دار الكتب المصرية، ج٢ ، ورقة ٤٩٢ .

وعلى الرغم من هذه التبعية للسلطان المملوكى فى مصر، فأغلب الظن ان كنز الدولة كان يتمتع باستقلال كامل فى شئون مملكته الداخلية وهذا ما أشار إليه القلقشندى بقوله: «وهى (النوبة) مملكة مستقلة بذاتها، ولذلك أوردت مكاتبه صاحبها فى جملة الملوك»^(١).

ومهما يكن من أمر فان كنز الدولة ابن شجاع الدين كان أول ملك عربى مسلم يحكم بلاد النوبة (المقرة)^(٢). ولم نسمع بعد استيلائه على السلطة فى دنقلة عن أى ملك مسيحي لتلك البلاد (أى المقرة). وهكذا استطاع بنو ربيعة الكنوز ومن والاهم من قبائل العرب أن يؤثروا بشكل حاسم فى التكوين السكانى للمجتمع النوبى، وساهموا بدور أساسى فى تعلم اللغة العربية، وانتشار الإسلام بتلك البلاد، وعلى الرغم من ان المسيحية بقيت ديانة بعض السكان لمدة قرنين بعد استيلاء بنى ربيعة على عرش دنقلة^(٣) إلا أنها فى النهاية انحسرت أمام المد العربى الأسلاى فى ظل هؤلاء الحكام الربيعيين وحلفائهم، ولم يقتصر النفوذ العربى والإسلامى على مملكة المقرة، بل تعداها مع مرور الأيام الى مملكة النوبة الجنوبية التى كانت تعرف باسم علوة. والحقيقة ان النفوذ الإسلامى فى تلك المنطقة قد بدأ منذ وقت مبكر، وقد رأينا فى الصفحات السابقة ان ملوك الأبواب اعتاد ان يرسل الهدايا والمبعوثين للسلطان المملوكى فى مصر. وكثيراً ما تعاون ملوك علوة مع السلطان المملوكى فى القبض على بعض أمراء دنقلة النوبيين الهاربين. وكان إسلام مملكة المقرة عاملاً آخر ساعد فى سرعة انتشار الإسلام فى علوة عن طريقين: التجار المسلمين، وكذلك عن طريق الهجرات العربية المستمرة، ولم يأت القرن السادس عشر الميلادى إلا وقد أصبحت اللغة العربية والدين الإسلامى من المظاهر الرئيسية لهوية السكان فى تلك المنطقة^(٤).

أما ملك النوبة العربى المسلم كنز الدولة ابن شجاع الدين فلا نتحدث المصادر عن أعماله بعد عام ٧٢٣هـ / ١٣٢٣م، ولا نعرف تبعاً لذلك الإنجازات التى قام بها، خلال مدة حكمه ووالتي لا نعرف تاريخاً محدداً لنهايتها؛ ولكن وثيقة الزواج الملكية التى وصلتنا والتى تتعلق به شخصياً، تشير بما لا يدع مجالاً للشك انه كان وقت عقد زواجه على ابنة عمه بشرية، فى ذى القعدة ٧٣٣هـ / ١٣٣٢م ما يزال ملكاً على دنقلة^(٥).

(١) القلقشندى: صبح الاعشى، ج ٨، ص ٦.

(٢) يجب ان نلاحظ ان اول ملك مسلم كان عبد الله برشنبو، ولكنه لم يكن عربياً بل نوبياً من اهل البلاد اسلم فى البلاط المملوكى. انظر: MacMichael: A history of the Arabs in the Sudan, Vol. 1, p. 187.

(٣) القلقشندى: صبح الاعشى، ج ٨، ص ٦.

(٤) سنتعرض لهذا الجزء فى الفصل الثالث سقوط مملكة علوة.

(٥) انظر: وثيقة الزواج الملكية، مسجلة بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة برقم (٤٢٢٢) انظر ملحق الدراسة رقم (١). C.F. : J. Cuoq: Op. Cit., p.91.

-الموقف فى عهد الاشرف شعبان :

ظلت العلاقات طيبة بين بنى ربيعة الكنوز، وبين المماليك حتى عام ٧٦٧هـ/ ١٣٦٥م ولا تتحدث المصادر عن اية معلومات ذات قيمة عن النوبة مما يشير إلى ان بنى الكنز كانوا أثناء هذه الفترة حكام دنقلة دون منازع؛ ولم يلبثوا ان مدوا بصرهم شمالا وحاولوا بسط سيطرتهم على منطقة الصعيد وامتلكوا أسوان، حيث يشير المقرئى إلى ان أولاد الكنز كانوا فى عام ٧٦٧هـ فى ثغر أسوان^(١). ولكنهم فى العام نفسه، أو قبله بقليل، فقدوا عرشهم فى دنقلة الذى انتقل إلى شخص من اصل نوبى لا تذكر المصادر اسمه، ويبدو ان القبائل العربية التى استقرت فى شمال السودان لعبت دوراً هاماً فى انتقال الملك من ربيعة إلى غيرهم. حيث قامت هذه القبائل بتقليد بنى ربيعة فى الزواج من النوبيات ، وتمكن بعضهم من الزواج من الأسر النوبية الأرستقراطية، وأتيحت لهم الفرصة بالتالى للتدخل فى شئون البلاط النوبى؛ ويبدو ان بنى جعد كانوا انشط فى هذا المضمار، وتشير المعلومات إلى ان نفوذ بنى ربيعة الكنوز اخذ يضعف فى دنقلة خلال العقد السابع من القرن الثامن الهجرى نتيجة للمنازعات القبلية والخصومات المستمرة بين المجموعات العربية المختلفة التى استوطنت بعد هجرتها من الشمال هرباً من جور المماليك وظلمهم او طمعاً فى البحث عن موارد جديدة^(٢).

واستطاع بنو جعد وحلفاؤهم السيطرة على دنقلة، وتمكنوا من التدخل المباشر فى شئون العرش النوبى عام ٦٧٦هـ/ ١٣٦٥م^(٣). مما اضطر بنى الكنز الى التحالف مع قبائل أخرى مثل بنى عكرمة، وتركوا دنقلة تواجه مصيرها فى نزاع دائم مستمر بين القبائل العربية بعضها مع بعض وبينها وبين بعض الأسر النوبية. وارتحل بنو الكنز وحلفاؤهم شمالاً آملاً فى استرداد نفوذهم فى الصعيد، وبعض مناطق البحر الأحمر. وتذكر المصادر انهم تمكنوا من السيطرة على المنطقة الواقعة بين الشلال الأول والثانى، ومدوا نفوذهم شرقاً الى صحراء عيذاب، وجنوباً الى المنقطة الواقعة حول ميناء سواكن^(٤).

(١) المقرئى: السلوك، ج ٣، ص ١١٠.

(٢) المصدر نفسه، والجزء، ص ١٠٩، ١١٠.

(٣) المقرئى: السلوك، ج ٣، ق ١، ص ١٠٩ وما بعدها.

(٤) المصدر نفسه، والصفحة.

وأمام هذا الخطر الجديد الذى اخذ يهدد جنوب مصر وتجاريتها جرد السلطان المملوكى حملة لمحاربة بنى الكنز وحلفائهم ووضع حداً لطموحاتهم واستغل السلطان ، وصول سفارة نوبية تدعوه للتدخل فى شئون النوبة وتأديب القبائل العربية التى سيطرت على العاصمة دنقلة، وجعلت الملك ألعية فى أيديهم^(١).

سارت الحملة إلى النوبة فى ربيع الأول من عام ٧٦٧هـ / ١٣٦٥م عندما وصلت الحملة إلى قوص وجه قائدها رسولا إلى بنى الكنز يدعوهم للطاعة ونبذ الخلاف؛ ويبدو ان بنى الكنز خافوا من الوقوع بين الجيش المملوكى من جهة وبنى جعد فى الجنوب من جهة أخرى، فإظهروا الولاء للسلطان. وسار أمراء بنى الكنز الى قوص حيث التقوا بالجيش المملوكى وقدموا الطاعة فأمنهم القائد المملوكى وبالغ فى إكرامهم^(٢). وسار الجميع نحو دنقلة وبينما هم فى الطريق إليها قابلتهم رسل ملك النوبة تخبرهم بان العرب فى دنقلة نازعوا الملك السلطة واضطروه للرحيل عن العاصمة ، وبعد صعوبات كبيرة تمكن الملك النوبى من التسلل وسار شمالاً والتقى بالجيش المملوكى فى أبريم شمال الدو. وهناك تأمر القائد المملوكى وملك النوبة على الغدر بالقبائل العربية فى المنطقة بمن فيهم بنو ربيعة الكنوز الذى رافقوا الجيش المملوكى من ادفو وأسوان بعد ان أمنهم القائد المملوكى^(٣).

وبالفعل فقد فأجأ المماليك وحليفهم ملك النوبة القبائل العربية فى المنطقة واعملوا فيها السيف، وقتلوا منهم أعداداً كبيرة، وأسر عدد كبير منهم. بعد ذلك اتفق القائد المملوكى وملك النوبة على ان يتخذ الأخير الدو عاصمة له بدلاً من دنقلة وذلك

(١) المصدر نفسه، والجزء، ص ١٠٩، ١١٠.

(٢) امر السلطان شعبان باعداد حملة كبيرة بقيادة الامير اقتمر عبد الغنى صاحب الحجاب، يصحبه فيها الامير الجاى- احد امراء الالوف- وعشرة من امراء العشرات مقدمى مائة وثمان امراء طبلخانة مع مجموعة من المماليك السلطانية وقد بلغ تعداد جند الحملة ثلاثة الاف فارس، وكان خروجهم من القاهرة فى الرابع والعشرين من ربيع الاول ٧٦٧هـ / ديسمبر ١٣٦٥م.

المقريزى: السلوك، ج ٣، ق ١، ص ١٠٩، ١١٠.

(٣) المصدر نفسه، ص ١١٠.

(٤) المصدر نفسه، ج ٣، ص ١١٠-١١٢؛

لأن دنقلة أصبحت تحت رحمة القبائل العربية بزعامة بنى جعد ولا سبيل للسيطرة على هذه القبائل فى تلك المرحلة بما لديهم من قوة محدودة، وبعد أن تولى ملك النوبة الحكم فى العاصمة الجديدة عاد الجيش المملوكى مصحوباً بهدية من ملك النوبة للسلطان وبعض أعوانه. كما سحب الجيش عدداً كبيراً من أسرى بنى ربيعة الكنوز وحلفائهم بنى عكرمة. وفى أسوان قبض الجيش المملوكى على عدد آخر من زعماء بنى الكنز وأخذ الجميع أسرى إلى القاهرة حيث أودعوا السجن^(١).

ويبدو أن المماليك صمموا على أن يبيدوا بنى ربيعة الكنوز، ويقضوا على هذه القوة العربية التى كانت تهدد نفوذهم فى النوبة وفى جنوب مصر، فتصدوا لهم بقوة لم يعهدوها من قبل كما يذكر المقرئى^(٢). وقبض والى أسوان على أحد عشر من أمراء بنى ربيعة الكنوز ومائتين آخرين من أقاربهم واتباعهم وأرسلهم إلى القاهرة حيث تم قتلهم جميعاً وعلقت رؤوسهم على باب زويلة^(٣).

وعلى الرغم مما تعرض له بنو ربيعة الكنوز من مذابح وتنكيل من قبل المماليك إلا أنهم لم يستكينوا ولم يخضعوا واستمروا فى منازل السلطات المملوكية فى إقليم أسوان.

وتشير المصادر إلى أن بنى ربيعة الكنوز استمالوا بعض موظفى القصر المملوكى فى القاهرة، وعلى رأسهم غلام الله مهتار^(٤) الطشت خانة السلطانية. وكاد الأخير أن يقضى على الأمير برقوق أثناء صلاة الجمعة فى السابع والعشرين من شهر ذى الحجة عام ٧٨٠هـ^(٥)، ولكن المؤامرة اكتشفت قبل تنفيذها وقبض على غلام الله وزج به فى السجن^(٦).

(١) انظر: المقرئى: السلوك، ج ٣، ص ١١٠-١١٢.

(٢) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٣٣٩.

(٣) المقرئى: السلوك، ج ٣، ص ٣٣٩، انظر أيضاً: ابن حجر العسقلانى: انباء الغمر، تحقيق حسن حبشى، القاهرة ١٩٦٩م، ج ١، ص ١٧٥-١٧٦.

(٤) المهتار: لقب يطلق على كبير كل طائفة من غلمان البيوت، فيقال مهتار الشرانجاناة ومهتار الطشت خانانة، مهتار الركاب خانانة. القلقشندي: صبح الاعشى، ج ٥، ص ٤٧٠؛ محمود نديم، الفن الحربى، ص ٢٣٣.

(٥) أصبح الامير برقوق اول السلاطين البرجية عام ٧٨٤هـ.

(٦) المقرئى: السلوك، ج ٣، ص ٣٤٧، ابن حجر العسقلانى: انباء الغمر، ج ١، ص ١٧٩.

وفى العام التالى (٧٨١هـ) عاد غلام الله بعد ان خرج من السجن ، الى التآمر من جديد مع بنى الكنز. ويذكر المقرئى ان والى أسوان قبض على جماعة يحملون سيوفا مهربة الى بنى الكنز ومكتوب عليها اسم غلام الله فأرسل الى القاهرة يخبر السلطان بذلك. فقبض على غلام الله ، وأعيد الى السجن. كما قبض على عدد من بنى الكنز وشهر بهم فى القاهرة، وتعرضوا للإذلال، مما زاد فى نقمة بنى الكنز وإصرارهم على الاستمرار فى معاداة المماليك والإغارة على إقليم أسوان حتى تمكنوا منه وخرجت أسوان من أيدي المماليك^(١). ولم تتمكن السلطات المملوكية بعد هذا التاريخ عام ٧٨١هـ/١٣٧٩م من بسط سيطرتها الفعلية على إقليم أسوان الذى بقى ميدان نزاع مستمر بين المماليك وبنى ربيعة الكنوز.

وتشير المصادر إلى اشتباكات متفرقة بين الطرفين حدثت خلال العقود الأخيرة من القرن الثامن الهجرى وأوائل القرن التاسع الهجرى، ولم يستطع المماليك إحراز نتيجة حاسمة ضد بنى ربيعة الكنوز الذين ربحوا فى إقليم أسوان وشمال النوبة^(٢).

يكافحون من اجل بقاء إمارتهم العربية فى تلك المنطقة بعد ان فقدوا ملكهم فى دنقلة على ايدى بنى جعد وبعض القبائل العربية الأخرى^(٣).

وأمام هذا الصمود وجد المماليك ان افضل وسيلة لوضع حد لتوسع بنى ربيعة الكنوز فى الصعيد هو ضربهم بالقبائل العربية أو المستعربة التى استقرت فى تلك المنطقة، أو التى ارتحلت إليها بمباركة المماليك وتشجيعهم، ومن هذه القبائل هواره وجهينة. أما قبيلة هواره فقد هاجرت من بلاد المغرب فى أيام الدولة الفاطمية واستقرت فى بداية الأمر غرب الإسكندرية حيث اكتمل تعريبها ومن ثم أخذت فى الانتشار، واتخذ رجالها انساباً عربية، ولعل ذلك كان سببا فى اختلاف المؤرخين حول اصل هواره^(٤).

(١) يقول المقرئى: «وفى سابع عشر (من محرم سنة ٧٨١هـ) ، اسر رجلان من اولاد الكنز، وطيف بهما القاهرة ومصر، ثم وسطا. وهذا ايضا مما اوجب وهن الدولة. فان قرط (والى اسوان) لشدة عسفة وكثرة عنوه اوجب خروج اولاد الكنز على الطاعة ، وكثر فسادهم حتى خرجت اسوان من ايدى الدولة، ثم خربت،

انظر: السلوك، ج٣ ، ص ٣٥٢ .

(٢) ل. كروباتشيك، مرجع سابق، ص ٤٠٥ .

(٣) انظر: السلوك، ج٣ ، ق ١ ، ص ١٢٣ .

(٤) المقرئى: البيان والاعراب ، ص ٥٦ .

ظلت هواره فى منازلها فى مصر حتى أنزلها الأمير برقوق قبل توليه السلطنة بعامين (اى فى عام ٧٨٢هـ / ١٣٨٠م) فى منطقة الصعيد الأعلى^(١)، واقطع زعيمها المسمى إسماعيل بن مازن منطقة جرجا وما حولها، ولعله أراد بهذا التدبير ان يجعل من هواره قبيلة حدود تحمى الطرف الجنوبى لمصر من غارات بنى الكنز الذين كانوا بالفعل شوكة فى جنب الدولة المملوكية. وقد نجحت هواره فى السيطرة على المنطقة الواقعة بين قوص والبهنسا.

واستطاع احد شيوخهم عمر بن عبد العزيز الهوارى فى السيطرة على بعض القبائل العربية الصغيرة التى كانت تنزل فى تلك المنطقة. وشاركه فى الزعامة شيخ هوارى آخر اسمه على بن غريب؛ وكان الاثنان يحضران سنوياً إلى القاهرة حيث يقدمان الهدايا والولاء للسلطان المملوكى^(٢).

وعلى الرغم من العلاقات السلمية التى سادت بين هواره وبنى الكنز فى بداية الأمر، إلا ان هواره لم تلبث ان تصدت للدور الذى كلفت به وهو الاشتباك مع بنى الكنز لإضعافهم ووضع حدا لنفوذهم فى أسوان وشمال النوبة. وقد شاركتهم فى هذا الدور قبيلة جهينة التى ارتحلت جنوباً إلى النوبة نتيجة لما أصاب مصر من القحط والغلاء والوباء فى نهاية القرن الثامن الهجرى وأوائل القرن التاسع الهجرى. واستطاعت جهينة ان تقضى على قوة بنى الجعد فى دنقلة ووصل أفراد منها الى الحكم فى عاصمة النوبة^(٣) الا انهم لم يحسنوا السياسة، وتغلب الطابع البدوى على سلوكهم وتصرفاتهم وساهموا فى إشاعة الفوضى والفساد فى دنقلة. وفى الوقت نفسه سادت بينهم وبين بنى ربيعة الكنوز علاقات العداء والتناحر. واصبح بنو الكنز بين قوتين:

(١) يقول ابن خلدون: ان البربر ساروا بعد قتل ملكهم جالوت الى المغرب وانتهوا الى لوبيا ومراقبه كورتان من كور مصر، ونزلت هواره مدينة لبدة العبر، جـ ٥، المجلد الثانى، ص ١٠٠٣؛ القلقشندى: نهاية الارب، ص ٤٤١؛ ابن الفرات: جـ ٩، ص ٤٠١، ٤٠٢، ٤٤٠-٤٤١؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، القاهرة، ١٩٢٩-١٩٥٦، ص ١٥٦؛ نسيم مقار: اضواء على تاريخ الهواره فى صعيد مصر، المجلة التاريخية المصرية، العدد ٢٦، ص ١٩٢؛ محمد محمود زيتون: اقليم البحيرة صفحات مجيدة من الحضارة والثقافة والكفاح، القاهرة ١٩٦٢؛ ص ٣٩٢؛ ليلى عبد اللطيف: شيخ العرب همام وحكم جرجاء، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص ٣٨.

(٢) ابن الفرات: جـ ٩، ص ٤٠١، ٤٠٢، ٤٤٠، ٤٤١.

(٣) ابن خلدون: العبر، جـ ٥، ص ٩٢٢-٩٢٣.

هواره وحلفاؤها مدعومة من قبل المماليك في الصعيد، وجهينة ومن والاها من القبائل الأخرى في دنقلة وما حولها. وكان ذلك من الأسباب التي ساعدت على انهيار قوة بنى الكنز بالتدريج وانهلال إمارتهم وتلاشى سلطانهم^(١).

وتشير المصادر إلى أن هواره لعبت دوراً بارزاً في أضعاف بنى الكنز، وذلك عن طريق مساعدتها للحملات المملوكية ضدهم أو عن طريق الاشتباك المباشر بين الفريقين. وفي عام ٨١٥هـ/١٤١٢م زحفت هواره على أسوان وحاربت بنى الكنز وهزمتهم وخسر بنو الكنز عدداً كبيراً من أبنائهم واتباعهم في المعركة، كما أسر منهم عدد آخر^(٢). وقد أتاح هذا النصر لقبائل هواره أن تستولى على بعض المناطق في إقليم أسوان التي كانت من قبل خاضعة لبنى الكنز ولم ينقذ بنى الكنز من هزيمة ساحقة أخرى إلا النزاع والانقسام الذي دب بين صفوف قبائل هواره، مما أدى إلى تفرقهم، وسار قسم منهم جنوباً إلى النوبة، وانتشروا في بقاع مختلفة من السودان وادي النيل^(٣).

ونتيجة لانقسام قبائل هواره فيما بينها وتفرق بطون جهينة فقد أتيح المجال لبنى الكنز ليحققوا حلمهم في إعادة السيطرة على إقليم أسوان، مما أدى إلى تجديد النزاع بينهم وبين المماليك في منتصف القرن التاسع الهجري. حيث تذكر المصادر أن حملات مملوكية كبيرة قد وجهت ضدهم من بينها حملة كبيرة عام ٨٤٨هـ / ١٤٤٤م استطاعت أن تهزم بنى الكنز، وتعود للقاهرة حاملة رؤوس بعض أمراء بنى الكنز محمولة على أسنة الرماح^(٤).

وعلى الرغم من ذلك فليس لدينا دليل على أن هذه الحملة كانت حاسمة ولا تذكر المصادر أن بنى الكنز تركوا منازلهم في إقليم أسوان والمريس. ومن المحتمل أنهم ظلوا يتنازعون السلطة في هذا الإقليم مع المماليك ومع بعض القبائل العربية

(١) ابن خلدون: نفس المرجع، والصفحة.

(٢) المقرئ: الخطط، ج ١، ص ١٩٧.

(٣) عبد المجيد عابدين: البيان والاعراب، ص ١٥٤، ١٥٥،

J. Cuq: Op. Cit., p.100-101. FF.

(٤) السخاوي: التبر المسبوك، ط بولاق ١٨٩٦، ص ٩٣.

الأخرى التي استقرت في المنطقة. وعندما ضعفت سلطة المماليك وانعدمت السلطة الموحدة في مملكة النوبة الشمالية (المقرة) عمرت البلاد بالقبائل العربية المختلفة، وأخذت المنافسات والعصبيات القبلية تغطي على الوحدة القومية أو الدينية وتكونت مشيخات وإمارات عربية كثيرة في الصعيد الأعلى وبلاد النوبة^(١). والدليل على ذلك أن مملكة الفونج الإسلامية في القرن السادس عشر الميلادي عندما حاول زعماءها توسيع نفوذهم شمالاً في بلاد النوبة لم يجدوا قوة كبيرة تقف في طريقهم، بل وجدوا وحدات قبلية متناثرة على أرض النوبة. ومن بين هذه الوحدات بنو ربيعة الكنوز الذين نزلوا في منطقة المريس وجنوب أسوان^(٢).

وعندما زال حكم المماليك، وخضعت مصر للحكم العثماني لم يغفل الحكام الجدد النوبة، ولم يكد السلطان سليم الأول ينتهي من فتح مصر، حتى أرسل الولاة تدعمهم القوة العسكرية إلى منطقة النوبة، وتعيين الولاة لمختلف أقاليم النوبة حيث عرفوا باسم الكشاف^(٣). وبنوا القلاع الحربية في المدن الهامة مثل أسوان وإبريم والدو وجزيرة ساي وبسطوا سلطانهم على كل المنطقة الواقعة إلى الشمال من دنقلة. وهذا يعني أنهم سيطروا على المنطقة التي كانت خاضعة لبنى ربيعة الكنوز. ولا تذكر المصادر معلومات واضحة عن مصير بنى الكنز، ويبدو أنهم اضطروا - كغيرهم من القبائل العربية

(1) C.F.: Budge. E. A. Wallis, : A history of Ethiopia Nubia, and Abyssinia, Netherlands, pp. 106-107.

(2) C.F. : Budge: Op. Cit., pp.106-107.

مكي شبكة: السودان عبر القرون، القاهرة ١٩٦٤، ص ٤٠.

(٣) الكشاف: وجمعها كاشفيات وهي هذه ادارية صغيرة اثناء الحكم العثماني واشتق منها لفظ كاشف وهو الذى يحكم الكشفية، كما كان الكاشف ينوب على الصنوق الذى كان يحكم الصنوقية، وهي احدى الاقاليم الادارية الكبرى في مصر العثمانية فكان الكاشف يحل محل الصنوق، وفي اثناء تغيب الاخير عن مقر منصبه وتفويضه قضاء معظم شهور السنة في القاهرة. وكان هناك نوع ثان من الموظفين يحمل كل منهم لقب كاشف. وكان هؤلاء الكشاف هم وكلاء الباب العثماني الذين يشرفون على قرى الكاشفيات التي كان دخلها مخصص للباشا في اقاليم معينة في مصر. انظر: عبد العزيز الشناوى: الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها، القاهرة ١٩٨٠، ج١، ص ١٦١؛ ابراهيم المويلحي: الارض والفلاح في العصر العثماني، ص ٢٤٤.

صلاح احمد هريدى: دور الصعيد في مصر العثمانية، دار المعارف ١٩٨٤، ص ٩٩؛ ليلي عبد اللطيف احمد: الصعيد في عهد شيخ العرب همام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧م، ص ٦٢.

للخضوع الى حكم الكشاف الذين توارثوا الحكم فى المنطقة حتى الفتح المصرى أيام محمد على ؛ وبعد ذلك لم يجد بنو الكنز أية فرصة للظهور واسترداد حقوقهم السليبية^(١). ويبدو انهم عادوا إلى حياة البداوة والتنقل وانتشروا فى المنطقة الواقعة بين الشلال الأول كوروسكو، والتي لا تزال تعرف بمنطقة الكنوز الى يومنا هذا^(٢).

والحقيقة ان الكنوز الذين فى هذه المنطقة لا ينتمون جميعاً إلى بنى الكنز، وانما انتسبوا إليهم نتيجة للجوار أو المصاهرة أو الولاء أو الحلف، ويبدو من القائمة التى أوردها ماكمايكل MacMichael، معتمدا على كتب النسبة المحلية السودانية^(٣)، ان بعض القبائل التى تنتمى إلى الكنوز قد تأثرت بما يجرى فى النوبة وسودان وادى النيل من محاولة الناس الرجوع بأنسابهم إلى اصل شريف؛ ومن هنا فان بعض بطون الكنوز قد رجعت بأصولها إلى بنى العباس والى الأنصار وغيرهم؛ وبذلك فقدت الرابطة بينهم وبين قبيلتهم الأصلية ربيعة، وضاعت الأنساب الحقيقية نتيجة لتنافس السكان هناك فى الرجوع بأنسابهم إلى أصول عربية عريقة ترتبط غالبا فى نهايتها أما بالرسول الكريم نفسه أو أحد أفراد أسرته أو أصحابه المشهورين^(٤).

على كل حال أدت تلك الحملات التى بدأها الظاهر بيبرس إلى فتح بلاد النوبة، واصبح ملكها رعية من رعايا صاحب مصر^(٥)، يؤدى سنويا ما تقرر على بلاده من عبيد واماء وحراب ووحوش نوبية^(٦)، «ويخطب لخليفة العصر وصاحب مصر^(٧)»، قال ابن فضل الله العمرى: «وملكها الآن (اى فى أواخر عصر الناصر محمد) مسلم من أولاد كنز الدولة.. ولا يملك الآن بها ملك الا من الأبواب السلطانية بمصر^(٨)».

(1) Budge: Op. Cit., pp.106-107.

(٢) انظر: نعم شقير: جغرافية وتاريخ السودان، بيروت ١٩٦٧، ص ٤٣٢، عطية القوصى: الكنوز، ص ١٠٨-١٠٩.

(3) MacMichael: Op. Cit., Vol. 2, pp.99-100.

(4) MacMichael: Op. Cit., Vol. 2, pp.99-100.

(٥) ابن فضل الله العمرى: التعريف بالمصطلح الشريف، القاهرة ١٣١٢هـ، ص ٢٩.

(٦) مسالك الابصار، مخطوط رقم ٥٥٩ معارف عامة بدور الكتب، ج ٢، ص ٤٩٢، القلقشندي: صبح الاعشى، ج ٥، ص ٢٧٨.

(٧) ابن فضل الله العمرى: التعريف، ص ٢٩، القلقشندي: صبح الاعشى، ج ٨، ص ٦.

(٨) مسالك الابصار، ج ٢، ص ٤٩٢؛ القلقشندي: صبح الاعشى، ج ٥، ص ٢٧٨.

ويتضح مما سبق الحقائق التالية:

أولاً: ان بلاد النوبة منذ الربع الأول من القرن الرابع عشر، لم تعد وطن النوبيين فحسب بل شاركهم فيها قبائل عربية كثيرة من غير بنى كنز. بل ان كثيراً من الجماعات العربية التي تعيش في مصر اشتركت في الحملات المملوكية على بلاد النوبة مدة نصف قرن^(١) من عام ١٢٧٦ الى ١٣٢٣ م ولا بد ان كثيراً من هذه الجماعات فضلت البقاء في بلاد النوبة عقب كل انسحاب للقوات المملوكية إلى مصر^(٢).

ثانياً: ان العرب اختلطوا بالنوبيين واعتنق كثيراً من هؤلاء الدين الإسلامي منذ القرن التاسع الميلادي في ارض مريس، ثم فيما يليها جنوباً منذ منتصف القرن الثالث عشر الميلادي على الأقل^(٣).

ثالثاً: ورغم سقوط مملكة المقررة المسيحية، الا انه قد ظل بقايا من الديانة المسيحية حتى نهاية القرن الخامس عشر الميلادي على الأقل^(٤).

ويعتقد انه لم يكد ينتصف القرن الرابع الميلادي حتى كان النوبيون قد اعتنقوا الإسلام باستثناء أقلية نوبية ظلت على المسيحية، حتى أواخر القرن الخامس عشر الميلادي حيث ظلت تحج إلى بيت المقدس^(٥).

(١) انظر: هجرات القبائل العربية في الفصل الاول، ثم الحملات المملوكية على عهد بيبرس وقلاوون والناصر محمد وغيرهم، والتي اشترك في كل حملة منها على بلاد النوبة في الفصل الثاني.

(٢) قد يكون من بين الاسباب التي دفعت السلطنة المملوكية الى اخذ الموائيق على الملك شكندة، وخلفائه بتسليم العريان في النوبة الى السلطنة المملوكية، هو خروج اولئك العريان على السلطنة والانفصال عن بقية الجيوش المملوكية عند انسحابها ومع هذا فاننا نلاحظ اشتراك العريان في كل حملة مملوكية على النوبة.

(٣) يقول القلقشندي: فبعث السلطان كرنيس اليهم فملكهم وانقطعت الجزية عنهم من حين اسلم ملوكهم صبح الاعشى، ج٥، ص ٢٧٧.

(٤) انظر: رسم المكاتب بين السلطنة المملوكية وملك النوبة، ابن فضل الله العمري: التعريف بالمصطلح الشريف، ص ٣٠
C.F. : Millet "Jebel Adda, Preliminary Report"

Journal of American Research Center in Egypt, VI, 1967, p. 62.

(5) C.F.: Crowfoot, J. W. : Op. Cit., p. 149.

رابعاً : غلبة العنصر العربى فى بلاد النوبة منذ استقرار عرب جهينة بها أدى الى زيادة الاختلاط بالنوبيين وتحويل الأقلية المسيحية إلى الإسلام^(١).

خامساً : ان الكنيسة النوبية دائماً فى حاجة لأن تتصل بمنبعها وهى كنيسة الإسكندرية، للحصول على الأساقفة. غير ان هذه الصلة الدينية قطعت نهائياً منذ عهد البطريرك سيريل ١٢٣٥م، فتركت دون عون خارجى . فتضعضع مركزها وجاءت نهايتها حوالى سنة ١٣٥٠م. ومنها ان دور رجال الدين النوبيين كان سلبياً. فكثيراً ما تخلوا عن ملوك النوبة وانضموا إلى المسلمين^(٢).

سادساً : ان مملكة النوبة المسيحية ظلت تقاوم وحدها الضغط العربى والمملوكى دون عون خارجى، فلم يتعاون معها اى من الممالك المسيحية المجاورة^(٣)، فالنزاع الذى نشب بين ملوك النوبة وملوك علوة كان من أهم العوامل التى عجلت بسقوط مملكة النوبة المسيحية، أما ملوك الحبشة من البيت الزغوى فلم يمدوا يد المساعدة لملوك النوبة ضد السلطنة المملوكية او القبائل العربية التى ملكت ديارهم، وذلك لانشغالهم فى الصراع مع القوى المحلية بهضبة الحبشة وشرق أفريقيا.

سابعاً : اضطراب الأحوال الداخلية لبلاد النوبة فى القرن الرابع عشر الميلادى بسبب الفوضى التى أثارها بنو الكنز وغيرهم من القبائل العربية مما أثر على تدهور التجارة النوبية، وبالتالي أصبحت البلاد مهياًة لتدخل السلطنة المملوكية لمواجهة المخاطر المتمثلة فى هؤلاء العربان.

ثامناً : تهديد ثغرى عيذاب وأسوان، جعل السلطنة المملوكية تنظر بعين الاعتبار لهذه المخاطر وبالتالى إعداد الظاهر بيبرس حملته الكبرى التى هزت أركان النظام النوبى وكانت من أقوى أسباب اضمحلال وانهيار مملكة المقرة.

(١) انظر الفصل الخامس البناء الاجتماعى ص ٢٥٣ .

(٢) انظر ما سبق ذكره فى الفصل الاول.

(3) C.F. : Budge, E. A. W. : The Egyptian Sudan, II, p. 130-139 ;

مصطفى مسعد: الإسلام والنوبة، ص ص ١٧٦ ، ١٧٧، انظر الخريطة شكل رقم (١٩).

الفصل الثالث

سقوط مملكة علوة وظهور قوى سياسية جديدة

- سوبا عاصمة علوة المسيحية.
- أسباب ضعف سوبا.
- أحداث سقوط علوة.
- أسباب سقوط علوة.
- القوى السياسية الجديدة التي ظهرت بأرض النوبة.
- أولا: مشيخة العبد لاب:
 - أصل العبد لاب وموطنهم الأول.
 - إنشاء قرى عاصمة العبد لاب
 - حدود دولة العبد لاب ومناطق نفوذها.
- ثانيا: سلطنة الفونج الإسلامية:
 - أصل الفونج وموطنهم.
 - الأصل الأموى.
 - الأصل الشلكاوى.
 - الأصل البرناوى.
 - رأى هولت (الغريب الحكيم).

— سوبا عاصمة علوة المسيحية :

مملكة علوة هي إحدى الممالك المسيحية الثلاث التي قامت على السودان وادي النيل في العصور الوسطى^(١)، وتقع عاصمتها سوبا على الضفة اليمنى للنيل الأزرق

(١) بعد سقوط مملكة مروي في القرن الرابع الميلادي على يد ملك أكسوم الحبشي: عيزانا قامت ثلاث ممالك نوبية : (أ) كانت في الشمال بين الشلال الأول والثالث. وتدعى مملكة نوباديا أو المريس وعاصمتها فرس (ب) ومن الشلال الثالث حتى السادس عند قرى الأبواب كانت مملكة المقررة وعاصمتها: دنقلا العجوز. (ج) وفي حدود المقررة الجنوبية هذه وما يليها قامت مملكة علوة. انظر: المقرريزي : الخطط، ج١، ص ١٩٢، ٢٠٠، مكي شبكية: مملكة الفونج الإسلامية ص ٧-٨، شيني: بلاد النوبة في العصور الوسطى، ص ٢-٣، عبدالمجيد عابدين: تاريخ الثقافة العربية في السودان ص ٢٥، ٢٦، ويلاحظ أن اندماج مملكة مقررة ونوباديا، اللتان قامتتا على أنقاض مملكة مروي النوبية القديمة التي انهارت عام ٣٥٠م على يد عيزانا ملك أكسوم، وقد تم هذا الاتحاد بين المملكتين قبيل ظهور الإسلام أو بعده بقليل أي فيما بين عامي ٥٨٠، ٦٥٢م. محمد بن عمر الواقدي: فتوح مصر والاسكندرية، ط ليدن ١٧٢٥ م ، ص٣، مصطفى مسعد : الإسلام، ص ٦٢ ،

Mustafa. M. ,Musa' ad: the doenfall of the chrisrian nubian kingdoms. S.N.R. vol. 40-1959, P. 124; Kirwan. F.p.: the international position of the sudan in the roman and medieval times. S.n.r. vol. XL, 1959, p. 31.

وانظر كذلك : شوقي الجمل : تاريخ السودان وادي النيل، الانجلو المصرية، ج ١ ، ص ٢٠٢، حاشية ١، ٢، ٣، مصطفى مسعد: امتداد الإسلام والعروبة إلى وادي النيل الأوسط مملكة علوة، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، العدد الثامن ١٩٥٩م، ص ٦٩، ٧٠، محمد محمد أمين: العبدلاب وسقوط مملكة علوة، مجلة الدراسات الأفريقية، العدد الثاني ١٩٨٣، ص ٩

C.F: John of Ephesus: Ecclessiastical history, part II to by R. payna smith, London 1860, p. 319., De villard: storia,p.156, Trimmingham: Islam in the sudan p.49, Arkell: A history of the Sudan to A.D. 1821, p. 186.

على بعد عشرة أميال جنوبى شرقى الخرطوم (١).

وكانت مملكة علوة تضم عدداً من الولايات التى يحكمها نواب عن الملك اهمهم والى الأبواب (٢)، وله من المكانة مثلاً لصاحب الجبل (٣) فى مملكة مقرة، وقد

(١) مملكة النوبة العليا عرفها مؤرخو العرب باسم علوة، بينما عرفها مؤرخو الإغريق باسم Alodiae وهى تمتد جنوبى مقرة حتى بلدة القطنية على النيل الأبيض وعاصمتها سوبا، وتشمل هذه المملكة بعض جهات الاتبرا، والنيل الأزرق شرقاً حتى حدود الحبشة، وبعض جهات كردفان ودارفور انظر: اليعقوبى: البلدان، ط ليدن ١٨٩١، ص ١٢٤ - ١٢٥، ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٦١، ٦٢، ابن الفقيه: البلدان، ص ٧٨، الدمشقى: نخبة الدهر، ص ٢٦٨، المقرئى: الخطط، ج ١، ص ١٩٣، مصطفى مسعد، المكتبة السودانية، حاشية (٢)، ص ٣، Kirean, L.P: notes on the topography of the christian nubian Kingdoms, J.E.A. XXL, 1934, P.57.

وسويه أو سوبا قد أنشأت على أيدي جنود ابسماتيك الفارين إلى السودان فى أواخر القرن السادس ق.م وورد ذكرها لأول مرة فى لوحة تنسب إلى أحد ملوك مروي سنة ٣٢٨ ق.م بمناسبة تخليد ذكرى جلوس الإله آمون على عرش البلاد. وهناك من يحاول الربط بين سوبا وسبأ على أساس أنهما من عمل السبئيين. وحرف اسمها من سبأ إلى سوبا. انظر: عبدالحميد عابدين، ميلاد سوبا، مجلة الجمعية التاريخية السودانية، المجلد الأول، الجزء الثانى، ف. أديسون: الدليل الموجز إلى مخلفات السوان الانجليزى المصرى التاريخية (معرب) ص ٢٦، محمد صالح محى الدين: مشيخة العبدلاب وأثرها فى حياة السودان السياسية، الدار السودانية، ط الأولى ١٩٧٢م، ص ٨٦ حاشية (١)، محمد عبدالرحيم: العروبة فى السودان، الخرطوم، ص ١٤، يوسف فضل حسن: دراسات سودانية/ ص ٢٣، عبدالعزيز عبدالمجيد: التربية فى السودان، الجزء الأول، المطبعة الأميرية/ ١٩٤٩، ص ١٠، مكى شبكة: السودان عبر القرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٦٤، ص ١٥، ١٦، الشاطر بصيلى: معالم تاريخ السودان، ص ٥٢، Budge, E.G.W.: the Egyptian sudan, its history and monuments, London 1907, 11, PP. 98, 151, 304. P.L. Shinnie, F.S. A Exavation at Soba, PP.11-12.

وانظر الخريطة شكل رقم (٢)

(٢) أبو صالح الأرمنى يفرق بين هؤلاء الملوك، ومالك مقرة، فأطلق على الأخير لقب الملك الكبير، أما هؤلاء الملوك الذين تحت طاعته فهم أشبه بالملوك (جمع مك) الذين تولوا حكم الأقاليم. انظر: أبو صالح الأرمنى: تاريخه، ص ١٢٥.

(٣) هو حاكم إقليم مريس الممتد من الشلال الأول إلى الشلال الثانى، وعرف أحياناً باسم صاحب مريس، أعظم ولايات مملكة النوبة السفلى، اتخذ مدينة بخراش أو بجراش فريس الحالية مقراً لحكمه، وله شارات خاصة انفرد بها، وهى ليس العمامة ذات القرنين والسوار الذهب، وله سلطات مطلقة لا تقل عن سلطة الملك الكبير فى دنقلة وذلك لاتصال ولايته بأرض السلام فى مصر، فكان مكلفاً بالدفاع عن الحدود الشمالية للمملكة، وعدم السماح بالمرور لأى شخص كان جنوباً عن حدود ولايته إلا بتصريح منه. المقرئى: الخطط، د، ص ١٩٠، حسن محمود: نفس المرجع، والجزء، ص ٢٨٠، ٢٨١، ٣٠٨، انظر: الخريطة بملحق الدراسة شكل رقم (١)، (٢).

ذكر المقریزی أن حد علوة من ناحية الشمال عند قرى تعرف «بالأبواب»^(١). وهي جزء من علوة، ولكن المصادر لا تعطينا وصفاً دقيقاً لحدودها من الشرق والغرب والجنوب سوى أن ابن حوقل ذكر «أن طولها نحو شهرًا، وعرضها ما بين النيل وحدودها الشرقية - ثمانى مراحل»^(٢). وذكر في موضع آخر أن حدودها الشرقية تمتد حتى بلاد الحبشة^(٣). وجاء المقریزی من بعده فذكر أن بعضاً من سكان علوة يقيمون في جهاتها الشرقية، ثم قال بعد ذلك: وبعد هؤلاء أول بلاد الحبشة^(٤)، مما يؤكد امتدادها إلى هناك.

كذلك جاء في الكتاب المنسوب إلى ابن عبد الظاهر ذكر بعض الأقاليم التابعة لمملكة علوة وهي بارة^(٥) - التاكة^(٦) - كدروا^(٧) - دنفوا^(٨) - أوى^(٩) - يقال^(١٠) -

(١) المقریزی: الخطط، ج ١، ص ١٩٢، وقد رأى كروفورد أن الأبواب هي كبوشيه الحالية

Crewford: The Fung Kingdom of Senner, PP. 24- 25.

مصطفى مسعد: مرجع سابق، ص ٧٧، شوقي الجمل: مرجع سابق، ج ١، ص ٢٠٢، محمد محمد أمين: العبدلاب، ص ١٩٣.

(٢) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٦١.

(٣) نفس المصدر، ص ٦١-٦٣.

(٤) المقریزی: الخطط، ج ١، ص ٩٣، محمد صالح محيي الدين: مشيخة العبدلاب، ص ٩٠.

(٥) بارة إحدى الأقسام الإدارية التي كانت تتألف منها مملكة علوة. ويرى دى فيار أنهم كانوا يقطنون على ضفاف نهر الاتبرا، وقد نزحوا جنوباً تحت ضغط البجاه. انظر: مصطفى مسعد: المكتبة، ص ١٩٦.

Devillard: Storia della nubia Cristiana, P. 148.

(٦) التاكة: الإقليم الذى يحيط بجبل كسلا فى شرق السودان حيث يقطن الحلانقة.

Macmichael: Op. cit., vol. 1, p. 183: f.n De villard: op.cit.,p.149.

انظر الخريطة . بملحق الدراسة . شكل رقم (١)

(٧) كدروا Kedrou إحدى الممالك الصغيرة التابعة لمملكة علوة، ويبدو أنها كانت تحتل المنطقة التي توجد فيها بلدة الكدرو الحالية . Arkell: S.N.R. XXXIII, Part II, p. 263.

(٨) دنفوا: ربما محرف من لفظ داجو - أى شعب الداجو Arkell: Op.cit., P. 263.

(٩) يقول آركل أن اسم هذه الإمارة ربما اقترن باسم بلدة أورى (Uri) عاصمة التنجوز فى إقليم دارفور

Arkell, A.J.: Op.cit., P.263.

(١٠) لم نهتد إلى شرح هذه الإمارة فى المراجع المتداولة.

الأنج^(١) - كرسى^(٢)، إلا إننا باستثناء بارة التى قد تكون لها علاقة بالمدينة الموجودة حالياً فى غرب السودان، وتتبع مديرية كردفان، وتعرف بهذا الاسم، والتاكة التى هى الان جزء كبير من مديرية السودان الشرقية : كسلا - لم نهتد إلى معرفة شئ عنها^(٣).

وعلى كل حال فالراجح أن مملكة علوة امتدت من الأبواب شمالاً إلى القطنية على النيل الأبيض جنوباً، وشملت جهات الاتبرا، والنيل الأزرق حتى حدود الحبشة شرقاً، وبعض جهات دارفور وكردفان غرباً^(٤).

ويلاحظ أن مملكة علوة، كانت أغنى من مملكة مقرة، من حيث اتساع أراضيها وخصوبة تربتها، وكثرة أمطارها، فضلاً عن كثرة فروع النيل وتشعبه بها، بالإضافة على مبانيها العظيمة وبساتينها المترامية الأطراف، وكثرة كنائسها المليئة بالذهب، وجيشها العظيم^(٥)، أضف إلى ذلك كله وجود مناجم الذهب وأعداد كبيرة

(١) ذكر الدمشقى: أن الانج قبيلة من قبائل النوبة حسبما رواه تجار أسوان، ويرى دى فيار أنهم شعب قديم واسع الانتشار وصاروا يعرفون العنج انظر: نخبة الدهر، ص ٢٦٨، De Villard: Op. Cit., 149.

(٢) إقليم أو مملكة كرسى تحريف اسم شعب أزكرسا - أنكرسا الذين أشار إليهم الدمشقى (نخبة الدهر ص ٢٦٨) وقال انهم شعبة من النوبيين، ويرى دى فيار انهم كانوا يقطنون إقليم جزيرة النيل الأزرق وانظر أيضاً، C.F. De Villard: Op. Cit., P. 149.

ابن عبد الظاهر : تشرىف الأيام والعصور ، ج ٢، ص ٢٩٣ (أ) ، (ب) ، محمد صالح : مشيخة العبدلاب، ص ٩٠، Macmichael: Op. Cit., Vol. 1, P. 183.

(3) Crawford: The Fung Kingdom Of Sennar, PP. 24-25.

(4) Crawford: Op. cit., P. 25, Arkell: Op. Cit., P. 196, Trimmingham, Op.Cit., P. 72, Y.F. Hasan: Islamix External influences, P.75.

وانظر : محمد محمد أمين : العبدلاب / ص ١٩٣،

(٥) وصفها ابن حوقل وصفاً يدل على عمرانها وازدهارها فى عهده، فقال: «ومن أعمر بلادهم نواحى علوة، وهى ناحية لها قرى متصلة، وعبارات مشتبكة، حتى ان السائر ليجتاز فى المرحلة الواحدة بقرى عدة منقطعة الحدود، ذوات مياه متصلة بسواقي من النيلان وكان ملكهم - وأنا بالناحية، - أسابيوس كرجوه جوتى «وقد خلاله فى ملكه سبع عشرة سنة ... وطول بلده من ناحية المقرة الذى هو آخر ملك دنقلة فى طاعة العلوى إلى بلد كرسى آخذا على النيل، ومسافة ذلك بالطول شهر واحد، وعرضه من النيل إلى تغلين يكون ذلك ثمانى مراحل مشرفة،

انظر : ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٦١ ن محمد صالح محى الدين: مشيخة العبدلاب، ص ٨٩، محمد محمد أمين : العبدلاب ، ص ١٩٣، ١٩٤ .

من السائمة^(١). يقول أحمد بن سليم الأسواني: «ومتلك علوة أكثر مالا من متملك المقررة واعظم جيشا وعنده من الخيل ما ليس عند المقرى، وبلده أخصب وأوسع^(٢)».

مما سبق يتبين أن مملكة علوة سيطرت على منطقة واسعة من السودان وادى النيل، وعاشت حقبة طويلة من تاريخه امتدت من القرن الرابع قبل الميلاد إلى السادس عشر الميلادي حيث سقطت في أيدي العبدلاب.

أسباب ضعف سوبا:

تضافرت عوامل عديدة أدت لاضعاف سوبا، ثم سقوطها في أيدي العبدلاب من أهمها:

أولاً: هجرة القبائل العربية إلى السودان وادى النيل وتكاثرها^(٣)، وامتدادها إلى أرض علوة على وجه الخصوص، ثم استيلائها على أقاليم المملكة بعد الاصحار إلى البيت المالك^(٤).

والحقيقة أن المصادر العربية أشارت إلى تدفق الجماعات العربية من مصر إلى بلاد النوبة الشمالية (المقررة) وأوطان البجة، ولكنها لم تشر إلى مثل هذه الهجرات إلى بلاد علوة، ولذلك ينبغي أن نتتبع أخبار هذه الهجرات واستقرارها فيما جاء من

(١) المقرري: الخطط، ج١، ص ١٩٢، ١٩٣، ابن عبدالسلام شهاب الدين أحمد بن محمد: الفيض المديد في أخبار النيل السعيدن مخطوط مصور بدار الكتب المصرية، رقم ٤٢٩، ورقة ١٠ (أ).

(٢) المقرري: الخطط، ج١، ص ١٩٣.

(٣) انظر: هجرة القبائل العربية إلى بلاد النوبة وأوطان البجة في الفصل الأول من هذا الكتاب، وأيضاً: التكوين الاجتماعى فى الفصل الخامس.

(٤) انظر: تاريخ مختص بأرض النوبة ومن ملوكها ملوك الفونج ومن تولى بعدهم، مخطوط غير منشور، دار الوثائق القومية بالخرطوم رقم ص ١٧-٢٠ Misc 1/15/191

الأرياب الحسن بن شاور: واضح البيان فى ملوك العرب بالسودان، وملوك العبدلاب من الشيخ عجيب الأول إلى تاريخه، مخطوط بدار الوثائق القومية بالخرطوم، رقم Misc 1/20/232، ص ٢٢١، انظر ملحق الدراسة (٦/ هـ)، وانظر كذلك: يوسف فضل حسن: بواكير الدعوة الإسلامية والثقافة العربية، (مقدمة كتاب الطبقات، ط

الثالثة، الخرطوم ١٩٨٥، ص ٥، C.F. Cuoq: Op. Cit., PP.

محمد محمد امين: العبدلاب وسقوط مملكة علوة، ص ٢٠٣، المؤلف نفسه. تطور العلاقات العربية الأفريقية فى العصور الوسطى، ص ٦٢.

المصادر السودانية المحلية، وهى عبارة عن أوراق النسبة التى تحتفظ بها كثير من الأسرات السودانية فى الوقت الحاضر^(١).

ويرجع هذا العزوف فيما يبدو عن ذكر أخبار مملكة المقررة وأرض البجة إلى بُعد ديار أولئك المؤرخين - فى مصر وما بعدها - عن مملكة علوة ومناطق نفوذها بالاضافة إلى وعورة الطريق إليها، وضعف وسائل النقل آنذاك، فى حين كانت دولة المقررة واطنان البجة ملاصقة لديار الإسلام ولهذا أمكنهم الإلمام بأخبارها^(٢).

وقد ورد ذكر علوة بصورة مقتضبة فى بعض المصادر العربية^(٣)، ولكنها لا تقدم لنا معلومات مفصلة عن حجم الهجرات العربية، اللهم إلا اليعقوبى الذى قال: «والمسلمون يختلفون إليها»^(٤)، والنويرى الذى قدم أخباراً مفصلة عن حملة مملوكية سيرها الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧١٦ هـ / ١٣١٦ م على العربان وقد واصلت تقدمها حتى بلاد علوة^(٥). «وخرجت فيها شلة من الأمراء، وسبعة من مقدمى الحلقة المنصورية»^(٦).

(١) انظر ملحق الكتاب. بعض من أوراق النسبة، دار الوثائق القومية بالخرطوم. وثيقة بملحق رقم (٦). شكل: أ، ب، ج، د، هـ.

(٢) اهتمت كل من مملكتى النوبة (مقرة، وعلوة) بالحدود الشمالية دون الجنوبية، فبينما نجد مملكة مقررة، تهتم بولاية مريس، وهى الأرض المتصلة بمصر الإسلامية، وتجعل لحاكمها الذى أطلق عليه مؤرخو العرب اسم صاحب الجبل سلطات واسعة لكونه حارساً للحدود الشمالية، ونجد مملكة علوة توجه اهتمامها أيضاً بحدودها الشمالية والتى كانت تعرف بالأبواب، وهى الأرض المتصلة بمملكة مقررة. وتطلق لصاحبها سلطات مطلقة أيضاً شأنه فى ذلك شأن صاحب الجبل، فأقليم الجبل بمثابة خط الدفاع الأول لمملكة مقررة فى الشمال بينما إقليم الأبواب بمثابة خط الدفاع الأول لمملكة علوة من الشمال أيضاً. انظر: المقرئى: الخطط، ج١، ص ١٩٠-١٩٢، مصطفى مسعد: الإسلام والنوبة، ص ٨٥-٨٧، المؤلف نفسه: امتداد الإسلام والعروبة إلى وادى النيل الأوسط (مملكة علوة) المجلة التاريخية المصرية، العدد الثامن ١٩٥٩ م، ص ٨٧، محمد عبدالعال: النوبة والمحاولات الإسلامية الأولى لفتحها، ص ٢٧٥، ٣-٤، Vol. 1. pp. 3-4. Macmichael: Op. Cit.,

انظر: الخريطة، شكل رقم (١).

(٣) انظر: ابن حوقل: صورة الأرض ص ٦١-٦٢، ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان، ص ٧٨، الدمشقى: نخبة الدهر، ط بطرسبرغ ١٨٦٥ م، ص ٢٦٨.

(٤) كتاب البلدان، ص ١٢٤، ١٢٥، وأيضاً: تاريخ اليعقوبى، ج١، ص ٢١٧.

(٥) النويرى: نهاية الأرب، مخطوط، ج٣٠، ورقة ٩٦-٩٨.

(٦) انظر ما سبق فى سقوط مملكة المقررة.

وقد توجهت هذه الحملة في خمسمائة فارس، فسارت إلى عيذاب، فسواكن ثم انتهت إلى نفوذ علوة في التاكة (كسلا الحالية)، ثم مضت في أرض علوة، ونهر عطبرة على يمينها، حتى التقت بنهر النيل بعد أن قاتلت «هناك»،^(١) ومن ثم عادت إلى مصر عن طريق دنقلة والنيل بعد أن جاست خلال أراضي علوة، واستغرقت مسيرتها ستة أشهر^(٢).

واعتماداً على ما تذكره المصادر السودانية^(٣)، نستطيع أن نقرر أن أعداداً كبيرة من القبائل العربية - وبخاصة جهيينة التي ينتسب إليها العبدلاب^(٤) - وقد استقرت في مملكة علوة المسيحية، مما أدى إلى انتقال السلطة تدريجياً من يد سكان علوة الأصليين إلى العرب المهاجرين في الممالك الصغيرة التي كانت تابعة لعلوة، ثم أدى هذا الاستقرار الكثيف للعرب حول سوبا - آخر الأمر - إلى سقوطها، وقامت على أنقاضها مشيخة العبدلاب^(٥)، ومملكة سنار سنة ٩١٠ هـ / ١٥٠٤ م^(٦).

أما عن استقرار القبائل العربية في أرض علوة: فلدينا شواهد تدل على ذلك منها، أن بعض المؤرخين المحدثين يرون أن ابن خلدون حين كتب عن انتشار العرب من جهيينة في أرض النوبة، واستيطانهم فيها، وملكهم لها بعد مصاهرتهم لملوك النوبة عن طريق مبدأ تمليك الأخت وابن الأخت الذين يدينون به...^(٧) إنما يعني بهذا الكلام أيضاً ملوك علوة المسيحية، ويعتقد أن هذا الرأي فيه شيء من الصواب لسببين:

(١) هلكة يشير هذا إلى قبائل الحلانقة المعروفة الآن في تلك الجهات.

(٢) النويري: نهاية الأرب، ج ٣٠، ص ٩٦-٩٨.

(٣) انظر: تاريخ مختص بأرض النوبة ومن ملوكها ملوك الفونج، ومن تولى بعدهم، مخطوط، دار الوثائق القومية بالخرطوم، رقم Misc 1/15/191، ص ١٨-٢٠.

(٤) هذا وقد ذكر ابن خلدون عن هجرة جهيينة، وانتشروا ما بين صعيد مصر وبلاد الحبشة، وكثروا هنالك سائر الأمم وغلبوا على بلاد النوبة، وفرقوا كلمتهم وأزالوا ملكهم.. انظر العبر وديوان المبتدأ والخبر، القسم الثالث، المجلد الثاني، دار الكتب اللبنانية، ص ٥١٦ وما بعدها.

(٥) انظر: الأرياب الحسن بن شاور: واضح البيان في ملوك العرب بالسودان، وملوك العبدلاب من الشيخ عجيب الأول إلى تاريخه، مخطوط بدار الوثائق القومية بالخرطوم رقم Misc 1/20/232 ورقة ٢٠١، وانظر الخريطة شكل رقم (١٠).

(٦) انظر ذلك فيما بعد. ص ١٦٠.

(٧) انظر: الإسلام والنوبة، ص ٢٠٢.

أولاً: أن النوبة كانت منقسمة إلى مملكتين: مملكة النوبة السفلى، أو مملكة مقرة فى الشمال، وعاصمتها دنقة^(١)، ومملكة النوبة العليا أو مملكة علوة فى الجنوب^(٢)، وعاصمتها سوبا^(٣)، اذا حديث ابن خلدون ينطبق على أرض علوة أيضاً لأنها ضمن اراضى النوبة.

ثانياً: عندما تحدث ابن حوقل عن مملكة علوة بقوله : «ومن سنة جميع السودان اذا هلك الملك أن يقعد ابن أخته دون كل قريب وحميم من ولد وأهل^(٤)، ومنه اقتبس أبى خلدون فى الأرجح - ما قاله عن نظام وراثته الحكم ، مما يؤكد أن المقصود بكلامه - فى المقام الأول - مملكة علوة المسيحية. وهذا يعنى أن عرب جهينة وغيرهم هاجروا بأعداد كبيرة إلى عدد من أقاليم مملكة علوة.

وقد ذكرنا من قبل أن مملكة علوة أغنى من مملكة مقرة^(٥)، من حيث اتساع اراضيها وخصوبة تربتها، وكثرة امطارها، وفروع النيل المتشعبة، ومبانيها الحسان، وبساتينها المترامية، وكثرة كنائسها^(٦).

(١) الواقدي: فتوح مصر والإسكندرية ، ص ٣ ،

C.F: Mustafa. M. Musaad: The Downfall Of the Christian Nubian, P. 124.

ج. فانتيلى: تاريخ المسيحية فى الممالك النوبية القديمة، ص ٢٣، محمد عوض: السودان الشمالى، سكانه وقبائله، ص ٢٨٥، الشاطر بصلي: معالم تاريخ السودان وادى النيل، ص ٣،

(2) C.F: Kirwan, L.P.: Notes on Topography Of the christian Nubian Kingdos, J.E.A, XXI. 1934, P. 57, Budge, E.G.W.: the Egyptian Sudan, 11, PP. 98, 151, 304.

(٣) انظر كذلك تقسيم النوبة فى : تاريخ اليعقوبى، ج١، ص ٢١٧، ٢١٨، وأيضاً: البلدان، ص ١٢٤، ١٢٥، الدمشقى: نخبة الدهر ، ص ٢٦٨ .

(٤) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٦١، ابن خلدون: العبر، ج٥، ص ٩٢٢، ٩٢٣ .

(٥) يقول المقرئى نقلاً عن ابن سليم الاسوانى «ومتلك علوة أكثر مالأ من متلك المقرة وأعظم جيشاً وعنده من الخيل ما ليس عند المقرئى، ويلده أخصب وأوسع، والنخل والكرم عندهم يسير ، وأكثر حبوبهم الذرة البيضاء ... واللحم عندهم كثير لكثرة المواشى والمروج الواسعة العظيمة السعة حتى أنه لا يوصل إلى الجبل إلا فى أيام، وعندهم خيل عتاق، وجمال صهب عراب، ، انظر: المقرئى: الخطط، ج١، ص ١٩٣،

(٦) انظر : المقرئى: الخطط ، ج١، ص ١٩٢، ١٩٣، ابن عبد السلام: الفيض المديد فى أخبار النيل السعيد، مخطوط رقم ٤٢٩ دار الكتب المصرية، ورقم ١٠ (أ)، مكى شبكية : السودان عبر القرون، ص ٤٢، وأيضاً نفسه ، مملكة الفونج الإسلامية، ص ١٥ ، توماس ارنولد): الدعوة، ص ١٣١ يقول : وزاد عدد العرب القاطنين على ضفاف النيل الأزرق، كما زادت ثروتها زيادة كبيرة فى القرن العاشر، حتى أنهم استطاعوا ان يلتمسوا ببناء مسجد فى سوية عاصمة المملكة المسيحية. نفس المرجع والصفحة.

فاذا كانت سوبا عاصمة علوة على هذه القدرة الاقتصادية القوية في ذلك الوقت كما وصفها مؤرخي النوبة من السعة والخصب، فلا بد أن الهجرة العربية قد شقت طريقها صوبها طمعاً في الاستقرار والأمان.

يقول مونريه دفيلا (M.De Villard) وليس بمستبعد أن الأسرة المالكة النوبية (وعلوة تسمى النوبة العليا) ترجع في أصلها إلى جنوب الجزيرة العربية، إذ عبر الحميريون البحر الأحمر، واستقروا في السودان وادى النيل حيث نقلوا أسماء أجدادهم مثل كوة، دراو، سبأ، ولا يعدو أن تكون الأخيرة حرفت إلى سوبا العاصمة أي عاصمة مملكة علوة^(١).

وقد سبق وأن عرضنا لحملة السلطان الناصر محمد بن قلاوون عام ٧١٦ هـ/ ١٣١٦ م، وهي التي وصلت دنقلة، وأجبرت كرنبس وأخاه أبرام على الهروب جنوباً إلى الأبواب^(٢)، وهي الحدود الشمالية لمملكة علوة كما هو واضح من نص معاهدة البقط^(٣)، ومن ثم يتضح أن البلاد صارت مفتوحة أمام توغل العرب بعد سقوط مملكة المقررة^(٤).

(1) C.F.: Monneret De Villard: storia della nubia Cristiana, Roma 1938, pp. 170-1; Macmichael: A history of the Azabs in the sudan. Vol. 1, p. 6-7; Paul: the had-areb, A study in arab- Beja relationships, S.N.R. XL, p. 75, Murry: sons Of Ismael, London 1935, P. 21, Breasted: Ancient recods of Egypt. 2 vols. Chicago, 1906, vol. 1, pp. 168, 236, 250, 267. 311-315 idem. A history Of Egypt. Pp. 158-9; C.f.: hamilton, J.A.: The Anglo-Egyptian sudan within p. 42.

(٢) انظر: النويري: نهاية الأرب، جـ ٣٠، ورقة ٩٥، محمد جمال الدين سرور: دولة بنى قلاوون، ص ١٥٣-١٥٤، سعيد عاشور: مصر في عصر دولة المماليك البحرية، ص ٨٩، مصطفى مسعد: الإسلام والنوبة، ص ١٦٦، محمد عبدالعال: موقف مصر من النوبة في العصر المملوكي، ص ٤٢.

(٣) ظلت معاهدة البقط ٦٨٦ عاماً هجرياً تقريباً، أو ٦٥٥ عاماً ميلادياً تقريباً، أي منذ عقدها عام ٣١ هـ/ ٦٥٢ م إلى سقوط مملكة النوبة الشمالية (مقرة) في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون. انظر: ابن خلدون: العبر القسم الأول: المجلد الخامس، ص ٩٢٢، القلقشندي: صبح الاعشى، ج ٥، ص ٢٧٦، مصطفى مسعد: الإسلام والنوبة، ص ١٦٦، ١٦٧، مكي شبكة: السودان، ص ٣٠، محسن محمود: مرجع سابق، ج ١، ص ٣١١، C.F.: Cuoq: op. cit., P.82-83.

(٤) ومن ثم صارت البلاد مفتوحة بعد سقوط المقررة، ويقصد هنا مملكة علوة الممتدة من حدود المقررة الجنوبية في الشمال حتى القطنية على النيل الأبيض، وبعض جهات دارفور وكردفان في الغرب والجنوب، وحتى حدود السودان مع الحبشة في الشرق، كما يدل قول ابن حوقل، والمقريري. انظر: صورة الأرض، ص ٦١-٦٣، الخطط للمقريري، ج ١، ص ١٩٣، شيني: بلاد النوبة في العصور الوسطى، ص ١٠، عبدالعزيز عبد المجيد: التربية في السودان، ج ١، ص ٣٤، ماكماكل: دخول العرب في السودان، ص ١٢-١٣، C.F.: Crawford, the Fung kingdom of sennar. P. 25.

وثمة دلائل أخرى على استقرار العرب في مملكة علوة . منها انشاء العرب لمدينة أريجى ^(١) سنة ٨٨٠ هـ / ١٤٧٤ م ، قرب الحدود الجنوبية لمملكة علوة ، وانشاؤها على أيديهم يدل على أنهم عرفوا معظم اراضي علوة اذ هم جاؤا في معظمهم من الشرق عبر البحر الأحمر إلى أراض البجة ^(٢) ، ومن الشمال من مصر عبر اراضي مملكة مقرة المسيحية ^(٣) ، إذا فلا بد أن يكون قد استقر بعض منهم - قل أو أكثر - في الأجزاء الشمالية من مملكة علوة ، وبخاصة عاصمتها سوبا ، قبل أن يصلوا إلى موقع مدينة أريجى التي أنشاوها .

وانشاء العرب لمدينة أريجى قبل سقوط علوة يتضح من مخطوطة كاتب الشونة اذ يقول صاحبها : وخطت مدينة أريجى قبلها (اى سنار ^(٤)) بثلاثين سنة ، خطها حجازى بن معين ، وعلى هذا يتضح أن عمارة أريجى تم زمن العنج . ثم دلالة الأحرف التي يتركب منها اسم أريجى . اذا أن هذه الكلمة تعنى في اللغة النوبية « بلد العرب » ^(٥) ، وموقعها الآن بالقرب من الحصاصيصا الحالية .

(١) تقع أريجى على الشاطئ الغربى للنيل الأزرق ، او الضفة اليسرى منه ويحيط بها النيل من جانبيين على شكل قوس ، وهى جنوب شرقى الحصاصيصا الواقعة جنوب خط العرض ١٥ ، وعلى بعد حوالى ميلين منها ولا تزال تحتفظ بأريجى باسمها القديم . انظر الخريطة شكل رقم (١٠) . وتعتبر أريجى أول مدينة عربية تجارية إدارية فى السودان . اذ يرجع تاريخ إنشائها إلى سنة ٨٨٠ هـ / ١٤٧١ م اى قبيل إنشاء مدينة قرى عاصمة العبدلاب وسنار عاصمة الفونج بنحو ثلاثين عاماً ، فقد قال ود ضيف الله فى طبقاته « وخطت مدينة أريجى قبلها - اى سنار - بثلاثين سنة خطها حجازى ابن معين انظر الطبقات فى خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء فى السودان تحقيق د/ يوسف فضل ، ط الثالثة ، دار جامعة الخرطوم للنشر سنة ١٩٨٥ ، ص ٣٩ ، ٤٠ ، وظلت مزدهرة حتى خربت فى عهد الملك عدلان الثانى (تاسع عشر ملوك الفونج فى سنار) ، ولا يوجد منها الآن سوى أوان فخارية من النوع الفونجاوى أى ترجع لزمان مشيخة العبدلاب - ويقايا بعض قباب ومشاهد لثلاثة من الفقهاء الأولياء هم : ابو سنييه والقاضى دشين والقبه الجنوبية القصوى لابي زيد . C.F.: Crawford: Op. Cit., P. 68-69.

(2) De Villard: Op. Cit., PP. 170-1.

(٣) انظر . Murry: Sons of Ismael, London. 1935, p. 21.

(٤) خطت مدينة سنار سنة ٩١٠ هـ / ١٥٠٤ م عقب سقوط سوبا . انظر تاريخ مختص بأرض النوبة ، مخطوط ، رقم Misc 1/15/191 ورقة ١٧ ، ١٩ .

(٥) أحمد أبو على : مخطوطة كاتب الشونة ، تحقيق الشاطر بصيلى عبدالجليل ، ص ٤-٥ ، انظر : إبراهيم عبدالدافع : تاريخ ملوك السودان وأقاليمه ، مخطوط بدار الوثائق القومية بالخرطوم ، ص ٢ ، تاريخ مختص بأرض النوبة ، ورقة ١٦ ، محمد صالح : مشيخة العبدلاب ، ص ٧٤ ، مكى شبيكة : مملكة الفونج الإسلامية ، ص ٢٢ ، ٢٤ ، حسن إبراهيم حسن : انتشار الإسلام فى القارة الأفريقية ، ص ١٥٢ ، يوسف فضل : مقدمة ، ص ١٤ ، وأيضا المعالم الرئيسية فى

الهجرة ، ص ١٢٠ ، ١٢٨ ، C.F.: Y.F. Hasan: Islamix External influences, p. 74.

انظر الهجرة العربية لأرض علوة .

يقول الدكتور يوسف فضل «ويتوقف التعدين، وانتقال طريق قوافل الحج، وتدهور عيذاب، واضطراب قوافل التجارة الشرقية، وتوقف النشاط الاقتصادي الذي اعتمد عليه كثير من العرب، فاضطرت اغليبتهم إلى السير داخل السودان وادى النيل، حتى بلغوا أرض البطانة ثم الجزيرة، وعبر بعضهم النيل إلى كردفان^(١)».

وتواترت الروايات التاريخية على أن سوبا عاصمة علوة المسيحية كان سقوطها في أوائل القرن السادس عشر الميلادي على أيدي جماعة من الفنج كانت تقيم أول الأمر في جبال لولو ثم انتقلت منها إلى سنار^(٢)، وجماعة أخرى من عرب القواسمة - وهم من أصل جهيني - كانوا يقيمون حول سوبا وعلى أنقاض علوة قامت «قرى أو سنار^(٣)»، أليس هذا السقوط الذي أحدثه العرب بمملكة علوة كان مسبوقاً بوصول جماعات عربية كبيرة إلى هذه الديار؟

هكذا يتضح ان استقرار العرب في مملكة علوة، وتدرجهم في الاستيلاء على السلطة قد سار في أكثر من اتجاه، أولها بعد سقوط مملكة المقررة في الشمال في أوائل القرن الرابع عشر الميلادي، وانهايار السد المنيع الذي ظل يحول دون أن يحدث انهيار كامل في بنية الدولة المسيحية.

وتوافدت الهجرات وأعظمها جهينة^(٤)، وقبائل عربية أخرى، أخذت طريقها نحو علوة في انتشار سلمى، لم يسبقه عنف أو قتال، وبذا نجح التيار العربي الجارف

(١) يوسف فضل: المعالم الرئيسية في الهجرة ، ص ١٢٠ ، ١٢٨ ، وأيضاً نفس المؤلف

C.F.: Y.F. Hasan: Islamix External influences, p. 74.

(٢) انظر: واضح البيان في تاريخ العبدلاب ، مخطوط، دار الوثائق القومية بالخرطوم . Misc1/20/232 ورقة ٢٤١ ، وانظر: تاريخ مختص بأرض النوبة ومن ملوكها ملوك الفونج، مخطوط، دار الوثائق القومية ، ورقة ١٦ ، ١٧ .

(٣) المصدر نفسه، ورقة ١٧ ، سيكون هذا الحدث موضع دراسة فيما بعد من هذا الفصل .

(٤) استقرت جهينة في الجزء الكبير من سهل البطانة بين النيل الأزرق والعبيرة، وحتى الحبشة، حيث نجد الشكرية، وقسم من قبيلة رفاعة الجهينة، كما أقام بعض آخر على شواطئ النيل الأبيض، وفي إقليم الجزيرة وحوض النيل الأزرق، ومدت بعض الجماعات العربية هجرتها، وخاصة التي قنمت من مصر عن طريق كورتى والدبة إلى إقليم كردفان ودارفور هذا بالإضافة إلى الجماعات التي استقرت في صحراء بيوضة انظر: مخطوط تاريخ مختص بأرض النوبة ، ورقة ١٨ ، ١٩ ، يوسف فضل: المعالم الرئيسية في الهجرة ، ص ١٢٨ ، مصطفى مسعد: الإسلام والنوبة، ص ١٩١ ، ٢٠٢ ، حسن محمود: الإسلام والثقافة العربية، ج ١ ، ص ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، محمد عبدالرحيم: العروبة في السودان، ص ٤٧ ، سليجمان: الشعوب والسلالات الأفريقية، ص ٣٢٢ ، ماكمايكل: دخول العرب في السودان، ص ٣٠ ، ٣١ ،

محمد صالح: مشيخة العبدلاب ص ٧٧، P. 76-77، Op. Cit., C.F.: Y.F. Hasan:

فى أن يستأصل شأفة المملكة المتهالك، نقصد هنا مملكة علوة المسيحية، وصبغها بالصبغة الإسلامية.

ونستطيع أن نتبين المدى الذى وصلت إليه الكثرة العربية فى أرض علوة من المادة الكثيرة فى المصادر السودانية التى تقول: أن قبائل جهينة وحدها حول سوبا عاصمة مملكة علوة بلغت اثنين وخمسين قبيلة^(١).

واستقرت هذه الجماعات العربية على شكل مجموعات متفرقة تحت سلطان ملوك علوة، محافظة على نظامها القبلى، ولابد أنهم كانوا يدفعون اتاوة لملوك علوة، ويفهم من نص ذكره أحد أحفاد الشيخ عبدالله جماع مؤسس دولة العبد لاب أن الشيخ عبدالله هذا (حكم من سنة ٩١٠ - ٩٧٠ هـ / ١٥٠٤ - ١٥٦٢ م) هو الذى كان يتولى فى هذا الوقت جمع الأتاوات من العرب ويدفعها لخزانة مملكة علوة^(٢).

ولم يتنزع هؤلاء المهاجرون السلطة من يد الاسرات الحاكمة المحلية بقوة السيف، بل تركوا هذا الأمر، وشغلوا أنفسهم بتثبيت أقدامهم فى الأرض الجديدة^(٣)، فمنهم من اشتغل بالزراعة، وممارسة الحرف فى المدن، وفى مواطن الخصب، وبذلك اختلطوا بالسكان الأصليين، ومنهم من استهواه أن يسبح فى الصحراء وراء إبله طلبا لمواطن الرعى، ومنهم من نقل التجارة على أبله عبر الطرق الصحراوية بين النيل وموانئ البحر الأحمر ومصر والمناطق المجاورة^(٤).

(١) انظر: أوراق نسب جمعها محمد بن الحاج على بن دفع الله، نسخة إبراهيم حاج محمد عن: انساب عرب السودان، ورقة ١٩، مخطوط بدار الوثائق القومية بالخرطوم رقم Misc 1/18/198. ونسخة جعفر حسان فى الأنساب، ص ١٨، دار الوثائق القومية بالخرطوم متنوعات رقم ١٨٤/١٦/١، انظر ملحق الدراسة رقم ٦/هـ) وثيقة العبدلاب.. Macmidhael: A history of the Arabs in the sudan, Vol. 1, p. 238.

(٢) جاء فى مخطوط هذا الحفيد: ولقد كان الشيخ عبدالله جماع مقدما على العرب يدفع خراجهم للنوبة المسيحية وجاء فى موضع اخر من المخطوط: فتجمعوا (أى العرب) تحت امرة رجل منهم يدعى عبدالله محمد الباقر، وكان صاحب رأى فى العرب والمشورة والوسيط بين النوبة والعرب فى كل الشؤون. انظر: الشيخ عثمان اونسه تاريخ مشيخة العبدلاب، مخطوط، دار الوثائق القومية بالخرطوم، ص ٦، ١٢، وانظر: تاريخ مختص بأرض النوبة، ورقة ١٦-١٨.

(٣) انظر: تاريخ مختص بأرض النوبة، مخطوط رقم Misc 1/15/191 ورقة ١٨، ١٩، الشاطر بصيلى: معالم تاريخ السودان وادى النيل، ص ٥٠، مكى شبكية: مملكة الفونج الإسلامية، ص ١٦، ١٧.

(٤) الشاطر بصيلى: معالم تاريخ السودان وادى النيل، ص ٥٠.

كذلك لم يحاول هؤلاء العرب ان يقوموا بعمل جماعى مباشر يهدف إلى نشر الاسلام بين السكان، بل اكتفوا بمساكنة السكان الأصليين كل على دينه، إلى أن انتشر بينهم الإسلام بالتدريج بعد المعاشة والمصاهرة والاختلاط^(١).

بيد أن هذا لم يكن فى حقيقة الأمر إلا الخطوة السابقة على استيلاء العرب على السلطة، إذ ما كادت شوكتهم تقوى بوصول هجرات جديدة حتى تطلّوا إلى ما لم يكن من المستطاع - عندئذ - مدافعة العرب أو صدهم - كما يقول ابن خلدون - بسبب ما أصاب المملكة حينئذ من انقسام وما اعتراها من ضعف، نتيجة حروبها مع المقرّة من جهة^(٢)، وغارات الزغاوة الآتية من برنو عبر دارفور من جهة ثانية^(٣)، فلم يكن بد من الاصهار إلى زعماء جهينة وغيرهم^(٤).

وهكذا انتقل الملك لبعض ابناء جهينة من امهاتهم على عادة الاعاجم فى تمليك الأخت وابن الاخت، فتمزق ملكهم، واستولى أعراب جهينة على بلادهم، ومن ثم استولى العرب الجهينيون على المالك الصغيرة التى كانت تتألف منها علوة، وكانت خاضعة للملك الكبير فى سوبا^(٥).

(١) انظر: حسن محمود: الإسلام والثقافة العربية، ج ١، ص ٣٢٧، ٣٢٨، مكى شبكية: مملكة الفونج الإسلامية، ص ١٩ (ب)، محمد صالح: مشيخة العبدلاب، ص ٧٩، يوسف فضل: مقدمة، ص ١٦، ١٧، مصطفى مسعد: الإسلام والنوبة، ص ٢٠٢، د/ كمال دسوقي: مجتمع الرعاة فى رفاعة شرق (تحليل سيكو انثروبولوجى لظاهرة البداوة، مجلة جامعة أم درمان الإسلامية، العدد الأول، ١٩٦٨م، ص ص ٦٢، ٦٣ .

(٢) انظر: تاريخ مختص بأرض النوبة Misc 1/15/191 ورقة ١٧، ١٨ .

(٣) يقول ليو الأفريقى هو إقليم يتأخم إقليم بورنو من الغرب، ويمتد شرقاً حتى حدود مملكة نوبيا، التى تقع على النيل، وتنتهى جنوباً بصحراء تتأخم أيضاً عكسا يصنعه النيل، وتمتد شمالاً حتى صحراء سيرت وحدود مصر، وهى تمتد غرباً فى شرق على مسافة خمسمائة ميل تقريباً وعرضاً على نفس المساحة: انظر: وصف أفريقيا، ص ٥٥٥، عبدالفتاح حسنين مقلد: سلطنة البرنو حتى ١٨٠٨م رسالة ماجستير جامعة القاهرة ١٩٧٨م، ص ص ١١٧، ١١٨ .

(٤) انظر: انساب عرب السودان، مخطوط، دار الوثائق القومية بالخرطوم، Misc 1/18/198، ص ١٨، ١٩، حسن محمود: الإسلام والثقافة العربية، ج ١، ص ٣٢٧، ٣٢٨ .

(٥) ابن خلدون: العبر، ج ٥، ص ٩٢٢-٩٢٣، الدمشقى: نخبة الدهر، ص ٢٦٨ وهذه الممالك الصغيرة هى: بارة-التاكه، كدروا- دنقو - ارى- يقال- الانج - كرسة. انظر: ابن عبد الظاهر، ج ٢، ص ٢٩٣ (أ)، محمد محمد أمين: العبدلاب، ص ١٩٤، مصطفى مسعد: الإسلام والنوبة ص ٨٧ .

وقد سبق أن عرضنا لتدفق القبائل العربية في السودان وادى النيل ثم تكاثرهم بعد ذلك، ثم استيلائهم على أقاليم المملكة بعد الأصهار إلى البيت المالك.

ونود أن نشير إلى رواية صادرة عن أحفاد العبدلاب والأوائل أصحاب ملك علوة في صورته الجديدة. هذه الرواية تذكر: «أن سبب سواد أجسامهم أن أجدادهم الأوائل كانوا بيضا حين وفدوا من الحجاز، ولكن زواجهم من النوبيات في سوبا وهم سود، واختلاطهم بهم نقل السواد إلى أجسامهم فصاروا سودا^(١)».

هذه الرواية تدل على حدوث تزواج بين العرب الوافدين مع أهل البلاد الأصليين في سوبا، وهذا يتفق مع ما ذهب إليه ابن حوقل، وابن خلدون من أن سبب انتقال الملك لأبناء جهينة في السودان وادى النيل - كان من المصاهرة والاختلاط بين ملوك علوة والمقرة من جهة، والعرب الوافدين إليها من جهة ثانية^(٢).

ثم جاء قطع العلاقات الدينية بين الكنيسة المصرية وكنائس النوبة في علوة منذ وفاة أسقف النوبة البطريرك سيريل سنة ٦٣٣ هـ / ١٢٣٥ م، فقد صعب إرسال أساقفة خلفونه منذ ذلك الحين بسبب الحروب التي كانت دائرة بين القبائل العربية في مملكة مقرة، ثم تضاعف الصعوبات بسقوطها فهجر سكان علوة كنائسهم وتخرب معظمها^(٣)، يدل على ذلك ما ذكره القسيس البرتغالى الفارز نقلاً عن حنا السورى، الذى زار مملكة علوة في القرن الخامس عشر الميلادى اذ يقول: «أنه كان بها مائة وخمسين كنيسة قديمة^(٤)»، وهو عدد قليل بالنسبة لما ذكره أبو صالح الأرمنى عن

(١) انظر: أحمد عبدالرحيم نصر: تاريخ العبدلاب من خلال رواياتهم السماعية، شعبة أبحاث السودان - الخرطوم ١٩٦٩م، ص ١٠١.

(٢) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٦١، ابن خلدون: العبر، ج ٥، ص ٤٢٩، وهذا يتفق مع ما ذكره أبو صالح الأرمنى في تاريخه وملك النوبة له النوبة وأعمالها، وأرض علوة والمقرة، والأجناس المضافة إليها، وذكر ان عاداتهم جارية بأنه إذا مات ملك وخلف ولد وكان له ابن أخت فيملك بعد خاله دون ولد الملك. انظر تاريخ أبو صالح الأرمنى: ص ١٣٥، محمد محمد أمين: العبدلاب، ص ١٩٩، مكى شبكية: مملكة الفونج الإسلامية، ص ٢١، كمال دسوقي: مجتمع الرعاة في رفاعة شرق، ص ٦٥، ٦٦.

(٣) انظر: محمد محمد أمين: العبدلاب، ص ١٩٦، مكى شبكية: مملكة الفونج، ص ١٨.

(4) Alvarez, F.F.: Narrative Of the portuguses Embassy To Abyssinia, 1520-27, Transl- By Stanley, London 1881, P. 352, Trimingham: Op. Cit., P. 77.

كنائس علوة منذ منتصف القرن الثالث عشر الميلادي، اذ ذكر أنه بلغ عددها حوالي ٤٠٠ كنيسة^(١) ونتج عن ذلك ان تعرض سكان مملكة علوة إلى نوع من الانقسام الروحي، فأصبحوا كما يقول الفارز لاهم بالمسيحيين ولاهم بالمسلمين أو اليهود .. ويقال أنهم كانوا على النصرانية غير أنهم فقدوا دينهم ولم تبق لهم عقيدة، ويأملون أن يكونوا مسيحيين^(٢).

(١) أبي صالح الأرمني: تاريخه ، ص ١٢٠ .

(2) Alvarez: Op. Cit., P. 65.

وانظر كذلك : مصطفى مسعد: الإسلام والنوبة، ص ١٨٧ .

– أحداث سقوط علوة :

لم نجد فى المصادر التاريخية نصاً محدداً عن تاريخ هذا السقوط، ولكن يمكن الاستدلال عليه عقب سقوط مملكة المقررة المسيحية، ومن ثم تدفقت الهجرات العربية عن طريق النيل جنوباً، فنشأت ممالك ومشيخات صغيرة من القبائل العربية التى اختارت كل منها ما يتناسب مع بيئتها الأولى، بالقدر الذى قدمته الظروف المحلية فى الوطن الجديد^(١)، واخذت الزعامات القبلية العربية فى توطيد ملكها، وأخذت فى التوسع حتى امتدت هذه الممالك والمشيخات على ضفتى النيل من الشلال الثالث تقريباً فى الشمال حتى مدينة أربجى وما بعدها بقليل فى الجنوب^(٢). ومنها قام الحلف السنارى الذى كان السبب المباشر فى سقوط مملكة علوة^(٣). وسوف نناقش مختلف الآراء التى عرضت لهذا السقوط.

الرأى الأول:

رأينا انتشار عرب القواسمة – ومنهم شعبة العبدلاب – فى كثير من أقاليم مملكة علوة بخاصة الرقعة الممتدة بين مدينة أربجى فى الجنوب، والشلال السادس فى الشمال بما فى ذلك عاصمة المملكة المسيحية سوبا نفسها^(٤).

وقد ساعد هذا الانتشار العبدلابى بقيادة زعيمهم عبدالله جماع على الإمام بحالة الضعف والتدهور التى تردت فيها علوة، ثم استجابة لرغبات العرب – قواسمة وغيرهم – التى تمثلت فى الثورة على حكم العنج^(٥)

(1) H.A. MacMichael: A history Of the Arabs in the Sudan, Vol.1, PP. 240 - 241.

(٢) الشاطر بصيلى: معالم تاريخ السودان وادى النيل، ص ٤٩، محبوب زيادة: الإسلام فى السودان، ص ٣٥، ٣٦، عبدالله حسين: السودان من التاريخ القديم إلى رحلة البعثة المصرية، ج ١، ص ٤٧؛ محمد صالح: مشيخة العبدلاب، ص ٩٣.

(٣) انظر: تاريخ مختص بأرض النوبة، مخطوط دار الوثائق القومية بالخرطوم Misc 1/15/191، ورقة ١٧، ١٨، أنساب عرب السودان، مخطوط دار الوثائق القومية بالخرطوم Misc 1/18/198، ورقة ١٩؛ الأرياب الحسن بن شاور: واضح البيان فى الملوك العرب بالسودان، مخطوط رقم Misc 1/20/232 ورقة ٢، ١.

(٤) الأرياب الحسن بن شاور: واضح البيان فى ملوك العرب بالسودان، مخطوط، ورقة ٢، ١؛ تاريخ مختص بأرض النوبة، مخطوط، ص ١٨-٢٠.

(٥) العنج: لفظ يطلقه السكان فى السودان وادى النيل على المجتمع الذى كان قائماً قبل تأسيس دولة الفونج على حوض النيل وكردفان. انظر: مخطوطة كاتب الشونة، (هامش) ٤-٥؛ محمد صالح: مشيخة العبدلاب، ص ٩٤؛ مكى شبيكة، مملكة الفونج الإسلامية، ص ٢٤، ويذكرهم البعض أن لفظ العنج يدل على سكان السودان وادى النيل قبل دخول العرب، ويروا أن لهم علاقة بالطوارق المعروفين فى شمال أفريقيا ترجيحاً أن أهل الطوارق يرجع إلى بعض فروع القبائل ذوات الأبل بالسودان.

C.F.: MacMichael: A history Of the Arabs In the Sudan, vol. 1. PP. 40-51.

والتخلص منه ^(١) بهدف اقامة حكم عربى إسلامى على انقاضه بعد توافر كل الظروف المواتية لذلك.

وقد أرجع الدكتور يوسف فضل أسباب هذه الثورة التى جعلت العرب يقررون اسقاط سوبا إلى عاملين اثنين:

أولاً: تذرهم - كمسلمين - من كونهم أصبحوا كثرة، ومع ذلك يحكمون بواسطة ملوك مسيحيين.

ثانياً: الضغط الاقتصادى الذى يمثل فى دفع الضرائب للمملكة المسيحية، ثم الضغط السياسى الذى حملهم على اطاعة قوانين علوة. ومن ثم جعل العرب يهربون من حكان الممالك ^(٢). لهذا دعى عبدالله جماع العناصر العربية للوحدة، فلبت الدعوة، واتحدت مع عرب القواسمة والعدلاب بزعامته، وهو الذى امتاز بسعة الفكر، وسداد الرأى وقوة الشكيمة والغيرة الدينية، ومن هنا أطلق عليه جماع ^(٣) بسبب جمعه هذا لمختلف القبائل ^(٤).

وبعد ان نجح فى توحيد القبائل العربية التى كانت تقيم حول سوبا وأيقن بصدق عزمها على حرب العنج رأى أن يستعين بقوة عسكرية دائمة ومنظمة

(١) واضح البيان فى ملوك العرب بالسودان، مخطوط، ورقة ٢٠١،

A.E.D. Penn: Traditional Storise Of the Abdallab Tribe, S.N.R. Vol. XVII, 1934, PP. 54-61.

الشيخ عثمان أوسنة: تاريخ مشيخة العدلاب مخطوط، ص ٦، ماكمايكل: دخول العرب فى السودان، ص ٣٢، محمد صالح: مشيخة العدلاب، ص ٩٤.

(2) C.F. : Yusuf Fadle: The arabs and the Sudan, P. 133.

وانظر كذلك محمد عوض: السودان الشمالى، ص ٢٥٢؛ عبدالعزيز عبد المجيد: التريية فى السودان، ج ١، ص ٣٥؛ حسن محمود: الإسلام والثقافة العربية، ج ١، ص ٣١٦، ٣١٧.

(٣) الأرياب الحسن بن شاور: واضح البيان فى تاريخ العدلاب، مخطوط دار الوثائق القومية بالخرطوم Misc 1/20/232 ورقة ٢٠١، ماكمايكل: دخول العرب فى السودان، ص ٣٢؛ أحمد عبدالرحيم نصر: تاريخ العدلاب من خلال رواياتهم السماعية ص ١٥؛ ولمزيد من التفاصيل عن سبب تسميته بعبدالله جماع وللقبائل التى جمعها انظر المرجع الأخير، محمد محمد أمين: العدلاب، ص ٢٠٦.

(٤) انظر: تاريخ مختص بأرض النوبة، مخطوط، دار الوثائق القومية بالخرطوم Misc 1/15/191 ورقة ١٧، ١٨.

تعتنق الإسلام. هي قوة الفونج الذين كانوا قد أسسوا في وقت سابق مملكة لهم في لولو^(١) ثم انتقلوا إلى جبل موية^(٢)، الكائن غربى مدينة سنار، وعلى بعد ثمانية أميال من الروصيرص^(٣).

وتشير المصادر السودانية إلى أن عبدالله جماع شرع في مراسلة عمارة دونقس، لعقد اتفاق بين الفونج وعرب القواسمة ومن أتحدهم من أجل القضاء على ملوك سوبا^(٤)، ويعتقد أن عبدالله جماع وجد من ملك الفونج قبولاً وتشجيعاً، لهذا شد إليه الرحال، واجتمع به في عاصمة ملكه بجبل موية^(٥). وتم الاتفاق بين الحليفين على محاربة النوبة وهم ملوك العنج ملوك سوبا وملوك قرى^(٦)، وقام ما عرف في

(١) جاء في مخطوطة كاتب الشونة (نسخة القاهرة) : فأول ملكهم مما تداول في السنة الخلق وإن ابتداء أمر الفنج كان بمحل يعرف بلولو .. ثم انتقلوا إلى جبل موية .. فلما أراد الله إظهار أمره وتسلطهم على خلقه وكان لهم بقر وفيها ثور فحل. فجعل الثور يسرى بالليل إلى غابة سنار، ولم يكن بها عمارة (وكانت تسكنها جارية تسمى سنار مقيمة على جرف، وكان الثور يرعى في تلك الغابة فتبعوه) فنزلوا في موية. وقطع أشجارها الملك عمارة دونقس، وهو أولهم، وصار ملكهم بها. بعد أن قاتل العنج مع عبدالله القرنياتي القاسمى، أبى عجيب الكافوتة ورجع إليها، وبقي بها ملكه فيها، وشيخ عبدالله المذكور في قرى. انظر: مخطوطة كاتب الشونة، ص ٦، ٧؛ يوسف فضل: مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية في السودان الشرقى، ص ٢٣، نعوم شقير: تاريخ السودان، تحقيق وتقديم الدكتور محمد إبراهيم أبو سليم، السودان، تحقيق مكي شبكة، ط الخرطوم، ص ١، محمد صالح: مشيخة العبدلاب، ص ٩٥ .

(٢) جبل موية .. يقع جبل مويا على بعد عشرة أيام غرب سنار الحالية، والراجح أن عمارة لم يقم في جبل مويا، بل أنه كان يقيم في لمل (Lamul حسبما ذكر رويبنى. انظر: كاتب الشونة: تاريخ ملوك السودان، ص ٥، مصطفى مسعد: بعض ملاحظات جديدة في تاريخ مملكة الفونج الإسلامية، مجلة جامعة القاهرة بالخرطوم، العدد الثالث ١٩٧٢م، ص ٣٥ حاشية (١٥) .

(3) J.D.P. Chataway: Fung Origins, S.N.R. Vol. 17, 1934, Part 1, P. 116.

وانظر أيضا كمال دسوقي : مجتمع الرعاة في رقاعة شرق، مجلة جامعة أم درمان الإسلامية، العدد الأول ١٣٨٨-١٩٣٨م ص ٧١-٧٢ .

(٤) انظر: تاريخ مختص بأرض النوبة، مخطوط رقم Misc 1/15/191 ورقة ١٧ .

(٥) انظر مخطوطة كاتب الشونة، ص ١٦، وأضح البيان في تاريخ العبدلاب، مخطوط رقم Misc 1/20/232، ص ٢، الشيخ عثمان أونسة: تاريخ مشيخة العبدلاب، مخطوط، ص ٦، محمد صالح: مشيخة العبدلاب، ص ٩٦؛ محمد أمين : العبدلاب ، ص ٢٠٦، ماكمايكل: دخول العرب في السودان، ص ٣٢؛ تاريخ ملوك السودان، ص ١ .

(6) Penn: Traditional Storise Of The Abdallab Tribe, S.N.R. Vol. XVII, 1934, PP. 16.

وانظر كذلك: مخطوطة كاتب الشونة، ص ٦-٧؛ تاريخ مختص بأرض النوبة، ص ١٧؛ تاريخ ملوك السودان وأقاليمه، ص ٥، MacMichael: Op. Cit., Vol. 2, P. 358.

تاريخ السودان الوسيط بالحلف السنارى، طرفه الأول عرب القواسمة بقيادة عبدالله جماع، وطرفه الثانى الفونج بقيادة عمارة دونقس. وإلى ذلك يشير الشيخ ابراهيم بن عبدالدافع بقوله: «وانتقل الفونج من جبال الجنوب إلى جبل موية.. وكان كبيرهم عمارة دونقس، وفى جوارهم قبيلة من عرب جهينة تعرف بالقواسمة، وعليها شيخ شديد البأس يقال له عبدالله جماع، فاتحد عمارة وعبدالله المذكوران على ضم كلمة المسلمين، ومحاربة النوبة... فحشد الجيوش وهاجما العنج فى سوبا^(١)».

ومن دراسة هذا النص يتضح أنه لم يشر صراحة إلى تحالف قام أولاً بين حكومات القبائل العربية التى مر ذكرها، وبين العبدلاب ثم تلاه تحالف هؤلاء جميعا مع الفونج على نحو ما يراه بعض المؤرخين المحدثين. وإنما النص صريح فى أن التحالف إنما هو تم بين عرب القواسمة بقيادة عبدالله جماع، وبين الفونج بقيادة عمارة دونقس^(٢).

وعن حكومات القبائل وبداية صلتها بدولة العبدلاب يقول فى موضع آخر «وقد وكل إلى عبدالله جماع اخضاع القبائل القاطنة شمالى المنطقة المفتوحة، وعلى جانبيها لسلطين الفونج، وإدارتها نيابة عنهم^(٣)».

(١) مخطوطة كاتب الشونة ص ٦، ٧، ١٢٩؛ تاريخ ملوك السودان، ص ١، تاريخ مختص بأرض النوبة، مخطوط، ورقة ١٧، انظر الخريطة شكل رقم (٩).

(٢) ساند هذا رأى عدد من الباحثين المحدثين منهم: د/ حسن محمود، ماكمايكل ومحمد عوض، وعبدالعزیز عبدالمجيد، ومصطفى مسعد، ومندور المهدي، وسنورد نصا واحدا يمثل تمثيلا واضحا وجهة نظر الآخرين: فالثابت أنه مع أوائل القرن السادس عشر حوالى ١٥٠٥م تحالفت قبيلة القواسمة العربية - التى كانت تحوم حول إقليم الجزيرة تبحث عن وطن مع الفونج على أن يقضوا على دولة علوة المسيحية التى كانت تلفظ أنفاسها الأخيرة، وكان على رأس قبيلة القواسمة شيخ يدعى عبدالله جماع... وكان فى الجانب الأخر على رأس الفونج عمارة دونقس ويظن أنه كان ملكا للفونج. انظر: حسن محمود: الإسلام والثقافة العربية، ج ١، ص ٣٥٠،

MacMichael: A History Of The Arabs, Vol. 1, P. 245,

وأيضاً: دخول العرب فى السودان (مغرب) ص ٣١-٣٢، محمد عوض: السودان الشمالى، ص ٢٥٢، عبدالعزیز عبدالمجيد: التربية فى السودان، ج ١، ص ٣٥-٣٨؛ مصطفى مسعد: الاسلام والنوبة، ص ٢٠٦؛ المهدي مندور: السودان من أقدم العصور إلى قيام الأحزاب ص ٦٢-٦٤؛ محمد صالح: مشيخة العبدلاب، ص ٩٧،

Y.F.Hasan: Islamix External Influences, P. 75-76.

وانظر كذلك: د/ كمال دسوقي: مجتمع الرعاى فى رفاة شرق، ص ٧٠.

(٣) المهدي مندور: السودان من أقدم العصور إلى قيام الأحزاب، ص ٦٢، ٦٣، Y.F.Hasan: Islamix External Influences, P. 75-76.

ويتضح من هذا ان اخضاع حكومات القبائل فى الاقاليم انما تم بعد فتح سوبا على يد عبدالله جماع ومن عاونه . «ثم أخذت الدولة تتوسع فى بقية أجزاء السودان، فضم مشايخ «قرى» منطقة شندي، ونصبوا الرئيس المحلى حاكما من قبلهم سلاطين الفونج، كما تقدموا شمالا حتى دنقلا وأدخلوا الشايقية فى ملكهم لفترة لم تطل^(١) .

وقد كان هذا الحلف قائما على شروط نوجزها على النحو التالى :

- أن يقود عبدالله جماع الجيش، ويمده حليفه عمارة بالعسكر والمؤن^(٢) .
- أن العرب الموجودين فى منطقة الفونج يخدمهم^(٣) شيخ دار ولد جماع .
- النجدة عند الحاجة بالقوة والمال اذا اعتدت دولة اخرى على الجزء الذى يحكمه العرب، أو الجزء الذى يحكمه الفونج^(٤) . وهو منطقة الجزيرة الواقعة بين النيلين الأبيض والأزرق وكان بقية السودان من نصيب العبدلاب^(٥) .

- التولية لأى رئيس جديد فى سنار أو فى قرى لا تتم إلا بحضور مفوضين من العاصمتين، على أن يكون الكبير فى السن من أبناء الشيخ عبدالله جماع أو الملك عمارة دونقس هو صاحب الكلمة فيها .

- إذا حضر ولد جماع بسنار فى عاصمة الفونج لا يدق النحاس مع نحاسه وكذلك الحال بقرى (عاصمة العبدلاب) لا يدق نحاس مع ملك الفونج^(٦) .

- رؤساء قبائل العرب الذين هم أهل الطواقي (شارات الملك) أو المشيخات ...

(١) المهدي مندور: نفس المرجع، ص ٦٣، ٦٤ .

(٢) انظر : الحسن الأرياب بن شاور: واضح البيان فى تاريخ العبدلاب، مخطوط رقم Misc 1/20/232 ورقم ٢، C.F.: Traditional Storise Of the Abdallab Tribe, S.N.R. Vol. XVII, 1943, PP. 60-61.

محمد صالح : مشيخة العبدلاب، ص ٩٨ .

(٣) يقصد هنا خدمة العرب بجمع الضرائب منهم . انظر: تاريخ ملوك السودان ص ٩ .

(٤) انظر: واضح البيان فى تاريخ العبدلاب، مخطوط ص ١، ١٢ .

(٥) أحمد عبدالرحيم نصر: تاريخ العبدلاب من خلال رواياتهم السماعية، شعبة أبحاث السودان، ص ٢١ .

(٦) انظر: مخطوطة كاتب الشونة، ص ١٢٩ .

تكون توليتهم في قرى، وكان إبرام هذا الاتفاق سنة ٩١٠ هـ/ ١٥٠٤ م باتفاق جميع الروايات^(١).

هكذا يتضح أن أصحاب الرأي الأول قد اتفقوا على النقاط التالية:

- أنه في مستهل القرن السادس عشر تم حلف بين الفونج والعبدلاب في جبل موية^(٢) يهدف إلى إسقاط مملكة علوة المسيحية.
- كان زمام المبادرة لعقد هذا الحلف من عرب القواسمة بقيادة عبدالله جماع.
- من أهم ما اتفق عليه الأطراف أن يقوم عمارة دونقس - بالإضافة إلى تقديم العون العسكري من الجنود والمؤن والمعدات من آلة الحرب للجيش.
- لم تكن حكومات القبائل التي خضعت فيما بعد للعبدلاب طرفاً في الحلف.

الرأي الثاني:

يتزعم هذا الفريق من الباحثين الشاطر بصيلي فيقرر قيام حلف بين الممالك والمشixات بزعامة عبدالله جماع من جهة، وبين الفونج من الجهة الأخرى، ويرى أن سقوط سوبا كان ثمرة لهذا الاتحاد إذ يقول: «وانتهت هذه الحال بدخول الزعامات القبلية للمجموعات الاقليمية في اتحاد تزعمه السلطان السنارى الذى انتقل إلى عاصمته الجديدة، وكان قيام هذا الحلف بين المشixات المحلية والسلطان السنارى أمراً قرره الاستجابة لتغير حياة المجتمع في صورة جديدة تمخض عنه ذلك الصراع الخفى بين المجموعات العربية التى دخلت البلاد في طرف وبين السكان من أهالى البلاد في طرف آخر^(٣)».

(١) انظر مكى شبكية: مملكة الفونج، ص ٤١؛ تاريخ السودان إلى قيام الأحزاب، ص ٦٢، الفكر الصوفى فى السودان، ص ٣٦، ٣٧؛ مصطفى مسعد: الإسلام والنوبة، ص ٢٠٦؛ عبدالعزيز عبدالمجيد: التربية فى السودان، ص ٣١-٣٢، محمد صالح: مشيخة العبدلاب، ص ٩٩، ولعل من الملاحظ أن بنود هذا الاتفاق لم ترد إلا فى بعض مصادر العبدلاب أما عن صمت المصادر الأخرى فيرجع إلى جهلهم بأخبار مملكتهم. انظر كاتب الشونة وأما دولة العبدلاب والسعداب عدم ذكرناهم لعدم إطلاعنا على أصولهم انظر ص ٨٣؛ وأيضاً يرجع سبب جهل مؤلفى تلك المصادر بأخبار العبدلاب إلى أن معظمهم لا يعيش فى منطقة شيوخ العبدلاب وإن معظم المؤرخين كانوا يعيشون تحت النفوذ المباشر للفونج. ولهذا أعلنوا بأخبارهم وعظموا من شأنها، وأهملوا أخبار منافسيهم.

(٢) يقع على بعد عشرين ميل غرب سنار. انظر: الطبقات، حاشية ١٣، ص ٧٣.

(٣) يتزعم هذا الفريق كل من: الشاطر بصيلي: معالم تاريخ السودان وادى النيل، ص ٤٧، ٧٠؛ عبدالقادر محمود: الفكر الصوفى فى السودان ص ٣٦، ٣٧، وانظر كذلك: محمد محمد أمين: العبدلاب، ص ٢٠٦.

وقد ساند الدكتور عبدالقادر محمود هذا رأى فأكد اشتراك جميع القبائل العربية الراسخة بالسودان على يد زعيم عربى يدعى عبدالله جماع شيخ قبيلة العبدلاب (١) فى هذا الحلف السنارى.

كذلك يفهم هذا المعنى من أثر تاريخى مخطوط كتبه أحد شيوخ العبدلاب وذكر فيه ان مؤسس دولتهم - عبدالله جماع - استطاع بما أوتى من رأى السديد، والغيرة الدينية استمالة جميع قبائل العرب الموجودة بالسودان وتوحيد كلمتهم، ثم هزم بهم - مع الفونج - ملوك سوبا المسيحية (٢).

الرأى الثالث:

يرى أصحاب هذا رأى أن سقوط سوبا لم يتم إلا بجهد العبدلاب ومن جاورهم فى دارهم من العرب، ولم يكن للفونج أو حكومات القبائل فى الشمال أى نصيب فيه، تقول احدى الروايات: «بعد أن تجمع العرب بأعداد كبيرة فى السودان، عن طريق مصر والحبشة والبحر الأحمر، ورأوا ضعف مملكة علوة مع قوتهم قرروا أن يرموا ثقلهم تجاه العاصمة الضعيفة سوبا (٣)، وأن يحاربوا ملك العنج الذى يدعونه الغز (٤) وقد قام بهذه الحركة رجل يدعى عبدالله جماع من عرب القواسمة الذين يمثلون أحد فروع القبيلة العربية رفاعة (٥).

(١) الفكر الصوفى فى السودان، ص ٣٦، ٣٧.

(٢) الأرباب الحسن بن شاور: واضح البيان فى ملوك العرب بالسودان، مخطوط، Misc 1/20/232، ص ١، ٢، يوسف فضل: مقدمة فى تاريخ الممالك الإسلامية، ص ٣٠، ٣١.

(3) C.F.: Y.F. Hasan: The Arabs And the Sudan, P. 132.

أحمد عبدالرحيم نصر: تاريخ العبدلاب من خلال رواياتهم السماعية ص ١٦-١٩.

(٤) يعتقد أن هناك تأثيرات حبشية فى معنى الكلمات، فمثلا اتخذ السلطان الأول عميرة أو عمارة لقب دونقس، وهذه كلمة معناها «دو»، وأصلها "DJAN3" و "NEGUS" ومعناها عظيم نفس معناها أى نجاشى وبذلك يكون اللقب والنجاشى العظيم كذلك المانجل لقب يمنح لزعيم الدار وهو أرفع ألقاب السلطنة بعد السلطان انظر:

Budge (E.A) : The Egytian Sudan, Vol. II, P. 212.

مصطفى مسعد: الإسلام والنوبة، ص ٢٠٥، الشاطر بصيلى: معالم تاريخ، ص ٧٠، محمد محمد أمين: العبدلاب، ص ٢٠٥.
(٥) فى المقرئى: البيان والأعراب بأرض مصر من الأعراب، ص ١٤٩، وفى عام ٦٨٠ هـ - ١٢٨١ م تنازعت جبهة ورفاعة فى صحراء عيذاب، ورفاعة من جبهة غالبا ان اتساع قبيلة - رفاعة - برغم تميزها عن قبائل جبهة الأخرى التى هى فرع منها مستقل بنفسه وربما منازع لبقية فروعها، وكذلك امتداد أوطانها الأصلية مام يجاور البجا إلى شمال غرب الحبشة، ثم نزوح الشماليين منهم إلى الاستقرار والزراعة، وبقاء الجنوبيين منهم على الرعى. انظر: كمال دسوقي: مجتمع الرعاة ص ٦٢ وانظر أيضاً: تاريخ العبدلاب من خلال روايات، ص ١٦، محمد محمد أمين: العبدلاب، ص ٢٠٨.

حرض عبدالله رجال القبائل العربية على التخلص من طغيان العنج وظلمهم، فبايعوه على ذلك، وأقسموا - على المصاحف والسيوف - قسم الولاء له، ثم ساروا تحت امرته، وهاجموا ملك العنج في سوبا^(١)، «وبعد مساجلات عدة قتلوا الملك وانتصروا..» وليس هناك ذكر في هذه الرواية التاريخية لمشاركة الفونج في هذه الحوادث «وكان مما غنمه العبدلاب بعد الحرب تاج ملك العنج المرصع بالجواهر، وأصبح - عندئذ - ميراثاً لهم في ذريتهم دون الفونج»^(٢).

ومع نهاية القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى، صار العرب هم حكام مملكة علوة^(٣)، ويبدو أن سلطان العبدلاب قد امتد سريعاً في الجنوب، فشمّل المنطقة حتى سنار بما في ذلك مدينة أريجى، وذلك في وقت سابق لقدم الفونج لسنار، يدل على ذلك ما جاء في إحدى الروايات من أن الفونج عندما دخلوا السودان وأتوا إلى سنار وجدوها تحت حكم الملك عجيب فنزلوا في لولو مزارعين، ثم أصهروا إلى البيت المالك، إلى أن دارت الأيام في عهد عمارة دونقس، واستولوا على الحكم أثر تدهور العبدلاب^(٤).

وبدأت متاعب العبدلاب والعرب مع بداية القرن العاشر الهجرى، إذ كان عليهم في هذا الوقت أن يواجهوا عدوا خطيرا هم الفونج الذين ظهروا فجأة على مسرح الأحداث وحقيقة أن ظهور هذه الجماعة الفجائي لا يزال طى الحجب وفقدان المدونات المعاصرة يضاعف صعوبة هذه المسألة^(٥).

ومهما يكن من امر فإن من المحتمل أن يكون الفونج - بعد أن نزلوا سنار قد سعوا لمنافسة العرب على المرعى، فأخذوا يتقدموا شمالاً مع النيل الأزرق حتى وصلوا

(١) تاريخ العبدلاب من خلال رواياتهم، ص ١٦، محمد صالح: مشيخة العبدلاب، ص ١٠٣.

(2) The Arab and the sudan. PP. 133-134.

B.S.O.A, S. XXIII, P. 10-11.

الباشا: جوانب من تاريخ العبدلاب ص ١٦-١٩؛ هولت تاريخ السودان الحديث، ص ١٨.

(3) C.F. Arkell: Fung Origins, S.N.R. XV, 1932, PP. 211-212, Trimmingham, Op. Cit. , P. 74; Y.F.Hasan: The Arabs And the sudan, PP; 133 FF.

(٤) أحمد عبدالرحيم نصر: تاريخ العبدلاب من خلال رواياتهم السماعية، ص ٢.

(5) Y.F. Hasan: The Arabs And the sudan, P. 134.

عبد المجيد عابدين: تاريخ الثقافة العربية، ص ٤٨.

أرجى سنة ٩١٠ هـ/ ١٥٠٤ م، وهنا يتفق أصحاب هذا الرأي مع رواية بروس Bruce^(١) التى تقول أنه فى سنة ١٥٠٤ م أنتت قبيلة أو أمة من السود فى مجموعة كبيرة من الزوارق فى غارة على الأقليم المأهول بالعرب من منطقة الجزيرة، وبالقرب من أرجى حدثت بينهم وبين ولد عجيب^(٢) واقعة انتهت بنصر السود الذين أملوا - على إثرها - شروطا احتفظ بمقتضاها ود عجيب بسيادته السابقة على ما يملك لقاء التعهد باستخدام القوة متى كان ذلك ضروريا لحمل العرب المقيمين بعيدا على دفع الجزية. وقد قلص هذا الاتفاق مكانة العبدلاب فأنزلهم عن سلطانهم بعدما كانوا ملوكا، ولم يسع ود عجيب إلا الموافقة على هذه الشروط^(٣).

وبعد أن حقق الفونج سيطرتهم على هذا النحو عادوا أدرجهم إلى سنار التى غدت عاصمة الملك ومقر الحكومة، ومارسوا سلطانهم من هناك^(٤).

واضحاً أن هذا الرأي ينفى أن يكون قد قام بين العبدلاب والفونج تحالف، بقدر ما يقرر أنها كانت معاهد صلح بين غالب ومغلوب، وظاهر من دلالته أن علوة لم تسقط نتيجة لتعاون بين الفونج والعبدلاب كما ورد فى الرأى الأول والثانى، وإنما أسقطها العبدلاب وحدهم، ثم زحف عليها الفونج بعد ذلك^(٥).

(1) C.F. Bruce: Travels To Discover The Sources OF the Nile, vol 4 p. 548- sea Arkell: Fung origins, S.N.R. Vol. XV., PP. 201-250, The Arabs And the Sudan, P. 134.

(٢) يعتقد أن بروس استعمل هذا الاسم الشائع فى أيامه للدلالة على أجداد ود عجيب ولعله يقصد عبدالله جماع أول ملوك العبدلاب، اذ زار بروس سنار سنة ١٧٧٢ م. انظر يوسف فضل: مقدمة فى تاريخ، ص ٢٤ حاشية (١)، عبدالمجيد عابدين: تاريخ الثقافة ، ص ٤٨، شوقى الجمل: تاريخ السودان وادى النيل، ج ١، ص ٢٧١، محمد محمد أمين: العبدلاب، ص ٢٠٨ .

(3) C.F. Bruce: Travels To Discover The Sources Of the Nile, Vol. 4,P.548.

Arkell: Fung Origins, S.n.R. Vol. Xv. PP. 201-250.

وانظر ايضا: ود ضيف الله: الطبقات، تحقيق د/ يوسف فضل ، ص ٣٩، محمد محمد أمين: العبدلاب، ص ٢٠٨ .

(4) C.F. Bruce: Op. Cit., P. 548,

محمد صالح: مشيخة العبدلاب ، ص ١٠٥ .

(٥) يقول الباشا فى هذه المسألة: «من كل ما تقدم نستطيع أن نخلص إلى القول بأن دور العبدلاب فى سقوط مملكة علوة كان دورا رئيسيا، وأن السقوط تم على يد القبائل العربية بقيادة عبدالله جماع ثم حدثت بعد ذلك موقعة أرجى والتى انهزم فيها العرب، ومن ثم كان خضوعهم للفونج. جوانب من تاريخ العبدلاب ص ٢١ .

على أن هذا الرأي.

يثبت بطلانه في بعض أجزائه ، وهو الجزء الخاص برأى بروس عند حديثه عن أصل الفونج^(١).

— ومناقضته لما قررته مصادر قديمة (شبه معاصرة وموثوق بها) في أن سقوط سوبا قام به العبدلاب والفونج مجتمعين سنة ٩١٠هـ^(٢). ونلاحظ ضعف المصادر التي اعتمد عليها، وهي لا تعدو - في الأغلب - أن تكون مجرد استنتاجات، فيها كثير من الخلط والتناقض. ولذا يعتد:

— أن الحلف السنارى كان بين العبدلاب - عرب القواسمة - ومن تبعهم من القبائل التي كانت تسكنهم في ديارهم^(٣)، وتتبعهم دون أن يكون لها أى سلطان سياسى. والطرف الثانى في الحلف هم الفونج، أما حكومات القبائل التي أشرنا إليها فانها ضمت إلى نفوذ العبدلاب، ربما بالقوة بعد سقوط سوبا، وقيام قرى وسنار، ولم يكن لها دور في أحداث السقوط، بل أصبحت بعد ذلك - الوحدات الإدارية لمشيخة العبدلاب.

— لم تتحدث المصادر عن جيوش تابعة لحكومات القبائل التي اشتركت في اسقاط دولة علوة، وانما اقتصرت مهمة اسقاط سوبا، بل وعلوة كلها على عرب القواسمة، ومن جاورهم دارهم، ثم الفونج.

(١) قول رأى بروس بهجوم شديد سنفصله عند حديثنا عن أصل الفونج وقال د. عبد المجيد عابدين أنه استبعد، ووصف من قبل بعض الباحثين بأنه غير صحيح. انظر تاريخ الثقافة العربية، ص ٤٨، ومما يدل على بطلان هذا الرأى ايضا أن تاريخ مدينة أريجى منذ تأسيسها سنة ٨٨٠هـ لا يشير إلى قتال وقع فيها في هذا التاريخ الذى حدده بروس انظر الشاطر بصيلى: معالم تاريخ السودان وادى النيل، الملحق الثالث ، نقلا عن مخطوط شيوخ أريجى، محمد محمد أمين: العبدلاب، ص ٢٠٩، محمد صالح: العبدلاب ص ١٠٥ .

(٢) الأرياب الحسن بن شاور: واضح البيان في تاريخ العبدلاب، مخطوط Misc 1/20/232، ورقة ٢، ١، تاريخ مختص بأرض النوبة، مخطوط Misc 1/15/191، ورقة ١٧، ١٨ .

(٣) ديار العبدلاب جنوب شندى حتى شمال بلدة أريجى. ومركزها بلدة قرى، حيث أقام عبدالله جماع الذى مارس سلطاته المباشرة على هذه المجموعة، واحتفظت دار العبدلاب في حدودها على ما كانت عليه علوه. انظر: واضح البيان في تاريخ العبدلاب ورقة ٢، ١، تاريخ مختص بأرض النوبة، ورقة ١٧-٢٠، الشاطر بصيلى: معالم تاريخ السودان وادى النيل، ص ٣٧-٣٨، نسيم مقار: اقتصاد السودان في العهد الفونجى، ص ٦؛ محمد صالح: مشيخة العبدلاب، ص ١٠٦ .

- إذا كان هناك اتحاد قام بين الفونج وحكومات القبائل بزعامة العبدلاب - على نحو ما ذكرنا - بمحض ارادة هذه الحكومات المحلية والا استلزم ذلك بالضرورة ان تكون لها حقوق وامتيازات كما كان للعبدلاب وهو ما لم تذكره المصادر.

ومما يدل على أن هذه الممالك والمشixات ضمت قسرا فيما بعد أنها ظلت تشن الحروب على العبدلاب كلما آنست من نفسها قوة، على نحو ما هو معروف من حروب الشايقية والشكرية والجعليين^(١).

والحقيقة الهامة أنه فى اواخر القرن الخامس عشر أو اوائل السادس عشر الميلاديين على أقوى الاحتمالات - قام حلف بين قوتين كبيرتين أحدهما فى جنوب مملكة علوة، وثانيهما على أرض علوة نفسها حول سوبا وشماليتها، وتدعى القوة الأولى بالفونج، والثانية بالقواسمة (العبدلاب فيما بعد) وكان هدف هذا الاتحاد اسقاط مملكة علوة المسيحية بعد ان تهيأت كافة الظروف لهذا السقوط، وأنه ما كاد يتم الاتفاق حتى توجه جيش الحليفين عبدالله جماع، وعمارة دونقس إلى سوبا العاصمة الكبرى لعلوة، ودارت بين الجيش المهاجم، وجيش علوة المدافع حرب انتهت بقتل ملك علوة^(٢) وهزيمة جيشه وتخريب سوبا خراباً أصبح مثلاً فى السودان^(٣) وذلك بعد حصار دام عدة أيام أبدى خلاله جندها مقاومة شديدة^(٤).

وهكذا كان الحلف بين العبدلاب والفونج هو السبب المباشر لاحداث هذا التغير العميق الذى غير وجه الحياة فى السودان وادى النيل^(٥).

(١) انظر: واضح البيان فى تاريخ العبدلاب، مخطوط ، ورقة ٢٠١ .

(٢) تذكر الروايات أن اسمه «الغز» انظر تاريخ العبدلاب من خلال رواياتهم السماعية ، ص ٦ ، وتقول أخرى ان اسمه علوة واضح البيان، ص ٢ .

(٣) انظر: ود صنيف الله: الطبقات ، ص ٣٩ ، ٤٠؛ تاريخ ملوك السودان، ص ١ ، واضح البيان، ص ٦ ، تاريخ مختص بأرض النوبة، ص ١٧ ، ١٨ ، مخطوطة كاتب الشونة ، ص ٧ ؛ محمد صالح: مشيخة العبدلاب ، ص ١٠٧ .

(٤) انظر: تاريخ مشيخة العبدلاب، ص ٦ .

(٥) انظر ماكمايكل: دخول العرب فى السودان، ص ٣١ ، ٣٢؛ شينى: بلاد النوبة فى العصور الوسطى، ص ١٠ ، ١١ ؛ محمد صالح: مشيخة العبدلاب ، ص ١٠٧ .

أسباب سقوط علوة:

تعرضت مملكة علوة لعوامل مشابهة لتلك التي تعرضت لها مملكة المقرّة، أدت إلى تفككها ثم انهيارها، وقيام السلطنات الإسلامية «العبدلاب والفونج» على أنقاضها في أوائل القرن السادس عشر^(١). ومن هذه العوامل ذلك النزاع بينها وبين مملكة المقرّة كما ذكرنا. ولعل حرص مقرّة على الحصول على الرقيق للتجارة أو الوفاء بالبقط^(٢) كان أحد الأسباب التي أدت إلى ذلك النزاع، إذ لا بد أن ذلك قد دفعها إلى محاولة الحصول عليه من جيرانها.

كذلك تعرضت مملكة علوة لاغارات مملكة الزغاوة^(٣) منذ القرن الثاني عشر الميلادي على طرق القوافل التجارية ما بين بحيرة تشاد غربا إلى النيل شرقا، وظل تهديدها قائما حتى نهاية القرن الرابع عشر الميلادي^(٤). وقد هاجم أعراب جذام مملكة الزغاوة حتى سيطروا على منطقة دارفور^(٥)، التي شنوا منها غاراتهم على الاقاليم المجاورة حتى مملكة البرنو في الغرب. وهذا ما تؤكدته شكوى سلطان البرنو «المادي عثمان اويبري بن ادريس ١٣٩٢ - ١٤٢٤ / ١٤٢٥ م إلى السلطان أبي سعيد برقوق في سنة ٧٩٤ هـ / ١٣٩١ / ١٣٩٢ م من اعتداءات عرب جذام المجاورين له والذين اغتصبوا جماعة من أقاربه، وباعوهم في الأمصار ببيع الرقيق^(٦)».

ولا بد أن جماعات عربية كبيرة شقت طريقها إلى علوة بعد وصولها إلى

(١) انظر: واضح البيان في تاريخ العبدلاب، مخطوط، ورقة ٢٠١، تاريخ مختص بأرض النوبة، مخطوط، ورقة

١٧، ١٨.

(٢) سبق أن أشرنا إلى هذا في سقوط مملكة المقرّة.

(٣) امتدت مملكة الزغاوة من بحيرة تشاد في الغرب إلى أطراف النوبة في الشرق، ويرى آركل أنها شملت الكانم ودارفور في القرن ١٤ م: انظر مصطفى مسعد: الإسلام والنوبة، ص ١٨٤، محمد محمد أمين: العبدلاب ص

١٩٦، P. 199. Arkell: Op. Cit.,

(٤) انظر: ل. كروياتشيك: مرجع سابق، ص ٤٠٦، ٤٠٧؛ محمد غيطاس: النوبة ص ١٢١،

C.F.Arkell: Op. Cit., PP. 199-200.

(٥) إبراهيم على طرخان: إمبراطورية البرنو الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٤ م، ص ١٨٧ (وثائق

رسالة عثمان بن إدريس إلى الظاهر برقوق).

(6) Arkell, Op. Cit., PP. 199-200

المنطقة عبر نهر النيل والبحر الأحمر، ومع الحملات التى جردت فى العصر المملوكى^(١)، وبفضل كثرة عددهم وتحالف بعضهم مع الفونج تمكنوا من اسقاط هذه المملكة سنة ٩١٠ هـ / ١٥٠٤ م^(٢)، وزادت هذه الهجرات العربية بعد سقوط مملكة مقرة المسيحية، حيث اندفعت نحو المراعى الخصبة فى علوة. وكان الطابع العام للهجرات العربية إلى انحاء علوة طابعا سلمياً، وتحققت لها مآربها عن طريق الاختلاط ومصاهرة النوبيين^(٣).

وفى القرن الخامس عشر حينما ظهرت عدة ممالك ومشیخات إسلامية فى المنطقة ظهر الأثر العربى الإسلامى فى تطور الحياة الاجتماعية والسياسة، مما عجل بزوال المملكة المسيحية فى علوة، وتمثل هذا الأثر فى اختفاء نظام الوراثة القديم أى نظام الأمومة، وأصبح الحكم وراثياً فى بيت شيخ القبيلة أو الدار، كما تمثل فى ازدياد الإسلام ولاسيما أن البقية الباقية من المسيحيين فى البلاد عانت إهمالاً من كنيسة الإسكندرية؛ والحقيقة أن هذا الإهمال لم يكن قاصراً على مملكة علوة، بل أيضاً مملكة المقرة، وكانت النتيجة ان توقفت الطقوس الدينية فى البلاد حتى اعتاد النوبيون على هذا الوضع وكانت المسيحية فضلاً عن ذلك غطاء لكثير من المعتقدات الوثنية، ولم تستطع أن تغرس لها جذوراً عميقة فى هذه البلاد، ولا يمكن انكار اثر الصراعات بين القبائل فى مملكة مقرة على قطع العلاقات الدينية بين الكنيسة المصرية وكنيسة علوة، مما أدى إلى توقف ارسال الأساقفة المصريين منذ وفاة أسقف النوبة سيريل سنة ٦٣٣ هـ / ١٢٣٥ م كما سبق أن ذكرنا^(٤).

هذا ولم تذكر الوثائق حواث اضطهاد دينى من المسلمين للنوبيين بسبب العقيدة، وهكذا نستطيع ان نستنتج أن الكنيسة النوبية قد زالت من الوجود لا بالعنف بل من ضعفها الذاتى.

(١) انظر ما سبق فى الفصل الثانى . سقوط مملكة المقرة ص ٧٥ وما بعدها.

(٢) انظر: تاريخ مختص بأرض النوبة ، مخطوط رقم Misc 1/15/191، ورقة ١٧، واضح البيان فى تاريخ فى تاريخ العبدلاب، مخطوط رقم Misc 1/20/232 ورقة ٢ .

(٣) انظر المقرئى: الخطط ، ج١، ص ١٩٣، محمد محمد أمين: العبدلاب ص ١٩٢، مصطفى مسعد: امتداد الإسلام والعروبة إلى وادى النيل الأوسط، ص ٧٩؛ زاهر رياض: اتجاهات مصر الأفريقية فى العصور الوسطى، ص ؛ وكروياتشيك: مرجع سابق، ص ٤١٠؛ فانتيلى: تاريخ المسيحية ص ١٩٩ .

(٤) انظر: ضعف الكنيسة النوبية فى الفصل الأول من هذه الدراسة.

— القوى السياسية الجديدة التي ظهرت بأرض النوبة:

أولاً: العبدلاب

أصل العبدلاب وموطنهم الأول:

ترجعه وثائق النسبة^(١) في السودان وادي النيل إلى شعبين عظيمين هما قحطان وعدنان، وهذان الشعبان هما: مجموعة جهينة، ويرمز بها إلى عرب الجنوب أو القحطانيين، والمجموعة الجعلية أو العباسية ويشار بها إلى عرب الشمال أو العدنانيين^(٢). وإذا كانت المصادر السودانية قد اختلفت اختلافاً يسيراً في الأصل الذي ينتمي إليه العبدلاب من هذين الشعبين، فإن هذه المصادر تجمع على رأى واحد لا خلاف عليه هو عروبة العبدلاب.

وسوف نعرض مختلف الروايات الواردة في نسبهم..

روايات العبدلاب أنفسهم:

تشير وثائق العبدلاب^(٣) ورواياتهم الشفوية إلى انهم عدنانية، يتصل نسبهم بعلى بن على طالب^(٤). فقد جاء في إحدى مخطوطاتهم ما نصه:

«ثم اعلم ان عبدالله هذا جد العبدلاب والده حمد بن رافع بن عامر بن صعصع، المعلوم هذا هو المشهور في نسبه، المسموع من الآباء، ولكن الصحيح كما وجد مقررأ في أمهات الأنساب - أن والده السيد الباقر، وأمه (حسنى) بنت^(٥) حمد بن رافع، ومن ذلك توهم بعض أهل الأنساب فنسبه بأمه لرفاعة وبالتالي لجهينة، وذلك وهم باطل كما

(١) أوراق نسب جمعها محمد بن الحاج على بن دفع الله، نسخة إبراهيم حاج محمد عن أنساب العرب، وجعفر حسان في النسب، وهي ماثبوتة بمجموعة ماكمايكل الخطبة في دار الوثائق المركزية بالخرطوم، متنوعات.

Misc 1/16/184. PC.F. maxmichael: Op. Cit. , Vol.1, P. 238,

يوسف فضل: المقدمة ، ص ٣٣ ؛ محمد صالح: مشيخة العبدلاب، ص ١٠٨ ، محمد محمد أمين: العبدلاب، ص

١٩٢؛ مصطفى مسعد: الإسلام والنوبة ، ص ٢٠٢

(٢) محمد عوض محمد : السودان الشمالى وقبائله، ص ١٤ ،

Y.F. Hasan Islamic External Influences, P. 75.

(٣) ابن الحاج حسن بن الشريف الفحل بن ضباب: نسب العبدلاب، مخطوط دار الوثائق المركزية بالخرطوم، (متنوعات) Misc 1/16/184 صفحات ٦١٥-٦٢٨؛ وانظر محمد صالح : مشيخة العبدلاب، ص ١٠٨ .

(٤) انظر: انساب عرب السودان، مخطوط مصور دار الوثائق القومية بالخرطوم رقم Misc 1/18/198 ورقة ١٩-٢٠ .

(٥) تؤيد هذا بعض روايات العبدلاب السماعية في الجملة دون التفصيل، فتذكر أن جد عبدالله جماع هو حمد الذي توفي في أبى حمد الحالية، وهي بلدة كائنة في منطقة الرباطاب، وسميت باسمه، تاريخ العبدلاب من خلال رواياتهم ، ص ١٥ .

وجدت بخط من نقل هذا النسب قائلاً: أن والده السيد الباقر بن السيد محمد السيد على بن السيد جبل بن السيد عبدالله بن السيد بركات بن السيد قاسم ويمضى صاحب النسبة فى تعداد أجداد عبدالله جماع حتى يصلهم بالإمام على^(١) . غير أن روايات العبدلاب السماعية التى دونت حديثاً تذكر أن السيد الباقر هذا لم يكن أباً لعبد الله جماع وإنما هو جده، وتضيف بعض هذه الروايات مؤكدة نسب عبدالله إلى جهينة من جهة أمه . قائلة: أن السيد الباقر تزوج من بنت الشيخ عبدالله الجهنى: «رائد زمام جهينة»، وقد أنجب منها ابنه رافع والد عبدالله جماع الذى ما كاد يشب عن الطوق حتى اختارته قبيلة جهينة ملكاً لها مكان جده لامه، فصار ملكاً فى الحجاز، ثم خلفه على الملك السيد الباقر وتلاه بعد ذلك عبدالله جماع^(٢) . وهذا يعنى أن عبدالله جماع شريف علوى من جهة أبيه، جهنى من جهة أمه، كما يعنى أنه كان شيخاً فى الحجاز على قبيلة جهينة، ولهذا تطلع إلى تزعمها عندما هاجر إلى السودان وادى النيل .

ويروى صاحب «العرف المنشوق» فى نسب العبدلاب رواية مؤداها أن الأشراف خرجوا من أرض الحجاز تحت ضغط العباسيين بعد قيام دولتهم، ومن هؤلاء ذرية الامام موسى الكاظم الذى ينتسب إليها العركيون أيضاً، فعبرت البحر من ناحية السويس، ثم وصلت إلى السودان عن طريق النيل، ثم ذهبت إلى شرق السودان، وقصدت جماعة منها المغرب ومنه دخلوا - عن الطريق الغربى - للسودان . وكان

(١) الفحل: نسب العبدلاب ، مخطوط ، ورقة ٦١٥-٦٢٨ ، الشيخ عثمان أونسه: تاريخ مشيخة العبدلاب، ص ١١، ١٢؛ أكد أونسه أنهم أشراف من نسل على بن أبى طالب من جهة أبيهم، وهم جهينيون من جهة أمهم، وانظر أيضاً: واضح البيان فى ملوك العرب بالسودان، ص ١ ، ٢ ،

C.F.: A.E.Penn: Trastional Storia Of the Abdallab Tribe, S.N.R. XVII, 1934, P. 6FF.

محمد محمد أمين : العبدلاب ، ص ١٩٢،

(٢) انظر: تاريخ العبدلاب من خلال رواياتهم السماعية ، ص ١٤؛ حسن محمد خليل: جوانب من تاريخ العبدلاب من رواياتهم السماعية، مخطوط، ص ٢٣-٢٤؛ محمد محمد أمين: العبدلاب، ص ١٩٢، يوسف فضل: المقدمة، ص ٣٤، ومن الملاحظ: على أننا نتساءل كيف يخلف الأب ابنه فى الملك مثلاً خلف السيد الباقر ابنه رافع فى هذه الرواية؟ وهذا يرجح أن السيد الباقر هو والد عبدالله جماع كما جاء فى نسبة ابن الحاج حسن بن ضياف المشار إليها، وأن رافعا لا يعدوا فى الحقيقة، أن يكون لقباً للسيد الباقر وليس اسماً لمسمى آخر، وإن جد جماع الذى تزوج بنت عبدالله الجهنى انما هو عامر كما تقول إحدى الروايات . انظر: تاريخ العبدلاب من خلال رواياتهم، هامش ص ١٥، يوسف فضل : المقدمة، ص ٣٩، محمد صالح مشيخة العبدلاب، ص ١١٠ .

من هذه الذرية محمد بن رافع، ومن ذريته في السودان الآن القواسمة والعبدلاب^(١).

يتضح من هذه الرواية أنها تطابق ما جاء في مخطوطات العبدلاب ورواياتهم السماعية، خاصة بانتسابهم إلى البيت العلوي، غير أنها تخالف بعض الروايات في الطريق الذي سلكه العبدلاب إلى السودان وادى النيل، ذلك لأن روايات العبدلاب السماعية - بعد ان قررت ثلاث منها أن عبدالله جماع شريف حسيني^(٢) - اجمعت أربع عشرة رواية أخرى على أنه أتى من الشرق أو الشروق الذي يعنى أرض الحجاز، وحددت موطنه فيها مكة أو المدينة أو الطائف على خلاف الروايات، ثم ذكرت طريق هجرة العبدلاب إلى السودان بأنه «سواكن»^(٣) - عبر البحر الأحمر - ومنها إلى أبي حمد^(٤)، فدنقلا حيث ترك هناك بعض ذريته وهم الأدركوجاب^(٥) ولا يبعد أن يكون هذا صحيحا، فأن هذا الطريق هو نفسه تقريباً الذي هربت منه فلول الأمويين إلى الحجاز عند قيام الدولة العباسية كما يقول المقریزی^(٦).

وتمضى روايات العبدلاب قائلة: ومن دنقلا أتوا بربرة فأب زليق القريب من

(١) انظر: الأمين محمد زين الناسخ: العرف المنشوق من تاريخ وأنساب سكان بلدة معتوق بالجريدة، دار الوثائق القومية بالخرطوم، ص ص ٤٦، ٤٧، محمد صالح: مشيخة العبدلاب ص ١١٠، ١١١، Y.F. HaSsan: Islamic external influences, PP. 76-77.

(٢) انظر: تاريخ العبدلاب من خلال رواياتهم، ص ١٤.

(٣) سواكن: ورد أول ذكر لها سنة ٩٤٥ هـ، وقد استفادت سواكن من تدهور باضع أولاً وعيذاب ثانياً، إلا أنها لم ترق لمكانة الثانية، وفائدتها الكبرى أنها كانت ذات صلة وثيقة بالحجاز كما كانت تربطها طرق كثيرة بالداخل، وكان سلطانها عند زيارة ابن بطوطة لها سنة ١٣٣٢ م الشريف زيد بن أبى ندى الذى ورث السلطة عن أخواله البجة. وكان جيشه مكونا من البجة وجهينة وبنى كاهل. انظر: الهمداني (محمد بن أحمد): صفة جزيرة العرب، ليدن ١٨٨٤، ج ١، ص ٤٠، ١٣٣؛ ابن بطوطة: تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ط بيروت ١٩٦٤، ص ٢٤٥؛ السخاوى: الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع، القاهرة ١٩٣٤، ج ٤، ص ١٤٠، ٢٣٤؛ ج ٥، ص ٢٤، ج ٦، ص ١٤٩، ج ١٠، ص ١٥٠.

(٤) أبى حمد: جزء من قبيلة المناصير التى تسكن على النيل بين أبى حمد والشلال الرابع، وقيل أن جيرانهم من الشمال والجنوب الشايقية والرباطاب: C.F.: MacMichael: Op. Cit., vol. 2, P. 31-129.

يوسف فضل: هامش الطبقات، ص ٣٥١، رقم (١).

(٥) يقول ليو الأفريقى وتتأخم من الجنوب صحراء القرعان كوران أو على الأصح القرعان وهو الأسم الذى أطلقه العرب على دازا من مجموعة بيدا - دازا الذين يعيشون حالياً شمال بحيرة تشاد وفى الشمال الشرقى حتى بوركو وفى ابيندى شمال شرق التشاد. انظر ليو الأفريقى: وصف أفريقيا، ص ٥٥٧.

(٦) المقریزی: الخطط، ج ١، ص ١٩١، تاريخ العبدلاب من خلال رواياتهم، ص ١٤.

قرى، حيث كان يحكم العنج ، وحيث بدأ تجمع العرب، ومن ثم أتوا إلى قرى نفسها واتخذوها عاصمة لهم بعد أن أسقطوا دولة العنج^(١).

على أنه يمكن التوفيق بين رواية صاحب العرف المنشوق والروايات الأخرى إذا جاز لنا أن نفترض أن محمد بن رافع هذا شقيقا لعبد الله جماع، استنادا على ما رجحناه^(٢) من أن رافع لقب للسيد الباقر والد عبدالله جماع كما تقول إحدى الروايات^(٣)، وقد رأى أن يسلك بذريته طريقا مغايرا للذى سار فيه أخوه عبدالله جماع، ومن ثم كون مع ذرية جماع عرب القواسمة الذين غلب عليهم - فيما بعد - اسم زعيمهم عبدالله فعرفوا بالعبدلاب. هذا ويوافق عثمان حمد الله العبدلاب على ادعائهم الانحدار من البيت العلوى^(٤). كما يساندهم بروس Bruce فيقرر أن عبدالله جماع أمير قرشى، غير أنه لا يقول بانحداره من بيت على بن أبى طالب^(٥).

على كل حال ما من قبيلة فى السودان وادى النيل - فى الأغلب الأعم - إلا وادعت أنها تنحدر إلى أصل شريف، ابتغاء اجلال الناس وتقديرهم، فالعركيون مثلا فى أبى حراز والمراغنة فى الخرطوم بحرى، ومديرية كسلا، والشكريه فى رفاعة، وآل المهدي والهندي، والفادنية فى أوطانهم المختلفة، كل يدعى أنه ينحدر من بيت على بن أبى طالب كما يتضح من شجرة أنساب السودان^(٦).

كما تلاحظ اضطراب هذه الروايات فهى فى الوقت الذى تصر على صلة العبدلاب بالبيت العلوى تزعم أن العبدلاب جهينيون أيضا من جهة أمهم، وذلك ليظفروا بشرف آخر هم انتمائهم إلى الصحابى الجليل عبدالله الجهنى، ويتضح

(١) انظر: تاريخ العبدلاب من خلال رواياتهم، صفحات ١٦-١٩.

(٢) انظر: الأمين محمد زين الناسخ: العرف المنشوق، ص ٤٦، ٤٧.

(٣) تاريخ العبدلاب من خلال رواياتهم، ص ١٥؛ يوسف فضل: مقدمة فى تاريخ الممالك الإسلامية، ص ٣٤.

C.F.: Yusuf Fadl Hasan: Atabs, PP. 168, 157-7.

(٤) الشيخ عثمان حمد الله العبدلاب: سهم الارحام فى السودان، ص ٢٠٥، ٢٠٦.

(5) C.F.: Bruce, Travels To Discover, Vol. Iv, P. 456-458.

يوسف فضل: المقدمة ص ٣٣؛ محمد صالح: مشيخة العبدلاب، ص ١١٢.

(٦) انظر: ملحق الدراسة: اشكال (٦/أ، ب، ج، د، هـ). يوسف فضل: المقدمة، ص ٣٣، محمد أمين: العبدلاب،

هذا مما يقوله جامعى تاريخ مشيخة العبدلاب : «والقواسمة - أصل العبدلاب - أبناء السيد رافع المعروف فى قبائل رفاعه المتعددة لأن اسم رافع فى قبائل رفاعه اثنتين : رافع الجهنى، ورافع ابن نبتة^(١) الذى هو شريف من ولد الحسين بن على^(٢)» .

إلا أن بعض المصادر تؤكد بقولها «والصحيح فى نسبه أنه من بنى العباس من ذرية أبى جعفر المنصور الخليفة العباسى^(٣)» .

وعلى العموم فقبائل رفاعه كلها وجهينة كلها، وما تفرع منها من القبائل هم أهل الشيخ عبدالله جماع وعشيرته^(٤) .

هذا ونلاحظ أن مصادر الشيعة، أشارت إلى تنقلات أهل البيت إلى أرجاء مختلفة من العالم الإسلامى، إلا أنها لم تشر إلى أن أحداً من ذرية الإمام موسى الكاظم أو غيره من آل البيت العلوى قد هاجر إلى السودان وادى النيل^(٥) .

وأخيراً فإن هذه الرواية - رواية العبدلاب ومن شايهم - لا تنهض دليلاً على ما يزعمونه من الانتساب إلى البيت العلوى الشريف والراجح أنهم عرب جهينيون^(٦) . يقول الباشا عن أصل العبدلاب أنهم ينتسبون إلى المجموعة التى تعرف بمجموعة جهينة، ورواياتهم تشير إلى ذلك، وفى نفس الوقت تحاول أن تنتسب إلى

(١) هناك رفاعه شرق بأبى جن ورفاعة الهوى بأبى روف، هؤلاء شرق النيل الأزرق على الدندر والرهد والبطانة وأولئك فيما بين النيلين الأزرق والأبيض غرباً. انظر : المقرئى : البيان والأعراب ، ص ١٤٩ ،

C.F.: Crawford: the Fung Kingdom Of sennar, PP. 81-82.

(٢) انظر: الشيخ عثمان أونسة: تاريخ مشيخة العبدلاب، مخطوط، ص ١١؛ محمد صالح : مشيخة العبدلاب ، ص ١١٢ .

(٣) انظر: مخطوط. واضح البيان فى تاريخ العبدلاب، ص ٣٢، يوسف فضل: المقدمة ، ص ٣٣ .

(٤) الشيخ عثمان أونسة: تاريخ مشيخة العبدلاب، ص ١٢ ، محمد صالح: مشيخة العبدلاب، ص ١٢ .

(٥) انظر ابن طباطبا: متنقلة الطالبية، تحقيق السيد محمد مهدى السيدة حسن الخراسانى، ط النجف الأشرف، تحدث فيه عن آل أبى طالب الذين انتقلوا إلى بعض البلاد الإسلامية، ومن بينها مصر والمغرب، ولم ترد فيه إشارة واحدة إلى انتقال بعضهم إلى السودان، بل أن محققه أشار إلى أنه تابع هذا الموضوع فلم يجد أحداً منهم قد هاجر على السودان وادى النيل.

(٦) انظر: مخطوط انساب عرب السودان رقم Misc 1/18/198 ورقة ١٩، ٢٠ عن الجهينيين وأنسابهم.

الأشراف شأنهم في ذلك شأن كثير من القبائل السودانية، ومجموعة جهينة من عرب الجنوب، ولذلك فلا محل لربط الأصل الحسيني بالأصل الشريفى أو بعلى بن أبى طالب كما جاء فى روايتهم ... «وفيما يختص بفرع العبدلاب بالذات فمن المرجح أنهم كانوا من بطون جهينة التى عاشت فى الشرق، وأتت منه إلى وادى النيل»^(١).

ويستخلص من رواية نسخة ابراهيم حاج محمد وجعفر حسان^(٢)؛ تتفق النسختان على أن العبدلاب من عرب القواسمة الذين يتصل نسبهم - آخر الأمر - بجهينة، ذلك لأن عرب جهينة فى السودان ينقسمون إلى الشعب الرئيسية التالية:

أن الشعبة الأولى : وتشتمل على رفاعه (وأقربائها من القواسمة والعبدلاب والعركيين) واللحيين والحليين، والعوامرة، والخوالدة، والشكرية ومن إليهم.

والشعبة الثانية: شعبة فزارة، ومن فروعها دار حامد ، وبنى جرار، والزبادية، والبزعة، والشنابلة، والمعاليا.

والشعبة الثالثة: وقد اشتملت على الدويحية والمسلمية والبقارة بفروعها المختلفة، والمحاميد، والمهاريه والكبابيش والمغاربة والحمير^(٣).

على ان النسختين تتفقان فى تفاصيل كثيرة مما يدل على أحد أمرين، أما أنهما منقولان من أصل واحد مفقود، أو أن احدهما منقولة عن الأخرى^(٤).

(١) الباشا: جوائب من تاريخ العبدلاب، ص ٢٩-٣٠، محمد صالح: مشيخة العبدلاب ، ص ١١٣،
(٢) يحتفظ السيد ابراهيم حاج محمد (ناظر عموم الجعليين سابقا) ، بشندى على نسخة من مخطوط للأمام السمرقندى: كتاب أنساب عرب السودان، وضع فى بداية عصر الفونج والعبدلاب. انظر: محمد صالح ضرار: تاريخ السودان : البحر الأحمر وإقليم البجة، ص ٦٨، أما نسخة جعفر حسان فهى موجودة عند ابنه حسان ببلدة حزيمة فى مركز مروي بالمديرية الشمالية، وكلا من النسختين فى أنساب العرب مع احتوائها بعض الأخبار التاريخية، وقد أودعت نسخة مصورة بدار الوثائق المركزية بالخرطوم. انظر مجموعة ماكمايكل الخطية فى دار الوثائق بالخرطوم، متنوعات

Misc 1/16/184, C.F. MacMichael: Op. Cit., Vol. I, P. 238-248.

(3) C.F.: MacMichael: A history Of the Arabs, Vol. 1, PP. 239 - 248.

وسوف نعرض بالتفصيل لهذه القبائل فيما بعد . انظر ص ٢٥٤، وانظر أيضا: مصطفى مسعد: الإسلام والنوبة، ص

٢٠١؛ عبد المجيد عابدين: تاريخ الثقافة العربية ، ص ٣٠، حسن محمود: الإسلام والثقافة العربية ، ج ١ ، ص

٣٣٦، محمد صالح : مشيخة العبدلاب، ص ١١٥،

(٤) انظر: شجرة النسب بملحق الدراسة شكل رقم (٦/هـ) ص ٥٤١-٥٤٥ .

يقول مؤلف نسخة جعفر حسان - وهو ينسب العبدلاب إلى عون بن حمد العلاطى: «أما عون أخيه فأولاده ثابت وصابر وسارب وحرقان ومسير ومعتقوق، ومن أولاده الترابنة والشقلاب والشكراب والعبدلاب والتنجر ... وكلهم أولاد عون ابن حمد العلاطى^(١)».

أما رواية هارولد ماكمايكل:

فتتفق هذه الرواية مع سابقتها في إلحاق نسب العبدلاب بجهينة دون البيت العلوى، وتخالفاً في أمور^(٢).

ورواية محمد بن الحاج على بن الماحى بن مضوى بن دفع الله^(٣). فمضمونها لا يختلف من حيث إلحاق العبدلاب بجهينة - عن سابقتها - فيما عدا رواية العبدلاب ومن شايعهم، ولكنها تختلف في أمور أخرى.

ومهما يكن من أمر القرابة بين القواسمة والعبدلاب فإن هناك أمراً لا خلاف عليه، وهو أنه كان بين الفريقين - فى أواخر القرن الخامس عشر الميلادى صلات رحم قوية تمثلت فى إنتماء الشعبتين إلى قبيلة رفاعة المعتبرة فرعاً من جهينة، كما

(١) انظر: مخطوطة جعفر حسان. مركز الوثائق القومية بالخرطوم، Misc 1/16/184، ص ١٤، ١٥، محمد صالح: مشيخة العبدلاب، ص ١١٧.

(٢) انظر شجرة النسب التى رسمها ماكمايكل بملحق الدراسة. وقد اعتمد المؤلف فى روايته هذه على أوراق نسب غير يسيرة جمعها من الاهلين ثم الروايات السماعية التى قام بتدوينها منهم

MacMichael: Vol. I, PP. 239-248.

(٣) انظر شجرة النسب بملحق الدراسة شكل رقم (٦/هـ) نلاحظ تسلسل النسب بين جهينة وذبيان، فى الوقت الذى يكون فيه ذبيان هو ابن عبدالله الجهنى، وجيهينة هو ابن ريث فى الشجرة الأولى نجد ذبيان فى الشجرة الثانية والثالثة هو ابن جهينة وجيهينة فى الشجرة الثانية هو ابن عطية.

- أولاد ذبيان العشرة، وإذا كان أحد أولاد ذبيان فى الشجرة الأولى والثالثة هو شطير فانه فى الشجرة الثانية شاطر.
- أولاد عامر، وبينما نجد فى الشجرة الأولى أن لعامر ولداً واحداً هو محمد إذا بالشجرة الثانية والثالثة تعطيه ثلاثة من الأبناء هم: حمد العلاطى، ورافع ومحمد. وحين تجعل الشجرة الأولى رافعاً وحمد العلاطى أبناء لمحمد مع ستة آخرين ثم تمنى فتجعل قاسما جد القواسمة أبناء لرافع مع اثنين آخرين وحمد العلاطى أبا لأربعة أبناء ينحدر العبدلاب من أحدهم وهو عون، وبذلك تجعل هذه الشجرة من العبدلاب أبناء عمومة مع على القواسمة ينحدر جميعاً من أصل واحد، تنزل الشجرة الثانية القواسمة منزلة الأهل للعبدلاب فتجعلهم من نسل محمد ابن عامر، على حين تجعل الشجرة الثالثة القواسمة أبناء لمحمد العلاطى ولا تذكر شيئاً عن العبدلاب مما يجوز أن نستنتج أنهم فرع من القواسمة. انظر: أوراق نسب محمد بن الحاج على. Misc 1/16/184 و ٤٣٤-٤٣٩، متنوعات دار الوثائق القومية بالخرطوم.

تؤكد ذلك جملة من المصادر^(١). وكان هناك من الوفاق والتلاحم بينهما ما مكن مؤسس شعبة العبدلاب: عبدالله جماع من أن يقود كتائب القواسمة في هجوم أدى إلى سقوط عاصمة مملكة علوة الأولى سوبا ثم عاصمتها قرى حيث استطاع بعد ذلك أن يكون من القواسمة بيت مالك استمر في الحكم على مدى ثلاثة قرون من الزمان^(٢)، وتلك هي أسرة العبدلاب^(٣).

أما كلمة العبدلاب فانها تعنى القبيلة أو الجماعة التي تنتسب إلى عبدالله جماع، ذلك لأن لفظ أب الذي تنتهى به أسماء كثير من العربية في السودان يعنى فى مدلوله : عائلة أو قبيلة^(٤).

(١) انظر : ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ، ج٢، ص ٤٤٤؛ المقرئى: البيان والاعراب ، ص ١٤٩ ، محمد عوض : السودان الشمالى، ص ٢١٨، ٢٥٢، يوسف فضل : المقدمة ، ص ٣٤، ٣٥، محمد محمد أمين : العبدلاب، ص ١٩٢، C.F.: Y.F. Hasan: the arabs and the sudan, PP. 154-7, MacMichael: A history of the Arabs in the sudan Vol. 1, PP. 128, 141, 228, 245, Vol. II, P. 80; Craford: The Fung King dom Of sennar, PP. 81-82.

(٢) انظر: تاريخ مختص بأرض النوبة، مخطوط Misc 1/15/191 ورقة ١٧ ، مخطوطة كاتب الشونة ص ١٦ ، واضح البيان فى تاريخ العبدلاب، مخطوط رقم Misc 1/20/232 ، ص ٢ ، الشيخ عثمان أونسة: تاريخ مشيخة العبدلاب، مخطوط ، ص ٢٦ تاريخ ملوك السودان، ص ١،

(٣) يذكر ثلاثة من الرواة أن عبدالله جماع، مؤسس مشيخة العبدلاب شريف حسين من نسل الأمام على شرائط رقم ١٤، ٨٠، ١٣٠، ٢٠، انظر : تاريخ العبدلاب من خلال رواياتهم ، ص ١٤،

(٤) اختلف الباحثون فى أصله، أهو لفظ حامى أم سامى؟ هناك رأى يقول: استخدام المقطع الحامى الأخير أب لتكوين اسم للأسر والقبائل ينسب إلى الجد الأعلى رباطاب، يمكن أن يقال عنها أنها ليست من أصل عربى. انظر: محمد عوض: السودان الشمالى، ص ٢٣٤؛ محمد مهدى كركورى: رحلة مصر والسودان، ص ٣٩٠؛ الريح العيد روسى: تقويم السودان لسنة ١٩٤٩م، ص ١٠٣؛ محمد صالح. مشيخة العبدلاب، ص ١٢٣ ، ويرى د/ محمد عوض أن إلحاق مقطع أب فى آخر الأسم يرجع إلى مؤثرات لغوية لعلها حامية قديمة وأثرها واضح فى اقليم النيل الأبيض والأزرق والنيل الأعظم والجهات المجاورة للنهر، ويمتد هذا التأثير شرقاً إلى البحر الاحمر. انظر محمد عوض: السودان الشمالى، ص ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، وقد أيد حامية المقطع أيضاً كان من نعيم شقير، والريح العيد روسى، غير أنهم ذهبوا إلى أنه مأخوذ من اللغة البجاوية. انظر: نعيم شقير، جغرافية وتاريخ السودان ج ١، ص ٦٤؛ الريح العيد روسى: تقويم السودان ص ١٠٣، محمد مهدى كركورى: رحلة مصر والسودان ، ص ٣٩٠؛ محمد عوض: السودان الشمالى، ص ١٥٥ ، ويمكن مناقشة الرأى بأن معظم القبائل الجعلية التي تعيش على ضفتى النيل من الشلال الثالث حتى السادس يصعب تصور عبورهم أرض البجة فى ترحالهم من مهجرهم القديم فى صعيد مصر إلى موطنهم الجديد بالنوبة، وأيضاً هناك مجموعة عربية كبيرة هى الكواهلة كانت لها أوطان تقيم فى أرض البجة بشرق السودان، ومع هذا ليس أواخر أسماء قبائلها هذا المقطع أب، انظر حول التوسع فى هذا المدلول: Y.F. Hasan: Islamix External in- fluences, P. 78-79; محمد عوض: السودان الشمالى، ص ٢٣٤ ، محمد صالح: مشيخة العبدلاب، ص ١٢٧ .

- انشاء قرى عاصمة العبدلاب :

تقع قرى فى الحد الأدنى للمنطقة المدارية المطيرة، وتلتقى من النقطة التى تلتقى فيها القوافل التجارية المصرية بخط عبور النيل إلى صحراء بيوضة ومنها إلى مصر عن طريق دنقلة- مشو- واحة سليمة^(١). وهى على خانق سبلوقة أو ما يعرف بالشلال السادس فى طرفه الجنوبى، وعلى الضفة الشرقية للنيل، وتقوم على قاعدة عقبة وقد نسبت إليها فقيل عقبة «قرى» وهى تبعد عن النيل بنحو ربع ميل^(٢)، وقد تمكنت قرى لموقعها الهام من جمع الجمارك التى تدرها تجارة المرور، والسيطرة على الأراضى الخصبة فى سهل البطانة^(٣).

أما عن نشأتها الأولى فلا تذكر المصادر شيئاً عنها^(٤)، حتى الرحالة اليهودى داود روبينى S. David Reubeni^(٥)، لم يشر إلى ذلك سوى أنه ذكر مملكة جعل عندما

(1) C.F. MacMichael: A history Of the Arabs, Vol. 1, P. 246, Crawford: the Fung Kingdom Of sennar, PP. 56-66.

الباشا: جوانب من تاريخ العبدلاب، ص ٢٢، محمد صالح: مشيخة العبدلاب، ص ١٣٩، يوسف فضل: المقدمة، ص ٣٧ (٢) وقد دلت الاكتشافات الأثرية أن قرى تقوم على أرض مسطحة تتكون من حفر متداخلة منعقدة الشكل، ربما كانت جدران منازل طينية C.F.: Crawford: Op. Cit., PP. 66-67 محمد صالح: مشيخة العبدلاب، ص ١٣٩، انظر الخريطة بملحق الرسالة شكل رقم (١٠).

(3) Macmichael: Op. Cit., P. 246,

الباشا: جوانب من تاريخ العبدلاب، ص ٢٢، مصطفى مسعد: امتداد الاسلام، ص ٩١، يوسف فضل: المقدمة، ص ٣٧، انظر: الخريطة، شكل رقم (٩)، (١٠).

(٤) يوجد الآن فى جنوبى قرى قبر الشيخ عجيب الكبير، وقبل عهد ليس بعيد قد انهارت عليه القبة التى كانت قد نصبت عليه، كما كانت ترقد عليه ايضاً جذوع النخل التى اتخذت دعائم ترتكز عليها تلك القبة، والقبر هو أبرز المعالم فى قرى، يتكون من سور طويل تابوتى الشكل من الطوب الأحمر، ويلحق بالقبة من جهة الشرق سور صغير يليه من الخارج حائط من الحجارة، وعلى مسافة لا تبعد كثيراً عن قرى القديمة مساحة صغيرة بها قبة قديمة لا تزال قائمة تنسب لأحد شيوخ الركابية. ويبدو أن قرى عند نشأتها الأولى كانت تجمعاً صغيراً من البيوت أقيم حول منزل الشيخ، ذلك لأنها كانت فى عهد بروس ١٧٧٢م قرية تتكون من مائة وأربعين منزلاً، لا يزيد ارتفاع الواحد منها عن طابق واحد، وكانت نظيفة جيدة البناء، مسطحة السقوف، مبنية من نفس التراب الملون القائمة عليه، لهذا تصعب رؤيتها من بعيد. انظر: Crawford: Op. Cit., P. 67.

(٥) رحالة يهودى يمنى الأصل زار مملكة سنار سنة ١٥٢٢م ومر بمدينة سوبا وقد فقدت مخطوطة رحلته، ولكن بقيت صور منها لعله املاها مختصرة على يهودى المانى كتبها بالعبرية .

C.F.: Hillelson, S., David Reubini an Early Visitor of sennar, S.N.R. Vol.XVI, Part 1, 1933, PP. 55-50.

مر بهذه المنطقة فى أوائل القرن السادس عشر الميلادى، ولكنه ربما تجنب المرور بها (١)، لأنها لم تكن موجودة آنذاك كما استنتج الدكتور مكى شبيكة (٢).

أما الرحالة بونسيه، "Poncet"، فقد ذكر أنه اجتازها بعد أن عبر النيل عندها فى مستهل عام ١٦٩٩ م، وقد أطلق عليها مقر الحاكم، الذى كانت وظيفته الرئيسية أن يتحقق من خلو جميع القوافل الآتية من الشمال والشرق من مرضى الجذام والجدرى، الذى كان منتشرًا فى ذلك الوقت، كما كانت من مهامه الرئيسية جباية المكوس من التجارة (٣).

إذا متى غدت قرى عاصمة العبدلاب؟ هل كان ذلك بعد سقوط سوبا؟ أم كان قبله بوقت قصير؟

فهناك جملة من الآراء نبسطها فيما يلى:

الرأى الأول يقرر أنه بعد أن أسقط الجيش المتحالف جيش العبدلاب والفونج - عاصمة علوة الأولى سوبا - على نحو ما وضحناه سابقًا، توجه إلى عاصمة العنج الثانية قرى التى تشير المصادر إلى ملكها تارة بملك الغرب وأيضًا بملك القرى وقد انتصر الجيش المتحد فسقطت قرى كما سقطت سوبا، وقضى بذلك على آخر معقل للمسيحية فى مملكة علوة (٤).

وهذا يعنى أن قرى عندما ظهر العبدلاب كقوة مؤثرة فى الحياة السياسية فى السودان وادى النيل كانت قائمة بالفعل، ولم ينشئها العبدلاب، وإنما اقتصر دورهم على انتزاع السلطة الزمنية من أيدي العنج ملوك علوة المسيحية الذين كانوا يسيطرون عليها.

(1) Crawford: the Fung kingdom Of sennar, PP. 56 FF.

(٢) مكى شبيكة: مملكة الفونج الإسلامية، ص ٤٠، ٤١.

(3) Poncet, Jacques, The Red sea and Adiacent Contries At the clase of the seven-teenth century.

(4) C.F.: Penn Traditional Stories of the Abdallab teiba "S.N.R. XVII, 1943, P.60-62.

مخطوطة تاريخ محتص بأرض النوبة، ص ١٧-١٩، مخطوطة كاتب الشونة، ص ٧، تاريخ السودان إلى قيام الأحزاب، ص ٦٣، تقويم السودان لسنة ١٩٤٩ م، ص ٤٨، شينى: بلاد النوبة فى العصور الوسطى، ص ١٠، ١١، عبدالعزيز عبدالمجيد: التربية فى السودان، ج ١، ص ٣٥، عبدالمجيد عابدين: بين الحبشة والعرب، ص ١٦٤، عبدالقادر محمود، الفكر الصوفى فى السودان، ص ٣٧، C.F.: Shini: Exavation At Soba, PP. 14-15.

وقد حوت روايات العبدلاب مزيدا من التفاصيل عن نهاية مملكة علوة، وانتقال السلطة في قرى إلى أيدي العبدلاب فذكرت أنه بعد أن تم الاستيلاء على سوبا انهزم جيش العنج الذي كان يقوده رجل يدعى حسب الله. وتختلف روايات العبدلاب، فبعضها يقرر أن الذي تبع حسب الله من العبدلاب وحاصره حصاراً شديداً حتى استسلم في النهاية كان عبدالله جماع^(١)، وبعضها الآخر يذهب إلى أن الذي حاصر قرى واستولى عليها إنما هو ابن عبدالله جماع الشيخ عجيب الكبير^(٢).

ويتفق المصادر في أن قرى سقطت بعد مقاومة عنيفة في يد العبدلاب، وتقول بعض الروايات أن حسب الله العنجى سلم قرى للعبدلاب ونجا بنفسه هرباً عبر النهر إلى الغرب، ثم إلى جبال النوبا، كما تقول رواية أن شيخ قرى استقر وجماعته الباقية «في الحرازة أم قد»^(٣).

والرأي الثاني يعود بسيطرة العبدلاب على قرى إلى وقت سابق على سنة ١٥٠٤م حين وقع الاتفاق بين العبدلاب والفونج، ويبدو أن المحدثين قالوا ذلك استناداً لرواية بروس "Bruce" الذي تذكر أن الحلف الذي قام بين العبدلاب والفونج سنة ١٥٠٤م كان اثر هزيمة العبدلاب الذين كانوا يسيطرون على مدينة أريجى، وحاولوا أن يتوسعوا منها جنوباً، وقد ترتب على هذه الهزيمة أن نقل عمارة دنقس مركز العبدلاب إلى أريجى فأصبحت عاصمة لهم، وكان ينبغي من وراء ذلك أن يكونوا تحت مراقبته المباشرة^(٤).

وقد وصفها بروس بقوله : كانت أريجى عاصم ود عجيب قرية لطيفة كبيرة ولكنها قليلة السكان^(٥)، وهذا يعنى أن قرى كانت قائمة قبل هذا الوقت أى قبل ١٥٠٤م - حين دارت المعركة بين ود عجيب والسود في أريجى، وكانت عاصمة

(1) C.F. Traditional Stories Of the Abdallab Tribe S.N.R. P. 61.

مخطوطة واضح البيان في تاريخ العبدلاب، ص ٢، مشيخة العبدلاب، مخطوط، ص ٦ .

(٢) تاريخ مشيخة العبدلاب، ص ٦، محمد صالح: مشيخة العبدلاب، ص ١٤٢ هذا وقد اتفقت ست روايات أخرى للعبدلاب على حدوث هذه الواقعة من الشيخ عجيب الكبير، ولكنها اختلفت على هذه الرواية في التفاصيل. انظر: تاريخ العبدلاب من خلال رواياتهم ص ٢٢ وما بعدها.

(٣) تاريخ العبدلاب من خلال رواياتهم ص ٢٤، ٢٥، ١٠٩، محمد صالح: مشيخة العبدلاب، ص ١٤٤ .

Y.F. Hasan: Islamix external Influences, P. 75-76.

(4) Bruce, Vol. VI, P. 371.

(5) Bruce, Vol. VI, P. 371

للعبدلاب، ولم تخضع لهم بعد هزيمة العنج فى سوبا كما تقول الرواية الشائعة، ونص بروس يؤكد ذلك فهو يقول : «أن أمير هذه البلاد من قریش، ويلقب بود عجيب وهو زعيم العرب جميعهم، ومقر الأمير قرى. وكان يجمع الضرائب من العرب واستمر الحال على ذلك حتى بداية القرن السادس عشر حين توجه فى سنة ١٥٠٤م شعب أسود .. (١)».

ولما كان من الحقائق المعروفة ان قرى ظلت تحت سيطرة العبدلاب الكاملة خلال الحقبة التى عرفت بعهد الفونج فقد رجح كروفورد أن أريجى لم تكن إلا مركزاً حضارياً للإدارة حينما جاء بروس إلى هذه المنطقة سنة ١٧٠١م. وأن ود عجيب أو شيخ العبدلاب كان - عندئذ - هناك ولم يكن فى عاصمته قرى ومن هنا جاء الخلط باعتبار أريجى - عنده - عاصمة للعبدلاب (٢).

وقد أكد هولت "Holt" على أن قرى كانت قائمة وتسيطر على رقعة واسعة من مملكة علوة عند مجئ الفونج سنة ١٥٠٤م، يقول : «عند مجئ الفونج كانت هناك قبائل عربية فى شمال الجزيرة، وعند ملتقى النيلين تحت سلطة العبدلاب وعاصمتهم قرى (٣)».

وحظى هذا رأى - القائل بقدوم قرى كعاصمة للعبدلاب، وكونها سابقه فى وجودها لأحداث سقوط سوبا بتأييد من روايات العبدلاب السماعية التى سجلت متأخرة (٤)، فقد قررت هذه الروايات على خلاف فى التفاصيل أن عبدالله جماع بعد أن وصل من الحجاز عن طريق سواكن قد نقلا فأبى حمد ثم بربر، انتهى به المطاف أخيراً إلى موضع يقال له أب زليق قريباً من قرى، ومنه تردد على ملك العنج المدعو الجحمان أو عبدالله أفادق، أو سليمان أو المناع - على خلاف الروايات - وكان عبدالله جماع يبغى من هذا التردد الزواج من ابنة الملك التى كانت بيدها مفاتيح

(1) Bruce, Ibid, PP. 456 F.

(2) Crawford: The Fung Kingdom, PP. 66-67.

(3) C.F. Holt: A Modern history Of the sudan, P.19.

(٤) انظر : واضح البيان فى تاريخ العبدلاب، ص ١-٣؛ تاريخ العبدلاب من خلال رواياتهم، ص ٢٢، محمد أمين: العبدلاب، ص ٢٩.

خزانة السيوف والمهمات الحربية للمملكة فلما تم لعبدالله جماع ما أراد، شغل نفسه بمعاينة الحصون والسيوف وأدوات الحرب، وعلم الملك أنه في طريقه للمصير الذى ينتظره، واستولى جماع على عاصمة ملكه قرى^(١). ومن ثم بدأ يجمع حوله القبائل العربية فى جبل الرويان لمهاجمة سوبا، وليس فى جبل مويه كما هو شائع، ولعل التشابه بين كلمتى الرويان هو علة الخلط فى هذا الموضوع^(٢).

ويعتقد أن ترجيح رأى عن الآخر أمر بالغ الصعوبة بسبب قلة الشواهد والأدلة، إلا أنه يمكن القول أن الرأى الأول أشار إليه أقدم ما نعرفه عن المصادر السودانية، كما استند عليه عدد غير قليل من الباحثين المحدثين^(٣)، على حين أن الرأى الثانى انما بنى هيكله العام على فكرة بروس مع أنها ووجهت بنقد قوى من الباحثين واستبعدت، وطعن فى الأمانة العلمية لصاحبها.

أما عن أسباب اختيار قرى دون سوبا عاصمة للعبدلاب فقد رجح بعض الباحثين أنها تعود إلى تجمع العرب بأعداد كبيرة فيها تحت جبل الرويان، ووقوعها المباشر فى خط عبور النيل إلى صحراء ببوضة والطريق المؤدى إلى دنقلة ومصر. وبعبارة أخرى لتحكم موقعها فى تجارة المرور مما يمكنها من فرض مكوس تزيد من دخلها السنوى.

ولأن وقوعها فى الحد الأدنى للمنطقة المطرية المدارية يمكنها من السيطرة على العرب فى سهل البطانة، أولئك الأعراب الذين يتجمعون فى الأراضى المطرية الخصبة، ويساعدها على تحصيل ما يسمى بالجزية منهم.

وقد يكون سبب رفض العبدلاب أن تكون سوبا عاصمة لهم راجعاً إلى توجسهم خيفة من أن تقوم عليهم بعض العناصر المحلية القديمة وتنتقم منهم، لاعادة العاصمة القديمة.

(١) تاريخ العبدلاب من خلال رواياتهم، ص ٢٢، محمد محمد أمين: العبدلاب، ص ٢٠٩ .

(2) Holt., P.M., A sudanese Historical legend, the Fung Conquest suba, B., S. O. A . S. Vol. XXIII, Part 1. 1960, P. 10 FF.

يوسف فضل: مقدمة فى تاريخ، ص ٣٧، وايضا : C.F: Islamic External influences, P. 76-77.

الباشا: جوانب من تاريخ العبدلاب، ص ٢٠، محمد محمد أمين: العبدلاب، ص ٢٠٩ .

(٣) انظر : مكى شبكة: مملكة الفونج الإسلامية ص ٩٥-٩٧ .

وربما لأن سوبا دمرت على نحو لم تعد صالحة للإقامة والسكنى^(١).

– حدود دولة العبدلاب ومناطق نفوذها:

كانت من نتائج انتصارات الفونج والعبدلاب على مملكة علوة المسيحية واقصائها – نهائيا – عن ظهور قوى محلية جديدة اقتسمت مناطق النفوذ فيما بينهما. يقول صاحب تاريخ ملوك السودان: ثم اتفق رأيهم على أن يكون عمارة ملكا عوضا عن ملك علوة التى هى سوبا كونه هو الكبير، وأن عبدالله جماع يكون فى مكان ملك الغرب، فتوجه واختط مدينة قرى الكائنة عند جبل الرويان بالشرق، وجعلها كرسى ملكه، وكذلك عمارة اختط مدينة سنار .. وجعلها كرسى ملكه وذلك سنة ٩١٠ هـ^(٢) يتضح أن هذا النص لم يحدد مناطق الفونج والعبدلاب ولكنه اكتفى بتحديد العاصمة للمناطق التى تتبع كل دولة.

غير أن مصادر العبدلاب أعطت تفاصيل أو فى فى هذا الشأن، فذكرت أنه عقب انتهاء الحرب اتفق الطرفان على أن يملك عمارة دونقس منطقة الجزيرة الواقعة بين النيلين الأبيض والأزرق، ولذلك نقل عاصمته من جبال الفونج إلى سنار. أما بقية السودان فقد آل إلى حكم الشيخ عبدالله وذريته من بعده فأختار مدينة قرى – عاصمة علوة الثانية سابقا – عاصمة لمملكته، واستقر بها، ومنها أخذ يوجه جيوشه شمالاً وشرقاً لتوسيع رقعة مملكته حتى امتدت إلى حدود الحبشة وسواكن فى الشرق،
(١) يقول الباشا بعد أن ذكر السببين الأخيرين: وزيادة على ذلك كله فقد أشار كل من كروفورد، وهولت، ويوسف فضل إلى أهمية قرى كملتقى للطرق التجارية وإمكانية سيطرة حاكمها على القوافل التجارية التى تسير محاذية لشاطئ النيل الشرقى .. وكذلك القوافل التى تأتى من دنقلا عبر صحراء بيوضة، وتعبير النيل فى المنطقة الواقعة بالقرب من قرى، كما يبدو أن اختيار قرى يعزى إلى اتصالها بالبطانة حيث العرب الرحل انظر: جوانب من تاريخ

العبدلاب ، ص ٢١، ٢٢، محمد صالح : مشيخة العبدلاب ، ص ١٤٨

C.F.: macmichael: A history, Of the aravs, Vo; I. P. 246, Y.F. Hasan: the arabs and the sudan, p. 133. Holt: A sudanese hoshorical Legend, P.10, Trimmingham: Op. Cit., P. 15;

وانظر كذلك : محمد محمد أمين: العبدلاب ، ص ٢٠٦، يوسف فضل : المقدمة ، ص . ص ٣٧، ٣٨، محمد

إبراهيم أبو سليم: تاريخ الخرطوم ، ٦ الثانية بيروت ١٩٧٩ م ، ص ١٠ .

(٢) انظر: مخطوط: تاريخ مختص بأرض النوبة، ص ١٧، ١٨، ومخطوطة كاتب الشونة، ص ٧، تاريخ ملوك السودان،

ص ٦، واضح البيان فى تاريخ العبدلاب، مخطوط ، ص ٢٠١، انظر الخريطة شكل رقم (١٠).

وإلى كاب بلول عند حدود سلطنة الفورفي في الغرب وإلى أريجى التى اعتبرت حداً فاصلاً بين نفوذ العبدلاب ونفوذ الفونج في الجنوب. أما في الشمال فتزعم رواية العبدلاب أن حدهم أسوان^(١).

وقد أشارت وثيقة بالغة الأهمية خاصة بوقف لأحد مشايخ العبدلاب يرجع تاريخها إلى وقت مبكر، إذ هي صادرة عن الشيخ دياب بن بادى ابن الشيخ عجيب الذى حكم بيم سنة ١١١٤-١١٢٣ هـ، إذ تضمنت الوثيقة نصاً يؤيد هذه الحدود، فقد جاء فيها:

«ومعرفة حد البرابرة المستحقة للوقف المذكور من جهة الغرب الكاب، وشرقاً سواكن، ومن جهة الصعيد الحبشة، وشمالاً بندر أسوان، يكون داخلًا في الحد لا داخلًا في الوقف^(٢)».

يتضح من هذه الوثيقة صحة ما ذكرته مصادرهم السابقة بشأن هذه الحدود، وبخاصة الشمالى منها.

على أن الدكتور حسن أحمد محمود قد حدد حدود المشيخة الجنوبية في أنها - لا تقف عند أريجى - ولكنها تمتد على الضفة الشرقية للنيل الأزرق حتى الدندر بقوله: فقد أسس القواسمة مشيخة قرى التى امتد سلطانها الحقيقى من أريجى في الجنوب حتى دنقلة في الشمال، تدين هذه القبائل والمشايخ بالولاء لمشايخ قرى، ويعترف هؤلاء بالسلطان الاسمى لسلطين الفونج في سنار^(٣).

(1) A.E. penn: Traditional Stories of the Abdallab Tribe, S.N.R. XVII, PP. 61-62.

واضح البيان: ص ٢-٣، تاريخ العبدلاب (مجهول المؤلف)، دار الوثائق المركبة بالخرطوم، متنوعات، ص ٢، تاريخ العبدلاب من خلال رواياتهم، ص ٢١.

(٢) الوقف في مدينة الرسول الكريم. انظر وثيقة من وثائق مشيخة العبدلاب خاصة بأوقافهم في المدينة المنورة، وقد تم نشرها الدكتور احمد عبد الرحيم نصر في كتابه الاغوات: دراسة تاريخية مقارنة لاغوات المسجد الحرام بمكة والمسجد النبوى بالمدينة معهد الدراسات الافريقية والاسيوية، جامعة الخرطوم ١٩٨٦م، ص ١٧، ٧١، ٨٣؛ انظر كذلك الوثيقة بملحق الرسالة شكل رقم (٧) وثيقة منشورة، وانظر صلاح محى الدين، مخطوطة تاريخية عن العبدلاب مجلة الخرطوم ديسمبر ١٩٦٧، ص ٥٨؛ يوسف فضل: المقدمة ص ٦١، المؤلف نفسه: المماليك والسودان، مجلة الدراسات السودانية، - العدد الاول المجلد الرابع يونيو ١٩٧٣، ص ١٤.

(٣) انظر: حسن احمد محمود: الإسلام والثقافة العربية، ج ١، ص ٣٥٠، وانظر أيضاً: عبد المجيد عابدين: تاريخ الثقافة العربية في السودان، ص ٥٥، ١٠١، وقد أكد مكي شبكة هذا المعنى فذكر أن حدود العبدلاب امتدت من أريجى الى الحدود الشمالية مع مصر، انظر مملكة الفونج، ص ٤٨؛ عبد العزيز عبد المجيد: التربية في السودان، ج ١، ص ٣٨.

ومهما يكن من امر فإن الحد الشمالي للمشيجة ما لبث أن تغير بعد أن فتح السلطان سليم العثماني مصر سنة ٩٢٣ هـ/١٥١٧ م، إذ صارت البلاد الواقعة بين الشلال الأول (عند أسوان) والشلال الثالث^(١) عند أبو فاطمة شمال كرمة منذ سنة ١٥٢٠ م بيد الكشف الأتراك^(٢).

أما حدود المشيجة الشرقية فقد أشار إليها المؤرخ محمد صالح ضرار بقوله : «امتدت سلطة السلطنة الزرقاء إلى سواكن^(٣) أيام عمارة دونقس، واشتبكت جيوشها مع أمير سواكن وهو من الحدارب الذين انهزموا ورحلوا من سواكن وتفرقوا في البوادي المحاذية لجبال سنكات وأركويت، فعين قائد جيش الفونج وهو من العبدلاب الأمير عبدالله بوش الأرتيقي أميراً على مدينة سواكن، وكان قد أبلى في القتال أحسن بلاء.

وخضعت بادية اقليم البجة للسلطنة الزرقاء إلا الهدندوة الذين تحصنوا بالجبال من خيالة الفونج، واستمرت فتوحات القائد نحو الجنوب حتى وصل مصوع^(٤)، .

وخلاصة ذلك كله ان مشيجة العبدلاب امتدت شرقاً إلى سواكن وبلاد الحبشة في عهد الشيخ عبدالله جماع، ومن المحتمل أن يكون القائد العبدلابي الذي تم على يديه فتح سواكن هو ابنه الشيخ عجيب الكبير.

(١) انظر: الخريطة. بملحق الدراسة شكل رقم (٩ ، ١٠) .

(2) C.F. : P. M. Holt: Sultan Selim, and The Sudan " J.A.H.VIII, 1967, pp. 19-20.

وانظر يوسف فضل: المقدمة ، ص ٦١؛ وايضا يوسف فضل: الممالك والسودان ص ٧؛ مصطفى مسعد: امتداد الإسلام، ص ٩١؛ عبد الله حسين: السودان القديم والجديد ص ٥٧؛ السودان عبر القرون، ص ٤٩؛ الإسلام والثقافة العربية، ج ١، ص ٣٤٨؛ العيدروس: تقويم السودان لسنة ١٩٤٩ م، ص ٤٨، نسيم مقار: اقتصاد السودان في العهد الفونجي، رسالة دكتوراه ، ص ٢٦ .

C.F.: Crawford : The Fung Kingdom, p. 66 "E. De Cadalvene et J. de Breuv-ery, L'Egypt et la Turquie, Paris, 1839, Vol. 1, p . 200.

(٣) انظر كروفورد الذي أكد امتداد حدود دولة العبدلاب الشرقية حتى البحر الأحمر وسواكن.. The Funge, p. 66.

، مكي شبكة: مملكة الفونج، ص ٤٨، محمد صالح: مشيجة العبدلاب ، ص ١٥١ .

(٤) محمد صالح ضرار : تاريخ السودان: البحر الأحمر و اقليم البجة، ص ٦٥، وانظر: واضح البيان ، ص ٣-٤؛ تاريخ

العبدلاب من خلال رواياتهم، ص ٣١، ٣٢؛ الشاطر بصيلي: معالم : ص ٣٠ .

ثانياً: سلطنة الفونج الإسلامية :

- أصل الفونج وموطنهم: (١)

ما أن هزم العبدلاب على يد الفونج بقيادة زعيمهم السلطان عمارة دونقس في سنة ٩١٠ هـ / ١٥٠٤ م حتى تمت للفونج السيطرة على الجزء الشمالي من السودان الشرقي، وأصبح نفوذهم يمتد من مدينة مشو بالقرب من الشلال الثالث حتى جنوب .. عاصمتهم سنار الواقعة على النيل الأزرق ثم امتد ملكهم ليشمل أجزاء كبيرة من بلاد البجة في الشرق وكردفان في الغرب (٢).

ونظراً لما اكتنف ظهور الفونج من غموض تارة لقلة المصادر الوطنية وأخرى لصمت المصادر العربية المعاصرة، فإن أصلهم مازال يكون مشكلة رئيسية في تاريخ السودان وادى النيل، وقد شغل هذا الأمر الباحثين فترات طويلة دبجت خلالها كثير من المؤلفات، وطرح فيها كثير من النظريات ولكن دون الوصول إلى رأى قاطع، وربما ظل الحال هكذا إلى أن تنال المنطقة الواقعة جنوب سنار، والتي يرجح كثير من الباحثين أنها مهد مملكة الفونج، قدراً أكبر من اهتمام علماء اللغات المقارنة والآثار (٣).

(١) عرفت مملكة الفونج الإسلامية بأسماء مختلفة منها . مملكة سنار والسلطنة الزرقاء نسبة إلى سنار العاصمة، كما عرفت باسم السلطنة الزرقاء (السوداء) وذلك تمييزاً لها عن السلطنة الحمراء، وهي حكومة مصر. نعم شقير: جغرافية وتاريخ السودان، ط بيروت ١٩٦٧، ص ٤١٣؛ مصطفى مسعد: بعض ملاحظات، ص ٣٣، حاشية (١).

(٢) احمد كاتب الشونة: مخطوطة كاتب الشونة، نشر الشاطر بصيلي، ص ٤

C.F. : J.D.P. Chataway: Fung Origins, S.N.R. Vol. 17, 1934, part 1, p. 116.

كمال دسوقي: مجتمع الرعاة في رفاعة شرق، ص ٧٢،

(٣) عن اصل الفونج انظر: Arkell: Fung Origins, S.N.R. Vol. XV, pp. 201-250.

" : More about Fung Origins, S.N.R. Vol. XXVII, p. 87.

" : Fung Correspondence, S.N.R. Vol. XXXIII, p. 181-182.

Chataway: Notes on the history of the Fung :, S.N.R. Vol. XIII, p. 247.

" : Fung Origins, S.N.R. Vol. XVII, pp. 111-117.

Henderson: Fung Origins, S.N.R. Vol. XXXII, pp. 174-175. and Vol.

XXXIV, p. 315-316.

Robertson: Fung Origins, J.N.R. Vol. XVII, pp. 260-265.

وانظر أيضاً: حسن محمود: الإسلام والثقافة العربية، ج ١، ص ٣٤٢، عبد العزيز عبد المجيد، ج ١، ص ٣٨، ٣٩.

ويرجع الباحثون موطن الفونج أو أصلهم إلى واحدة من ثلاث مناطق: بلاد الحبشة وبلاد البرنو، ومنطقة الشاك على النيل الأبيض ، ويلاحظ أن بلاد الحبشة تجد تفضيلاً في الروايات الوطنية وتواتراً عند النسابة السودانيين الذين ينسبون الفونج إلى بنى أمية، بينما تتفق بلاد الحبشة والبرنو في أنهما وقعتا تحت مؤثرات إسلامية قبل قيام مملكة الفونج^(١).

كان أول من وصف هذا الشعب الغريب دون أن يسميه هو الرحالة اليهودى داود روبينى الذى قدم من اليمن فى طريقه إلى أوربا الذى أدعى النسب الشريف وتظاهر بالإسلام ، وقد مكث نحو عشرة أشهر من أواخر عام ١٥٢٢ م وأوائل عام ١٥٢٣ م فى ضيافة ملكهم عمارة الذى وصفه بأنه مسلم أسود ويحكم شعباً من السود والبيض^(٢). ولعله قصد بالسود السكان الوطنيين والبيض العرب، وقضى روبينى فى معظم تلك الفترة فى لمؤل (Lam, ul) أو لؤل (Luap' ul) مقر الملك - الواقع على النيل الأزرق على بعد ثمانية أيام من سنار^(٣). وكثيراً ما صحب روبينى الملك فى تجواله لتفقد أحوال بلاده شهراً بعد شهر. وكان يساعد الملك فى إدارة المملكة عدد كبير من الموظفين كما يساعده قادة الجيش وعدد من القضاة وحكام المدن. وذكر روبينى أن الملك يملك عدداً كبيراً من الخدم والرقيق ذكوراً وإناثاً، ومعظمهم عراة الأجسام وأنهم يأكلون لحوم الأفيال والذئاب والفهود والكلاب والإبل والفئران والضفادع وحتى لحم البشر^(٤).

وبالرغم من زعم روبينى أن ستين فارساً من الأشراف كانوا يقفوا على خدمته، فإن هذا العدد الكبير من الخدم والرقيق ربما يشير إلى غالبية جيش الملك أو مؤيديه.

(١) حسن محمود: الإسلام والثقافة العربية، ج١، ص ٣٤٥، محمد صالح مشيخة العبدلاب، ص ١٢٧-١٢٩؛

مصطفى مسعد، بعض ملاحظات، ص ٥.

(2) Hillelson, S.: David Rebeni an early vistor of Sennar, S.N.R.XVI, 1933, pp. 55-60.

(٣) كانت سنار مقراً لآحد نواب عمارة دونفس

C.F.: First Population Census of the Sudan, 1955/56, Notes on Omodia Map. P. 62.

(٤) ليس هناك ما يؤكد هذا الزعم فى أى من المصادر الأخرى، ولعله من بعض العبارات غير المسئولة التى تجعل الباحث يتشكك فى صدق روبينى.

وإذا جاز لنا أن نصدق وصف روبينى لغذائهم فربما جاز لنا أن نستنتج بأنهم ليسوا مسلمين أو عرباً. ويضيف روبينى أن الملك يملك التبر وكثيراً من الخيل والأبل الصهب وقطعاناً من الماشية^(١).

يتضح من هذا الوصف أن رعايا الفونج كانوا فى أول أمرهم رعاة يمتنون تربية الماشية وهو وصف يتفق مع ما أشارت إليه أقدم وثيقة مخطوطة لكاتب الشونة، عندما قالت أن لهم بقرا فيه ثور فحل وكان يتعدى ويرعى فى غابة سنار^(٢).

ويبدو لى أن تواتر ذكر موضع لمؤل بصورة أو أخرى فى أكثر من مصدر يمثل قرينة هامة لتحديد موطن الفونج: تذكر مخطوطة كاتب الشونة صراحة ان ابتداء أمر الفونج كان يعرف بلول، وجاء فيها من لول فى الصعيد أى منطقة أعالي النيل الأزرق التى ظلوا بها «على قدر ما أراد الله إقامتهم بذلك المحل». وتذكر فقررة أخرى أنهم كانوا يقيمون فى جيلى، وليس فى هذين النصين ما يرجح ان كلا من لول وجيلى تشيران إلى موضع واحد وربما قصد المصدر بجيلى جبل كيلى^(٣) الواقع على خطى ١٠,٥ شمال و ٣٤,٢٠ شرق، وجنوب غرب فازوغلى^(٤).

ويشير نفس المصدر فى موضع آخر عند حديثه عن السلوك السيئ الذى تردى فيه السلطان أونسه بن بادى الأحمر ١٧١٥-١٧١٨ م: «فلما بلغ أهله الفونج ذلك، أرادوا عزله هم، وجنود لولو، وهم الذين يعزلوه ويولو قبل ملك الهمج عليهم^(٥)».

ويوحى هذا النص ان جنود لولو والفونج فئتان مختلفتان، إلا أن نسخة أخرى

(1) S. Hillelson: David Reubeni, S.N.R XVI, 1933, p. 55-60.

يوسف فضل : مقدمة فى تاريخ ، ص ٤١

(2) C.F.: Henderson, K.D.D.: Fung Origins, S.N.R. XVII, part 1, 1933, p. 150.

وانظر : مصطفى مسعد: بعض ملاحظات جديدة فى تاريخ مملكة الفونج الاسلامية، مجلة جامعة القاهرة الخرطوم، العدد الثالث ١٩٧٢م، ص ٤

(٣) يذكرها نعم شقير فى جغرافية وتاريخ السودان القديم، ص ٦٧؛ يوسف فضل: مقدمة فى تاريخ ، ص ٤١

(4) National biliothek, MS Mixt 677a, Vienna.

ورقة ٣ أ - ٣ ب .

(٥) مخطوطة كاتب الشونة، ص ١٩؛ ولولو هى إقليم فازوغلى يقول د/ شبكية: ولو صح ان لامول التى ذكرها روبينى ، ولولو التى ذكرها الشيخ احمد كاتب الشونة هما اسمان لكان واحد مع تحريف إحداهما لشارت كل الدلائل على ان موطن الفونج الأول... هو إقليم فازوغلى . انظر السودان عبر القرون، ص ٥٢؛ محمد صالح: مشيخة العبدلاب، ص ١٣٠ .

من هذه المخطوطة تبين أنهما فئة واحدة فتقول : «حتى بلغت اخباره إلى الفونج بالصعيد وهم جنود لولو^(١)» .

وجاء هذا اللفظ فى نقش على نقارة يزعم أنها نقارة الفونج الأصلية والصواب أنها تعود إلى عهد السلطان بادی بن نول ١٧٢٤-١٧٦٢ وذكر فيه أن جد الفونج جاء إلى لول ونصه:

«نقارة الدار نقارة السلطان

عمارة بن السلطان عدلان

جدهم الكبير الجاء من لول

عمرها السلطان بادی بن السلطان نول

نصره الله آمين^(٢)» .

وذكر ذلك اللفظ فى مخطوطة أنساب العرب المبشرين بالسودان للفقير أحمد بن الفكى معروف، والتي ترجع على عام ١٨٦٠م أو أواخر عهد الفونج، فى معرض حديثه عن أصل الفونج، فى معرض حديثه عن أصل الفونج : «العمرىون .. أبناء عمر (و) بن سليمان الأموى ويقال أنهم الآن بالسلطنة بالسودان، وقد تزاجوا هم وأهل لولو، بلد من بلاد الهمج حتى صار مثلهم فى جميع الأحوال ويشتهرون بالفونج^(٣)» .

ويشير لفظ الهمج إل السكان الوطنيين الذين يقطنون المنطقة الجبلية الواقعة غرب وجنوب فازوغلى، وعرفت بدار الفونج بعد أن بسط الفونج نفوذهم عليها، ومن أشهر سكانها اليوم المابان، جم جم، البرتا، الأنقسنا، البرون والأدوك. ومركز بلاد الهمج هو جبل كيلى الذى جاء ذكره فى مخطوطة كاتب الشونة. وحاول الأستاذ الشاطر بصيلى عبدالجليل أن يربط بين لمؤل روبينى ولول أو لولو الروايات السودانية

(١) انظر: تاريخ ملوك السودان، ص ٥٥؛ يوسف فضل: مقدمة فى تاريخ، ص ٤١ .

(2) A.E.R.: The Fung Drum or Nehas, S.N.R., IV., 1921, p. 211-212.

(٣) نسبة أحمد بن الفكى معروف. دار الوثائق القومية بالخرطوم، متونعاتص ١٩٧، وانظر ايضا:

MacMichael, Arabs, Vol. II.p . 346.

وانظر ايضا: يوسف فضل: مقدمة فى تاريخ، ص ٤٢ .

بجزيرة لامو الواقعة على ساحل أفريقيا الشرقى، جنوب الصومال، والتي هاجرت اليها قبيلة فنج العربية، ولكن بعد المسافة بين البلدين ووعورة الطريق وعدم تطابق التواريخ ربما يبعد ذلك الموضع من الاعتبار^(١).

ويعتقد ان هناك ثمة صلة او تطابق بين لمؤل - لول - لولو وجبل أولو الواقع (على خطى ١٠,٤٣ شمال و ٣٤,٢٠ شرق) غرب كيلى وجنوب قولى. وهو يقع على بعد نحو ثمانية أيام جنوب سنار.

ويعتقد أن الأسرة الحاكمة أو الطبقة الأرستقراطية فى كل من أولو وكيلى كانت من الفونج وان قدومها إلى تلك المنطقة كانت قبل العهد التركى^(٢)، ولكنى أرجح أن صلة الفونج بأولو قديمة، وترجع إلى العهد الذى كانت تمثل فيه أولو المعسكر أو المكان الذى ارتبط بنشأة هذه المملكة، وقد فقدت أولو أهميتها السياسية بعد أن توطدت دعائم المملكة فى الشمال واختط الفونج سنار عاصمة لهم^(٣) ولكنهم لم يهملوا موطنهم التقليدى، كما أن عادة القتل الطقسى^(٤) بين تلك الأسر على نمط ما كان (يعتقد أنه) سائد بين ملوك سنار، وقيام «جنود لولو» بعزل السلطان اذا ما ارتكب ما يضر بهيبة الملك، يؤكد ما ذهبنا إليه^(٥).

(١) بسط الأستاذ الشاطر ملخص آرائه عن هذا الموضوع (فى مقدمة مخطوطة كاتب الشونة (هـ-ز) ويتفصيل فى دراسة اخرى، وقد اعتمد فى ذلك على كتاب الزوج، انظر الامين الفكى يوسف: مجموعة انساب عرب السودان، متنوعات دار الوثائق القومية بالخرطوم، ص ٦-٧ .

هذا وقد نشرت مخطوطة كتاب الزوج بالعربية والايطالية فى كتاب

Cerulli, Somalia, Vol. p. 233-252.

مخطوطة كاتب الشونة: و، ز .

(٢) حسن احمد محمود: الاسلام والثقافة العربية، ج-١، ص ٣٥٠ .

(٣) انظر: تاريخ مختص بارض النوبة، مخطوط، ص ١٧-١٩؛ محمد ابراهيم ابو سليم، تاريخ الخرطوم، ص ١٠٩ .

(٤) انظر: القتل الطقسى فى الفصل الخامس ص ٣٢١ .

(٥) انظر: يوسف فضل: القتل الطقسى عند الفونج، مجلة الدراسات السودانية، المجلد الثانى، العدد الاول، ١٩٧٠، ص ص

٣٦، ٣٧

Evans pritchard: Ethnological observation in Dar Fung, J.N.R. XV, 1932, p. 13-16, 44,

يوسف فضل حسن: مقدمة فى تاريخ، ص ٤٣ .

وسواء صح تطابق أولو مع لمؤل - لول - لولو أم لم يصح فان جملة القرائن السالفة الذكر تشير إلى أن زحف الفونج نحو الشمال قد اقترن بموضع يحمل مثل هذا الاسم، وهو يقع فى المنطقة الجبلية الواقعة جنوب غرب سنار، وقد ذكر بروس صراحة أن المنطقة الواقعة بين النيلين الأزرق والأبيض وجنوب سنار وغرب الحبشة مليئة بالذهب ورجح بانها بلاد الفونج ^(١). ومن قبله لاحظ روينى كثرة التبر فى ديار الملك عمارة وكيف أن الملكة ووصيفاتها وعامة الاماءكن يتزين بالحلى الذهبية وبها يسترن عوراتهن ^(٢).

ومن لمؤل - لول - لولو أو أولو اتجه الفونج شمالاً، بحثاً عن المرعى لماشيتهم حتى بلغوا جبل موية ^(٣) الواقع على بعد عشرين ميلاً غرب سنار ومنه عبروا النهر إلى سنار فعمروها، واتخذوا حاضرة لهم بعد ان كانت مجرد مقر لواحد من نواب عمارة وذلك فى نحو عام ٩١٠ هـ / ١٥٠٤ م وما أن استقر بهم المقام حتى التحموا بالقبائل العربية الزاحفة من الشمال وتنافسوا على مراعى الجزيرة الغنية ، فتحاربوا عند أريجى وهزموا العبدلاب ^(٤).

ولاشك أن هذه الصورة (المعجمة) لموطن الفونج الأول لا تخلو من ثغرات وتساؤلات ربما وضحت عند مناقشتنا للآراء المختلفة التى قيلت عن أصل الفونج.

(١) وقد ذكر بروس فى وضع اخر ان بلاد الفونج هى فازوغلى Bruce, VII, p. 87.

(2) Hillelson: op. Cit., S.N.R. XVI, p. 57-8.

(٣) جبل موية: يقع على بعد عشرة اميال غرب سنار الحالية، والراجح ان عمارة لم يقم فى جبل مويا، بل انه كان يقيم فى لمل Lamul حسبما ذكر روينى، تاريخ ملوك السودان ، نشر مكى شيكة ، ص ٥ ، مصطفى مسعد، بعض ملاحظات، حاشية (١٥) ص ٣٥ .

(٤) كاتب الشونة: تاريخ ملوك السودان، ص ٢ ؛ مصطفى مسعد: امتداد الاسلام، ص ٩٠ .

١ - الأصل الأموي :

تجمع الروايات السودانية عامة، ومعظمها من وضع النسابة السودانيين على أن الفونج من سلالة بنى أمية الذين هربوا من الدولة العباسية بعد أن سقطت دولتهم، وترجع هذه الروايات أنهم دخلوا السودان عن طريق الحبشة. ولا يختلف الفونج في تمثيلهم للنسب العربى عن سائر المجموعات السودانية المستعرية والتي اعتنقت الإسلام^(١).

وقد ظهرت أقدم إشارة خطية إلى صلة الفونج بالأمويين فى وثيقة ترجع إلى الربع الأول من القرن السابع عشر، بعثها السلطان محمد بادی عجيب (ولعه بادی سيد القوم) إلى بنى أمية الساكنين دار دنقلا، يوضح فيها أنه أموى مثلهم^(٢)، ويبدو أن الغرض من الرسالة هو كبح جماع المعارضة فى دنقلا، والتي تشككت فى ادعاء الفونج للنسب العربى الأموى. إذ أن تاريخ هذه الوثيقة يوافق العهد الذى توترت فيه العلاقات بين الفونج والعبدلاب وساءت إلى أن أقتتل الطرفان فى معركة كركوج حيث هزم العبدلاب فهرب بعض زعمائهم إلى دنقلا، وقد أعلنوا رأيهم صريحاً فى نسب الفونج، ولم تصف العلاقات بين العبدلاب والفونج إلا بعد وساطة الولي الشيخ إدريس ود الأرياب^(٣).

ويتواتر الأصل الأموى كثيراً فى أشجار النسب السودانية^(٤)، وتروى واحدة

(١) انظر: الامين الفكى يوسف: مجموعة من انساب عرب السودان، ص ٦، ٧ يوسف فضل: مقدمة فى تاريخ، ص ٤٤، وايضا،

Y.F. Hasan: The Umayyad Geneology of the Fung, S.N.R., LVL, 1965, p. 27-32. ;

مصطفى مسعد: بعض ملاحظات، ص ٥٠؛ محمد صالح: مشيخة العبدلاب، ص ١٣٠، ١٣١ .

(٢) الشاطر بصيلى: معالم، ص ٢٩٦-٢٧١، يوسف فضل: مقدمة فى تاريخ، ص ٤٥، محمد صالح: مشيخة العبدلاب ص ١٣٠، ١٣١ .

(٣) مخطوطة كاتب الشونة، ص ٩ .

(4) C.F. Crawford: The Fung Kingdom of Sennar, p. 143-145, I.D.P. Chatawaey, Notes on the History of the Fung, Vol. XIII, S.N.R. 1930, part 2, pp. 247-250,

L.F. Nadler: Fung Origins, S.N.R. Vol. XIV, 1930, Part I, pp. 61-66.

الشاطر بصيلى: معالم تاريخ، ص ٣١؛ عبد القادر محمود: الفكر الصوفى؛ ص ٣٦، ٣٧؛ نسيم مقار: اقتصاد السودان ص ٢٣؛ محمد صالح. مشيخة العبدلاب، ص ١٣١ .

منها ترجع إلى القرن السادس عشر أن الفونج من العمرين سلالة سليمان. بن عبدالله الملك الأموي الذي هرب من الشام إلى الحبشة خوفاً من بطش العباسيين، حتى اضطروهم للهجرة إلى السودان، حيث تزوج سليمان بنت الملك وانجب منها ولدين هما داود وانس أو أودون وأونس كما يعرفان محلياً^(١). وليس في المصادر المعاصرة ما يؤيد هذه التفاصيل، إلا أن ابني مروان بن محمد آخر خلفاء الدولة الأموية وهما عبدالله وعبيد الله هربا في نحو ألفين من أتباعهما لبلاد النوبة بعد أن سقطت الدولة الأموية في سنة ١٣٢ هـ / ٧٤٨ م^(٢). ولم يسمح لها ملك النوبة بالبقاء في بلاده خوفاً من إثارة حفيظة العباسيين عليه، فقررا العودة إلى الحجاز عن طريق باضع وفي طريقهما عبر بلاد البجة قتل عبدالله في جماعة من أتباعه وعبر عبيد الله البحر الأحمر إلى الحجاز. ومن ثم فليس هناك ما يؤكد بقاء فئة منهم منذ ذلك التاريخ^(٣).

وتضيف رواية للسمرقندي أن ذرية أنس وداود تكاثرت بالسودان^(٤) وتؤديها رواية الفقيه أحمد بن الفكي معروف التي ذكرناها من قبل وأن ذرية عمرو بن سليمان الأموي تصاهرت مع سكان لولوة من بلاد الهمج «حتى صارت مثلهم في جميع الأحوال»^(٥).

وتذكر مخطوطة فيينا في إيجاز: «وقيل أنهم من بنى أمية الذين هربوا من العباسيين أو من بنى هلال»^(٦). وقد تشكك بروس في إدعاء ملك الفونج النسب إلى

(١) النور عنقرة، ص ٥٧٤، MacMichael, Arabs, II, p. 36، يوسف فضل: مقدمة في تاريخ، ص ٤٦؛ مصطفى مسعد: بعض ملاحظات، ص ٨٠٧.

(٢) انظر: المسعودي: التنبيه والإشراف، ج ١، ص ٢٨٥، ابن وصيف شاه: جواهر البحور ووقائع الدهور، مخطوطة ص ٢٢ ب، ٢٣ أ؛ ابن الجوزي: تنوير الغيش في فضل السودان والحيش، ص ١٢٨-١٣٣، القزويني: آثار البلاد، ص ٢٥؛ ابن أبياس: بدائع الزهور، ج ١، ق ١، ص ٣١، ٣٢، الشاطر بصلي: معالم تاريخ: ص ٤٨، ٤٩؛ حسن إبراهيم: انتشار الإسلام ص ١٤٤، كرم الصاوي: التطور الاجتماعي، ص ٣١٩.

(3) Y.F. Hasan: Arabs, p. 29-30, 173-174.

(4) C.F.Y.F. Hasan: Arabs, p. 29-30, 173-174.

(٥) انظر نسبة اسحاق محمد شداد بكتاب MacMichael, Arabs, Vol. II, p. 104, (٥) انظر نسبة اسحاق محمد شداد بكتاب MacMichael, Ibid, Vol. II, p. 436.

(٦) مخطوط فيينا، National bibliothek, Mc Mixt 677 a، ورقة ١٣.

الامويين قائلاً: أن تجعيد شعره، وفرطحة قسماات وجهه، وسواده يدلان على أنه من الشلك^(١). ومع وجاهة ما أثاره بروس من تشكك فاننا نخطئ اذا اعتقدنا أن عروبة المرء تقاس بشكله ويلون بشرته.

وقد رأينا كيف أظهرت أوراق النسب أن الاختلاط كان كبيراً حتى ذاب الأصل العربي في الوطنيين ولم يعد هناك ما يميزهم عنهم.

ولاشك أن العرب والشعوب المستعربة من سكان مملكة الفونج قد لاحظت أن هناك اختلاف عرقى بينهم وبين الفونج وتوفرت لهم من الأدلة مما حدا بود ضيف الله إلى أن يتحدث في جلاء مميزاً بين ملوك الفونج وملوك العرب^(٢).

وقد فطن بعض النسابة السودانيون لهذا الفرق، ولم يوافقوا على ما ذهبوا اليه أغلبيتهم من أن الفونج من أصل أموى، بل أثروا أن يقرنهم بشخصية أسطورية من بنى هلال تعرف بحسن الهلالى ابن هلال وهو بن أمة سوداء، ويفهم من هذه الروايات المضطربة^(٣) أن حسن هذا أنجب ولداً اسمه دوكة، وهو جد الفونج، وعدد من القبائل الوطنية مثل الشلك، والدنيكا، وفنقرا وكيرا^(٤).

ويعتقد ان الروايات الوطنية متمثلة في أشجار النسب تحمل نواة صادقة لصلة بين سكان جبال الفونج وبين العرب المسلمين، وربما كان الفونج.

وهو رأى أميل إلى ترجيحه، فئة من عرب جهينة الذين أشار إليهم ابن خلدون من قبل ببلوغهم أطراف الحبشة^(٥).

وينبغي ألا نبالغ في أهمية التفاصيل التي نتحدث عن الأصل الأموى أو الهلالى، وأن تأخذ هذه الأخبار في حذر شديد إذ إنها تؤرخ لصلة تعود إلى

(1) Bruce, VII, p. 90.

(٢) ود ضيف الله: الطبقات، ص ٩٠، ٦١.

(3) C.F: MacMichael, Op.Cit. Vol. II, p.27, Tree Opposite Page 145.

(٤) ولعل النسابة قد اخطأوا عندما جعلوا كيرا هذا، وهو اسم الاسرة الحاكمة في دارفور صلة مع هذه القبائل، وربما كان سواد البشرة هو الجامع بينها، انظر يوسف فضل: مقدمة في تاريخ، ص ٤٧.

(٥) ابن خلدون: العبر، ج ٥، ص ٤٢٩،

C.F: Paul, A. :Some Aspects of the Fung, Sultanate, S.N.R. XXXV, 1954, pp. 17-19.

القرن الثامن الميلادى، وحتى لو صدقت هذه الصلة فان شدة الاختلاط بين العرب الوافدين والسود من الوطنيين أزلت كل ما يميز الأوائل عن الأواخر.

وارتبط الأصل الأموى للفونج بالحبشة أيضا، فهناك شبه اجماع بين الروايات السودانية على أن أجداد الفونج من الأمويين قد اتخذوا من الحبشة موطناً لهم^(١).

— الأصل الشلكاوى :

كان أول من ربط بين الفونج والشلك هو الرحالة جيمس بروس (١٧٣٠-١٧٩٤م) الذى زار سنار عام ١٧٧٢م وجمع ما كان متداولاً عن أصل الفونج من رواة مختلفين وعلى رأسهم أحمد سيد القوم، مدير شئون القصر الملكى أو رئيس الخدم. وانتهى إلى أن الطبقة الحاكمة فى مملكة الفونج هى فرغ من قبيلة الشلك^(٢). وقد عارض هذه النظرية شاتوى ونادلر، وتصدى آركل لهما مدافعاً عنها معتمداً على مصادر أخرى، إلا أنه تحول عن رأيه الأول وعدل فيه^(٣).

وخلاصة رواية بروس أن أمه من السود تعرف بالشلك، تقطن فى الشواطئ الغربية للنيل الأبيض على خط عرض ١٣ شمال انقضوا بزوارقهم على الولايات العربية وهزموها فى معركة أريجى. وأن أول سلاطينهم هو عمارة بن عدلان الذى أنشأ المملكة، وبنى سنار حاضرة لها. وعند قيام هذه المملكة كان الملك وكافة الشلك عبده اوثنان ولكنهم سرعان ما أسلموا. واتخذوا كلمة الفونج التى فسروها لتعنى سادة،

(1) C.F.: Chataway, J.D.P.: Op. Cit., pp. 247-258, Nadler, L.F.: Fung Origins "

S.N.R. XIV, pp. 61-6. J. Ludolphus, ; A New history of Ethiopia, London 1682, p. 87, 388.

وانظر ايضا: الشاطر بصيلى: معالم ، ص ٢٨ ، ٣٤ ، يوسف فضل: المقدمة ، ص ٤٨ ،

Crawford: Op. Cit., p. 146-155. Holt : Op. Cit., J.A.H. IV, I, p. 45.

(2) Bruce, J.: Travels, Vol. IV, B. VIII, 1805, p. 458.

(3) Crawford: Op. Cit., PP. 143-144. Arkell: Fung Origins, S.N.R., PP. 208-243.

يوسف فضل: القتل الطقسى، المجلد الثانى، العدد الاول ، ص ٣٢ ، ٣٣ ، المقدمة، ص ٥٠ ،

C.F.: Chataway: Sudan Notes, Vol. XIII, p. 116. Nalder: S.N.R. Vol. XIV, Part I, PP. 61-66.

غزاة أو مواطنين أحرار، واعتذر بروس عن عدم تمكنه من اعطاء تفسير دقيق لهذا اللفظ لجهلة بلغة القوم، وقال أنها تطلق فقط على الوافدين من (أو من ولدوا في) المنطقة الشرقية للنيل الأبيض^(١).

ويؤخذ على هذه النظرية أنه لم يرد ما يؤيدها في المصادر المتقدمة، ثم ان طبيعة العلاقات العدائية بين الفونج والشك تجعل من المتعذر قبول هذه النظرية^(٢).

أما قول بروس من أن ملك الفونج وشعبه من الشك كانوا وثنيين وإنهم اعتنقوا الإسلام فهذا يمكن الرد عليه برواية روبيني التي أجمعت على أن الملك كان مسلماً منذ قيام مملكة الفونج^(٣).

لهذا كله وإن تعذر علينا الوصول إلى رأى قاطع حول الأصل الشكلاوى فإن هذه النظرية من القوة بحيث لا يمكن تجاهلها، وإنه وإن تعذر أيضاً إثبات وجود صلة عرقية بين الشك والأسر الحاكمة في مملكة الفونج فهذا لا ينفي وجود وشائج ثقافية ولغوية بين الشك والشعوب التي تسكن الجزء الجنوبي من مملكة الفونج^(٤)، والتي تعرف بمنطقة فازوغلى أو جبال الفونج والتي توصلنا إلى أنها مهد الأسرة التي أنشأت تلك المملكة.

— الأصل البرناوى :

عدل آركل سنة ١٩٤٦م من تأييده المطلق لنظرية الأصل الشكلاوى مفضلاً موطناً في مملكة البرنو^(٥)، والتي ترتبط نشأتها الأولى بهجرة عربية، وقد اتجه آركل

(1) Bruce, VI, 370-72, VII, 96.

(٢) نجد بعض التأييد في مصادر متأخرة ولكن يجب ان نأخذها بالحذر وأولها ملاحظاته من قبل ان بعض النسابة لم يستطيعوا التوفيق بين سواد بشرة الفونج وادعائهم نسبا عربيا اموريا فريطوا بين أصل الفونج والشك والدينكا.

C.F.: Evans Pritchard: Op. Cit., S.N.R. XV, p. 58;

انظر : شجرة نسب النور عنقرة، ص ٥٦١،

MacMichael, Op.Cit. Vol. II, p.278;

يوسف فضل: القتل الطقسي ، ص٣٢-٤٢،

(3) Hillelson,S.: David Rebeni an early vistor of senner, S.N.R.XVI, pp. 55-60.

(4) Crawford: Op. Cit., P. 157, Evans-Pritchard: Op. Cit. S.N.R., XV, 1-61.

(5) A.J.Arkell: More about Fung Origins, S.N.R. XXVII, 1946, p. 87-98.

إلى ذلك رأى بعد أن جمع قدراً من الروايات المتداولة في دارفور عن صلاتها بمملكة كانم أو برنو، وعلى أثر اطلاعه على مخطوطات عن تاريخ مملكة برنو التي ترجمها ونشرها بالمر. وخلاصة رأيه أن سلطان برنو عثمان بن كادى (قاضى) ابن ماى داوود لما هزم فى سنة ١٤٨٦ م على أثر نزاع حول العرش شق طريقه إلى حوض وادى النيل حيث تمكن هو أو أحد من سلالة من السيطرة على الشاك أولاً، ثم مملكة سوبا ثانياً^(١). ويسوق آركل بعض الشواهد التي تؤيد نظريته فيقول أن البرنو والفونج يدينون بالمذهب المالكي^(٢)، وأن أسم عمارة ومشتقاته يكثر ذكره فى قوائم ملوك البرنو^(٣)، ولكنه غفل عن أن المذهب المالكي قد دخل مملكة الفونج من صعيد مصر، وأن تلك المملكة قد تأثرت مؤخراً بهجرة بعض العلماء من المغرب. ولا شك أن هذه الصلة الثقافية لا تقف دليلاً على وحدة الموطن، كما أن تشابه الأسماء ليس دليلاً قاطعاً على وحدة الأصل.

وقد تعرضت هذه النظرية لنقد من الأستاذ هولت^(٤) خلاصته أن المصادر الخطية التي اعتمد عليها آركل لا تؤيده فى كل ما ذهب إليه، وقال أن واحدة من المخطوطتين اللتين تؤرخان لملوك البرنو لا تذكر شيئاً عن طرد عثمان بن كادى من بلاده. ولكن بالمر يضيف أنه قيل أن عثمان قد مات فى مكاده أو ماكده^(٥) أى شمال كردفان والتي هرب إليها معظم سلالة داود فيما يبدو.

وتوصل الأستاذ هولت إلى رأى جديد على ضوء ما جاء فى مخطوطة الشونة، نسخة فينا التي تحوى معلومات جديدة فى هذا الموضوع، وسأكتفى بمناقشة الجزء الذى يتحدث عن أسطورة الغريب الحكيم ونلاحظ أن هولت يبعد الفقرة التي تروى ما قيل أن الفونج من بنى أمية أو من بنى هلال على أنها اقحمت على النص^(٦). وتقول

(1) H.R. Palmer: History of the first twelve years of the reign of Mai Idris Alooma of Barnu, 1571-1585) by his Imam Ahmed Ibn Fartua.

(2) Arkell: A history of the Sudan to 1821, pp. 206-209.

(3) A.J. Arkell: A history of the Sudan, pp. 206-209.

(4) Holt : Op. Cit., J.A.H. IV., I, p. 40-42.

(٥) يقرر آركل أن مكاده تعنى سنار وليس الجزء الغربى من الحبشة كما هو معروف أو شمال كردفان.

Arkell : Op. Cit., p. 209.FF.

(6) Holt : Op. Cit., J.A.H. IV., I, 40-42.

المخطوطة بعد أن تعرض أن بداية الفونج كانت بلول «والشايح ان كبارهم يجتمعون عند كبيرهم، ويأتون بالطعام فأكل من سبق أكلوه»^(١)، ويقيمون بجبلى، حتى قدم رجل من السافل فنزل بينهم ونظر احوالهم، فأشار عليهم وصار كلما جاء طعاما حتى يجتمع ويفرق عليهم. فكانوا يأكلون ويفضل الباقي، فقالوا رجل مبارك لم يفارقنا فزوجوه بنت ملكهم وولدت ولدا. فلما نشأ وكبر مات جده فاتفق رأيهم أن يجعلوه محل جده ويتبعوه الكل، ففعلوا ذلك ولذلك سمو بالأنساب^(٢).

ربط هولت مجئ هذا الرجل المبارك وتعليمه لسكان لول آداب أكل الطعام بأسطورة الرجل الغريب الحكيم الذى يفد من وسط حضارى عريق إلى منطقة متخلفة والتي مثل لها بملوك الفور وتقلى والنابتاب^(٣). وتعكس هذه الأسطورة وجود علاقات ثقافية بين مهد الحضارات النوبية على وادى النيل ومناطق أخرى ربما فى عهد سابق لانتشار الاسلام فى المنطقة المتخلفة.

ولرواية مخطوطة كاتب الشونة والتي يرجح هولت إنها سجلت من روايات شفوية، ولكنها غنية بالتفاصيل مع كثرة اختلافها فى الأخبار التي جمعها نادلر منذ عهد قريب^(٤).

وأخيرا هناك شبه اجماع بين هذه الروايات على أنه عربى مسلم وربما كان أمويا وترجح خلاصة آراء ابن خلدون حول هجرة جبهة انهم قد بلغوا أطراف الحبشة الشمالية الغربية أو الجزء الجنوبي من السودان وادى النيل.

هكذا تم ميلاد هذه الممالك الاسلامية اوائل القرن السادس عشر الميلادى على أنقاض مملكة علوة المسيحية.

(١) رسمت فى الاصل الكلوة. Ibid.

(٢) اى الاصهار وهو تفسير خطأ والصواب الانساب نسبة الى أونسة جد الفونج.

(٣) الاسرة الحاكمة من البنى عامر وقد وفد جدهم من ديار الجعليين،

Holt : Op. Cit., J.A.H. IV, 49-55.

(4) L.F. Nadler: Fung Crigins, S.N.R. XIV, 1931, 63-64.

وانظر يوسف فضل: المقدمة ، ص ٥٨.

الفصل الرابع

النتائج الاقتصادية

لسقوط ممالك النوبة

- الزراعة وتربية الحيوان
- التعدين.
- الحرف والصناعات التقليدية.
- التجارة.
- الرقيق - أهم السلع النوبية
- التجارة الكارمية.
- الاتصال التجارى بين عيذاب ومقرة وعلوة.
- المعاملات التجارية.
- طرق القوافل.
- الطرق المؤدية إلى أهم الثغور النوبية على البحر الأحمر

أدت عملية سقوط ممالك النوبة المسيحية إلى نتائج اقتصادية هامة في المنطقة، وسوف نعرض فيما يلي لأهم هذه النتائج في مجالات الزراعة وتربية الحيوان، والتعدين والصناعة، والتجارة، وطرق المواصلات.

الزراعة وتربية الحيوان:

الأرض..

عندما وقعت الحروب بين العرب والنوبة^(١)، أبدى خلالها السكان الوطنيين مقاومة عنيدة، استمرت عدة قرون، فإن هذه الحروب كانت معول هدم وتخريب. تقول روايات النوبة غير المدونة أن النوبيين عندما أدركوا أنه لا خلاص من العرب وأنهم لابد آتون أخذتهم الغيرة على سواقيهم^(٢) وعلى أراضيهم واستكثروا أن تكون لغيرهم فخربوا السواقي والسدود، وتركوا بلادهم وهاجروا الى الغرب^(٣).

إن هذه الرواية لابد أن تكون صدق لواقعة حاسمة هزم فيها النوبيون، ومن ثم اضطروا إلى ترك ديارهم وأرضهم بعد أن خربوها حتى لا تقع في أيدي العرب.

ولكن الشاهد الأكبر على صدق الرواية ان بعض السدود ما تزال خربة إلى اليوم^(٤)، وان بعض الآبار القديمة التي حفرت من جديد وجدت مخربة في بعض

(١) جاءت هذه الحروب بعد استقرار القبائل العربية في مصر منذ عهد عمرو بن العاص حتى العصر المملوكي. أنظر: ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ٥٨، ٥٩؛ البلاذري: فتوح البلدان، ط بيروت ١٩٧٨م، ج١، ص ٢١٤ ابن خرداذبة: المسالك والممالك ط ليدن ١٩٦٧، ص ٨٢؛ ابن بطريق: التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، بيروت ١٩٠٩، ص ٢٥، الكندي: الولاة، ص ٨، المقرئ: الخطط، ج١، ص ٢٨٩، وأنظر: المسعودي: التنبيه والإشراف، ص ١٥١، حسن محمود: الاسلام والثقافة العربية، ص ٣٠، أنظر سقوط مملكة المقرة في الفصل الثاني من هذه الدراسة.

(٢) جاءت الساقية إلى السودان في حوالي القرن الثاني الميلادي، وعلى الأخص في النوبة السفلى ومع ذلك فإن أثرها على اقتصاد المرويين لم يكن بقدر ما كان في الشمال لان اعتمادهم منذ البدء كان على أرض البطانة الغنية بمراعيها ووديان الخريف الخصبة التي كانت تمتلئ بمياه الخريف وتعطى الخير وافر وكانت الامطار الموسمية كافية بقدر مناسب للمراعى في السهول والزراعة في الوديان. أنظر: محمد ابراهيم ابو سليم: الساقية، معهد الدراسات الافريقية والآسيوية، ط الأولى ١٩٨٠، ص ٢٠٠، مصطفى مسعد: بعض ملاحظات جديدة في تاريخ مملكة الفونج الاسلامية، ص ٤ .

(٣) محمد ابراهيم أبو سليم: الساقية، ص ٢٠٦ .

(٤) محمد ابراهيم أبو سليم: الساقية، ص ٢٠٦، ٢٠٧ .

أطرافها، في حين أن بعض الآبار الأخرى كانت مطوية بالتراب دون تخريب، وقد أحكم إغلاق سراديبها حتى لا ينفذ إليها الماء^(١).

ونتيجة للهجرات العربية المتتالية تغير التركيب البشري في أرض النوبة تغيرا يكاد أن يكون كاملا، فتعرضت أرض النوبة العليا لموجات كبيرة من العرب المهاجرين، وأصبحت موطن مجموعة القبائل الجعلية^(٢).

وقد اندمجت العناصر النوبية في هذه القبائل اندماجا كليا. وقد اجتمعت كلمة بعض القبائل العربية بقيادة عبد الله جماع وكلمة الفونج بقيادة عمارة دونقس في بداية القرن السادس عشر فخربوا سوبا، وأسقطوا دولة النوبة المسيحية العليا^(٣).

وفي منطقة دنقلا دخلت عناصر عربية كبيرة، وسار الاستعراب خطوات أبعد، وكانت دنقلا مقصد المسلمين الأوائل في غزواتهم، وقد سقطت في أيديهم نهائيا في عام ٧١٢هـ / ١٣١٢م^(٤). وكانت جماعات من عرب جهينة قد حطت رحالها في النوبة السفلى، ففي ما بين الشلال الأول والثاني نزلت الجوابرة^(٥)، أحفاد جابر الصباحي، والغربية، وبين الشلال الأول والسبوع نزل الكنوز، وبين الشلال الثاني وجبل دوشة نزل جماعة من الأشراف، وبين دوشة والشلال الثالث نزل قوم يقال أنهم ينتسبون إلى قريش أو كما يقولون أنهم من الأوس والخزرج وهم المحس^(٦).

ولكن الأتراك طردوا الجابرية خصوم الغربية فلحقوا بدنقلا ولم يبق منهم بالشمال إلا القليل، ثم جاءت عرب القراريش وجماعات من الكبابيش والبشارية والأتراك.

(١) المرجع نفسه: ص ص ٢٠٦، ٢٠٧.

(2) c.f. Henderson, K.O.D.: Fung Origins "S.N.R. XVIII, Part 1, 1933, p. 150; مصطفى مسعد: المرجع السابق، ص ٤ - C.F. MacMichael A history of the Arabs in the Su-

dan, Vol. 1, pp. 240-241. ٢٤١، ٢٤٠، ٢٤٢. ٦٢، ٦١، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠، ١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣، ١٣٩٤، ١٣٩٥، ١٣٩٦، ١٣٩٧، ١٣٩٨، ١٣٩٩، ١٤٠٠، ١٤٠١، ١٤

يقول الدكتور أبو سليم «وقد أنصهرت كل هذه العناصر مع العنصر النوبي فتكلمت بلسانه، وأخذت بعاداته وها هنا نجد تنوبيا لا استعرابا، وإن كانت اللغة العربية تتقدم والمؤثرات العربية تزداد مع معدل التعليم والاحتكاك مع الخارج^(١)».

وحسب تقسيم السلطة الذى تم بين الفونج والعبدلاب^(٢) فقد كان من نصيب العبدلاب ما كان يعرف بالنوبة العليا والنوبة الوسطى^(٣) فاداروا بعض جهاتها بشكل مباشر، بينما تركوا الجانب الأكبر منها لزعامات محلية تحكم باسمهم مثل قبائل الجعليين والميرفاب والرباطاب والمناصير والشايقية ودنقلا والخندق وأرقو. وكان الحد الشمالى لسيادة الفونج قرية حنك^(٤).

وخضعت الأرض الواقعة ما بين حنك واسوان لحكم الكشاف الغزوهم سلالة القوة العسكرية التى أرسلها سليم الأول بقيادة قوش حسن، وهم الذين استقروا فى قلاع اسوان وابريم وصاى^(٥).

وقد أورد الرحالة بوركهارت إشارات تدل على تسلط الكشاف وحكمهم الظالم وفى ذلك يقول: أن تخريب الكشاف وظلمهم جعل بعض المزارعين يهربون تاركين حقولهم وأن تسلطهم قد أدى الى بوار جانب كبير من الأرض حتى أن ما زرع فى أبريم وما حولها يبلغ نحو خمس الاراضى فقط^(٦).

(١) أبو سليم: الساقية، ص ٢٠٨ .

(٢) انظر: تاريخ ملوك السودان، ص ١ واضح البيان فى تاريخ العبدلاب، مخطوط، ص ٢، Traditional storia of the Abdallab, S.N.R., p.16-62. تاريخ مختص بأرض النوبة، مخطوط، ص ١٧-١٩، مخطوط كاتب الشونة، ص ٧ .

(٣) أنظر طبقات ود صنيف الله، ص ٥، واضح البيان، ص ٢-٣، تاريخ العبدلاب (مخطوط مجهول المؤلف، ص ٢. تاريخ العبدلاب من خلال رواياتهم ص ٢١، S.N.R., Traditional stories of the Abdallab tribe, p. 61-62. وانظر كذلك : وثيقة منشورة خاصة بأوقاف مشيخة العبدلاب فى المدينة المنورة، نشرها د/ أحمد عبد الرحيم نصر، الأغوات، ص ١٧، ٢١ .

(٤) أنظر ما سبق ذكره عن أصل الفونج، ص وانظر كذلك الخريطة شكل (٩)، (١٠).

(٥) انظر: عبد العزيز الشناوى: الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها، ج ١، ص ١٦١، صلاح أحمد هريدى: دور الصعيد فى مصر العثمانية، ط دار المعارف، ص ٩٩ .

(٦) بوركهارت: رحلاته، ص ١٢٠ .

ومما يذكر أن ثروة الفرد فى النوبة السفلى كانت تقاس بما يملكه من السواقى^(١) وفى ذلك دلالة على أهمية الساقية كمصدر للثروة وأساس للمكانة الاجتماعية^(٢).

ويقول بوركهارت أيضا أن عدد السواقى فى المنطقة الواقعة ما بين أسوان وحلفا كان يبلغ نحو ست، أو سبع آلاف ساقية، وقد رعد سكانها بنحو مائة ألف نسمة^(٣). وفى هذا دليل على إرتفاع الكثافة السكانية وقتذاك.

وقد ذكر أن الأرض فى بلاد النوبة وما والاها جنوبا على ضفاف النيل حتى سنار لا تقدر بالفدان كما يفعلون فى مصر والشام، وإنما يتم ذلك على أساس السواقى^(٤)، وكما يقول فإن بعض الأثرياء كانوا يملكون عددا من السواقى، بينما كان ستة أو ثمانية من المزارعين الفقراء يشتركون فى ساقية واحدة، وتروى الساقية الواحدة من ثلاثة إلى خمسة أفدنة، وتحتاج إلى ثمانى أو عشر دواب. وحين تنتج الزراعة فان الساقية تغل من القمح أو الشعير من ثمانين إلى مائة أردب^(٥). وهذا فيما اعتقد مبالغ فيه إلى درجة كبيرة فلو قال ثمانية إلى عشرة أردب أو ٨٠ إلى ١٠٠ مر، وهو المكىال المعتمد عند النوبيين - لكان أقرب إلى التصديق، وقال إن نسبة ما يزرع من القمح والشعير الربع قمحا وثلاث أرباع شعيرا، ونراه هنا قد عكس الآية^(٦).

(١) دلت الحفريات على وجود آثار للسواقى باقية وهذا يعنى أن النوبيين حاولوا استغلال كل بقعة من الأرض، ومثل هذا لا يكون إلا عند الكثرة والقنوات التى شقوها كانوا يهدفون من ورائها زيادة الرقعة الزراعية وهى أيضا دليل على الكثرة كذلك السدود التى انشئت بغرض ترسيب الطمي، هكذا تطورت الساقية تقنيا فى أرض النوبة، وانتشرت على طول أرضها، وأنها كانت من الكثافة بحيث تؤول مجتمعا عالى الكثافة وإن استعمالها ظل موصولا بغير توقف، انظر أبو سليم: الساقية ص ٢٠٦ .

(٢) أنظر بوركهارت: رحلاته، ص ١٢٠: محمد ابراهيم أبو سليم: الفور والأرض، ص ٨٥ .

(٣) أنظر: بوركهارت: رحلاته، ص ١١٩، ١٢٠ .

(٤) نفسه، ص ١١٩ .

(٥) نفسه، ص ٢٦، ١١٩، وانظر أيضا: محمد ابراهيم أبو سليم: الفور والأرض، وثائق تملك، معهد الدراسات الافريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم، ١٩٧٥م، ص ٦٤، ٦٥، C.F.: Matthwes, J. G.: Land Customs and tenures in Singa District, S.N.R. Vol. IV, 1921, p. 1-19.

(٦) بوركهارت: رحلاته، ص ٥٠، أنظر كذلك عن المكاييل. وثيقة رقم (١٢) من وثائق قصر ابريم. انظر ملحق الدراسة شكل رقم (٨) .

وقال بوركهارت عن الضريبة على السواقي انها كانت متفاوتة حسب الجهات، ففي حلفا كانوا يدفعون عن الساقية سنويا ستة من الغنم السمان، وستة أمدام من الذرة، وهى ما تبلغ أقل من نصف الربع؛ وهذا المقدار ضئيل ويعتقد ان بوركهارت قد أخطأ التقدير ايضا، ولو قال ستة وهو ما يبلغ ثلاثة أرباع لما بعد عن الصواب، وقال أنهم فى المحس يعطون عن الساقية سنويا ستة من الغنم وأردبين من الذرة وثوبا من الكتان^(١).

وقد رد ظاهرة كثرة النخيل فى السكوت أكثر من غيرها إلى أن حكامه لم يكونوا يفرضون عليها ضرائب ثقيلة كالغلات الزراعية الأخرى، إذ اقتصرنا على أخذ سباطتين عن كل نخلة مثمرة بصرف النظر عن مقدار التمر الذى يحمله، ولكن أخذ سباطتين من كل نخلة فى اعتبارنا كان كثيرا و ثقيلًا فالسباطتان من البلح، والاردبان من الذرة تزيد عن المعقول وما نحسب إنه يعنى بالكتان إلا الدمور^(٢).

وفى كتاب الطبقات ترد أشارات وان كانت مقتضبة إلى الساقية وبعض ما يتصل بها. ففي خبر حسن ود حسونة جاء قوله: «فوجدت رواسى عنده مركب فادخلنى فيها فجيت طالب خلوتى، فوجدت أبى يكسر ألس ساقيته»^(٣).

وجاء فى خبر عيسى ولد ابو سكيكين: «فالعنقريب تحته تكسر. البقر الفوق الكوديك شرقا وغربا قطعت حبالها وجرت»^(٤).

وقد أورد الدكتور يوسف فضل فى تحقيقه للطبقات شرحا لبعض المصطلحات المتصلة بالساقية والتي وردت فى الطبقات ومنها اللس^(٥) والتربال^(٦) والنرس^(٧).

(١) بوركهارت: رحلاته، ص ١٢٠، الفور والأرض، ص ص ٦٢، ٦٣، C.F.: Matthwes, J. G.: Land Cus- toms and Tenures in Singa Distriet, S.N.R. Vol. IV, 1921, p. 1-19.

(٢) رحلات بوركهارت، ص ١٢٠ وما بعدها. FF

(٣) الطبقات: ص ١٣٤ .

(٤) الكوديق: هو الزريبة أو الصريف أو الراكوبة الظليلة وهى كلمة دنقلاوية ومعناها السور من الطين والحطب التى يربط فيها الثور أو البقر ويعنى عند الشايقية الحفرة التى تحفر ملاصقة للشاطئ وتملاً بواسطة قناة تربط بينهما، ومن هذا الكوديق تملاً قواديس أو جرار الساقية ماء عند دورانها والبقر فوق الكوديق، يشير إلى البقر التى تدير الساقية. أنظر: الطبقات، ص ٢٦٥، حاشية (٨) .

(٥) ألس ساقية. الألس حبل غليظ تشد عليه قواديس أو جرار الساقية ويصنع من الدهسير، وهو نبات كالبردى، ويصنع أيضا من الاشعيق أو الحلفاء، أنظر: د/ يوسف فضل: الطبقات، حاشية رقم (١٨) ص ١٣٤ .

(٦) التربال: هو الفلاح أو المزارع، ويعتقد د/ يوسف فضل أن الكلمة من أصل نوبى/ تريا، وتعنى فى كردفان الولد الصغير. أنظر يوسف فضل: الطبقات حاشية (٢٥)، ص ٢٩٤، أنظر كذلك محمد إبراهيم أبو سليم: الغور والأرض، ص ٥٠ .

(٧) النرس: عبارة عن حاجز من التراب يكوم ليحجز مياه الأمطار فى منطقة خاصة لتروى الأرض جيدا فتزرع، ومنطقة الزراعة المطرية هذه تسمى، ترس أيضا. أنظر يوسف فضل: الطبقات، حاشية رقم (١١) ص ١٢٧ .

هذا ولا تعطى المصادر العربية قدرا من الاهتمام لسواقى النوبة، خلال فترة العصور الوسطى، غير أن أبى صالح الأرمنى عند ذكره لبجراش قال: «إنه فى اليوم السابع من برمودة تظهر مدينة بحصن وساقية تدور على باب الحصن، وشجرات جميز، ويقر يشربون من حوض الساقية، ويقيم ذلك ساعتين من النهار، ثم بعد ذلك تختفى ولا يرى مكانها شىء»^(١). وفى موضع آخر نجد أن كنز الدولة قد أجاز رجلا على قصيدة بألف دينار وساقية تساوى ألف دينار^(٢)، ويعتقد إن هؤلاء أهملوا ذكر السواقى لأنهم ألفوها فى مصر كثيرة ولم يروا فى أمرها غرابة تغريهم أو تثير فضولهم فأهملوها على قاعدة إهمال المؤلف.

وترد فى كتاب الفونج اشارتان إلى السواقى، ففى الوثيقة الثالثة يتصدق السلطان بادی بن نول بقطعة أرض هى ساقية الشقايق إلى السيد عبد الهادى ابن محمد دوليب^(٣). وفى الوثيقة الثالثة عشر يتصدق الشيخ حمد بن على بقطعة أرض «تبلغ مساحتها عشرة أعواد بأبوا ثمانية»^(٤).

وقد أشار إليها بساقية عبد الكريم. ومن الواضح أن الصدقة فى الحالتين قطع من الأرض لا آلات الساقية، وهى دليل على أن السواقى كانت تعمل فى منطقة النوبة الشمالية. وفى السنوات الأخيرة اكتشفت وثائق كثيرة ترجع الى عهد الفونج وهى تتعلق بالأرض، كوئائق فقرى الدامر مثلا، اذ تشير الى ملكية أراضى السواقى وانتقالها من طرف الى آخر أو بقاءها فى جهة بعينها^(٥).

(١) انظر أبى صالح الأرمنى: تاريخ الشيخ أبى صالح، ط أكسفورد ١٨٩٤، ص ١١٩ .

(٢) أبى صالح الأرمنى: تاريخه، ص ١١٩ وما بعدها.

(٣) انظر: محمد ابراهيم أبو سليم: الفونج والأرض، جامعة الخرطوم، ص ٦٥ .

(٤) وئائق الفونج والأرض، ص ٨٨، ٨٩، أنظر الوثيقة بملحق الكتاب.

(٥) أنظر: وثيقة رقم (٩)، (١١)، ١٤، ٢٧، ٣١، ٣٥، ٣٦ أ من وئائق: Arabic Documents from Qasr Ibrim.

وهى تشير إلى الساقية. انظر ملحق الدراسة: اشكال رقم (٨). وانظر كذلك: وثيقة تصدق بأرض حمد

بن الشيخ على قبل عام ١١٥٦ هـ، وئائق خليفة الشيخ خوجلى، دار الوثائق القومية بالخرطوم، أنظر ملحق الدراسة

شكل رقم (٥) . هذا ويقرر الدكتور أبو سليم أن هناك ثلاثة اتجاهات تقوم على أساسها أوجه التملك أولا. هناك

الأرض التى يزرعها الانسان بأساليبه المختلفة سواء كان ربا انسابيا، أو مطريا أو ربا بالالة كالسواقى. ثم هناك

أرض المرعى وهى لتربية الحيوان لا الفلاحة، ثم هناك الغابات، وهى منفعة عامة للجماعة أو القبيلة، إلا ما ينتبه

صاحب الملك فى ارضه، فإنه يصير فى هذه الحالة لصاحب الملك. أنظر: وئائق الفور والأرض (وئائق تملك)،

ص ص ٤٦، ٤٧، وانظر أيضا: معالم تاريخ السودان وادى النيل ص ٥١؛ مصطفى مسعد: امتداد الاسلام والعروبة

الى وادى النيل الأوسط، ص ص ٨٨، ٨٩ .

وقد بلغ من إهتمام النوبيين بمياه النيل أنهم كانوا كالمصريين يقيسون ارتفاعه وانخفاضه بكل دقة بوسائلهم البدائية، فقد كانت علاماتهم على جزع شجرة جميز عند الجندل الثانى، يعرفون منها ارتفاع منسوب النيل وانخفاضه^(١).

والرى فى إقليم النيل مستديم، والخصب فى هذا الاقليم متجدد بفعل الطمى النيلي، والزراعة تجرى فيه إما بآلات الرفع كالسواقي والشواذيف، وإما فى الجروف التى ينحسر عنها الماء بعد الفيضان وهى تحتاج إلى مقدرة لاستعمال آلة الرفع والقدرة على توفيرها إما بصناعته محليا كما كان يحدث فى أمر السواقي، والانسان الذى يعيش هنا انسان مستقر واعتماده الأكبر على الزراعة^(٢).

وفى إقليم المطر نشاهد اتساع الأرض وسهولة فى الفلاحة لأن الامطار هى التى تروى، ولا يحتاج المزارع هنا إلى القنوات، ويستطيع أن ينتقل من أرض إلى أرض جريا وراء الخصوبة. وهنا لا يوجد طمى للنيل ليوفر الخصوبة المتجددة، ولذلك تتجدد الخصوبة بفعل الطبيعة، والانسان هنا غير مستقر عموما-، واعتماده الأكبر على تربية الحيوان^(٣).

ومن المعروف أن العمارة فى بلاد النوبة لم تقم إلا على شاطئ النيل، خاصة فى اقليم مريس، حيث يضيق الوادى. بينما يتسع النهر. فينقب النوبيون الأرض التى تنكشف عن انخفاض النيل لتخصيبها بالروث والطمى، وزراعة بعض المحاصيل الزراعية مثل القمح والشعير والذرة والدخن والسمسم واللوبياء^(٤)، والفول والعدس والبصل والحمص والزيتون، والفجل وسائر البقول^(٥)، ومن الفواكه النخل الذى اشتهرت به كل مناطق النوبة من حيث الوفرة والجودة، وكذلك البطيخ الذى كان يزرع بكثرة فى مناطق معينة مثل جزيرة بلاق، والأعناب ومن كل الثمرات، وربما انفردت بلاد النوبة بمحاصيل زراعية لم توجد فى مصر زمن المماليك^(٦).

(١) أنظر: ابي صالح الأرمنى: تاريخه، ص ٩٨، وثائق الغور والأرض، ٤٨، ٤٩.

(٢) وثائق الغور والأرض (وثائق تمليك)، ص ص ٤٨، ٤٩.

(٣) نفسه، ص ص ٤٨، ٤٩.

(٤) المقرئى: الخطط، ج ١، ص ١٩٠.

(٥) الادريسي: المصدر السابق، ص ٢٠، ١٩.

(٦) المقرئى: الخطط، ج ١، ص ١٩٥.

كما عرفت بلاد النوبة زراعة القطن^(١)، فقد أشار أحمد بن سليم الأسوانى إلى وجود هذا المحصول فى بلاد النوبة، وفى منطقة سقلودا بالذات، وهى إحدى ولايات مملكة مقرة النوبية^(٢)، وذكر أن النوبيين يصنعون من هذا القطن أقمشة بدائية^(٣)، كما عرفت بلاد النوبة زراعة الأرز، فإذا ما عرفنا أن هذا المحصول يحتاج الى ماء وفير، عرفنا ان النوبيين استطاعوا الاستفادة من مياه النيل بدرجة لا تقل عما وصل اليها المصريون فى ذلك الوقت^(٤).

أما عن الدورة الزراعية فيذكر بوركهارت أن سكان وادى النيل من الشلال الأول إلى حدود دنقلة يحرقون حقولهم بعد انحسار مياه الفيضان كما يفعل أهل مصر. لأن المياه بعد الشلال لا ترتفع إلى علو يغمر الوادى. وفى الجهات القليلة التى تبلغ الأرض الزراعية فيها بعض الاتساع كما هو الحال فى قستمنا وقرشة ووادى حلفا^(٥). كذلك شقت القنوات التى تحمل الماء إلى الحقول المجاورة للجبل، ولكن الماء فى هذه القنوات لا يبلغ ما يبلغه ماء القنوات فى مصر من ارتفاع يتيح رى الأراضى المنخفضة المجاورة للتلال.

(١) يبدو أن القطن كان من المحاصيل الرئيسية فى بلاد النوبة طوال العصر المملوكى وخير دليل على ذلك ما تشير إليه المصادر المعاصرة بأن صلاح الدين الأيوبي حين قام بحملته على بلاد النوبة عام ١١٧٢هـ/١١٧٢م لمطاردة النوبيين انصار الفاطميين على أثر سقوط الخلافة الفاطمية، لفتت نظره كميات القطن النوبى الوفيرة هناك فبادر بمصادرتها. انظر: أبى صالح الأرمنى: تاريخه، ص ١٠١، محمد أحمد على الحاج: انتشار الإسلام فى وادى النيل الأزرق بالسودان حتى نهاية مملكة الفونج (٩١٠-١٢٣٦هـ/ ١٥٠٤-١٨٢٠م) رسالة ماجستير غير منشورة. كلية الآداب جامعة أم درمان الإسلامية ١٩٨٢م، ص ٣.

(٢) سقلودا، تفسيراها باللغة النوبية السبع ولاة. وهى المنطقة أو الأقليم الذى يلى المريس المتأخم لارض الاسلام من الجنوب أى المنطقة الواقعة ما بين الجندين الثانى والثالث، ويشبه أبى سليم الاسوانى هذا الأقليم (سقلودا) بأقليم مريس من حيث السعة والصيق وتنوع المحاصيل الزراعية منها القطن انظر: المقرئى: الخطط، ج ١، ص ١٩١،

(٣) المقرئى: الخطط، ج ١، ص ١٩١، ٢٠١، السلوك، ج ١، القسم الثانى، ص ٦٢٢.

(٤) الإدريسي: المصدر السابق، ص ١٥، وانظر كذلك، فيرفسون: مشروع الجزيرة، مصر، ص ١٦، أحمد عثمان محمد ابراهيم: الجزيرة فى خلال المهدية رسالة ماجستير غير منشورة بجامعة الخرطوم ١٩٧٠م، ص ١١، محمد أحمد على الحاج: المرجع السابق، ص ٣.

(٥) أنظر: رحلات بوركهارت، ص ١٢٢؛ محمد ابراهيم أبو سليم: وثائق الفور والأرض، ص ٤٨، ٤٩.

لذلك كان الرى فى النوبة يقوم معظمه على السواقي والنواعير^(١) فما ان يهبط منسوب الماء فى النهر حتى تروى الحقول بالسواقي^(٢).

أما عن تربية الحيوان، والطيور فقد اشتهرت بلاد النوبة لدى كتاب ومؤرخى العصور الوسطى بأنها مليئة بمختلف أنواع الحيوانات والطيور؛ والتي لا توجد مثلها فى أى بلد من بلدان العالم مستأنسة وغير مستأنسة^(٣)، فيشير المسعودى إلى أهل النوبة بقوله: «هم أصحاب نجب، وابل وبقر وغنم^(٤)»، هذا وقد لاحظ ابن سليم الاسوانى اثناء بعثته إلى بلاد النوبة كثرة اهتمام النوبيين بالحيوانات والطيور^(٥)، ولم يكن الرحالة الفارسى ناصر خسرو أقل من بن سليم فى وصف ما تحتويه أرض النوبة من ثروة حيوانية^(٦).

وتعتبر بلاد البجة فى الصحراء الشرقية المتأخمة لسودان وادى النيل، أكبر المناطق رعيًا للإبل^(٧)، فالبجة أهل بادية لا يعرفون الزراعة، وإنما هم يتبعون

(١) الساقية والناعورة آلتان مهمتهما واحدة وهى رفع المياه من الأسافل إلى الأعالي عن طريق دولاب يدور فوق موضع الماء. وهما ليسا شيئا واحدة أو آلة واحدة كما يظن، وإنما هما آلتان مختلفتان هندسيا ومتفاوتتان كفاءة. فالناعورة يدور دولابها بدفع تيار الماء وتثبت دولاؤها على طرف الدولاب نفسه وهكذا لا تحتاج الناعورة الى حيوان لتحريكها أو إلى تروس لتحويل القوة المحركة. ولكنها تحتاج إلى قدر من التيار يقوى على تحريك الدولاب. والعمق الذى تسحب منه الناعورة مقيد بمقدار نصف قطر الدولاب. أما الساقية فقاديسها على حبال تستند على دولاب. وهى تتحرك بدفع الحيوان. وتتحول قوة دفع الحيوان إلى الدولاب عن طريق ترسين أحدهما أفقى وآخرهما عمودى. وتستطيع الساقية ان تسحب من عمق أبعد مما تستطيع الناعورة وبذلك تستطيع أن تروى أراضى لا يبلغها ماء الناعورة. وهى لا تحتاج إلى تيار للدفع ومن الممكن أن تقام فى أى مكان حتى ولو كان على بئر. أما عن دخول الساقية فى السودان فمما لا خلاف فيها أنها جاءت من مصر فى أواخر العهد الرومانى، انظر محمد إبراهيم أبو سليم: الساقية: ص ١٩-٤٣.

(٢) بوركهارت: رحلاته، ص ١٢٢، أبو سليم: الغور والأرض، ص ٤٩.

(٣) ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان، ص ٧٧، ليو الأفريقى: وصف أفريقيا ص ٥٥٧، ٥٥٨.

(٤) المسعودى: مروج الذهب، ج ١، ص ١٦٨.

(٥) المقرئى: الخطط، ج ١، ص ١٩٤، ١٩٥.

(٦) ناصر خسرو: المصدر السابق، ص ٧٣.

(٧) ظلت بلاد النوبة تشتهر بكثرة الإبل منذ العصور الوسطى إلى العصر الحديث، فقد أشار بوركهارت إلى أن النوبيين يدفعون دية من يقتل عندهم جمالا أو اغناما أو ابقارا. انظر بوركهارت: رحلاته ببلاد النوبة والسودان، ص ١٢٠، انظر أيضا عن أنواع الإبل: فى أبين جبير: تذكرة بالاخبار عن اتفاقات الاسفار، ص ٤٢.

الكلأ^(١) حيثما كان للرعى، وجل ثروتهم الحيوانية الابل التى لا تزال حتى وقتنا الحاضر. وأكبر سوق للجمال فى مصر يتجه إليه البجة هو سوق دراو^(٢) (٣٥ كم شمال أسوان).

ويرى البجة إلى جانب الإبل والضأن والماعز قطعاناً من البقر، ولكننا مع ذلك لا نستطيع أن نسمى البجة رعاة بقر أو بقارة بالمعنى المعروف، لأن البقر ليست هى الماشية الرئيسية لمعظمهم، وأكثرهم لم يفكر فى اقتنائها الا فى العهود الأخيرة^(٣).

والجماعات التى تملك قطعان البقر، هى فى العادة نفس الجماعات التى تمارس الزراعة؛ وكثيراً ما ترى قطعانهم فى سهل البطانة ترعى العشب، وهى تشتمل على مزيج من الابل والضأن والماعز والبقر. وهكذا نرى ان ماشية البجة أكثر تجانسا فى الشمال، حيث تغلب تربية الابل ثم تزداد اختلاطاً وتنوعاً كلما اتجهنا إلى الجنوب^(٤).

(١) المقرئى: الخطط، ج١، ص ١٩٣ .

(٢) المقرئى: الخطط، ج١، ص ١٩٣؛ محمد رياض: العبايدة، بحث منشور بالجمعية الجغرافية ٢٦/٤/١٩٦١، ص ١٣٠، الحويرى: أسوان فى العصور الوسطى، دار المعارف، ١٩٨٠، ص ١٢٨ .

(٣) محمد عوض: السودان الشمالى، ص ٥٨، ٥٩ .

(4) C. MacMichael: A history of the Arabs in the Sudan, Vol. I, pp. 240-241. كمال
دسوقي: مجتمع الرعاة فى رفاة شرق، ص ٦١-٦٣، محمد عوض: السودان الشمالى، ص ٢١٦، ٢١٧ .

التعدين :

أما التعدين فقد كان المصدر الاقتصادي الرئيسى الذى جذب هجرات القبائل العربية وخاصة إلى وادى العلاقى فى العقد الرابع من القرن الثالث الهجرى^(١) وكان الدعامة القوية التى بنيت عليها ربيعة إمارتها الأولى فى وادى العلاقى^(٢). وقد شاركهم فى استغلال الذهب والزمرد بعض البطون والقبائل الأخرى حتى أن بعض المناجم قد سميت باسم القبائل العربية التى استغلتها أو سكنت بجوارها: مثل كلب وعجل وكاهل وبعض بطون جهينة وبنى سليم ومجموعات أخرى من مضر^(٣). وقد أسهب اليعقوبى فى الحديث عن أماكن وجود الذهب والزمرد فى منطقة العلاقى وبلاد البجة وأشار الى استقرار بعض القبائل العربية فيها^(٤).

لقد ظلت مناجم الزمرد بالنوبة تغذى الأسواق الخارجية طوال العصر الأيوبي والمملوكى^(٥)، إلى أن كان عهد السلطان المملوكى الناصر حسن بن محمد بن قلاوون، حيث أبطله وزيره صاحب علم الدين عبد الله بن زنبور عام ٧٦٠هـ/١٣٥٨م تقريباً بعد أن قل إنتاجه وأصبحت نفقات استخراجها تفوق بكثير قيمة المستخرج منه^(٦).

والى جانب المعادن الثمينة، اشتهرت بلاد النوبة بمحاجرها العديدة^(٧)، إلى جانب السنباذج^(٨)، والشب^(٩) حيث ساهمت بنصيب وافر فى التجارة مع مصر كما سيأتى فيما بعد.

(١) المقرئى: البيان والاعراب، ص ٤٥، ٥٦؛ وأيضا: الخطط، ج ١، ص ١٩٨، حسن محمود: الاسلام والثقافة العربية، ج ١، ص ٣١٦-٣١٨، مصطفى مسعد: الاسلام والنوبة، ص ١١٩، ١٢٠، ١٣٥، وأيضا: البجة والعرب فى العصور الوسطى، ص ٣٢، ٣٣.

(٢) المقرئى: البيان والاعراب، ص ٤٥، ٥٦؛ مصطفى مسعد: البجة والعرب، ص ٣٣.

(٣) أما المناجم التى يفصى إليها من اسوان فمنها: الضيقة، البويب، البيضة، بيت ابن زياد، عد يفر، جبل الأحمر، جبل البياض، قبر أبى مسعود، عقار، الجبل عست (كذا)، كمار (كذا)، بطن داح، أعماد، ماء الصخرة، الأخشاب، ميزاب، عريه بطحا، بركان دح، سخيت، فهذه المعادن التى يصل إليها المسلمون ويقصدونها لطلب التبر اليعقوبى: كتاب البلدان، ص ١٢٣-١٢٤، المقرئى: الخطط، ج ١، ص ١٩٤.

(٤) اليعقوبى: كتاب البلدان، ص ١٢٣-١٢٤.

(٥) القزوينى: آثار البلاد وأخبار العباد، ص ١٨.

(٦) المقرئى: الخطط، ج ١، ص ٢٣٣؛ الحويرى: اسوان فى العصور الوسطى، ص ١١٩؛ مصطفى مسعد: البجة والعرب، ص ٥٠، ٥١.

(٧) انظر الهروى: الاشارات إلى معرفة الزيارات، دمشق ١٩٥٣م، ص ٤٥؛ المقرئى: الخطط ج ١، ص ١٩٧.

(٨) السنباذج: مادة حجرية صلبة تخرط به الجواهر. المقرئى: الخطط ج ١، ص ١٩١، يحيى بن ماسوية: كتاب الجواهر وصفاتها، تحقيق عماد عبد السلام، الهيئة المصرية ١٩٧٧م، ص ٤٨.

(٩) الخطط، ج ١، ص ٢٣٦، شوقى عبد القوى عثمان: العلاقات التجارية بين مصر والدول الافريقية فى العصور الوسطى، رسالة ماجستير منشورة، معهد الدراسات الافريقية، ص ١٣٣.

الحرف والصناعات التقليدية:

صناعة الخزف.. أثبتت الحفريات التى أجريت فى منطقة البحر الأحمر المصرية (١٩٧٩-١٩٨١) - عن الكشف على مجموعات من الفخار والخزف، وقد عرف «خزف عيذاب» ورغم أن الدراسات مازالت أولية لكن المعلومات التى أمكن جمعها خلال الحفريات والملاحظات التى تمكنا من تصنيف الفخار والخزف إلى مجموعات رئيسية.

المجموعة الأولى تتكون من فخار عادى محلى الصناعة غالبا، لكن لا يستبعد وجود بعضه مستوردا فالمدينة ميناء تجارى تجلب إليه البضائع المختلفة من كل الاتجاهات^(١) ونأمل مستقبلا من القيام بدراسات تحليلية دقيقة مكثفة عن طبيعة هذا الفخار، وتكويناته الطينية بمنطقة عيذاب وما حولها، ومثل هذه الدراسة ستفيدنا كثيرا فى دراسة مواقع مصرية وأخرى نوبية مثل خور نبت وباضع وسواكن ومناطق كثيرة بأرض المعادن خلف بادية عيذاب التابعة لمصر المملوكية.

وأما المجموعة الثانية فهى مجموعة خزف إسلامى له مميزات معينة مزجج وملون، وقد وجد مثله فى مواقع إسلامية ترجع الى فترة القرن الثالث عشر بمصر، وسواحل أفريقيا الشرقية والشام^(٢).

والمجموعة الثالثة هى مجموعة مستوردة كلية، وهى مجموعة معروفة علميا تحت اسم سلادين، والخزف الأزرق والأبيض والتى وجدت بكميات كبيرة فى مواقع إسلامية شهيرة تنتشر على سواحل الهند ومضيق هرمز والخليج العربى وساحل عمان واليمن ثم الساحل الشرقى لأفريقيا - فى الصومال وكينيا، وتنزانيا ثم فى مصر - وأشهر موقعين هما ميناء القصير ومدينة الفسطاط^(٣)، ثم نجدها بعيذاب المملوكية،

(١) أنظر: أحمد محمد على الحاكم: المشروع الفرنسى، مجلة كلية الاداب، جامعة الخرطوم، العدد الخامس، ص ٤٢، انظر ملحق الدراسة. خزف عيذاب شكل (٧/٩). فخار عيذاب شكل (٧/٩). وهذا تقرير أولى عن عينات أرسلت إلى: مركز الأبحاث الأثرية معمل السراميك. المجلس القومى للبحوث الفرنسى. C.N.R.S. Centre de Recherches Archeologiques Laboratoire de Ceramohogier, 1980.

(٢) أحمد محمد على الحاكم: المشروع الفرنسى، ص ٤٤.

(3) C.F. : G.T. Scanlon: The Fustat Mound. Archaeology 24, No. 3, June 1976, pp. 22-233. Donalds. Whitcomb and Janet H. Johnson: Qosier. Al Qaolani 1978. Preliminary Report American Research Centre in Egypt Cairo, 1979, pp. 104-143.

انظر اشكال من الفخار بالملاحق شكل ١٣، ١٤، ١٦، ١٧، ١٨/١٠

وعلى ما يبدو فإن هذا الخزف هو أحد مواد التجارة المرغوبة وقتذاك^(١).

ويعتقد أن مصادر هذا الخزف من الصين ومنغوليا عبر الهند الصينية حيث توجد محطات تجارية بحرية في أغلب مناطق جنوب شرقي آسيا؛ وربما كان هذا الخزف يصنع خصيصا للتجارة والتصدير، وتوجد دراسات وافرة لتصنيف هذا الخزف ووضع تصورا تاريخيا لتطوره؛ والعينات أمكن استعراضها مبدئيا تشير إلى الفترة ما بين القرن الثاني عشر والخامس عشر وربما السادس عشر أيضا^(٢). ومع ذلك فإن الصورة العريضة من استعراضنا هنا تشير إلى تطابقها مع وثائقنا التاريخية من ازدهار ميناء عيذاب في تلك الفترة؛ ومن ناحية أخرى يشير إلى طبيعة عيذاب كميناء هام له ارتباطات بالعالم الخارجي من خلال صلاته بالمراكز الإسلامية في أفريقيا الشرقية وسواحل الجزيرة العربية ثم الهند والصين^(٣).

هذا ويشير كروياتشيك أن هناك شواهد كافية على التأثير النوبي في صعيد مصر، وقد وجدت الوثائق النوبية الأكثر أهمية في أديرة مصر، في حين أن الاكتشافات التي تمت في مصر تشمل أيضا قطعاً كثيرة من الاواني الخزفية النوبية المعروفة باسم خزف دنقلة وتكفي الإشارة إلى أنه توجد شواهد أدبية وأثرية كثيرة عن الصلات التجارية بين مصر والنوبة^(٤).

وينفس القدر من الأهمية عثورنا على كميات من قطع الزجاج المختلف المصادر والتي تشير المقارنات الأولية إلى مصادر خارجية مثل الإمارات الإيطالية وسواحل شرق البحر الأبيض المتوسط والهند، كما تم العثور على ما يشير بوجود صناعة زجاج أو تزجيج محلية من خلال العثور على قطع ربما بقايا أفران الزجاج خاصة وإن مادة الصناعة كانت متوفرة محليا، وهذا جانب آخر لعيذاب وهو حركة

(١) أحمد الحاكم: مرجع سابق، ص ٤٤، ٤٥، C.F.: Adams, W.Y.: Pottery Kiln Excavations,

Kush X, 1962, pp. 62-75.

(٢) تقرير أولى عن عينات أرسلت إلى مركز الأبحاث الأثرية معمل السراميك. المجلس القومي للبحوث الفرنسي. أحمد

محمد على الحاكم: المشروع الفرنسي، ص ٤٤، ٤٥.

(٣) بشير إبراهيم بشير: عيذاب حياتها الدينية والأدبية، مجلة الدراسات السودانية جامعة الخرطوم، العدد الثاني، المجلد

الخامس، يوليو ١٩٧٩، ص ٥٤.

(٤) كروياتشيك: النوبة من نهاية القرن الثاني عشر حتى فتح الفرنج في بداية القرن السادس عشر، اليونسكو ١٩٨٨م،

ص ٤١٦.

الصناعة التى تتماشى مع دورها التجارى^(١) الذى انعكس فى طبيعة العلاقة بين عيذاب ودنقله.

هذا وقد ثبت عمليا اعتماد السودانين على قواديس الفخار، حتى احتكرت صناعتها أسرة أو بعض الأسر^(٢).

ونستدل على ذلك ما ذكره ود ضيف الله بقوله: «البقر فوق الكواديق شرقا وغربا قطعت حبالها وجرت»^(٣).

كذلك من الحرف الصناعات التقليدية التى مهر فيها النوبيون صناعة الحصر والسلال والاطباق من سعف النخيل وشجر الدوم^(٤). يقول ود ضيف الله: «كنا نقرأ الرسالة عند الفقيه محمد بن مدنى، نجى لزيارته، نلقاه جالس فوق التبروقة»^(٥).

وأیضا نجد أن الصناع النوبيين قد بلغوا مقدرة فائقة فى صناعة الملابس بأنواعها والجلود المتوفرة هناك يقول ود ضيف الله: «كل سنة تاتيه جلابة من التاكة فيها القماش والعسل والفريك ويقسم ذلك على العركيين رجالهم ونساؤهم الرجل»:

(١) وقد درست عيذاب وروسومها إلى ان نبه الاثرى ج ثيود ورينت باكتشاف موقعها فى عام ١٨٩٦م، ونشر وصفا لاطلالها فى المجلة الجغرافية الملكية فى نفس العام. وبعد ثلاثين عاما من ذلك التاريخ قام اثرى آخر هوج ومرى بحفريات أولية فى الموقع كشف فيها عن المسجد وصهاريج المياه، كما توصل إلى قطع من العملات النحاسية والتى يعود تاريخ ضريها إلى عهد الظاهر بيبرس، وبعض قطع الخزف الصينى التى صنعت فى القرن الخامس عشر. ومن الأدلة التى تجمعت لديه قدرمرى عدد سكانها بألف وخمسمائة نسمة. C.F.: J. Tecodor Bent: A visit to the Northern Sudan, P. 235-356; G.W. Murray: Aidhab, p. 239; C.F.: Ar-kell: A History of the Sudan from the Earliest times to 1821, p. 198. سابق، ص ص ٤١٨، ٤١٩، بشير ابراهيم بشير: عيذاب، ص ٦٠، أحمد الحاكم: المشروع الفرنسى، ص ٣٠، انظر موقع عيذاب على الخريطة بملحق الدراسة شكر رقم (٤).

(٢) محمد ابراهيم أبو سليم: الساقية، ص ١٣٢.

(٣) الكوديق وهو مفرد ما اثبتناه، والكوديق هو الزريبة أو الصريف أو الراكوبة الظليلة وهى كلمة دنقلوية ومعناها السور من الطين والحطب والتى يربط فيها الثورا والبقر ويعنى عند الشايقية ومن هذا الكوديق تملأ قواديس الفخار أو جرار الساقية عند دورانها: أنظر: يوسف فضل: حاشية كتاب الطبقات رقم (٨)، ص ٢٦٥.

(٤) انظر: أبو سليم: المرجع السابق، ص ١٣٤، ١٣٥، انظر شكل رقم ١٠/١١ بالملاحق.

(٥) التبروقة برش للصلاة مستدير الشكل يصنع من السعف ويكثر صنعه فى منطقة الدامر - قبائى (شمال المحمية) والكلمة ليست عربية وربما كانت نوبية أو مروية. يوسف فضل: الطبقات، ص ٢٦٦، حاشية (٩).

ثوب منيرى^(١) وثوب أبيض والمرأة : ثوب دنقسي^(٢) ، وقرن^(٣) وهو من ملابس الفتاة يوم الزفاف .

وكانت الجلود تستعمل فى أدوات الزينة عند المرأة النوبية حيث تقوم بربطها فى شعر رأسها ، ونوع الجلود المستعمل هنا نوع خاص من الجلد ذو رائحة قيل أنه من جلد الغزال^(٤) .

كما أن هناك شواهد تدل على أن كثيرا من الحلى والمصوغات النوبية وتصميمها وزخارفها جاءت وليدة للفكر الإسلامى ومستوحاة من الرموز الإسلامية تلك الرموز التى يبدو أن أهمها قد دخل بلاد النوبة مع الجنود الاتراك الذين أرسلهم سليم الأول إلى النوبة عام ٩٢٧هـ / ١٥٢٠م ، وكانت أولى هذه الرموز أو أهمها على وجه التحديد الهلال والنجمة ذات الستة أطراف^(٥) .

تلك هى بعض الصناعات الحرفية البسيطة المحلية التى وجدت فى النوبة ، وهى شئ غير ذى بال اذا قورنت بالصناعات الهائلة التى اشتهرت بها بعض المدن فى مصر زمن المماليك^(٦) .

(١) جاءت فى مخطوطة كاتب الشونة ص ٣٠ ، منيرى نوع من القماش ويحتمل انه جاء من مصر ، وقيل انه كبير الحجم ويلبسه الرجال . يوسف فضل : الطبقات ، ص ١٤١ .

(٢) الدناقيس مفردا دنقس وقد وصفه بعض الشيوخ ، بأنه ثوب من الدمر ويلبسه الرجال والنساء ولهذا الزى صلة بعمارة دنقس أول ملوك الفونج . انظر يوسف فضل : الطبقات ص ١٤١ .

(٣) قرن عبارة عن قرياب أو نوع من الثياب تلبسه السودانيات كازار ويشتهر من أنواعها القرن الخمرى وهو نوع من القماش المزركش انظر يوسف فضل : الطبقات ، ص ٢٦٦ .

(٤) أنظر : ود ضيف الله : الطبقات ، ص ٣٣٧ ، يوسف فضل : حاشية كتاب الطبقات ، ص ٣٣٧ أيضا .

(٥) على زين العابدين : تاريخ فن صياغة الحلى النوبية والسودانية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٨م ، ص ١٧٨ ، ١٧٩ ، انظر شكل ١٥ / ١٠ بملحق الكتاب .

(٦) ابن دقماق : الانتصار لواسطة عقد الامصار ، ط بولاق ، ج٤ ، ص ٣٢ ، ٣٤ ، قاسم عبده قاسم : أسواق مصر فى عصر سلاطين المماليك ، جامعة عين شمس ، ١٩٧٨ ، ص ٦ ، ٧ .

التجارة:

- الرقيق

ظلت معاهدة البقط أساسا للعلاقات التجارية بين مصر وبلاد النوبة زهاء ستمائة وخمسين عاما^(١)، ولما كانت هذه المعاهدة قد نصت صراحة على حرية المرور للتجار العرب المسلمين عبر بلاد النوبة^(٢)، فقد اتخذها هؤلاء المسلمون التجار سندا قويا للتوغل فى تلك البلاد بتجارته من أجل الحصول على أرباح طائلة، مصدرها المعادن والرقيق وخلافه. وكانت تجارة الرقيق تمثل جزءا هاما فى اقتصاديات العالم الإسلامى فى ذلك الوقت، خاصة بعد أن قل الوارد من السبى^(٣). وسوف نناقش هذا العامل بشئ من التفصيل لما له من أهمية بالنسبة لمجتمع السودان وادى النيل، وعلى ضوء التحولات الاقتصادية التى طرأت فى المنطقة.

شاهدت مصر فى عصرها المملوكى تدفق أعداد كبيرة من الرقيق الأبيض والاسود، فقد كانت هناك اسواق معروفة لتجارة الرقيق أو تجميعه فى بلدان وموانى معنية اشتهرت منها خلال العصر المملوكى ذويلة وبربرة ودارفور وشندى^(٤).

(١) ظلت معاهدة البقط قائمة ٦٨٦ عاما هجريا تقريبا أو ٦٦٥ عاما ميلاديا تقريبا أى منذ عقدها عام ٣١هـ/ ٦٥٢م إلى سقوط مملكة النوبة (مقرة) فى عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون. انظر: ابن خلدون: العبر، القسم الأول المجلد الخامس، ص ٩٢٢، القلقشندي: صبح الاعشى، ج ٥، ص ٢٧٦، مصطفى مسعد: الاسلام والنوبة ص ص ١٦٦، ١٦٧، مكى شبكية: السودان، ص ٣٠، حسن محمود: مرجع سابق، ج ١، ص ٣١١، مصطفى مسعد معاهدة البقط، ص ٤٨٢.

(٢) المقرئى: الخطط، ج ١، ص ٢٠٠، محمد عبد العال: النوبة والمحاولات الاسلامية، ص ٢٩٦، ٢٩٧، C.F.: Macmichael: op. cit., pp. 157-158 وانظر ايضا: وثيقة بردية مرسله من والى مصر الى ملك النوبة والمقرة متحف الفن الاسلامى بالقاهرة تحت رقم (٢٥٤٨٠) نشرها: Martin: Studia Arabica of Is-lamica American University of Beirut, 1981, pp.209-229.

(م) التطور الاجتماعى، ص ٢٩٦ وما بعدها. انظر ملحق الرسالة (م) شكل رقم (١).

(٣) يوسف فضل: المعالم الرئيسية، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الثالث عشر القاهرة ١٩٦٧م، ص ١١٤.

(٤) الادريسي: نزهة المشتاق ص ٣٦؛ عبد العزيز عبد الدايم: الرق فى مصر فى العصور الوسطى: نهض الشرق

وإذا كان الرق في صدر الاسلام قد نظر إليه على أساس أنه نظام اجتماعي واقتصادي قائم، ليس ثمة وسيلة للقضاء عليه دفعة واحدة، فأقره الإسلام في صورة تؤدي في ذاتها إلى القضاء عليه تدريجياً عن طريق تحديد روافد الرق، وكانت كثيرة متعددة لدى الأمم القديمة، وأهم رافدين هما: رق الحرب ورق الوراثة^(١).

وكانت هناك مراكز وحاميات عسكرية يتجمع فيها الغزاة أي المتطوعين من ديار الإسلام للجهاد في سبيل الله، وكان يجمع كل هذه التحصينات الحربية للمسلمين في مواجهة دار الحرب اسم «الثغور» وتختص من هذه الثغور ثغر البجة والنوبة، فكانوا مصالحين على ضريبة تسمى البقط كما سبق أن أوضحنا^(٢).

وجددت في عهد المعتصم العباسي في القرن الثالث الهجري لضمان الحصول على رقيق السودان^(٣). يقول ناصر خسرو عن النوبة: «يذهب إليها التجار ويبيعون الخرز والأمشاط والمرجان ويجلبون منها الرقيق، والرقيق في مصر إما نوبيون وإما روم^(٤)».

(١) أنظر جدول طويل بين فقهاء الاسلام في ذلك الزمن، حول تحريم رقيق النوبة، فرأى مالك بن أنس أن أرض النوبة فتحت صلحا إلى حد علوة، ولذا لا يجوز شراء رقيقهم، لكن خالفه في ذلك بعض الفقهاء المصريين، مثل عبد الله بن عبد الحكم، وعبد الله بن وهب، والليث بن سعد، ويزيد بن أبي حبيب، فيقول الليث بن سعد: نحن أعرف بأرض النوبة عن مالك بن أنس، إنما صولحوا على ألا نغزوهم ولا نمنع عدوا، فما استرقه مملكتهم أو غزا بعضهم بعضا، فشرأوه جائز وكان عند جماعة منهم جوارى نوبيات لغراشهم، انظر المقرئ: الخطط، ج١، ص ٢٠١، على عبد الواحد وافي: حقوق الانسان في الاسلام، ط الخامسة، دار نهضة مصر ١٩٧٩م ص ٢٠٠-٢١٩، انظر أحمد شفيق: الرق في الاسلام، ترجمة عن الفرنسية أحمد زكي، الطبعة الأولى: المطبعة الاهلية الاميرية ببولاق ١٣٠٩هـ/ ١٨٩٢م، ص ٥٤-٩٤، ص ٥٦.

(٢) أنظر: ابن خلدون: العبر، المجلد الخامس، ص ٩٢٢، الماوردي: الاحكام السلطانية، ط مصر ١٢٩٨، ص ١٤٦، المقرئ: الخطط ج١، ص ٢٠٠، ٢٠١، مصطفى مسعد: البقط نمط فريد في مجال العلاقات الدولية في الاسلام، بحث في مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية، جامعة الامام محمد بن سعود، العدد الخامس ١٣٩٥/ ١٩٧٥م، ص ٤٧١-٤٨٥، حسن محمود: مرجع سابق ج١، ص ٣١١، C.F. Y.F. Hasan: The Arabs and the Sudan, P.20; Hamilton, J. A. De. C. The Anglo. Egyptian Sudan from Within, London, 1935, p. 52.

(٣) هناك بردية توضح طبيعة العلاقة بين مصر والنوبة في أعقاب سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية. C.F.: Martin: Studia Arabica of Islamica, American University of Beirut 1981, pp. 209-229. وانظر: الخطط، ج١، ص ٢٠٠، ابن الفقيه: مختصر البلدان، ص ٧٦، ٧٧.

(٤) ناصر خسرو: سفرنامه، ص ٤١، وانظر ايضا: الاضطحري: المسالك والممالك، القاهرة ١٩٦١م، ص ٤٢.

ولعل كثرة تردد التجار المسلمين على بلاد النوبة وبلاد البجة سببه الأول شراء الرقيق، فيذكر اليعقوبى عن مدينة علوة قسبة بلاد النوبة أن: «المسلمين يختلفون إليها»^(١)، ويقول عن بلاد البجة «يأتيها الناس من المسلمين للتجارات»^(٢)، وحتى بعد خضوع بلاد النوبة للمماليك ودخولها ضمن دار الاسلام فى عهد السلطان المملوكى قلاوون فى سنة ٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م نجد هذا السلطان يقرر على ملك النوبة البقطة أى العبيد المقررين عليهم^(٣).

وقد سهلت تجارة الرقيق الهجرة العربية لسببين:

أولاً: بالرغم من أن معظم هؤلاء العبيد كانوا يجلبون من بلاد السودان بمعناها العام إلا أن الجزء الذى اشترى من المقررة وعلوة قد حرم تلك البلاد من العنصر الشاب فيها (وهو النوع المرغوب فيه). ومن ثم قلل بمرور الزمن من فرصتها لتحول دون توغل العرب مستقبلاً^(٤).

ثانياً: ساعد توغل التجار المسلمين فى زيادة معرفة العرب بتلك البلاد، مسالكها ومراعيها. ولا شك أن هذه المعرفة قد أفادت المهاجرين كثيراً وفتحت أمامهم عوالم جديدة. ويبدو أن التجار عملوا بعد أن وسعوا نطاق التجارة كدعاة ومبشرين

(١) اليعقوبى: كتاب البلدان، ص ١٢٤ .

(٢) نفسه، ص ١٢٤، ١٢٥ .

(٣) المقرئى: السلوك، تحقيق مصطفى زيادة، ج٢، ص ٧٥٢، حوادث عام ٦٨٩هـ هذا ويلاحظ أن تجارة الرقيق ظلت أساس الحياة الاقتصادية ببلاد النوبة الى عصر قريب، حتى قيام الثورة المهدية فى نهاية القرن الماضى. فقد كانت بعض مناطق السودان تعتبر الرقيق عملة تدفع به اثمان السلع والمرتببات، انظر: حسن أحمد محمد: مرجع سابق، ج١، ص ٣٩٩، وقد أعطانا الرحالة بوركهارت صورة واضحة عن ازدهار هذه التجارة اثناء رحلته ببلاد النوبة عام ١٨١٣م، وعن وجود اسواق للرقيق بصعيد مصر، وما كان هناك من مصانع لتطويع هؤلاء العبيد، واشتهار قرية تسمى بزاوية الدير من أعمال اسيوط بمصنعها للخصيان، وكانت تزود مصر بل كل انحاء العالم بالعبيد الخصيان: انظر: بوركهارت: رحلاته ببلاد السودان ص ٢٥٣، ٢٥٥، ٢٥٧، وانظر أيضاً: تاريخ مختص بأرض النوبة ومن ملوكها ملوك الفونج ومن تولى بعدهم، ورقة ٧٩، ٨٠ .

(٤) لا شك أن حملات المماليك على بلاد النوبة قد اغتنموا منها سبى من الرقيق على أثر كل حملة. انظر: بيبيرس الدوادار: زبدة الفكر، ج٩، نسخة مصورة بالفوتستات من مكتبة جامعة القاهرة رقم ٢٤٠٢٨، ورقة ٢٦٦ .

بالاسلام، وأنهم فى توغلهم وترحالهم الكثير من منطقة لأخرى داخل السودان قد حملوا الدعوة الاسلامية إلى تلك المناطق^(١).

وكيفما كان الأمر فقد أجمع المؤرخون والكتاب الذين عاصروا هذه التجارة على أن رقيق النوبة أفضل أنواع الرقيق، وهو الذى يرغب فيه كل من أراد اقتنائه، خاصة فى العالم الاسلامى، وذلك لما يتميز به من خصال طيبة، فالرجال منهم اشتهروا بالأمانة فيما يوكل إليهم، والإخلاص فى العمل، وحسن النظام والطاعة وعظمة الخلق، وقوة البأس وكما الاجسام^(٢).

أما نساء النوبة، فقد اشتهرن بالرحمة والشعور بالمسئولية فى تربية الأطفال، وقد نصح أطباء ذلك الزمن باختيار المرضعات من النساء النوبيات، لما فيهن من هذه الصفات الطيبة، إلى جانب حرارتهن التى تدر اللبن بغزارة^(٣).

ومن مواطن الرقيق فى السودان وادى النيل كردفان ودارفور، إذ كان الرقيق أهم سلعة تباع هناك، كما أن الأبيض كانت أحد مراكز تجارته^(٤). وما أن تصل قوافل الرقيق إلى أسوان أو غيرها من مدن الصعيد حتى ينزل التجار بأحد الخانات، أما الرقيق فيحبسون فى أفنية كبيرة بها غرف مهدمة يقضون الليل فيها، وفى الصباح يعرضون على المشترين فى الاسواق بمزاد علنى^(٥).

وهناك طريقة أخرى لوقوع العبيد فى أيدي جلابة الرقيق، فهؤلاء الجلابة يتقدمون فى المناطق المجاورة لقرى الرقيق بالبضائع التى يستبدلون بها الرقيق من

(١) وكان الرقيق المطلوب من النوبة والسودان مرغوباً فى العالم الاسلامى. انظر ابن بطران: رسالة فى شرى الرقيق وتقليب العبيد، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة ١٩٥٤، ص ٣٥٢، انظر أيضاً: ابن رسته: الاعلاق النفسية، ط ليدن، مطبعة بريل ١٩٨١، ص ١٠١، ١٠٢، الجاحظ: فضل السودان على البيضان، مجموعة رسائل الجاحظ، ج١، تحقيق عبد السلام هارون، نشر مكتبة الخانجي بمصر، المتبى ببغداد سنة ١٩٦٥، ص ١٧٣-٢٢٦.

(٢) المقرئى: الخطط، ج١، ص ٣١٨، الحويرى: اسوان، ص ١٢٤.

(٣) الادريسي: المصدر السابق، ص ١٣، الحويرى: اسوان، ص ١٢٤.

(٤) رحلات بوركهارت، ص ٢٥٢، نسيم مقار السودان فى النصف الأول من القرن التاسع عشر، الرحالة بالم، القاهرة ١٩٦١م، ص ٤٦، ٤٧، الحويرى: اسوان، ف ١٢٠، ١٢١.

(5) Cuoq: op. cit., p. 12-13; Klunzinger: upper Egypt: its people and its products, London 1878, p. 37.

اسرى الحروب أو المخطوفين بمعرفة اللصوص الذين لا يتوانون عن خطف أطفال قريتهم وحملهم إلى المكان المتفق عليه من قبل للمبادلة، ثم تأتى بهم القوافل لبيعهم فى أسواق مصر^(١).

وقد قسم تجار الرقيق العبيد حسب أعمارهم إلى ثلاث فئات الخماس وهم دون العاشرة أو الحادية عشرة، والسداس وهم فوق الحادية عشرة ودون الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة، والبالغون وهم الخامسة عشرة فصاعدا وأعلى هؤلاء عندهم السداس^(٢).

هكذا تزايدت تجارة الرقيق، التى كانت تمثل جزءا من موارد الدولة المملوكية بعد أن قل الوارد من السبى^(٣).

(١) نسيم مقار: الرحالة فى السودان، ص ٤٧، وأيضا: جون بتريك، ط لجنة البيان ١٩٦١م، ص ٣١ .

(٢) رحلات بوركهارت، ص ٢٥٢، C.F.: P.E.H. Hair: The Atlantic Slave Trade and Black Africa, London, 1978, P. 21-31. ff.

(3) C.F. Reid, J.A.: Some Notes on the tribes of the white and Blue Nile Provinces S.N.R. XIII, Part II, 1930, p. 51.

أهم السلع النوبية التي يشملها النشاط التجارى:

الذهب: وعرفت أرض النوبة وعلى الاخص منطقة وادى العلاقى بشهرتها الفاتكة بمناجم المعادن الغنية^(١) نذكر منها على سبيل المثال الذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص^(٢)، وحجر المغنطيس^(٣)، والمرقشيتا، والجمشت^(٤) والزمرد^(٥) وحجارة بيشتا^(٦).

أما الزمرد الذى يطلق عليه أحيانا اسم الزبرجد فيذكر ابن الفقيه بقوله : وفيما بين أرض النوبة والبجة جبال منيعة .. وفى بلادهم معدن الزبرجد، يحفر التراب من معدنه، ثم يغسل فيوجد فيه قطع الزبرجد^(٧)، فالزمرد والزبرجد اسمان مترادفان على

(١) وصف كثر من المؤرخين المسلمين هذه المعادن واماكنها فى الصحراء الشرقية، وطرق استخراجها فيذكر اليعقوبى ان ثم طريقين يؤديان الى مناجم الذهب والزمرد فى الصحراء الشرقية أحدهما يبدأ من قفط والاخر يبدأ من اسوان أما مناجم طريق قفط فمنها: خربة الملك وجبل العروس وجبل الخصوم وكوم الصابونى وكوم مهران ومكابر وسفسيدي وجبل صاعد، والكلبي، والشكرى، والعجلى، والعلاقى الادنى، والريقة، ورحم، أما المناجم التى يفصى اليها من أسوان فمنها الضيقة، البويب، بيت ابن زياد، عديقر، جبل الأحمر، جبل البياض، قبر أبى مسعود، عفار، الحمل، عست (كذا) كعار (كذا)، بطن داح، اعماد، ماء الصخرة، الاخشاب، ميزاب، عرية بطحا، بركان دح، سخيت، فلهذه المعادن التى يصل اليها المسلمون ويقصدونها لطلب التبر اليعقوبى: البلدان ص ١٢٠-١٢٤، المقرئى: الخطط، ج١، ص ١٩٤ .

(٢) انظر المقرئى: الخطط، ج١، ص ١٩٤ .

(٣) ذكر ارسطاطاليس فى كتابه فى الاحجار ان المغناطيسيات كلها انما ابتدأت فى معادنها لتكون حديدا، تعرض لها الحر واليبس فصارت حجارة يابسة صلبة شديدة وانما اشتدت هذه الاحجار لشدة الحر الطالع من معدنها وقلة الرطوبة فيها. انظر: أحمد بن يوسف التيفاش: ازهار الافكار فى جواهر الأحجار، تحقيق محمد يوسف حسن، محمد بسيونى خفاجى، الهيئة المصرية ١٩٧٧م، ص ١٥٢ وما بعدها.

(٤) الجمشت حجر حديدى، أربعة أنواع، وكان العرب يزينون به ادوات الحرب، انظر التيفاش، ازهار الافكار، ص ١٨٩، ١٩٠ .

(٥) قال بليزوس ان الزمرد هو الياقوت لأنه انما ابتدأ لينعقد ياقوتا فى جميع اجزائه وكان لونه أحمر، فلهذه تكاثف الحمرة انظر التيفاش: ازهار الافكار، ص ٧٨ .

(٦) المقرئى: الخطط، الخطط، ج١، ص ١٩٤، انظر بعض الاشكال بالملاحق كل ١٩، ٢٠/١٠ .

(٧) ابن الفقيه: كتاب البلدان، ص ٧٨ .

معنى واحد^(١). وإن كان هناك بعض اللغويين والكتاب يفرقون بين الزمرد والزبرجد فيجعلون كل منهما نوعا من انواع الاحجار الكريمة^(٢).

وكان هذا المعدن من المعادن التى جذبت أنظار الممالك طوال عصرهم، وكان يوجد فى التخوم بين مصر والنوبة، بالصحراء الشرقية، شرقى مدينة قوص، وعلى بعد ثلاث مراحل منها فى مكان يسمى الخربة^(٣)، وهى أول بلد البجة^(٤).

ويضيف الادريسي مكانا آخر للزمرد جنوبى مدينة أسوان، حيث يتهاافت عليها طلاب هذا المعدن فيقول: «وعلى مقربة من أسوان جنوبا من النيل، جبل فى اسفله معدن الزمرد فى بادية منقطعة عن العمارة، ولا يوجد الزمرد فى شئ من الارض بأجمعها الا ما كان بذلك المعدن، به جلاب كثيرة من هذا المعدن، ويخرج ويتجهز به إلى سائر البلاد^(٥) ويشير المسعودى إلى أن ملوك أوروبا يتهافتون على زمرد النوبة بشكل منقطع النظير^(٦)». أما القزوينى فيشير إلى ان بلاد النوبة كانت تمول عالم العصور الوسطى بأسره، بأجود أنواع الزمرد فيقول: «ويحمل منها إلى سائر الدنيا.. وزمردها أحسن الزمرد^(٧)، مما يدل على أن بلاد النوبة هى المكان الذى عرفه كتاب

(١) (لغته الزمرد بضم الراء والميم والراء المشدودة، وبذال مصجمة هكذا تكلمت به العرب. وقال الفارابى فى اللغة ان الزبرجد تعريب الزمرد، وليس بصحيح بل الزبرجد نوع آخر من الحجارة. أنظر: التيفاشى: أزهار الافكار فى جواهر الاحجار. حققه محمد يوسف حسن، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧م، ص ٧٨، ٧٩ يحى بن ماسوية: كتاب الجواهر وصفاتها، تحقيق عماد عبد السلام، الهيئة المصرية ١٩٧٧م، ص ص ٥٤، ٥٥، أنظر: الادفوى: الطالع السعيد، حاشية (١) ص ٤٤، مصطفى مسعد: المكتبة، ص ١١ حاشية (١).

(٢) انظر: التيفاشى: ازهار الافكار، ص ٧٨، عبد الرحمن زكى: الاحجار الكريمة فى الفن والتاريخ، المكتبة الثقافية ١٩٦٤م، ص ص ٩٠، ٩١.

(٣) الخربة مدينة بجاية كما ورد عند ابن سليم الاسوانى، وذلك رغم وقوعها تجاه مدينة قوص، شرقا، فقد كانت بلاد البجة تمتد على طول الصحراء الشرقية فيما بين هضبة الحبشة وشرقى مدينة قوص، انظر: المقرئى: الخطط، ج ١، ص ١٩٤.

(٤) أعلم أن أول بلد البجة من قرية تعرف بالخربة معدن الزمرد فى صحراء قوص وبين هذا الموضع وقوص نحو من ثلاث مراحل.. وليس فى الدنيا معدن للزمرد غير هذا الموضع.. فى آخر بلاد البجة أول بلاد الحبشة انظر الخطط، ج ١، ص ١٩٤، وانظر أيضا: البيرونى: الجماهر فى معرفة الجواهر، ط حيدر آباد الهند ١٣٥٥هـ، ص ١٦٢.

(٥) الادريسي: المصدر السابق، ص ٢٢.

(٦) المسعودى: مروج الذهب، ج ١، ص ١٩٢.

(٧) القزوينى آثار البلاد واخبار العباد، ص ١٨.

ذلك العصر باحتوائه على الزمرد^(١).

ويبدو أن العاملين في استخراج الزمرد كانوا يعرفون قيمته، فكانوا يختلسونه أحياناً، ولذا جعل لهم مفتشون للمحافظة على الأمن، وفي نفس الوقت تفتيش عمال المناجم عند خروجهم، وكان التفتيش دقيقاً للغاية حتى أن الرجل يفتش من أخص قدميه حتى رأسه^(٢).

ظلت مناجم الزمرد بالنوبة تغذى أسواق العالم بأثره طوال العصر الأيوبي والمملوكي^(٣) إلى أن كان عهد السلطان المملوكي الناصر حسن بن محمد بن قلاوون حيث أبطله وزيره صاحب علم الدين عبد الله زنبور عام ٧٦٠هـ / ١٣٥٨م بعد أن قل انتاجه، وأصبحت نفقات استخراجها تفوق بكثير قيمة المستخرج منه^(٤).

(١) ويلاحظ أن هذا المعدن يوجد في باطن حجر أبيض في أعماق الأرض، حيث ينزل اليه الباحثون بالمصابيح، فضلاً عن جبال يستدلون بها في العودة خوفاً من الضلال في جوف الأرض، وهذا الحجر ثلاثة أنواع فمنه ما يسمى طلق كافوري، وآخر يسمى طلق فضي، أما الثالث يسمى جروي. أما طريقة استخراجها فهو الضرب على هذا الحجر لاستخلاصه منه أما أنواعه فمنه الرياني الذي كان يلقي به في الزيت الحار عقب استخراجها مباشرة، ثم يلف في قطعة قطن ويصر في خرق خام وكان هذا النوع قليلاً جداً، ولذا ارتفع ثمنه عن الأنواع الأخرى. انظر: التيفاشي: ازهار الافكار، ص ٧٨ وما بعدها، المقرئزي: الخطط، ج ١، ص ١٩٤، ٢٣٣، القزويني: اثار البلاد: ص ١٨.

(٢) أنظر المقرئزي: الخطط، ج ١، ص ٣٣، وقد أورد السعدي أربعة أنواع من الزمرد: النوع الأول: ويعرف بالمر، وهو أجود أنواع الزمرد، وأغلاها قيمة، وهو شديد الخضرة يشبه السلق في خضرته، ويقول القزويني: «وزمردا أحسن اصناف الزمرد الاخضر السلقى الكثير المائية، يسقى المسموم فيبرأ، وإذا نظرت الافعى اليه سالت حدقتها»، النوع الثاني: ويعرف بالبحري، نسبة الى ان ملوك البحر من الهند والسند كانوا يرصعون به تيجانهم وخواتمهم واسورتهم وكان هذا النوع يلي المر في الجودة، النوع الثالث: ويعرف بالمغربي، نسبة الى ان ملوك المغرب، اى ملوك اوربا كانوا يتناقصون عليه. النوع الرابع: ويعرف بالأصم وهو أدنى أنواع الزمرد، وأقلها ثمناً، ولعله لقلته ماءه وخضرته وعدم صفائه، لأن قيمة الزمرد تتوقف على هذه المميزات الثلاث. انظر السعدي: مروج الذهب، ج ١، ص ١٩١، ١٩٢، القزويني: اثار البلاد ص ١٨.

(٣) القزويني: اثار البلاد، ص ١٨.

(٤) المقرئزي: الخطط، ج ١، ص ٢٣٣، مصطفى مسعد: البجة والعرب، ص ٥٠، الحريري: اسوان، ص ١١٩.

الأحجار:

إلى جانب المعادن الثمينة، اشتهرت بلاد النوبة بمحاجرها العديدة^(١) مثل الرخام^(٢)، والجرانيت والبازلت والصوان^(٣) وحجر الطواحين والطين الصلصالى. وقد استغل حكام مصر هذه المحاجر النوبية أحسن استغلال فى اغراض شتى^(٤)، وقد برع النوبيون فى صناعة الفخار دون غيرهم، وكان لتوافر الطين الصلصالى فى بلادهم من العوامل المساعدة على قيام هذه الصناعة الشعبية فى تلك المنطقة^(٥).

السنباذج^(٦).. ومن المواد الحجرية التى انفردت بها بلاد النوبة ايضا مادة السنباذج الذى كان يوجد فى الجزء الجنوبي من اقليم مريس فى منطقة المقس الأعلى، ويبدو أنه لم يكن يوجد فى أى مكان آخر سوى المكان المشار اليه، كما يقول أبو صالح الأرمنى^(٧).

-
- (١) مازالت اسوان والمناطق المجاورة لها، تشتهر إلى اليوم بوجود هذه المحاجر الصلبة.
- (٢) اشتهرت قرية بالنوبة السفلى تسمى توشكى على بعد مائتى وخمسين ميلا تقريبا جنوبى مدينة اسوان، بمحاجر الديوريت التى مولت مصر على مر العصور التاريخية. انظر: محمد جمال الدين مختار: اثار النوبة ومحاوله انقاذها، ص ٥٨، ونسبة لاسوان هناك نوع من الرخام يعرف بالاسوانى. انظر: المقرئى: ج١، ص ١٩٧.
- (٣) انظر: الهروى: الاشارات إلى معرفة الزيارات، ص ٤٥.
- (٤) أنظر: المقرئى: الخطط، ج١، ص ١٩٨، الأدفوى، الطالع السعيد، ص ٣٢، C.F.: Budge: The Nile Notes, p. 452.
- (٥) أنظر: الطبقات، ص ٢٦٥، الحويرى: اسوان، ص ٩٠، ٩١، وكان على الضفة الشرقية للنيل باتجاه اسوان، جبل يعرف باسم جبل الطفل، حيث طفل أحمر عرف باسم طفل الفن، كان يصنع العرب والنوبيون منه هذه الاوانى الفخارية، وكانت طبقات الطين الصلصالى تصل إلى اعماق بعيدة فى طبقات الأرض، يتتبعها عمال المناجم العاملين فيها، وقد وجدت بالقرب من هذه المحاجر جبانتيين عربيتين بها عدة مقابر عليها نقوش بالخط الكوفى مما يدل على أن العاملين بها كانوا عربا. انظر: الادفوى: الطالع السعيد، ص ٣٣، على مبارك: الخطط التوفيقية، ج٨، ص ٦٧، C.F. Budge: Op. cit., P.452. وأنظر أيضا ابن دقماق، وبها جبل الطفل ج٢، ص ٣٤.
- (٦) السنباذج: مادة حجرية صلبة تخرط به الجواهر. انظر التيفاش: ازهار الافكار، ص ١٥٩، المقرئى: الخطط، ج١، ص ١٩١.
- (٧) ابو صالح الارمنى: تاريخ ابى صالح الارمنى، ص ٩٩، وقد عرفت هذه المادة بصلابتها ولذا استخدمه صناع العصور الوسطى فى خراط الجواهر، فيشير المقرئى بقوله: والسنباذج الذى يخرط به الجواهر يخرج من النيل فى هذه المواضع، يغطس عليه، فيوجد جسمه باردا، مخالفا للحجارة، فاذا اشكل عليه نفخ فيه فيعرق. انظر المقرئى: الخطط، ج١، ص ١٩١.

الشب.. وقد اهتمت مصر باحتكاره، وجعلت له ديوانا خاصا^(١) وكانت هذه المادة توجد بالصحراء الغربية ببلاد النوبة، وعلى الاخص غربى المقس الاعلى الشلال الثانى «على بعد ثلاثة ايام منه»^(٢). وكان يجلب الى القاهرة الاف القناطير سنويا، ويتراوح سعر القنطار ما بين أربعة وستة ونصف دينار بينما كانت نفقات الاستخراج للقنطار تبلغ ثلاثين درهما^(٣).

ظل انتاج النوبة من الشب على غزارته طوال العصر المملوكى، وكان يصدر منه الكثير إلى مختلف البلدان خاصة إلى أوروبا، حيث زاد الاقبال عليه فى ذلك العصر، لاستخدامه فى الدباغة والرسم والتذهيب، وفى أغراض طبية. وكان يأتي به العربان من معادنه الى أخميم وأسيوط والبهنسا بصعيد مصر ومنها يحمل عن طريق النيل إلى الاسكندرية حيث كانت مستودعاته الكبيرة التى يخزن فيها^(٤)، وبذلك قامت مصر بدور الوسيط بين بلاد النوبة وأوروبا فى هذه التجارة الرائجة فى العصر المملوكى.

العاج .. يعتبر من السلع الرئيسية التى كانت ترد من السودان وأدى النيل الى مصر عبر اسوان، فكانت القوافل تأتى محملة بسن الفيل من دارفور^(٥). وقد استخدم

(١) المقرئى: الخطط، ج١، ص ١٠٩ .

(٢) المصدر نفسه، والجزء، ص ٢٣٦ .

(٣) المصدر نفسه، والجزء، ص ١٠٩، ٢٣٦، شوقى عبد القوى حبيب: العلاقات التجارية، ص ١٣٣، ويلاحظ أنه فى عهد الدولة الايوبية قد احتكرته. انظر ابن مماتى: قوانين الدواوين، تحقيق عزيز سوريال، القاهرة ١٩٤٣، ص ٣٢٨، ٣٢٩ .

(٤) انظر : المقرئى: الخطط، ج١، ص ١٠٩، ويتدرج الشب فى انواعه من النوع الممتاز الذى يشبه الثلج فى لونه وان شابهت احيانا بعض الالوان الباهتة كالاخضر والاحمر والاصفر. أما شب الدرجة الثانية فيختلط به بعض الصخور، والتوع الثالث هو شب الحفر الذى بعد تنقيته يصير شبه بلورات صافية ويوجد فى شمال افريقية وهو نوع غير نقى مختلط به بعض الصغور بنسبة ٢-٥، وفى بعض الاغراض الطبية يستخدمون نوعا من الشب السكرى وهو نقى مصهور مع ماء الورد وبياض البيض وكثير ذكره فى سجلات العصور الوسطى. ويستخدم فى تثبيت الألوان والصبغات على الثياب. انظر: نعيم زكى فهمى: طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب اواخر العصور الوسطى، الهيئة المصرية ١٩٧٣، ص ٣٣٨، C.F.: Heyd, W., histoire du Commerce du Levant au Moyen Age, T. II, pp. 568-569.

(٥) رحلات بوركهارت، ص ٢٤٢، ٢٤٣، C.F.: J. Cuoq: Op. Cit. p. II, 12.

الممالك العاج الوارد من الحبشة والنوبة فى التطعيم والترصيع وخاصة فى حشوات المنابر فى المساجد، وصنع قطع الاثاث الفاخر، والتحف النادرة بزخارفها النباتية والهندسية الرائعة^(١).

الابنوس .. استخدم بمهارة فائقة فى النقش على الخشب فى عصر دولة سلاطين الممالك، اذ برع النجارون فى صناعة التحف الدقيقة، مثل المنابر والدكك والكراسى والصناديق مطعمة ومرصعة بقطع صغيرة من الابنوس، كما كانت بعض مقابض المدى تصنع من الابنوس^(٢).

قرن الخريت .. من السلع الهامة والغالية الثمن، والتي ساهمت فى تجارة النوبة بنصيب وافر، واشتدت الحاجة اليه فى القاهرة المملوكية حيث كان يصنع منه مقابض السيوف والخناجر^(٣).

الصمغ العربى .. عرفت بلاد النوبة بكثرة أشجار السنط وهى مصدر انتاج الصمغ الذى كان من السلع الهامة، حيث يستخدم فى صناعة بعض العقاقير الطبية الهامة، إلى جانب اضافته مع مواد الصباغة لتثبيت الألوان وقد نشطت تجارته بشكل ملحوظ حتى أصبح من أهم وسائل الاتصال التجارى بين بلاد النوبة ومصر من جانب، وبين النوبة والجزيرة العربية من جانب آخر^(٤).

وقد احتلت بلاد النوبة المكانة الأولى فى انتاج الصمغ وتصديره إلى مصر وإلى جميع انحاء العالم، ويقال ان متوسط الوارد من الصمغ إلى مصر سنوياً، ستون

(١) ومن مصادره أيضاً اثيوبيا التى فاق عاجها الهند فهو أطول وأثقل منه فضلاً عن وفرته، ويبدو ان العاج كان يجلب بكميات ضخمة فى العصور الوسطى وخاصة من ساحل افريقية الشرقى. أنظر: سعيد عاشور: العصر المملوكى،

ص ٣٨٤، نعيم ذكى: طرق التجارة الدولية، ص ٢٤١، C.F.: Cuoq: Op. Cit., p.11-12.

(٢) أنظر: رحلات بوركهارت: ص ٢٤٢، ٢٤٣، سعيد عاشور: العصر المملوكى، ص ٣٨٤، ويلاحظ أن مصر كان يرسل إليها ثلاثين قنطاراً من العاج سنوياً زمن الناصر محمد. أنظر: النويرى: نهاية الأرب، ص ٧٥-٨٠، المقرئى: السلوك، ج ٢، ص ١٦٢. انظر شكل دق ١٠/١٢.

(٣) اطلق فى السودان على حيوان الخريت اسم أم قرن رحلات بوركهارت، ص ٢٤٢، ٢٤٣.

(٤) رحلات بوركهارت، ص ١٧، ٢٢٧، مصطفى مسعد: الاسلام والنوبة، ص ١٠٧، C.F.: MaCMichael: A، history of the arabs in the Sudan, Vol. I, pp.3, 4. وأنظر أيضاً: فيرفسون: مشروع الجزيرة، ترجمة

محمد حسن محمود، يعقوب الصائغ، القاهرة بدون، ص ١١٥.

ألف قنطار^(١)، وربما انفردت النوبة بهذه السلعة، وأجود أنواعه وأغلاه يأتي من اقليم كردفان لبياضه الناصع وحبيباته الصغيرة^(٢).

وكانت لهذه التجارة مراكز اساسية على النيل النوبى حيث استقر وكلاء تجاريون يستقبلون القوافل التي ترد من مصادر الانتاج الرئيسية، وكانت مدينة اسوان هى المركز الرئيسى لجمع هذا الصمغ حيث عرف أهلها بالتخصص فى تجارته، ومنهم متخصصون فى تصديره لمختلف الدول^(٣).

المسك.. وكانت النوبة موردا هاما لمادة المسك الذى يستخرج من حيوان يطلق عليه فأرة المسك ويعيش فى الجهات المدارية على نبات السنبل البرى الذى ينمو بكثرة على التلال والهضاب، وتروج تجارة المسك زمن الحج لما له من رائحة عطرة^(٤).

ريش النعام.. وهو كثير الانتشار فى أرجاء النوبة، وأعلى أنواعه ما يجلب من كردفان ودارفور، وكانت القوافل تحمله إلى مصر عبر طريق التجارة^(٥)، وخاصة طريق درب الأربعين^(٦).

التمر هندى .. عرف العرييب فى مصر بالتمر هندى لان بعضه كان يجلب من جزر الهند الشرقية، غير أن الصنف الذى كان يرد من النوبة يفوقه فى الجودة، ويزرع بكثرة فى دارفور وكردفان، وتحمله القوافل المصرية ضمن رحلاتها التجارية فى شكل أقراص صغيرة معدة ومجففة^(٧).

اللبان.. وهو نوع من الصمغ يجمعه البدو ساكنوا الصحارى فى السودان وادى النيل، ويدخل ضمن صادراته إلى مصر^(٨).

(١) على مبارك: الخطط التوفيقية، ج٨، ص ٦٧ .

(٢) رحلات بوركهارت، ص ٢٢٧، الحويرى: أسوان، ص ١٢٧، مصطفى مسعد: الاسلام والنوبة، ص ١٠٧ حاشية رقم (٢)، MacMichael: op. cit., vol. I, pp.3,4.

(3) C. MacMichael: op. cit., vol. I, pp. 3,4.

(٤) سليمان عطية سليمان، سياسة الممالك فى البحر الأحمر، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة ١٩٥٩م، ص ٣٠، نعيم زكى: طرق التجارة، ص ٢٣٠، ٢٣١ .

(٥) رحلات بوركهارت، ص ٢١٨ .

(٦) أنظر: كتاب الطبقات، حاشية (١٠) ص ٢٤٥ .

(٧) رحلات بوركهارت، ص ٢٢٦ .

(٨) رحلات بوركهارت، ص ٢٢٧ .

الحيوانات

وقد سبق أن أشرنا إليها من قبل او خاصة أن أهل النوبة عرفوا بأنهم «أصحاب نجب وإبل وبقر وغنم»^(١)، ونود أن نشير هنا أن اسواق القاهرة والفسطاط كان يجمع منها مك، سا على الاغنام المجلوبة من بلاد النوبة، بلغت ثلاثة آلاف وثلاثمائة واحد عشر دينارا سنويا، هذا بخلاف مكس الصوف الذى بلغ مائتى دينار^(٢). فهذا يوضح إلى أى مدى بلغ حجم التعامل التجارى بين مصر والنوبة طوال فترة العصور الوسطى.

(١) المسعودى: مروج الذهب ، ج١ ، ص ١٦٨ ، وانظر المقرئى، الخطط، ج١ ، ص ١٩٤ .

(٢) ظلت بلاد النوبة الى عصر قريب تشتهر بكثرة الاغنام فيشير بوركهارت الذى زار بلاد النوبة الى ان النوبيين كانوا يدفعون قيمة الضرائب عن السواقى اغناما كما كانوا يدفعون دية من يقتل لديهم أغناما ايضا وجمالا أو زيقارا مما يدل على كثرة الحيوانات بتلك البلاد.

انظر: بوركهارت ، ص ١٢٠ ، المقرئى: الخطط، ج١ ، ص ١٠٣ .

التجارة الكارمية:

تنتسب تجارة الكارم إلى الكارمية وهم كما حدثتنا عنهم وثائق الجنيزة^(١)، فئة من كبار التجار اشتغلوا باحتكار تجارة الهند والشرق الأقصى في التوابل وما إليها من السلع الأخرى، وكان مركز نشاطهم الأول في المحيط الهندي^(٢).

وقد أهتم المماليك بالتجارة الكارمية، فقد لاحظ ابن واصل المعاصر للظاهر بيبرس - «أن هؤلاء الكارمية أحجموا عن الابحار من اليمن إلى عيذاب، حتى قضى بيبرس على ثورة القبائل العربية، وعندما وصلت سفنهم، وأفرغت بضائعها لتحملها قوافل الجمال إلى قوض آمن بيبرس قوافلهم حتى أنهم لم يفقدوا مقود بعير^(٣)».

وكان موقف الحكومات المصرية المتعاقبة في عهد المماليك من طائفة الكارمية هو العمل على استقرار السياسة التجارية المصرية، واستمرار تقاليدتها التي

(١) وثائق الجنيزة هي وثائق خطية كثيرة وجدت في منطقة مصر القديمة، وعرفت لعلماء الغرب في القرن التاسع عشر، ووزعت على مكتبات أوروبا وأمريكا، وكانت هذه الوثائق محفوظة قبل اكتشافها في حجرة خصصت للأوراق المهملة في معبد الفسطاط اليهودي ووجد بعض آخر من هذه الوثائق في جبانة البساتين القريبة من المعبد واطلق على المجموعتين اسم وثائق جنيزة القاهرة ويرجع تاريخ معظم هذه الوثائق التي تتكون في غالبيتها من خطابات متبادلة بين اليهود وذويهم إلى الفترة ما بين القرنين الرابع والسابع الهجريين، وقليل منها يرجع إلى فترة متقدمة من القرن الرابع الهجري. ويقدر عدد الأوراق التي كانت في هذه الجنيزة بما يزيد عن الربع مليون ورقة معظمها قطع من كتب عبرية، وقد كتبت غالبية هذه الأوراق باللغة العربية بالحروف العبرية وهي تعكس لنا الحالة الاجتماعية والاقتصادية لبلدان البحر المتوسط والشرق في تلك الفترة؟ وقد نشر بعض هذه الوثائق ولكن بعضها الآخر لم ينشر حتى الآن وقد وضع المستشرق جوايتين Goitein مفتاحاً لوثائق الجنيزة في كتابه:

A tentative bibliography of Geniza Documents, Paris, 1964, Goitein: New lights on the beginning of the Karim Merchants, Tesho, V. I, 1958, p. 173.

(2) Goitein: From the Mediterranean to India, Documents on the Trade to India, South Arabia Speculum, N. XXIX, April 1954, No. 2, Part 1p. 120.

ويلاحظ أن سفن الكارم تتردد على أكثر من عشرين ميناء على ساحل الهند الغربي، انظر أيضاً: الشاطر بصيلي: الكارمية: مقال بمجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، العدد ١٣ لسنة ١٩٦٧، ص ٢١٧، عطية القوصي: أضواء جديدة على تجارة الكارم من واقع وثائق الجنيزة، مجلة الجمعية التاريخية، المجلد الثاني والعشرون سنة ١٩٧٥م، ص ١٧، ١٨.

(٣) أنظر: ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة ١٩٥٧م، ج٢، ص ٣١، ٣٢، صبحي لبيب: سياسة مصر التجارية في عصر الأيوبيين والمماليك، مجلة الجمعية التاريخية المجلدان الثامن والعشرون والتاسع والعشرون ١٩٨١، ١٩٨٢ ص ١٣٨.

تهدف الى المحافظة على مكانتهم من ناحية، ومن ناحية أخرى تدل على نجاح هؤلاء الكارمية وتوفيقهم فى مهمتهم الاقتصادية فى البحر الأحمر ومصر حتى أصبحوا فى «عدة وافرة»^(١). كما أصبح عددهم كبيراً جداً^(٢).

وكدليل على هيمنة مصر ونظرتها إلى الجنوب بشكل جديد أن^(٣) أرسل الظاهر بيبرس فى سنة ٦٦٠هـ/١٢٦٢م إلى ولاته فى قوص وعيذاب يوصيهم بالتجار الوافدين والمحافظة على مصالحهم^(٤).

ويضيف ابن واصل قوله أنهم «كانوا قد سافروا الى اليمن وعزموا على الإقامة وترك السفر»^(٥)، إلى مصر ثم رجعوا عن رأيهم بل وسافروا إلى عيذاب فى غير أوان

(١) أنظر: المقرئى: السلوك، نشر زيادة، القاهرة ١٩٧١م، ج١، ق١، ص ١٠٣، توفيق اسكندر: نظام المقايضة فى تجارة مصر الخارجية فى العصر الوسيط، المجلة التاريخية المصرية، العدد السادس سنة ١٩٥٧م، ص ٢٨، ٢٩، صبحى لبیب: التجارة الكارمية وتجارة مصر فى العصور الوسطى، مجلة الجمعية المصرية التاريخية، المجلد الرابع عشر ١٩٦٨م، ص ١٦، ١٧.

(٢) أبى حجر: الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة، ط حيدر آباد سنة ١٣٤٨، ج ٣، ص ٢٥٨.

(٣) الواقع ان البحر الأحمر لم يحظ فى تاريخه الطويل خلال القرون الوسطى من النشاط التجارى بمثل ما حظى به على يد هؤلاء التجار الكارمية، ولكن هذا الكفاح التجارى قد مر بفترة حرجة دقيقة هى فترة انتقال الملك من دولة الايوبيين إلى ممالكهم فى مصر. فلقد سجلت سنة ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م أكبر أزمة لسياسة مصر التجارية فى البحر الأحمر، ولمكانة الكارمية فى التجارة العالمية، وذلك نتيجة للظروف الدقيقة التى مرت بها مصر فى نهاية العصر الايوبى وبداية العصر المملوكى. فانتج الصليبيين إلى غزو مصر، وانفاذ حملة القديس لويس إلى أرضها، يليها غارة المغول على الامبراطورية المصرية فى حملة هولاكو، وثورة العرب فى داخل مصر التى اشرنا إليها من قبل، وكذلك التجاء المظفر قطز إلى العسف وارهاق العامة بطبقاتهم من مختلف الحرف والصناعات بما جمع منهم من مال بلغ أحيانا ثلث ثرواتهم كل ذلك كان لابد أن يفرض على التجارة المصرية مخاطرة، ولذلك كان طبيعياً أن يفكر الكارمية فى أمرهم ومستقبلهم فى هذه الظروف الجديدة ورأوا أن المحافظة على مصالحهم تقضى بعدم السفر الى مصر محتفظين بمراكزهم التجارية الكبرى فى اليمن والبحر الأحمر فحسب. وجلى ان الموقف التجارى كان فى حاجة إلى رجل فى حزم الظاهر بيبرس وثاقب رأيه لكى يدعم الأسس التى قامت عليها سياسة مصر تجاه الكارمية من توفير العدل والأمن اللازمين لبقائهم وتفوقهم. وقد أفصح فى اقرار الأمن والثقة ونشر العدالة فى امبراطوريته وسرعان ما وصلت إلى الكارمية وغيرهم من التجار فى البحر الأحمر اخبار عدل السلطان الجديد وانصافه وحسن سمعته، فتوافدوا على مصر أفواجا بعد أفواج، لقد وقفوا موقفهم السلبى الى ان وضحت لهم خطة الظاهر بيبرس الذى لم يكتف باقرار الأمن والعدل فى ربوع مصر وابطال ما فرضه المظفر قطز من مكس.

أنظر: المقرئى: السلوك، ج١، ق٢، ص ٤٣٧-٤٣٨، صبحى لبیب: مرجع سابق، ص ١٦، ١٧.

(٤) أبى واصل: مفرج الكروب، ج٢، ص ٣١-٣٢.

(٥) ابن واصل: مفرج الكروب، ج٢، ص ٣١، ٣٢.

السفر. وقاموا سنة ٦٦٠هـ/١٢٦٢م، برحلتين تجاريتين بدلا من واحدة- كما كانت العادة - «وهذا مالا يسمع بمثله»^(١)، ولم يتعرض أحد لشئ من أموالهم «ولا عقال بغير»^(٢)، إلا بالحق.

ولم تكن تلك المواقف الحاسمة التي وقفها الظاهر بيبرس إلا دعما واستمرارا للتقاليد التجارية الايوبية التي استخلف عليها المماليك حين استخلفوا على حكم مصر. ولم يكن امتداد نفوذ مصر التجارى فى المحيط الهندى وتنميته على يد هؤلاء الكارمية إلا تطورا طبيعيا لاستقراره فى البحر الاحمر والكفاح التجارى الناجح الذى حققته طائفتهم^(٣).

واستقرار السلم والامن بين ربوع البحر الأحمر وموانيه كان له أجل أثر فى انتظام التجارة فيه، ولكن تجار البحر الأحمر - شأن غيرهم كانوا يواجهون خطر القراصنة الذين يسيئون إلى الحياة التجارية فيه اساءة بالغة. ان الشوانى^(٤) المصرية المسلحة كانت تحمى سفن الكارمية فى البحر الأحمر من غارات القراصنة، وتعمل على تطهيره منهم منذ عهد الدولة الفاطمية. كما وصلت سفن مصر إلى اليمن حاملة الجند والعتاد لاقرار الحكم الايوبى فيها. وما ان تم ذلك الاسطول مهمته حتى إتجهت الحكومة إلى الاستفادة منه فى حراسة السفن التجارية بالبحر الأحمر من سطوة السراق^(٥). وليس بخفى اثر ذلك فى

(١) المصدر نفسه، والجزء، والصفحة، صبحى لبيب: التجارة الكارمية ص ١٧ .

(٢) ابن واصل: نفس المصدر، والجزء والصفحة، وجدير بالملاحظة أن اهمية عذاب أخذت فى الانحدار بعد سنة ٦٦٠هـ، وبدأ ميناء الطور من السويس يحتلان محلها، وأخذت القوافل الكارمية البحرية تتجه من عدن إلى الطور أو السويس ثم تنقل قوافلهم البرية حمولات تلك السفن عبر طور سيناء والشرقية الى القاهرة ومنها بالنيل أو بالبر إلى الاسكندرية ودمياط. أنظر: ليو الافريقى: وصف افريقيا، ص ص ٥٥٨، ٥٥٩، صبحى لبيب: مرجع سابق، حاشية (٤) ص ١٧، وأيضا: نفسه : سياسة مصر التجارية، ص ص ١٣٨، ١٣٩ .

(3) C.F.: Perotafur: Travels and adventures 143-1439, London 1920, pp. 84-86;

صبحى لبيب: التجارة الكارمية، ص ١٨، أنظر عذاب على الخريطة شكل رقم (١) .

(٤) الشوانى: جمع شينى وهو أكبر أنواع السفن الحربية فى ذلك الوقت وله مائة واربعون مجدافا. أنظر سعيد عاشور: العصر المماليكى، ص ٤٣٠، قاسم عبده قاسم، النيل والمجتمع المصرى، فى عصر سلاطين المماليك، ط الأولى دار المعارف، ص ٨٩ .

(٥) أنظر: ابن المجاور: تاريخ ابن المجاور أو كتاب المستبصر، مخطوط بدار الكتب، رقم ٢١٧٧ تاريخ، ج٢، ص ١١٦ .

تأمين الأرواح والأموال وتوسيع الصلات البحرية التجارية بين مراكز جلب التجارة فى الشرق ومراكز تصريفها فى مصر^(١).

وكما توفر الأمن فى البحر الأحمر وتوفر فى الطريق بين موانى مصر على ذلك البحر وبين النيل وواديه، ويقدم ابن جبير صورة طيبة عن أمن الطريق بين عيذاب وقوص- وهى أشق مراحل الطريق بين مصر وارض النوبة عبر البحر الأحمر - بقوله «أن احمال التجار من القرفة والفلفل وغيرها من التوابل تترك ملقاة بها، والقوافل صاعدة وهابطة لا يتعرض لها أحد الى أن يأخذها صاحبها»^(٢).

ولقد كان للكارمية محطاتهم التجارية الكبرى فى عدن وتعز وزبيد^(٣). وفى مرافقه شيدوا فنادقهم^(٤).

ومن عيذاب والطور تبدأ رحلات قوافلهم بين بلاد النوبة وقوص والقاهرة والاسكندرية ودمياط. كما كان موسم الحج فرصة لتجمع أفواج الحجاج والتجار من بلدان الاسلام، حيث تعقد الصفقات التجارية الكبيرة؛ ومما يدل على ذلك أن السلطان المملوكى الأشرف «الغى جميع المكوس المفروضة على المتاجر التى يحملها الحجاج إلى مكة، ولكنه استثنى منهم تجار الكارم وتجار الهند وتجار العراق»^(٥).

وقد ذكر ابن سعيد الذى عاش فى القرن السابع الهجرى/ الثالث عشر الميلادى، أن سواكن كان لها نشاطها التجارى المرموق، وأن ملكها من البجة المسلمين، وأن له ضرائب على مراكب الكارمية المارة بين الحجاز واليمن وعيذاب^(٦).

(١) انظر المقرئى: الخطط، ج١، ص ٢٠٤

(٢) رحلة ابن جبير، ص ٤٣-٤٤، راجع أيضا خطط المقرئى، ج١، ص ٢٠٤، صبحى لبيب: التجارة الكارمية، ص ١٩، نفس المؤلف: سياسة مصر التجارية ص ١٣٩، توفيق اسكندر، مرجع سابق، ص ٣٠، ٣١ انظر الخريطة شكل رقم (٥).

(٣) بامخرمة: تاريخ ثغر عدم، ليدن ١٩٣٦، ج١، ص ٥٤، ٦٨، ج٢، ص ١٣٨، الجندى: السلوك فى طبقات العلماء والملوك، مخطوط بدار الكتب، ٩٩٦ تاريخ، ج٢، ص ٣١٧، تاريخ ابن المجاور، ج١، ص ١٠٩، المقرئى: السلوك، ج٢، ص ٩٣٠.

(٤) تاريخ ابن المجاور، ج٢، ص ١٩٢.

(٥) الفاسى: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، نشر ليبزج ١٨٥٩م، ص ٢٨٥، صبحى لبيب: التجارة الكارمية، ص ١٩.

(6) C.F. Y. Kamal, (Ed): Monumenta Cartographica Africa et Aegyptie Tome, IV, Fax 1, p. 108.

وفضلا عن رعاية مصر لشئون الكارمية وخاصة في موانئ البحر الاحمر وبلادها المختلفة، عملت على نشر العدل في ربوعه حتى تحفظ لكل كارمى حياته ومصالحه، وطالما حسم سلاطين مصر مشاكل الكارمية والتخلص مما يقابلهم من عراقيل لا يسهل عليهم دفعها. وطالما عرضت على دار العدل بالقاهرة مشاكل التجار الكبرى في الدولة المصرية. ومن أهم قضايا الكارمية التي عولجت في دار العدل شكاوهم التي تقدموا بها سنة ٦٢٢هـ / ١٢٦٣م في حق صاحب سواكن وصاحب دهلك وخلاصتها أنهما يتعرضان لأموال من يموت من التجار في بلادهم، فأوفد اليهما السلطان الظاهر بيبرس رسولا ينكر عليهما ذلك، بيد أن الانذار وحده لم يكن كافيا لردعهما، ولذلك فقد أرسل تجريده سواكن سنة ٦٦٤هـ / ١٢٦٤م، أعادت الأمور الى نصابها وأخضعت سواكن لحكم مصر^(١)، وظهرت نتيجة ذلك واضحة سنة ٦٦٥هـ / ١٢٦٦م حين استخرج السلطان الزكاة من جميع أنحاء الدولة وكانت سواكن من بينها^(٢). بل لقد وقعت واقعة بين القبائل النازلة في صحراء عيذاب، فكتب المنصور قلاوون سنة ٦٨٠هـ / ١٢٨١م الى صاحب سواكن يأمره بالعمل على التوفيق بينها خوفا على فساد الطريق^(٣).

أما صاحب دهلك فصار يرسل الهدايا الى سلاطين مصر توطيدا للمودة وردا لعادية الدولة الرسولية باليمن^(٤).

وقد تتبعنا من قبل جهود الممالك في سبيل المحافظة على مكانتهم التجارية وعلى نمو مشروعات الكارمى التجارية، فقد ارسلت حملة من قبل الناصر محمد لتطهير الصحراء الغربية «بادية عيذاب» من شر قطاع الطرق واعتدائهم على التجار المسافرين. وبالفعل سارت الحملة الى عيذاب ثم الى سواكن حيث اذعنوا الى سلطان مصر، وقرر أن يحمل الى الأبواب السلطانية ثمانين رأسا من الرقيق وثلاثمائة جمل وثلاثين قنطارا من العاج سنويا^(٥).

(١) المقرئى: السلوك، ج١، ص ٥٥٠.

(٢) المقرئى: السلوك، ج١، ص ٥٥٨، صبحى لبيب: التجارة الكارمية، ص ٢١، بشير ابراهيم بشير: عيذاب، ص ٥٩.

(٣) المقرئى: السلوك، ج١، ص ٧٠٠، والخطط، ج٢، ص ٢٠٦، ٢٠٨.

(٤) انظر مادة دهلك Dahlak في دائرة المعارف الاسلامية وانظر ايضا: ابن حجر: ابناء الغمر، ج١، ص ٣٥١،

تاريخ ابن الفرات ج١، ص ٣٤٢، القلقشندي: صبح الاعشى، ج٥، ص ٣٣٦.

(٥) النويرى نهاية الأرب، رقم ٥٩٢ معارف عامة، ج٤، ص ٧٥-٨٠، المقرئى: السلوك، ج٢، ص ١٦٢، صبحى

لبيب: الكارمية، ص ٢٢.

كذلك كانت الحكومة المصرية تفرض رسوما على التوابل التى تمر بالحجاز غير الرسوم التى كانت تجبىها اثناء مرورها بمصر، فكانت هناك رسوم تجبى فى بدر وأخرى فى حنين وبويب العقبة وجسر الحساء، وهم أهم مراكز التجارة الكارمية. وحينما تصل هذه التوابل الى موانى عيذاب والقصير كانت الحكومة تحصل عليها مكوسا أخرى^(١).

وقد اسلفنا القول أن ازدهار عيذاب كان وليد اهتمام حكام مصر الاسلامية بالحركة التجارية فى البحر الأحمر وثمره من ثمراته، فكان أن كفلوا لها الرعاية والحماية، ووفروا لها الادارة القادرة، فكان من شروط اختيار قاضى عيذاب مدى قدرة المرشح على القيام بأمر الحجاج والتجار^(٢).

مما يدل على اشتغال القاضى بأمر التجار ومصالحهم، ذكرها التاجر الكارمى احمد بن عبد الوهاب الاسنائى حينما سأله قاضى قوص عن قاضى عيذاب فقال : «قلمه لا يجف، وعلامته الحمد لله، وبه أسف، ولا يخفى أن عبارة «قلمه لا يجف، كناية عن كثرة مشاغله وتعددتها، ولعل مراد ذلك الى اشتغاله بأمر التجار لان الحج نشاط موسمى، كما ان عيذاب وقلة سكانها لا تتأثر بالكثير من وقت القاضى^(٣).

والى جانب القاضى اتخذ حكام مصر الاسلامية عدة أعمال اختفى كل منهم بهم من شئون التجار الكارمية، «فمنهم متولى شهادة الكارم، وكان يقوم بالشهادة عنهم فى مجلس القاضى. وممن تقلد هذا المنصب الفقيه الشافعى شمس الدين على بن محمد بن أبى بكر الانصارى المتوفى عام ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م، وكان قد سمع الحديث عن مشائخ منهم: الدمياطى، وابن دقيق العيد، قال عنه الحافظ ابن حجر: وشارك فى الفضائل، واختص الروضة وولى مدرسة ابن السديد، ونسخ بخطه كثيرا

(١) أنظر : ابن شاهين: زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، باريس ١٨٩٤، ص ١٠٨ وما بعدها ، انظر الخريطة : شكل رقم (١١).

(٢) انظر ما سبق ذكره سالفاء، ص. C.f. Subhi Labib: op. Cit., pp. 68-71.; Goitein: op. cit., pp. 356, 359.

(٣) الأدفوى: الطالع السعيد، ص ٤٦ .

من الفقه واللغة والتصوف وكان له نظم حسن^(١).

وقد ذكر المفضل بن أبي الفضائل عاملاً آخر. كان مشرفاً على ما يرد من التجار ومن تولاه رجل يعرف بأبي جلى قتله الملك داود عند إغارته على الثغر^(٢). كما أن صاحب زكاة عيذاب كان مسئولاً عن جمع الزكاة من تجار الكارم، حيث نصت قوانين الدولة على أن تؤخذ منهم زكاة سنوية في كل بلدة يتاجرون فيها^(٣).

وقد كان لتجار الكارم أنفسهم مؤسسات خاصة بهم، فقد أقاموا فنادق للكارم على طول الطريق الممتدة من المحيط الهندي إلى البحر المتوسط^(٤)، بل وكان لهم عدد من العمال وكلاء وغيرهم مقيمون بصفة دائمة بالثغر^(٥). وكانوا ينفقون أموالاً طائلة على تشييد المنشآت الخيرية والدينية من مدارس وخانات^(٦).

(١) فمته فيمن على أنفه خال:

ان الذى يرا الحواجب صاغها نوتين فى وجه الحبيب بلطفه

ففتنازع النونان نقطة حسنة فأقرها ملك الجمال بأنفه

أنظر: ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة مجلد ٢، ج٣، ص ٩٩-١٠٠ .

(٢) المفضل بن أبي الفضائل، ج٢، ص ٢٢١ .

(3) C.F. Labib: op. cit., p.74;

بشير ابراهيم بشير: عيذاب، ص ٧٠، ٧١ .

(4) C.F. Labib: op. cit., p. 73.

(5) C.F. Goitein: op. cit., p. 357.

(٦) الادفوى: الطالع السعيد، ص ٤٠٩ هذا ويلاحظ انهم شاركوا مع غيرهم من التجار فى النشاط الادبى والفكرى، فقد كان كثير من التجار له باع طويل فى الفقه والأدب، ومن أمثلة ذلك ما أورده المقرئ فى نفح الطيب. انظر: أحمد بن محمد المقرئ التلمسانى: نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، تحقيق، محمد محى الدين عبد الحميد، القاهرة ١٩٤٩، ج٣، ص ٣٣٩-٣٤٠ .

الاتصال التجارى بين عيذاب ومقرة وعلوة

كانت عيذاب على اتصال تجارى وثيق بمملكتى المقررة وعلوة، فقد ذكر اليعقوبى نحو نهاية القرن التاسع ان العاج كان إحدى السلع التى تشحن من ميناء عيذاب، إلى جانب التبر، وأن هناك طريقا للقوافل بين وادى العلاقى وعلوة^(١)، كما ذكر ابن عبد الظاهر فى تشريف الأيام أن رسل آدر صاحب مملكة الأبواب، قد ساروا الى القاهرة عن طريق عيذاب لعداء بين ملك دنقلا وصاحب الأبواب^(٢). كما أن ابن جبير وابن بطوطة أكدا أن العنصر السائد بعيذاب هو العنصر المحلى من بجة ونوبة^(٣)، وقد أشار ابن جبير إلى النوبة بلفظة حبشى، بل ان بعض عمال الثغر آنذاك ربما تم اختيارهم من العناصر المحلية، فقد ذكر المقرئى فى النصف الأول من القرن الخامس عشر الميلادى أنه التقى بقاضى عيذاب بالقاهرة وكان أسود اللون^(٤).

ويجب ألا ننسى أن سقوط مملكة مقرة على أيدي المماليك فى الشطر الأول من القرن الرابع عشر الميلادى^(٥)، وإسلام عدد لا يستهان به من أهلها قد وثق الاتصال التجارى والثقافى بين دنقلا وعيذاب. فقد ذكر ليو الأفريقى ان شطرا من أهل عيذاب فر الى دنقلا بعد أن خربت القوات المملوكية والسواكنية الثغر^(٦). ويغلب على الظن ان الذين فروا إلى دنقلا من أهالى القبائل العربية ومصر الذين كانوا مقيمين بالثغر كتجار ووكلاء، فكان من الطبيعى ان يعودوا الى أوطان تشابه بيئتهم بعد خراب عيذاب.

ومن جانب آخر قفد بادرت قوافل النوبيين وسفنهم بالاتجار مع مدن الحجاز^(٧)، وأسوان^(٨)، وقوص^(٩) وعيذاب.

(١) أنظر: اليعقوبى: البلدان، ص ١٢٣، ١٢٤، أنظر الخريطة بملحق الدراسة شكل رقم (١).

(٢) ابن عبد الظاهر: تشريف الايام، ورقة ٢٩٠ب، ١٢٩٣ أ .

(٣) انظر: ابن جبير: رحلته، ص ٤٥، ٤٨، ابن بطوطة: رحلته ص ٥٣ .

(٤) أنظر: المقرئى: الخطط، ج١، ص ٢٠٣.

(٥) انظر: ابن أبيك: كنز الدرر، ج١، ص ١٩٩، ابن ابى الفضائل، ص ١٣٦، ابن الفرات، نفس المصدر، ج٧، ص ٤٩.

(٦) ليو الأفريقى: وصف أفريقيا، ص ٥٥٨، ٥٥٩ .

(٧) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٦١ .

(٨) المسعودى: مروج الذهب، ج١، ص ٢٦ .

(٩) ابن جبير: رحلته، ص ٤٣، الادفوى: الطالع السعيد، ص ٨، ابن دقماق: الانتصار، ج٢، ص ٢٨ .

المعاملات التجارية:

تركز التبادل التجارى بين مصر المملوكية والنوبة فى اقليم مريس^(١)، وفى ظل السيادة المملوكية تطور التعامل التجارى فى تلك المنطقة، حيث كان يتم التبادل التجارى بين الطرفين بنظام الدفع المباشر: وكانت التعامل بالدينار المصرى شائعاً، هذا إلى جانب نظام المقايضة وهو النظام السائد من قبل^(٢).

وقد ظلت المعاملة بالمقايضة فى بلاد النوبة حتى القرن الماضى، اذ عندما زارها الرحالة بوركهارت عام ١٢٢٩هـ/١٨١٣م وشاهد التجار المصريين يقايضون بضاعتهم من التوابل والدمور والمحلب والقرنفل واللبان، بمحصولات بلاد النوبة مثل السمن والاغنام واللبن والذرة وغير ذلك من منتجات النوبة^(٣).

وهناك اشارات كثيرة عن النشاط التجارى فى تلك المنطقة، فقد اشار الرحالة ناصر خسرو، حين مر بأسوان فى طريقه إلى عيذاب عام ٤٤٢هـ/١٠٥٠م إلى أنواع التعامل التجارى بين المصريين والنوبيين، فقد كان المسلمون يتوجهون إلى النوبة حاملين معهم منتجات مصر من المواد الغذائية والثياب والخزف وغير ذلك، ويعودون بمنتجات النوبة من رقيق وماشية وريش النعام والعاج^(٤) كما شاهد ناصر خسرو انتشار التعامل التجارى بالدينار والدراهم العربيين الى جانب المقايضة فى اقليم مريس، وقد استأجر وهو فى طريقه الى عيذاب عبر صحرائها جملاً بدينار ونصف دينار، مما يؤكد انتشار العملة المصرية فى السودان وادى النيل، وهو ما أكدته الوثيقة الخاصة بعقد الزواج الكنزى فى العصر المملوكى والتي جاء فيها ذكر الدينار^(٥).

(١) المقرئى: الخطط، ج١، ص ١٩٠ .

(٢) نفس المصدر والجزء والصفحة، ويشير المقدسى ان التعامل مع النوبيين كان يتم احياناً بالمقايضة بالثياب. أنظر

احسن التقاسيم، ط ليدن، ١٩٦٧، ص ٢٤٢ .

(٣) أنظر رحلات بوركهارت، ص ١٩٠ .

(٤) ناصر خسرو: سفرنامه، ص ٧١، يوسف فضل: المعالم الرئيسية، ص ١١٤ .

(٥) ناصر خسرو: سفرنامه، ص ٧١، ٧٢، أنظر عقد الزواج، بمخازن متحف الفن الاسلامى بالقاهرة رقم

(٤٢٢٢)، انظر ملحق الدراسة شكل رقم (١) عن العملات المصرية ومدلولاتها، انظر: النيفاشى: ازهار الافكار فى

جواهر الاحجار، ص ٢٣١-٢٤١ .

طرق القوافل:

قامت سياسة مصر المملوكية على أساس المحافظة على الطرق التجارية بين مصر وبلاد النوبة^(١)، وكانت هذه الطرق أو معظمها تلتقى بثغر أسوان أهم أبواب مصر الجنوبية^(٢)، وفى نفس الوقت أهم أبواب النوبة الشمالية^(٣) ولذا فهى ملتقى طرق القوافل التجارية المارة بين مصر وبلاد النوبة برا ونهرا^(٤).

وطرق القوافل التجارية التى تربط مصر والنوبة عند أسوان ثلاثة:

الطريق الأول وهو الطريق النيلى التى تسير فيه القوافل بحذاء النيل، والطريق الثانى كانت تخترقه القوافل عبر الصحراء الشرقية وفيها فيها الشاسعة، والطريق الثالث كانت تجوبه القوافل فى الصحراء الغربية ويسمى درب الأربعين^(٥).

طريق نهر النيل ..

ظل نهر النيل أهم طرق النقل والمواصلات بين مصر وبلاد النوبة بل يكاد يكون الطريق الرئيسى الذى جاءت عن طريقة كل منتجات النوبة من ذهب وعاج وابنوس وجلود الفهود وريش النعام وغير ذلك من منتجات تلك البلاد الى مصر^(٦). وتسير القوافل التجارية فى الطريق النيلى - بعد مغادرتها أسوان - على الجانب الشرقى من النهر، فتمر على جزيرة فيلة (أنس الوجود) بعد أربعة أميال من أسوان، الى أن تصل قرية ساق الجمل^(٧) من أعمال دابود، ثم اودية السيالة وعبدون

(١) ابن واصل: مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب، ج٢، ص ٣١-٣٢.

(٢) ابن دقماق: الانتصار لواسطة عقد الامصار، ج٢، ص ٣٤-٣٥.

(٣) المقرئى: الخطط، ج١، ص ١٩٠، حسن محمود: نفس المرجع، ص ٢٨٠، ٢٨١، ٣٠٨.

(٤) المقرئى: الخطط، ج١، ص ١٩٧.

(5) Longfield: The Growth of Sudan Communication, Anglo Egyptian Sudan From Within, ed. Hamilton, p. 210,311.

انظر: الخريطة: شكل رقم (٥) بملحق الدراسة.

(٦) النويرى: نهاية الارب، رقم ٥٩٢، ج٤، ص ٧٥-٨٠، السلوك، ج٢، ص ١٦٢، صبحى لبيب، الكارمية، ص ٢٢،

محمد جمال الدين مختار: آثار النوبة ومحاولة انقاذها، حوليات كلية الاداب جامعة عين شمس، ص ٥٨،

الحويرى: أسوان، ص ١٠١، الان مورهد: النيل الازرق، تعريب ابراهيم عباس، بيروت ١٩٦٩م، ص ١٢٤،

(٧) درب الجمل طريق تجارى يسير محازيا للنيل ويربط الحلفاوية يشندى وقرى سنار.. C.F.: Crawford: op.

Cit., p. 68-69.

ودهميت^(١). ومنها تواصل القوافل سيرها إلى قرتاس، ثم نجع الجامع، ثم تيفة ثم قرية دار موسى ثم وادي كلابشة وهو أكبر الوديان التي تمر بها الجمال منذ قيامها من أسوان^(٢).

ومن وادي كلابشة تواصل القوافل سيرها إلى قرية الشقيق ووادي هور، وتمر على قرية دندور، ووادي أبيض، وقرى ماريا (مريم) قرشة وكشتمنة، وقرية كوبان التي تقع تجاه معبد الدكة على الضفة الغربية للنيل، إلى أن تصل إلى العلاقي^(٣). ومن العلاقي تستمر القوافل في سيرها مارة باودية المحرقة والسيالة ونعمة والنصرلاب والمضيق والسبوع والعرب وسنقاري إلى أن تصل كروسكو^(٤). ومن كروسكو إلى قرية بشير نيرقة، ثم ضراب، ثم وادي عسرا، ثم وادي الشباك، ثم وادي بستان ثم قرية توشكي، ومنها إلى قرية أرمننا ثم عقبة فريق حيث يقع أمامها على الضفة الغربية معبد أبي سمبل، ثم قلعة أدا التي تواجهها على الضفة الغربية قرية بلانة، ثم قرى قسطل وادنجان وفرس وسرة غرب ودبيرة واشكيت وديروسة وسقوى إلى أن تصل إلى وادي حلفا^(٥)، وتستمر الرحلة جنوبا إلى سهول دنقلة الفسيحة^(٦).

على أن ذلك الطريق النيلي الذي تسير فيه القوافل التجارية من أسوان حتى دنقلة، محاذية للضفة الشرقية لم يكن سهلا، فالطبيعة الصخرية لبلاد النوبة وعرة، فضلا عن شدة الجفاف، كل ذلك جعل المواصلات البرية بين مصر وسودان وادي النيل شاقة^(٧) وبالرغم مما يكتنف ذلك الطريق من وعرة إلا أنه له محاسن منها أن ذلك الطريق كان آمنا، كذلك كانت القوافل ترد النيل للاستقاء وحمل الماء اللازم للرحلة^(٨).

(١) رحلات بوركهات، ص ٣-٨.

(٢) رحلات بوركهات، ص ٩، ١٠ أنظر الخريطة: بملحق الدراسة شكل رقم (٥)، (١١).

(٣) رحلات بوركهات، ص ١١-١٤، أنظر الخريطة: بملحق الدراسة، شكل رقم (٥)، (١١).

(٤) نفسه، ص ١٥-١٧.

(٥) نفسه: ص ١٧-٣٧.

(٦) نفسه، ص ٣٨-٥٧، أنظر: الخريطة: بملحق الدراسة شكل رقم (٤)، (٥).

(7) C.F. Arkell: A history of the sudan, p. 36.

(٨) على مبارك: الخطط التوفيقية، ج٧، ص ٤١.

أما الطريق النيل على الضفة الغربية فكانت القوافل تشقه بسهولة عن الضفة الشرقية فأرضه رملية سهلة السلوك ويمكن السير فيها بلا خبير لوضوحها^(١).
طريق الصحراء الغربية «درب الأربعين»^(٢).

كانت الصحراء البرية في المكان الأول للمرور والتوغل جنوبا نحو الأرض الواقعة جنوب مصر^(٣). وطريق الصحراء الغربية أحد هذه الطرق البرية، الذي يربط مصر وبلاد النوبة منذ القدم^(٤) وهذا الطريق يبدأ من أسيوط عبر الصحراء الغربية ليسير خلال سلسلة من الواحات في قلب الصحراء الغربية مثل الواحات الداخلة والخارجة، وواحة كركر ثم واحة سليمة ويتر النطرون ومنها إلى الفاشر عاصمة إقليم دارفور^(٥). وهذا الطريق الرئيسي له فروع عديدة مختلفة تصله بالواحات الأخرى المنتشرة بالصحراء الغربية، ويمكن الوصول إليه من عدة مدن مصرية على النيل فكان هناك طريق يصله من مدينة جرجا وآخر من مدينة الأقصر، وثالث من مدينة ارمنت ورابع من مدينة أدفو^(٦)، وخامس من مدينة دراو، وسادس من مدينة أسوان. كما كان هناك طريق آخر يلتقى به من إقليم دنقلة غربا عبر وادي الملك^(٧).

(١) نفس المرجع والجزء والصفحة، الحويرى: أسوان، ص ١٠٣، انظر الخريطة التي تمثل الطرق التجارية بين مصر والنوبة في العصر المملوكى. شكل رقم (١١).

(٢) درب الأربعين: سمي بهذا الاسم لأن القوافل المارة به تستغرق أربعين يوما فيما بين مدينتي أسيوط بمصر والفاشر بإقليم دارفور بالنوبة، وهذا الطريق قديم قدم التاريخ المصري النوبي، طرقه فراغة مصر، وقد لعب هذا الطريق دورا عظيما في العلاقات الاقتصادية بين مصر والنوبة على مر العصور التاريخية أنظر: أحمد فخري: مصر الفرعونية، القاهرة ١٩٦٠، ص ١٥٤.

(٣) الان مورهد: النيل الأزرق، ص ١٢٤، صلاح الدين الشامي: دراسات في النيل، ١٩٦٧م، ص ١٣.
 (٤) أنظر: أحمد فخري: مصر الفرعونية، ص ١٥٤، وأيضا: الواحات البحرية في التاريخ، المجلة التاريخية المصرية ١٩٥١م، ص ١٧٧، مصطفى مسعد: الاسلام والنوبة، ص ١٥.

(٥) C.F. Arkell: A.J.: A history of the Sudan, pp. 42-44. ١٠٣، ص، الحويرى: أسوان، ص ١٠٣، ١٩٦٧م، ص ١٣.
 (٦) أدفو: اسم نوبي يعنى باللغة النوبية الرجل التائم وقد ورد عند المقرئى: الخطط، ج ١ ص ٢٣٧ بأنه كان هناك تمثال حجرى لرجل على هيئة امرأة ملقى على ظهره، وكان هذا التمثال يحمل على ظهره لوح مكتوب باللغة اليونانية، مما يدل على ان التسمية صحيحة، انظر: الخريطة: بملحق الدراسة، شكل رقم (٥).

(٧) أحمد فخري: مصر الفرعونية، ص ١٥٤، الحويرى: أسوان، ص ١٠٣، ١٩٦٧م، ص ١٣، C.F.: Arkell: op. Cit., p. ١٠٤، ١٠٣، ص، الحويرى: أسوان، ص ١٠٣، ١٩٦٧م، ص ١٣، MacMichael: Nubian elements in Darfur S.N.R. vol. I, p. 31. انظر الخريطة شكل رقم (١١، ٥) بملحق الدراسة، انظر سرج الجمال المستخدم في الرحلة بملاحق الكتاب ١٠/١٠.

طريق الصحراء الشرقية

هذا الطريق يسير مع النيل على الضفة الشرقية، حتى بلدة كرسكو على بعد ١٩٤ كم جنوبى اسوان على النيل، وهى آخر قرى بنى الكنز، ومن هناك يترك هذا الطريق نهر النيل الذى ينحنى غربا فيسير هذا الطريق البرى على خط عرض ١٦، ٢٢ شمالا، أى ما بين بلدة كرسكو المذكورة ومنطقة الأبواب^(١)، التى تمثل حمد الحالية^(٢)، وهناك يلتقى هذا الطريق بالنيل ثانيا، وذلك تقصيرا للمسافة التى تصبح يومين بدلا من شهر^(٣).

وكان هذا الطريق هو الطريق المعتاد للقبائل العربية المهاجرة من مصر الى الجنوب متوغلين الى أعالي النوبة، كما كان طريقا للتجارة بين شمالى الوادى وجنوبه، وهذا الطريق هو أقصر وأحسن الطرق، رغم خطورته ووعورته، حيث يسير ما يقرب من مائتى كم فى مغارة معطشة بعيدا عن النيل والقرى النوبية المتناثرة عليه^(٤).

الطرق المؤدية إلى أهم الثغور النوبية على البحر الأحمر:

هناك عدة طرق تجارية عبر الصحراء الشرقية تربط الثغور النوبية على البحر الأحمر وأهمها عيذاب، بالمدن التجارية المصرية على النيل.

وقد ظهرت أهمية هذه الطرق جليا مع تحول طريق الحج منذ منتصف القرن الخامس الهجرى، الحادى عشر الميلادى أى منذ أغلق طريق الحج البرى^(٥).

(١) الأبواب تمثل أبى حمد الحالية وسمى بهذا الاسم نتيجة التقاء عدة طرق تجارية بها أنظر Crawford: The Kingdom of Sennar, p. 24. أنظر الخريطة شكل رقم (١).

(٢) مصطفى مسعد: الاسلام والنوبة، ص ١٩٤، ١٦٥، صلاح الشامى: دراسات فى النيل، ص ١٦٦، Hamilton, S.A: op. cit., p. 510.

(٣) المقرئى: المقيى، مخط، ورقة ١٦٥ أ، حسن محمود: الاسلام والثقافة العربية، ج١، ص ٣٠٤.

(٤) محمد عوض: السودان الشمالى، ص ١٦٠، ١٦١، حسن محمود: مرجع سابق، ج١، ص ٣٠٤، أنظر: الخريطة: شكل رقم (٥) بملحق الدراسة.

(٥) المقرئى: للخطط، ج١، ص ٢٠٢، على بن حسين السليمان: العلاقات الحجازية المصرية، القاهرة ١٩٧٣، ص ٦٣.

ومنذ ذلك الحين أصبحت بادية عيذاب طريقا للحجاج، ظلت زهاء مائتي عام، فقد كانوا يركبون النيل من الفسطاط إلى مدينة قوص، حيث تبدأ الطرق الصحراوية إلى عيذاب التي كانت في الغالب تستغرق سبعة عشر يوما^(١).

ومن هذه الطرق طريق العبيدين الذي كان يبدأ من قرية المبرز^(٢) جنوبي مدينة قوص، حيث كان يشد فيها الرحال للحجاج والتجار.

وهذه القرية كانت غاصة بالنخيل ربما كان يتزود منها الحجاج بالزاد اللازم لتوفير التمر بها، ومن هذه القرية يبدأ الطريق إلى بئر الحاجر ثم إلى مكان يعرف بقلاع الضياع، ثم محطة اللقيطة ثم إلى بئر ينسب إلى عبيدين ماتا هناك عطشا، حيث يتزود المارة بالماء اللازم ومن هناك إلى بئر دنقاش، حيث عين جارية وكل هذا في صحراء جرداء لا عمارة فيها ولا نبات سوى آبار المياه المنوه عنها، ولا يسافر في هذا الطريق الجذب من كل أنواع الحياة إلا على ظهر الجمال. وقد سمي بطريق العبيدين نسبة إلى المكان المشار إليه. وكان أقصر الطرق المؤدية إلى ثغر عيذاب^(٣).

وهناك طريق آخر كان يبدأ من قنا، ويلتقي بالطريق الأول على مقربة من ماء دنقاش أو بعده بقليل، حيث مكان قليل الماء، ومنه إلى موضع يعرف بأمتان حيث بئر غزير الماء عذب الطعم ترد إليه كل القوافل المارة، وهناك شاهد ابن جبير القوافل العيذابية المحملة بأنواع الهندية مثل الفلفل والقرفة وكثير من السلع الأخرى، ومنها ما هي ملقاة على قارعة الطريق بلا حارس^(٤). مما يدل على توفر الأمن في هذا الطريق.

(١) المقرئى: الخطط جـ ١، ص ٢٠٢.

(٢) المبرز: لم يرد ذكر هذا الوضع في أى مصدر من المصادر المعاصرة سوى عند ابن جبير الذي يحدد موقعه بجنوبى مدينة قوص بقليل حيث شد فيه رحاله اثناء رحلته عبر صعيد مصر قاصدا عيذاب ومنها الى الاراضى الاسلامية المقدسة فيقول: ونحن بقوص، نروم السفر الى عيذاب. اخرجنا جميع رحالنا من زاد وسواه الى المبرز، وهو موضع بقبلى البلدة على مقربة منه، فسيح الساحة، محقق بالنخيل، يجتمع فيه رجال الحاج والتجار، وتشد فيه ومنه يستقلون ويرحلون وفيه يوزن ما يحتاج إلى وزنه على الجمالين رحالة ابن جبير ص ٤١-٤٣، أنظر: الخريطة: شكل رقم (١، ٥) بملحق الدراسة.

(٣) ابن جبير: تذكرة بالآخبار عن اتفاقات الاسفار، ص ص ٤١-٤٣، أنظر: الخريطة، شكل رقم (١) بملحق الدراسة.

(٤) نفس المصدر، ص ص ٤٣-٤٤، المقرئى: الخطط، جـ ١، ص ٢٠٢، أنظر: الخريطة: شكل رقم (٥) بملحق الدراسة.

ومن امتان إلى مكان يعرف بمجاج حيث يتزود المارة بالماء لأربعة أيام، ويبدأ السير في منطقة رملية لينة إلى الموضع الثاني الذي يعرف بالقشراء، وعلى مسافة يوم واحد من عيذاب ثم يصل العشراء على مرحلتين من عيذاب، حيث يكثر نبات العشرة وفي هذا الموضع بئر ماؤه غزير يستقى منه المارة وأهل البلد^(١).

كان هذا الطريق على امتداد رملى، ولم تكن هناك علامات يستدل بها في السير، وربما يخطئه الدليل مهما كان ماهرا، ورغم ذلك ظلت صحراء عيذاب رغم مشقتها الطريق الذي ربط الغرب الاسلامى كله بالشرق^(٢).

وكان هناك طريق آخر يربط النيل ببحر عيذاب، وهو طريق أسوان عيذاب^(٣). وكان يسمى بالواضح نخلوه من الجبال المتشابكة عكس طريق قوص عيذاب^(٤).

تلك هي ملامح النشاط التجارى والاقتصادى الذى شهده السودان وادى النيل منذ بداية التطلع المملوكى نحو الجنوب وما فرضته ظروف هذا العصر من المحافظة على مصالح مصر المملوكية والعمل على تأمينها من المخاطر الخارجية، ولقد تضافرت هذه الأحداث بعد انهيار الممالك النوبية المسيحية وقيام الممالك والمشيات الاسلامية ومن ثم شهدت ارض النوبة تغيرا اقتصاديا شمل كافة أنواعه، بتكامل بين مصر المملوكية القوية، والنوبة الإسلامية.

(١) ابن جبير: المصدر السابق، ص ٤٤-٤٥ .

(٢) المقرئى: الخطط، ج١، ص ٢٠٢، ابن الوردي: المصدر السابق ص ٤٤ .

(٣) ناصر خسرو، سفرنامه، ص ٧٢، أبو الفدا: تقويم البلدان، ص ١٠٥ .

(٤) كانت الرحلة من ثغر اسوان الى ثغر عيذاب تستغرق خمسة عشر يوما، أى انه أقصر من طريق قوص - عيذاب بمسافة يومين، فقد بدأ ناصر خسرو رحلته من اسوان فى الخامس من ربيع الاول عام ٤٤٢ هـ ووصل عيذاب فى العشرين من نفس الشهر. وقد حدد ناصر خسرو المسافة بين الثغرين اسوان وعيذاب بمائتى فرسخ. ورغم ان الحاج كانوا يحملون معهم الزاد اللازم لرحلتهم الا أنه كثيرا ما كان ينفذ منهم العلف، كما حدث مع ناصر خسرو نفسه اثناء رحلته عبر تلك الصحراء فى اثناء طريقه الى الحج. انظر: ناصر خسرو: سفر نامه، ص ٧٢، الخطط، ج١، ص ٢٠٢، وقد ظلت عيذاب تقوم بدورها حتى ١٤٢١ م حين خربها السلطان برسبای.

C.F.: Browne: the history and Description of Africa by Leo Africanus, done into English by John Pary 1600, Vol. III, p. 837.

الفصل الخامس

النتائج الاجتماعية لسقوط ممالك النوبة

- التكوين الاجتماعي لشعب السودان وادي النيل.
- العنصر العربي الوافد على السودان وادي النيل.
- مجموعة الجعليين.
- مجموعة جهينة.
- مجموعة الكواهلة.
- قبائل البجاة.
- الأقليات من النوبيين المسيحيين.
- النكاررة - العبيد - المماليك والأتراك.
- العادات الاجتماعية الخاصة في مجتمع السودان وادي النيل.
- الزواج في ضوء الوثائق العربية.
- النفقة (الطلاق).
- عادة الشلوخ.
- الأنساب العربية.
- الختان - أربعون الولادة.
- الملابس - الزينة.
- المسكن - الأثر الإسلامي في الزخارف المعمارية بالنوبة.
- المأكول والمشرب.
- المآتم والأحزان.
- الاحتفالات والطقوس الدينية.
- القتل الطقسي عند الفونج).

التكوين الاجتماعي لشعب السودان وادي النيل:

حفلت بلاد النوبة في العصور الوسطى بعناصر سكانية عديدة ومتباينة ينتمي معظمها إلى الجنسيتين السامى والحامى^(١)، وتتمثل تلك العناصر التي تلاقت على أرضها في القبائل العربية التي احتلت قمة الهرم الاجتماعي، والنوبيين، والبشارية، والعبادة، بالإضافة إلى الوافدين من مختلف مدن مصر الإسلامية، والتكرارة، والعبيد، والمماليك، والأقليات من المهاجرين المسلمين من الأندلس والأتراك وغيرهم.

وثمة دليل مادي هام اعتمدنا عليه في وصف التركيب الاجتماعي لبلاد النوبة ذلك هو شواهد القبور^(٢)، التي اسفرت عنها الحفريات في مقابر أسوان^(٣) ومنطقة

(١) النوبة طائفة من طوائف السودان، ينسبها المؤرخون إلى نوبى بن فقط بن مصر بن بيسر بن حام بن نوح. انظر: الدمشقي: نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ط سانت بطرسبرج ١٨٦٦، ص ٢٨٦؛ محمد عبدالعال أحمد: النوبة والمحاولات الإسلامية لفتحها، ص ٢٦٥. وقيل أنهم ولد نوبه بن كوش بن كنعان بن حام، انظر: ابن خلدون: العبر، ط بيروت، ج ٢، ق ١، ص ٢١. ويزعمون أنهم من نسل حمير.. انظر ياقوت: معجم البلدان، ط لبيزج ١٨٧٠، ج ٤، ص ٨٢٠؛ وربما كان أصل كلمة كابيل من قيل، وهو لقب أطلق على بعض أمراء اليمن. انظر: القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت ١٩٦٠، ص ٢٤؛ المسعودي: مروج الذهب ج ١، ط بيروت ١٩٧٣، ص ٤٢٢، ٤٣٧، ٤٣٨؛ القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج ١، ط القاهرة ١٩٦٣، ص ٣٦٨؛ ابن الوردي: تنمة المختصر في أخبار البشر، المجلد الأول: دار المعرفة بيروت ١٩٧٠، ص ١٣٤، ١٣٥؛ ويقول دى فيلار: «وليس بمستبعد أن الأسرة المالكة النوبية ترجع في أصلها إلى جنوب الجزيرة العربية إذ عبر الحميريون البحر الأحمر، واستقروا في السودان حيث نقلوا أسماء أجدادهم مثل كوه، دارو، سبأ» C.F.: De Villard: Stor-ia Della Nubia Cristiana, P.171; Mac Michael: Op. Cit., Vol. I, P. 168. محمد عوض:

السودان الشمالي، ص ٣، ٤؛ انظر الخريطة بملحق الدراسة، شكل رقم (١٣).

(٢) قام الأستاذ عبدالرحمن عبد التواب مدير الآثار الإسلامية والقبطية بهيئة الآثار المصرية سابقاً، ومستشار الهيئة رحمة الله عليه، بإجراء حفريات في جبانة أسوان في المدة من ديسمبر عام ١٩٦٠ م حتى منتصف عام ١٩٦٢ م، واسفرت تلك الحفريات عن اكتشاف العديد من شواهد القبور، وقد ضمنها كتاب Stèles Funéraires، ويقع في عشرة أجزاء، ألف الأول والثالث منه الأستاذ حسن الهوارى وحسين راشد أما بقية الأجزاء فقد ألفها جاستون فييت. وقد جاء في مقدمة ذلك الكتاب أن (٢٥٠) شاهداً أصلها من مدافن أسوان، وردت لمتحف الفن الإسلامى بتاريخ ١٤ يناير ١٩٠٤ م، وتحمل تلك الشواهد رقم ٣١٥٠، أما شواهد القبور الموجودة بمتحف الفن الإسلامى حاملة رقم ١٥٠٦ وعددها ١٠٠٠ شاهد، وقد أكد الأستاذ عبدالرحمن عبدالنواب بعد الدراسة التي استخلصها للكتالوجات، ولمحاضر اللجنة الدائمة للآثار الإسلامية أن غالبيتها وردت أصلاً من أسوان. وينطبق ذلك أيضاً على شواهد القبور التي تحمل رقم ٢٧٢١.. حفائر مصلحة الآثار بأسوان، الموسم الأول، ديسمبر ١٩٦٠ - إلى فبراير ١٩٦١ م، يوميات الحفائر للأستاذ عبدالرحمن عبدالنواب.

(3) C.F.: Monneret De Villard: Storia P.118 FF.

الحلفاية حيث تنتشر مقابر الصواردة^(١) والمغاربة^(٢) أو العبيد^(٣) وود أب دقن^(٤)، وعبدالمحمود^(٥)، والضيفلاب^(٦)، والدواليب^(٧) وغيرهم.

وقد حفرت على تلك الشواهد نقوش توضيح تاريخ الوفاة لشخصيات من جنسيات متعددة عاشت في أسوان، والنوبة، ومن الملاحظ أن الكتابة نقشت على الأحجار والرخام بالخط الكوفي، إما حفراً وإما بارزاً^(٨).

ويرى بعض الباحثين أن اسم المتوفى في معظم شواهد القبور التي عثر عليها في مقابر أسوان يتبع باسم قبيلته في خلال القرنين الأولين للهجرة، أما في غضون القرن الثالث، فقد لوحظ أن اسم القبيلة، حل محلها اسم الجهة أو الأقليم الذي ينتسب إليه المتوفى^(٩). كما يرى البعض أنه بدراسة نسب المتوفين في تلك الشواهد يتضح أن أغلبهم ينتمون إلى القبائل التي جاءت إلى مصر مع الجيش الفاتح، والقليل منهم نسب

(١) تشير كلمة الصوارد الآن إلى سكان قرية صواردة الواقعة في منطقة السكوت بأرض المحس على خطى ٢٠، ٣٤ شمال و ٣٠، ١٩ شرق، كما تشمل كل سكان المنطقة المجاورة وكلهم من المحس، ويرى النسابة السودانيون أن صارد جد الصواردة هو أخو جذام وعبدالعزیز محسى. وكلهم من أبناء ذبيان ويرجعون بنسبهم البعيد لجهينة. ويعتقد أن للصواردة هؤلاء صلة قوية بالمحس وقبيلة جهينة انظر: MacMichael: Op. Cit., Vol. 2, P. 24; Y. F. Hasan: Op. Cit. P. 144 FF..

(٢) انظر: مخطوط أنساب عرب السودان. Midc 1/18/198. ورقة ١٢.

(٣) أشار الدكتور يوسف فضل أنه لم يعثر على خبر عنهم في كتاب الطبقات انظر ص ١٩٩.

(٤) هويادى الثانى أبو دقن، ابن رباط بن بادی انظر: الطبقات، ص ٣٢٦.

(٥) انظر: الطبقات، صفحات ٢٠، ١٥٤، ١٩٦، ٢٨٧ هـ.

(٦) انظر: الطبقات، ص ١٥، ١٦؛ وثائق الفونج والأرض، ص ٩٤.

(٧) انظر: عون الشريف قاسم: حلفاية الملوك التاريخ والبشر، دار جامعة أم درمان الإسلامية، ط الأولى ١٩٨٨ م ص ٣٦، انظر الخريطة، شكل رقم (١٤).

(٨) انظر: لمزيد من الدراسة بعض أشكال لمشاهد القبور، تم نشرها في كتاب مدينة أسوان وآثارها في العصر الإسلامى للدكتورة سعاد ماهر، الهيئة المصرية ١٨٧٧ م أشكال (٢)، (٣)، (٤)، ص ٣٤ - ٣٦، انظر ملحق الكتاب شكل ٢٣، ٢٤/ ١٠.

(٩) C.F.: Wiet: L'Egypte Musulmane (Précis de L'histoire d'Egypte, Tom.11, Le Caire 1932, P.219;

سيدة كاشف: مصر في فجر الإسلام، دار الفكر العربى ١٩٤٧، ص ٢٥٨.

إلى الموطن، ولم يبتدىء الانتساب إلى الموطن في تلك الشواهد إلا بعد سنة ٢٠٠هـ/٨١٥م^(١).

وعلى أية حال فقد لاحظنا أثناء دراستنا لشواهد قبور مقابر أسوان أن كتابة اسم المتوفى منتسباً إلى قبيلته يمتد حتى العصر المملوكي^(٢)، فقد عثر على شاهد قبر خاص بالأمير نجم الدين عمر بن الكنز^(٣) في مقابر أسوان (الجزء الذي يطلق عليه اسم مقبرة العناني) عند مدخل إحدى القباب التي ترجع إلى العصر المملوكي^(٤).

(1) C.F.: Catalogue général du Musée Arabe du Caire, Stèles Funéraires, Vol. 1, Par Hassan Hawary et Hussein Rached.,

فعلى سبيل المثال لا الحصر: أبو راشد سعيد بن ميمون بن يحيى بن سوار التجيبي ت ٤٢٧هـ، أحمد بن محمد بن عيسى القرشي ت ٢٥٧هـ، فاطمة ابنة مروان بن عبد الملك الخولاني ت ٣٢٨هـ، الحسين بن الفضل أحمد بن سليمان إلياس ت ٤٠٢هـ، محمد بن سليمان الأنصاري ت ٤٢١هـ. انظر:

Wiet: Stèles Funéraire, Vol.11, PH 134, Vol. V, P.34

Vol. VI, P.57, Hawary et Rached: Op. Cit., Vol.III, P.78.

(٢) نود أن نشير أن أعداداً من القبائل العربية ممن شهدوا فتح مصر قد رابطوا في ثغر أسوان. للدفاع عنه ضد غزوات مملكة المقررة المسيحية، فضلاً عن اشتراكهم في الحملات الأولى لولاة مصر، وهي السياسة التي سار عليها من بعدهم حكام مصر، وهناك شواهد للقبور بجبانة أسوان ترجع إلى هذا الوقت المبكر (أى منذ القرن الأول الهجري)، ففي أحدها كتب اسم عبدالله الحجازي الأنصاري، وعلى آخر كتب اسم محمد بن عبد شمس الطائفي الأنصاري، والاثنتان من قبيلة الأنصار التي اشتركت في معارك الفتح، كما عثر على شاهد قبر من الحجر الجيري عليه كتابة باسم ابن حجر الأسواني مؤرخ بسنة ٣١هـ، معنى ذلك أن أسوان قد سكنها أقوام من العرب منذ القرن الأول الهجري ومن ثم انتقلوا بعد ذلك إلى بلاد النوبة. انظر لمزيد من التفاصيل: المقرريزي: البيان والأعراب، ص ٤٤، وأيضاً: الخطط، ج ١، ص ١٩٧، ١٩٨؛ سيدة كاشف: دراسات في المجتمع المصري الإسلامي قبل العصر الفاطمي، المجلد الثاني ١٩٨٠م، ص ٢، مصر في فجر الإسلام، ص ٢٥٨؛ حسن محمود: الإسلام والثقافة العربية، ج ١، مصر في فجر الإسلام، ص ٢٥٨؛ حسن محمود: الإسلام والثقافة العربية، ج ١، ص ١١٢؛ سعاد ماهر: محافظات الجمهورية، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة، مجلد ٢١، العدد الأول ١٩٥٩م، ص ٨١ - ٨٥،

C.F.: Devillard: La Musulmana di Aswan, Cairo 1930, P.1-2.

(٣) هو ابن اخ الأمير فخر الدين مالك ولي إمارة بني الكنز في إمارتهم الثانية في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري بعد عمه فخر الدين مالك، تحدث الأدفوي كثيراً عن شجاعته وكرمه وقال إنه كان له ولأخيه ولأولاده بأسوان آثار وأوقاف على وجوه البر جزيلة، انظر: الأدفوي، ص ٣١، ٣٢.

(٤) حفائر مصلحة الآثار بأسوان، الموسم الأول، ديسمبر ١٩٦٠م - إلى فبراير ١٩٦١م، يوميات الحفائر للأستاذ عبدالرحمن عبدالنواب.

أما عن شواهد القبور في بلاد النوبة، فأقدم لوحة مكتوبة بالعربية تم اكتشافها في مينارتي^(١) وهي تذكر اسم فاطمة بنت إبراهيم بن إسحاق بن عيسى المتوفاه يوم الأحد في أول جمادى الثاني سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة للهجرة أى ما يوافق سنة ١٠٦١م^(٢)، وهناك شاهد آخر مؤرخ سنة خمس وخمسين وأربعمائة للهجرة أى ما يوافق سنة ١٠٦٣م وقد استخدم الشاهدان أيضا كمادة للبناء في بعض العماائر المسيحية بالجزيرة^(٣).

وفي دراستنا للقبائل العربية التي سكنت بلاد النوبة في العصور الوسطى نرى القحطانيين والعدنانيين ممثلين تمثيلا قويا في تركيبها الإجتماعى^(٤)، ولا بد أن يكون هناك مناطق للجذب نحو الاستيطان، وخاصة بعد إفول مملكة علوة المسيحية^(٥) التي كانت عاصمتها سوبا مركز السلطة القديمة^(٦)، ولطبيعة غناها وخصوبة أراضيها

(١) جزيرة مينارتي تقع على بعد ١٠ كم جنوب وادى حلفا، حيث عثر آدمز على مجموعة من شواهد القبور، من بينها إثنان باللغة العربية لأختين، والشاهدان بخط كوفى موزق توريقا بسيطا. انظر ملحق الدراسة عن شاهد قبر اسم فاطمة بنت إبراهيم بن إسحاق، شكل رقم (٤/٩)

C.F.: Adams, W.Y.: Kush XII, P.236, Nigm Ed Din, M, Sherif, The Arabic Inscriptions from Meinarti, Kush XII, PP. 249 - 250 and Pls. L III - L IV a,b.

وعن شواهد القبور في النوبة أنظر كذلك: Pls, L III- L IV a,b Monneret De Villard: Storia, P. 118. ونختلف هنا مع الأب الدكتور ج.فانتيني مع ما أورده عن تاريخ هذه اللوحة حيث أنه ذكر التاريخ الخاص بالوفاة للشاهد قبر فاطمة بنت إبراهيم بن إسحاق، على أنه فى يوم أول بؤونة سنة ٤٥٣ من عهد الشهداء وهذا ما يؤخذ عليه فى محاولة لتأصيل المسيحية فى النوبة، وهذا ما صححه آدمز فى تنقيباته واكتشافاته الأثرية فى النوبة.

C.F.: Adams, W.Y.: Sudan Antiquities Service Excavations in Nubia, Fourth Season 1962- 69, Kush XIII, PP. 177- 173.

وانظر أيضا: كرم الصاوى: التطور الاجتماعى، ص ص ٣١٣، ٣١٤؛ فانتيني: تاريخ المسيحية فى الممالك النوبية القديمة، ص ٨٦.

C.F.: Adams, W.Y.: Kush XII, PP. 172-173.

(3) C.F.: Adams, W.Y.: Kush XIII, PP. 172- 173.

(٤) انظر: تاريخ مختص بأرض النوبة ومن ملوكها ملوك الفونج ومن تولى بعدهم، مخطوط بدار الوثائق القومية بالخرطوم. Misc/1/15.191 ورقة ١٨، ١٩؛ أنساب عرب السودان، مخطوط. Misc 1/18/198 ورقة ١٠ وما بعدها، انظر الخريطة بملحق الدراسة، شكل رقم (١٣).

(٥) انظر: واضح البيان فى تاريخ العبدلاب، مخطوط، دار الوثائق القومية بالخرطوم، Misc 1/20/232، ص ١، ٢، مخطوطة كاتب الشونة، ص ٦، ٧، ١٢٩، تاريخ ملوك السودان ص ١.

(6) C.F.: Crawford: The Fung Kingdom of Sennar, P.68 - 69.

الواقعة على النيل، ولوقوعها على الطريق التجارى المعروف بدرب الجمل، الذى كان يسير محاذيا للنيل، وتسير عليه القوافل التجارية من سنار وما وراءها إلى شندى، والدامر وما وراءها إلى مصر مارا بالحلفاية^(١).

ومن الطبيعى أن منطقة الحلفاية وغيرها من المناطق المجاورة لعاصمة علوة كانت تستمد أهميتها من هذا الجوار ثقافياً واقتصادياً وبشرياً. ومن الشواهد ما يشير إلى أن القبائل العربية المختلفة التى ظلت تتدفق على المنطقة قبل فترة طويلة من سقوط مملكة المقرة ومملكة علوة المسيحية، كانت تتخذ من منطقة شرق النيل وغربه^(٢) أماكن للاستقرار والمرعى^(٣).

(١) الحلفاية قرية تقع على بعد ٧ أميال شمال الخرطوم بحرى على خطى ١٥، ٤٢ شمال و ٣٢، ٣٣ شرق. وكانت قرية عامرة مأهولة وهى تقع على الطريق التجارى (درب الجمل) الذى يسير محاذيا للنيل ويربطها بشندى وقرى سنار وقد زارها الرحالة كرمب كما زارها بروس، ثم صارت عاصمة للعبدلاب وعرفت بحلفاية الملوك بعد أن هجروا عاصمتهم القديمة قرى، وزادت أهميتها بخراب أريجى سنة ١٧٨٤م راجع أيضا: Craeford: Op.Cit. P.68 - 69. كتاب الطبقات، ص ٤٢.

كروياتشيك: مرجع سابق، ص ٤١١ وما بعدها،

Y.F. Hasan: Islamic external influences, P.73- 74, R.S.O, Fahey: Religion and Trade, P. 87 - 89.

(٢) منها قبيلة رفاعه، حيث المعروف انقسام هذه القبيلة الجهدية الكبيرة إلى شماليين يكادون يكونون مستقرين (مع غيرهم من عناصر أخرى، وفي حالات يحترفون الزراعة والتجارة وغيرها، وجنوبيين لا يزالون على أصل القبيلة فى البداوة والترحل الذى احتفظوا به بكل أقسامهم حتى زمن الفونج حيث المعروف أيضاً أن رفاعه الجنوب منهم إلى الشرق من النيل الأزرق «رفاعة الشرق» الذين يقضون الصيف فى جنوب البطانة وعلى نهر الدندر بينما يرحلون فى الخريف إلى البطانة، وإلى القرب من النيل الأزرق «رفاعة الهوى» (أبو روف) الذين أوطانهم فى الصيف إلى القرب من الروصيرص وخريفهم رحلة تمتد إلى جبل موبا. إن اتساع قبيلة رفاعه - برغم تميزها من قبائل جهينة الأخرى التى هى فرع منها مستقل بنفسه وربما منازع لبقية فروعها، وكذلك امتداد أوطانها الأصلية مما يجاور البجا إلى شمال غرب الحبشة، ثم نزوح الشماليين منهم إلى الاستقرار والزراعة وبقاء الجنوبيين منهم على الرعى.. كل هذا يجعل من غير الممكن النظر للقبيلة كوحدة متجانسة فى البيئة وظروف المعيشة أو الحياة الاجتماعية أو الاقتصادية، فلم تتنوع بيئات قبيلة من القبائل السودانية أو تتطور وتتعدد طرق معيشة أهلها بمثل ما حدث لرفاعة، انظر لمزيد من التفاصيل عن رفاعه شرق أبى جن ورفاعة الهوى بأبى روف: C.F.:Crawford: The Fung Kingdom of Sennar, PP. 81 - 82 MacMichael: A history of the Arabs in the Sudan, Vol. I, PP.240- 241.

محمد عوض: السودان الشمالى، ص ٢١٦؛ كمال دسوقي: مجتمع الرعاة، ص ٦٢.

(٣) انظر: مخطوط تاريخ مختص بأرض النوبة، ص ١٨ - ٢٠، انظر: الخريطة شكل رقم (١٥).

أصبحت هذه القبائل بحكم اختلاطها بالسكان المحليين جزءاً من الكيان المحلي عرقياً وثقافياً، وأخذت لنفسها أسماء محلية مثل العبدلاب^(١)، ورفاعة^(٢)، والجعليين^(٣) بفروعهم من جموعية^(٤) ورباطاب^(٥) وشايقية^(٦) وما إليهم، وأصبحت الاسماء العربية القديمة كربيعة وجهينة^(٧) وغيرها لا تذكر إلا في مقام الفخر والحديث عن أمجاد الماضي البعيد^(٨).

من كل ذلك يتضح أن هذه العناصر قد انصهرت مع العنصر النوبي فتكلمت بلسانه وأخذت بعاداته^(٩) وهاهنا نجد تنوباً لا استعراباً وإن كانت اللغة العربية تتقدم والمؤثرات العربية تزداد^(١٠)، قبل فترة طويلة من سقوط دولة علوة، وكان لها في سوبا ذاتها وجوداً اجتماعياً وثقافياً كاملاً، وكان يمدّها فيض متصل من الشمال الذي سيطرت فيه العناصر العربية على دولة المقره قبل سقوط سوبا بما يقرب من

(١) انظر: أوراق نسب جمعها محمد بن الحاج علي بن دفع الله، نسخة إبراهيم حاج محمد عن أنساب العرب، وجعفر حسان في النسب، وهي مثبتة بمجموعة ماكمايكل الخطية في دار الوثائق القومية بالخرطوم، متنوعات Mac Michael: Op. Cit., Vol. 1, P.238, Misc 1/16/184. يوسف فضل: المقدمة، ص ٣٣؛ محمد صالح: مشيخة العبدلاب، ص ١٠٨؛ وأنظر كتاب الطبقات، صفحات ٢، ٣، ١١، ١٦، ١٧، ١٩، ٢٠، ٣٩، ٤٠، ٤٨، ٤٩، ٦٣، ٨٠، ٩٨ هـ.

(٢) بلدة على الشاطئ الأيمن للنيل الأزرق، تقع شرق ارجى والحصاحيصا، تقع (على خطى ٤٦، ١٤ شمال ٢٢، ٣٣ شرق). ومن المؤكد أنها نشأت كمنزلة لقبيلة رفاعة وهي فرع من هوازن. انظر: الطبقات، ص ٥٢، بعد أن نبذ جزء من الفرع الشمالي منها حياة البداوة في عهد السلطنة الزرقاء، والآن يسكنها رفاعيون وشكرية وجعليون ورباطاب وركابية وغيرهم.

(٣) شندى حاضرة بلاد الجعليين، وتقع على الشاطئ الأيمن للنيل (١٦، ٤٢ شمال ٢٧، ٣٤ شرق) وهي مدينة تجارية هامة، ملتقى للقوافل التجارية الوافدة من مصر، سواكن، سنار وكردفان. وقد وصفها كلا من (بروس: ٦/٤٣٧)، (ويوركهارت: ٢٤٦ - ٢٩١) وصفاً دقيقاً، وكان يحكمها ملك من الجعليين وقد اشتهرت أسرة السعداب بحكمها مدة طويلة، وقد صاهرت هذه الأسرة العبدلاب وعند زيارة بروس لشندى في ٤ أكتوبر ١٧٧٢م، كانت ستنا أخت الملك عجيب ملكة عليها، يعاونها في الحكم ابنها إدريس. أنظر: Bruce: Vol.6, P.418, 38-441.

(٤) انظر: الفحل الفكي الطاهر: تاريخ أصول العرب بالسودان، الخرطوم، ص ٥٩.

(٥) انظر: كتاب الطبقات، صفحات ١٠١ هـ، ١٠٣ هـ، ٣٥١ هـ.

(٦) C.F.:MacMichael: Op. Cit., Vol, II, Tree illustrating Ms.A.3.

(٧) انظر تاريخ مختص بأرض النوبة، ورقة ١٨، ١٩.

(٨) عون الشريف: حفاية الملوك، ص ٢٧.

(٩) انظر: مخطوط تاريخ مختص بأرض النوبة، ورقة ١٨.

(١٠) دكتور محمد إبراهيم أبو سليم: الساقية، ص ٢٠٨.

القرنيين، حيث سقطت دنقلا عام ٧١٢هـ / ١٣١٢م^(١). وكما يتضح فإن تحول دنقلا إلى مركز هام لأزدهار الثقافة العربية الإسلامية فتح المجال أمام مزيد من انسياج القبائل العربية إلى داخل البلاد، وكانت ظروف الحياة السياسية في مصر والشمال الإفريقي تدفع بأعداد كبيرة من أعراب مصر والمغرب إلى الهجرة جنوباً^(٢) خاصة بعد ضغوط المماليك عليهم، وكان مما يغريهم بذلك الأنباء المتواترة عن نجاح إخوانهم في مهجرهم الجديد، وإقامة دولة خاصة بهم أولاً في دنقلا ثم بعد قرنين من ذلك في سنار وقرى^(٣).

ومما لاشك فيه أن سقوط دولة علوة المسيحية كان له صدى بعيد المدى في المنطقة العربية كلها، وعلى أثره انتقلت الجماعات والأفراد إلى ديار الفونج والعبدلاب من مصر والحجاز والشام والمغرب والأندلس واليمن والعراق وغيرها^(٤)، ونستدل على ذلك من أسماء الشيوخ والعلماء الذين ذكرهم صاحب الطبقات وغيره^(٥)، وقد يكون كثير من هؤلاء من أتوا مع جماعات من عشائهم أو قبائلهم، وقد يكون دافعهم إلى الهجرة الانضمام إلى بقية أهلهم الذين سبقوهم واستوطنوا في البلاد المختلفة.

(١) ابن عبد الظاهر: تشریف الأيام والعصور، ص ٣٠٩ (ب)، ٣١٠ (أ)، فانتيني: المرجع السابق، ص ١٧١، ١٧٢؛ الحويري: أسوان، ص ٥٧؛ وانظر أيضاً: Y.F.Hasan: Op.Cit., P.111-2؛ كورباتشيك: مرجع سابق، ص ٤١١.
(٢) البروفيسور يوسف فضل: معالم تاريخ الإسلام في السودان، الإسلام في السودان، الخرطوم، ١٩٨٢م، ص ١٩، ٢٠.
(٣) انظر: كورباتشيك: مرجع سابق، ص ٤١١، انظر: الخريطة شكل رقم (٩، ١٠).
(٤) أمثال ذلك الشيخ إبراهيم البولاد، وتاج الدين البهاري، والتلمساني المغربي والشيخ محمد ود عيسى سوار الذهب، وعبدالله الأغيش، ونصر ود الفقيه أبو سنييه، وعبدالكافي المغربي، والشيخ حسن ود حسونة، والشيخ محمد بن قرم المصري، والشيخ حمد ود زروق الحضرمي، والشيخ محمد المصري. انظر: تاريخ مختص بأرض النوبة ١٧ - ٢٠؛ الطبقات، ص ٥٢٤، C.F.: Y.F. Hasan: Islamix external influences, PP.75-76. كذلك تقع الحدود بين دولتي علوة والمقرة، وكانت في الماضي مركز النقل لحضارة مروي القديمة وفي هذه المنطقة اشتمل قوز العلم (القوز جنوب شندي ويعرف بقوز المطرق سكنه الصغبروناب) وجذب إليه عددا من علماء الشمال فأصبح من أهم مراكز الثقافة العربية الإسلامية شمال منطقة الحلفاية. انظر: الطبقات، ص ٤، ٥، ١٠٩، C.F.: Triming- ham: Islam, in the Sudan, P.49; Arkell: A history of thr Sudan, P.186.

تاريخ السودان وادي النيل، ج ١، ص ٢٠٢؛

Crawford: Op. Cit., PP.24-25.

(٥) انظر الطبقات، صفحات ٤، ٥، ٦.

ومن الواضح أن كثيراً من الجماعات التى جاءت فى بداية عهد الفونج لم تذب كلها فى «التنوبة» فاحتفظت جماعات منها بكياناتها واسمائها رغم تزواجها واندماجها مع المجموعات التى حلت بها، مثلما هو الحال مع الجماعات التى جاء جدهم الأكبر يعقوب بن مجلى من مصر مع بداية عهد دولة الفونج^(١). ومثلما هو الحال مع كثير من المغاربة الذين لم يلحقوا نسبهم فى الغالب إلى قبيلة أخرى رغم اندماجهم فى مختلف القبائل والعشائر^(٢)، ومثل ذلك يصدق على الهوارة^(٣) وغيرهم من الجماعات التى جاءت هجرة بعضها متأخرة، فاحتفظ كثير منها بما ظل يميزها عن بقية القبائل، فاكتسبت من جراء ذلك شخصياتها المميزة التى تعبر عنها أسماء القبائل المختلفة الموجودة الآن بسودان وادى النيل.

(١) يقول ود ضيف الله: «يعقوب بن الشيخ مجلس المشيخى. ولد بالريف ودخل فى الجزيرة فى أول ملك الفونج واختصه الملك وزوجه ابنته وقطع له فى الدار بنواحي الحفاية قدر ما يشور جواده شرقاً وغرباً ويمينا وشمالاً، وهم فرع من المشايخة ينتسبون إلى سيدنا أبى بكر الصديق، يسمى المجلياب ويزعم أن مجلى هذا قد مات فى مصر فى جزيرة زرينيخ - وله ينتسب الزنارخة انظر: الطبقات، ص ٣٧٣، MacMichael: Op. Cit., Vol. 2, P.92- 93; Y.F. Hasan: The Arabs & the Sudan, P.21-50, Holt: A Sudanese historical Lrgend: The Fung Conquest of Soba "Bulletin of the School of Oriental and African Studies, XXIII, 1960, PP.1-12." and يوسف فضل: دراسات سودانية، ص ٦٤ وما بعدها؛ عون الشريف، حفاية الملوك، ص ٢٨، ٢٩، ٤١.

(٢) مخطوط أنساب عرب السودان. Misc 1/18/198، ورقة ١٢.

(٣) نسبة إلى هوارة، وهى إحدى قبائل البربر التى دخلت مصر فى أيام الفاطميين ونزح جماعة منها إلى صعيد مصر، وتمكنوا فيه حتى صاروا زعماء على معظم القبائل، وقد هاجر بعضهم إلى السودان واحترفوا تربية الأبل فى الصحراء الغربية بين الكبابيش ويطلق عليهم اسم هواوير، كما أن طرفاً منهم احترف التجارة وصاروا جلافة فى كردفان ودارفور انظر: الطبقات ص ٢٥٩، MacMichael: Op. Cit., Vol. I. P. 335 - 336.

— العنصر العربي الوافد على السودان وادى النيل :

كانت الجماعات العربية الوافدة تتقاسمها ثلاث مجموعات قبلية كبرى بالإضافة إلى مزيج ما بين عدنانية وقحطانية الأصل.

أولاً : مجموعة الجعليين :

يجب أن نميز بين قبيلة «الجعليين» وبين مجموعة الجعليين^(١) أو العباسيين^(٢) فإن قبيلة الجعليين، التي تعيش على ضفاف النيل، ما بين مصب العطبرة شمالاً وخانق سبلوقة جنوباً، هم إحدى الوحدات أو القبائل الجعلية، ولعلها الشعبة الرئيسية للمجموعة كلها، أما المجموعة الجعلية كلها فتشتمل على قبائل أخرى لها أسماء خاصة بها مثل الشايقية والرياطاب والبديرية والميرقاب والمناصرة^(٣) (كما سيتضح ذلك) فيما بعد.

وثمة ظاهرة توجب الالتفات، وهى أن الإقليم الذى تحتله المجموعة الجعلية على النيل من جنوب الخرطوم حتى دنقلة، غلبت عليه الصبغة العربية والثقافة العربية، مما يدل على أن هذه الجماعات التى هاجرت إلى هذا الإقليم على مدى القرون كانت قوية، كثيرة العدد، متحضرة لا تميل إلى حياة البداوة، ولهذا فضلت

(١) وهى مجموعة عدنانية الأصل، وهى أكثر المجموعات العربية نفوذاً وأوفرها عدداً، ويعود أصلها إلى قريش. يذكر المقرئى: «أنها نزلت بكثرة فى أسوان منذ العهد الأموى، وملك أبناؤها الضياع فى بلاد النوبة، الخطط: ج١، ص ١٩٧، ١٩٨؛ حسن محمود: الإسلام والثقافة العربية ج١، ص ٣٣١؛ محمد عوض: السودان وادى النيل، القاهرة ١٩٥١، ص ٤٤، ٤٥؛ ثم أخذت تتفرع منها فروع عديدة نذكر منها العباسيين والطلبيين والبكرين أولاد أبى بكر الصديق والعمرىين ممن ينتمون إلى عمر بن الخطاب ولهم شواهد قبور تحمل أسمائهم فى جبانة أسوان. أنظر: Hawary et Reched: Op. Cit., Vol. I, P.15; P.25; Vol. III, PP. 12 - 13. أنظر: P.78, Wiet: Op. cit., Vol. II, P.178.

(٢) العباسيين هم أبناء عمومة النبى صلعم، ولهم شواهد قبور فى جبانة أسوان، ومن العباسيين تفرعت مجموعة الجعليين ممن ينتسبون إلى جد أكبر يسمى إبراهيم ولقبه الجعل، وتنسب الروايات ذلك الجد إلى سعد بن فضل بن عبدالله بن العباس عم الرسول صلعم، وتمثل مجموعة الجعليين شعباً عظيماً فى السودان وادى النيل وللدلالة على ذلك فإنها تشتمل على عدد كبير من القبائل التى انصوت تحتها مثل الركابية والجوابرة والشايقية، والمناصير، والرياطاب، والميرقاب، الجعليون الخلفاء، والجموعية، والجمعة، والبديرية والجوامعة ومن الواضح أن الجعليين كانوا يقيمون فى أسوان قبل أن ينطلقوا منها إلى السودان وادى النيل. Hawary et Rached: Op. Cit., Vol. III, PP. 177-178، الحويرى: أسوان، ص ٢١٦؛ حسن محمود: الإسلام والثقافة العربية، ج١، ص ٣٣٢، ٣٣٣؛ محمد عوض: السودان الشمالى، ص ١٦٤. MacMichael: Vol. 2, P.85.

(٣) انظر: فروع الجعليين فى نفس هذا الفصل.

الاستقرار في مدن على طول النيل^(١)، في حين أن غيرها من الجماعات التي حافظت على بداوتها انتشرت غرباً وشرقاً وجنوباً في طلب المرعى^(٢).

– الجعليون: يمثلون قسماً واحداً من المجموعة العباسية العظيمة التي تحتل مجرى النيل من دنقلة شمالاً إلى خط العرض الثاني عشر جنوباً، وإن شاركهم في بعض أجزاء من هذا الوادي وحدات قبلية أخرى^(٣)، وهذا القسم الأول الذي يتمثل في الجعليين هو في الأرجح أكبر الأقسام عدداً، وعاصمة الجعليين شندى^(٤).

وينبغي ألا نغفل الأهمية التجارية لمنطقة الحلفاية بوقوعها على الطريق التجاري الذي يصل شندى بسنار، وأرتباطها بدرب الجمل^(٥)، الذي كان شرياناً دائماً الحركة يغذى المنطقة بالعناصر البشرية والبضائع على حد سواء، وذلك سبباً كافياً لوصول أعداد كبيرة من الجعليين للتكسب ثم الاستقرار يضاف إلى ذلك الأحداث التي كانت تجتاح مناطق الجعليين من جراء الحروب بين أمرائهم وبين أبناء عموماتهم الشايقية التي أحدثت أكبر الأضرار بديار الجعليين ودفعت أعداداً كبيرة منهم إلى الهجرة جنوباً^(٦).

ولم تكن هذه الصلة بالجعليين ذات اتجاه واحد فحسب، بل كان لها اتجاه آخر يتمثل في هجرة العناصر المستقرة بالحلفاية إلى ديار الجعليين مما أدى إلى اختلاطهم عن طريق الزواج^(٧) فارتبطت الحلفاية بالجعليين بوئاق آخر متين. وكانت هذه

(1) C.F.: Chatway, J. D.P.: Notes on the hist. of Fungs, S.N.R., XIII, Part II, مصطفى مسعد: الإسلام والنوبة، ص ٢٠٠، 1939, P.252;

(2) C.F. Crawford: The Fung Kingdom of Sennar, PP. 81-82.

(3) محمد عوض: السودان الشمالي، ص ١٦٩، ١٧٠.

(4) انظر: مخطوط: تاريخ مختص بأرض النوبة، رقم ورقة ١٨، ١٩. Misc: 1/15/191. وقد انتقل إلى الحلفاية كثير من الجعليين، وأثروا في حياتها تأثيراً كالضيغلاب الفضلية والغيوشاب العوضية وأولاد ود الإمام الزيداب وأولاد فضل السيد المكابر، وأولاد السيد النفيعاب وأولاد المحداب وغيرهم. انظر: قوائم الأنساب المرفقة بملاحق: حلفاية الملوك، رقم ٧٦. وانظر الفحل: ص ٤٣، انظر الخريطة بملحق الدراسة شكل رقم (١٤).

(5) سبق التعريف بها في نفس الفصل.

(6) C.F.: Holt. P. M.: A Modern history of the Sudan from The Fung Sultanate to Present Day, P. 7.

(7) انظر ود ضيف الله: الطبقات، ص ١٠١.

الهجرة بقصد التعلم في مراكز العلم المنتشرة في ديار الجعليين كقوز العلم قرب شندى^(١).

وكان كثير من القبائل ترحل شمالاً إما إلى أسواق شندى العامرة، وإما مواصلين مسيرتهم نحو مصر، وقد اشتهر من ذلك أولاد الدابي المغربي وأولاد المنصور الهوارى الهنوناى^(٢)، وهكذا ارتبط الهنوناى بالمحمداب والعمراب^(٣).

وقد عرفت الحلفاية مجموعة من الجعليين الجوابرة^(٤) ما تزال مقابرهم القديمة موجودة إلى شمال مقبرة الفكى عبدالمحمود غرب مسجد أولاد الفكى الحسن ود ضيف الله، وهى مقابر قديمة جداً أندثرت الآن، ولم يبق منها إلا أكوام من الثرى، ويعتقد أنهم أتوا إلى المنطقة قديماً، ويرجع نسلهم إلى القبائل العربية الذين تمركزوا فى منطقة الدوشاب وشرق الحلفاية^(٥)، وهناك خلط واضح فى الرواية بين الجوابرة والجباراب والجابراب، فيذكر بعضهم أن المقابر للجباراب وهم أصلاً من اليمن^(٦).

— الحمدانية الجموعية :

الجموعية فرع من الجعليين ينتسبون إلى جمّوع بن منصور بن جمّوع بن غانم بن حميدان بن صبح بن مسمار بن سرار بن حسن كردم بن أبى الديس

(١) القوز جنوب شندى ويعرف أيضا بقوز المطرق سكنه الصغيروناب. انظر: الطبقات، ص ١٠٩. وذكر صاحب الطبقات عن مراكز العلم فى شندى ومن يدرس فيها الصغيروناب آل الزين، وأخذ عليهم العلم كثير من أهل الحلفاية، وكالفجيجة التى كان يدرس فيها من الشيوخ أولاد حمدتو، وود بانقا التى كان فيها أولاد بان النقا، والجوير شمال شرق المتمة التى كان يدرس فيها أولاد سلمان العوضى. أنظر الطبقات ص ٢٢٢، ٢٣٦، انظر جدول الأنساب فى ملحق حلفاية الملوك، أرقام ٧٦، ٧٧ وما بعدها.

(٢) انظر: عون الشريف قاسم: حلفاية الملوك، ص ٤٨.

(٣) انظر: الطبقات ص ٥٨، ١٤٨، P.86، Vol. 2, C.F.: MacMichael: Op. Cit.,

(٤) انظر: الطبقات، ص ٢٢٥.

(٥) عون الشريف قاسم: حلفاية الملوك، ص ٤٨.

(٦) جاء فى كتاب الطبقات عن الجوير فى الترجمة - قبره ظاهر فى الجوير شمال شرق المتمة. انظر: الطبقات،

ص ٢٢٢؛ عون الشريف قاسم: حلفاية الملوك، ص ٤٨، ٤٩. يقول صاحب أنساب عرب السودان، أما جابر أولاده

الجابراب أو الجوابرة أو الجابرية، انظر ورقة ٢٢، ٢٣. C. F. P. M. Holt: The Sons of Jabir and

Their Kins: a clan. of Sudanese religous notablos, B. S. O. A. S, XXX, 1967.

وانظر: ملحق الدراسة، رقم (٦/ ج).

قضاة بن إبراهيم جعل^(١). ويسكنون غرب النيل، وتمتد منطقتهم إلى الشمال حوالى الثلاثين أو الأربعين ميلاً شمال أم درمان حتى قوز نفيسة^(٢) عند خانق السبلوقة، وتمتد جنوباً حتى جبل الأولياء، ويسكن بعضهم فى مناطق شرق النيل جنوب قرى^(٣) وكانت الحلفاية تحت سيطرتهم قبل أيام الفونج يحكمها فرعهم الحميدانية ومن ثم عرفت بحلفاية أولاد حميدان^(٤)، ولا يزال فريق الحميدانية الذى يقع فى شمال الحلفاية شاهداً على وجودهم المبكر، وقد استولى عليها الشيخ عجيب المانجك شيخ العبدلاب وسماها حلفاية الملوك^(٥) وخضع له الجميعاب وكل العرب إلى التاكا^(٦). ولكنه رغم الاستيلاء على الحلفاية لم يهزم الجموعية الذين تجمعوا فى منطقة العجيبة غرب النيل^(٧) وانتهى الصراع بعقد هدنة بين الجموعية والشيخ عجيب.

وظل الجموعية يحتفظون بلقب الملك^(٨)، وكان كل الجموعية والجميعاب معهم

(١) انظر: مخطوط. أنساب عرب السودان، Misc 1/18/198، ورقة ٢٠، الفحل الفكى الطاهر: تاريخ أصول العرب بالسودان، الخرطوم، ص ٥٩، انظر جدول الأنساب بملاحق حلفاية الملوك، ص ٢٣٠، ٢٣١.

(٢) جاءت فى كتاب الطبقات دار الجموعية تمتد غرب النيل من قوز نفيسة بجوار خانق السبلوقة حتى المنطقة المقابلة لجبل أولياء غرب النيل الأبيض، انظر الطبقات، ص ٢١٢.

(3) MacMichael: Op. Cit., Vol.I, P.221.

(٤) انظر: الفحل: تاريخ أصول العرب بالسودان، ص ١٠١، انظر الخريطة شكل رقم (١٤) طرق الهجرة وانتشار القبائل الجعلية الرئيسية بالسودان. عن محمد عوض: السودان الشمالى، ص ١٦٧، ١٦٨.

(٥) انظر: مخطوط واضح البيان فى تاريخ العبدلاب، ص ١-٣.

(٦) انظر: يوسف فضل: مقدمة فى تاريخ الممالك الإسلامية، ص ٦٢، ٦٣.

(٧) تذكر الروايات أن الشيخ عجيب استعد لعبور النهر بالمراكب، ولكن ابنه محمد حذره من حريهم بقوله: «كنت أظن أن الجموعية لن يحاربوك، ولكنى أراهم بعد ما عرضوا وزغردت نساؤهم فلا بد من الموت، فإنك إن قتلتهم لن يتركوا لك فارساً يهز السيف، وإن هم انتصروا عليك هدموا دارك، فأرسل عجيب إلى ملك الجموعية ليعقد معه الصلح فقال هذا للرسول: «قولوا لعجيب أنت إنسان خائن، وإن كنت رجلاً صادقاً أنت ومحمد ولدك وأنا وود قسور ولدى نتقابل فى توتى». فتقابلا وتعاقدا ألا يعين ملك الجموعية أحداً على عجيب، ولا يحارب عجيب الجموعية، وقد أراد الشيخ عجيب بهذه الهدنة التفرغ لحرب ملوك شندى من الجعليين وغيرهم. انظر: تاريخ مختص بأرض النوبة. ورقة ١٩، ٢٠، واضح البيان فى تاريخ العبدلاب، ص ١-٣، الفصل الفكى الطاهر: تاريخ أصول العرب، ص ١٠١.

(٨) يرجح أن أصل هذه الكلمة من الأثيوبية حيث معناها عظيم. انظر الشاطر بصيلي، ص ٦٢، Jackson, H.C.: Op. Cit., P.92.

الزناخة خاضعين طوال عهد الفونج لنحاس ملك الجموعية^(١).

– الفاضلاب والضيقلاب:

الفاضلاب جعليون منسوبون إلى جدهم فضل اليسر من أبناء بشارة بن دياب بن غانم بن حميدان بن صبح أبو مرخه بن مسمار^(٢). ويرجع أصل فاضلاب إلى قرية أم الطيور قرب الدامر^(٣)، وقد جاء أجدادهم إلى السودان وادى النيل عن طريق درب الجمل الذى يربط بين الدامر والحفاية^(٤) وإلى الفاضلاب ينتسب الضيقلاب المنتمون إلى جدهم ضيف الله الكبير^(٥)، وقد بدأت أسرة الضيقلاب بالأنصهار مع المجموعات الأخرى مثل الهنونا ب والمغاربة والمشايخة والمحس والصواردة والجموعية والعبدلاب وغيرهم^(٦).

(1) C.F.: MacMichael: Op. Cit., Vol. I, P.2220.

وكان للجموعية نشاط فى مجال التعليم (القرآن الكريم) فمنهم الفقيه حمد بن حميدان الجعلى. (الطبقات ص ١٥٣)، وإليهم ينتسب موسى الجعلى (الطبقات ص ١٥٣، ٣٤٨)؛ والفقيه عبدالدافع القنديل أنظر الطبقات ص ٢٨٩؛ أنظر جدول الأنساب بملحق حفاية الملوك، ص ٢٤٢، ٢٤٣ وقد كان من نتائج اختلاط الجموعية عامة بغيرهم من المجموعات بروز شخصيات عديدة تصلها صلات الرحم بكثير من المجموعات مثل الفقيه عبدالدافع الجموعى الوالد الهنونا بى – الكاهلى الام، وقد تزوج عبدالدافع ابنة الشيخ خوجلى أبو الجاز فارتبط بالمحس، وهناك أعداد كبيرة أمهاتهم جموعيات، كما تزوجوا من العبدلاب وغيرهم ومثل ذلك يصدق على علاقتهم بالصواردة والمغاربة وغيرهم. أنظر: عون الشريف قاسم: حفاية الملوك، ص ٣٩.

(٢) الفحل الفكى الطاهر: تاريخ أصول العرب بالسودان، ص ٦٢.

(٣) وقد جاء ذكرها عند حديث صاحب الطبقات عن «مك السعداب» وهم فرع من الجعليين يسكنون منطقة شندى والمتممة، وهم ذرية سعد (أبو) دبوس بن عدلان بن عرمان، الذى آلت إليه زعامة القبيلة وظلت المشيخة أو «الموكية» فيهم حتى عهد الملك نمر الذى انتقلت الزعامة من بعده لبشير ود عقيد المسلمابى، ومن بعده جاء النفيعاب أنظر MacMichael: Vol. I, P.232 وموطن السعداب الأصلى الهويجى، كما ينتشرون على الضفة الغربية للنيل حتى أم الطيور وأكثرهم بالتممة والسيال. أنظر الطبقات: ص ١٥، ٧٦.

(٤) الطبقات، ص ٢٤٥. وعن نسبهم أنظر أيضاً: أنساب عرب السودان، ورقة ٢٢.

(٥) ونسبه عن أبيه، كما يستنتج من ترجمة والده (الترجمة ١٣٦) وجده الأكبر الوارد ذكرها فى الطبقات، فهو الفقيه محمد النور ابن ضيف الله بن الفقيه محمد بن الفقيه ضيف الله (الترجمة: ١٣٥) بن على بن عبدالغنى بن ضيف الله. وإلى ضيف الله هذا ينتسب الضيقلاب الذين يسكنون بحفاية الملوك. وتختلف هذه النسبة عما أورده الصديق حضرة: فهو «محمد النور بن ضيف الله بن على بن إبراهيم بن الحاج نصر من الجعليين العباسية، ويبدو أن النسبة الأولى أقرب إلى الصواب الصديق حضرة: ٤٩٣، MacMichael: Vol.2, P.85.

(٦) أنظر جدول الأنساب بملحق حفاية الملوك، أروقام ٢٤، ٢٥.

– الفضلية :

جعليون منسوبون إلى الفضل ولد قحطان ولد سعد الفريد ولد الأمير مسمار ولد الأمير سرار ولد السلطان حسن كردم الغوار^(١)، وليس من السهل التحقق من أن فضلية الحلفاية هم من هؤلاء الفضلية أم هم فاضلاب مثل الضيفلاب.

ويعتقد أنهم من أقدم العناصر فى السودان وادى النيل، وقد تمتعوا بمركز اجتماعى وتجارى كبير إذ ينتسب إليهم الخواجة عبدالدافع الفضلى الذى كان من كبار التجار وخاصة بتجارته مع مصر، ويذكر أنه عند عودته من الحج وهو فى طريقه إلى موطنه ألتقى بالشيخ محمد بحر المغربى الفاسى، فأصطحبه معه إلى السودان وادى النيل، وزوجه ابنته^(٢) وبالتالى فإن معظم المغاربة ينتسبون للفضلية عن طريق أمهم هذه، ومن علمائهم أبو سرور الفضلى الجعلى الذى ولد بالحلفاية من أبوين فضليين، وكانت خلاوية فى الأطراف الجنوبية للحلفاية^(٣).

– الدوايب الركابية :

الدوايب بطن من بطون الركابية منسوبون إلى جدهم دوليب بن محمد كردى بن تركى بن عربى بن حماد بن حاج بن عبد الله بن ركاب غلام الله^(٤). ومقرهم الأساسى دنقلا، وقد أنجب دوليب بن محمد إدريس ونابرى^(٥)

(١) انظر: أنساب عرب السودان، مخطوط، ورقة ٢١، ٢٢؛ الفحل: تاريخ أصول العرب بالسودان، ص ٥٤.

(٢) جاء فى كتاب الطبقات: «عبدالحليم بن سلطان بن عبد الرحمن بن الفقيه محمد بحرى المغربى الفاسى. قدم بلاد السودان، مع الخواجة عبدالدافع الفضلى حين قدم من مصر، تاجراً وحاجاً، وزوجه ابنته ست النساء فولد منها ولده الفقيه عبد الرحمن وقدمه فى زمان ملك الفنج «الطبقات» ص ٢٩٧.

(٣) أبو سرور الفضل الجعلى ولد بالحلفاية وأمه كنوتة بنت الحاج على فضلية. قرأ خليل على الشيخ الزين والعقائد على الفقيه ولد برى ودرس العقائد. خلواته قريب الحلفاية على جهة الصعيد «الطبقات»، ص ١٠٥. انظر: جدول الأنساب، ص ١٨٦، ٢٦١، انظر: الخريطة بملحق الدراسة شكل رقم (١٨).

(٤) انظر: مخطوط: أنساب عرب السودان، ورقة ٢٧، ٢٨.

(٥) محمد نابرى، ونابرى كلمة دنقلاوية تعنى معدن الذهب،

C.F.: C.H. Armbruster: Dongolese Nubian: A Lexicon, Cambridge, 1965, P.154.

وقد أنجب إدريس محمد دوليب، وهو دوليب الكبير، وأنجب محمد دوليب محمداً الذى أنجب عبدالهادى، وولد الشيخ عبدالهادى الشيخ السيد وأمه صاردية من الحلفاية، كما أنجب الفقيه نابرى من أم مشيخية من الحلفاية أيضاً. انظر الطبقات، ص ٢١٤؛ عون الشريف قاسم: حلفاية الملوك، ص ٥٥.

ومكى ومدنى ودفن بالدبة^(١).

— الشايقية:

أصل الشايقية، نسبهم وممالكهم..

تقع دار الشايقية فى المنطقة الواقعة بين كريمة والدبة على شاطئ النيل^(٢) وتسكنها قبائل الشايقية التى تكون جزءاً من مجموعة القبائل الجبلية^(٣).

(١) الدبة: يذكرها الدكتور يوسف فضل بأنها دبة الفقرا الواقعة جنوب دنقلا، انظر الطبقات، هامش (٤)، ص ٢١٤. وتشير رواياتهم من هجرة الفقيه عبدالهادى بن محمد من دنقلا واستقراره بحلفاية الملوك، فيقولون أنه نشأ وتعلم بدبة الفقراء فى دنقلا موطن آبائه وأجداده وقد حظى بمكانة طيبة عند السلطان بادية أبو شلوخ بن السلطان نول - وذلك لما عرف عنه من احترام وإجلال للطعام والصالحين، وقد نزل وهو فى طريقه لسنار ضيفاً على رجل من الصوارة من نوى الثراء والمكانة يدعى عبدالوهاب الصاردى وقد تزوج الفقيه من إحدى بنات المضيف على أن يتم الزواج بعد عودته من سنار، وتزوج عبدالهادى من المشايخة فأنجب الفقيه نابرى وإلى عبدالهادى تنسب القبة المشهورة بقبة ولد دوليب انظر: الطبقات، ص ٣٤٧؛ عون الشريف قاسم: حلفاية الملوك ص ٥٦، ٥٧؛ ولمزيد من المعلومات عن أراضيهم، واتصالهم بأسرة الحافظات انظر: وثائق الفونج والأرض ص ٥٩ - ٨١؛ للطبقات ص ١٩٥، ١٩٦، ٢٤٨؛ كاتب الشونة، ص ٤٢؛ عون الشرف: حلفاية الملوك، ص ٥٧؛ انظر جدول الأنساب بملحق الدراسة شكل رقم (٦/د).

(٢) اشتهرت المنطقة التى تسكنها قبائل الشايقية بأنها ذات تاريخ عريق، وقد خلدت آثارها فى الكرو والبركل ونورى وسنام ابدوم وتنقاسى، وشملت هذه المنطقة الأقليم الذى يمتد من نهاية الشلال الرابع عند جزيرة برتى إلى جبل الضيقة الذى يذكره البعض بجبل (الدجر) ويقع بالضفة الغربية للنهر، ويمتد هذا الأقليم على جانبي النهر لمسافة قدرها حوالى ثمانين ميلا، وفى هذا الجزء تصب فى النيل أودية عديدة أهمها وادى ابدوم، كما انه فى منطقة الشلال الرابع قليل الزراعة والعمران حتى فى الأجزاء الخالية من الجنادل، بالرغم من أن بقية المنطقة عامرة بالسكان صالحة للزراعة. وعند دخول المسيحية إلى مملكة المقررة حيث أن ديارهم تدخل فيها، فلا بد أنهم تحملوا عبء المقاومة عند دخول العرب هذه المنطقة فى عام ٦٥٢ م. وتوالت الهجرات العربية على هذا الأقليم حتى سقوط مملكة المقررة فى العصر المملوكى. انظر: عوض عبدالهادى: الشايقية: تاريخهم وثقافتهم حتى الفتح التركى، مجلة الدراسات السودانية، جامعة الخرطوم، العدد الثانى، المجلد الثانى، ابريل ١٩٧١ م، ص ٦، ٧، وعن آثارها انظر: ب. ل. شينى: بلاد النوبة العصور الوسطى - ترجمة نجم الدين محمد شريف، ص ٩،

Crawford; O.G.S.: The Fung Kingdom of Sennar, P.43; C.F.: Kirwan, L.P.,: A Contemporary Account of the Conversion of the Sudan to Christianity, S.N.R. XX, Part II, 1937, P. 290, Arkell: A history of the Sudan, P.196. C.F.: Al Shahi, A.S., The Shaigifeof the Northern Sudan, 1965, P.58;

انظر: الخريطة شكل رقم (١٤).

(٣) الطبقات ص ٤٠، C.F.: MacMichael: Op. Cit., Vol. 2, P. 213 - 215, Y.F. Hasan: Op. Cit., P. 146 - 153.

وإذا كان الشايقية جزءاً من المجموعة الجعلية^(١) فإن هناك آراء حول صلة الشايقية بالأصل العربي، بالرغم من أن الشايقية عندما يتحدثون عن أصلهم فإنهم ينسبون أنفسهم إلى العباس عم النبي ويؤكدون عروبتهم^(٢)، من هذه الآراء ما قاله نكولز عن الشايقية وأنهم ربما كانوا قبيلة بدوية ذات صلة بالبيعة هاجروا في عصور قديمة إلى بلاد النوبة، واستقروا هناك واحتفظوا بلغتهم الخاصة فلم تختلط بلغة النوبة، كما أن أسماء قبائل الشايقية تنتهي بالمقطع (أب) (السواراب) (الحساب، الحوشاب) إلخ. وهو مقطع لفظي مأخوذ من لغة البيجة^(٣).

وهنا رأى آخر يرجعهم إلى بقايا المحاربين القدماء الذين غزوا بلاد النوبة في عهد الملك اسبلتا Aspelta حوالي ٥٩٢ - ٥٩١ ق.م. أو من سلالته التي استقرت في مروي، وساعدت ملكها في صد بعض الهجمات من الجنوب^(٤)، لأن موقع بلاد الشايقية قريباً من مروي القديمة، هذا مع وجود النزعة الحربية، المتأصلة في نفوس

(١) على اعتبار أن القبائل العربية قد تدفقت إلى أرض النوبة قبل سقوط دنقلا في ٧٢٤هـ/١٣٢٣م بين دنقلا وخانق السبلوقة، وقد جاءوا من صعيد مصر مخترقين أرض المعدن وصحراء العتومور حتى أبي حمد، ومنه ساروا متجنبين المناطق التي تحرسها السلطة، وقد اتجه بعضهم شمال أبي حمد حتى التقى بالموجة القادمة من الشمال بعد سقوط دنقلا، ولا بد أن التقاء هذه الموجات قد أوقفها في نقطة قد تكون منطقة الشايقية جزء منها، وأدى إلى استقرار بعضها في هذه المنطقة باعتبارها منطقة ذات خصب ونماء ثم اختلطوا بالسكان القدامى، وزاد الاختلاط مما أدى في النهاية إلى النوبة المستعربين أو الجعليين، بعد أن اكتسبوا الملامح والصفات العربية وغذوهم بالتراث الثقافي الإسلامي، وتشمل هذه المجموعة الجعلية عدداً من قبائل شمال السودان النيلية كالجوابرة والبيديرية والشايقية انظر:

Y.F. Hasan: The Arabs and the Sudan, P.145, Holt P.M.: A Modern history of the Sudan, P. 6., MacMichael: A history of the Arabs in the Sudan, Vol. I, P.199.

(2) MacMichael: Op. Cit., Vol.2, 213-215.

(٣) انظر أيضاً: Y.F. Hasan: Op. Cit., P.146 - 153.

Nicholls, W.: The Shaikiya, (1913).

نقله للعربية عبدالمجيد عابدين: الشايقية، ص ٣.

(4) C.F.: Trimingham: Islam in the Sudan, P.49; Arkell,: A history of the Sudan, P.186; Crawford: Op. Cit., PP. 24 - 25;

عمر حاج الزاكي: الاله آمون في مملكة مروي (٧٥٠ ق.م - ٣٥٠ م)، مطبوعات كلية الدراسات العليا جامعة الخرطوم، ١٩٨٣م ص ٩٤.

الشايقية وعدم خضوعهم لزعيم واحد^(١). ورأى آخر يقول إنهم ربما كانوا من الجنود المرتزقة من الترك الأرناؤط^(٢) الذين أقاموا حامياتهم واستحكما ماتهم في بلاد النوبة منذ غزو السلطان سليم الأول لمصر عام ٩٢٣هـ/١٥١٧م^(٣)، ولكن إذا أخذنا في الاعتبار أن السلطان سليم لم يغزو حدود الشايقية، فلن يكون مقبولا أن نرجع أصلهم إلى أولئك الجنود.

والراجع أن الشايقية هم نتاج اختلاط العرب الذين نزحوا في فترات مختلفة إلى السودان وادي النيل بالوطنيين الذين كانوا في تلك المنطقة. وهم في غالب الأمر من النوبيين الذين إزداد عددهم أثناء غزوات الممالك على بلاد النوبة، أما ما قيل من أن المقطع اللفظي (آب) وجد بين الشايقية فلأن هناك هجرات عربية قدمت إلى هذه المنطقة وغيرها عن طريق البحر الأحمر، إذا فلا بد أن تكون المجموعات العربية التي وفدت عن هذا الطريق قد تأثرت ثقافياً بالبجة، وأخذت هذا المقطع وهي في هجراتها ونقلت معها هذه المؤثرات الثقافية^(٤).

وكيفما كان الأمر فإنه كلما ذكر الشايقية نسبهم وتحدثوا عن أصلهم أكدوا عربيتهم. وإذا استعرضنا شجرة نسبهم لوجدناها تلحقهم بالعباس عم النبي صلعم وهذا يعني أنهم من سلالة عربية^(٥). وهذه صورة من نسب الشايقية: «شايق بن حميدان بن صبح أبو مرخة بن مسمار بن كردم بن أبو الديس بن قضاة بن حرقان بن شروق بن

(1) C.F.: MacMichawl: Op. Cit., Vol.I, P.214;

عوض عبدالهادي: الشايقية، ص ٩.

(2) C.f: Al - Shahi;: Op. Cit., P.143.

(3) Al - Shahi, Ibid, P. 143.

(٤) يورد الشاهي Shahi رأى يقول: أن للشايقية صلة بالجزيرة العربية وهذا الرأي يوافق روايات الشايقية أنفسهم عن أصلهم العربي. وهناك بعض العناصر العربية التي اختلطت بالشايقية كالحلقة والفلاتة، وقد يكون ذلك نتيجة للاغارات التي كان يقوم بها الشايقية على الآخرين فجلبوا هذه العناصر أو أخذوهم كأسرى أو ربما نتيجة للاتصالات التجارية أو ربما أثناء مرورهم وهم في طريقهم إلى الحج، ولكن أكبر الاحتمالات أن يكون هؤلاء وهم قلة بين الشايقية قد وفدوا إلى بلاد الشايقية طلباً للعلم أو في شكل فقهاء واستقروا في المقام بينهم حيث تزوجوا منهم وتناسلوا. انظر: كتاب الطبقات ص ٤٢، ١٠٩، ١١٠ هـ، ٢٠٤ هـ،

C.F.: Al - Shahi: the Shaigiya of the Northern Sudan, P.143 FF.

(5) C.F.: MacMichael: Op. Cit., Vol. 2, P.213 - 215.

أحمد بن إبراهيم الجعلى بن سعد بن الفضل بن عبدالله بن عبدالمطلب^(١).

وإذا قارنا هذه الشجرة مع أشجار أخرى نجد هنالك بعض الاختلافات إذ أن هذه الشجرة أهملت بعض الأسماء الرئيسية التى تكمل شجرة النسب فمثلا هو سرار بن كروم بن أبو الديس بن قضاة بن حرقان بن مسروق بن حمد اليماني بن إبراهيم الملقب جعل ابن إدريس بن قيس بن يمن بن عدى بن قصاص بن كرب بن هاطل بن ذى الكلاع الحميرى بن سعد الأنصارى بن الفضل بن عبدالله بن العباس^(٢).

وهذه نسبة ثالثة نورد أسماء الشجرة بعد صبح وهى:

«صبح الشهير بأبى مرخة بن مسمار بن سرار بن كردم بن أبى الديس بن قضاة بن عبدالله الشهير بحرقان بن مسرور بن محمد اليماني بن أحمد الحجازى بن سعد بن إبراهيم جعل بن إدريس بن قيس بن قصاص بن كرب بن هاطل بن باطيل بن ذى الكلاع الحميرى بن يمن بن سعد بن الفضل بن عبدالله بن العباس^(٣)». وقد ذكرت هذه النسبة بعض الأسماء باختلاف عما ورد فى غيرها فقد ذكرت حرقان بن مسرور فى غيرها حرقان بن مسروق أو شروق كما ذكرت محمد اليماني وأحمد الحجازى، وفى غيرها أحمد بن محمد اليماني كذلك تذكر ياطل بعد هاطل. والواضح أن الغرض من هذا ليس تفاصيل الأسماء بقدر تحقيق الأصل فى النسب، وهو الوصول إلى العباس لتأكيد شرف القبيلة وعروبته^(٤).

(١) انظر: مخطوط أنساب عرب السودان، ورقة ٢٣ C.F.: MacMichael: Op. Cit., Vol. II, Tree illustrating Ms. A. 3. عوض عبدالهادى، مرجع سابق، ص ١١، نكولز: قبائل من السودان الأوسط والسودان الغربى. ص ١١، ١٢؛ عون الشريف قاسم: حفاية الملوك، ص ٦٠، ٦١؛ الفحل الفكى الطاهر: مرجع سابق، ص ٥٦؛ حسن أحمد محمود: مرجع سابق، ج ١، ص ٣٣٢.

(٢) محمد الفاتح الصاوى: نسب القبائل العربية فى السودان، مطبعة منديل بالخرطوم، ص ١٠.

(٣) مخطوط نسب يحتفظ به أحد شيوخ المنطقة من البديرية، وقد لاحظت أن النسب واحد، وخاصة بعد صبح أبو مرخة، والحقيقة أنه من الصعب التفريق بين البديرية والشايقية فى هذه المنطقة، فهم متشابهون فى كل الصفات والمقامات، وهم أبناء عمومة، وحدث تداخل كبير فيما بينهم.

(٤) الملاحظ فى هذه الشجرة وجود بعض الاسماء التى لا تبدو عربية فى أصلها وإن بعض الروايات تشير إلى أن إبراهيم ملقب بجعل أى (جعران) أسود اللون، وهذا يدل على وجود عنصر غير عربى فى هذه الشجرة، وربما تكون شجرة النسب بعد إبراهيم جعل هذا خلاف ما ذكره أعلاه. وقد أنجب سرار أربعة أولاد وهم سمرة الذى أنجب بديرا، وسمير ولم ينجب ورياط جد الرباطاب ومسمار الذى أنجب صبح الذى أنجب حميدان الذى أنجب غانم جد الجعليين وشايق جد الشايقية. انظر: مخطوط: أنساب عرب السودان، ورقة ٢١ - ٢٣، محمد عوض: السودان الشمالى، ص ١٨٩، عوض عبدالهادى: الشايقية، ص ١١، ١٢.

أما شايق فقد أنجب ذرية توزيعها كالاتى :

- سوار: جد السواراب من أهم فروع الشايقية من حيث العدد والقوة وقيمون فى إقليم الأبواب (كبوشية) وما حولها^(١). ومن فروع السواراب^(٢) الكفجة والظليطاب والزراقة فى إقليم شندى وصحراء بيوضة، والمشدل والحمدالاب، والتماليك والعايداب والعنانياب.
- حوش: جد الحوشاب فى أبدوم وتنقاسى والكوداب، والكدرى ومروى والبسابير^(٣) وفروعه المجناب والعقرياب.
- عون: جد العونية فى جلاس وكورتى والبرصة وقنتى وشندى^(٤) وينقسم هذا الفرع إلى حسناب ودواناب.
- شلوف: جد الشلوفاب فى الجريف والقرير وكورتى والمقل والقضارف وينقسم إلى محداب والعلياب والبادياب.
- باعوض: جد الباعوضاب فى امرى والبركل والركابية، وفروعه العجيباب، والقبطية والأماناب^(٥).
- قريش: فى كريمة ومروى وشندى وكورى وأمرى وفروعه الأباديد والصالحاب والأبوناب^(٦).
- نافع: جد النافعاب فى الجريف والدويم والحجير وينقسم إلى الغاسنياب والضيف اللاب.

(١) أنظر: أنساب عرب السودان، مخطوط، Misc 1/18/198، ورقة ٢١، Vol., MacMichael: Op. Cit., P.230.

(٢) جاء فى كتاب الطبقات ص ١٥٢، فى ترجمة أحمد النجيب العوضابى الجموعى «وهناك فرعان من الجموعية يحملان نفس الاسم الأول العوض بن منصور بن جموع والثانى فرع من السروراب بن سرور بن جامع الصغير بن إبراهيم بن منصور وربما أن السروراب فرع مشهور فيغلب أن يرجع النسبة إلى المجموعة الأولى.

(٣) C.F.: Nicholls: Op.Cit., P.49

(٤) Nicholls: Op.Cit., P.49

(٥) Ibid, P.49 - 50.

(٦) أنظر: مخطوط أنساب عرب السودان، ورقة ٢٣، ٣٢،

C.F.: Nicholls: Op.Cit., P.50.

- مريس: جد المريساب فى بربر وأبدوم والتكروله من الفروع العليتاب.
- أم سالم: جدة أولاد سالم فى النيل الأبيض وبربر وسنار والزومة وأمرى، وفروعها اليعقوباب، والبادياب والكلاشيم والجاداب^(١).
- كدناق: جد الكدنقاب فى أوصلى وحزيمة ومساوى والقرير وأمرى، وفى شندى والعليفون والزومة والديبه والنوراب والبسابير والجيلى وحلفاية الملوك وأبو حليلة ومروى وكجى وأولاد على وتنقاسى والبركل وود البصل والكرى والكوداب وأبدوم ونورى وفى كردفان^(٢).
- مراس: جد المراساب فى مورة والأراك وأولاد الحسن جد الحسانب فى الأراك ورحمة جد الرحاب.
- أمير: جد العمراب^(٣). وهناك صفات ميزت قبيلة الشايقية، فقد اتفقت المصادر على أن الشايقية محاربون مهرة^(٤). والشايقى مغامر محترف يمتاز برمى السهام، وكأنه فى هذه الصفة يحتفظ بمميزات أسلافه رماة الحق. والشايقية يمتطون الخيول ويشتهرون بالفروسية ويدربون جيادهم على القفز العنيف^(٥)، وقد اعتادوا على حياة الحرب والقتال فكانت لهم معارك مع جيرانهم واشتركوا فى حروب العبدلاب. إذ كانوا حتى أواخر القرن السابع عشر جزء من مملكة الفونج، وفى القرن الثامن عشر سيطروا على النوبة بفروسياتهم^(٦).

(1) Ibid: P. 48.

(٢) وينقسم هذا الفرع مالى: الحنكاب وينقسم هذا أيضاً إلى محوداب وناصراب والقوتاب والشريشاب والحسانب والشليلاب. ثم الصلاحاب والعسوماب والعندلاب والحمداب والتلبتاب والجروماب والزمماماب، والكروساب والرزوقاب والشرنكاب والفريراب والعيساب والفراجاب والفرجلاب والرغبيماب والكوداب. ويعتبر هذا الفرع أيضاً كالسواراب من أكثر فروع الشايقية عدداً وقوة. C.F.: MacMichael: Op. Cit., Vol., I, P. 219.

(٣) أنساب عرب السودان ورقة ٢٤، P. 51; Nicholls: Op. Cit.,

(4) C.F.: MacMichael: Op. Cit., Vol., I, P. 213.

(5) C.F.: Burkhart, J.L.: Travels in Nubia, London 1819, P. 70.

(6) Holt: Op. Cit., P. 7.

ولمزيد من الدراسة عن ممالك الشايقية الحنكاب - كجى، العندلاب - العمراب، انظر الدراسات الآتية:

Waddington and Hanburg, Journal of a Visit to Some Parts of Ethiopia, P. 95,

Crawford: Op. Cit., P. 48. عوض عبدالهادى: مرجع سابق، ص ١٥، ١٦، الفحل، ص ٥٦، أبو سليم: تاريخ

الخرطوم، ص ١٠ - ١١؛ هل: على تخوم العالم الإسلامى، ص ١١٣، سلاطين: السيف والنار، الخرطوم،

ص ١٢٣؛ عون الشريف: حلفاية الملوك، ص ٦٠، ٦١، انظر جدول الأنساب بملحق الكتاب ص ٢٢٧ - ٢٩٣.

— الجعافرة:

ينحدر الجعافرة من جعفر الطيار بن أبى طالب، نزحوا إلى مصر فى القرن العاشر الميلادى^(١) بعد أن أقصتهم بعض القبائل من مكة وسكنوا أسوان وقوص مع أبناء كنز الدولة مما يدل على ذلك شواهد القبور التى عثر عليها فى مقابر أسوان^(٢).

وكانت أهم حرفهم التجارة، وينسب إلى هؤلاء جعافرة السودان، وهم منتشرون فى أنحاء كثيرة على النيلين الأزرق والأبيض والجزيرة والخرطوم وغيرها. ومن أشهر الجعافرة آل العوضى أبو يونس الذى تزوج هو وأخوه إبراهيم أبو يونس من الهوناب الهوارة، ومنهم أيضا آل الخولى هلاوى وأمهاتهم جميعا من الهوناب الهوارة مما يدل على صلة قديمة بالهوارة، بل إن بعض الرواة، يجعلهم من الهوارة، إذ أنهم جميعا جاءوا من صعيد مصر^(٣).

— المحس:

جاء ذكرهم فى كتاب الطبقات حيث يذكر النص فى ترجمة إدريس بن محمد الأرياب «أول امره جالس الشيخ بأن النقا الضير ودخل معه سنار وسأله الملك عمارة عنه، وقال له من المحس^(٤)».

والمحسن قبيلة نوبية تسكن بين الشلال الثانى والثالث^(٥)، ومازال أهلها يتحدثون بلهجة نوبية مع إجابة كثيرين منهم للعربية، وذلك بعد أن استوعب المحس عددا كبيرا من العناصر العربية فى هجرتها من مصر للسودان بعد القرن الثالث عشر

(١) أنظر: الأنساب الخاصة بالجعافرة، دار الوثائق القومية بالخرطوم، مخطوط، Misc 91/1473، ورقة ١، ٢؛

مخطوط عرب السودان، ورقة ١٢، ٢٦. C.F.: MacMichael: Op. Cit., Vol., I, P142..

عابدين: تاريخ الثقافة العربية فى السودان، ص ٣٣؛ الفحل الفكى الطاهر: تاريخ أصول العرب بالسودان، ص ١٠٣.

(2) C.F.: Wiet: Op. Cit., Vol. VI, P.3, P.90.

(3) C.F.: MacMichael: Op. Cit., Vol., I, P.142، ص ٦٦، عون الشريف: حفاية الملوك التاريخ والبشر، ص ٦٦،

انظر جدول الأنساب ص ٢٥٦، ٢٥٧، انظر: الخريطة بملحق الدراسة؛ شكل رقم (١٣).

(٤) تتفق هذه الرواية مع ما أورده صديق حضره، ص ٤٩٩؛ الطبقات، ص ٥٠، C.F.: MacMichael: Op.

Cit., Vol., 2, P.82-97.

(٥) انظر: الصديق حضره، ص ٩١، ٨٢، Vol., 2, P.82، MacMichael:

الميلادى^(١) ويصل المحس نسبهم بالأنصار^(٢) وبعد انتشار الإسلام فى موطنهم هذا هاجر جماعة منهم واستقروا فى منطقة ملتقى النيلين عند توتى وما جاورها^(٣). ويمرور الزمن نسوا لسانهم النوبى، وقد ظهر بينهم عدد من رجال الدين أمثال الشيخ إدريس ود الأرياب والشيخ خوجلى عبدالرحمن^(٤).

المشايخة:

هم أبناء الشيخ مجلى المدفون فى زرينخ^(٥) بصعيد مصر قرب إسنا، ينتسبون إلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه، والشيخ مجلى شريف من جهة أمه بكرى من جهة أبيه، قدم مع أخوه أحمد اليمانى من اليمن من قرية بندة إلى مصر مع أبنائهم واستوطنوا زرينخ^(٦).

قدم جدهم الفقيه يعقوب بن مجلى^(٧) إلى السودان، فى أوائل مملكة الفونج ونال الحظوة عند ملك الفونج الذى زوجه ابنته وأقطعه داره شمال الحلفاية^(٨) وسبب تسميتهم بالمشايخة أن الشيخ زيد بن عرمان الجعلى الذى ينتسب إليه الزيداب من الجعليين كان تقياً يحب نشر العلم وكان ذا ثروة واسعة فجاءه الشريف شرف الدين فزوجه ابنته على شرط أن يستقر فى المسجد ويعلم القرآن وعلوم الدين^(٩) وقد أطلق

(١) عون الشريف قاسم: حلفاية الملوك، ص ٦٦، ٦٧.

(٢) انظر: أنساب عرب السودان مخطوط، ورقة ٩؛ P.82-84، Vol.2، C.F.: MacMichael: Op. Cit., 124, Y.F. Hasan: Op. Cit., 134-144, 156, 254.

(٣) جزيرة توتى تقع عند التقاء النيلين الأبيض والأزرق، انظر الطبقات حاشية (١٠)، ص ١٨١.

(٤) الطبقات، ص ٥٠، ١٨١، انظر الخريطة بملحق الدراسة شكل رقم (١٥).

(٥) هم ذرية الشيخ مجلى المدفون فى زرينخ بمصر - من ذرية أبى بكر الصديق، وقد قدم جدهم الشيخ يعقوب إلى السودان فى أوائل مملكة الفونج وسكن حلفاية الملوك ودفن بجهة الازيرقاب وخلف أربعة أبناءهم عطا الله، وموسى، ومحمد زامر، ومحمد قاضى بندى ولهم ذرية كبيرة منهم الشيخ حمد بن مريوم، ومنهم الزنارخة المقيمون مع الجموعية وغيرهم. انظر الصديق حضرة، ٥٠٣، Vol.2، C.F.: MacMichael: Op. Cit., P.92-93 وانظر أيضاً: الطبقات، ص ٤٢، ٣٧٣، أنساب عرب السودان، ورقة ١٢؛ عون الشريف: حلفاية الملوك، ص ٤١.

(٦) MacMichael: Op. Cit., Vol.2, P.92.

(٧) ود ضيف الله: الطبقات، ص ٣٧٣.

(٨) المصدر نفسه، ص ٤٢، MacMichael Vol.2, P.92.

(٩) الفحل الفكى الطاهر، تاريخ أصول العرب بالسودان، ص ٦٦، ١٠٥.

المريدين على ذريتهم أولاد شيوخنا. ثم قالوا أولاد المشايخ، ثم سموهم مشايخة. فالمشايخة أولاد الشيخ شرف الدين أشرف ويعرفون بالشرفدينا ب وأولاد الشيخ محمد مجلى ولد الشيخ يعقوب بكريه ويعرفون بالمجلىاب، والكل ينتمون إلى الجعليين^(١) أما أولاد يعقوب غير أولاد مجلى فزنارخة لأنهم جاءوا من زرنينخ بمصر^(٢). ومن أحفاد الشيخ يعقوب المشايخة الشيخ حمد بن صريوم المنسوب إلى أمه المحسية^(٣).

والواقع أن المشايخة منتشرون فى جهات عديدة من سودان وادى النيل. ومن أهم المناطق التى تجمعهم جهة كبوشية وبعض مناطق الجزيرة، ويسكنون المشايخة بسنار وديم المشايخة بكبوشية والقوزوديم الفتيحاب^(٤) وبرى والجريف والمجانيين بمنطقة الأبيض^(٥).

(١) الفحل: تاريخ أصول العرب بالسودان، ص٦٦، ١٠٥.

(٢) نفسه، ص١٠٥.

(3) C.F.: MacMichael: Op. Cit., Vol.,2, P.92.

عون الشريف: حلفاية الملوك، ص٤١.

(٤) انظر كتاب الطبقات، ص٢٦١.

(٥) عون الشريف: حلفاية الملوك، ص٤٢. انظر جدول الأنساب بملحق حلفاية الملوك، ص١٨٧ - ١٩٧، انظر الخريطة

بملحق الدراسة شكل رقم (١٤).

ثانياً : مجموعة جهينة :

والمجموعة العربية الثانية - فى حوض النيل الأوسط بعد الجعليين من حيث عدد القبائل والبطون - هى المجموعة الجهنية التى تدعى الانتساب إلى عبدالله الجهنى^(١). وهى قبائل قحطانية وفدت إلى مصر بعد الفتح^(٢) حتى إذا كان القرن التاسع الميلادى اشتركوا فى الجيش الذى غزا الصحراء الشرقية، ثم بدأوا يطرقون أرض النوبة ويمضون فى طريقهم جنوباً منذ القرن الرابع عشر الميلادى^(٣). وسوف نتتبع فروع هذه المجموعة الجهنية على النحو التالى:

- **العبدلاب :** فرع من المجموعة الجهنية من عرب القواسمة ينتمون إلى قبيلة رفاعه^(٤). وحسب رواية العبدلاب أن القواسمة هم أخوال عبدالله جماع، والده من الأشراف المنسوبين إلى محمد الباقر من أحفاد الحسين بن على^(٥). برزوا كقوة حربية وسياسية مع زعيمهم عبدالله جماع الذى أدى تحالفه مع عمارة دنقس زعيم الفونج إلى سقوط دولة علوة^(٦). ورغم اتخاذهم قرى عاصمة علوة الثانية، عاصمة لهم، فقد كانت الحلفاية عاصمتهم الثانية حتى قبل أن ينتقلوا إليها، وسموها حلفاية الملوك نسبة إليهم^(٧).

ومن الواضح أن انهيار مشيخة العبدلاب بمجئ الأتراك قد كانت له آثار بعيدة المدى على حياتهم، إذ تحولوا من طبقة حاكمة إلى طبقة محكومة واضطروا للتكسب

(1) C.F.: MacMichael:H.A.: A hist., of the Arabs in the Sudan, Vol. I, P.237.

(٢) انظر: مخطوط أنساب عرب السودان، ورقة ١٩، ٢٠.

(٣) سبق أن أشرنا إلى هجرة جهينة إلى جهات مختلفة من حوض النيل إلى أوطان البجة وبلاد النوبة منذ منتصف القرن التاسع الميلادى إلى القرن الخامس عشر، انظر ما سبق.

(٤) انظر: واضح البيان فى تاريخ العبدلاب، ورقة ١-٣؛ الفحل: نسب العبدلاب، مخطوط، ورقة ٦١٥ - ٦٢٨، الشيخ

عثمان أونسة، تاريخ مشيخة العبدلاب، ص ١١، ١٢، C.F.: A. E. Penn: Traditional Storia of the Abdallab Tribe, S.N.R. XVII, 1934, P.6FF.

(٥) أونسة: تاريخ مشيخة العبدلاب، ص ١١، ١٢.

(6) C.F.: A. E. Penn: Traditional Stories of the Abdallab Tribe, S.N.R. XVIII, 1934,

Shini: تاريخ مختص بأرض النوبة، مخطوط، ورقة ١٧ - ١٩، مخطوطة كاتب الشونة ص ٧، P.60-62.

Exavation at Soba, PP.14-15.

(٧) تاريخ مختص بأرض النوبة، ١٧ - ١٩؛ أنساب عرب السودان، ورقة ١٩، ٢٠، حسن أحمد محمود: مرجع سابق، ج ١، ص ٣٣٤ الحويرى: أسوان، ص ٢٣١ ك عون الشريف: حلفاية الملوك، ص ٣٩.

كبقية المواطنين، فأتخذوا مختلف المهن، وتفرقوا في البلاد^(١). وكانت أهم مراكز التجمع بعد الحلفاية الهلالية «ومعظم عبدلابها من الأسيداب» والعريباب وأبى حراز وعد الشيخ جماع «معظم عبدلابة من المسامير، وينتمى معظم العبدلاب بحلفاية الملوك إلى عجيب بن محمد العقيل (١١٠٩ - ١١٢٠ هـ) وتنسب فروعهم الثلاثة إلى أبنائه: بادى وشمام وعبدالله^(٢).

— الصوارة والأحامدة:

قوم منسوبون إلى جدهم صار أو «صاردي^(٣)»، ويذكرون أن صار هذا أخو جذام وعبدالعزیز محسى، وكلهم من أبناء ذبيان، ويرجعون بنسبهم البعيد إلى جهينة^(٤) وهم كبقية المحس ينتسبون إلى كعب الخزرجى الأنصارى^(٥). وتشير رواية أخرى إلى انتسابهم لعقيل بن أبى طالب، فهم من هذه الناحية إخوان العقليين والعقاقل والعقيلاب «العقيلات بمصر^(٦)»، والصوارد من أقدم العناصر حضورا إلى السودان وادى النيل، وإليهم تنسب أكبر مقابر الحلفاية المسماة بمدافن الصوارة شمال المدينة، وقد اشتهر الصوارة بالعلم والورع، ومن شيوخهم الفقهاء الشيخ حميد الصاردي^(٧).

(١) انظر: تاريخ العبدلاب من خلال رواياتهم السماعية، ص ١٠٢.

(2) C.F.: Crawford: Op. Cit., P.175.

انظر الطبقات، حاشية (١٠) ص ٤٠، انظر ملحق الدراسة جدول الأنساب، ص، انظر وثائق الفونج والأرض: ص ١٣٣، الوثيقة ٢٦.

(٣) تشير كلمة الصوارة الآن إلى سكان قرية صوارة الواقعة في منطقة السكوت بأرض المحس على خطى ٢٠، ٣٤ شمال ٣٠، ١٩ شرق، كما تشمل سكان المنطقة المجاورة وكلهم من المحس. ويروى النسابة السودانيون أن صار جد الصوارة هو أخو جذام وعبدالعزیز محسى، وكلهم من أبناء ذبيان، ويبدو أن للصوارة هؤلاء صلة قوية بالمحس وقبيلة جهينة انظر: الطبقات، ص ١٨٥، Y.F.: Hasan, MacMichael: Vol. 2, P.24; P.143 - 154. وانظر كذلك: هولت: أولاد جابر وأقاربهم، مجلة معهد الدراسات الإفريقية بالخرطوم، ج ٣٠، ص ١٤٨.

(٤) مخطوط أنساب عرب السودان، ورقة ١٢، الطبقات، ص ١٨٥، MacMichael: Op. Cit., P. 24.

(٥) الفحل: تاريخ أصول العرب بالسودان، ص ١٠٤؛ عثمان حمدالله: سهم الأرحام في السودان، ص ٢٠٤.

(٦) عثمان حمدالله: سهم الأرحام، ص ٢٠٤.

(٧) الطبقات، ص ١٨٥.

المولود بالقرب من المسلمية، وقد أخذ عليه علم التوحيد الفقيه ضيف الله بن على الفضلى^(١) وإليه تنسب صواردة الحلفاية. ومنهم الولي على بن قنديل الصاردي جد الفقيه على بن برى^(٢). وقد تفرق الصواردة في مختلف الجهات، وكانت صلاتهم بالجليين قوية وبالذات مع المسيكتاب. حتى ظن كثير من عامة الناس أن الصواردة من الجليين^(٣) ورغم قدمهم في الحلفاية إلا أنهم فيما يبدو قد اضمحلوا بسبب هجرتهم إلى الجزيرة مع مجموعة اليحياب الذين ينتسب معظمهم إلى قبلية الأحامدة «وبعضهم يزعم أنهم من الحمدة، ولكن كثيراً من أهل الحلفاية يتصل بهم من ناحية الأمهات مثلاً هو الحال مع الجموعية الحميدانية بالحلفاية، فإن كثيراً من أمهاتهم صارديات وكذلك بعض المغاربة والعبدلاب وغيرهم^(٤).

— الهوارة:

اختلف المؤرخون كثيراً في تحديد معنى اسم الهوارة وأصلهم، فنسبه البعض إلى هواره بن المثنى بن حمير اليمنى^(٥)، ونسبه البعض الآخر إلى ما كان من تهوور المسور بن المثنى وخروجه من مصر في طلب إبل له فقداه فذهبت نحو المغرب وهو في إثرها، وأنه لما أدرك ابتعاده عن مصر وصف عمله بالتهوور، وأن الهوارة نسبوا إليه لنزوله المغرب وتزوجه هناك ومن ثم تناسلوا بعد ذلك^(٦). وقد أرجع البعض أصل الهوارة إلى البربر^(٧) وأرجعه البعض الآخر إلى حمير اليمنى^(٨).

(١) الطبقات، ص ١٨٥.

(٢) وقد كان نسب أولاد برى سبب خلاف شديد بين أفراد تلك الأسرة إذ ادعى بعضهم أنهم صواردة خلص بينما ظلت الأغلبية ترجع نسبها من جهة أبيها إلى الحسن بن على وينتسبون من جهة أمهم إلى الفقيه على ود قنديل الصاردي. انظر الطبقات حاشية (١٣)، ص ٢٩٣؛ وانظر أيضاً: الطبقات ص ٢٩٥.

(3) C.F.: Y.F., Hasan: Op. Cit., P.143 - 157.

(٤) انظر: مخطوط أنساب عرب السودان، ورقة ١٣ وما بعدها، انظر جدول الأنساب بملحق الدراسة. ملحق رقم (٦/هـ)، انظر: الخريطة بملحق الدراسة شكل رقم (١٤).

(٥) محمد عبدالخالق البتيتي: إمارة الصعيد أمرة هواره ونسبها: مقال بجريدة البلاغ ١٩/٢/١٩٣٤، ص ٣؛ ليلي عبداللطيف أحمد: الصعيد في عهد شيخ العرب همام، ص ٢٦.

(٦) المقرئزي: البيان والأعراب، ص ٥٨.

(٧) نسبة إلى هواره وهي إحدى قبائل البربر التي دخلت مصر في أيام الفاطميين، ونزح جماعة منها إلى الصعيد، وتمكنوا فيه حتى صاروا زعماء على معظم القبائل. انظر Y.F. Hasan: P.104-105؛ وقد هاجر بعضهم إلى السودان واحترفوا تربية الإبل في الصحراء الغربية بين الكبابيش ويطلق عليهم اسم هواير، كما أن طرفاً منهم احترف التجارة وصاروا جلابة في كردفان ودارفور. راجع MacMichael: Op. Cit., Vol. I, P.335-336.

(٨) المقرئزي: البيان والأعراب، ص ٦٠؛ نسيم مقار: أضواء على تاريخ الهوارة في صعيد مصر، مجلة الجمعية التاريخية المصرية، العدد ٢٦، ص ١٩٢؛ صلاح أحمد هريدي: دور الصعيد في مصر العثمانية، دار المعارف ١٩٨٤، ص ١٧٦.

أما الهوارة أنفسهم فقد كان من الشائع بينهم في عهدهم الأول أنهم ينتسبون إلى دحية الكلبى من بنى كلب بن وبرة من قبيلة قضاة من بنى مالك بن حمير بن سبأ^(١) ومنهم صنهاجة وهوارة وكثامة.

وتعتبر هوارة من أكثر القبائل المغربية هجرة إلى وادى النيل بحيث أنهم في خلال القرنى الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين من أكبر العناصر المغربية وجوداً في جنوب مصر^(٢). وقد أنزلهم الأمير برقوق^(٣) قبل توليه السلطة بعامين ٧٨٢هـ/١٣٨٠م في منطقة الصعيد الأعلى، وأقطع زعيمهم منطقة جرجا وما حولها^(٤)، والهدف من ذلك أن يجعلهم قوة تحمى الطرف الجنوبى لمصر من غارات بنى الكنز في منطقة الشلال وأسوان. ولم تلبث هوارة أن اشتبكت مع بنى كنز الدولة بالتعاون مع المماليك مما أدى في نهاية المطاف إلى انهيار دولة الكنز في جنوب مصر، وفي عام ٨١٥هـ/١٤١٢م زحف هوارة على أسوان واستولت على بعض المناطق، ولم ينفذ بنى الكنز من هزيمة ساحقة أخرى إلا النزاع والانقسام الذى دب بين صفوف قبيلة هوارة وحملات المماليكة المتكررة عليهم مما أدى إلى تفرقهم^(٥).

فسار قسم منهم جنوباً إلى النوبة، وانتشروا في بقاع مختلفة من السودان الشمالى وإليهم ينتسب الهوارة بمنطقة الخرطوم والجزيرة وغيرها، والهوارة الزرق الجلابة والهاوير في كردفان ودارفور وغيرها^(٦).

(1) C.F. MacMichael: Op. Cit., Vol. I, P.151.

مصطفى كامل الشريف: عروبة مصر من قبائلها، القاهرة ١٩٥٦، ص٣٦؛ عون الشريف حلفاية الملوك، ص٥١، ٥٢؛ عثمان حمدالله: التعارف والعشيرة، ص٦٧.

(2) C.F. MacMichael, Op. Cit., Vol. I, P.151- 152.

عون الشريف قاسم: حلفاية الملوك، ص٥٢؛ نسيم مقار: أضواء على تاريخ الهوارة في صعيد مصر، ص١٩٢؛ هريدى: دور الصعيد في مصر العثمانية، ص١٧٦.

(٣) السلطان برقوق (٧٨٤هـ - ٨٠١هـ/١٣٨٢ - ١٣٩٨م) هو مؤسس الدولة المملوكية الثانية أو دولة المماليك الجراكسة وضع نهاية بيت قلاوون، وقد امتان بعقلية فذة وشخصية قوية وقد قدم الجراكسة وأكثر من استجلابهم وشن حرب إبادة على العناصر التركية وقد قام بمحاولات ناجحة في سبيل إزالة سلطان المماليك الاثراك واحلال الجراكسة محلهم في مصر والشام وقد نجح في ذلك وأعلن نفسه سلطان بالقاهرة ودمشق سنة ٧٨٤هـ/١٣٨٢م. د. حكيم أمين عبدالسيد: قيام دولة المماليك الثانية، ص٣٩ وما بعدها.

(٤) انظر: صلاح أحمد هريدى: دور الصعيد في مصر العثمانية، ص١١٥.

(٥) عون الشريف: حلفاية الملوك، ص٥٢.

(٦) الفحل الفكى الطاهر: تاريخ أصول العرب بالسودان، ص١٠٧، ١٠٨، عون الشريف: حلفاية الملوك، ص٥٢، وانظر الطبقات: ص٢٦٩، انظر ملحق الرسالة خريطة شكل رقم (١٥).

— المغاربة^(١) :

صلة المغاربة بسودان وادى النيل قديمة، وهناك مقابر تحمل أسمهم بين شمبات والحلفاية، مما يشير إلى أنهم تركزوا قديماً فى هذا الجزء الجنوبى من الحلفاية، وكما يرجح ماكمايكل فإنهم قد سكنوا سوبا فى نهاية القرن العاشر الميلادى^(٢). وقد كان عبدالله ود حسونة المغربى المولود بسوبا قد صحب الشيخ إدريس ود الأرياب^(٣). وما يزال كثيرون من هؤلاء المغاربة يعيشون مع قطعانهم فى منطقة شرق الخرطوم. وهم ينتسبون إلى الشيخ أحمد زروق الشاذلى التونسى^(٤). هذا وللمغاربة صلات رحم واسعة بالعبدلاب والجعليين والهنوناب والمشايخ^(٥).

(١) مخطوط، أنساب عرب السودان، ورقة ١٢.

(٢) MacMichael: Op. Cit., Vol. I, P.318.

(٣) يقول ود ضيف الله: «عبدالله ولد حسونة المغربى، وقيل حسونة رجل غريب قدم من المشرق وصحب الشيخ إدريس وولد عبدالله بسوبه، الطبقات ص ٣٠٦».

(٤) كما تذكر وثيقة نسبهم المنشورة فى مكمايكل فإن جميع مغاربة بر السودان المنتسبين إلى السيد أحمد زروق المغربى يجتمعون فى السيد عبدالرحمن كونه وأولاده أربعة وهم عبدالله والد حسونة جد الحسوباب ويطرفعون إلى خمسة عشر فرعاً، وعلى أولاده سبعة هم: عبدالرحمن جد الكراديس وعبدالله جد العبدلاب ومحمد أبو جدية، جد الجدباب، وأحمد زايد جد العضالاب وعبيد جد العبيدباب، وكديش جد الكديشاب، والثور جد الثوراب، ومنهم الشيخ الأمين بله، والابن الثالث محمد جد الدسيساب والدروساب والمقييلاب، والابن الرابع أبو القاسم

C.F.: MacMichael: Vol. I, PP.316 - 317;

عون الشريف، ص ٤٢، صلاح أحمد هريدى: دور الصعيد، ص ١٨٠.

(5) MacMichael: Op. Cit., Vol. I, P.316 - 317.

ثالثاً: مجموعة الكواهلة:

تذكر روايات العبدلاب الشفاهية أن الكواهلة من أوائل من جاءوا إلى السودان من القبائل العربية، ولم يكن بها سوى بعض العنج، وكانت مليئة بالغابات والحشائش والتعابين مثلما يروى عن منطقة قرى في روايات العبدلاب^(١).

والكواهلة منسوبون إلى بنى كاهل بن أسد بن خزيمه بن مدركه، وينسبون أنفسهم إلى الزبير بن العوام^(٢)، بينما ينسبهم النسابة السودانيون إلى المجموعة الجهنية اليمنية^(٣)، وقد نزح الكواهلة إلى السودان في القرن الرابع عشر الميلادي واستقروا أولاً ببلاد البجة ربحاً من الزمن، ومن ثم اختلطوا بهم، ثم انتقلوا إلى البطانة والجزيرة وكردفان وغرب النيل^(٤).

ولم يقتصر التركيب الاجتماعي لبلاد النوبة على تيار الهجرة المستمر للقبائل، بل تسربت إليها هجرات فردية لأشخاص من خارج مصر، وقد تضافرت عدة أسباب جعلت من النوبة مستودعاً هائلاً لاستقبال هجرات فردية على مسار القرون، منها موقعها التجاري، كما انها منفذاً للراغبين في المعادن النفيسة بأرض المعادن في الصحراء الشرقية فضلاً عن إنها ملجأ أميناً للفارين من الضغط السياسي. ومن هذه الهجرات.

— الدوريات: وهم منسوبون إلى قرية ديروط الشريف في صعيد مصر بأسبوط، وقد حرفت النسبة إلى داروتى ودواريت، وفي ديروط الشريف هذه يقوم مقام جدهم أحمد الوقاد بن أحمد الأصغر، وهو رجل شريف صالح لقب بالوقاد لأن ضريحه أو

(١) انظر: تاريخ العبدلاب من خلال رواياتهم، ص ١٠٩، ١١١؛ مخطوط: تاريخ مختص بأرض النوبة، ص ١٠٩.

(٢) مخطوط: أنساب عرب السودان، ورقة ١٨، الفحل الفكي الطاهر: تاريخ أصول العرب بالسودان، ص ١٠٩.

(٣) C.F.: Y.F. Hasan: Op. Cit., P. 86, 88, 140, 160-162.

عون الشريف قاسم: حلفاية الملوك، ص ٤٥؛ التجاني عامر: السلالات العربية السودانية في النيل الأبيض، الدار السودانية، ط الثانية ١٩٧١م ص ص ١٧، ١٨.

(٤) انظر: ود ضيف الله الذى أشار إلى بدوى ولد أبو دليق أبوه عبدالله وامه بوادى كاهلى الأصل، وهناك أمثلة عديدة على انتشار الكواهلة، الطبقات، ص ١١٥، وانظر محمد عوض: السودان ووادى النيل، ص ٥١، ٥٢؛ حسن أحمد محمود: مرجع سابق، ص ٣٣٦؛ عون الشريف قاسم: حلفاية الملوك، ص ٤٦، التجاني عامر: السلالات العربية، ص ص ١٨، ١٩.

قبته كانت تتقد فسمى بالوقاد، وهم مزيج من المصريين والأتراك، إذ هاجر جدهم محمد ابن الشيخ أحمد الوقاد إلى السودان قبيل دخول الأتراك أو فى أوائل عهدهم، وكان متزوجاً من سيدة تركية اسمها هلالية بنت رحاب حيث أنجب منها ابنه واستقر بها فى السودان^(١).

— قبائل البجة^(٢) —

ويدخل فى التركيب الاجتماعى لسودان وادى النيل، قبائل البجاه^(٣). فقد كان لهذه المرحلة من مراحل الهجرات العربية إلى السودان عبر أوطان البجة^(٤) أثر واضح فى تكوين المجموعات البجاوية^(٥).

(١) ذكر ود ضيف الله فى كتابه الطبقات ص ٣٦٦، عن قرية الهلالية التى يعتقد أنها سميت على أسمها. انظر:

MacMichael: Op. Cit., Vol. 2, P.263.

عون الشريف قاسم: حفاية الملوك، ص ص ٥٩، ٦٠.

انظر جدول الأنساب بملحق حفاية الملوك، ملحق (١١٩، ١٢٢).

(٢) البجة أو البجة .. يرى البعض أنها سلالة من السلالات الحامية. ولقد أثبت سليجمان من خلال دراسته الانثروبومترية ارتباطهم بالمصريين القدماء، شأنهم فى ذلك شأن النوبيين. انظر: سليجمان: السلالات فى افريقيا، ترجمة يوسف خليل، مكتبة العالم العربى ١٩٥٩م، ص ٧٨؛ محمد عوض: الشعوب والسلالات الافريقية، ص ٢٤٦، ٢٤٧؛ وأيضاً: السودان الشمالى، ص ٢٢؛ مصطفى مسعد: البجة والعرب، ص ص ١، ٢. C.F. Paul. A.: A history of the Bija Tribes of The Sudan the Cambridge University, PP.20 - 57.

(٣) ورد هذا الاسم عند الواقدي: مرة باسم البجة ويطلق على الوطن، ومرة أخرى باسم البجة ويطلق على نوع السكان: فتوح مصر والإسكندرية، ط ليدن ١٧٢٥م، ج ٢٧، ٥٦؛ وقد ذكرها القلقشندي «بلاد البجا، صبح الأعشى، ج ٥، ص ٢٧٣؛ المقرئى: الاسم المتداول اليوم للبجة هو بكسر الباء. الخطط، ج ١، ص ١٩٤؛ محمد عوض: السودان الشمالى، ص ٢٢؛ مصطفى مسعد: البجة والعرب، ص ١.

(٤) حددها المؤرخون المسلمون تحديداً واضحاً، فقد ذكر الإدريسي «أنها تجاور أرض الحبشة من جهة الشمال، وهى بين الحبشة والنوبة وأرض الصعيد، صفة المغرب وأرض السودان، ص ٢٦؛ أما المسعودى فقد أشار إليها بقوله: «أما البجة فإنها نزلت بين بحر القلزم ونيل مصر، وتشعبوا فرقاء، مروج الذهب، ج ١، ص ٤٣٨؛ والمقرئى: «أول بلد البجة من قرية تعرف بالخربة معدن الزمرد فى صحراء قوص .. وآخر بلاد البجة أول بلاد الحبشة وهم فى بطن هذه الجزيرة أعنى جزيرة مصر إلى سيف البحر الملح مما يلى جزائر سواكن وباضع ودهلك، الخطط، ج ١، ص ١٩٤؛ وقال القلقشندي «وموطنهم فى جنوبى صعيد مصر مما يلى الشرق فيما بين بحر القلزم وبين نهر النيل على القرب من الديار المصرية، القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٥، ص ٢٧٣، ٢٧٤؛ ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان، ص ٧٨؛ ابن الوردي: تنمة المختصر، ص ١٢٥؛ ابى الفدا: المختصر، ص ٩٦.

(5) C.F.: Paul, A.: Op. Cit, P.79 FF.

انظر: الخريطة بملحق الدراسة شكل رقم (١٢).

والبجا ينقسمون إلى عشر قبائل هي من الشمال إلى الجنوب^(١):

البشاريون^(٢)، الأمرار^(٣)، والأرتيقة^(٤)، والأشراف^(٥)، والكميلاب^(٦)، والهندودة^(٧)، والمهيتكتاب^(٨)، والحلقة^(٩)، وبنى عامر^(١٠)، والحباب^(١١).

(١) عن نسب البجة اعتبرهم مؤرخى العصور الوسطى جنساً من النوبة، أو فرعاً آخر من النوبيين، لكن البجة بحكم بيئتهم وانقطاعهم عن طرق المهاجرة، أصفى بشرة من النوبة على حين أن بقية البجة من الهندودة وبنى عامر والأمرار والبشارين تسربت إليهم دماء عربية مما كان له أثره في صفاتهم الجثمانية، مع تمسكهم بعاداتهم وتقاليدهم ولغتهم التبادوية انظر: بيبس الدوادار: زبدة الفكر في تاريخ الهجرة، نسخة مصورة جامعة القاهرة رقم ٢٤٠٢٧، ج٤ ورقة ١٨١ (أ)؛ الدمشقى: نخبة الدهر، ص٢٦٩؛ ابن جبير: تذكرة بالأخبار، ص٤٨، ٤٩؛ محمد عوض: السودان الشمالى، ص٢٢؛ Paul: Op, Cit., PP. 23 - 25.

(٢) ينتسب البشاريون إلى بنى كاهل، وتنقسم القبيلة إلى قسمين: بشارى أم ناجى الذين يسكنون فى المنطقة الجنوبية على نهر عطبرة، ويتحدث هؤلاء العربية الدارجة إلى جانب البجاوية وبشارى أم على ويسكنون فى المنطقة الشمالية، وقد نزح بعضهم لمصر. انظر محمد أدروب أوهاج: من تاريخ البجا، ج١، مطبعة جامعة الخرطوم، ١٩٨٦، ص١٢، ١٣.

(٣) وينتمى الأمرار إلى بنى كاهل، وتنقسم القبيلة إلى قسمين الأمرار بنو عمار وهم مجموعة من القبائل أشهرها الفاضلاب، المحمداب العشيباب وهؤلاء هم الأصل. انظر: Sanders: The Bisharin, S.N.R. Vol. XVI, P. 145, 146.

محمد أدروب أوهاج: من تاريخ البجا، ص١٣؛ محمد عوض: السودان الشمالى ص٦٢؛ الحويرى: أسوان، ص٢٤٧. (٤) وتنسب إلى الإمام على، وينقسموا قسمين الأرتيقة المحمدية والأرتيقة الحمديدية انظر: رحلات بوركهارة ص١٢٩؛ أوهاج: مرجع سابق، ص١٣، ٢١٤.

(٥) جاء جدهم الشريف محمد الحسينى إلى سواكن فى منتصف القرن العاشر الهجرى وطلب الزواج من الأرتيقة وينقسم الأشراف إلى عدة فروع، يسكن معظمهم فى مدن وقرى شرق السودان ويتحدثون البجاوية.

Klunzinger: Upper Egypt, its People and its Products London, 1873, P.254.

ضرار: تاريخ سواكن، ص٢٣٠، أوهاج: مرجع سابق، ص١٤.

(٦) ينتمون إلى بنى كاهل وهم من أقدم القبائل البجاوية. أوهاج: ص١٤، ١٥؛ محمد صالح ضرار: تاريخ سواكن والبحر الأحمر، ص٢٢١.

(٧) تنتمى إلى العباس بن عبدالمطلب، وجدهم المشهور هو باركوكين، ويسكنون فى منطقة القاش، انظر: أوهاج: ص١٥.

MacMichael: Vol. II, PP. 99 - 100. عطية القوصى: الكنوز، ص١٣٧ - ١٣٩.

(٨) سكان المنطقة الوسطى بين خور بركة والقاش، تنتمى إلى أبى بكر الصديق، أوهاج: ص١٦.

MacMichael: Vol. II, PP. 99 - 100.

(٩) ويرجع نسبهم إلى هوازن، وأنهم جاءوا عن طريق أثيوبيا. انظر أوهاج: ص١٦.

(١٠) وتنتمى بنى عامر إلى كاهل أيضاً، وهى تحتوى على عناصر مختلفة وهم من أكبر القبائل البجاوية. أوهاج: ص١٦.

(١١) يرجع نسب القبيلة إلى بنى مخزم وهى تعيش فى المنطقة الجنوبية، محمد صالح ضرار: تاريخ قبائل الحباب والحماسين بالسودان وإريتريا، الدار السودانية، ط الأولى ١٩٨٤م، ص٧؛ أوهاج: ص١٦، ١٧، انظر: الخريطة شكل (١٢).

– الأقلية من النوبيين المسيحيين :

إن الوثائق التاريخية لا تزودنا بالتفاصيل عن وجود أثرًا للنوبيين المسيحيين إلا أننا إذا نظرنا إلى الوثائق الأثرية التى اكتشفت حديثًا منذ عام ١٩٦٠م نستطيع أن نستنتج منها أمورًا:

– ما ثبت من الحفريات الأثرية بقصر أبريم وجبل عدة ظهور إمارة صغيرة تسمى (دوتاو باللغة النوبية) ومعناها منطقة الدو السفلى، وكانت تقع بين الشلال الثانى والشلال الأول ومركزها بين أبريم وجبل عدة، وقد اكتشفت فى أبريم وجبل عدة وثائق أثرية تذكر أسماء ثمانية ملوك وأساقفة، وبعض من رجال الكنيسة الذين كانوا يلعبون دورًا أساسيًا فى إدارة المملكة ويحملون نفس الأعباء التى نجدها فى مملكة دنقلا. وهذا يدل على أن الأسرة التى ملكت فى دوتاو شعبة من الأسرة القديمة المسيحية التى كانت مالكة فى دنقلا، ويعتقد أن هذه المملكة قد بقيت حتى عام ١٤٨٤م^(١) على الأقل.

– واكتشفت فى أبريم وثيقة تنصيب المطران طيموثاوس مطران أبريم وفرص المؤرخة فى سنة ١٠٨٨ للشهداء حسب التاريخ القبطى – الموافق سنة ١٣٧٢م – وهى مكتوبة باللغتين القبطية والعربية وفيها توقيع البطريرك جبرائيل^(٢).

ويشير فانتيلى أن «أهالى جزيرة تنقاسى الواقعة تجاه دنقلا العجوز يزورون القاهرة حتى سنة ١٧٤٢م وقد اهتموا بشراء بعض الصلبان لذويهم فى بلادهم وقالوا: أنهم مازالوا على الاعتقاد المسيحى، وذكروا أن بعض الاحتفالات المسيحية ودفن الموتى كانت تتم فى بلادهم حسب الطقوس المسيحية. ووجود هذه الأقليات يدل على سماحة الإسلام فلم يكن هناك اضطهاد أو كراهية ضدهم بدليل ممارسة شعائهم فى سهولة ويسر^(٣).

(١) ل. كروياتشيك: النوبة فى نهاية القرن الثالث عشر حتى فتح الفونج فى بداية القرن السادس عشر، ص ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، الاب فانتيلى: تاريخ المسيحية فى الممالك النوبية، ص ١٩٠، ١٩١،

C.F.: Adams, W.Y., JEA, 51, P.175: Crowfoot, J.W., JEA XII, P.145; Adams, W.Y., The evolution of christian Nubian Pottery. Nubische Kunst, P.121.

(٢) فانتيلى: مرجع سابق، ص ١٩٠، ١٩١، انظر كنيسة عبد الله نرقى بالنوبة بالملاحق ١٠/٤، ١٠/٥، ١٠/٦.

(٣) فانتيلى: مرجع سابق، ص ١٩٠، ١٩١، Adams, W.Y. JEA, PP.152 - 153.

انظر بملحق الكتاب اقدم عقد زواج كنسى محفوظ بالكنيسة الكاثوليكية فى السودان نقلا عن الاب فانتيلى، ص ٢٨٣.

- التكررة:

واشتمل أيضا التكوين الاجتماعي لسودان وادي النيل على جماعات قليلة من التكررة^(١) أتت من السودان الغربي من فلاشة، وبرنو وباجرمي وغيرهم. ومما يذكر أنهم كانوا يأتون إلى مصر مجتازين أرضها، بملازمة الحجيج المصري، إلى أرض الحجاز^(٢)، ومنهم من يجتاز الطريق النيل يحتي يصلوا مشارف مصر من ناحية الجنوب، فيمكنوا أياما في قرى الصعيد، ثم إلى بلاد النوبة^(٣) وتقابل التونسي مع رجلا من بلاد التكررة يقيم في أرض السودان^(٤).

- العبيد:

ويدخل في التركيب الاجتماعي لسودان وادي النيل طبقة العبيد التي تنتمي إلى الجنس الزنجي. وقد شاعت تلك الطبقة من الرقيق في المجتمع الإسلامي في العصور الوسطى، ولاقت تجارتها رواجاً واسعاً لشدة الحاجة إليها^(٥). وقد لاحظنا من قبل أن تجارة الرقيق كانت بعد اجتيازها بلاد النوبة تتوزع في أسواق مصر والعالم الإسلامي^(٦).

(١) التكررة: شعب من الزنوج يسكن معظم وهادفوته السنغالية، وتعيش شعبة منهم فيما بين النيجر وبحيرة تشاد ولاسيما في سكوتو. ومن المحتمل أن يكون تكرور هو الاسم الذي كانت تعرف به في وقت من الأوقات مدينة بالقرب من نهر السنغال. والمملكة التي كانت عاصمتها هذه المدينة موضعها الآن فوته السنغالية ثم أطلق هذا الاسم على شعب هذه المملكة. وجرى العرب من بعد على إطلاق اسم تكرور على جميع بلاد السودان التي دخلها الإسلام، وهي الممتدة من المحيط الأطلنطي إلى حدود وادي النيل واضحت كلمة تكروري في نظر العرب مرادفة لكلمة «سوداني»، انظر ليو الأفريقي: وصف إفريقيا، ص ٥٣٣ وما بعدها؛ التونسي: تشحيد الأذهان، ص ١٣٤، ١٣٥.

(٢) يذكر الرحالة بوركهارت أن اسم التكرور لا يرجع إلى ذلك الاسم، فكلمة تكرور مشتقة من الفعل تكرر «أى تنقى، بمعنى أن مشاعر التكررة الدينية تنقت وتطهرت بحفظ القرآن وأداء فريضة الحج، ومما ذكره أن اسم التكررة يطلق على جميع الزنوج القادمين من غرب السودان على اختلاف أوطانهم طلبا للعلم أو سعيا إلى بيت الله. C.F. Wiet: Op. Cit., Vol. VI, P.38; P.156; بوركهارت: رحلاته، ص ٣٢١؛ الحويرى: أسوان، ص ٢٥٤، مصطفى مسعد: الإسلام وحركات الفلان الإصلاحية في غرب افريقية، مجلة أم درمان الإسلامية، العدد الأول ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨، ص ١٢٢ وما بعدها.

(٣) بوركهارت: رحلاته، ص ٣٢١، ٣٢٢.

(٤) التونسي: تشحيد الأذهان، ص ١٣٤، ١٣٥.

(٥) انظر: جروهمان: أوراق البردى العربية، ج ٥، ١٩٦٨، طراز رقم ٦٠٥، ص ٣٥؛ كرم الصاوي: التطور الاجتماعي، ص ٥٦.

(٦) البلاذري: أنساب الأشراف، ج ١، مصر ١٩٥٩، ص ١٧٨، ١٧٩؛ أحمد أمين: فجر الإسلام، ج ١، القاهرة ١٩٦٥ م، ص ٨٨، ٨٩. وفي استخدامهم كمريضات وحاضنات انظر: ابن الجوزي: تنوير الغيش، ص ٤٢.

هذا ويشير الدكتور مصطفى مسعد أنه منذ القرن السابع الميلادى وفدت على دارفور قبائل من الشمال عن طريق النيل من ناحية، وعن طريق الصحراء من ناحية أخرى. فمن ناحية النيل جاءت جماعات نوبية من الميذوب والبرقد على حين جاءت جماعات ليبية من البدايات والزغاوة من شمال إفريقيا واستطاعت هذه القبائل النوبية والليبية بفضل ما امتازت به من الغلبة العقلية، وما لديها من وسائل حربية أن تطرد جماعات السود إلى الجبال، وأن تقيم فى هذه المنطقة ممالك خاصة، وأدت هذه الهجرات الشمالية لذلك إلى ازدياد تجارة الرقيق^(١).

هذا وتشير الوثائق إلى شرعية تجارة الرقيق فى هذه الفترة من توثيق كتابة العقود والشهود الموقعين على هذا العقد، إذ يشير العقد إلى:

- ١- حضر إلى شهوده فخر الأمانى والأقران الأمير محمد ابن المرحوم حسن كاشف.
 - ٢- كان وأشهد عليه الإشهاد الصحيح الشرعى المعتبر المرضى وهو
 - ٣- بصفة من يجوز الإشهاد عليه فيه شرعاً إنه أوهب
 - ٤- لابنته من صلبه عايشة المرزوقة من المرحومة
 - ٥- أمنة جميع حصته فى تجارة ابنة عبدالله المعترفة له
 - ٦- بالرق هبة شرعية لا رجوع له فيها هبة صحيحة شرعية
- شهد على العقد ١٩ شاهداً فى قلعة أبريم^(٢).

كذلك تضمن البناء الاجتماعى لسودان وادى النيل أقليات من المهاجرين والمماليك الأتراك.

أما المهاجرون الذين سكنوا النوبة فى تلك الفترة، فهم عرب الأندلس الذين

(١) انظر: مصطفى مسعد: سلطنة دارفور، ص ٢١٧،

C.F. Paul, H.G: History and Antiquities of Darfur, P.2.

(2) C.F.: Martin Hinds and Hamdi SAK Kout: Arabic Documents from the Ottoman Period from Qasr Ibrim, Egypt Exploration Society, London 1986, 5.Isi.Mus. 2397/112. 27 Cm. h.X 14. 5Cm.W.

انظر نص الوثيقة فى ملحق الدراسة ملحق رقم (٨) «قصر أبريم» حرر هذا العقد بتاريخ يوم الأحد سابع وعشرين من شهر شوال سنة سبعة وخمسين وألف.

جاءوا تحت ضغط المسيحيين فيما عرف من قبل بحركة الريكونكستا^(١). والتي تشرّد بمقتضاها نصف مليون عربى بالنفى^(٢)، كان ملاذهم الوحيد الظهير الإفريقى وخاصة شمال أفريقيا، فمنهم من جاء إلى صعيد مصر، ومن ثم دخلوا بلاد النوبة^(٣). أما المماليك الذين سكنوا بلاد النوبة فى أواخر العصور الوسطى، فهم الذين خشوا أن يقعوا تحت طائلة السلطان سليم الأول العثمانى، إذا فكر فى غزو مصر بعد أن استولى على الشام عام ٩٢٢هـ / ١٥١٦م فعولت جماعات منهم على الفرار من وجهه إلى الصعيد ومن ثم دخلوا أرض النوبة^(٤).

وفى عام ٩٢٣هـ / ١٥١٧م وقعت مصر فى أيدى الأتراك العثمانيين، وما أن استتب الأمر للسلطان سليم فى مصر، حتى وضع حاميات عسكرية فى كل من أسوان وأبريم وغيرها لحراسة الحدود الجنوبية لمصر، ومن تلك الحاميات ينحدر عنصر من عناصر السكان فى بلاد النوبة ولا زالت تعرف سلالتهم بالكشاف^(٥).

وأخيراً يبقى سؤال هل مازالت هناك عناصر وثنية تعيش فى السودان وادى النيل؟ والحقيقة أن المصادر الإسلامية أو المحلية تصمت تجاه الحديث عن هؤلاء الوثنيين باستثناء كتب الرحالة، فقد اشار بوركهارت إلى أن المناطق الممتدة عبر دارفور، والبلاد التى تقع جنوبها، وجنوبها الغربى هى مازالت بلاد وثنية، على سبيل أن الرقيق الذين أخذوا من أقاليمهم، هى أقاليم وثنية (المتاخمة لدارفور وبورقو ودارصليح^(٦))، ولكن يعتقد أن هذه الأماكن المتطرفة على الحدود والتي كان من

(١) ظاهرة الارتداد المسيحى انظر: ارنولد: الدعوة إلى الإسلام، ص ٣٠، ٣١، إسحق عبيد: محاكم التفتيش نشأتها ونشاطها، دار المعارف، ١٩٧٨، ص ٥٩ وما بعدها؛ الحويرى: أسوان، ص ٢٥٦، ٢٥٧.

(٢) ثبت أن من نفو من العرب فى المدة بين سقوط غرناطة وأوائل القرن السابع عشر الميلادى يبلغون ثلاثة ملايين، الحويرى: أسوان، ٢٥٧.

(٣) انظر بدائع الزهور فى وقائع الدهور، حوادث عام ٩٢٢هـ، ابن إياس: C.F.: Brown: Travels in Africa, P. 141; الحويرى: أسوان، ص ٢٥٧.

(٤) المرجع نفسه، ص ٢٥٧، بوركهارت، رحلاته، ص ٢٥١.

(5) Ency Britt Art Aswan; P.M. Holt: The Pattern of Egyptian Political history from 1517 & 1798, in Political and Social Change in Modern Egypt, london 1968, PP. 79 - 90.

(٦) عبدالمنعم ماجد: نظم دولة المماليك، ج ١، ص ٩-١٤؛ محمد عوض: السودان، الشمالى ص ٣٠٣ - ٣٠٤؛ رحلات بوركهارت ص ٣٤٣ - ٣٤٤؛ يوسف فضل: المماليك فى السودان، ص ٥، ٦.

الصعب الوصول إليها بدليل قول بوركهارت نفسه «ولم ألق تاجر قادم من الأقاليم الواقعة وراء الياقرمى»^(١)، فهى إشارات ضئيلة لا يمكن أن نستند عليها فى تشكيل عنصر أساسى فى هذا المجتمع الجديد^(٢).

العادات الاجتماعية الخاصة فى مجتمع السودان وادى النيل:

توافد العرب على السودان وادى النيل: وقد بلغت هذه الهجرة ذروتها عندما اشتركت بعض هذه القبائل العربية فى الحملات العسكرية المملوكية ضد بلاد النوبة المسيحية، كما تبععتها هجرات أخرى بعد اضمحلال نفوذ ملوك النوبة السياسى فى أواسط القرن الرابع عشر. ونتيجة لتزايد النفوذ العربى الإسلامى صارت الأسرة المالكة مسلمة تجرى فى عروقها دماء عربية بعد أن كانت نوبية مسيحية. وقد أكتملت عناصر هذا الحدث الهام إثر استقرار بعض المجموعات العربية، واختلاطها وتزواجها مع العناصر المحلية، وسوف نتتبع مدى التغير فى العادات والتقاليد بمجتمع السودان وادى النيل.

(١) هذا المفهوم وخاصة حسب ما جاء فى كتاب الطبقات غريارى: فهو لفظ يطلق على كل من يفد من غرب السودان أو دارفور أو دار صليح أو وادى. أو بلاد البرقو. انظر بوركهارت، ص ٢٥٠؛ الطبقات ص ١٤٤، ١٥٠، انظر التونسى: تشحيذ الأذهان، ص ٧٤هـ.

(٢) وهى تقع ضمن السودان الأوسط: انظر التونسى: تشحيذ الأذهان ص ١٣٥هـ؛ بوركهارت، رحلاته، ص ٢٥٠، ٢٥١؛ انظر مملكة الفونج الإسلامية، ص ٥٦.

— الزواج فى ضوء الوثائق العربية :

— عقود الزواج :

عرفت عقود الزواج منذ فجر التاريخ، ونستدل على ذلك بأن أول عقد زواج عثر عليه يرجع تاريخه إلى عام ٣٦٥ ق.م فى مصر، وأن النص المدون فى هذا العقد يعطى بيانا عن قيمة الهبة المالية من الزوج لزوجته، وهو ما يعبر عنه بالصداق فى الشريعة الإسلامية^(١).

ووثائق البردى الخاصة بعقود الزواج فى مصر الإسلامية ترجع إلى عصور زمنية مختلفة تنحصر فيما بين نهاية القرن الأول والقرن الرابع الهجريين^(٢).

أما عن السودان وادى النيل فأقدم وثيقة عثر عليها هى وثيقة الزواج الملكية الخاصة بملك دنقلة الربيعى عام ٧٣٣هـ / ١٣٣٢م^(٣).

وبالمقارنة مع نموذجين من عقود الزواج الخاصة بأمرأ وأميرات من بنى

(١) انظر: بردية Priss Papyrus يرجع تاريخها إلى حوالى ٤٥٠٠ عام، وتتحدث عن الأسرتين الخامسة والسادسة للوزير بتاح حتب فى الأسرة الخامسة، وتوضح علاقة الزوج بزوجته، انظر: دحسن رجب: البردى: دار المعارف القاهرة ١٩٨١م، ص ١٢٩، حسن كمال: الطب المصرى القديم، ج ٣، ٤، المجلد ٢، ١٩٦٤، ص ٦٧، ١٧٥، ١٨٨، كرم الصاوى: التطور الاجتماعى، ص ١٥٠.

(٢) انظر: بردية منشورة، رقم ٢٥٢٩٥، متحف الفن الإسلامى بالقاهرة، مجموعة هنرى أمين عوض، وقد تم نشرها فى رسالة الماجستير المقدمة من الباحث والتى اجيزت انظر التطور الاجتماعى، ص ١٥١، انظر ملحق الدراسة عقود الزواج، ص ١٥١ وما بعدها.

(٣) كتبت الوثيقة بالمداد الأسود على قطعة حريرية صفراء بخط الرقاع وتضم الوثيقة قسمين: الزول: عبارة عن مقدمة طويلة لعقد الزواج، إذ حوت كثيراً من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى تحت المسلمين على الزواج، وتذكر مزاياه، وتشير إلى أهميته بالنسبة لبقاء الإنسان وسعادته، أما القسم الثانى. فهو عبارة عن نص عقد الزواج الخاص بالأمير (الملك) الربيعى كنز الدولة أبى عبدالله محمد بن كنز الدولة شجاع الدين المملك بدنقلة منذ عام ٧١٧هـ، على ابنة عمه السيدة بشرية بنت سيف الدين ماجد. تكونت المقدمة من اثنى عشر سطراً.. بينما تكون نص العقد من أربع وعشرين سطراً، بالإضافة إلى أسماء أربعة من الرجال كانوا شهوداً على عقد الزواج الذى حرر فى الثالث من شهر ذى القعدة عام ٧٣٣هـ، وقد ورد فى الوثيقة النسب الكامل للملك المتزوج، وخلال ذلك إشارات إلى أسماء أمراء من بنى ربيعة الكنوز، وإن كنا لا نجد لهم ذكراً فى المصادر التاريخية والأدبية المتوافرة. أنظر: الوثيقة. محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة تحت رقم (٤٢٢٢)، انظر ملحق الدراسة، شكل رقم (١).

الكنز من ثغر أسوان^(١)، ويرجع تاريخهما إلى القرنين السابع والثامن الهجري؛ هذا بالإضافة إلى اختيار مجموعة من الوثائق البالغة الأهمية لعقود الزواج في السودان وادي النيل، والتي ترجع إلى فترات زمنية مختلفة^(٢) يتضح الآتي:

أ- صيغة العقد تكاد تكون واحدة في معظم العقود التي تم اختيارها، فبعد البسملة، يأتي المقدمة وهي عبارة عن خطبة طويلة تحوى كثيراً من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحت المسلمين على الزواج، وتذكر مزاياه، وتشير إلى أهميته بالنسبة لبقاء الإنسان وسعادته.

(١) انظر: عقود الزواج الخاصة بأمراء وأميرات من بني الكنز من ثغر أسوان برقم ٤٢٢٤، ٤٢٢٣، ويرجع تاريخهما إلى القرنين السابع والثامن الهجري على قطع من القماش المصنوع من القطن غير المبيض «المنسوج بطريقة النسيج العادي Plain Weaving» ثم غمس النسيج القطنى فى مادة نشوية بيضاء لتكسبه اللون الأبيض الناصع، ولكى تسد مسامات النسيج، مما يجعل الكتابة عليه سهلة واضحة، وقد كتبت على كل قطعة منها عقد زواج وما طرأ عليه من أحداث، والكتابة بالمداد الأسود بخط الرقاع. وتعتبر هذه العقود أقدم عقود من نوعها عثر عليها وقد نشر العقدين د. سعاد ماهر: مدينة أسوان وآثارها فى العصر الإسلامى ص ٢٣ - ٣١. انظر: ملحق الدراسة. ملحق رقم (٢).

(٢) انظر: C.F.: -4. 1S1. Mus. 23973/83.20;

8.Q1. 2. 14/4B (78/276).

19. Q1.78. 2. 14/4C (78/276).

30. 1S1. Mus 23973/38.

57. 1S1. Mus 23973/57.

58. 1S1. Mus 23973/109.

وتم العثور على هذه الوثائق البالغة الأهمية فى قصر أبريم عام ١٩٦٦ م. وهى ١٢٢ وثيقة مسجلة على رق غزال وأوراق سمكة، وجلد الشنط، وهى بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة تحت أرقام 23973/1-119, 121, 23972/1-2.

C.F., P. VII, above.

من الوثائق التى تغطى الفترة العثمانية الممتدة من ١٠٢٩هـ/ ١٦٢٠ - ١١٧١هـ/ ١٧٥٩ م حوالى ٨٦ وثيقة، اما الفترة الممتدة من القرن الخامس إلى الثالث عشر هـ فهى موضوعات متفرقة تعالج الموضوعات التالية: كثير من نواحي الأرض والثمار - علاقات عسكرية وغالبيتها يتعلق بالرواتب والمصاريف - هناك أكثر من وثيقة تحتوى على أكثر من عنوان. نشرت هذه الوثائق.

C.F.: Martin Hinds and Hamdi Sakkout: Arabic Documents from the Ottoman

Period from Qasr Ibrim, 1986.

انظر: ملحق الدراسة. أشكال رقم (٨) من وثائق أبريم.

ب- هناك بعض العقود لاحظنا أنها قد لا تبدأ بذكر البسملة وخاصة فيما يخص السودان وادى النيل؛ أما ثغر أسوان فقد لاحظنا أنها تحرص على ذكر البسملة.

ج- وبعد البسملة تأتي الصيغة الشرعية للعقد من حيث أداء الصداق المترتب على الإيجاب والقبول، والتعبير الشائع في هذه العقود «صداقا شرعيا»^(١).

هذا مع ذكر نسبه وعلو كعبه، ثم يلحق اسم العروس صاحبة الصداق واسم أبيها أو وليها في الزواج، ويبين حالتها إن كانت أيتما «ثيبا» أو بكرًا، ويذكر قيمة الصداق، ويحدد المعجل منه وهو الذى يدفع للزوجة عن طريق وليها ساعة العقد أمام الشهود، كما يحدد المؤجل منه ويبين كيفية سداده، هل سيؤديه الزوج إلى زوجته بالتقسيط. أو دفعة واحدة بعد أجل معلوم كما يتضح ذلك فى النماذج الآتية:^(٢)

— وثيقة الزواج الخاصة بملك دنقلة الربيعى عام ٧٣٣هـ:

١- بسم الله الرحمن الرحيم: «وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا، أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا.

٢- ويلقون فيها تحيةً وسلاماً. خالدين فيها حسنت مستقراً ومقاماً»^(٣).

أما بعد، فإن محامد الله خير ما ابتدأ بها الإنسان وجعلها منهاجاً يدلّه على طريق الصواب فنقول:

٣- الحمد لله الذى شرف الأنساب وفضلها، وعلم الأحساب وكملها وأوضح الأحكام وبينها. الذى هدانا بملة الإسلام التى هى أفضل الملال وجعلها.

٤- ميزان عدل معتدل وجاوز من الأشياء ما دق وجل، وتفرد بوحدا نيته عزوجل، هادى الأبواب، ومرشد النظر إلى الصواب، وحافظ الذرارى والأعقاب.

(١) هناك بعض عقود يتضح فيها قيمة الصداق ونوعيته سواء إذا كان هبة مالية أو يعطى بشكل عيني كما سيتضح ذلك. انظر هذه الدراسة فى:

Arabic Documents from the Ottoman Period from Qasr Ibrim, 1986.

انظر ملحق الدراسة شكل رقم (٨).

(٢) كذلك تم اختيار نموذجين من دار الوثائق القومية بالخرطوم: وثائق غير منشورة. باسم بخيت بن أحمد. خاصة ولدا محمد عثمان Misc 1/27/361 وثائق النضيغاب. تذكرة مباركة لصداق أم كلثوم بنت أحمد بن عبدالغفار من زوجها الأمين. Misc 1/27/366 انظر ملاحق الدراسة أشكال رقم (٤).

(٣) سورة الفرقان الآيات: ٧٤، ٧٥، ٧٦.

- ٥- الذى خلق أبا البشر من تراب، وأخرى النطف من الأصلاب، الحاكم بعد له والهادى إلى الخير وسبله، ومعمّر البسيطة بآدم ونسله الذى جعل النكاح عصمة.
- ٦- من الشيطان وحيله، فهو مما أمرت الشريعة باعتماده فعله، وأباحه الله على السنة رسله، فقال عز من قائل فى محكم تنزيله: «وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وأمائكم».
- ٧- إن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يَغْنَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ^(١). أحمد، على ما يسره وأظهره، وأشكره على ما قضى به من التواصل وقدره، وسهله من التصاهر ويسره وأشهد أن لا إله إلا الله.
- ٨- وحده لا شريك له شهادة تدرأ العذاب، وتستنزل رحمة العزيز الوهاب وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى اصطفاه من خلقه وأتاه الحكمة وفصل الخطاب.
- ٩- صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، صلاة دائمة إلى يوم المآب قائمة بالعلم والعمل حاكمة بالأمان عند الفزع والوجل. وبعد، فإن النكاح مما دعا الله إليه كافة الأنام.
- ١٠- وأباحه ليستغنى بالحلال من الحرام. قال جلّ ثناؤه فى حق من خشى العيلة من كثرة أهله: «وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله»^(٢). وقد ورد عن سيد بنى
- ١١- تهامة: «تناكحوا تكاثروا فإنى أكاثركم الأمم يوم القيامة»^(٣). وسيرفع الحجاب عما سبق فى هذا الكتاب ويجعل الله فيه خيراً كثيراً ولله ما فى السموات وما فى الأرض.
- ١٢- وكان الله سميعاً بصيراً^(٤). وكان من قضائه السابق، وقدره الموافق الذى قدره فى القدم وجرى به القلم ما سأورده عليكم فى كتابه أوله:

(١) سورة النور آية ٣٢.

(٢) سورة التوبة آية ٢٨.

(٣) (تناكحوا) أى الود وقدر المفعول بقرينة فإنى مكاثركم أنظر: ابن ماجه: السنن، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى، ط بيروت ١٩٨٧م، ج١ (كتاب النكاح) ص ٥٩٨؛ روى هذا الحديث أبو داود والنسائى، وقد وثق وهو ضعيف، انظر: الشوكانى: نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار، ط بيروت ١٩٧٣م، ج٥، ص ٢٣٢.

(٤) نص الآية: «ولله ما فى السموات وما فى الأرض وكفى بالله وكيلاً من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة وكان الله سميعاً بصيراً» (النساء آية ١٣٤).

- ١- بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله وسلام على عباده الذين أصطفى.
- ٢- هذا كتاب صداق، وعقد توفيق واتفاق، وبركة تنحو على أصحابها وسعادة تسمو إلى خطابها، ونعمة من الله سبحانه وتعالى بها. أكتبته الجنب العالى المولى الأميرى.
- ٣- الكبيرى السيفى سيدالدين كنز الدولة أبو عبدالله محمد. الممتلك بدنقلة^(١) أدام الله سعادته ونعمته، بن الأمير الأجل الكبير المحترم شجاع الدين، بن الأمير الأجل الكبير المجاهد المفاغر، العضد المقدم ركن
- ٤- الإسلام مؤيد الجيوش منجد العساكر، سداد الثغور مدبر الأمور فخر الدين تاج العشيرة والقبيلة أبى المنصور مالك. أمير به دست الإمارة قد زها فناهيك من مجد وناهيك من فخر له سير فى عدله عمرية بها سارت الركبان فى البر والبحر لا جرم إن هذا البيت الكريم دست هو صدره. وصدر هو سره وأرض هو سماؤها، وعين هو إنسانها وكف هو بنانها.
- ٦- بن الأمير الأجل الكبير المجاهد المختار العضد عز العرب شرف الأمراء صارم الدولة وكنزها أبى عبدالله محمد بن الأمير الأجل المجاهد المختار المحترم كمال الأمراء طراز.
- ٧- الكبراء سيف الدولة وعمدتها أبى الفتح نصر، بن الأمير الأجل الكبير الأجل المجاهد المختار المخلص المنصور تاج الأمراء عز الملك فخر العرب كنز الدولة وعمدتها أبى القاسم.
- ٨- أمير المؤمنين إبراهيم، بن الأمير الأجل كنز الدولة محمد من روت الركبان من أمره فى الأيام المنتصرية ما كان وعلا شأنه فى ذلك الزمان، بن الأمير الأجل

(١) هو كنز الدولة نصر بن شجاع الدين بن فخر الدين مالك، وهو ابن أخت كرنيس ملك النوبة الذى استطاع أن يعلن نفسه ملكا ويلبس التاج وشارات الملك، وإمعانا فى تأكيد عزمه على ممارسة سلطته كاملة فى دنقلة فقد أعلن استقلاله كليا عن سلطان مصر وتم ذلك فى عام ٧١٧هـ/١٣١٧م. ويعتبر مؤسس الإمارة الثانية لبنى الكنز وأول ملوكهم فى دنقلة. واضطر السلطان الناصر إلى الاعتراف به ملكا على النوبة على كره منه بعد أن أرسل أكثر من حملة لتتحيته عن العرش. انظر: النويرى: نهاية الارب، ج٣٠، ورقة ٩٥، ٩٦، السلوك، ج٢، ص ١٦١؛

كنز الدولة هبة الله بن محمد بن على بن .

٩- محمد بن يوسف المعروف بأبى يزيد بن إسحق بن معدى كرب بن الحارث بن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدؤل بن حنيفة بن لخم بن صعب بن على .

١٠- بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دغمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان - ملخطوبته الأمير الجليلة الرئيسة المصونة ابنة .

١١- عمه الست بشرية المرأة الكاملة ابنة الأمير الأجل المحترم سيف الدين ماجد بن الأمير الأجل الكبير المنعوت أعاليه مالك بن الكنز . وبه تزوجها أصدقها على بركة الله تعالى وعونه وحسن .

١٢- توفيقه وعنه صداقا شرعيا مبلغه من الذهب العين المصرى المثاقيل المسكوكة مائتا دينار وخمسون دينارا حالا ومؤجلا . الحال من ذلك مائة دينار أقرت الزوجة المذكورة بقبضها من يد .

١٣- وكيله القابل له عقد هذا النكاح مما احضره من مال موكله ، وبقية ذلك وهو مائة وخمسون دينارا يقوم بها الزوج للزوجة مقسطة فى سلخ كل سنة تمضى من تاريخ العقد بينهما ، وهو الثالث من شهر ذى القعدة ، الحرام من شهور سنة ثلاث .

١٤- وثلاثين وسبعمائة ، خمسة دنانير ، وعليه أن يتقى الله عزوجل فيها ويحسن عشرتها ويعاملها بالمعروف والخلق الرضى المألوف كما أمر الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم وسنة نبيه محمد .

١٥- عليه أفضل الصلاة والتسليم . وله عليها مثل الذى لها عليه ودرجته زائدة عليها لقوله تعالى فى محكم كتابه الكريم : «وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم»^(١) ، وولى تزويجها .

١٦- والقائم بعقد نكاحها بإذنها وإدراكها حسام الدين عزالدولة فى ذلك الأمير الأجل المحترم عزالدين هبة الله أخيها لأبيها . ولما وضع ذلك لحضرة سيدنا ومولانا

(١) سورة البقرة آية ٢٢٨ .

أقصى القضاة حاكم الحكام جلال الأحكام.

١٧- شرف العلماء الأعلام حسنة الليالى والأيام بقية السلف الكرام ناصر الحق مؤيد الشريعة شرف الدين علم المدرسين حجة المناظرين أبى مدين شعيب، بن سيدنا.

١٨- ومولانا العبد الفقير إلى عفوريه القاضى الأجل الفقيه الإمام العالم العامل جمال الحكام جلال الأحكام جمال الدين صدر المدرسين حاكم المسلمين أبى التقي يوسف القرشى.

١٩- الشافعى الحاكم يؤمئذ بمدينة إسنأ وادفو وثغر أسوان ومنبان (١) وما مع ذلك من الوجه القبلى من الأعمال القوصية عن الناظر فى الحكم العزيز بالديار المصرية.

٢٠- أدام الله إقبالهما وختم بالصالحات أعمالهما أن الزوجة المذكورة ثيب حرة مسلمة صحيحة العقل والبدن خالية من الموانع الشرعية وأن الزوج من أكفائها، فحينئذ.

٢١- أمر بكتبه فكتب فزوجها وليها المذكور من الزوج بالصداق المذكور حاله ومؤجله. قبل ذلك للزوج المذكور المولى الأجل الكبير المحترم علم الدين على بن المولى الأجل المحترم سراج.

٢٢- الدين عمر المولى الأجل جمال الدين محمد بن أخت الموكل الملك كنز الزوج المنعوت فى عاليه حسب توكيله إياه، قبله له قبولا صحيحا شرعيا فوريا. وبجميعه يشهد على الزوج.

٢٣- الموكل والوكيل القابل والولى والزوجة من ذكر ذلك فى رسم شهادة آخره خار الله لكل من الزوجين فى صاحبه وبلغه أقصى مآربه. وبه شهد على من سمى فيه بما نسب.

٢٤- إليهم فيه من التاريخ المذكور أعاليه وهو الثالث من شهر ذى القعدة الحرام من شهور سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة. أحسن الله تقضيها فى خير وعافية بمنه وكرمه آمين.

(١) هكذا وردت فى النص ولم أجد لها تعريفا أو تحديدا على الخرائط ولعلها قبان إحدى مرافق أرض المعدن الهامة.

حضرت مجلس العقد المذكور	حضرت مجلس العقد المذكور
وشهدت علي الولي المزوج	وشهدت علي الولي المزوج
المذكور وعلي الوكيل القابل	المذكور وعلي الوكيل القابل
بما نسب إليهما فيه سعد	بما نسب إليهما فى بالاسم
بن عبدالله بن الجابي؟؟ ^(١)	محمد بن سليمان عفا الله عنه
حضرت العقد المذكور وشهدت	حضرت العقد المذكور وشهدت
علي من سمي فيه بما نسب إليهم	علي من سمي فيه بما نسب إليهم
فيه علي بن أبي بكر بن علي	فيه حسام الدين عفا الله عنه
عفا الله عنه آمين ^(٢)	محمد بن علي بن جعفر
ويشترط لصحة عقد الزواج:	

- توافق إرادتى المتعاقدين على وجه ينتج عنه أثره الشرعى، وهذا ما يعبر عنه بالإيجاب من جانب الزوج، والقبول من جانب الزوجة، وهذه الإرادة يعبر عنها بالمشافهة لفظاً وبالكتابية تحريراً، وبالإشارة المتداولة عرفاً^(٣).

- اتحاد المجلس أى لا يكون هناك فاصل زمنى بين الإيجاب والقبول بل ينبغى أن تتم موافقة كل من العروسين فى مجلس واحد، وأن يكون العروسان سامعين لكلام بعضهما، وعدم مخالفة الإيجاب للقبول.

- أن يشهد على العقد شاهدين من العدول.

- أن لا يكون هناك مانع شرعى بين المتعاقدين^(٤).

(١) الاسم غير واضح فى الوثيقة الأصلية.

(٢) انظر: عقد زواج ملك دنقلة الريعى عام ٧٣٣هـ، متحف الفن الإسلامى بالقاهرة، تحت رقم (٤٢٢٢).

(٣) انظر: السمرقندى: تحفة الفقهاء، ج٢ حققه محمد زكى عبدالبر، ط الأولى، ١٩٥٨م، ص٧١؛ ابن كثير: مختصر تفسير ابن كثير، ج١، ط بيروت ١٩٦٩م، ص٣٧١-٣٧٥؛ ابن قيم الجوزية: فتاوى رسول الله، القاهرة ١٩٨٠م، ص٦٩؛ الشوكانى: فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية وعلم التفسير، بيروت، باب النكاح.

(٤) انظر: ابن قيم الجوزية: فتاوى رسول الله، ص٧١؛ ابن كثير: مختصر تفسير ابن كثير، ج١، ص٣٧١-٣٧٥؛ عبدالسلام الترماني: الزواج عند العرب فى الجاهلية والإسلام، عالم المعرفة، العدد (٨٠)، ١٩٨٤، ص١٠٤ - ١١٤؛ زهدى يكن: الزواج ومقارنته بقوانين العالم، بيروت ١٩٥٢م؛ أحمد الشامى: أوراق البردى العربى، مجلة المؤرخ العربى، العدد التاسع، بغداد، ص١٢٩ وما بعدها؛ كرم الصاوى: مرجع سابق، ص١٥١، ١٥٤.

— الصداق (المهر) ^(١) —

نتعرض إلى جانب آخر من جوانب عقود الزواج التي تحت أيدينا وهو المهر أو الصداق، وقد وردت كلمات متعددة في القرآن الكريم، وفي الأحاديث الشريفة تعريفا لهذا المدلول في قوله تعالى:

«وأتوهن أجورهن فريضة»^(٢)، ولدينا أمثلة لهذه المهور في عصور مختلفة فالصداق الذي قدمه محمد بن عبدالله (ص) قبل الإسلام إلى زوجته خديجة بنت خويلد كان خمسمائة درهم^(٣)، وكذلك عندما تزوج رسول الله (أم حبيبة) زملة بنت أبي سفيان، التي أسلمت مع زوجها عبدالله بن جحش، وهاجرت معه إلى الحبشة، وبقيت على الإسلام، ففقدت أهلها وزوجها، وعلم رسول الله، فأرسل إليها يخطبها لنفسه وتزوجها، وقد أصدقها النجاشي عنه أربعمئة دينار^(٤).

وهكذا كانت مهور معظم زوجاته بعد البعثة^(٥)، وفي عقود الزواج المكتوبة التي تحت أيدينا نجد أن أقل صداق كان ثمانية وعشرين قرشاً كما هو واضح في العقد المسجل بتاريخ عشرة شهر ذي القعدة سنة ١١٥٤هـ^(٦) وأعلى قيمة للصداق كانت حسب ما جاء في عقد الزواج الكنزي سنة ٧٣٣هـ.

١٢ - «توفيقة وعنه صداقا شرعيا مبلغه من الذهب العين المصرية»^(٧) المثاقيل

(١) المهر كلمة من أصل سامي (موهار Mohar) وانتقلت إلى العربية باسم مهر، وكانت تعني ثمن المرأة. انظر: سقر التكوين، ١٢/٣٤؛ عبدالسلام الترماني: الزواج، ص ١٩٩.

(٢) قرآن كريم سورة النساء: ٢٤/٤.

(٣) اثني عشر أوقية ونصف الأوقية من الفضة (الأوقية ٤٠ درهما).

(٤) انظر: ابن الجوزي: تنوير الغيش، ص ١٥٣؛ عبدالسلام: الزواج، ص ٢٥٦، كرم الصاوي: مرجع سابق، ص ١٥٤.

(٥) ابن عبدالبر القرطبي: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج ٨، مطبعة النهضة المصرية، ص ٢١، ١٦١.

(٦) نشره: C.F.: 57, 181. Musc. 23973/57.

Martin Hinds and Hamdi Sakkout: Atabic Documents, P.97.

انظر العقد في ملحق الدراسة شكل رقم (٨).

(٧) العين: جاء في الصحاح أن «التبر» ما كان من الذهب غير المضروب، فإذا ضرب دنائير فهو «عين»، ويقول صاحب

اللسان في مادة (ع ي ن) «العين» (بالفتح) المال العتيد والعين: النقد، يقال: اشتريت العبد بالدين أو بالعين.

والعين: الدينار لقول أبي المقدم: حبش له ثمانون عينا بين عينييه قد يسوق أقالا. انظر: الاب انستاس ماري

الكرمل: النقود العربية وعلم النميات، ص ١٤٩.

المسكوكة مائتا دينار وخمسون دينار حالاً^(١) ومؤجلاً الحال من ذلك مائة دينار أقرت الزوجة المذكورة بقبضتها من يد.

١٣- وكيله القابل له عقد هذا النكاح ما احضره من مال موكله، وبقية ذلك وهو مائة وخمسون ديناراً يقوم بها الزوج للزوجة مقسطة فى سلخ كل سنة قضى من تاريخ العقد بينهما، وهو الثالث من شهر ذى القعدة الحرام من شهور سنة ثلاث.

١٤- وثلاثين وسبعمئة، خمسة دنانير^(٢).....

هذا وبالمقارنة مع العقود فى مصر المملوكية فى هذه الفترة من دراستنا، وعلى مقربة من الثغر الجنوبي أى أسوان التى انتقينا منها هذين العقدين نجد تشابهاً كبيراً فى مقدار الصداق^(٣) وإن اختلف عنه فى القيمة حيث يتضح من العقد المؤرخ بسنة ٧٣٤هـ أى بعد اتمام عقد الزواج الكنزى الخاص بملك دنقلة الربيعى بسنة واحدة، حيث دفع الزوج «من الذهب العين المصرى المثاقيل المسكوك الجيد خمسمائة دينار^(٤)»، يدفع فى الحال مائة دينار والباقى مؤجل.

وهناك عقد زواج أيضاً مكتوب على الورق، خاص بزواج مليحة مملوكة السيدة أم الخير ابنة الأمير ركن الدولة من مرتشكو ابن عبدالله النوبى مملوك الأمير عز الدين هبة الله وكان صداقها ١٥٠ درهما وقد تم تحرير هذا العقد فى سنة ٧٤٤هـ^(٥).

(١): عقد الزواج الكنزى الخاص بملك دنقلة الربيعى ٧٣٣ هـ. متحف الفن الإسلامى بالقاهرة، تحت رقم (٤٢٢٢). هذا ويلاحظ أن الدينار ضرب من المعاملات القديمة، وأصله دينار بالتشديد، وهو معرب عن اللاتينية، وقد ورد فى نص العقد أن الصداق كان من الذهب العين المصرى المثاقيل ومن ظاهر العبارة الواردة فى العقد نستطيع ان نستنتج أن الدنانير المشار إليها من نتاج دور السك المحلية فى مصر المملوكية البحرية على الأقل حين استكثر محمود بن على، استادار الملك الظاهر برقوق من الفلوس واشتهر ضرب الفلوس وراجت الفلوس رواجاً عظيماً حتى نسب إليها سائر المبيعات وصار يقال: كل دينار بكذا من الفلوس. انظر: المقرئى: النقود الإسلامية، ط النجف ١٩٦٧، ص ١٢٠، ١٢١؛ الكرملى: النقود العربية وعلم النميات، ص ١٤٩؛ سعاد ماهر: أسوان، ص ٢٥.

(٢) انظر: عقد زواج ملك دنقلة الربيعى كنز الدولة، المؤرخ فى سنة ٧٣٣هـ، متحف الفن الإسلامى بالقاهرة تحت رقم ٤٢٢٢، انظر العقد بملحق الدراسة. شكل رقم (١).

(٣) انظر: عقد زواج منشور. متحف الفن الإسلامى بالقاهرة، رقم ٤٢٢٣، خاص بزواج ثان للسيدة أم الخير انظر: د. سعاد ماهر: أسوان، ص ٢٦، انظر ملحق الدراسة. شكل رقم (٢)؛ وانظر: عقد زواج منشور، متحف الفن الإسلامى بالقاهرة، رقم ٤٢٢٤؛ انظر: سعاد ماهر: أسوان، ص ٢٣، ٢٤، انظر ملحق الدراسة شكل رقم (٢).

(٤) انظر: عقد زواج منشور، متحف الفن الإسلامى بالقاهرة رقم ٤٢٢٤.

(٥) عقد زواج غير منشور، متحف الفن الإسلامى بالقاهرة، تحت رقم ٤٢٢٥.

هذا ولا يشترط أن يكون الصداق ديناراً أو درهماً أو أية عملة أخرى، بل يجوز أن يكون سلعة تباع وتشتري ولها ثمن معلوم مثل القمح أو الشعير أو التمر أو الأرض، وإن كان العرف قد جرى على أن يكون الصداق (مالاً)، فنلاحظ في العقد المؤرخ في أواخر شهر شوال سنة ١٠٤٥ هـ، أن الزوج حسين ابن محمد عبدالعزيز «أعطى لزوجته فاطمة بنت مصطفى في رضاها خمسة عشر ذهباً، وخط تحت ذلك رهن تحت الخمسة عشر ذهب وذلك حصته الذي تخصه في اينه وذلك تحت الرهن إلى أن يوفيه الخمسة عشر ذهب وهذه تمسكا بيدي فاطمة بنت مصطفى»^(١).

ويشترط الإمام مالك ألا يقل ما يؤدي منه عن ثلاثة دراهم، (١/٤ دينار) بينما الإمام الشافعي يجعل الصداق عشرة دنانير (١٢٠ درهماً) على أن يؤدي نصفها معجلاً^(٢)، ومع كل أقوال الفقهاء فما هو ثابت ومدون في عقود الزواج الخاصة ببلاد النوبة، فعقد الزواج المؤرخ بتاريخ شهر صفر الخير سنة ١٠٧٣ هـ قد نص على أن «المهر قدره سنتين قرشاً، وجارية بثمان قدره خمسة وعشرين قرشاً، وخلخال بثمان قدره عشرة قروش، ودينار ذهب شريف واحد، وسوار بثمان قدره قرشين ونصف قرش، على أن يكون الجملة مائة قرش»^(٣).

هذا وهناك أكثر من عقد يمنح بمقتضاه الزوج زوجته إما أرضاً أو غلة معينة، أو ثمار الفاكهة عاجلاً وموَجَلاً. وهذا ما أكدته العقد المؤرخ سنة ١١١٣ هـ حيث «أعطى الزوج لزوجته حجة بنت عوادبتى في صداقها المتعين منها في نظيره عشرين ذهب، خمسة بورة نخل»^(٤).

(1) C.F.: 4. Mus 23973/83. 20.

نشره: Martin and Hamdi Sakkout: Arabic Documents, P.36.

انظر العقد. بملحق الدراسة شكل رقم (٨).

(٢) الصنعاني: سبل السلام، ج٣، ط الرياض ١٩٧٧م ص٢٦٦؛ جروهمان: أوراق البردي، ج١، ط دار الكتب ١٩٣٤م، ص٧٦.

(٣) نص العقد بملحق الدراسة، شكل رقم (٨) C.F.: 8; Qi 2. 14/4B (78/276)

Martin and Hamdi: Arabic Documents, P. 40.

(٤) انظر العقود أرقام، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٣٠. 61-65. C.F.: Martin Arabic Documents, PP. انظر بملحق الكتاب.

وبالاطلاع على مجموعة دار الوثائق القومية بالخرطوم وجدنا هناك مجموعة عقود كثيرة، خاصة بالسادة النضيغاب، وهى فى فترات زمنية مختلفة، وإن كانت متقدمة عن دراستنا، إلا إنها توضح مدى التطور الذى حدث من توثيق عقود الزواج، وقد وجد الباحث أن الصداق المدفوع من قبل الزوج مازال يختص بالأشياء العينية أو المادية كقطعة أرض أو نخيل فضلا عن الدفع بالمال^(١).

هذا ونود أن نشير إلى العلاقة التى توتدت بين مصر المملوكية وسودان وادى النيل على أثر دخول المماليك أرض النوبة، ومن ثم أصبحت هناك زيجات سياسية كالعقد الذى تحت أيدينا، والمؤرخ فى سنة ٧٤٤هـ/١٣٤٣م حيث يشير إلى زواج مليحة مملوكة السيدة أم الخير ابنة الأمير ركن الدولة من مرتشكو ابن عبدالله النوبى مملوك الأمير عز الدين هبة الله. وقد كان صداقها مائة وخمسين درهما^(٢).

وفى كل الحالات كان لابد من النص فى العقد على موافقة الزوجة على الزواج ورضاها بالمبلغ المقدر للصداق، ومن الحالات النادرة جداً التى صادفناها فى عقود الزواج دقة الموثق فى تحرى شروط صحة العقد، حيث أخذ هذا الموثق شهادة مكتوبة بتوقيع عدد من شهود العقد أثبت فيها أنهم يعرفون الزوجة المذكورة ثيب حرة مسلمة صحيحة العقل والبدن خالية من الموانع الشرعية وأن الزوج من أكفائها^(٣).

والحقيقة أن عقود الزواج قد خطت فى تطورها حقبة طويلة فى المجتمع المصرى، والمسجلة على أوراق البردى العربية، فنجد أن بعض الشروط الخاصة لمصلحة الزوجة كأن تكون العصمة بيدها، وهو ما يعبر عنه الفقه بـ«تمليك المرأة أمرها»، من هذه الشروط ما ورد فى عقد الزواج رقم ١٥٩، المؤرخ فى ربيع أول ٢٥٩هـ، حيث اشترطت الزوجة أن أية زوجة أخرى يتزوجها زوجها بعدها تكون عصمتها بيدها هى إن شاءت أبقتها وإن شاءت طلقها^(٤)، وفى بعض العقود يكون

(١) انظر: عقد زواج غير منشور، دار الوثائق القومية بالخرطوم، Misc 1/27/366.

انظر ملحق الدراسة شكل رقم (٤).

(٢) عقد زواج غير منشور، متحف الفن الإسلامى بالقاهرة، تحت رقم ٤٢٢٥ هذا ولم نستطيع تصويره بل اطلع عليه الباحث.

(٣) انظر عقد زواج، متحف الفن الإسلامى بالقاهرة، رقم ٤٢٢٢.

(٤) انظر: جروهمان: أوراق البردى، ج١، ص ٧٤.

شرط الزوجة هو الطلاق للزوجة الثانية، والعق للجارية إذا أخذها زوجها سرية عليها^(١).

ومن الشروط التي كانت تدون في عقود الزواج بسودان وادي النيل حرية الزوجة في التصرف فيما تملك، وعدم تدخل الزوج فيما تتصرف فيه، وأيضاً حسن معاملة الزوجة^(٢).

— الشهود:

لهذه الكلمة الكثير من المعاني في اللغة^(٣)، وقد وردت في القرآن الكريم في عدة مواضع، وبمعاني مختلفة مثل قوله تعالى: «والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فأجلدوهم ثمانين جلدة»^(٤)، والحقيقة أن رجال الفقه لا يختلفون في وجوب شهادة الشهود على عقد الزواج، مستندين إلى ما سبق ذكره من آيات قرآنية وأحاديث نبوية^(٥).

وقد ذكرت أن حضور رجل من أهل الزوج ورجل من أهل الزوجة عقد الزواج يكون الشهود عدول، وكان على القاضي أن يتأكد من توفر هذه الصفة فيهم، يدلنا على ذلك ما ذكره العقد المؤرخ سنة ٧٣٣هـ الخاص بزواج ملك دنقلة الربيعي، والذي جاء فيه ذكر القاضي أبو مدين شعيب الشافعي الحاكم يومئذ بمدينة إسنأ وإدفو وثرأسوان^(٦).

(١) عرفت نساء العرب فيما قبل الإسلام مثل هذه الشروط، فكان يحق للمرأة أن تطلق زوجها أو تطلق نفسها من زوجها، وكانت علامة ذلك أن تحول المرأة مدخل الخباء (الخيمة) إلى عكس الاتجاه الذي أقيمت عليه الخيمة أولاً، فكان الزوج يمتنع عن الدخول ويعلم أن زوجته قد طلقته أو طلقت نفسها منه. انظر: أحمد الشامي: تاريخ العرب والإسلام، مكتبة الأنجلو ١٩٨٢م، ص ٥٩.

(2) C.F.: Martin: Op. Cit., P.97.

(٣) لها غير قليل من المشتقات مثل: شهد، مشاهد، شاهدة، شهود، شهيد.

(٤) سورة النور ٢٤/٤؛ ابن كثير، تفسير، ج ٢، ٥٨٣.

(٥) يكن: الزواج، ص ١٣٦.

(٦) انظر: عقد زواج. متحف الفن الإسلامي بالقاهرة، رقم ٤٢٢٢، ملحق الدراسة. هذا وعن تولى القاضي لهذه الوظيفة فهي التي تعرض لها الكندي عندما ذكر قاضي مصر غوث بن سليمان في خلافة المنصور (١٣٦-١٥٨هـ/ ٨٥٣ - ٧٧٤م) وكان من أعوان القاضي من يتولى عملية التحري عن الشهود، وعرف صاحب هذه الوظيفة باسم (صاحب المسائل) وكان بعض القضاة ينتخبون الشهود العدول، الذين ييقنون إلى جوار القاضي ما ظل على ولاية القضاء. إذ عليهم التحري عن الأمور التي سيتولون الشهادة فيها، وقد يتمتع هؤلاء بمنزلة كبيرة، وقد استمرت هذه الوظيفة سارية حتى العصر المملوكي. انظر: الكندي: الولاية والقضاة، ص ٣١٦، راجع دائرة المعارف الإسلامية ج ٣، ص ١٢٤؛ وترجمة الضبي في تهذيب التهذيب للعسقلاني، ج ٥، ص ٢٥٠؛ الماوردي: الأحكام السلطانية، ص ١٢٨.

أما عدد الشهود الذين يشهدون على عقد الزواج فكانوا اثنين طبقا للشرع، ولم يمنع ذلك زيادة عددهم إلى أكثر من ذلك، كما هو واضح من عقود الزواج التي تخص بلاد النوبة، فعقد الزواج الكنزى قد بلغ فيه عدد الشهود ستة شهود على العقد، وهذا لعلو كعب العروس^(١).

هذا وقد لاحظ الباحث أن عقود الزواج المكتوبة التي تحت أيدينا. كتبت بأيدي من يجيد صياغتها لعدم وجود نظام ثابت للتوثيق هذا مع إمضاء شاهد على كتابة العقد^(٢).

– النفقة (الطلاق) :

أما عن النفقة فلدينا عدد من الوثائق لأماكن مختلفة تشير إلى تطبيق حكم الشرع في السودان وادى النيل، ومعرفتهم بالحقوق والواجبات^(٣).

فهناك وثيقة من مجموعة قصر أبريم، مؤرخة بسنة ١٠٩٤هـ، خاصة بلوزة بنت سليمان أغا، حيث تشكو الزوجة بأنها مقيمة مع أخيها سيد حسن لمدة ثمان سنين

(١) انظر: عقد زواج كنزى بملحق الدراسة. ملحق رقم (١).

متحف الفن الإسلامى بالقاهرة، رقم ٤٢٢٢؛ وانظر أيضاً: عقد الزواج رقم C.F., 58, (57); (8), (4), Martin: Op. Cit., P. 40; 36; P. 97; P.98.

(٢) انظر ما سبق من عقود الزواج. بملحق الدراسة.

(٣) دخلت تعاليم المذهب الشافعى السودان منذ فترة الهيمنة المملوكية بدليل ما جاء فى نص الوثيقة الخاصة بملك دنقلة الربيعى عام ٧٣٣هـ، وقد كان لقدم محمد بن على بن قرم الفقيه الشافعى المصرى الذى زار سدار واربجى وبربر واتخذ من الأخيرة مقاما له، ومنها نشر بعض تلاميذه المذهب الشافعى، وعلم الناس علم المواريث، ومن تلاميذه إبراهيم بن عبودى القرصى الذى نبغ فى علم الفرائض (المواريث) وألف فيه حاشيته المعروفة بالفرضية، وكثرت رسائل الناس فى ذلك العهد يكتبونها إلى العلماء يذكرون فيها مشاكلهم الأسرية ليردوا عليهم بما يرونه من الفتاوى والأحكام. فأرسل الشيخ دفع الله العركى يستفتى الشيخ «حلاوى»، فى امرأة أساء إليها زوجها وتكررت شكاواها، أحكم فيها القاضى بالطلاق من غير إثبات بينة عملا بقول المدونة عن ربيعة. ويعطى الزوج نصف الصداق. فرد عليه أن يكون الإثبات بشاهدين عدلين، ونصحه بأن يعتمد فى حكمه فى هذه المسألة ونحوها على نصوص واضحة صريحة، وssl الشيخ حمد أبو حليلة فى رجل تزوج بنتاً بكرأ عالما ببيكرتها ودخل عليها وتمتع بها زمانا طويلا، ثم طلب منها إزالة البكارة عند القاضى وامتنعت من ذلك وأسقط الله نفقتها لأجل. انظر: ود صنيف الله: الطبقات: ص ٥، ٣٥٣؛ عبدالمجيد عابدين، تاريخ الثقافة العربية، ص ٧٩، ٨٠، نعم شقير: تاريخ السودان، ج ٣، ص ٤.

«ولا كسرة ولا نفقة ولا مشطة، وإن ذنبنا على رقبة أخينا سيد حسن»^(١)، وهي تريد بالطبع من القاضى اعطائها حقوقها وواجباتها.

وننتقل الآن إلى منطقة دارفور^(٢) لنعرض نماذج من العقود الخاصة بالنفقة.

الوثيقة الأولى:

من عند القاضى الفقيه حبيب
إلى الطبيب أما بعد فزوجتك مريم
قدمت إلينا مظلومة أنك تركتها
عديمة النفقة والخدمة
والكسوة وغلبت الاجواد
وتسرق بيتها وعدم
الإقامة معها فى بيتها
بأربعة سنين تظلمت لأجل
ذلك أقدم زيل ضررها وإن لك
دعوة بخلاف قولها الشرع يدريكم
أقدم مع الفلقناوى شلب
تصل الابن الفقيه محمد منيقير وأحمد
أبييه كذلك تقدم^(٣)

(١) انظر الوثيقة ضمن مجموعة قصر أبريم C.F.: 19. Qi. 78. 2. 14/4C

Martin Arabic Documents, P. 53.

(٢) انتقلت جماعات عربية إلى الغرب قاصدة الجزيرة وكردفان ودارفور، بحثاً عن المراعى، بعد أن نفذ موارد الذهب والزمرد بالعتبى، ومن ثم اختلطت مع هذه العناصر المحلية، ومن ثم تغير عاداتها وتقاليدها، انظر:

Newbold, D.: "The Beja Tribes", Anglo Egyptian Sudan from within, ed. Hamilton, P.153.

(٣) تم نشر هذه الوثائق عام ١٩٧٤م بواسطة R.S.O, Fahey & Sharif Harir.

وهي خاصة بإقليم دارفور، وإن كانت تعد بعد الفترة المنوطة بالبحث (ترجع إلى منتصف القرن السابع عشر) إلا أنها تلقى أضواء جديدة على تطور العقود الخاصة بالزواج والنفقة، ومدى معرفتهم بحكم الشرع وهو ما عرف بقضايا الأحوال الشخصية فى السودان وادى النيل.

C.F.: Sudan Texts Bulletin, VII, Novemer 1985, Edited by Ali Osman and Robin thelwall, University of Ulster PP.30-31.

انظر الوثيقة (فوتوكوبى بملحق الدراسة). شكل رقم (٣).

وتشير الوثيقة الثانية إلى أن «هذا الرجل مضربى غاية الضرر من النفقة»^(١)، وقد حكم لها بالطلاق وذلك لوقوع الضرر على الزوجة. وهناك شهود على ذلك يتراوح عددهم ستة شهود على إشهار الطلاق.

هذا وفى الوثيقة الثالثة نلاحظ أن الصداق ست بقرات، ومن المعروف أن الماشية قد تكون مصدرا للغنى فى المجتمع الرعوى كالسودان، وتشير الوثيقة إلى أن الزوج قدم للزوجة بقرة واحدة، وبقي خمس بقرات مؤجلين فى ذمة الزوج^(٢).

نخلص مما تقدم ذكره أن المسلمين فى السودان وادى النيل قد استوعبوا أمور دينهم لدرجة الفهم العميق لما يقوله الشرع، وحسن تطبيقه، ودليلنا على هذا ما عرضناه من وثائق وعقود خاصة بفترات زمنية مختلفة، وأماكن عديدة من أرض النوبة مع مقارنتها بوثائق وعقود من ثغر أسوان، فى نفس الفترات الزمنية وهى توضح طبيعة هذه الفترة المنوطة بدراستنا من مدى توثيق العقود، ومدى ما يكتب من صحة العقد الشرعى مستندا على حقوق وواجبات الزوج ثم الزوجة.

لقد انعكس التطور الاجتماعى فى مصر المملوكية على السودان وادى النيل متمثلا فى انتقال هذه المؤثرات الإسلامية، واكتسابها فى سهولة ويسر لدى النوبيين المستعربين، جاء ذلك بحكم أواصر القربى، ولقربها من رافد ثغر أسوان، وما تبعه من اتصال وثيق منذ بداية العصر المملوكى فى مصر، وقيام المشيخات والممالك الإسلامية فى السودان وادى النيل.

(1) C.F. R.S.O, Fahey & Sharif Harir: Op. Cit., PP. 31-32.

انظر الوثيقة بملحق الدراسة.

(2) C.F. R.S.O, Fahey & Sharif Harir: Op. Cit., PP. 34 - 36

انظر ملحق الدراسة وثيقة شكل رقم (٣). 165/18/25.

- عادة الشلوخ^(١):

كان لانفتاح القبائل العربية في مجتمع سودان وادي النيل معاشرة ومصاهرة وتسرى بهم، أثره في إبراز المجتمع السوداني، ومن ثم أدى هذا إلى نتائج جديدة، أشبه شكلاً وأقرب لونا إلى الشعوب الذين يعيشون بينها، فخشوا أن يذوب كيانهم، وتضيع خصائصهم في خضم المجموعات البشرية الجديدة. لهذا كله ربما استفادوا من العادات المحلية وهي - ما يعرف بتشليخ الخدين - واتخذوها سمة لهم كي تميزهم عن حولهم، وتؤمن لهم المحافظة على كيانهم وقيمهم شكلاً وموضوعاً^(٢).

ومما شجعهم للمضى قدماً في تنفيذ هذه الفكرة أن بعض أحفاد هؤلاء المهاجرين، كانوا ذوى بشرة تميل إلى السواد، يتعرضون للرق من جراء الغارات التي شنها تجار الرقيق وغيرهم أحياناً دون تمييز بين مسلم وسواه، وخاصة في العهود التي ضعف فيها الكيان السياسى لممالك النوبة المسيحية، ولم يستتب الأمر للممالك الإسلامية^(٣) بعد. ثم أن وجود علامات تمييز تمكن كل قبيلة من التعرف على أفرادها

(١) عرفت الشلوخ في الجزء الشمالى من سودان وادي النيل منذ العهد المروى ٧٥٠ - ٣٥٠ ق.م لمزيد من التفاصيل انظر أشكال الشلوخ في الفترة القديمة.

D. Rendall, M. McLver and Leonard Woolley, Areika Vol. I., Oxford. 1909, No. 5014, Plate - 18 and No 5020 Plate 19 PP.29 - 30. Encyclopedia Britanica, Vol.10, Art Mutilation,P.32, G. Leonard Woolley and D.R. McLver, KARNOG, the Roman and Nubian Cemetry, Philadelphia, Vol. III, P.48, Vol. IV Plate 10 No S7069 & 7070; W. Emery and L.P. Kerwan: Excavations and Sarvey Between Wadies S'anbua and Adindan 1929-31 (service des Antiquites de Egypte, Mission Archeologique de Nubiwi, 1929-34) Cairo, 1935, Vol. I, P. 532, (EP). 29 M. Devillard: Teste Meroitici della Nubia Settentrionale "Kush VIII, 1960, PP.91-95 Plate XXIX (a), P. L. Shini, Meroe, A Civiluzation of the Sudan, London 1971, P. 155, Sadik Nur: Two Merotic Pottery Coffius from Argianin Hallfa Distriet, Kush, IV; 1936, PP. 86 - 87.

وانظر أيضاً: مفيد محمد فوزى: نماذج لأشكال التجميل لدى الشعوب البدائية، مجلة الجامعة، العدد الثانى عشر، السنة الثانية، ١٥/ آذار/ ١٩٧٢م، ص ٢٠، ٢١، إبراهيم محمد عبدالفتاح: الثقافات الإفريقية، القاهرة ١٩٦٥م ص ٨٥، عبدالمجيد عابدين: تاريخ الثقافة العربية، ص ١٦٩، ١٧٠.

(٢) يوسف فضل: الشلوخ أصلها ووظيفتها في سودان وادي النيل الأوسط، دار جامعة الخرطوم للنشر، ١٩٧٦، ص ٤٦، محمد عوض: السودان الشمالى، ص ٢٨٨؛ عبدالمجيد عابدين، مرجع سابق، ص ١٦٩، ١٧٠.

(٣) انظر يوسف فضل: الشلوخ، ص ٤٦.

في ساعات الحرب التي تكثر في عهود «القيمان»^(١).

وبمرور الزمن ونتيجة لتزايد الهجرة العربية إلى أقاليم السودان، وازدياد نفوذهم الثقافي والاقتصادي انتشرت عادة الشلوخ وعلى الأخص شلوخ الجعليين، إذ تعتبر الشايقية من أكثر القبائل اهتماماً بهذه الشارات التي تميزهم عن سواهم^(٢).

وللعبدلاب سلالة الزعيم عبدالله جماع القاسمي - شلوخهم الخاصة بهم. ومنذ القرن السادس عشر ظل العبدلاب يسيطرون على الجزء الشمالي من سلطنة الفونج الإسلامية في تحالف مع ملوكها في سنار، وعلى هذا الجزء الشمالي، والذي شهد مولد أولى التجمعات القبلية العربية الكبرى، مثل الجعليين والشايقية بسط العبدلاب نفوذهم السياسي، ومن ثم كان لابد لهم من سمة تميزهم عن تلك القبائل، فأتخذ العبدلاب لهم شلخاً خاصاً بهم^(٣).

وقد شاهد الرحالة صمويل بيكر بعد زيارته لعرب الحمران^(٤) في منطقة

(١) أيام القيمان: نطلق على العهود التي كانت تكثر فيها الغارات القبلية بقصد النهب والسلب، وقد كثر هذا النشاط في عهد سلطنة الفونج الإسلامية. انظر: يوسف فضل: دراسات في تاريخ السودان، ج١، ص ١٠٢ - ١٠٤؛

MacMichael: A history of the Arabs in the Sudan, Vol.I, P. 214 FF.

(2) C.F.: MacMichael: Op. C.t., Vol. I, P. 214.

محمد عوض: السودان الشمالي، ص ٢٨٨؛ وذكر آدم الزين: التراث الشعبي لقبيلة المسبعات (شرق مدينة الفاشر) شعبة أبحاث السودان، جامعة الخرطوم ١٩٧٠م، ص ٤٧؛ أن من يتشلخون بين المسبعات هم عبيد أبناء السلطان على دينار. (٣) يعتقد أن النوبيين قد تأثروا بهذا المفهوم الجمالي من عملية الوشم التي تزين وجوه كثير من النساء، ولكن سواد بشرتهم قد لا يساعد في اظهار الوشم ولذا تقل قيمته الزخرفية، ولهذا اكتفين بإجراء عملية الوشم على الشفتين واللثة، ومن ثم وجدنا في الشلوخ زينة تعوضهن عن الوشم. انظر: يوسف فضل: الشلوخ: ص ٥٤، ٥٥؛ عبدالمجيد عابدين: تاريخ الثقافة العربية، ص ١٦٩؛ ابن السودان الشيخ عبدالرحمن أحمد، في العادات، الشلوخ، مجلة النهضة السودانية، العدد ١٦، ج ١٩٣، ص ١٤، ويبدو أن بعض الإماء أخذن بهذه العادة لتكسبهن جمالا. وقد جاء في وثيقة بيع أمة، صدرت في عهد السلطان على دينار. أنها خادم سلامته جبلاوية مشلخة الخدين بلدى. ولعل كلمة بلدى تشير إلى الثلاثة شلوخ العمودية. يوسف فضل: الشلوخ، ص ٧٥.

(٤) وتضبط أيضا الحمران إلا أن الحمران اصح، والحمران قبيلة عربية تسكن عند سفح الهضبة الانثيوبية بين نهري ستيت واتبرة، ويزعمون أنهم من سلالة بنى حرب بن هوازن وأنهم دخلوا السودان عن طريق الحبشة على أثر

خلاف بينهم وبين الحجاج بن يوسف الثقفي، C.F.: Y.F. Hasan: Op. Cit., P. 141.

C.F.: Bruce: Vol.6, P. 228 - 230.

ولعل أول إشارة إلى وجودهم في تلك المنطقة هو Bruce الذي اسماهم بالعقاير MacMichael:Op. Cit., Vol. 1, P. 344. وانظر الطبقات ص ١٣٧.

القضارف سنة ١٨٦١ م، أن النساء العربيات يتمتعن بقدر كبير من الجمال، ولكن مما يؤسف له أن جمالهن هذا قد شوهته الثلاث فصدات التي توضع على كل خد. وقال إن هذا الشلوح تعتبر زخرفاً وزينة رغم ما تحدثه من تشويه^(١). وقد أورد الرحالة الفرنسي كايو الذى زار السودان فى سنة ١٨٢١ م، صورتين لفتاتين مشلختين من شندى وسنار، ويزين وجه الفتاة الأولى أربعة شلوح مطارق على كل خد، بينما تزين خد الفتاة الثانية ثلاثة شلوح عمودية فى كل خد^(٢) هذا وللشلوح وظائف عديدة من الناحية الدينية والجمالية، وإتقاء السحر والعين الشريرة على حسب الاعتقاد الشعبى فى السودان وادى النيل^(٣).

— الأنساب العربية :

رسخت المسميات العربية منذ الوهلة الأولى لنزول القبائل العربية^(٤)، يدل على ذلك شواهد القبور المكتوبة بالخط العربى، والتي تحمل أسماء عربية فى كل من تافة وكلايشة، والتي ترجع إلى القرنين الثالث والرابع الهجرى^(٥)، فكان لتنقل الجاليات العربية المقيمة فى منطقة مريس وأرض البجة - أثره فى انتقال المؤثرات العربية فى

(1) Samuel N. Baker: The Nile Tributaries of Abyssinia and the Sword Hunters of the Hamran, London. P. 273.

(2) F. Cailliaud, Voyage a Mero et au fleuve blanc dans les annes 1819, 1820, 1822, Paris, 1826, Vol. II, P. 240 - 41, 336-37. يوسف فضل: الشلوح، ص٧٦، ٧٧.

(٣) انظر: عون الشريف قاسم: قاموس اللهجة العامية فى السودان. الخرطوم ١٩٧٢، ص٣٣٥ Sayid Hamid, Hurriez, Brith, Marriage, Death Initiation Customs and Beliefs in the Central Sudan, M.A. thesis, Leeds University 1966, P.98.

القبائل والعادات دار الوثائق بالخرطوم. Misc 1/34.

انظر فانتييني: A. Jaussen, Coutmes des Arabs au Pays de Moab, Paris 1908, P. 370.

مرجع سابق، ص٢٠٢، ٢٠٣.

(٤) فقد أدرك العرب قيمة حق الوراثة عن طريق الأم، أى نظام الأمومة فى وراثة الملك، فتزوج رؤساء العرب من بنات رؤساء البجة لينال أبناء أولئك الرؤساء من العرب حقاً مشروعاً فى السيطرة على قبائل البجة حسبما يقتضيه نظام الأمومة. انظر: المقرئى: الخطط، ج١، ص١٩٦، ١٩٧، MacMichael: Op. Cit., Vol XI, P.75.

(٥) المقرئى: الخطط، ج١، ص١٩٠، عبدالمجيد عابدين: تاريخ الثقافة، ص٨١، ٨٢؛ أحمد الحفناوى: السودان وادى النيل فى ظل الإسلام، ط دار المعارف ١٩٨٢، ص٢٥٣، C.F. M. De Villard: Op. Cit., P. 118.

مصطفى مسعد: الإسلام والنوبة، ص١٣٠.

سهولة ويسر، إذ وجدت كتابات عربية بالخط الكوفى على جدران قلعتين بالقرب من مناجم الذهب بمنطقة ديريهيب، ويرجع تاريخ هذه الكتابات إلى القرن العاشر الميلادى^(١).

ولعل من أهم الكتابات التى نالت اهتمام السودانين خاصة بين القبائل العربية أو النوبة المستعربين، هى أوراق النسبة التى تؤرخ لنسب أسرة أو قبيلة أبا عن جد حتى تصل بشجرة نسبها إلى نسب شريف^(٢) وتعود أوراق النسبة هذه إلى أوائل القرن السادس عشر، وقد جمع معظمها ماكمايكل وصنفها فى مجموعات^(٣).

«لأن العرب كثرت وفودهم إلى بر السودان فى تبع الخصب، وأغلبهم من حمير وربيعه وبنى عامر وقحطان وكنانة وجهينة وبنى يشكر وبنى كاهل وبنى زبيان^(٤)».

– الختان:

عرف الختان عند قبائل البجة، فقد وصفه ابن سليم الأسوانى وأوضح إنها كانت شائعة بين نساءهم ثم قلت عندهم^(٥). ويعتقد أن اتجاه انتشار هذه العادة كان من شرق السودان إلى غربه. فبينما نجده معروفاً عند البجة فى الشرق، نجد أهل

(1) C.F. M. De Villard: Op. Cit., P. 115.

مصطفى مسعد: الإسلام والنوبة، ص ١٣٠.

(٢) اطلع الباحث على كثير من هذه الأوراق فى دار الوثائق القومية بالخرطوم، نذكر منها أنساب عرب السودان Misc 1/18/198، نسبة أصول العرب Misc 1/22/349، شجرة الأنساب التى تفرع منها القبائل فى أصول العير والملوك 1473، 1/91/1472؛ واضح البيان فى تاريخ العبدلاب، Misc 1/20/232، انظر ملحق الدراسة

C.F.: The Tribes of Northern Central Kordofan,

(3) Cambridge, 1912, A history of the Arabs in the Sudan Volumes Cambridge, 1922.

وعرضها د. يوسف فضل فى كتابه: The Arabs and the Sudan, Edinburgh, 1967.

كما نشر الأستاذ الشاطر بصيلى عبدالجليل فى معالم سودان وادى النيل وثيقة مهمة عن نسب الفونج الأموى. انظر الشاطر بصيلى: تاريخ معالم سودان وادى النيل، ص ٢٧٠، ٢٧١.

(٤) انظر: مخطوط أنساب عرب السودان Misc 1/18.198 مخطوطة تاريخ مختص بأرض النوبة، ورقة ١٨، Misc 1/15/191 انظر ملحق الدراسة رقم (٦/د) (٦/هـ) وانظر الخريطة شكل رقم (١٣).

(٥) انظر: المقرئى: الخطط، ج ١، ص ١٩٥؛ النونسى تشيذ الأذهان، ص ٢٢٤، ٢٢٥؛ أحمد الحفناوى: مرجع سابق، ص ٢٥٥.

دارفور لا يعرفونه حتى القرن التاسع عشر. فالتونسي يقول عن أهل الفور: ومن عاداتهم ختن البنات، لكنهم في ذلك على أقسام. فمنهم من لا يرى ذلك أبداً وهم أعجام الفور. ومنهم من يخفض خفضاً خفيفاً لعادة أهل مصر، وهم أكابر الناس «يعنى به الخفض السنى»^(١)، ومنهم من ينهك الخفاض حتى يلتحم المحل ببعضه «يعنى به الخفض الفرعوني»^(٢).

ثم سرى الختان الفرعوني إلى عرب البقارة، وكانوا من قبل يستخدمون الختان السنى فقط^(٣). وقد استمرت هذه العادة في عصر الفونج، ولم نجد من علمائهم من نبه إلى ضرر هذه الطريقة، إلا إشارة بعيدة تحتل التأويل وردت في نص للشيخ حمد ولد أم مريوم^(٤).

— أربعون الولادة:

وبرغم إسلام ممالك النوبة إلا أنه قد احتفظ ببعض العادات القديمة، ففي كثير من المناطق النيلية الواقعة بين وادي حلفا والخرطوم لا يجوز للمرأة الولادة أن تخرج من البيت قبل أن تتم أربعين يوماً. وفي عشية اليوم الأربعين يبدأ الاحتفال بالمولود وتحمله أمه إلى نهر النيل لتقوم بغسله هناك وفقاً لطقوسهم، ويعتقد الأهالي أن عقوبات وشرو ستنزل بالمرأة التي تهمل هذه الطقوس. وترافق الولادة إلى النيل نساء

(١) جاء الإسلام بقواعد متكاملة، كان بعضها معمولاً به، ومنها عادة الختان إذ ترجع إلى العهد المصري القديم، ودعاه «بالتهيير» ويرى عن النبي صلعم أنه قال: «اختتن إبراهيم خليل الرحمن بعدما أتت عليه ثمانون سنة واختتن بالقدم»، انظر، هذا الحديث متفق عليه إلا أن مسلماً لم يذكر السنين. انظر: الشوكاني: نيل الأوطار، (باب الختان) ص ١٣٧؛ وقال أبو حنيفة الختان سنة مؤكدة، وليس بواجب وبعض أصحابه يقول أنه واجب وليس بفرض، ودليلنا ما روى عن النبي صلعم أنه قال لرجل أسلم (لق عنك شعار الكفر واختن) ولأنه قطع شيء من البدن في حق الله تعالى فوجب أن يكون واجبا كالقطع في السرقة فإذا ثبت هذا فصفة الختان في الرجل أن يقطع منه الغلفة التي توارى الحشفة انظر ابن الأخوة: معالم القرية في أحكام الحسبة الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٦م، ص ٢٥١؛ انظر التونسي: تشحيذ الأذهان ص ٢٢٤، ٢٢٥.

(٢) ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان، ص ٧٧؛ الدمشقي: نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ص ٢٦٩.

عبدالمجيد عابدين: تاريخ الثقافة العربية، ص ٨٥.. ١٠٧، Vol. I, P. 107. C.F. MacMichael: Op. Cit., (3)

(٤) لعله عبر عن ترك الختان الفرعوني بترك بكارة النساء، فإذا صح هذا التفسير كانت دعوة الشيخ أحمد بن أم مريوم إلى ترك هذا الختان أول دعوة من نوعها في السودان وادي النيل. انظر: الطبقات: ص ٣٠ ط إبراهيم صديق، عبدالمجيد عابدين ص ٧٦، ٨٤، ٨٥؛ أحمد الحفناوي: مرجع سابق ص ٢٥٥.

أخريات يحملن أغصان النخيل ويغنين بعض الأغاني الشعبية^(١).

— الملابس :

لاحظ المؤرخون والرحالة الذين زاروا منطقة النوبة وأرض البجة أن ملابسهم بسيطة فى شكلها، ويرجع هذا لطبيعة الأحوال المناخية فيذكر الدمشقى: «أن للنوبة صنفان: أحدهما يقال لهم: علوا، وملكهم يسكن مدينة تسمى كوسة. والآخر يسمى مقرا، وملكهم يسكن دنقلة. لا يلبسون المخيط^(٢)، بل يتحشون بثياب من الصوف يقال لها: الدكاديك^(٣). كذلك يشير إلى البجة بقوله: «وغالب هؤلاء لا يلبسون المخيط ولا يسكنون المدن^(٤)».

ويشير القزوينى إلى ملابس الطبقة الحاكمة بقوله: «ومن عاداتهم تعظيم الملك الذى اسمه كابيل.. ولبسه الثياب الرفيعة من الصوف والخز والديبا^(٥)».

وفى موضع آخر يشير إلى دنقلة «وأهلها عراة مؤتزون بالجلود، والنمر عندهم كثيرة، يلبسون جلودها^(٦)».

نستخلص من هذا أن الملابس النوبية كان يغلب عليها البساطة كما هو واضح من أقوال المؤرخين والرحالة، حتى أشار المقرئى^(٧) إلى الاختلاط بين البجة والعرب، وما نتج عن ذلك من انتقال المؤثرات العربية إلى الملابس بقوله: «وقيل البجة قبيلة من الحبش أصحاب أخبية من شعر وألوانهم أشد سواداً من الحبش يتزينون بزى

(١) انظر: فانتينى: تاريخ المسيحية، ص ٢٠٠، ٢٠١؛ أحمد الحاكم: الزخاف المعمارية، ص ١٨؛ الشاطر بصيلى: معالم تاريخ، ص ٥٢ حاشية (١٢١). ويعتقد الأب فانتينى أن هذه العادات هى نفس الطقوس المماثلة عند عماد الطفل بالغطاس. انظر: سفر اللاويين أو الأخبار ١١/٤ - ١٢، فانتينى: مرجع سابق، ص ٢٠١.

(٢) الدمشقى: نخبة الدهر، ص ٢٨٦.

(٣) سبق التعريف بها.

(٤) الدمشقى: نخبة الدهر، ص ٢٦٩.

(٥) القزوينى: آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٢٥.

(٦) لم يسمع أن النوبيين عراة، وربما ينصرف هذا الوصف على بعض القبائل التى تعيش فى الأقاليم النائية فى الجنوب أو الغرب، وتخضع لملك النوبة فى علوة انظر: مصطفى مسعد: المكتبة السودانية، حاشية (٣)، ص ١٩٤، القزوينى: آثار البلاد، ص ٣٩.

(٧) انظر: المقرئى: الخطط، ج ١، ص ١٩٧.

العرب^(١)، أى أن الملابس انتقل من البساطة المعهودة عند النوبيين والبجة إلى تطور جديد فى الإزار^(٢)، فهناك لباس عربى قح كان يلبسه النوبيون المستعربون، وهذا اللباس عبارة عن سروال جلدى مشقق إلى سيور وبدون ساقين ولا حجزه^(٣)، وكان هذا اللباس أكثر شيوعاً بين الفتيات^(٤).

وثمة نوع من الملابس العربية تتميز بها نساء النوبة المستعربة وهذا اللباس عبارة عن ثوب أبيض تلتف به النساء، ويعرف عند الكنوز بالنوبة السفلى باسم المشقة، بينما يعرف عند قبائل الجعليين والشايقية ومن جاورهم بالنوبة العليا باسم التوب، ولا يزال هذا اللباس مستخدماً إلى اليوم^(٥).

وقد حدث تطور سريع فى أنواع الملابس بسودان وادى النيل، منه ما عرف (بالرھط) وهو عبارة عن نقبة من جلد أحمر مشقق سيوراً ليس له حجرة ولا ساقان كما تشد السراويل، وترتديه الجوارى قبل الزواج فإذا زوجن خلعه، وقد عرفته من القبائل البقارة كالمسيرية والهبانية والتعايشة والزرىقات. ومن تريد أن تتجمل فى الرھط، فإنهن يجعلن سيورة دقيقة جداً كهخيوط الحرير، ويرصعونه بالخرز المختلف الألوان^(٦) وكان هذا النوع من الملابس معروفاً عند العرب^(٧)، كذلك عرف سودان وادى النيل نوع من الثياب يسمى الغرك المحلاوية نسبة إلى مدينة المحلة بمصر. وكالبرصة وهى من الخز المخطط، حيث عرفته العرب، إذ كانت تأتزر بثياب من الخز المخطط وتسميها المروط^(٨). وهناك نوع من الملابس عرفه سودان وادى النيل يسمى مينرى يستطيع

(١) المقرئى: الخطط، ج١، ص ١٩٧.

(٢) وهذا التطور قد وصفه من قبل الإدريسي وهو يتحدث عن مدينة بلاق وهى إحدى المدن النوبية بقوله: «إذ يرتدى أهلها الأزرق والمازرق، صفة المغرب، ص ٢٠».

(٣) ظل هذا اللباس مستخدماً فى بلاد النوبة، بشتى أماكنها - إلى عصر قريب إن لم يكون موجوداً إلى اليوم فى بعض بوادى النوبة.

(٤) عبدالمجيد عابدين: تاريخ الثقافة العربية فى السودان، ص ١٦٨.

(٥) انظر: أشار صاحب الطبقات إلى نوع أخرى من الملابس منها قرن: وهو قماش مزكرش، تلبسه الفتاة عند الزفاف، انظر الطبقات، ص ٢٦٦؛ عبدالمجيد عابدين: مرجع سابق، ص ١٦٨.

(٦) الأمين الضريير: العربية فى السودان، ج١، ص ٢٢.

(٧) كان العرب يسمونه الرھط، نفس المرجع، ص ٢٢.

(٨) نفس المرجع، ص ٢٠٤.

الشخص أن يتحزم بذلك الثوب، وقد ارتداه الملك بادی فى سنة ١١٩٣هـ^(١).
وعندما زار الرحالة بونسيه مدينة دنقلة فى سنة ١٦٩٨م أعطى وصفاً دقيقاً
عن طبيعة الملبس فى هذه المدينة بقوله: «والشخصيات البارزة، حاسروا الرؤوس،
وشعرهم مجدول فى هيئة حسنة. وكل ما يلبسونه يتألف من نوع الثياب الرديئة لا
أكمام له. وسيقانهم عارية، ولا يلبسون فى أقدامهم إلا نعالاً مجردة ومثبتة بأربطة». وفى قول آخر: «وعامة الناس يلفون أنفسهم بثوب من الكتان، يرتدونه بمائة
طريقة مختلفة. والأطفال عراة غالباً»^(٢).

أما عن تطور ملابس الأمراء فى مدينة دنقلة، فقد أشار الرحالة بونسيه بأنها
عبارة عن ثوباً من القطيفة الخضراء يصل طوله «سابعاً إلى الأرض»^(٣).
- الزينة:

عرفت المرأة فى السودان وادى النيل عادة التزين بالحللى ومنها الأسورة
والحجول والخروص، وهى من حللى العرب التى عرفت بهذه الأسماء بل قد ثبت أن
العرب كانت تتخذ أسورتها من العاج، كما يتخذها السودان اليوم.

ومن أنواع الحللى التلال وهى حلقة تعلق فى أسفل الأذن كالخرص إلا أنها قد
تكون من فضة. وقد تلبسها الصبية. وهذه الحللى هى التى تسميها العرب (القرط)
ومنها «الفدوة والكسكى» وهما ما يلبس فى أعلى الأذن، أما الفدوة فحلقة واحدة
وليست خاصة بالنساء^(٤).

وقد يلبسها الصبية إلى قرب البلوغ. وقد تكون من الفضة ومن الذهب، فإذا
تعدت الفدوة فى الأذن فذلك ما يسمى الكسكى وهى خاصة بالنساء، وتبلغ زنتها
أوقية^(٥). وهذا الضرب من الحللى معروف عند العرب بالشنف^(٦). ومنها الزمام

(١) هذا النوع من القماش كان يأتى من مصر. انظر مخطوطة كاتب الشونة، ص ٣٠، وانظر أيضاً: ود ضيف الله:

الطبقات، ص ٢٦٦. C.F.: Crawford: The Fung Kingdom Of Sennar, PP. 221-222.

(٢) نقلا عن نكولز: قبائل من السودان الأوسط والسودان الغربى، ص ٨٠، ٨١.

(3) C. F.: Hillelson. (S): S. N. R. Vol. 16, PP. 55, 66.

مكى شببكة: الفونج، ص ٣٢؛ نكولز: مرجع سابق، ص ٨١.

(٤) الأمين الضريير: مرجع سابق، ص ٢٠ انظر اشكال الحللى بالملاحق ١٥/١٠.

(٥) الأمين الضريير: مرجع سابق، ص ٢٥.

(٦) الأمين الضريير: نفس المرجع، ص ٢٦.

والرشفة، فالأول حلقة من الذهب تعلق على الأنف، والرشفة عبارة عن سلسلة دقيقة من الذهب يقلد أحد طرفيها بالزمام والطرف الآخر يشد على شعر الرأس أمام الأذن، وقد تكون الرشفة ثلاث سلاسل تناط بأطرافها هنات من الذهب تذبذب تسمى البرق تشببها لها ببرق السحاب. وتبلغ زنة الزمام الجيد ورشمته أوقية ونصف. وكانت العرب تلبس الزمام والرشفة وتسمى الأولى البرة والثانية الأقليد والقلاد^(١).

هذا وقد عرفت المرأة البجاوية عادة التزين بالحلى، من استخدام القرط والسوار، والعقد والخلخال وحلى الأنف المنتشرة بين الرجال والنساء وإن أصبحت بعد ذلك عادة قاصرة على النساء^(٢).

— المسكن :

كشفت الأبحاث الأثرية التى أجريت فى الفترة الأخيرة، عن آثار الحملات العربية المتوالية على بلاد النوبة وخاصة فى العصر المملوكى، إذ يلاحظ وجود مواقع محصنة قليلة، مثل قصر أبريم، وفرس غرب ومينارتى، تجمع بها السكان بكثافة كبيرة، وأخذوا منازل ذات حجم كبير بنيت بالطوب اللبن. وتتميز هذه المنازل فى منتصف القرن الثانى عشر الميلادى بجدرانها السمكية وتخطيطها المعقد، وكان الدخول إليها من السقف بعد أن حلت الأقبية محل الأسقف الخشبية^(٣)، ويشير شكل هذه الأبنية إلى استخدامها فى حماية الممتلكات والغلال من المغيرين. ويعتقد أن النوبيين قد اعتمدوا على هذا التخطيط على سبيل خفة الحركة فى الهرب؛ وقد يفسر هذا عدم استخدام الأسوار الدفاعية فى النوبة السفلى على الأقل^(٤). أما المواقع فى الجنوب فتتميز بتحسينها بأبراج مراقبة مثلما هو فى مينارتى وأبوسر وجزيرة عبكة

(١) نفس المرجع، ص ٢٦.

(٢) هذا ويشير ناصر خسرو عن النوبة ويذهب إليها التجار ويبيعون الخرز والأمشاط والمرجان وهى أدوات تستعمل فى الزينة عند المرأة النوبية. انظر: ناصر خسرو: سفرنامه، ص ٤١؛ وانظر الأمين الضريير: العربية فى السودان، ص ٢٦، ٢٧؛ على زين العابدين المصاغ الشعبى فى مصر، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤، ص ٧، سعد الخادم: الفن الشعبى والمعتقدات الشعبية، النهضة المصرية، ص ١٦؛ عبدالرحمن زكى: الحلى فى التاريخ والفن والإرشاد ١٩٦٥م، ص ١٠؛ نادية بدوى: الزينة، ص ١٧٢.

(3) Adams, W. Y., Kush XII, PP. 216- 648; id Kush XIII, PP. 148- 176.

(4) Adams, W. Y. J. E. A. 52, P. 150.

انظر ملحق الدراسة رقم (٩ / ٩).

وجزيرة كولب، وبرغم هذا فإن النظم الدفاعية لها تتجه نحو البر إلى الجنوب، مما يعنى أن الأغارات كانت من قوات برية آتية من الجنوب. وعلى هذا فمن الواضح أن الخطر فى هذه الفترة لم يكن متمثلاً فى الحملات العسكرية القادمة من الشمال فقط، بل كان أغلبه من تلك القبائل التى اعتادت السير براً، وتوغلت جنوباً، ثم وجهت هجماتها نحو الشمال^(١).

والحقيقة أن المسكن النوبى قد شاهده كثيرون من المؤرخين والرحالة، وقد وصفوه وصفاً دقيقاً. فمن قبل تعرض له ابن سليم الأسوانى أثناء رحلته إلى بلاد النوبة، حيث كان يتسم بالبساطة نظراً للحالة الاجتماعية السائدة وقتذاك من الاعتماد على حرية التنقل فيقول: «وقرى متصلة وعمارة حسنة، بأبرجه حمام^(٢)... نحو ثلاثين قرية بالأبنية الحسان والكنائس والأديار^(٣)»، ويأتى القزوينى ليؤكد أن جميع مساكنهم عبارة عن أخصاص، وكذلك قصور ملوكهم^(٤)، حتى اشتدت الهجرة العربية، وفتحت أرض النوبة على مصراعيها تستقبل هذه القبائل فكانت استقراراً وملاذاً، وتنتقل معها المؤثرات الإسلامية فى مساكنهم^(٥).

حتى شاهدها الرحالة بوركهارت ليؤكد هذا التطور المتلاحق بقوله: «ويبنى النوبيون اليوم أكواخهم.. على سفوح الجبال.. أما فى البقاع التى ينبسط فيها السهل فإنهم يبنون مساكنهم من اللبن ويقيمونها وسط السهل^(٦)».

وهذه المباني تتألف من بنائين مستديرين منفصلين أحدهما للرجال والآخر للحريم، وبيوتهم من اللبن منخفضة، والسقف من سيقان الذرة أحياناً^(٧)، ومع ذلك

(1) Ibid, P. 151.

(٢) المقرئى: الخطط، ج ١، ص ١٩١.

(٣) المصدر نفسه والجزء والصفحة.

(٤) يقول القزوينى: دنقلة مدينة عظيمة ببلاد النوبة، ممتدة على ساحل النيل.... وبيوتهم فى أخصاص كلها، وكذلك قصور ملكهم. انظر القزوينى: آثار البلاد، ص ٣٩؛ النويرى: نهاية الأرب، ج ١، ص ٢٦٢؛ انظر ملحق الدراسة رقم (٣/٩، ٣/٩).

(٥) أصبحت تبني من طين وبأعمدة رفيعة، وإن كانت لم يرق شكلها لليو الإفريقى. انظر ليو الإفريقى: وصف إفريقيا، ص ٥٥٧.

(٦) رحلات بوركهارت، ص ٩٩.

(٧) بوركهارت: رحلاته، ص ١٢٢؛ محمد عوض الشعوب والسلالات الإفريقية، ص ٢٦٥، انظر الزخارف المعمارية بالنوبة والتى تنعكس على سودان وادى النيل شكل رقم ١، ٢ من ملحق رقم ١٠.

فقد ظلت بعض المناطق مثل إقليم المحس إذ تصنع الأكواخ فيه من الحصر المجدولة من سعف النخيل، والمشدود إلى أعمدة عالية ترتفع أطرافها فوق السقف^(١).

نستنتج من هذا أن المسكن النوبي كان بسيطاً في بنائه ثم تطور من كونه على شكل أخصاص إلى البناء بالحجارة أو الطوب اللبن طبقاً لطبيعة كل منطقة، كما أن المسكن بشكله القديم لا يزال قائماً في بعض المناطق.

وقد جاءت أقوال الرحالة الأوروبيين لبلاد النوبة ما ذكرته الحفائر والمصادر الإسلامية. فعندما زار بونسيه مدينة دنقلة عام ١٦٩٨ م وجد «بيوتهم من الطين، سطوحها واطئة مغطاة بقصب الذرة»^(٢).

هذا وتنتشر الخيام بطبيعة الحال، لأن بعض المناطق رعوية، وذكر بونسيه بأن هذه الخيام كانت تمد المسافرين بما يحتاجون إليه^(٣).

— الأثر الإسلامي في الزخارف المعمارية بالنوبة:

إن فن الزخارف المسيحية في بلاد النوبة اعتمد على أشكال القباب سواء أعالي شواهد القبور أو منازل الأهلين، كما كانت المداخل على أشكال الأقواس^(٤).

وبتغير الثقافات مع دخول الإسلام بلاد النوبة في القرنين السابع والثامن الميلاديين ورسوخه بعد ذلك، وفي الوقت الذي كانت فيه ممالك الصليبيين في الشام وفلسطين تلفظ أنفاسها الأخيرة تحت ضربات المماليك، نتج عن هذا التغيير رسوخ فكرة الهلال كبديل للصليب، حتى أنه عندما زالت آخر الممالك المسيحية في السودان وادى النيل بسقوط مملكة المقررة، وعلو من بعدها، لم يتعارض الهلال مع النجمة النوبية اللتان كانتا منافستين للصليب^(٥). أما الصليب فقد زال تماماً، ولم يبق إلا لمآماً

(١) نادية بدوى: الزينة عند العبادة، ص ٩٦، ٩٧.

(٢) نكولز: مرجع سابق، ص ٧٨.

(٣) نكولز: مرجع سابق، ص ٨٣؛ C. F. الأبحاث الأثرية التي أرسلت عام ١٨٤٤ لمنطقة سوبا.

Lepsius, R. Letters from Egypt, Ethiopia and the Peninsula of Sinai, London 1853, P.

وأيضاً: محمد غيطاس: النوبة ص ١٢، ١٣، ١٥، ١٦٢.

(4) C. F. : Marian Wenzel: House Decoration in Nubia, London 1972, P. 9.

محمد غطاس النوبة، ص ١٥؛ أحمد على الحاكم: الزخارف المعمارية ص ٤.

(5) Marian Wenzel: OP. Cit., P. 11. FF.

في حيز ضيق، ولقد اختلطت هذه النجمة والهلال بالأقواس والأعمدة الإسلامية وزاد استعمال القباب وخاصة على قبور الأولياء والصالحين^(١).

وقد رسمت هذه النجمة وهلالها ومعها القباب والأقواس والأعمدة في الزخارف الحلقاوية. فتم التزاوج والتوافق بين الروح الإسلامية والفن المسيحي في النوبة^(٢).

أما أبر أثر إسلامي فهو استعمال الأشكال الهندسية المتداخلة (فن الأرابسك)، والأعلام التركية، وأعلام الطرق الصوفية المختلفة. وعلى كل حال فسواء جاءت الأقواس والأقبية مع الفتح الإسلامي أو رسخت أيام المسيحية، فقد عرف النوبي أشكال الأقبية والأقواس والأعمدة وبعض الأثاث البسيط^(٣).

– المأكل والمشرب:

تبادلت مصر المملوكية وبلاد النوبة الكثير من المنتجات الغذائية وذلك بحكم الجوار، إذ يقول المقرئ عن مدينة أسوان الواقعة في أرض مصر، الوفيرة في منتجاتها: «وأسوان في آخر بلاد الصعيد، وهي ثغر من ثغور الإقليم، يفصل بين النوبة وأرض مصر، وكانت كثيرة الحنطة، وغيرها من الحبوب والفواكه، والخضراوات والبقول، كما كانت كثيرة الحيوان من الأبل والبقر والغنم، ولحماتها هناك غاية في الطيب والسمن، وكانت أسعارها أسعار رخيصة وبها تجارات وبضائع تحمل منها إلى بلاد النوبة^(٤)».

وكانت مدينة دنقلة أكثر المدن تحضرًا تتخذ طعامها من الشعير والذرة. والتمر^(٥)، وشرابهم المزر المتخذ من الذرة^(٦)، ولحومهم طيبة المذاق^(٧) يطبخونها

(1) Marian Wenzel: Ibid, P. 15.

(2) C. F. : Marian Wenzel: Hause Decoration in Nudia, P. 15 FF.

(٣) أحمد على الحاكم: الزخارف المعمارية، ص ٦٠، ٥٠.

Marian Wenzel: Op. Cit. P. 14- 19.

انظر قباب أسوان شكل رقم ١٠/٣

محمد غيطاس: النوبة، ص ١٥، انظر شكل ١٠/٧، ١٠/٨، ١٠/٩، ١٠/١٠، ١٠/١١.

(٤) المقرئ: المواعظ والاعتبار، ج ١، ص ١٩٧.

(٥) الإدريسي: صفة المغرب، ص ١٩، القلقشندي: صبح الأعشى ج ٥، ص ٢٧٥، ٢٧٦.

(٦) سوف نشرحها فيما بعد. الإدريسي: صفة المغرب، ص ١٩.

(٧) الإدريسي: المصدر نفسه، ص ٢١؛ الإدريسي: الطالع السعيد، ص ٢٨؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٥، ص ٢٧٥؛

المقرئ: الخطط، ج ١، ص ١٩٢، ١٩٣؛ بوركهات: رحلاته، ص ٢٢، ٢٣؛

C.F Trimingham, J. S. : Op. Cit. ,P. 8.

بألبان النوق^(١)، بالإضافة إلى الأسماك^(٢).

وقد لاحظ بوركهارت وهو في طريقه إلى دنقلة أن طعام الخبز من القمح دليل على الرفاهية والثراء العريض، وطعام العامة من الذرة^(٣)، وهو في غاية الخشونة، ويصنع بغير ملح، ويخبزونه على الصاج كببدو جزيرة العرب^(٤).

وقد حازت بلاد النوبة شهرة في إنتاج التمر^(٥) وكثرة تنوعه من الأصناف الجيدة، وقد كان يشكل طعاماً للعامة من أهل النوبة^(٦).

وأخيراً نجد الرحالة الأوروبي بونسيه الذي زار مدينة دنقلة قد أعجبه من الأطعمة والأشربة «الفلفل والقرنفل والينسون. وهي التي تعطى النكهة في الأطعمة والأشربة»^(٧).

كما تضمن حديثه عن سكان دنقلة بقوله: «وهم لا يأكلون من الخبز إلا ما صنع من الذرة، ويصنعون منها نوعاً من الجعة الخائرة لها طعم رديء للغاية.. والرجل الذي يمتلك شيئاً من خبز الذرة وقرعة ملأى بهذا الشراب الكريه الذي يشربونه حتى يلعب برؤوسهم إنما يعد نفسه سعيداً يجلب لنفسه طرباً عظيماً»^(٨).

تلك هي أهم الإشارات الواردة في النصوص عند المؤرخين العرب والرحالة الأوروبيين عن الأطعمة والأشربة وتطورها في السودان وادي النيل.

(١) الإدريسي: صفة المغرب، ص ١٩؛ القلقشندي: صبح الاعشى، ج ٥، ص ٢٧٥، ٢٧٦.

(٢) الإدريسي: صفة المغرب ص ١٩، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج ٢، ص ٢٩٧؛ بوركهارت: رحلاته، ص ٢٢، ٢٣ وانظر أيضاً لمزيد من التفاصيل عن الثروة السمكية، المقرئ: الخطط، ج ١، ص ١٠٦، ١٠٧.

(٣) بوركهارت: رحلاته، ص ٩.

(٤) المرجع نفسه، ص ١٢٤.

(٥) انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ١٩؛ الإدقوى: الطالع السعيد، ص ٢٨؛ المقرئ: الخطط، ج ١، ص ١٩٩؛ المسعودي: مروج الذهب، ج ١، ص ٤٤٢، ٤٤٣.

(٦) المقرئ: الخطط، ج ١، ص ١٩٠، ١٩٩.

(٧) تكلز، مرجع سابق، ص ٧٨.

(٨) يقصد هنا ما عرف عندهم بالمريسة، وتسمى عند أهل دنقلة مرسكي وهي عبارة عن خمر من الذرة أو الدخن، والعرب تسميها المزّر انظر: الأمين الضريّر العربية في السودان، ج ٢، ص ١٣٩، ١٤٠؛ كلابشة: الفونج، ص ١٧؛ تكلز، مرجع سابق، ص ٧٨؛ هذا وكانوا يشربون المريسة في خزف صنع محلياً والآخر استورد من مصر،

C. F. : Vantini, G.: Christianity in Medieval nubia, P. 21; Kolodziejczyk. K.: Some Remarks on the Christian Ceramics from faras 'In "Nubia Christiana, tom 1", P. 178.

– المآتم والأحزان:

تؤكد الاكتشافات الأثرية ما ورد في المصادر التاريخية عن انتشار المسلمين في البلاد وخاصة في العصر المملوكي، ففي بعض جزر كلابشة عثرت بعثة معهد الدراسات الشرقية بجامعة شيكاغو والمعهد السويسري بمصر خلال أعمالهما سنة ١٩٦١ م في المنطقة بين بيت الوالى وخوردهميت على مقابر إسلامية وشواهد للقبور، ومما يلاحظ هنا أن استخدام اراضى الدفن المسيحية قد استبدلت لإقامة المدافن الإسلامية عليها^(١).

ومن هذه المقابر الإسلام تلك التى أشار إليها أرثويجال جنوبى عنيبة بحوالى سبعة كيلومترات^(٢)، وكذلك ما عثر عليه فى جبل عدة من مقابر إسلامية تميزت بقبابها المشيدة بالآجر^(٣)، وهى من نمط وجد أيضاً فى أنحاء مختلفة بالنوبة الشمالية وتشبه ما يوجد فى جبانة أسوان^(٤).

وفى دنقلة عثرت البعثة البولندية أيضاً على مقبرة إسلامية بها مدافن من أنواع مختلفة منها قبور تميزت بمصاطب مسطحة ترتفع حوالى من عشرين إلى ثلاثين سنتيمتراً، ومغطاة بحصى أبيض أو محاطة بالآجر، وعثر على الآلاف من مقابر هذا النوع، ومنها مقابر غطيت بأقبية من الطوب اللبن، وأخرى غطيت بقباب^(٥)، وعلى الرغم من قيمة هذه المقابر الإسلامية من الناحية المعمارية والفنية فإنها لم تجد اهتماماً من البعثات الأثرية لإنقاذها.

(1) C.F.: Keith seele: From Khor Dehmit to Beit el-Wali, fauilles en Nubie, 1, P. 84; Gerhard Haeny,: Tafa, Kalabsha, Wadi el sebu, Rock Inscriptions and semna South. Actes du II Symposium, P.34; Save- Soderberg. T., Christian Nubia, Nubiasche, Kunst P. 230.

(2) C. F.: Weigall, A.: A Report on the Antiquies of Lower nubia, P. 123.

(3) C. F. Mostapha El- Emir,: fouilles de L'universite d' Alexendrie a Gebel Adde 1959, Fouilles an Nubie, 1. P. 38.

(٤) فريد شافعى، العمارة العربية فى مصر الإسلامية، مجلد ١، ص ٥٦٥، ٥٦٧.

(5) C. F. Michalowski: Kush XIV, PP. 294 F, PLS XII- XIII.

محمد غيطاس: النوبة، ص ١٠٩.

وتؤكد شواهد القبور العربية التي عثر عليها في أنحاء مختلفة من بلاد النوبة زيادة عدد المسلمين، بل واعتناقهم للإسلام في فترات تسبق سقوط الممالك المسيحية، ومثال ذلك شواهد القبور المؤرخة التي عثر عليها في تافه ٨٣٢م وكلابشة ٩٢٩م، وقرطاس ٩٣٣م، والدر ١٠٢٧م^(١) ويلاحظ في بعض شواهد القبور القبطية استخدام التقويمين القبطي والهجري^(٢).

وتدل الأبحاث الأثرية التي أجريت في مدينة عيذاب عن حصر المقابر الإسلامية الباقية فكانت أربعة. المقبرة القبلية مطلة على البحر وتقع في الأطراف الجنوبية الشرقية للمدينة على مرتفع من الحجر المرجاني الهش. وقبورها خليط من كل الأنواع، وشمالها يوجد بقايا مبنى، تم حفره على يد مري، وقد ادعى أنه مسجد نسبة لوجود المحراب على القبلة^(٣). ولكن يعتقد أنه كان فاذاقية^(٤) أو قبة كبيرة تهدمت. أما المقبرة الشمالية فهي أيضاً تطل على البحر على شعاب مرجانية، وهي تتميز ببناء متطورة وتجانس في أنواعها، ويعتقد أنها كانت لمجموعة إسلامية مميزة عن بقية السكان، وأعدادها قليلة جداً، فهي لا تتعدى المائة مقبرة.

ويعتقد أنها كانت لأعيان وخواص عيذاب، والمقبرة الثالثة هي المقبرة الغربية وتقع شمال غربى المدينة وهي أكبر المقابر وأكثرها تعدداً في قبورها. والمقبرة الرابعة هي المقبرة الجنوبية، وتقع جنوب المدينة في منخفض على مسافة من المدينة وتمتد

(١) انظر الخريطة شكل رقم (٣)، (٤).

(2) Monnert De Villard, Stora, P. 118- FF.

نقلا عن: Adams, W. Y. Kush XII, P. 236, انظر اشكال ٢٣، ٢٤ /
Millet. N.: Gebel Adda, Actes du 11 Symposium P. 117;

محمد غيطاس، ص ١١٠.

(٣) أحمد على الحاكم: المشروع السوداني الفرنسي للأبحاث العلمية في منطقة البحر الأحمر السودانية، ٧٩-١٩٨١، مجلة كلية الآداب، جامعة الخرطوم، العدد الخامس، ١٩٨٣، ص ٣٥.

(٤) الفاذاقية: بناء محاط بسور يضم قبور عائلية وسط المقبرة وكذلك كانت من الأشياء المحيرة في هذه المنطقة وجود اساس لمبنى قد درس فيما عدا أساسه، والذي يظهر أنه مستطيل الشكل يتوجه نحو القبلة، كالمساجد مثلاً، ولكنه صغير الحجم بالنسبة لمدينة عيذاب وحجمها، وبالنسبة لشهرة جامع عيذاب الذي ذكره ابن بطوطة بأنه قد بناه القسطلاني. انظر: بشير إبراهيم بشير: عيذاب ص (٦٤) هامش (٤٦)، صفحة ٨٠، وانظر أيضاً: أحمد على الحاكم: مرجع سابق، ص ٣٥. انظر أيضاً ملحق الدراسة: خريطة عيذاب وموقعها على الخريطة، شكل رقم (١).

على مساحة واسعة كبيرة. وتعد ثانى مقبرة فى الحجم وهى خليط من كل الأنواع. وفيها عثر على بقايا قباب مقامة أعلى المدافن، وطوب محروق صغير الحجم. ومجموع القبور بالمقابر الأربعة بلغت الست آلاف قبراً^(١). والمقابر تتجه نحو القبلة، وهناك قلة لا تتبع هذه التعاليم الإسلامية وتختلف فى وضعها وبناءها. ويعتقد وجود هذا الاختلاف لوجود أقلية غير مسلمة بين مجتمع عيذاب^(٢).

(١) انظر: بشير إبراهيم بشير: عيذاب، ص ٥٥، ص ٥٦، أحمد على الحاكم: المشروع السودانى، ص ٣٨.
(٢) الأقلية الغير مسلمة مثل اليهود أو النصارى المصريين كما جرت العادة فى أغلب الثغور الإسلامية، كما لا يستبعد وجود بعض البجة الوثنيين. انظر:

Y.F. Hasan: The Arabs, P. 61-62.

أحمد على الحاكم، مرجع سابق، ص ٣٨.
هذا ولم يعثر لاي أثر لشواهد القبور المخطوطة، رغم المكانة السامية، التى تبوأها ثغر عيذاب فى مجال الفكر والثقافة الإسلامية، ولما له من مكانة فى مركز التجارة، مثلما كشف فى باضع وخورينت وأجزاء أخرى من النوبة.

C.F.: Adams, W. Y. Kush XII, P. 236; Nigm Ed Din M., Sherif, The Arabic inscriptions From Mienarti, Kush XII, Op. 249 - 250 and PLS III - IIV a-b.

Adams, W. Y. Kush XIII, PP. 172-173.

— الأحتفالات والطقوس الدينية:

— القتل الطقسي عند الفونج:

ارتبط اسم أحمد سيد القوم^(١)، فيما كتبه الرحالة جيمس بروس^(٢)، بمهمة قتل الملك إذا كان وجوده على العرش يتنافى ومصلحة الدولة. ولما كان نفشى مثل هذه العادة أو الطقوس يرجح بعض القرائن التي تربط الفونج فى أصلهم القديم بمجموعات اشتهرت بطقوس قتل الملك كالثلاك مثلاً^(٣)، ونسبة لغرابة هذه العادة على المجتمعات الإسلامية، ولقلة الإشارات لهذا القتل أو ندرتها فى المصادر المحلية أو إعطائها مفهوماً مختلفاً لوظيفة «سيد القوم» من جهة، وملاحظات بروس التي لا تخلو من شيء من التعميم وعدم الدقة من جهة أخرى رأيت أن اتعرض لهذه العادة بشيء من إبراز جوانبها وانعكاساتها على المجتمع.

(١) أحمد سيد القوم: مدير شئون القصر الملكى أو رئيس الخدم. أنظر: نصها بالإنجليزية:

A chmet Sid el Coom the Master of the King's household or Servants.. C.F.: J.

Bruce: Travels to Discover the Sources of the Nile, Edinnurgh, 1804 - 5, 7 Volumes. and edition, Vol. 6., PP.372 FF.

انظر أيضاً: الفونج والأرض: ص ص ٩٩ - ١٠٠.

(٢) زار الرحالة الاسكتلندى جيمس بروس ١٧١٠ - ١٧٩٤ بعد عودته من اكتشاف منابع النيل الأزرق مملكة الفونج الإسلامية (١٥٠٤ - ١٨٢٠م) ومكث فيها قرابة العام، وكان نصيب سنار أربعة أشهر وحظى بمقابلة السلطان إسماعيل بن بادى (١١٨٢ - ١١٩٠ - ١٧٦٩ - ١٧٧٧م) وكان من أهم الشخصيات التي قابلها بروس «أحمد سيد القوم»، وقد استقى بروس من أحمد هذا كثيراً من بعض الأوراق الخطية، تاريخ الملوك الفونج ببلد صنار C.F.

Bodleian library, Oxford, MS

هذه المخطوطة محفوظة بـ Bruce, 18(2) FF (546 - 57a).

وقد ضمن بروس كل ما جمعه فى:

Travels to Discover the Sources of the Nile in the years 1768, 1769, 1770, 1771, 1772.

نشرت الطبعة الأولى فى خمسة أجزاء.

(٣) عمر الحاج الزاكي: حقيقة القتل الطقسي فى مملكة مروي، مجلة كلية الآداب جامعة أم درمان، العدد الثانى،

١٤٠٥هـ، ١٩٨٤م، ص ص ٤٠، ٤١.

وتصف المقتطفات التالية وظيفة سيد القوم على لسان بروس^(١).

«وإنها من الظواهر المميزة لهؤلاء القوم المتوحشين عندهم يسمح له باعتلاء العرش على أن يقبل بإمكانية إعدامه عن طيب خاطر بواسطة رعاياه أو عبيده، على ضوء قرار من مجلس كبار الموظفين، إذا رأوا أن استمراره فى السلطة يتنافى ومصلحة الدولة. وهناك موظف معين من أسرة الملك نفسه هو وحده الذى يستطيع أن يهدر دم ملكه وقريبه. ويلقب هذا الموظف بـ«سيد القوم» أى رئيس شئون القصر الملكى أو رئيس الخدم^(٢). ولكنه لا يملك صوتاً فى إزالة الملك عن السلطة ولا يجرم أى تجريم مهما كثر عدد قتلاه من أقربائه الملوك.

وأحمد سيد القوم قاتل الملوك الشرعى، الحالى والذى يسكن فى قصر السلطان إسماعيل قد قتل ناصر الملك السابق واثنين من ابنائه اليافيين وطفلاً رضيعاً، يتوقع كل يوم أن يقوم بالمهمة نفسها تجاه إسماعيل مع أنه لا يوجد فى الوقت الحاضر خبث من هذا الجانب ولا غيره من الجانب الآخر. واعتقد أن لدى كليهما فكرة عما سيحدث^(٣).

«إجابة لسؤالى عن لماذا قتل ابن ناصر بحضور والده؟ أخبرنى ببرود شديد إنه لم يكن له الخيار فى أن يفعل شيئاً آخر فى حق ناصر الذى كان من واجبه أن يرى ابنه يقتل بطريقة قانونية سليمة، وقد كان ذلك ببتتر عنقه بحد

(١) بالرغم من غزارة المعلومات التى أوردها بروس وطرافتها عن كل المناطق التى زارها فإن الكتاب يحوى قدراً كبيراً من عنصر المبالغة. وقد أثبت مرى Murray، ولعله الشخص الوحيد الذى اطلع على كل مذكرات بروس، ثم أعاد نشر كتابه آف الذكر بعد ادخال تعديلات عليه فى عامى ١٨٠٤، ١٨٠٥م فى خطاب لأحد معارفه: «إن بروس، بالتأكيد لم يكن منزهاً من الخطأ فى عدة جوانب، وإن كتابه بالرغم من أنه قيم وعجيب، فقد كتب باهمال. ويذكر مرى فى موضع آخر أنه عند اطلاعه على مذكرات بروس وجد فيها بعض الروايات التى لا تمت للحقيقة بصلة. C.F.: J. Bruce: Travels to Discover the Sources of the Nile .., Selected. and edited by, C.F. Beckingham, Edinburgh University Press, 1964. P.16. لانتروب Benjamin Latrobe "وهو ممن عمل مع بروس عن قرب بأنه لم يكن يوحى بالدقة ناهيك عن الوضوح، وكان عفويا فيما يختص بالتفاصيل وانظر أيضاً: C.F.: Bruce, Ibid, P.16. يوسف فضل: القتل الطقسى عند الفونج، مجلة الدراسات السودانية، جامعة الخرطوم، العدد الأول، المجلد الثانى، مارس ١٩٧٠م، ص٣٢، ٣٣. C.F. Bruce: Op. Cit., VI, 372 - 377.

(2) C.F. Bruce: Op. Cit., VI, 372 - 377.

(3) C.F. Bruce: Op. Cit., VI, 372 - 377.

السيف، وليس بقتله بطريقة أكثر تحقيراً وإيلاً ما كان يمكن أن يفرضها عليه أعداؤه لولا حضوره. وقد قال إن ناصراً بدأ قليل الاهتمام برؤية موت ابنه، ولكنه كان كارهاً جداً لما أتى دوره ليموت هو نفسه بدرجة أنه ترجاه كثيراً أن يتركه يهرب ولكنه لما رأى ذلك غير مجد، رضخ بدون مقاومة.. وسألته عما إذا كان خائفاً عندما يدخل في حضرة الملك من أن يظهر له الملك أن الموت أو القتل ليس أمراً هيناً كما كان يعتقد. فأجابني: كلا إطلاقاً. وإنه كان من واجبه أن يكون مع الملك معظم الوقت في الصباح وبالضرورة مرة في أواخر المساء، وأن الملك كان يعلم أنه لم يكن له يدا في الضر والذي يمكن أن يلحق به كما لم تكن له يد في تعجيل موته. ولكن عندما يحين وقت الموت فلا محالة من قتله، إذ الأمر برمته هو موضوع حسن تصرف، ولا شك إنه يفضل أن يقتل بيد أحد من أقاربه على انفراد على أن يقتل بيد قاتل مأجور سواء كان عربياً أم عبداً مسيحياً على مرأى من عامة الناس^(١).

«عند موت أحد ملوك سنار يخلفه قانونياً ابنه الأكبر، بعد ذلك مباشرة يقوم الملك الحاكم بالتخلص من كل من يخشى من أخوته إذ يقتلهم سيد القوم بالطريقة التي أسلفنا وصفها^(٢)».

وفيدنا بروس في مذكراته الأصلية لليوم الأول من أغسطس ١٧٧٢م في معرض حديثه عن غزو الفور لكردفان: «بأنهم في دارفور يقتلون الملك بموسيين.. وفي سنار يقتل على يد أحد أقربائه، الجندي أو جلال المدينة^(٣)».

نستنتج من هذه النصوص رغم ما بها من تناقض أن ملوك الفونج كانوا يخضعون لعملية قتل قسرية بطريقة معلومة إذا روى أنهم لم يعودوا يقومون بالواجبات المناطة بهم على أكمل وجه. وإنهم يواجهون هذا الموت بطيب خاطر دون خوف أو تردد. ويلتزم هؤلاء الملوك بقتل كل إخوتهم أو أبنائهم الذين يشكلون خطراً بإثارة الفتن مطالبين بالعرش. ويقوم

(1) C.F. Bruce: Op. Cit., VI, 274 - 5.

(2) Bruce, Ibid, VI, P.378.

(3) C.F. Alexander Murray: Account of the life and writings of James Bruce of Kin-naird. Edinburgh, 1808, P.425.

بعملية القتل هذه أحد أقرباء الملك ويعرف بسيد القوم أو الجندى^(١).

لعل أقدم إشارة إليها ما أورده الرحالة الفرنسى شارلس بونسيه Charles Poncet، ورفيقه الأب برفيدان Father Brevedan ولعلهما أول أوربيان يصلان إلى سنار، وكان ذلك فى الثانى عشر من فبراير ١٦٩٩ م حيث مكثا فيها نحو ثلاثة أشهر.

يقول بونسيه: «يجتمع المجلس الأعلى إذا ما حدث وتوفى ملك سنار وتنفيذ العادة همجية ومردولة بأمر أن تدق أعناق أخوة الأميرة^(٢) الذى سيعتلى العرش. ولقد نجا الأمير قريش بجلده من قسوة ذلك المجلس الرهيبة إذ اخفته حاضنته لما كان أخوه الملك يحتضر، ولقد أنقذوا أيضاً أحد أخوة الملك الحالى. وهذا الأمير الآن ببلاط أثيوبيا، حيث يتميز بهمته فضلاً عن نبل مولده^(٣)».

ويروى الأب برفيدان أن عم الملك بادی الأحمر أخفاه فى طفولته لينقذه حيا من الخطر الذى يحيق بأخوة الملك^(٤).

وبعد فترة وجيزة زار الرحالة البيفارى كرمب Krump مملكة الفونج فقال: «لدى موت ملك سنار ينتخب خليفته على النحو التالى: يجتمع كل الشيوخ وبقية نبلاء المملكة، ويصوتون لأمر من الأمراء الملكيين - يتساوى فى ذلك ابن الأمة وابن الحرة - ويقدمونه ملكاً. ويقتل بالرمح بقية الأمراء الملكيين المحبوسين بالقصر، وإذا أفلح أحدهم فى الهرب فالملك الجديد ملزم بتعقبه وقتله حتى لو كان الهارب أخاه. وتنجز هذه المقتلة تفادياً للنزاعات التى ربما نشأت من وجود العديد من الأمراء وخشية انقسام المملكة وصونها للسلام. والحالة هذه فمن الخير أن تكون أبناً لعبد من أن تكون أبناً لملك^(٥)».

(١) جاءت فى وثائق العبدلاب ألقاب ثلاثة، أحدها، الجندى، وثانيها «جندى السوق»، وثالثا «جندى قرى»، و«قرى» هى العاصمة الأولى للعبدلاب وقد حدد الدكتور أبو سليم وظيفة جندى قرى، بقوله «هو الشخص الذى يتولى حكم المدينة، انظر: الفونج والأرض. الصفحات: ٥٣، ٧٣، ٧٦، ١٢٦، ١٣٠، ١٣٣».

(2) C.F.: W. Foster, the Red Sea and Adjacent Countries at the close of the seventeenth Century, London, 1949, P. 107.

(3) W. Foster, the Red Sea, P.107.

(٤) كروفورد نقلا عن: C. Beccari, : Relations elepistalae va riorum XIV, Crawford, Op. Cit., P. 297.

(5) C.F. Theodoro Krump,: Hohz und Fruchtbarer palm Baum. Angsburg 1710.

وقد ترجم كروفورد الاجزاء التى تتعلق بمملكة الفونج من هذا الكتاب فى:

Crawford: The Fung Kingdom of Sennar, Gloucester, 1951, P. 323;

يوسف فضل: القتل الطقسى، ص ٣٦.

يتضح مما جاء في كتاب بونسيه وكرمب وعلى لسان برفيدان أن عادة القتل هذه تقتصر على أخوة الملك الحاكم وإنها كانت مجرد إجراء سياسى اقتضته ضرورة المحافظة على وحدة المملكة وسلامتها^(١).

يؤكد مخطوط كاتب الشونة أن الأسرة الحاكمة أو الفونج الأوائل ممن ظلت بقاياهم تسكن «الصعيد» جنوب سنار قد تضطر إلى عزل الملك إذا ما ارتكب بعض السلوك المشين الذى يؤثر على هيبة الملك^(٢).

هذا وتوحى جملة «ولكنهم يعزلون من غير قتل» بأنه يعتقد أن العزل بالقتل من اختصاص فئة أخرى أو أن مثل هذا التقليد قد بطل نتيجة انتشار التعاليم الإسلامية وغلبتها على مملكة الفونج. وبالرغم من أن هذا الاستنتاج لا يخلو من حدس وتخمين فإن انتشار طقس قتل الملك والبأسه صفة القداسة عند بعض الباحثين يجعلنا نميل لقبوله بشيء من الحذر^(٣).

كما اكتشف حديثا عادة قتل الملك بين شعوب كثيرة يهمنها منها المجموعات القبلية التى جاورت الفونج، عند نشأة مملكتهم، وقبل اتخاذهم لسنار عاصمة لهم. فقد روى لبيسوسل أن سكان منطقة فازوغلى^(٤) اعتادوا حتى عام ١٨٣٨ م أن يشنقوا ملكهم إذا أصابته علة تحول دون ممارسته للحكم وإقامته شعار العدل ولو إلى يوم

(١) احمد بن الحاج ابوعلى: مخطوطة كاتب الشونة، ص ١٩؛ وقد روى هذا الخبر باختلاف بسيط فى تاريخ ملوك السودان، تحقيق مكى شبكية، ص ٥؛ يوسف فضل: القتل الطقسى، ص ٣٦، ٣٧.

(2) C.F.: A.E.R.; The Fung Drum or Nehas., S.N.R., Iv, 1921, P. 211-212; S.

Hillelson: David Reubeni, an early visitor to Sennar, S.N.R. XVI, 1933. P. 55- 56;

يوسف فضل: القتل الطقسى، ص ٣٧.

(٣) والحقيقة ان عادة القتل الطقسى عرفت فى مملكة كوش ٧٢٥ ق.م - ٣٥٠ م. عمر الحاج الزكى: حقيقة القتل الطقسى،

ص ٤٣، Dio-، C. F.: Seligman, Pagan Tribes of the Nilotic Sudan, 1965, PP. 90-91.; Strabo, VIII, durus Siculus, Book II, 5 London, 1961, P. 101; Strabo, VIII, London 1959. 147. 149; P. Shinnie: Meroe a Civilization of the Sudan, London 1967, PP. 16, 18, 35; J.G Frazer: the Golden Bough, London, 1966, III, 1-46.

(٤) قرية وجبل يقعان بين شاطئ النيل الأزرق الغربى وخورتومان وعلى خطى ١١/١٧ شمال و ٣٤/٤٦ شرق. C.F.: R. Lepsius, Letters from Egypt, Etheopa, the Pennsula of sinia london 1853,

202, 204, Frazer: Op. Cit. III, P. 16. ثقلا عن فريزر ، يوسف فضل: القتل الطقسى، ص ٣٨.

واحد، أو إذا لم يعد يتمتع بحب رعيته. وقد اشتهرت نفس العادة بين سكان جبل قولى ولولو^(١).

وظل هذا الطقس، حتى عهد قريب مزدهراً بين الشلك وهم إحدى القبائل النيلية التي تنحصر ديارها في منطقة فاشودة على الشاطئ الغربى للنيل الأبيض وكانت ديارهم تمتد إلى منطقة اليس الكوة^(٢).

ويدرك من رواية لبروس أن الفور، الذين عاصرت سلطنتهم مملكة الفونج أعادوا قتل ملوكهم بموسيين أو بمنديل^(٣). ويخبرنا ناختيجال أن السلطان أبوالقاسم أحمد بكر قد قتل خنقاً بأمر من أخيه الملك تيراب بعد توصية من مجلسه أثر خلاف بينهما، على يد رجل يدعى «ويرا»^(٤)، ومع أن ناختيجال يلاحظ أن حفدة «ويرا» هذا ظلوا يحتلون وظيفة كبير الجلادين حتى وقت زيارته إلى دارفور إلا أنه لم يعرف عنهم أنهم قتلوا أحداً إلا نادراً، ولا يشير إلى عادة القتل الطقسى، بين الفور وحقيقة الأمر فإن قتل أبى القاسم كان إجراء سياسياً بحتاً، كما أن محاولة ربط ماكمايكل قتل ملك العبدلاب إثر تحد من أحد أبناء عمومته بالقتل الطقسى فيه شيء من المبالغة^(٥) وليس هناك ما يؤكد ما رواه ماكمايكل فيما كتب عن العبدلاب أو روى عنهم شفاهة^(٦).

وبالرغم من أن معظم الأمثلة التي استأنسنا بها ترجح انتشار القتل الطقسى بين الشعوب التي جاورت الفونج فإنه ليس من بينهما ما يؤكد أن سلاطين سنار كانوا ملوكاً مقدسين أو أن قتلهم ذلك كان طقساً دينياً، إذ لم يرد فيما جاءنا ذكر لاغتيال من هذا القبيل.

(1) C.F Lepsius: Op. Cit., P. 202, 204.

(2) C.F.C.G. and Brenda Z.: Seligman: Pagan Tribes and the Nilotic Sudan, london 1965, PP. 90-91; Bruce,,: Op. Cit., VI 370-71.

C. F. Y.F. Hassn: Umayyed Genealogy of the Fung, S.N.R. XIV, 1965, 27- 32.

B.A. Ogot: History of the Southern Lou, Vol. I, nairobi, 1967, PP.44- 45.

(٣) وانظر أيضاً، -C.F. Murry: Op. Cit., P. 425; Evans Prit- charb: Essays in Social An- thropology, London 1969, 82- 83; يوسف فضل: القتل الطقسى، ص ٣٩.

(4) G. Nachtigal: Sahera and sudan, 1967, III,375.

(5) H. A. MacMichael: A history of the Arabs in the sudan, Vol, II, P. 335- 6.

(٦) أحمد عبدالرحيم نصر: (اعداد) تاريخ العبدلاب من خلال رواياتهم السماعية.

وإذا تم قتل على نحو معين كما جاء على لسان سيد القوم فإنه يقع لأسباب سياسية بحثة، غير أن هذا لا ينفي أن عملية القتل هذه ربما كان فيها بقية من أثر شكاوى.

والاحتمال الأول يؤيده ما جاء على لسان بروس من أن الفونج قوم من الشلك وفدوا إلى الجزيرة في عام ١٥٠٤م وبسطوا نفوذهم على تلك الديار بعد أن هزموا واليها العربي ود عجيب في معركة أريجى^(١). ومع أن الباحثين لم يقطعوا بعد بصحة هذه النظرية فإنها تجد تأييد من بعض الروايات الوطنية المنتشرة عند سكان جبل قولى - أحد الجبال التى أمتد إليها نفوذ الفونج وتقع جنوب سنار - كما تربط بعض أشجار النسب بين أصل الفونج والدنيكا والشلك إذ تروى أنهم أبناء دوكة أو أهم لولة، ابن حسن الهلال الجهنى وهو ابن أمة سوداء^(٢).

والاحتمال الثانى يرجح أن الأثر الشكاوى وصل عن طريق منطقة فازوغلى التى يرجح كروفورد أن سكانها من أصل شكاوى. ودليله على ذلك انتشار مقطعى «با، وفا» فى أسماء القرى الشكاوية وقرى منطقة فازوغلى ووقع نفس الأسماء فى المنطقتين^(٣). ولعل هذا قد حدث نتيجة هجرة أو تعرض منطقة فازوغلى لبعض الغارات الشكاوية ومن ثم حدث التأثير^(٤).

وقد حاول بعض الباحثين أن يربط بين كلمتى القوم أو الـ EL Coom كما يرسمها بروس Koom, Kwom الشكاوية ومعناها مقعد خشبى ذو ستة أرجل. ولما لم يكن من عادة الشلك الجلوس على المقاعد فإن المقعد الوحيد الذى اشتهر عندهم هو مقعد جدهم الملك نيكانج الذى ظل يتوارثه خلفاؤه من بعده، ومن ثم صار هذا المقعد أو ما هو فى هيئته من شارات السلطنة عند تلك القبيلة^(٥). ويؤكد أركل الذى توفرت

(1) C.F. Bruce:Op. Cit., VI, 370- 71.

(٢) شجرة نسب النورعنفرة، ص ٥٦٦؛ وشجرة نسب الجليلاب، ص ٤٣٦.

C.F.: MacMichael: Op. Cit., Vol. II, P. 27 and Tree Opposite, P. 115.

يوسف فضل: القتل الطقسى، ص ٤٠.

(٣) يوسف فضل: ص ٤١. C.F. Bruce:Op. Cit., VI, 373.

(4) C.F. Crawford:Op. Cit., 323, and foot not. No. 1,

يوسف فضل: ص ٤١.

(5) C.F.: G.W.B. Huntngford: Review of Crawford's book, Bulletin of school of Oriental and African studies XV, 1953, P. 621.

له مشاهدة أنماط مختلفة من هذه المقاعد أن مقعد الشلك هذا يتفق فى شكله والككر هو من شارات الملك عند الفونج إذ أنه بمثابة كرسى العرش بل لا تتم احتفالات التتويج دون أن يجلس ملك الشلك أو الفونج على المقعد المعنى. وتزعم إحدى الروايات الشلكاوية أن ككر الفونج قد سرق من الشلك قبل أن يتمكنوا من طرد الفونج من ديارهم الأولى^(١).

وحتى كلمة ككر فيما يرجع بعض الباحثين تتكون من مقطعين شلكاويين Kur, Ka أى «مكان السلطة» ومن ثم فإن مدلول الككر والكوم واحد فى لغة الشلك أو قل إنه فى الكلمة الأولى تتجسم الفكرة المعنوية للوظيفة الثانية^(٢). ومع أننا لا نعرف الأسباب التى حدثت بالفونج ليفضلوا ألفاظاً على أخرى فإن أركل يرى أن «القوم» ليست إلا تحريفاً «للقوم» الذى ورثه الفونج عن الشلك. ولما تمت الغلبة للغة العربية على لغة الفونج أيا كان أصلها، حورت الكلمة الأصلية إلى أقربها صوتاً فى العربية، ومن ثم صار مدلولها جديداً فبدلاً من سيد أو حارس مقعد الملك صارت تعنى رئيس الخدم أو مدير شئون القصر الملكى^(٣).

وربما كان فى هذا التفسير ما يرجح أن الفونج من أصل شلكاوى، وأن طقس قتل الملك من العلامات المميزة لهم. ولكن ينتقص من هذا التفسير حقيقتان هامتان أولاهما أن بروس يخلط بين سيد القوم والجندى، مع أن لهاتين الكلمتين مدلولات مختلفة فى المصادر الوطنية.

يخبرنا بروس فى أول ذكره لأحمد القوم أنه هو الذى أطلعه على تاريخ ملوك الفونج، وأن أحمد من أقرباء الملك وأن موطنه الأصلى فى فازوغلى وأنه يعمل مديراً لشئون القصر وأن من واجبه قتل الملك على نحو معلوم إذا أمر بذلك. وقد توطدت الصلة بين بروس وأحمد حتى صارا صديقين حميمين، ويصف بروس أحمد، برغم

(1) C.F. Westermann, Op. Cit., XXX III, P. 293, A.J. Arkell: Fung Origins, S.N.R. XV, 1922, P. 228.

(2) C.F. Arkell: Op. cit., S.N.R. XV, P. 230. Westermann,: Op. Cit., P. 261- 264.

(3) C.F. Arkell: Op. Cit., S.N.R. XV, P. 230.

فضاعة عمله، بأنه من أرق من لقي في سنار^(١).

ولما كانت وظيفة سيد القوم ذات دلالات مختلفة فلا بد من الوقوف عندها قليلاً. فسيد القوم تعنى في العربية الفصحى سيدهم أو رئيسهم، وهو وصف عام ولا يعنى بالضرورة الإشارة إلى وظيفة أو منصب خاص، وتستعمل كلمة القوم في طبقات الأولياء بما فيها طبقات ود ضيف الله^(٢) وفي العربية السودانية للدلالة على رجال الطرق الصوفية.

ويبدو أن لفظ «سيد القوم» لا يختلف كثيراً في معناه عن «عقيد القوم» أو قايد القوم وهما أكثر التعابير استعمالاً فيما وصلنا من الروايات السماعية التي نوهت بها من قبل للدلالة على رئيس الفرقة من المقاتلين^(٣).

وقد جاء ذكر هذا اللقب في ثمانية مواضع من وثائق الفونج والأرض، وتتفرد هذه الوثائق بالإشارة إلى سيد القوم دون سائر وثائق الفونج التي نشرها كل من أبو سليم وهولت^(٤)، ويلاحظ أن هذا اللقب يأتي في مقدمة من يشهدون على تلك الوثائق، وأحياناً تشمل الوثيقة الواحدة اسم أكثر من شخص ممن يحملون نفس اللقب^(٥).

(1) C.F. Bruce: Op. Cit., VI, 272, 275.

انظر مدلولات الألفاظ لسيد القوم في:

Ibid, VI, 372, 403, 405, Murray: Op. Cit., P. 425.

(٢) ود ضيف الله: الطبقات، ص ٣٢٢؛

S. Hillelson: Sudanese Arabic texts, Cambridge 193, 89, 157.

(٣) عبدالله على إبراهيم، وأحمد عبدالرحيم نصر: من أدب الرباطاب الشعبي، ص ١٤، حاشية (١)؛ انظر: تاريخ العبدلاب ص ٥٦؛ تاريخ العبدلاب من خلال رواياتهم السماعية، ص ص ٥٦، ٥٧؛ يوسف فضل: القتل الطلقي، ص ٤٤، وأيضاً انظر: ود ضيف الله: الطبقات، ص ٤٤، ٢٩٥؛ الشاطر بصيلي: معالم تاريخ السودان وادي النيل، ص ٨٠، حاشية (٣٥).

(٤) أنظر أيضاً: محمد إبراهيم أبوسليم: وثائق الفونج والأرض، ٧٣، ٧٦، ٨٠، ٨١، ٨٨، ٩٩ - ١٠٠، ١٢٦، ١٣٠، ١٣٣.

وأنظر أيضاً: مخطوطة كاتب الشونة، ص ٣٠.

(٥) أبوسليم: الفونج والأرض ص ٥١، ٧٦، ٨٠، ٩٩، ١٢٦، ١٣٣؛ P.M. Holt: Four Fung Land- Char- ters, S.N.R. 1, 1969, 2- 14.

وختاماً يتضح من هذه الدراسة ربما كان لأسطورة القتل الطقسى نصيب من الحقيقة، رغم ما يكتنف ذلك من غموض، ولكن انتشار التعاليم الإسلامية وغلبيتها على مجتمع الفونج أضعف من غلواء ما تبقى من أثر لذلك الطقس. فإذا حدث ثم قتل فهو لا يخلو من أن يكون إجراء سياسياً يشمل الملك ومن ينافسونه على العرش من الأمراء ويعتقد أن الجلاذ الملكى هو الجندى وليس سيد القوم.

الفصل السادس

النتائج الثقافية لسقوط ممالك النوبة

أولاً: العوامل المؤثرة في الحياة الثقافية

- انتشار الدعوة إلى الإسلام
 - انتشار القبائل العربية واستقرارها، وأثر ذلك في لهجات السودان.
 - العوامل الخارجية المؤثرة في تطور السودان الثقافي.
- ثانياً: أشهر المراكز الثقافية في السودان وإسهامها في الإنتاج العلمي.
- ثالثاً: إسهام هذه المدارس في الإنتاج الثقافي

أما عن النتائج الثقافية لسقوط ممالك النوبة المسيحية، فقد ظهرت بصورة جلية منذ أواخر القرن الرابع عشر أو في القرن الخامس عشر على أثر قيام المشيخات الإسلامية في حوض النيل الأوسط، ومن ثم تركزت الهجرات العربية في إستيطانها بعد المشوار الطويل من تنقلها صوب الجنوب، والجنوب الغربي، والجنوب الشرقي. فقد كان لهذين الحادثين الكبيرين: أعنى تشكيل السلطنات الكبرى، وتوزيع القبائل على السودان الشمالي كله، آثار عميقة في المجتمعات السودانية، وفي نشر الثقافة العربية والإسلامية.

وسوف نستعرض العوامل المؤثرة في الحياة الثقافية من:

- أ- انتشار الدعوة إلى الإسلام.
 - ب- انتشار القبائل العربية واستقرارها وأثر ذلك في لهجات السودان.
 - ج- العوامل الخارجية المؤثرة في تطور السودان الثقافي.
- ثم نتتبع أشهر المراكز الثقافية في السودان، وإسهامها في الإنتاج العلمي، وأخيراً نركز على مدى إسهام هذه المدارس في الإنتاج الثقافي.

أولاً: العوامل المؤثر في الحياة الثقافية:

- انتشار الدعوة إلى الإسلام.

تسربت بواكير الدعوة الإسلامية إلى الجزء الشمالي من السودان وادي النيل أو السودان الشرقي منذ أواسط القرن السابع الميلادي على يد التجار المسلمين والمهاجرين العرب^(١). وقد بلغت هذه الهجرة ذروتها عندما اشتركت بعض هذه القبائل العربية في الحملات المملوكية ضد بلاد النوبة المسيحية^(٢): كما تبعتها هجرات أخرى بعد اضمحلال نفوذ ملوك النوبة السياسي في أواسط القرن الرابع عشر^(٣) لقد

(١) انظر: ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ١٦٩، ١٧٠؛ الكندي: الولاة ص ١٢، البلاذري: فتوح البلدان، ج ١، ص ٢٣٦، ٢٣٧؛ المقرئ: الخطط، ج ١، ص ٢٩٩، المؤلف نفسه: البيان والاعراب، ص ٤٣ وما بعدها؛ وأنظر عن الهجرة العربية إلى بلاد النوبة في مخطوطة تاريخ مختص بأرض النوبة، ورقة ١٨ وما بعدها؛

C.F. : MacMichael: A history of the Arbas in ths Sudan, Vo1. 1. P.3.

(٢) انظر: ابن أبيك: كنز الدرر، ج ٨، ص ١٩٨؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، مخطوط رقم ٣٩٦ تاريخ بدار الكتب، ج ٢٩، ص ١٢٨؛ ابن خلدون: العبر ج ٥، ص ٨٦٢، المقرئ: الخطط، ج ١، ص ٢٠٢

(٣) النويري: نهاية الارب، ج ٣٠، ورقة ٩٥؛ Y.F. Hasan: OP. Cit., P. 125؛ C.F.: J. Cuoq: Op. Cit., P.82- 83.

جاءت هذه الجماعات العربية بثقافتها ولهجاتها المتعددة^(١). مع الاستقرار السياسى المتمثل فى الوحدة السياسية بين الفونج والعبدلاب^(٢)، مهد كل ذلك لانتشار الإسلام والثقافة العربية بطريقة أعمق وأشمل مما كان عليه الحال من قبل.

وحتى عند قيام مملكة الفونج كان انتشار الدعوة الإسلامية لا تعدو أن تكون اسمية، وفى مرحلتها الأولى؛ فقد اهتم الدعاة، وجلهم من البدو والتجار، وهم ممن تنقصهم الثقافة الدينية العميقة بالإسلام، لكسب المسيحيين والوثنيين مركزين على السمات العامة للدين دون التفاصيل العميقة. وقد شارك هاتان الفئتان بعض العلماء الذين أسهموا فى بث تعاليم الإسلام وتعميق مفاهيمه. ولعل أول هؤلاء العلماء هو الشيخ غلام الله ابن عائد اليمنى^(٣)؛ وقد قدم من الحليّة باليمن إلى دنقلا فى النصف الثانى من القرن الرابع عشر^(٤)؛ وتخبرنا إحدى كتب النسب السودانية أنه قرر السكن بها: «لأنها كانت فى غاية من الحيرة الشديدة والضلالة لعدم وجود القرآن والعلماء بها». فلما حل فيها عمر المساجد وقرأ القرآن وعلم العلوم مباشرة لأولاده وتلامذته ولأولاد المسلمين^(٥).

ونجد أن حالة التيه والضلال التى أشار إليها غلام الله بن عائد تتفق مع ما ذكره يوحنا السورى عند وصفه لنهاية المسيحية فى مملكة علوة من أن سكانها «ليسوا بمسيحيين ولا يهود ولا مسلمين ولكنهم يؤمنون أن يظلوا مسيحيين^(٦)»، وفى وصف

(١) مخطوط: تاريخ مختص بأرض النوبة ورقة: ١٨، ١٩. Misc 1/15/191.

(٢) انظر مخطوط: واضح البيان فى تاريخ العبدلاب. ١-٣.

(٣) تزوج من الدناقله، وقد لعب حفدته أبناء ركاب ورباط دوراً فى نشر التعاليم الإسلامية، C.F. MacMichael: Op. Cit., Vol. 2, PP. 32-33. Misc 1/18/198. وانظر أيضاً: أنساب عرب السودان، ورقة ٢٩ رايضا

غلام الله بن عائد وذريته فى: MacMichael: PP. Cit., Vol. 1, P. 333. ويرجع انهم اشراف حسيبيه وبهذا النسب اشتهروا عند كثير من السودانيين، ولعل مارجحه صاحب الطبقات يوحى بان عنصراً من جهيته قد أختلط بالنسب الآخر. الطبقات، ص ١٠٤. C. F. : C. H. Armbruster: Dongolese Nubian: Alexicon, Cambridge, 1965, P. 15.

(٤) نسب النور عنقرة، وملف ماكماكل، صفحات ٤٥٩، ٥٧٦، دار الوثائق المركزية، ص ٥٧٣، أو، MacMichael, Vol. II, BA, 16- 59.

(5) C.F.: MacMichael: Op. Cit., Vol. 2, P. 35.

(6) C.F.: Al Varez: Narrative of the Portuguses Embassy to Abyssinia, 1520- 27, Transl. By Stanley, London 1881, P. 352, Trimingham: Op. Cit., P. 77.

يوحنا هذا ما يشف عن بواذر التعطش الديني أو الجذب الروحي الذي أُلِمَّ بالمسيحيين بعد أن تدهورت الكنيسة^(١). وقد ملئ هذا الفراغ الروحي إلى حد كبير بانتشار الإسلام بين كثير من الوطنيين^(٢).

إن مجهودات طلائع العلماء والمتصوفين مثل غلام الله بن عائد وحمد أبو دنانة زادت من انتشار الدعوة الإسلامية في مرحلتها الأولى؛ وهذا ما يؤكد ود ضيف الله عندما تسلم الفونج زمام الأمر: «أعلم أن الفنج ملكت أرض النوبة وتغلبت عليها أول القرن العاشر.. ولم يشتهر في تلك البلاد مدرسة علم ولا قرآن... حتى قدم الشيخ محمود العركي من مصر، وعلم الناس العدة^(٣)».

حيث أن قدوم محمود العركي من مصر وإنشائه سبع عشرة مدرسة^(٤) ما بين الخرطوم وأليس، ليدرس فيها علوم القرآن قبل أن يأتي إبراهيم بن جابر^(٥)، لدليل على كثرة طلاب العلم وإقبالهم المتزايد عليه. فلم يكن من الممكن أن يفعل ذلك إلا عندما وجد أن هناك إقبالا ورغبة من طلاب العلم.

(1) Y.F. Hasan: External Islamic influences and the Progress of Islamization in the Eastern Sudan, PP. 74- 75, Cuoq: Op. Cit., PP. 23- 24.

(٢) يرسف فضل حسن: بواكير الدعوة الإسلامية (الطبقات) ص ٣.

(٣) جاء في ترجمة: محمد العركي: راجل القصير، مولده بالأبيض. وطلب إلى مصر فأخذ عن الناصر اللقاني، وشمس الدين اللقاني؛ هو أول من أمر الناس بالعدة، وكانت المرأة قبله يطلقها زوجها ويزوجها في يومها أو ثانية. وسكن في جزيرة الهوى في بحر أبيض. وبنى له قصرا الآن يعرف بقصر محمود وهو بين الحسانية وأليس. وقدمه قبل اولاد جابر. ونسبه إلى بنى عرك، وفزع من جهينة والمقصود برجل القصير الذي بناه بالقرب من القطنية شمال القبوب، وجنوب قبة الشيخ عوض السيد أي النيل الأبيض. انظر: محمد النورين ضيف الله: كتاب الطبقات في خصوص الاولياء والصالحين والعلماء في السودان. تحقيق يوسف فضل، ط الثانية، دار جامعة الخرطوم للنشر ١٩٨٥م، ص ٤٠ مخطوط: تاريخ مختص بأرض النوبة ومن ملوكها ملوك الفونج ومن تولى بعدهم Misc. 1/ 15/ 191. ص ١٥، ١٧؛ مخطوطة كاتب الشونة: تحقيق الشاطر بصيلي، ص ١٢٤؛ عبدالعزيز عبدالمجيد: التربية في السودان، ص ٥٩؛ محمد سليمان: دور الأزهر في السودان، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥، ص ٢٦؛ حسن محمود: الإسلام والثقافة العربية، ج ١، ص ٣٧٠.

(٤) هذا يؤكد أن حالة عدم المعرفة التي أشار إليها ود ضيف الله كانت قاصرة على جهة معينة دون أخرى، انظر: الطبقات:، ص ٥٠، ١٤٩، مخطوط كاتب الشونة، ص ١٢٤، مخطوط: مختص بأرض النوبة، ص ١٦، ١٧؛ عبدالعزيز عبدالمجيد: التربية ص ٥٩؛ محمد سليمان: دور الأزهر، ص ٢٦؛ حسن محمود: الإسلام، ج ١، ص ٣٧٠.

(٥) انظر: الطبقات، ص ٣٤٤، حسن محمود: مرجع سابق، ج ١، ص ٣٧٠.

ثم أنه ما كان يستطيع أن يباشر التدريس في كل هذه المدارس بنفسه دون أن يكون هناك آخرون يساعدونه في مهمة التعليم؛ أضف إلى ذلك أن تدريس العلم لطلابه بجانب القرآن - كما أشار إليه أكثر الباحثين^(١) - لهو دليل آخر على أن ثمة محاولات قد سبقته لتعليم هؤلاء القراءة والكتابة، حتى إذا وفد من مصر وجدهم في حالة تمكنهم من استيعاب العلم فقها أو نحو أو عقيدة؛ ولو اعتبرنا البولاد والعركي^(٢) من الرعيل الأوائل الذين رحلوا للأزهر طلبا للعلم فمن المحتمل أن يكون قد سبق ذلك مبادئ القراءة والكتابة في مدارس النوبة^(٣)؛ كذلك من الذين أثروا الدعوة الإسلامية في مراحلها الأولى الفقيه حامد بن عمر بن بلال^(٤)، (المشهور بأبى عصا)، الذى ولد في سقادي^(٥)، وقد حفظ القرآن على والده، ثم هاجر إلى سنار وهناك درس الفقه لتلاميذه، في خلوات تضم الآلاف^(٦)؛ معنى هذا أن منطقة سنار قد شهدت حركة فكرية متمثلة في مدارس العلم، وذلك قبل ظهور الفونج بزمان طويل.

وهناك أسرة أشتهر معظم أفرادها بالعلم وهى التى تنسب إلى صغبيرون^(٧) وسمى صغبيرون فإن أولاد أخواله أولاد جابر يقولون له محمد الصغير فغلب عليه صغبيرون.

(١) عبدالعزيز عبدالمجيد: التربية في السودان، ص ٥٩، ٦٠؛ حسن الفاتح قريب الله: التصوف في السودان، رسالة ماجستير، كلية الاداب، جامعة الخرطوم، سنة ١٩٦٥ م، ص ٨٠٤؛ ويلاحظ ان جهل الناس بالعدة التى جاء بها ود ضيف الله ليس كافيا للتدليل على عدم وجود مدارس علم وقرآن، والرد على ذلك هو ما نشرناه سابقا من عقود زواج ومطالبات بالنفقة، هذا مع الاعتبار أن هناك أماكن كانت لازالت تمارس بعض المظاهر الوثنية. انظر: عقد زواج كنزى: متحف الفن الاسلامى بالقاهرة رقم ٤٢٢٢؛ الطبقات، ص ٤٠؛ الشاطر بصيلى: تاريخ وحضارات السودان الشرقى والوسط، ص ٢٢١.

(٢) الطبقات، ص ٤٠، ٤١؛ واضح البيان، ص ٢، ٣.

(٣) انظر: المدارس الثقافية في النوبة، خريطة شكل رقم (١٨) بملحق الدراسة.

(٤) حامد بن عمر بلال البادرابى، وينسبه ماكمايكل إلى البوادر، واستبعد ذلك لان البوادر من أبناء بشير بن ذبيان وهم من المجموعة الجهيينة، وقد اشتهرت هذه الاسرة بنسبتها إلى الجعليين وربما اشارت هذه النسبة إلى أن أهم من المجموعة الجعلية إلا أن الصديق حضرة يذكر: أن أمه هى الشريفة حليلة بنت الشريف حمد أبو دنانة الذى مات في أبو دليق. وإلى أبيه عمر تنتسب أسرة العمراب المشهورة. C.F.: MacMichael: Op. Cit., Vol. 2, P. 292. الصديق حضرة: ص ٤٩٤.

(٥) المشهوران الشيخ حامد ولد بسقادي شرق وهى قرية من قرى الجعليين على بعد كيلومتر جنوب محطة المحمية وتقع على خط عرض ١٧،٠٦ شمال وخط طول ٣٣،٤٠ شرق ويسكنها فاذنية ومغارية انظر: الطبقات ص ١٤٨.

(٦) الطبقات، ص ١٤٨، يحيى محمد ابراهيم: تاريخ التعليم الدينى في السودان، بيروت، ط الاولى ١٩٨٧، ص ٢٩.

ولد رحمة الله بجزيرة ترنج من دار الشايقية. وكان رضى الله عنه ممن جمع بين العلم والعمل والفقه والتصوف وقرأ على خاله الشيخ إسماعيل بن جابر وأجاز له بالتدريس. ورحل الشيخ محمد البنوفرى^(١) وقرأ عليه شيئا من خليل^(٢). وقال محمد: «هذا يصلح للتدريس فجعل الله البركة فيه»^(٣).

ومن الدعاة الأوائل الذين عملوا على نشر التعاليم الإسلامية بسودان وادى النيل الشيخين البندارى^(٤)، وحمد بن زروق^(٥) اللذان ظهرا قبل قيام مملكة الفونج، فقد كان للشيخ البندارى مكتب بالقرب من الحلفاية، وللشيخ حمد مدرسة أو مكتب فى الصبابى ومن تلاميذ الشيخ البندارى الذى تعلم على يديه، والشيخ إدريس ود الأرباب^(٦)، ثم تتلمذ على يد الشيخ زروق. وهذا يوضح تأثيرهما فى نشر تعاليم الإسلام فى سودان وادى النيل.

لقد أثمرت الدعوة الإسلامية فى خلق جيل من العلماء ظهر مع بداية عصر الفونج، إذ يشير ود ضيف الله إلى أن إبراهيم البولاد بن جابر^(٧) «دخل إلى مصر

(١) من المعروف أن محمد البنوفرى من أجلة فقهاء مصر، وممن أشتهروا بالزهد والورع وأخذ عنه الناصر اللقانى والتاجورى وغيرهما وانفرد برئاسة المذهب المالكى، وقد توفى نحو سنة ٨٩٨هـ / ١٥٩٠م وقد تتلمذ عليه كلا من الأجهورى السهورى. ابن بابا: كتاب نيل الابتهاج بتطريز الديباج، القاهرة ١٣٥١، ص ٣٤٠.

(٢) هو خليل بن إسحاق بن موسى شعيب المعروف بالجندى من كبار علماء المذهب المالكى بمصر وكان ممن جمع بين العلم والعمل وقد ألف مختصرا فى المذهب المالكى اعتمد فيه على شرح «جامع الأمهات» لابن الحاجب، وتوفى فى ربيع الأول ٧٧٦/أغسطس ١٣٧٤م انظر ابن بابا، مصدر سابق، ١١٢ - ١١٤.

(٣) انظر: الطبقات: ص ١٤٨، ١٤٩. C.F.: Y.F. Hasan: Islamic external influences, P.76.

(٤) يذكر كاتب الشونة: «والشيخ البندارى الذى يقرأ عليه القرآن أصله من الشام، وكان من الصالحين، حتى قال لوالد الشيخ إدريس ابنك هذا يظهر له شأن عظيم وقد حصل وكل هذا قبل قدوم محمود، وكذلك الشيخ أحمد ولد زروق قدم من اليمن وهو شريف من أهالى حضرموت، وكان فى مدة الشيخ البندارى شيخ الشيخ إدريس فى المكتب وبينهما مودة وإخاء. انظر مخطوطة كاتب الشونة، الملحق الأول، ص ١٢٤، الطبقات، ص ١٤٩، ٥٠.

(٥) المكتب: عرف منذ القرون الإسلامية الأولى بأنه مكان يتعلم فيه الصبية مبادئ القراءة والكتابة والقرآن الكريم، وفى بعضها تعلم اللغة والنحو ويبدو أن كلمة مكتب فى الطبقات للدلالة على مكان تعليم القرآن فقط وكلمتى خلوة ومسجد أكثر استعمالا فى هذا الشأن انظر عبدالعزيز عبدالمجيد: التربية، ج ١، ص ٧١، ٧٢، الطبقات، ص ٥٠.

(٦) الطبقات، ص ٥٠، ٥١.

(٧) هو إبراهيم بن جابر بن عون بن سليم بن رباط بن غلام الله والد السادة الركابية.

C.F. MacMichael: Op. Cit., Vol. 2, PP.32-33,

P.M. Holt: The Sons of Jabir and their Kins: a clan of Sudanese religious notables,

B.S.O.A.S. XXX, 1967, P.142-157.

وتفقه بسيدى الشيخ محمد البنوفرى، وأخذ عليه الفقه والأصول والنحو، ثم رحل إلى ترنج^(١)، ودرس فيها (خليل)^(٢) و(الرسالة)^(٣)... ومدرسته فى خليل سبع ختمات، وعلم فيها أربعين إنساناً^(٤).

والواضح أن بلاد الشايقية^(٥)، كان فيها علماء مؤهلون لدراسة كتب الفقه حيث كانت منطقة ازدهار، واستقرار فى عهد الممالك الإسلامية^(٦).

وأخيراً يفيض كتاب الطبقات فى ذكر مؤلفات، وشروح تدل كثرتها وبعض نصوصها على أن هناك فئة كبيرة من العلماء كانت على دراية تامة بأصول الدعوة الإسلامية، ونشر العقيدة الصحيحة^(٧).

– انتشار القبائل العربية واستقرارها، وأثر ذلك فى لهجات السودان:

سبق أن عرضنا لهجرة القبائل العربية واستيطانها فى السودان وادى النيل^(٨) وقد اختلطت الجماعات بعضها ببعض اختلاطاً كان يغذيه وصول القبائل العربية

(١) ترنج: أوترج كما تنطق تقع على خطى ١٨، ٤٠ شمال و٣١، ٥٦ شرق وتبعد مسافة خمسة أميال شمال نورى. انظر حاشية كتاب الطبقات رقم (٦)، ص ٤٥.

(٢) سبق التعريف بها ص ٣٢٧، حاشية (٢).

(٣) الرسالة: هى رسالة ابن أبى زيد القيروانى وهو عبدالله أبو محمد بن أبى زيد التغزى القيروانى. سكن القيروان وكان من أشهر أئمة المالكية فى زمانه، وهو الذى جمع المذهب المالكى وشرحه ولخصه وقد أخذ عنه كثيرون، وله مؤلفات على المذهب المالكى وشرحه ولخصه وقد أخذ عنه كثيرون، وله مؤلفات على المذهب المالكى منها كتاب «الوادى والزيارات على المدونة، ومختصر المدونة، وكتاب تهذيب العتيبة، وكتاب عن مذهب مالك، وكتاب المعرفة واليقين، وكتاب الرسالة، انظر ابن فرحون: الديباج المذهب ١٣٥١ هـ، ص ١٣٦-١٣٨.

(٤) الطبقات، ص ٤٥.

(٥) هى المنطقة الواقعة بين كريمة والدبة على شاطئ النيل وتسكنها قبائل الشايقية التى تكون جزءاً من مجموعة القبائل الجعلية والتى ترجع بنسبها إلى العباس عم النبى صلعم، Vol. 2, C.F. MacMichael: Op. Cit., 213-215. P.P مخطوط تاريخ مختص بأرض النوبة، ص ٢٠، ٢١، Y.F. Hasan: Influences, P.76;

C.F: Holt: A Modern history of the Sudan from the Fung

(6) C.F: Holt: A Modern history of the Sudan from the Fung Sultanate to present day, P.6.

عوض عبدالهادى: الشايقية، ص ٩:

(٧) انظر: الطبقات، ص ٤١، بواكير الدعوة (الطبقات)، ص ٤، ٥.

(٨) انظر: ما سبق ذكره فى الفصل الخامس التكوين الاجتماعى لسودان وادى النيل.

وسكانها بين النوبيين والبجة حيناً بعد حين. وكانت هذه القبائل تحمل معها لغات ولهجات عربية^(١). أثرت في انتشار العروبة وقد قسمها الدكتور محمد عوض إلى ثلاثة أقسام:

أولاً: جماعات أعتنقت الإسلام، واتصلت بالنسب العربي اتصالاً وثيقاً ولكنها احتفظت بلغتها الأصلية، بعد أن دخلتها ألفاظ ومفردات وتراكيب عربية كثيرة، وهؤلاء هم النوبة والبجة، وسكان الجبال في دارفور، ومع ذلك فمن الثابت أن السلالة العربية قد تغلغت فيها. وقد كان من سياسة بعض العرب، حباً في سهولة نشر الإسلام أن يتعلموا لغة البجة مثلاً حتى يخالطوا السكان بسرعة ويؤثروا فيهم.

ثانياً: جماعات ظهرت فيها الثقافة والدماء العربية بجانب ثقافتها القديمة ونسبها الأول، مثل العباددة وينسبونهم إلى البجة والمحس سكان جزيرة تونى والنيل الأزرق. فهؤلاء لم يبق لهم من نسبهم القديم سوى الاسم، وقد زالت لغتهم القديمة فلم يبق لها أثر.

ثالثاً: الجماعات العربية التى تسودها الدماء العربية والإسلام واللغة العربية والتى ليس لها نسب آخر أو ثقافة أخرى، وهذه هى الجماعات الأكثر عدداً والتى يغلب انتشارها فى السودان وادى النيل^(٢).

وليس فى السودان جماعة اقتبست اللغة العربية وحدها، ولم تعتنق الإسلام، كما هو الحال فى مصر، بل الإسلام هو الظاهرة الثقافية الأولى التى كان لها أوسع الانتشار، وإليها يرجع الفضل فى توحيد العناصر وامتزاجها.

– العوامل الخارجية المؤثرة فى تطور السودان الثقافى:

– أثر مصر.. الأزهر ودوره الثقافى فى السودان وادى النيل:

تعتبر مصر فى عصر المماليك أعظم البلاد قاطبة، نستدل على ذلك بقول ابن خلدون: «ولا أوفر اليوم فى الحضارة من مصر؛ فهى أم العالم، وإيوان الإسلام،

(١) انظر: مصطفى مسعد: بعض معالم الدعوة الإسلامية فى السودان، مجلة كلية العلوم الاجتماعية بالرياض، العدد الرابع، ١٤٠٠هـ، ٩٨٠، ص ٤٠١، عبدالمجيد عابدين: الثقافة العربية، ص ١١ (اللهجات العربية فى السودان).

(٢) محمد عوض: السودان ووادى النيل، القاهرة ١٩٥١م. ص ٢٩، ٣٠؛ انظر: الخريطة بملحق الدراسة، شكل رقم

(١٧) عن لهجات السودان. ومن اللهجات العربية واختلافها. انظر عبدالمجيد عابدين: الثقافة، ص ١٨ وما بعدها.

وينبوع العلم والصنائع^(١)، فقد أصبحت مقصد العلماء المسلمين من كل مكان، يأتونها ليجدوا فى رحابها الانفتاح الثقافى^(٢). فكانت القاهرة مركز الإشعاع العلمى والثقافى فى العالم الإسلامى كله زمن المماليك حيث تدرس بها سائر العلوم الدينية واللغوية^(٣).

وكان الأزهر الشريف يمثل ركناً هاماً فى نشر الثقافة الإسلامية^(٤) فى عصر سلاطين المماليك^(٥) إذ كان مركزاً لدراسة شتى أنواع العلوم من الحديث والفقه والتفسير والنحو، بل كان مقراً دائماً لتلاوة القرآن وتلقيه إلى جانب أنه كان داراً للتصوف^(٦) وكدليل على مدى حرص مصر فى احتضان أبناء سودان وادى النيل

(١) انظر: ابن خلدون، المقدمة، ص ٤٥٣.

(٢) عن علماء مصر فى العلوم العقلية انظر: التيفاشى: أزهار الأفكار فى جواهر الأحجار، تحقيق محمد يوسف حسن وآخرين، الهيئة المصرية ١٩٧٧، ابن أبى حزم، الملحق بابن النفيس المصرى (٦٠٧ - ٦٨٧هـ/ ١٢١٠ - ١٢٧٨م) انظر: - La découverte de la circulation: Meyerhoff Pulmonaire par Ibnan

Bafis. Médecin Arabe du Caire, XIII^e siècle, 1931.

Ency. of Isl. (art Ibn - Nafis); 2^{ed}. t.3, P.897 - 898.

عبدالمعظم ماجد: التاريخ السياسى لدولة سلاطين المماليك فى مصر، الانجلو ١٩٨٨م، ص ٣٠٥.

(٣) انظر: حاجى خليفة: كشف الظنون، استنبول ١٣٦٠هـ، ص ١٦٧، ٢٣٠؛ الطالع السعيد، المقدمة، ص ن، غ؛ ابن دقماق: الانتصار لواسطة عقد الامصار، ج ٢٥، ص ٣٤؛ المقرئى، الخطط، ج ١، ص ١٩٨؛ الأزهر تاريخه وتطوره، القاهرة، ١٩٨٣م، ص ١٠٩، ١١٢؛ محمد كمال السيد محمد: الأزهر جامعاً وجامعة، سلسلة البحوث الإسلامية، القاهرة ١٩٨٦، ص ٤٨؛ عبدالمعظم ماجد، التاريخ السياسى، ٣٠٣ وما بعدها، عبدالمجيد عابدين: تاريخ الثقافة العربية، ٩٣.

(٤) أخذ الفاطميين من الجامع الأزهر منبراً للدعوة الشيعية فى مصر منذ عهد الخليفة المعز لدين الله (٣٥٨ - ٣٦٥هـ/ ٩٦٩ - ٩٧٥م وفى «العصر الأيوبي تغيير نظم الدراسة فى مساجد مصر رغبة فى أن يعاد الفكر السنى نشاطه وقوته فقد أسس أربع مدارس لدراسة الفقه على مذهب أهل السنة، وفى العصر المملوكى أعاد الظاهر بيبرس خطبة الجمعة، وشجع الدراسة بالجامع الأزهر وبنى سلاطين المماليك مجموعة من المدارس ألحقوها بالأزهر، لذا أصبحت مكانة الجامع الأزهر عظيمة فى أرجاء العالم الإسلامى. انظر: المقرئى: الخطط، ج ١، ص ٢٠٥؛ الأزهر تاريخه وتطوره، ص ١٠٩؛ عبدالمعظم خفاجى: الأزهر فى ألف عام، المطبعة المنيرية بالأزهر، ط الأولى، ١٣٧٤ خ، ص ٧٤.

(٥) انظر: زينب أحمد على هاشم: علاقة مصر بالدول الإسلامية فى حوض نهر النيجر فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين، ماجستير معهد الدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، ١٩٨٢م ص ١٣٦؛ حسن محمود:

الإسلام والثقافة العربية، ج ١، ص ٣٦٩.

(٦) زينب أحمد هاشم: مرجع سابق، ص ١٣٦.

نجد أنه قد خصص في الجامع الأزهر رواق لطلبة سنار عرف برواق السنارية^(١)، ورواق لطلبة دارفور^(٢)، وهذا يعطينا دليلاً على كثرة عدد الطلاب الوافدين من السودان وادى النيل.

ومن الرواد السودانيون الذين وفدوا إلى مصر للدراسة في الأزهر كما تصوره كتب الطبقات الشيخ محمود العركي^(٣)، الذي تتلمذ على يد الشيخين شمس الدين اللقاني، وناصر الدين اللقاني فيما بين ٩٣٥ - ٩٤٠ هـ / ١٥٢٩ - ١٥٣٤ م، وهما من شيوخ المالكية المعروفين آنذاك^(٤).

ثم اشتد وفود العلماء من مصر في النصف الثاني من القرن العاشر. بعد أن توطنت دولة الفونج وبسطت ظلها على السودان وظهرت مكانة سنار بين عواصم الإسلام^(٥). وتعدد كتب الطبقات أسماء الوافدين وتعرض لإنتاجهم وتحدث عن أثرهم في ميدان الثقافة. ومنهم الشيخ إبراهيم البولاد^(٦) بن جابر بن غلام الله بن عائذ^(٧) حيث رحل إلى مصر وتفقّه على يد الشيخ محمد البنوفرى (ت ١٥٩٠ م)، إمام المذهب المالكي في القاهرة. فلما فرغ من دراسته عاد لوطنه وأدخل تدريس كتابي: «رسالة ابن أبي زيد القيرواني» و«مختصر خليل بن إسحاق» في مملكة الفونج. وتدفق الطلبة عليه وعلى إخوته إسماعيل وعبدالرحمن وعبدالرحيم من بعده^(٨).

(١) حسن محمود: مرجع سابق، ص ٣٦٩، ٣٧٠؛ محمد محمد أمين: العلاقات، ص ٦٤؛ حسن إبراهيم حسن:

انتشار الإسلام، ص ٢٢٨؛ يوسف فضل: مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية، ص ٩٧ وما بعدها.

(٢) يحيى محمد إبراهيم: تاريخ التعليم الديني في السودان؛ بيروت، بدون ص ٢٥٧.

(٣) أنظر: ود ضيف الله: الطبقات، ص ٣، ٤٠، ٣٤٤؛ مخطوطة تاريخ مختص بأرض النوبة، ص ١٦، ١٧؛

حسن محمود: الإسلام والثقافة العربية، ج ١، ص ٣٧٠.

(٤) الطبقات، ص ٤٠، ١١٢؛ محمد محمد علي: الشعر السوداني في المعارك السياسية، المكتبة الأزهرية، ١٩٦٩،

ص ٢٤.

(٥) حسن محمود: الإسلام والثقافة العربية، ج ١، ص ٣٧٠.

(٦) البولاد: هو الفولاد - وهي كلمة فارسية - وتغيير الفاء باء غالب في اللغة انظر: الطبقات. حاشية (١١)، ص ٤٦.

(٧) C.F. MacMichael: Op. Cit., Vol. 2, PP.32-33, P.M. Holt: OP. CIT., 142 - 157.

(٨) انظر: الطبقات، ص ٤٥ - ٤٧ وما بعدها، يوسف فضل: مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية، ص ١١٩، وأيضاً:

نفس المؤلف.

وكان من تلاميذ الشيخ إبراهيم أخوه عبدالرحمن الذى وصف بالورع والتقوى^(١)، رحل إلى مصر طلباً للعلم^(٢)، وتقابل فى الأزهر مع الشيخ البنوفرى الذى منحه الإجازة كدليل على نبوغه العلمى، بحيث أنه عندما عاد إلى بلاده قام بإنشاء ثلاثة مساجد أحدهم فى دار الشايقية والثانى كورتى^(٣) والثالث فى الدفار^(٤)، وكان يدرس فى كل مسجد أربعة شهور مقتدياً فى ذلك التنقل بين مساجد العلم بأستاذه الشيخ محمد البنوفرى الذى كان يمضى أربعة شهور فى القاهرة، ومثلها فى الإسكندرية ثم الأربعة شهور الأخيرة يقضيها فى الحجاز لأداء فريضة الحج^(٥). ويروى أن الشيخ عبدالرحمن بن جابر درس مختصر خليل المالكى فى تلك المساجد أربعين مرة^(٦).

وممن درسوا على الشيخ عبدالرحمن بن جابر الشيخ عبدالله العركى^(٧)، والشيخ عبدالرحمن بن مشيخ النويرى^(٨)، والشيخ يعقوب بن الشيخ بان النقا

(١) يقول صاحب كتاب الطبقات: «برع فى الفقه على أخيه إبراهيم البولادى وعلى سيدى محمد البنوفرى، وجلس للتدريس والفقه وسائر الفنون بعد أخيه، وانتفعت به الناس وبلغت ختامته فى خليل أربعين ختمة، انظر الطبقات: ص ٢٥١.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٥١.

(٣) بلدة على شاطئ النيل الغربى على بعد خمسة أميال جنوب الضيقة الحدود الشمالية لدير الشايقية (خطى ١٨, ٠٧ شمال ٣٢, ١٢ شرق) ومنها يسير الطريق التجارى عبر صحراء البويضة إلى قرى ويسكن حولها الديرية وبعض الحلقة. انظر: Crawford: Op. Cit., P.39.

(٤) الدفار تقع بين الدبه ومروى على بعد ١٤ ميل جنوب أبكر.

C.F: McaMichael: Op. Cit., Vol 2, PP.62, 64, 65, 70;

C.F. Linant de Bellefonds: Journal d'un Voyage a Méroë dans les années 1821.. et 1822, ed by M. Shinnie, Khartoum, 1958, P. 41.

(٥) الطبقات: ص ٢٥١.

(٦) المصدر نفسه، والصفة، Y.H.: Hasan: External influences, P. 124 FF.

(٧) ولد «بأبيض ديرى» وحفظ القرآن على أبيه، ثم سافر إلى دار الشايقية طلباً للعلم عند الشيخ عبدالرحمن جابر، وبعد سبع سنوات عاد إلى أهله الذين كانوا قد سكنوا غابة الهلالية، ومن ثم شرع فى التدريس وولاه الشيخ عجيب القضاء فباشر بعفة ونزاهة. ومن آثاره الفكرية «كبرى السنوسى» نظماً وكذلك نظم «المقدمات، انظر: الطبقات، ص ٢٥١؛ واضح البيان (مخطوط، ص ٢، ٣؛ يوسف فضل: مقدمة، ص ١١٩.

(٨) طلب العلم مع الشيخ عبدالله العركى على الشيخ عبدالرحمن بن جابر، وكان أحد تلامذته الأربعين الذين نالوا درجة القطبية، وتولى القضاء فى عهد الشيخ عجيب، واشتغل بالتدريس، الطبقات، ص ٢٥٤، ٢٥٥، مخطوط واضح البيان، ص ٣.

الضرير^(١)، والمسلمى ولد أبوونيسة^(٢)، والشيخ لقانى الحاج^(٣)، والشيخ محمد بن عيسى سوارالذهب^(٤)، وإبراهيم ولد رابعة^(٥). فجلبهم أصبحوا علماء يشار إليهم بالبنان فى العلم، ولهم مريدون فى أنحاء شتى من أرض السودان^(٦).

كما هاجر أخوه الشيخ إسماعيل بن جابر إلى الأزهر لمواصلة تعليمه الذى تلقاه على يد أخيه عبدالرحمن ودرس هناك أيضا على يد الشيخ البنوفرى، ثم عاد لوطنه كى يواصل رسالة أخوته وأسرتهم فى نشر العلوم الإسلامية بعد وفاة أخيه عبدالرحمن^(٧).

هكذا قام أولاد جابر الأربعة وأحفادهم بدور كبير فى ارساء قواعد التعليم الدينى والفقه فى أجزاء متفرقة من السودان الشرقى^(٨). وكانت أختهم فاطمة لا تقل عنهم درجة فى العلم والصلاح، ومنها انبثقت أسرة دينية أخرى لا تقل عن أولاد جابر شهرة، وهم الصغيروناب^(٩) أحفاد أبنا محمد صغيرون بن سرحان الذى تفقه

(١) من أصحاب الكرامات، ومن تلاميذه الشيخ عبدالرحمن بن جابر، جمع بين علم الدين، وطريق الصوفية. انظر: الطبقات ص ص ٢٥١، ٣٧٢، ٣٧٣.

(٢) اسمه محمد وأبوه على الفقير وونيسه ابنته، وكان ممن جمع بين العلم والعمل تفقه على الشيخ عبدالرحمن بن جابر، وأذن له فى التدريس وإرشاد الناس. الطبقات، ص ص ٧٨، ٧٩، ٢٥١.

(٣) ذكره ود ضيف الله: «خال الشيخ حسن ولد حسونة. وكان ممن جمع بين العلم والعمل، تفقه على الشيخ عبدالرحمن بن جابر». الطبقات، ص ص ٢٥١، ٣١٦.

(٤) الشيخ محمد بن عيسى بن صالح الجعلى البديرى المشهور بسوارالذهب، وأمه اسمها حقيفة. قرأ خليل على أبيه الشيخ عيسى فأخذ عنه ختمة تامة والثانية إلى الجنايز، وقرأ العقائد والمنطق وعلوم القرآن على المصرى. ثم انتشر علمه فى جزيرة الفنج. وممن أخذ عليه علم التوحيد الفقيه حسين أبو شعر شيخ أولاد برى. وممن أخذ عليه القرآن وأحكامه الشيخ عيسى ولد كنو وعبدالله الأغيش والد الغيش. الطبقات، ص ٣٤٧.

(٥) نسبه إلى التكجاب، فرع من السعداب (أى جعليون) يسكنون جزيرة أم حراحر بين سلوه وأم طريفه، وقد منح الإجازة. انظر نصها فى كتاب الطبقات ص ١٠٤، وانظر ص ٢٥١.

(٦) الطبقات، ص ٢٥١.

(7) C.F. P. M. Holt: The Sons of Jabir and their Kins: a clan of Sudanese religious notables, B.S.O.A.S., XXX, 1976, P. 142 - 157.

(٨) طبقات ود ضيف الله: ٤٥ - ٤٧.

(٩) صغيرون «هو سيدى محمد بن سرحان العودى، وأمه فاطمة بنت جابر بن عون الله بن سليم بن رباط بن غلام الله، وقد سمي محمد الصغير وجمع بين العلم والتصوف، وقرأ الفقه على خاله الشيخ إسماعيل بن جابر وأجاز له بالتدريس، ورحل إلى الشيخ محمد البنوفرى وقرأ عليه شيئا من خليل. انظر كتاب الطبقات، ص ص ١٣٤ هـ، ٢٣٤، ٢٣٥.

على أخواله . ثم درس على البنوفرى . ورحل إلى ديار الجعليين حيث أسس فى الفجيجة الواقعة جنوب شندى مركزاً دينياً شبيهاً بمركز أخواله ، وتحت قيادة ابنه وخليفته الشيخ الزين ازدهرت تلك المدرسة حتى طبقت شهرتها الآفاق^(١) .

ومن العلماء الذين واصلوا تعليمهم فى الأزهر الشريف الشيخ عبدالرحمن بن حمدتو^(٢) الخطيب الذى تفقه على الشيخ البنوفرى فأجاز له بالتدريس^(٣) وقد عاد لسودان وادى النيل لينشر علمه بين طلابه الذين نبغ منهم الشيخ عبدالله الأغبش عميد أسرة الغبش^(٤) .

ومن الذين تخرجوا فى الأزهر فى تلك الفترة الشيخ عبدالرحمن بن إبراهيم بن أبى ملاح الكبائى^(٥) والد الشيخ خوجلى^(٦) العالم المشهور فى توتى^(٧) . وقد درس الشيخ عبدالرحمن مختصر خليل ومنظومته فى التوحيد على يد الشيخ على الأجهورى ، وقد عاد لينشر العلم فى سودان وادى النيل^(٨) .

(١) انظر: الطبقات، ص ٢٣٥، ٢٣٦؛ يوصف فضل: مقدمة: ص ١١٩، ١٢٠؛ سر الختم عثمان: أولاد جابر، سلسلة أعلام التربية الإسلامية فى السودان، الخرطوم، المطبعة الحكومية، مطبوعات مصلحة المساجد والأوقاف، ١٩٧٥م ص ٢٥ وما بعدها.

(٢) «حمدتو، وهتود، معناها باللغة الدنقلابية ابن وابن حمد تنطق حمدن تود، «النون، نون الملك أو النسبة، فخفت إلى «حمدتو، انظر الطبقات حاشية (١)، ص ٤٣ . وعبدالرحمن هذا زعيم أسرة الحميتاب المشهورة فى دار الشايقية ويسكنون بنورى وأم بكون، وبعضهم بمنطقة المناصير فى أرض الزوره، وفى نادى بدار الرياض وفى الفجيجة وقندتو بديار الجعلية وفى الهلالية بالجزيرة . والحميتاب من ذرية أبى بكر الصديق، ويلتقون مع الزنارخة فى جدهم نجم . ولاختلاطهم بالشايقية كثيراً ما عدوا منهم.

(٣) الطبقات، ص ٢٥٦ .

(٤) الطبقات، ص ١٥٣ .

(٥) الطبقات، ص ٢٥٧ .

(٦) انظر: وثائق خليفة الشيخ خوجلى، دار الوثائق المركزية بالخرطوم، مطبوعات رقم (٢٢)، ١٩٦٥م، وثيقة رقم (١)، انظر ملحق الدراسة، شكل رقم (٥) .

(٧) نسبه إلى محمد كبائى بن عجم جد المحس . انظر الصديق حصره: ٤٩١؛ وماكمايكل شجرة النسب رقم (١)، الطبقات، ص ١٩٠

عاد أولئك الرواد إلى بلادهم بعد أن أخذوا عن أساتذتهم في الأزهر ما تيسر لهم من العلم، وما أهلهم للتدريس والفتيا في بلادهم وعادوا وكل منهم يحمل إجازة علمية من أستاذه أو أساتذته، فلم تكن تلك الإجازات تمنح إلا للطلبة النابهين.

– العلماء المصريون الأزهريون في السودان وادى النيل:

ولم يكن العلماء السودانيون الذين تخرجوا من الأزهر هم وحدهم حملة رسالته في السودان وادى النيل في ذلك العهد، فقد استقبل السودان ثقافة مصر متمثلة في العلماء المصريين الذين أسهموا بقسط وافر في نشر الثقافة الإسلامية. ومن أشهر هؤلاء:

– الشيخ المصرى محمد القناوى^(١):

وأصله من مدينة إدفو بصعيد مصر، درس على يد الشيخين سالم السنهورى مفتى المالكية^(٢)، ويوسف الزرقانى والد الشيخ عبد الباقي شارح مختصر خليل^(٣) وكان زميلاً للشيخ أبى الحسن الشاذلى المصرى – قدم السودان وادى النيل في منتصف القرن العاشر الهجرى الموافق القرن السادس عشر الميلادى^(٤)، وتنقل بين مدنه واستقر فى مدينة بربر القديمة بعد أن طاب له المقام فيها لجودة مناخها^(٥).

لقد كان دافع الشيخ المصرى محمد القناوى لزيارة السودان وادى النيل والإقامة فيه هو نشر العلم بين أبنائه ابتغاء وجه الله، فبادر بتشييد مسجد بمدينة بربر وأقبل

(١) جاء فى إحدى النسخ «القندلى»، وما أثبت نسبه إلى قنا بلدة فى الوجه القبلى بمصر.

(٢) هو سالم بن محمد عز الدين بن محمد ناصر الدين أبو النجا السنهورى المالكى الإمام الكبير المحدث، خاتمة الحفاظ، زعيم أهل عصره ومفتى المالكية ولد بسنهور وتفقّه فى المعارف الإسلامية على عدد من أجلة العلماء منهم محمد البنوفرى، وأدرك البرهان اللقانى والنور الأجهورى وله مؤلفات كثيرة منها «حاشيته على مختصر خليل»، ورسالة فى ليلة النصف لشعبان، عاش بين ٩٤٥ هـ/١٠١٥ هـ/١٥٣٨ م و١٦٠٦ م. المحبى: خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر، القاهرة، ج٢، ص٢٠٤.

(٣) هو عبد الباقي بن يوسف بن محمد بن علوان الزرقانى المالكى. كان عالماً جليلاً وفقهياً متبحراً، ولد بمصر سنة ١٠٢٠/١٦١١ م، ولزم الأجهورى سنين عديدة، وشهد له بالفضل وتصدر للتدريس بالأزهر، وقد ألف كتباً كثيرة منها شرحه على مختصر خليل وتوفى بمصر سنة ١٠٩٩/١٦٨٨، المحبى، خلاصة الأثر، ج٢، ص٢٨٧. وشرح عبد الباقي مطبوع ببولاق عام ١٣٠٣ (٦ أجزاء).

(٤) انظر: الطبقات، ص١٠٠، مخطوط تاريخ مختص بأرض النوبة، ورقة ٢٠؛ يوسف فضل: مقدمة، ص١٢١.

(٥) تاريخ مختص بأرض النوبة، ص٢٠، واضح البيان فى تاريخ العبدلاب، ص٣؛ الطبقات، ص١٠٠.

عليه طلاب العلم من كل حد وصوب^(١).

وقد تتلمذ على يده الشيخ محمد بن عيسى بن صالح المعروف بسوارالذهب الذي قرأ عليه العقائد والمنطق، وعلوم القرآن^(٢)، وأصبح فيما بعد من أجل علماء السودان. وممن تخرج على الشيخ المصري القناوى حفيده الشيخ محمد المضوى^(٣)، ولحفيده هذا مؤلفات منها شرح القصيدة المنظومة في فن التوحيد وهو شرح مطول يكثر فيه من النقل من كتب لها مكانتها في فن التوحيد ويعتبر هذا الشرح أوسع من شرح الشيخ سعدالدين التفتازانى على العقائد النفيسة، ومن تلاميذ الشيخ محمد المضوى الشيخ خوجلى عبدالرحمن أبو الجاز^(٤) ومنهم أيضا سوارالذهب الذين قدموا إليه من دنقلا وهم بدورهم قد رجعوا لمنطقتهم يدرسون العلم^(٥).

— الشيخ محمد بن على قَرَمَ الكيمانى المصرى الشافعى :

دخل المذهب الشافعى مملكة الفونج على يد الشيخ محمد بن على قَرَمَ الذى درس على يد الفقيه المشهور الخطيب الشربيني^(٦) (ت ١٥٦٩ - ١٥٧٠ م) وجاء الى السودان فى نحو عام ١٥٦٣ م، وبعد طواف استقر به المقام فى بربر^(٧) حيث نشر

(١) ترك مؤلفات فى الشرح على عقيدة السنوسى الصغرى وكتاب العشماوية ورسالة فى البسمة، وشرح فى علم المنطق وتبوأ منصب القضاء الذى باشره بنزاهة انظر: الطبقات ص ١٠٠، ١٠١، تاريخ مختص بأرض النوبة، ورقة ٢٠؛ واضح البيان فى تاريخ العبدلاب، ورقة ٣.

(٢) انظر: الطبقات، ص ٣٤٧.

(٣) الطبقات: ص ١٢٣.

Y.F. Hasan Op. Cit., PP. 134 - 144, 254, 166.

(٤) انظر: الطبقات، ص ٥٠؛

C.F. MacMichael: Op. Cit., Vol. 2, PP. 82-84, 124,

الصديق حضرة، ص ٤٩١-٤٩٢.

(٥) انتقل الشيخ المضوى إلى شندى جنوبا، وأقام فيها يدرس للطلبة الفقه المالكي - المختصر، وشرح المختصر والرسالة وعلوم اللغة والبلاغة والتفسير والحديث، وقد بلغ عدد طلبته ثلثمائة طالب. انظر: الطبقات، ص ١٠١، يوسف فضل: المقدمة، ص ١٢١.

(٦) هو شمس الدين بن أحمد الشربيني من فقهاء الشافعية، عاش فى القاهرة، وتوفى عام ٩٧٧ هـ / ١٥٧٠ م. له مؤلفات كثيرة منها (السراج المنير) أربعة مجلدات فى تفسير القرآن الكريم و(مغنى المحتاج) أربعة أجزاء فى شرح (منهاج الطالبين للنووى) و(مناسك الحج) انظر: الزركلى: الاعلام، ج ٦، ص ٢٣٤.

(٧) انظر: الطبقات، ٣٥٣، ٣٥٤؛ حسن محمود: الإسلام والثقافة، ج ١، ٣٧٠.

تعاليم الإمام الشافعى. وكان من تلاميذه عبدالله العركى^(١)، وإبراهيم الفرضى^(٢)، والقاضى دشين المشهور «بقاضى العدالة»^(٣)، ولم يكتب للمذهب الشافعى الازدهار نتيجة تكاثر أتباع المذهب المالكى، غير أن منطقتى سواكن وطوكر ظلتا تدينان بتعاليم الشافعى نتيجة صلاتهما التجارية بالحجاز واليمن ومصوع وشرق إفريقيا حيث تغلب تعاليم ذلك المذهب^(٤).

- دور أسوان وعيذاب الثقافى فى المجتمع السودانى:

ويتضح الأثر المصرى فى ثقافة سودان وادى النيل من خلال ثغر أسوان^(٥)، الذى نشطت فيه الحركة العلمية والأدبية^(٦). كما يذكر الأدفوى فهو يعد فقيها وأديبا وشاعرا، عاش فى أسوان زمن سيطرة ربيعة - (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م)^(٧) وقد عاصر اثنين من أمراء بنى ربيعة الكنوز فى أسوان وهما: فخرالدين مالك، وابن أخيه نجم

(١) انظر: الطبقات، ص ٢٥١؛ واضح البيان. مخطوط، ص ٢، ٣.

(٢) إبراهيم بن عبودى المشهور بالفرضى. أمه بنت أبو ونيسه، أخت المسلمى. درس مختصر خليل وألف الحاشية المشهورة بالفرضية فى علم الفرائض ولقب بالفرضى لأنه كان له باع طويل فى الفرائض. انظر الطبقات: ٧٩.

(٣) هو دشين بن حمد بن الحاج محمد البصيلابى، موطنه حلة البصيلاب غرب عماره طه شافعى المذهب، تولى القضاء فى عهد الشيخ عجيب، انظر: واضح البيان، ص ٢، الفونج والأرض، ص ٩٢ وما بعدها؛ التعارف والعشيرة، ص ٢٥٩؛ الطبقات، ص ٣٥٤.

(٤) انظر: الطبقات، ص ٣٥٣، ٣٥٤؛ يوسف فضل: مقدمة فى تاريخ الممالك الإسلامية، ص ١٢٢.

(٥) أسوان: يفسرها المقرئى على أساس لغوى «أسوان فى قولهم أسى الرجل يأسى أسى، إذا حزن رجل أسيان وأسوان أى حزين، انظر: الهروى: الإشارات، دمشق، ١٩٥٣، ص ٤٥؛ المقرئى: الخطط، ج ١، ص ١٩٦؛ سعاد ماهر: محافظات الجمهورية فى العصر الإسلامى، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة، المجلد ٢١، العدد الأول، مايو ١٩٥٩ م ص ٨١؛ وهيب كامل: استرابون فى مصر، القاهرة، ١٩٤٧، ص ١١٦، دائرة المعارف الإسلامية، مادة أسوان.

(٦) الإدفوى: الطالع السعيد، ص ٢٩؛ عن علماء المذاهب السنية انظر: السيوطى: حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة، ج ١، ص ١٩١، المقرئى: المقفى، ج ٣، ورقة ٢١٩ (ب)، ٢٢٠ (أ)؛ سيدة كاشف: مصر فى عصر الإخشيديين، ص ٣٠٧؛ وفى الفقه الشافعى انظر: السيوطى: حسن المحاضرة، ج ١، ص ١٦٧؛ السبكى: طبقات الشافعية الكبرى، ج ٢، ص ١٦٠، ١٦١؛ الإدفوى: الطالع السعيد، ص ٤٦٩ وما بعدها. والحديث انظر المقرئى: المقفى، ج ١، ورقة ٤١ (ب)؛ الطالع السعيد، ص ٧٦؛ وفى التصوف الإسلامى؛ انظر الطالع السعيد، ص ٥٨، ٢٠٦، ٢٠٧، ٦٤٠ وعلم القراءة انظر ابن الجزرى: غاية النهاية فى طبقات القراء، ج ١٠، ص ٨٠، ٨١؛ الطالع السعيد، ص ٧٥.

(٧) عن مصنفاته الفنية انظر: حاجى خليفة: كشف الظنون، ص ١٦٧، ٢٣٠، ١٠٩١.

الدين عمر، وله من الشعر الكثير في وصف الحالة بإقليم أسوان^(١). بالإضافة إلى الإدقوى فقد عاش في أسوان وإدقوى وقوص إبان إمارة بنى ربيعة الكنوز علماء أفاضل وأدباء وشعراء، وممن عاش في كنف أمراء ربيعة الكنوز علماء وشعراء ينتمون إلى القبيلة نفسها (ربيعة) مثل أبو الحسن علي بن أحمد بن عرام الربيعي الأسواني الذي كتب مؤلفاً خاصاً في بنى عمه الكنوز، ذكر فيه مناقبهم وأحوالهم، وعدد مآثرهم وأعمالهم^(٢). ويتضح من أسلوبه الأدبي أنه كان واسع الثقافة والاطلاع، إذ كان له تصانيف في فنون مختلفة من العلم والأدب^(٣). ومن العلماء والأدباء الذين عاشوا في الصعيد عهد أمراء بنى ربيعة وكانوا ينتمون إلى القبيلة نفسها، أبوبكر بن عرام الأسواني، وأحمد بن عبد القوي الربيعي وأحمد بن عبد الرحمن الأسواني، وأبو محمد هبة الله بن عرام السديد وغيرهم^(٤). ومن الشعراء غير الربيعيين الذين عاشوا في ظل أمراء بنى ربيعة الكنوز ومدحهم: الشاعر أحمد بن محمد الروزي الذي عاش في القرن السادس الهجري ومدح بنى الكنز، وذكره ابن عرام في سيرته وقال فيه «كان لذيذ المحاضرة، حسن المجاورة»^(٥). وممن ذكرهم ابن عرام في سيرته الشاعر أحمد بن محمد الأسواني، إذ كان أديباً وفقهاً. عاش في النصف الثاني من القرن السادس الهجري، ومدح أمير ربيعة كنز الدولة ابن المتوج^(٦).

(١) عن مدحه لبني الكنز من أمراء ربيعة انظر: الإدقوى: الطالع السعيد، صفحات ٣٠، ٤٥.

(٢) الادقوى: الطالع السعيد، ص ٣٠؛ ابن دقماق: الانتصار بواسطة عقد الامصار، ج ٥، ص ٣٤؛ المقرئ: الخطط، ج ١، ص ١٩٨.

(٣) الادقوى: الطالع السعيد، ص ٣٧١.

(٤) المصدر نفسه، ص ٧٩، ٨٥، ٧٣٦.

(٥) المصدر نفسه، ص ١٢٨، ١٢٩ (نقلاً عن ابن عرام).

(٦) ومن قصيدته في مدح هذا الأمير:

هل المجد الاما اقتنته الصوارم	أوالجد الاما بنته المكارم
أو العز الاما أشاد منارة	وقائع يبقى ذكرها وملاحم
أو الفخر الاما متوج لابس	حلاه وراق في علاه وراقم
إذا أخلفت سحب فغيث مساجم	وإن شجرت حرب فليث صارم

انظر: الادقوى: الطالع السعيد، ص ص ١٣٠، ١٣١. من مدح ابن المتوج أيضاً الأديب الشاعر الحسن بن علي بن إبراهيم الاسواني الذي عاش في اسوان خلال القرن السادس الهجري، وعاصر ابن المتوج ومات عام ٥٦١ هـ. وكان الحسن بن علي الاسواني فقيهاً وأديباً بارعاً. وله تفسير يقع في خمسين جزء، ولكن لم يعثر عليه. وعلى الرغم من تصانيفه في فنون كثيرة الا أنه اشتهر بكونه شاعراً، حرص على حضور مجالس الامراء من بنى ربيعة، ومدحهم بقصائد كثيرة، ونال منهم حظاً وفيراً من المكانة الأدبية، فضلاً عن الاغداق عليه بالمال الكثير، انظر: الادقوى: الطالع السعيد، ص ٢٠٣.

ومن الشعراء الذين مدحوا بنى الكنز الشاعر أبو إسحاق بن شعيب الأسوانى الذى عاش فى القرن السادس الهجرى^(١)، والفقيه والأديب النحوى الشاعر على بن محمد بن النضر الأسوانى، ذكره ابن عرام فى سيرة بنى الكنز^(٢).

ومن الشعراء الأسوانيين فى القرن السابع الهجرى الشاعر الحسين بن محمد الأنصارى الأسوانى، وصفه الإدفعى قائلاً: «كان فاضلاً أديباً له النظم الحسن والنثر الجيد، ويكتب خطأ حسناً، غير أنه لم يذكر لنا شيئاً عن شعره، وتوفى هذا الشاعر بعد عام ٦٧٠هـ/١٢٧١م^(٣).

وكذلك الشاعر عمر بن عبدالعزيز الأسوانى الذى رحل من أسوان إلى قوص ثم إلى القاهرة لتزويد نفسه بالعلم^(٤)، وقد أصبح شاعراً ينظم الشعر، بجانب أنه قد عرف عنه كفقيه بارع، وأديب يرتجل الشعر^(٥).

وأيضاً من شعراء القرن السابع الهجرى، الشاعر عثمان بن عبدالمجيد الأسوانى، ويبدو أنه لم يكن مكثراً فى شعره، فقد قال عنه الإدفعى فى ترجمته الشخصية «له شعر^(٦)».

أما فى القرن الثامن للهجرة فهناك شاعران نظما الشعر، هما عبدالرحيم بن محمد بن عبدالرحيم البمبانى (ت ٧٠٥ أو ٧٠٦هـ)، وكان فقيهاً فاضلاً ونحوياً وأديباً وشاعراً^(٧). أما الشاعر الثانى فهو إبراهيم بن أحمد بن طلحة الأسوانى (ت ٧٣٥هـ) وصفه الإدفعى بقوله: «الشاعر المشهور، الأديب المذكور، له ديوان شعر يدل على فضله، ويشهد بنبيله^(٨)».

(١) المصدر نفسه، ص ٧٣٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٠٨، ٤٠٩؛ السيوطى: بغية الدعاة، ج ٢، ص ٢٠٠، ٢٠١.

(٣) الادفعى: الطالع السعيد، ص ٢٢٩.

(٤) توفى الشاعر عام ٦٩٢هـ. المصدر نفسه، ص ٤٤٠، ٤٤١.

(٥) سأل أحد الأدباء عن حاله فقال:

إن كنت تسأل عن عرضى فلا دنس أو كنت تسأل عن حالى فلا حال
قد ضيع المجد مال ضيعته يدى ما اضيع المجد ان لم يجمعه المال

(٦) المصدر نفسه، ص ٤٤١-٤٤٣.

(٧) انظر الطالع السعيد، صفحات ٣١٢، ٣٥٠، ٣٥١.

(٨) انظر: الادفعى: الطالع السعيد، ص ٤٦-٤٨.

أما في القرن التاسع الهجري، فقد فترت حركة الشعر في أسوان، وهذا يرجع إلى ما أصاب أسوان من خراب نتيجة ثورات العربان^(١). على أن هذه النهضة الفكرية لم تقف عند حد أسوان، الثغر المملوكي النوبي المشترك من الناحية الحضارية، ولم يقصر رواد هذه النهضة العلمية علومهم على أهل أسوان ومن ورد عليها فحسب، بل خرج بعض هؤلاء الرواد من نطاق مدينة أسوان إلى ما جاورها من المدن والثغور النوبية التي أمتد إليها نفوذ مصر المملوكية في ذلك العصر^(٢).

— عيذاب وحياتها الدينية والأدبية :

مما لا شك فيه أن خطة القضاء كانت أكبر وأهم المناصب الدينية بعيذاب. بل كانت هناك مهام فريدة من حقوق وظيفية قاضى عيذاب أفردته وميزته عن غيره من القضاة في سائر البلاد الإسلامية^(٣) فقد ارتبط عمله ارتباطاً وثيقاً بحياة الثغر الدينية والتجارية. ولذلك كان يراعى في اختياره دوره في خدمة الحجيج والتجار أكثر من أى اعتبار آخر بما في ذلك مدى مقدرته الفقهية^(٤). وقد تقلد منصب القضاء بعيذاب جماعة من الفقهاء وصلتنا تراجم بعضهم، فمن أوائل من نعرف منهم أبا القاسم نوفل بن جعفر المنعوت بالمخلص الجد الأعلى للإدقوى والذي تولى الحكم بها في عام (١١٣٦هـ/١١٣٦م) وتوفي عام (٥٧٢هـ/١١٧٦م)^(٥).

ومنهم ابن مسلم الأقصرى، وكان قد تفقه على مذهب الإمام الشافعى على يد الشيخ محمد مجد الدين القشيري، وتوفي عام ٦٨٥هـ/١٢٨٦م^(٦). وقد خلف الأقصرى الفقيه زين الدين أبو حامد محمد بن محمد العثماني (نسبة إلى عثمان بن عفان) المعروف بالسريس، حيث كان فقيهاً على مذهب الإمام

(١) السخاوى: الضوء اللامع، ج ٦ ص ٩٥؛ الحويلى: أسوان، ص ١٨٩.

(٢) ورد كثير من الشخصيات الأدبية التي انتقلت إلى ثغر عيذاب، انتمائها إلى أسوان وهو ما سنحاول إبرازه في حياة عيذاب الدينية والأدبية. انظر: ذلك فيما بعد، انظر الخريطة شكل رقم (١٩).

(٣) انظر: ابن خلدون: العبر، ج ١، ص ٢٢١-٢٢٢، بشير إبراهيم بشير: عيذاب، ص ٦٠.

(٤) انظر: الإدقوى: الطالع السعيد، ص ١٨٤، ٣٦٠، ٣٦١.

(٥) المصدر نفسه، ص ٣٩٣.

(٦) عرفت عنه بأنه واسع النعمة والثراء، سمحاً جواداً بالجرام الوارد من حجاج وتجار، اشتهر عنه ذلك بالناحية، بل صار ذلك سبباً لتولية القضاء وطالت مدته في منصبه حتى مكث بها قرابة الستين عاماً إلى أن توفي عام ٦٨٥هـ/١٢٨٦م.

انظر: المصدر نفسه، ص ٣٦٠، ٣٦١؛ ابن الفرات، تاريخ الدول والملوك، ج ٧، ص ١٢.

الشافعي، واشتغل بالفقه على يد الشيخ جلال الدين أحمد الدشناوي، وأجازه بالفتوى، وسمع الحديث منه، وكانت له مشاركة في عدة فنون من العلم كالأصول والنحو والأدب، والشعر، وكان قبيل خدمته بعيزاب قد تولى خطة القضاء بعدة مدن من بلاد الصعيد منها إدفو، وأسوان وقفت وقفا وهو الذي قال عنه الإدفوي: (وكان حسن السيرة رضى الطريقة، قائما بالمعروف والنهي عن المنكر، وكانت وفاته في عام ٧٠٥هـ/١٣٠٥م).

ومن شعراء عيزاب القاضي عبدالمنعم بن أحمد بن عبدالمجيد التقى حيث كان بارعاً في الخطابة أيضاً، وقد ظل يشغل منصبه قرابة ستين عاما إلى أن توفي عام ٧٣٣هـ/١٣٣٢م وقد جاوز الثمانين، قال عنه الإدفوي: (كان فيه نفع للحجاج والوارد، قوى الحرمة، نافذ الكلمة، وكان إلى جانب ذلك يعالج الشعر)^(١).

وهناك جماعة من الفقهاء تولوا قضاء عيزاب بالإناية منهم: محمد ابن إسماعيل بن عيسى أبي النصر القفطي، وينعت بالتقى، ويدعى بابن دينار سمع الحديث من عدة مشائخ منهم الحافظ المنذرى والحافظ أبي الفتح القسيري وغيرهما وكان فقيها على مذهب الإمام الشافعي، توفي في عام ٧٠٢هـ/١٣٠٢م ومنهم عبدالرحمن بن موسى الكندي الدشناوي المنعوت بالأمين، وكان فقيهاً شافعيًا وقد تقلد عدة مناصب دينية بالصعيد، حيث عمل بالمدرسة النجمية بقوص، وتولى الإمامة بجامعها، وصحب الفقيه المعروف الشيخ مسلم زمانا، ثم عاد إلى بلاد النوبة ودخل إقليم التاكا، بغرض نشر الثقافة العربية، وتوفي هناك في عام ٧١٨هـ/١٣١٨م. ومنهم محمد بن محمد بن نصير المنعوت بالكمال ويعرف بابن الحسام القوصي، قال عنه الإدفوي: (كان فقيهاً مشاركاً في النحو، قرأه على أبي الطيب. وقد تولى القضاء بعدة جهات بالصعيد، منها دشنا وفاو والمرج وأعمالها، وبها توفي عام

(١) الإدفوي: الطالع السعيد، ص ٣٥٧، ٣٥٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٨٤.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٧٩.

(٤) المصدر السابق، ص ١٥٦؛ الفقيه الكندي من أوائل رجال الدين ذوي المكانة الذين ساروا إلى داخل البلاد، ولم يكن اختياره لاقليم التاكا بمحض الصدفة فهو من أوائل الاقاليم السودانية التي حظيت بوجود عربي إسلامي ذي شأن عظيم. فنحو منتصف القرن العاشر الميلادي كان على الاقليم ملك مسلم يتكلم العربية إلا أنه في طاعة ملك علوة، وببلادته كثير من المسلمين يختلفون بالتجارات إلى مكة. ابن حوقل: صورة الارض، ص ٦١.

٧٢٩هـ/١٣٢٨م^(١)؛ وآخر من نعرفه منهم نوح بن عبدالمجيد بن عبدالحמיד القوصى المعروف بالزین وكان فقیهاً على مذهب الإمام الشافعى، ومثل من ذكرنا قبله فقد تولى القضاء بعدة مدن من بلاد الصعيد قبل ولايته قضاء عيذاب، كما باشر التدريس بقوص وتوفى عام ٧٢٠هـ/١٣٢٠م^(٢).

ومن هذا النذر اليسير من التراجم التى تيسرت لنا نستطيع أن نستشف صورة واضحة المعالم عن مدى اختيار هؤلاء الفقهاء ومساهماتهم فى حياة النجر، فقد سبق أن أشرنا إلى أن دائرة عمل القاضى قد اتسعت وتشعبت.

ومن التراجم السابقة يلاحظ أن القاضى كان يختار من بين الفقهاء الذين تقلدوا فى عدة مناصب دينية فى بلاد الصعيد الأعلى مثل إمامة مسجد أو ولاية قضاء أو تدريس ويشير ذلك إلى روابط دينية وثقافية وثيقة بين عيذاب وبلاد الصعيد الأعلى، وكانت قد أظلت بلاد الصعيد نهضة فكرية كبرى منذ بداية القرن الثانى عشر الميلادى بفضل الازدهار والرواج الاقتصادى الذى صاحب تحول طرق التجارة العالمية إلى البحر الأحمر. بل شارك عدد لا يستهان به من أبناء الصعيد فى تلك النهضة التجارية بأن انخرطوا تجاراً فى الكارم^(٣). وقد رصد تلك النهضة الاقتصادية والعمرانية والثقافية التى انتظمت فى الإقليم الفقيه المؤرخ الإدقوى والذى ترجم فيه لجماعة من أبناء الصعيد الذين نبغوا فى مجال العلوم الدينية والأدبية والحكمية^(٤).

ومن ناحية أخرى فإن أغلب الفقهاء الذين تقلدوا هذا المنصب كانوا على مذهب الإمام الشافعى. ومرد ذلك إلى أنه بعد أن أعيد الحكم السننى بمصر بقيام الدولة

(١) الادقوى: الطالع السعيد، ص ٣٦٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٩٢.

(٣) الادقوى: الطالع السعيد، ص ٤٦، ٢١٤، ٢٧٤، ٣٥٣، ٣٦٢. وعن التجارة الكارمية انظر ما سبق ذكره فى الفصل الرابع من هذا البحث.

(٤) تعرض الادقوى لخطط مدن الصعيد واحوالها العمرانية ومؤسساتها الدينية والعلمية. وكانت قوص قصبة ذلك الاقليم وقاعدته، وقد وصفها بن جبير نحو نهاية القرن الثانى عشر الميلادى قائلاً: «وهذه المدينة حفيلة الاسواق متسعة المرافق كثيرة الخلق لكثرة الصادر والوارد من الحجاج والتجار اليمنيين والهنديين وتجار ارض الحبشة لانها محط الجميع ومحط للرجال ومجتمع الرفاق، وملتقى الحجاج المغاربة والمصريين والاسكندريين ومن يتصل بهم، كما وصفها الادقوى بأنها باب مكة واليمن والنوبة وسواكن والتاكا ابن جبير: ص ٤٠، الادقوى: ص ٨، ابن دقماق: الانتصار، ص ٢٨، على باشا مبارك: ج ١٤، ص ١٢٨ وما بعدها، بشير ابراهيم بشير، عيذاب، ص ١٣.

الأيوبية وزوال الدولة الفاطمية، ظهر مذهب الإمام الشافعى على غيره من المذاهب وذلك أن صلاح الدين الأيوبي بعد صرفه لقضاة الشيعة فوض القضاء لصدر الدين عبدالملك بن عيسى بن درباس المارانى الشافعى، فلم يستتب المارانى فى إقليم مصر إلا من كان شافعى المذهب، ومن ثم استبد الشافعيون بالقضاء وتشددوا فى مذهبهم إلى أن اضطر السلطان بيبرس إلى ادخال إصلاح جوهرى على النظام القضائى بتعيين أربعة قضاة يمثلون المذاهب الأربعة وذلك عام ٦٦٤هـ/١٢٦٥م إلا أن ذلك لم يضعف من قوة المذهب الشافعى بمصر، وظل ظاهراً بها على المذاهب الأخرى^(١).

وينسب دخول المذهب الشافعى إلى السودان تقليدياً إلى زمن الفونج^(٢).

وقد ثبت أن الفقيه الكندى الشافعى الذى دخل إقليم التاكا قد حمل معه هذا المذهب إلى داخل البلاد، وذلك قبيل عصر الفونج بزمان طويل^(٣). كما أن غلبة المذهب الشافعى على عيذاب ربما يفسر لنا تمكن المذهب الشافعى من بلاد البحر الأحمر إلى يومنا هذا.

وتم سمة أخرى غلبت أيضاً على معظم الذين تولوا القضاء بعيذاب وهى اشتغالهم بالأدب، وتلك صفة لم يختصوا بها دون علماء جيلهم، فقد كان الجمع بين عدة فنون وعلوم مذهباً مألوفاً بين رجال العلم فى ذلك الزمان. ولا شك أن تنوع معارف قضاة عيذاب ووزارة علومهم كان له حميد الأثر فى إخصاب حياة الفخر الفكرية والعلمية.

(١) المقرئى: الخطط، ج٢، ص ٣٤٣؛ ابن حجر العسقلانى رفع الأصراعن قضاء مصر- تحقيق حامد عبدالمجيد، القاهرة ١٩٦١، ج٢ ص ٣٦٧؛ حسن إبراهيم حسن وعلى إبراهيم حسن: النظم الإسلامية، القاهرة ١٩٧٠، ص ٣٠٧.

(٢) أول من نشر المذهب الشافعى فى السودان هو محمد بن على بن قوم؛ انظر الطبقات ص ٣٥٣، ٣٥٤؛ وقد حضر الشيخ محمد هذا إلى السودان حوالى سنة ١٥٤٦ وزار سنار واربجي ويرير؛ واستقر بالاخيرة وعلى أيدي تلامذته انتشر مذهبه إلا أن الغلبة كانت للمالكية، كما انتشر المذهب الشافعى فى سواكن وطوكر نتيجة الصلات التجارية التى تربط شرق السودان باليمن والحجاز ومصوع. انظر: Y.F. Hasan: External Islamic influences and the progress of Islamization in the Sudan, P. 16.

والثقافة العربية فى السودان، دراسات فى تاريخ السودان، ج١، ص ٦٩، ٧٠.

(٣) الادفوى: الطالع السعيد، ص ١٥٦.

— المسجد، الإمام، الخطيب:

أول من ذكر مسجدها الرحالة الفارسى أبو معين ناصر خسرو نحو منتصف القرن الحادى عشر الميلادى، فقال: «وبها مسجد جمعة^(١)، وقال عنها ابن بطوطة^(٢): وبمدينة عيذاب مسجد ينسب للقسطانى شهير البركة رأيتُه وتبركت به^(٣). وقد عثر الأثرى مرى على أنقاض هذا المسجد عند قيامه بحفرياتهِ الأولى فى الموقع عام ١٩٢٦م^(٤).

ويبدو أن هذا المسجد كان المؤسسة الدينية الوحيدة بها، وذلك أن المؤرخين والرحالة مع كثرتهم لم يذكروا مؤسسات دينية غيره كالأربطة ونحوها، كما أن الحفريات الأولى لم تعثر على أنقاض يمكن نسبتها إلى تلك المؤسسات. ولذلك فإن مسجدها كانت الخلية الوحيدة للنشاط الدينى من سماع حديث وتدریس وقد ذكر ابن بطوطة أنه شهير البركة كناية عن أمه من كبار العلماء ورجال الدين.

(١) ناصر خسرو: سفرنامه، ص ٧٢، ٣٧.

(٢) ابن بطوطة: رحلته، ص ٥٣.

(٣) ابن بطوطة: رحلته، ص ٥٣؛ ويعتقد أن القسطانى المذكور هو الشيخ أبو البركات عمر بن محمد التوزرى القسطانى امام مقام المالكية بالحرم الشريف ولد عام ١١٧٦م وتوفى فى عام ١٢٤٦م. انظر: تقى الدين القاسى: العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين- تحقيق د. فؤاد سيد، القاهرة ١٩٦٦م، ج٦، ص ٣٥٨-٣٦٠ وقد خلفه على الامامة ابنه ضياء الدين محمد والذى ولى التدريس بعدة مدارس بمكة إلى جانب ذلك، كان له شعر جيد، وتوفى ضياء الدين عام ١٢٦٥م، خلفه على الامامة ابنه أحمد انظر: تقى الدين القاسى: العقد الثمين، ص ٢٣٠-٢٣٦؛ وأسرة آل القسطانى أسرة شهيرة اصلها من توزر بالمغرب هاجر عدد من أفرادها إلى المشرق حيث صار لهم ذكر ونباهة- فإلى جانب من ذكرنا نبغ منهم أبو العباس أحمد بن على القسطانى والذى تولى التدريس والفتوى زمانا بمصر، ثم جاور بمكة وبها مات عام ١٢٣٩م انظر ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق أحسان عباس بيروت ١٩٦٨، ج١، ص ١٩٠، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، تحقيق أحمد زكى، القاهرة ١٩٢٩، ج٦، ص ٣١٤؛ عبدالحى بن العماد الحنبلى: شذرات الذهب فى اخبار من ذهب، بيروت، بدون ج٥، ص ١٧٩، ونبغ لأبى العباس هذا ابنا أحدهما قطب الدين أبوبكر محمد الذى تولى مدرسة الحديث الكاملية بمصر، وكانت لقطب الدين هذا صلة وثيقة بعيذاب تتصل بسماع الحديث وتوفى عام ١٢٨٧م. انظر ابن تغرى بردى: ج٧، ص ٣٧٣، محمد بن شاکر الکتبى: فوات الوفيات - تحقيق محمد محبى الدين عبدالحميد، القاهرة ١٩٥١، ص ٣٦٦-٣٦٨، الإدقوى، ص ٤٠٧، الحنبلى، ج٥، ص ٣٩٧. أما الآخر فهو ابنه تاج الدين أبو الحسين على الذى تولى كأخيه مدرسة الحديث الكاملية وتوفى عام ١٢٦٧م انظر: ابن تغرى بردى، ج٧، ص ٢٢٣.

(٤) انظر: المشروع السودانى الفرنسى، ص ٣٠ - ٤٥.

ومن أوائل من تصدر للإمامة والخطابة بمسجد عيذاب ناصر خسرو الذى ذكر أن أهل عيذاب طلبوا منه القيام بتلك المهام إبان إقامته بينهم، فباشر ذلك لمدة ثلاثة أشهر. ويكشف قول ناصر خسرو أن المسجد لم يكن له إمام متفرغ آنذاك.

وربما أضيفت الخطابة بالمسجد وأحياناً إلى خطة القضاء كما هو الحال مع القاضى عبدالمنعم بن أحمد بن عبدالمجيد التقي. ولعل من أشهر من تولى الخطابة بمسجد عيذاب تفرغاً يحيى بن جعفر القفطى المعروف بخطيب عيذاب؛ وكان ليحيى باع طويل فى علم الحديث وعليه سمع ومنه أخذ الشيخ قطب الدين بن القسطلانى^(١). وإلى جانب هؤلاء الذين ذكرهم المؤرخون، فلا بد أن عدداً صالحاً من رجال الدين والعلماء اختلف إلى الخطابة والإمامة بمسجد عيذاب وهم فى طريقهم إلى الحج أو التجارة؛ وما اخبرنا به الرحالة الفارسي يؤكد هذا، وربما تجدر الإشارة هنا إلى أن بعض أهل عيذاب قد شاركوا فى خدمة المساجد منهم: بدرالدين حسن العيذابى رئيس المؤذنين بقلعة الجبل بالقاهرة المتوفى عام ٧٩٧هـ/١٣٩٤م^(٢).

وما تقدم يتضح أن مسجد عيذاب كان محور الحياة الدينية والفكرية بها، فإلى جانب شعائر الصلاة، فإن حلقات الحديث والتدريس وما يتصل بذلك من الأنشطة كانت تقام به، وبه يقيم كبار العلماء والصالحين الوافدين على الثغر.

وما أن صارت عيذاب معبراً للحجاج^(٣) حتى صارت مركزاً هاماً لسماع الحديث^(٤) يضارع مراكز السماع الكبرى بالدول الإسلامية، فقد جرت العادة فى ذلك

(١) الإندفدى: الطالع السعيد، ص ٤٠٧؛ بشير إبراهيم بشير، مرجع سابق ص ٦٥.

(٢) ابن الفرات، مجلد ٩، ج ٢، ص ٣٩٠؛ بشير إبراهيم بشير: مرجع سابق، ص ٦٥.

(٣) لقد كان الحج هو الدعامة الثانية لحياة عيذاب الدينية، وقد أشرنا من قبل إلى أن طريق الحج لبلاد شمال إفريقيا ومصر قد تحول إلى عيذاب نحو منتصف القرن الحادى عشر الميلادى، فقد ظل الحاج يستخدمه منذ ذلك الحين حتى خراب عيذاب فى النصف الأول من القرن الخامس عشر الميلادى، وإن تناقصت أعدادهم بعد فتح الطريق البرى بين مصر والحجاز. وبسبب ذلك صارت رعاية الحاج بعيذاب من أخص اهتمامات حكام مصر الإسلامية، وقد أشرنا إلى أن القيام بأمر الحاج كان من أهم الشروط فى اختيار القضاة للثغر. وعلى أيامه وضع السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي ضريبة الرأس التى كانت مفروضة على الحاج المغربى بعيذاب والتى كانت من رسوم الفاسطميين. انظر: ابن عبدالظاهر: تشرىف الأيام والعصور بسيرة الملك المنصور قلاوون: ورقة ٢٩٠. ابن جببر: ص ٤٥، ٤٦، عبدالرحمن بن إسماعيل المقدسى أبو شامة: الروضتين فى أخبار الدولتين، القاهرة، ١٩٦٧، ج ٢، ص ٣.

(٤) من أشهر المدن التى صارت مركزاً لسماع الحديث لوقوعها على طريق الحج مدينة الإسكندرية. انظر: جمال الدين الشيال: أعلام الإسكندرية فى العصر الإسلامى، القاهرة ١٩٦٥م ص ١٣٠، وما بعدها، ص ١٨٩، وما بعدها، محمد عواد حسين: تاريخ الإسكندرية وحضارتها منذ أقدم العصور، القاهرة ١٩٦٣م، ص ٣٢٤، ٣٢٦.

الوقت أن يتقابل كبار الفقهاء ورجال العلم في مثل هذه المراكز الهامة وخاصة التي تقع في طريق قوافل الحج^(١). وذلك طمعا في الاجتماع بغيرهم من رجال الحديث والعلماء^(٢).

فكان للحجاج نشاط فكري^(٣) نستطيع أن نلمسه من جملة هؤلاء العلماء النابهين الذين أقاموا زمانا بالثغر مقيمين قادمين من الحجاز^(٤)، ومن أشهر من دخل عيذاب من الحجاج الإمام أبو الحسن علي بن عبدالله الشاذلي الصوفي مؤسس الطريقة الشاذلية، وكان قد أخذ الإسكندرية موطناً، وكان يخرج منها كل عام إلى الحج عن طريق عيذاب إلى أن توفي وهو في طريقه للحجاز، وقد دفن بموضع قريب من عيذاب يعرف بحميثرا، وذلك في عام ٦٥٦هـ/١٢٥٨م ومنهم الإمام الكبير أبويحيى محمد يوسف الأندلسي النحوي^(٥). ودخل أبويحيى عيذاب في طريق عودته من الحج وسمع بها، وقد أوردتها ضمن قائمة البلاد التي سمع بها حيث يقول: «سمعت بغرناطة ومالقة وبلش والمرية وبجاية وتونس والإسكندرية ومصر والقاهرة ودمياط

(١) انظر الشيخ عبدالمحمود: كتاب الرحلة المسماة بالدرة الثمينة في أخبار مكة والمدينة، مخطوط غير منشور، دار الوثائق المركزية بالخرطوم، رقم Misc 1/15/166، ورقة ١٠.

(٢) الإدقوى: الطالع السعيد، ص ٧٨، ابن الفرات، ج ٨، ص ٧٣، ٧٤؛ أحمد عمر الزيلعي: مكة وعلاقتها الخارجية، جامعة الرياض ط الأولى ١٩٨١، ٩٩ - ١٠١؛ محمد بهجت عصفور: الصلات السياسية والحضارية بين مصر وبلاد الحجاز منذ بداية العصر الإسلامي في مصر حتى نهاية عصر المماليك، دكتوراه جامعة القاهرة فرع الخرطوم، ص ١٩٩، ٢٠٠.

(٣) انظر: الإدقوى: الطالع السعيد، ص ٧٨؛ ابن الفرات، ج ٨، ص ٧٣، ٧٤.

(٤) أشرنا من قبل إلى إقامة ناصر خسرو بعيذاب وياشر الخطابة بمسجدها، ومنهم الإمام أبو القاسم عبدالرحمن بن الحسين بن الحباب السعدي. والذي كان فقيها في طلب الحديث، وصنف عدة كتب، توفي بعيذاب في طريق عودته من الحج في عام ١١٦٠م. انظر: المقرئ: أنعاظ الحنفا، ج ٣، ص ٢٤٥.

(٥) ابن بطوطة: رحلته، ص ٥٣، الشيال، ص ١٨٩، C.F.: Trimingham: Islam in the Sudan, London, P. 223. ويذكر أن مؤسس الطريقة الشاذلية بالسودان هو الشريف حمد أبو دنانة والذي تزوج بابنة أبي عبد الله محمد بن سليمان الجزولي مؤسس الطريقة بمراكش وذلك نحو منتصف القرن الخامس عشر الميلادي. انظر: الطبقات، ص ٢٤٣، Trimingham: Op. Cit., P. 223.

(٦) أحمد بن محمد المقرئ التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، القاهرة ١٩٤٩، ج ٣، ص ٢٨٩ - ٣٤١.

والمحلة وطهرمس والجيزة ومنية ابن خصيب ودشنا وقنا وقوص وبلبيس وبعيذاب من بلاد السودان وينبع ومكة شرفها الله تعالى وجدة وأيلة^(١).

وفيما أورد، أبو حيان هذا أبلغ دليل على أن عيذاب قد صارت في زمانه في مصاف أعظم مراكز الحديث في البلاد الإسلامية تشد إلى حلقات مسجدها الرجال وتضرب إليها أكباد الأبل؛ ومن الأدلة ما يعزز هذا الزعم بأن أبا حيان بقى قدراً من الزمان بعيذاب، فقد ذكر المقرئ من ضمن مؤلفاته كتاباً مترجماً بنور الغبش في لسان الحبش^(٢).

وعلى الأرجح فإنه صنف هذا الكتاب إبان إقامته بعيذاب إذ كان لابد له من البقاء مدة بتلك النواحي ليتعرف على ذلك اللسان. ثم أنه تزوج بجارية سوداء ولدت له ابنه حيان الذي يكنى به^(٣).

إذن فنحن لا نعدو الحقيقة إذا قلنا أن موسم الحج كان بالنسبة لعيذاب ما كان سوق عكاظ لمكة في الجاهلية. وبمعنى آخر فقد كان موسم الحج بالنسبة لها مظاهرة دينية أدبية كبرى. وقد أسلفنا القول بأن موقعها في نهاية طريق قوافل الحج^(٤)، قد جعلها مركزاً هاماً من مراكز سماع الحديث مما حدا بعدد صالح من العلماء والفقهاء أن يقيم بها بصفة دائمة بغرض الإفادة والاستفادة، فقد ذكر ابن بطوطة أنه وجد بها من الفقهاء الشيخ الصالح موسى والشيخ المسن محمد المراكشي والذي زعم أنه من سلالة المرتضى صاحب مراكش^(٥). وترجم الإدقوى للشيخ إسماعيل بن عبدالرحيم العسقلاني المحتد، وكان فقيهاً على مذهب الإمام الشافعي، فأقام بعيذاب مدة طويلة وتزوج بها، ثم عاد إلى إدفو وتوفي بها عام ٧٢٨هـ/١٣٢٧م^(٦).

(١) المصدر نفسه، ج٣، ص٣١٦.

(٢) المصدر السابق، ج٣، ص٣٠٧.

(٣) المصدر نفسه: ج٣، ص٣٢٥؛ انظر: بشير إبراهيم بشير: عيذاب، ص٦٨. ويعتقد بأنه بنى بأم ولده تلك إبان إقامته بعيذاب. انظر: المقرئ: نفح الطيب، ج٣، ص٣٢٧، ٣٢٩.

(٤) انظر: مخطوط الشيخ عبدالمحمود: كتاب الرحلة المسماة بالدرة الثمينة في أخبار مكة والمدينة، ورقة ١٠ وما بعدها.

(٥) ابن بطوطة: رحلته، ص٥٣.

(٦) الإدقوى: الطالع السعيد، ص٣٨.

أما عن حياة عيذاب الأدبية، فقد لاحظنا أن عمال الإدارة الإسلامية بالثغر كان أغلبهم على حظ وافر من الأدب وأسبابه بخاصة الشعر الذى برع فيه عدد منهم، كما شارك بعضهم فى التأليف والتصنيف.

والى جانب ذلك فإن عددا لا يستهان به من شعراء ورجال الأدب قد وجدوا طريقهم إلى الثغر لسبب أو لآخر، فهناك من قصدها فى عمل رسمى مثل الفقيه الأديب المؤرخ عمارة اليمنى الذى بعثه أمير مكة فى سفارة إلى البلاد الفاطمية^(١)، وهناك من قصدها فى حاجة خاصة كأبى الفتوح نصر بن عبدالله المعروف بابن قلاقس السكندري^(٢). وكان ابن قلاقس قد سار إلى اليمن فى حدود عام ٥٦٦هـ/ ١١٧٠م ومدح ملوكها وكبرائها بخاصة أبا الفرج ياسر بن أبى الندى بلال بن جرير المحمدى وزير آل زريع ملوك عدن، فأجزل له ياسر العطاء، فأقبل إلى مصر مثقلا بأنعامه، ولكن الركب الذى كان يستقله غرق فى مياه جزيرة الناموس بالقرب من باضع، فعاد إلى اليمن^(٣).

وهناك من الشعراء والأدباء من وفد على عيذاب قسراً مؤدبين بالنفى والتغريب من قبل حكام مصر الإسلامية، والنفى والتغريب إلى جزر ومراسى العدو الإفريقية بغرض التأديب لكبار رجال الدولة والأدباء والفقهاء المغضوب عليهم وهذا تقليداً معروفاً منذ صدر الإسلام^(٤)، وممن نفى إلى عيذاب الشاعر نشو الدولة على بن مفرج المنجم المعروف بابن المنجم، وكان رفيقا لابن قلاقس المتقدم الذكر، وكان ابن المنجم هذا قد تولى «ضمان الصابون والملاهى» فى الدولة الأيوبية، فظلم وعسف، فجأر الناس

(١) عمارة بن على الحكى: النكت العصرية فى أخبار الوزارة المصرية تحقيق Hartwig Derenbourg باريس ١٨٩٧، ص ١٢٤.

وقد خلد دخوله إليها فى أبيات يشكو فيها حالة وسوء ما لاقى بعيذاب، وفى ذلك يقول:

لم ترضى عيذاب أنى مسنى نصب من أهلها وجرى لى منهم شغب
حتى لقيت بقوص لاسقت أبدا أكناف قوص ولا من حلها الشغب

(٢) العماد الأصفهاني الكاتب: خريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء مصر (تحقيق أحمد أمين وآخرون)، القاهرة، ١٩٥١، ج ١، ص ١٤٥ - ١٦٨؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٥، ص ٣٨٥ - ٣٨٩.

(٣) لعل أقيم ما خلفه ابن قلاقس قصيدته التى وصف فيها المراسى ما بين عدن وعيذاب انظر: ياقوت: معجم البلدان، ج ١، ص ٤٩٢.

(٤) انظر: أبو الفرج الأصفهاني، كتاب الأغاني، اتلقةاهرة ١٩٣١، ج ٤، ص ٢٣٩، ٢٤٦، ٢٤٨ - ٢٥٠، ٢٥٥، العماد الأصفهاني: ج ١، ص ١٦٨.

بالشكوى منه، فأدب بالنفى إلى عيذاب، وكان مولده عام ٥٤٩هـ/١١٥٤م، وتوفي في حدود عام ٦٢٠هـ/١٢٢٣م ولم يخلف لنا ابن المنجم أشعاراً فيها ذكر لعيذاب في الكتب المطبوعة وربما كان لها ذكر في ديوانه المخطوط^(١).

هكذا امتد نفوذ مصر المملوكية إلى الثغور النوبية امتداداً ثقافياً مؤثراً بخلق نهضة علمية وأدبية استفاد منها البجاه، ومن ثم النوبيون من بعد ذلك.

– أثر اليمن الثقافي والديني:

يعد اليمن أحد روافد الثقافة الإسلامية في السودان، ويبدأ هذا الأثر كما تذكر الروايات المحلية بقدم غلام الله بن عائد^(٢) في النصف الثاني من القرن الرابع عشر^(٣) من جزيرة نواوة التابعة لبلاد اليمن، بعد أن سكن جزيرة ساكية على البحر الأحمر، وقد رحل منها إلى دنقلا، وقرر السكن بها، «لأنها كانت في حيرة وضلالة»^(٤)، ثم بادر بإنشاء المساجد وتعليم أولاد المسلمين^(٥).

(١) العماد الأصفهانى، ص ١٦٨، بشير إبراهيم بشير: عيذاب، ص ٧٤.

(٢) البدوى محمد نافع: مخطوطة في ذكر نسب غلام الله بن عائد. تذكرة المخطوطة: أن اسمه أحمد وأن غلام الله ليس اسمه الأصلي، وإنما سمي بذلك لأن النار أحرقت المنزل الذى كان فيه حال صغره، وأن والدته أخبرت والده السيد عائد، وقالت له: الابن فى النار، فقال لها: يحفظه الله، وقد حفظه الله وخرج سالماً، فسمى غلام الله، لأن أهل البلد لم يعرفوا الله بالدليل لأن الله لم يلد ولم يولد، وأن والده سماه أحمداً. انظر: كتاب فى ذكر نسب غلام الله ص ٥، ٦. وقد جاء غلام الله بن عائد من اليمن إلى دنقلا فى أواسط القرن الرابع عشر وتزوج من الدناقلة وقد لقب حفدته: أبناء ركاب ورباط دوراً هاماً فى نشر التعاليم الإسلامية فى السودان كما انتشروا فى أجزاء متفرقة منه ويشمل اسم الركابية ذرية رباط انظر: MacMichael: Op. Cit., Vol. 2, PP.32-33; Y.H.: Hasan: External influences, Sudan in Africa, P. 5.

C.F. P. M. Holt: The Sons of Jabir and their Kins: a clan of Sudanese religiou

notables, B.S.O.A.S., XXX, 1976, P. 142 - 157. وانظر الطبقات، ص ٤٥.

(٣) انظر: مخطوط: أنساب عرب السودان. Misc 1/18/198، ورقة ٣٠.

(٤) جاء فى وصف ليوحنا السورى الذى زار تلك البلاد أن سكانها: «ليسوا بمسيحيين ولا يهود ولا مسلمين ولكنهم يؤمنون أن يظلوا مسيحيين، انظر: Alvars, Vol. II, P. 461, Millet, "Jebel Adda, Pre-

liminary Report" Journal of American Research Center in Egypt, VI., 1967, P.62.

(٥) وتذكر نفس المخطوطة أن غلام الله قدم صغيراً فى صحبة والده عائد قادماً من اليمن البحر الأحمر، ولكن هذا يناقض ما عرف من مبادرته بإنشاء مدارس العلم بمجرد قدومه إلى دنقلا، ولو افترضنا أنه كان صغيراً وأن والده هو الذى قام بهذا الدور فليس ثمة ما يجعل الروايات تغفل عن ذكر دور الأب انظر:

MacMichael: Op. Cit., Vol. 2, P. 35.

والواقع إن التبرير الذى تسوقه الروايات عن سبب اختياره لمنطقة دنقلا ليس سببا كافياً. لأن مناطق السودان الأخرى حين قدم إليها غلام الله لم تكن أحسن حالاً من دنقلا التى كانت أسبق من غيرها إسلاماً واستقبالا للمؤثرات عن طريق التجار الوافدين من العرب.

إذا فثمة أسباب أخرى كانت وراء هذا الاختيار نجملها فيما يلى:

— ترجع الصلة بين دنقلا واليمن إلى ما قبل الإسلام^(١). وذكر أن مقرى جد المقرة من اليمن^(٢)، وقيل النوبة ومقرى من حمير^(٣). فثمة علاقة قد نشأت باستقرار بعض الأسر العربية فى أرض النوبة.

وبعد حوالى قرن ونصف من قدوم غلام الله إلى منطقة دنقلا نجد بشارة الأنصارى والد عيسى مؤسس كترانج يفد من المدينة المنورة^(٤)، ثم الأزهر ويصل للسودان قاصداً كلومسيد^(٥) فى بلاد دنقلة لصلة قرابة تربطه ببعض سكان هذه المنطقة عمن يزعمون الانتماء للأنصار، كما وفد شخص آخر من الأسرة إلى دنقلا قادماً من الحجاز ثم رحل منها إلى أبى حراز بالجزيرة.

— كان غلام الله يعيش مع أسرته على ساحل البحر الأحمر^(٦)، ويعتقد أن ذلك كان فى مدينة زيلع التى تنتمى إليها أسرته. وإذا ما تأكد هذا فإن مدينة زيلع كانت على

(1) E. Glaser. Die Abessinier in Arabian and Afrika, Munich, 1095, PP. 42 FF. "C.

Conti Rossini, "Sugli Habasat", Rendiconti della Accademia dei Lincei, 1906, PP. 40 - 59.

(٢) القزوينى: آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٢٤.

(٣) يقول ياقوت: وملوكهم يزعمون أنهم من حمير، ولقب ملكهم كابيل وكتابته إلى عماله وغيرهم: من كابيل ملك مقرى ونوبة انظر معجم البلدان، ج٤، ص ٨٢٠، المسعودى مروج الذهب، ج١، ص ٤٢٢، ٤٣٧، ٤٣٨؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج١، ص ٣٦٨؛ ابن الوردي تنمة المختصر، المجلد الأول، ص ١٣٤، ١٣٥؛ De Villard: Storia, P.171. MacMichael: Op. Cit., Vol. 1, P. 168.

(٤) محمد عبدالمجيد السراج: إرشاد السارى لتراجم آل عيسى بن بشارة الأنصارى، ص ٨ - ١٢، وانظر أيضاً: الطبقات ص ٣٤١.

(٥) كلومسيد يعنى فى لهجة الدناقلة والمحس مسجد الحجر انظر الطبقات، ٣٤١.

Y.F. Hasan: Islamic Influences, P. 76 - 77.

(6) C.F.: MacMichael: Op. Cit., Vol. 2, PP. 32 - 33; Holt: Op. Cit., P. 142 - 157.

صلة بسودان وادى النيل عن طريق التجار الذين كانوا يحملون إليها العاج والجلود والريش لمقايستها بالمنسوجات والخرز والخزف. وليس ببعيد أن يكون الزيالة قد وقفوا على أخبار السودان بعامة ودنقلة بخاصة من خلال حركة التبادل التجارى^(١).

ولما كان لعائلة غلام الله شهرة دينية، فيعتقد أن التجار السودانيين قد عرضوا عليه أن يذهب معهم إلى دنقلا لنشر العلم بين أهلهم، وهناك أمثلة عديدة على دعوة التجار للعلماء، منهم دعوة التاجر داود عبدالجليل للبهارى^(٢)، ودعوة تاجر سنار للتونسي الكبير^(٣).

وربما تكون الأسباب السابقة عاملاً هاماً فى هجرة غلام الله إلى دنقلا، هذا بالإضافة إلى ما سبق أن أوضحناه فى سياسة الحبشة العدائية تجاه المسلمين. وخاصة فى عهد سيف أرعد (٤٤ - ١٣٧٢ م)^(٤) الذى يتفق مع قدوم غلام الله إلى دنقلا نحو منتصف القرن الرابع عشر^(٥) فمن الطبيعى أن أسرة غلام الله قد سمعت بهذه السياسة العدائية وبالتالى فسوف يناصبها الأحباش العداء، فكانت هجرتهم إلى دنقلا.

(1) C.F.: MacMichael: Op. Cit., Vol. 2, PP. 35;

Y.F. Hasan: Islamic external Influences, P. 75.

وأيضاً نفس المؤلف. مقدمة الطبقات، ص ٣.

(٢) هو الحاج سعيد بن داود بن عبدالجليل من الجليلاب الذين دعا جدهم تاج الدين البهاري لزيارة السودان: الطبقات ص ٢٠٨. عبدالجليل هو جد الجليلاب وهو حفيد حجازى بن معين منشئ أريجى وبانى مسجدها. وحلة سعيد تقع على بضعة أميال جنوب الخرطوم وهى أشهر قرى منطقة ود راوه. انظر الطبقات: ص ١٢٧،

(3) MacMichael: Op. Cit., Vol. 2, P. 283. C.F.: Y.F. Hasan: Op. Cit., P. 75.

وأيضاً مقدمة الطبقات، ص ٥؛ حسن إبراهيم: انتشار الإسلام، ص ٢٢٩.

(٤) انظر: المقرئى: الإمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام ص ١١، ص ١٣ وما بعدها، -Triming ham: Op. Cit., PP. 73 - 4.

طرخان: الإسلام والممالك الإسلامية بالحبشة، ص ٥٧، ٥٨؛ محمد محمد أمين: تطور العلاقات العربية الإفريقية، ص ٤٣؛ الأمين عبدالكريم: مرجع سابق ص ٥٣، C.F.: Tamrat: Church and State in Ethiopia 1270 - 1527, P. 174, 206.

(٥) البدوى محمد نافع: مخطوط فى ذكر نسب غلام الله بن عايد، ص ٥، ٦؛

MacMichael: Op. Cit., Vol. 2, P. 35 FF؛ يوسف فضل: مقدمة فى تاريخ الممالك الإسلامية فى

السودان الشرقى. ص ١١٧.

ورغم أن المصادر التاريخية لم تشر إلى أثر غلام الله بعد استقراره فى دنقلا سوى أنه أسس المساجد والمدارس فيها، إلا أننا لا نستبعد أن يكون قد ساهم فى نشر الإسلام وتعليم مبادئ الدين، وخاصة أن هناك روايات عن إسلام العديد من أهل النوبة على يديه^(١).

يتضح أثر غلام الله فى ذريته التى أتت من بعده، ونقصد بها أولاد جابر^(٢) وأبناء عمومته من الركابية^(٣) الذين تباروا فى نشر العلم بجهات عديدة من أرض السودان، ورغم أن أولاد جابر ينتمون إلى مصر فكرا^(٤) إلا أننا نذكر ذلك لما توارثوه من آثار مؤسس الأسرة، كما تدل على ذلك رواياتهم المحلية^(٥) فرباط ابنه كان قد ذاع صيته فى ميدان التصوف^(٦)، وسليم بن رباط اشتهر بالكرامات^(٧). أما جابر بن عوف فقد كان وزوجته يمارسان التصوف^(٨) وهى سمة غلبت على علماء السودان.

ومن العلماء الذين وفدوا من اليمن وحضرموت قبيل قيام مملكة الفونج كما يذكر ود ضيف الله: «حمد ولد زروق»^(٩). قدم هو والفقيه جار النبى من حضرموت بأرض اليمن^(١٠). وكان من عباد الله الصالحين وسكن الصبابى، وكان بينه وبين الشيخ البندارى شيخ الشيخ إدريس فى المكتب خوة^(١١).

(1) Y.F. Hasan: Op. Cit., P. 75 - 76.

(٢) انظر: الطبقات. صفحات ٤٥، ١٣٠، P. 142 - 157. C.F. Holt: The Sons of Jabir and their kind,

(٣) انظر: مخطوط: أنساب عرب السودان، ورقة ٢٧، ٢٨.

Misc 1/18/198.

(٤) انظر: الطبقات، ص ٤٥.

(٥) أنساب عرب السودان، ورقة ٢٨.

(6) MacMichael: Op. Cit., Vol. 2, P. 32 - 33., Y.F. Hasan: External Islamic Influences, P. 5.

(٧) انظر: الطبقات، ص ٢٥١.

(٨) الطبقات: ص ١٣٠.

(٩) الطبقات، ص ١٤٩.

(١٠) «جار النبى وجباره قدموا من اليمن محلهم حضرموت. وجار النبى كان عبداً صالحاً طيباً معتقداً فيه، الطبقات ص ١٣٠.

(١١) المصدر نفسه، ص ١٤٩.

- أثر الحجاز في السودان:

عندما قامت الممالك والمشيكات الإسلامية في السودان وادى النيل كان طبيعياً أن يرنوا بأبصارها إلى هذا النبع الأصيل، فبالإضافة إلى شرف الانتماء إلى آل البيت، فإن الحج إلى بيت الله كان أملاً يراود الملوك والعلماء والتجار والعامة، وقد ساعد على تحقيق هذا الأمل سهولة الاتصال عن طريق سواكن والبحر الأحمر^(١).

وتأكيداً لهذا الاتصال حرص سلاطين الفونج على الذهاب إلى أرض الحجاز وتعلقهم بها، بل أكثر من هذا احتضانهم للعلماء الذين يحلون بدار السلطنة، فنرى حاكماً كالشيخ عجيب يتلمذ على يد تاج الدين البهاري القادري القادم من الحجاز^(٢)، وهو الذى ذهب للحج^(٣)، وأقام هناك زماناً أسس فيه رواقين بالحرم الشريف لاتزال آثار بعضهما باقية^(٤).

وكانت لقوافل التجارة والحج أثر كبير في قدوم العلماء للسودان فقد أثار ود ضيف الله أن تاج الدين البهاري قد قدم للسودان بدعوة من التاجر داود بن عبد الجليل السوداني^(٥)، ولعل الفقيه عمار بن عبد الحفيظ الخطيب يعد خير مثال لمدعى تعلق السودان بالحجاز في ذلك الوقت، فقد اشتهر بكثرة رحلاته للتجارة والعلم^(٦)، فقد جاء

(١) انظر: الشيخ عبدالمحمود بن نور الدايم الطي: كتاب الرحلة المسماة بالدرة الثمينة في أخبار مكة والمدينة. مخطوط غير منشور، دار الوثائق المركزية بالخرطوم، ورقة ١١. Misc 1/15/186.

(٢) انظر: مخطوط: واضح البيان في تاريخ العبدلاب، Misc1/20/232.

ورقة ٤، مخطوط: تاريخ مختص بأرض النوبة Misc 1/15/191 ورقة ٢٠، ٢١.

(٣) انظر: الطبقات: ص ١٢٧؛ مخطوطة كاتب الشونة: هامش ص ٥؛ حسن الفاتح قريب الله: التصوف في السودان، ص ٨٧ - ٩٤؛ يوسف فضل: بواكير الدعوة الإسلامية والثقافية العربية، الطبقات، ص ٢.

(٤) مخطوط: واضح البيان في تاريخ العبدلاب، ورقة ٤؛ انظر وثيقة من وثائق مشيخة العبدلاب نشرها أحمد عبد الرحيم نصر: الأغوات ص ١٧، ٧١، ٨٣، انظر ملحق الدراسة شكل رقم (٧).

(٥) انظر: الطبقات، ص ١٢٧؛ حسن محمود: الإسلام والثقافة العربية، ج ١، ص ٣٧١، MacMichael: Op. Cit., Vol. 2, P.283.

(٦) عمار بن عبد الحفيظ الخطيب ولد بسنار وسافر إلى مصر والحجاز، لطلب العلم والحج، وقرأ سائر الفنون الفقهية والعقلية والنقلية وعلم النحو واللغة والأصول والمنطق والتصوف، وتعلم على يد الشيخ يحيى بن محمد بن محمد بن عبد الله الشاوي الجزائري. من فقهاء المالكية، والذي ولد بمليانة سنة ١٠٣٠ هـ / ١٦٢١ م وتعلم ونشأ بالجزائر سكن مصر ودرس بالأزهر بعد عودته من الحج عام ١٠٧٤ / ١٦٦٤ م؛ انظر الطبقات، ص ٢٥٩؛ الزركلي: ج ٩، ص ٢١٤.

عن ود ضيف الله: «وكان سفرنا من سنار يطلب العلم بالأزهر والحج فى يوم الجمعة بعد العصر خامس عشر فى رمضان سنة سبع وسبعين بعد الألف من الهجرة النبوية.. فلم ندخل مصر إلا فى أول شهر صفر من سنة ثمانية وسبعين، وجلسنا بالأزهر إلى شوال؛ ثم سافرنا إلى الحج وحججنا حجة الإسلام فى تلك السنة أى سنة ثمانية وسبعين؛ ثم رجعنا إلى مصر؛ فلم ندخلها إلا فى سنة تسعة وسبعين فى شهر صفر؛ وجلسنا فى الأزهر فى بقية صفر والربيعين والجمادين ورجب وشعبان ورمضان ثم سافرنا الحج أى حج التطوع فى شهر شوال مع الحاج المصرى. وحججنا فى سنة تسعة بتقديم التاء وسبعين ثم جلسنا بمكة مجاورين بيت الله الحرام... ثم سافرنا من مكة يوم سابع عشر من ربيع الأول إلى جدة، ثم سافرنا إلى مصر^(١)».

ويقول الدكتور حسن محمود أن «هذه الصلات التجارية الدينية الثقافية لم تنقطع طوال هذا العصر، بل كان تيارها يشتد بمضى الزمن، واتصال السودان بالحجاز حمل إلى السودان وادى النيل طابع الثقافة الإسلامية فى الحجاز فى هذا العصر، حمل إلى هذه البلاد مبادئ الصوفية، والطابع الصوفى للثقافة الإسلامية غذى الحجاز فى الناحية العملية فى الوقت الذى كانت فيه مصر تغذى الناحية العلمية وتنميتها^(٢)».

ومن العلماء الذين وفدوا من الحجاز ونشروا الصوفية السيد أحمد الببلى الذى ولد فى مكة، ودرس بالحرَم المكى، ثم هاجر لسودان وادى النيل عن طريق جدة، وعبر البحر الأحمر عن طريق سواكن إلى أن نزل بمدينة شندى حوالى عام ٩٣٢هـ/١٥٢٦م، ثم سار إلى مروي حتى استقر فى تنقاسى^(٣) وتزوج هناك، وقد نال تكريما من الملوك^(٤).

(١) انظر: ود ضيف الله: الطبقات، ص ٢٥٩، ٢٦٠.

(٢) حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية، ج ١، ص ٣٧١.

(٣) تنقاسى: قرية تقع شمال مروي على خطى ١٨، ٢٥ شمالا و ٣١، ٤٧ شرقا، وتشتهر بسوقها الأسبوعى الذى يقام صباح كل ثلاثاء. انظر كتاب الطبقات: حاشية (٢١)، ص ٣٥٨.

(٤) يحيى محمد إبراهيم: التعليم الدينى فى السودان، ص ٤٥؛ يقول د. عبدالعزيز أمين عبدالمجيد «وقد كانت بلاد الحجاز (مكة والمدنة) فى الدرجة الثانية، بعد مصر، من حيث وفود طلاب العلم إليها من جميع أنحاء العالم الإسلامى للحج والمجاورة، وكان أمراء المسلمين يبنون بها المدارس والأروقة لطلاب العلم ويقفون الأوقاف السخية. التربية فى السودان، ص ٥٠، وهذا دليل على العلاقة التى ربطت السودان بالحجاز.

ومن أوائل السودانيين الذين سافروا إلى الحجاز العجمي بن حسونة^(١) الذي جاور بمكة، وسكن في رباط العباسي، وانقطع للذكر والعبادة ومات دون أن يتزوج^(٢). وأخوه حسن بن حسونة^(٣) الذي قضى في تجواله بين الحجاز ومصر والشام اثنتا عشرة سنة^(٤)، وعندما عاد أسس المدارس للتعليم والإرشاد^(٥) وعبد الله بن دفع الله العركي^(٦) حج أربعة وعشرين حجة واشتهر عنه بالعلم، وقد درس في مقام الإمام مالك، وطاب له المقام «فلما طال مكثه بالحجاز سافر إليه أخوه الشيخ إدريس ومعه الحاج سلامة الضبابي، فحجا حجة الفريضة، وجابوه معاهم^(٧)».

وأسس عمارة بن شايقي خلوته في الحلفاية، واشتغل بتدريس الرسالة والتجويد، وعلوم العربية والتفسير، بعد أن حج وجاور بمكة، واتقن هذه العلوم هناك^(٨). وعيسى بن بشار الأنصاري^(٩) الذي ولد بالمدينة المنورة وبها حفظ القرآن الكريم، ثم طلب

(١) العجمي بن حسونة اسمه محمد وأمه فاطمة بنت وحشية أمها صاردية خميسية ووالدها مسلمي (نسبة إلى المسلمية) وهي قبيلة صغيرة تسكن الجزيرة وترجع بنسبها إلى سيدنا أبي بكر الصديق إلا أن بعض كتب النسب تربطها بقبيلتي جهينة أو دار حامد. انظر الطبقات ص ٨٨، C.F.: MacMichael: Op. Cit., Vol. 1, P. 270.

(٢) الطبقات، ص ٨٨.

(٣) وقد اشتهرت به قرية ود حسونة، التي تقع على بعد ٢٧ ميلا غرب أبو دليك (على خطى ١٥,٣٥ شمالا و ٢٣,١٤ شرقا)، ويسكنها ذرية أهله ويعرفون بالحسوناب الذين يزعمون أنهم أشرف حسينية. انظر: MacMichael: Vol. 2, P. 84, 161- 164, 294. ويبدو أن الحسوناب قد اختلطوا كثيرا بقبائل أخرى.

(٤) انظر: الطبقات ص ١٣٣ - ١٣٥.

(٥) المصدر نفسه، ص ١٣٥.

(٦) نسبة للجمعيات والجيلي. انظر الطبقات. حاشية (١٨) ص ٢٥١.

(٧) انظر الطبقات. صفحات ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣.

(٨) انظر: الطبقات: ص ٣٠٩.

(٩) جاء في كتاب ارشاد الساري لتراجم آل عيسى بن بشار الأنصاري عبدالمجيد السراج أن اسمه: مضوى بن مدني بن عبدالدائم ابن عيسى بن بشار الأنصاري وينتهي نسبه عند جابر بن عبدالله الأنصاري الخزرجي. وأن عيسى هذا قد ولد بالمدينة المنورة في أوائل القرن العاشر الهجري ودرس في مصر على الشيخ زكريا الأنصاري ومحمد البنوفري وبعد أن تبحر في مذهبي مالك والشافعي جاء السودان وتزوج بنت ملك الجموعية سليمان النار. ثم استقر في كترانج حيث شيد مسجدا لتعليم العلوم الإسلامية وتوفي هناك في أواخر القرن العاشر. وقيل أن بشار قد لحق بأبيه في السودان وسكن بجزيرة كلومسيد في دنقلا. وقد خلف عيسى ابنا واحدا هو عبدالدائم وقيل أنه اجتمع بإدريس ود الأرياب وعليه أخذ الطريق وكان عالما. وخلف ولدين هما مدني ومصطفى وقد حفظ مدني القرآن على أبيه وله من الذرية ولد وأحد هو مضوى المترجم له. ويضيف المؤلف أن مضوى قد درس على العلامة محمد المصري تلميذ يوسف الزرقاني غير العلماء الذين ذكرهم ود ضيف الله. انظر: الطبقات. ص ٣٤١؛ ارشاد الساري لتراجم آل عيسى بن بشار الأنصاري، مطبعة النهضة السودانية ١٩٥٥، ص ٨ - ١٢.

العلم فى الأزهر، ويعد ذلك سافر للسودان، وأسس مسجد كترانج^(١).

وهناك فئة كانت تسافر للحجاز طلبا للعلم، وتنتسب لطريقة من الطرق الصوفية. فالشيخ حمد المجذوب ذهب إلى هناك، وأخذ الطريقة الشاذلية عن الفقيه على الدراوى المغربى^(٢)، ومحمد بن عدلان الشايقى قرأ علم الكلام والمنطق والأصول على الفقيه عبدالله المغربى عالم المدينة، ثم قدم إلى تنقاسى «فأوقد نار القرآن ونار الكرم ونار علم المعقول»^(٣).

ويعتقد أن ازدهار الدراسة فى الحجاز كانت مجالا ليظهر فيها بعض علماء السودان نبوغهم، حتى أن علماء الحرمين كانوا يشيدون بعلمهم، وفى ذلك يذكر ود ضيف الله «أن جنيد بن طه أعطاه الله قبولا تاما عند الملوك والسلطين ولاسيما أهل الحرمين والحجاز وجدة»^(٤)، وعبد اللطيف بن الخطيب عمار برع فى مجال التدريس حيث درس جميع الفنون، واتصل بعلماء المغرب والروم والتكرور، وقد مدحه أحد علماء الحجاز بقوله: «عالم الديار السنارية، علامة الأقطار الإسلامية»^(٥).

وبجانب ذلك كانت الحجاز ملاذا للفارين من قسوة الحكام، فهؤلاء كانوا يجدون الأمن بجوار بيت الله، وفى هذا يذكر أن عبداللطيف بن الخطيب عمار الذى نعتة ود ضيف الله بقوله: «الأصولى النحوى اللغوى المتكلم الفقيه المنطقى المجد للقرآن، المجتهد فى مذهب الشافعى حج بيت الله بسبب نكبة حصلت له من سلطنة الفونج فجاور بسببها»^(٦).

(١) إرشاد الساريك ص ٨، الطبقات، ص ٣٤١.

(٢) بشير كوكو حميده: لمحات من تاريخ المجاذيب، ص ١٧؛ محمد الطاهر المجذوب: الوسيلة إلى المطلوب، القاهرة

١٣٣٢هـ، ص ١١٤.

(٣) الطبقات، ص ٣٥٩.

(٤) الطبقات: ص ١٣١.

(٥) المصدر نفسه، ص ٢٩٩؛ ويضيف ود ضيف الله: مدحه شيخه فى علم المنطق نور الدين اليمنى بقصيدة قال فيها:

عالم بأنواع العلوم بأسرها

حوى فى الورى المعقول مع وارد النقل

انظر الطبقات، ص ٣٠٠.

(٦) الطبقات، ص ٢٩٩.

ونجد للحجاز أثر آخر غير مباشر، فقد جلب منها علماء السودان الكتب العربية والدينية، وأحد هؤلاء هو الشيخ عبدالرحمن ابن الشيخ صالح بان النقا الذى جمع من الكتب التى طلبها من الحجاز ومصر ست خزانات^(١).

– أثر العراق فى السودان وادى النيل:

اقترن دخول الطريقة القادرية، أكثر الطرق الصوفية انتشاراً فى السودان باسم تاج الدين البهارى البغدادى^(٢) الذى قدم السودان^(٣) فى نحو عام ٩٨٥هـ/١٥٧٧م من بغداد عن طريق الحجاز إثر دعوة من داود عبدالجليل التاجر السودانى^(٤) وقد قامت هذه الطريقة على يد الشيخ عبدالقادر الجيلانى (١٠٧٧ – ١١٦٦م) ومن ثم دخلت إفريقيا فى القرن الخامس عشر^(٥). ومن ثم أخذت القادرية تزدهر فى السودان وادى النيل حتى صارت مقصد غالبية السكان^(٦).

(١) الطبقات، ص ٢٩١.

(٢) نسبة إلى بغداد الذى ولد فيها. واسمه محمد البهارى. لعل فى تفسير كاتب الطبقات شىء من عدم الدقة وهو نوع من التفسيرات مازال غالباً فى شرم معانى أسماء الأماكن والأعلام. وينسبه عبدالعزيز عبدالمجيد (التربية: ٦٧/١) إلى مدينة ومقاطعة بهار فى ولاية البنجاب بالهند. وأسمها مشتق من بهار Vihara وقد فتحها المسلمون فى أواخر القرن الثانى عشر الميلادى، وقد اشتهرت تلك المدينة بعدد من العلماء ممن ترعرعوا فى كنف دولة المغول وينسبها الشاطر بصيلى (مخطوطة كاتب الشونة هامش ص ٥) إلى البهرة بالهند. وقد فضل حسن الفاتح قريب الله: (التصوف فى السودان: ٨٧ – ٩٤) موضعاً آخر وحجته أن بهار الهندية ربما كانت بعيدة عن بغداد موطن عبدالقادر الجيلانى ومهد طريقته التى كتب لها الأزدهار فى السودان، كما أن النسبة إلى البهرة بهرى وليس بهارى. ويرجع الأستاذ حسن أن نسبته إلى بهار بلدة بالقرب من كرمان فى فارس وإليها تنسب قبيلة بهار واحدة من قبائل التركمان التى لعبت دوراً هاماً فى الحركة الصوفية.

(٣) الإشارة هنا إلى الجزء الشرقى من بلاد السودان التى تمتد من البحر الأحمر حتى المحيط الهندى وتشمل الجزء الجنوبى من الصحراء الكبرى وتحد من الجنوب بالغابات الاستوائية.

(٤) C.F. MacMichael: Op. Cit., Vol. 2, P. 283.

(٥) يرجع حسن الفاتح تاريخ قدوم تاج الدين البهارى فى سنة ٩٧٤هـ/١٥٦٦م انظر التصوف فى السودان، ص ٩٤ – ١٠١.

(٦) الطبقات: ٤٩ – ١٠٨، ٧٠ – ١٠٩، ١٢٧، ١٣٣ – ١٤٨، ٢٥٠، ٢٥١، ٣١٦، ٣٢٢، مخطوط تاريخ مختص بأرض النوبة، ورقة ٢٠، عبدالقادر محمود: الفكر الصوفى فى السودان، ص ٥١، وأيضاً: الطوائف الصوفية فى السودان، ص ٦، محمد إبراهيم أبو سليم: دور العلماء فى نشر الإسلام فى السودان، الخرطوم ١٩٧٢، ص ٧١.

– أثر المغرب والأندلس :

كان معظم علماء المغرب الذين تقاطروا على السودان الشرقي يدينون بالمذهب المالكي^(١). وربما كان تفضيل السودانيين للمذهب المالكي يعزى إلى أن طبيعة ذلك المذهب تناسب حياة البداوة الغالبة على السودان الشرقي^(٢).

ومن أشهر علماء المغرب الذين أثروا الحياة الدينية في السودان التلمساني المغربي^(٣) الذي قدم مع الشيخ محمد بن عيسى سوار الذهب^(٤)، فكان له أثر في انتشار التجويد، والخط العربي وقراءة ورش في كل من دنقلا وكردفان ودارفور^(٥).

كذلك وفد من العلماء الذين يرجعون بأصولهم إلى المغرب والأندلس عبد الكافي المغربي^(٦) الذي وفد على الشيخ إدريس بن الأرياب وعلمه التصوف^(٧) وكذلك سعد بن شوشاي^(٨) واللبدي^(٩).

وللأندلس أثر آخر غير مباشر في ثقافة السودان وادي النيل^(١٠) يتمثل في آثار لغوية وفكرية؛ ويرى الدكتور عبد المجيد عابدين أنها جاءت عن طريق مصر وشمال إفريقيا، لأن الفكر الإسلامي كان قد انتشر في جهات البحر المتوسط قبل أن يشق

(١) انظر: الطبقات، ص ٤١.. P.11. Y. F. Hasan: Sudan in Africa.

(٢) يوسف فضل: مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية، ص ١٢١.

(٣) انظر الطبقات، ص ٤١، مخطوطة: تاريخ مختص بأرض النوبة ورقة ٢٠، ٢١.

(٤) انظر الطبقات، ص ٣٤٧، تاريخ مختص بأرض النوبة، ورقة ٢١.

(٥) انظر الطبقات: ص ٤١، ١١٠.

(٦) الطبقات، ص ٤١، مخطوط تاريخ مختص بأرض النوبة، ص ٢٠.

(٧) انظر الطبقات، ص ٤٩، تاريخ مختص بأرض النوبة ورقة ٢٠، ٢١.

(٨) الطبقات، ص ٢٢٢.

(٩) نسبة إلى اللبدة (وتعرف أيضا باللبادة) وهي عبارة عن وسادة محشوة بالصوف أو القطن، وتوضع على الدابة وتحت السرج لتقيها وطأ الحمل. انظر: هامش الطبقات، (١٣)، ص ٢٦٢.

(١٠) شهدت نهاية القرن الخامس عشر الميلادي نهاية دولة الأندلس بسقوط غرناطة على يد الأسبان في سنة ١٤٩٢م. وقد تلا ذلك نزوح الأندلسيين إلى الشرق وتدفعهم في موجات على امتداد القرن السادس عشر وقد أخذ الأندلسيون معهم في نزوحهم للشرق علومهم وفنونهم وآدابهم وخبراتهم انظر: عبد المنعم ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، القاهرة، ط الثالثة، ١٩٧٣م، ص ٣٧٨، عثمان العكاك: مراكز الثقافة في المغرب، القاهرة ١٩٥٨م، ص ٣٥؛ لوثر ب ستوارد: حاضر العالم الإسلامي، ترجمة عجاج نهويهيض، ج ٢، ط ٣، بيروت ١٩٧١م، ص ٢٣؛ يحيى محمد إبراهيم: مرجع سابق، ص ٤١.

طريقه إلى السودان وادى النيل بزمان طويل، وأن الأندلس والجزر القريبة من حوض البحر الأبيض المتوسط، كانت مراكز إشعاع للقارة الإفريقية^(١).

ومن العلماء الذين تركوا أثراً غير مباشر أبو الحسن الششتري^(٢) (Shashtary) الذى يقول عنه عبدالمجيد عابدين: «أن صوفية السودان وادى النيل كإخوانهم فى مصر وشمال إفريقيا، توارثوا خلفاً عن سلف طريقة الزجل التى ابتدعها الششتري، وصاغوا أزجالهم على غرارها، كذلك فإن المدائح النبوية فى السودان إلى يومنا هذا لم تخل من تأثير الزجل الصوفى سواء فى الشكل أو المضمون^(٣)».

ومن هؤلاء محبى الدين بن عربى^(٤) الذى اشتهر من كتبه فى السودان وادى النيل «الفتوحات المكية» و«عنقاء مغرب». وقد ظل أثره محصوراً بين بعض الخاصة، ولم نر من ترسم خطاه فى بناء فلسفة صوفية متكاملة، ولم نجد سوى أفكار متفرقة، وعبارات مستمدة من آرائه وطرائق تعبيره^(٥).

(١) من مصادر الثقافة العربية فى السودان، بحث مقدم للمؤتمر العالمى للغات والآداب بجامعة الخرطوم، ديسمبر ١٩٦٨، ص ١.

(٢) على بن عبدالله الششتري النميرى: كان موجوداً للقرآن، عارفاً بمعانيه، له تأليف منها: «العرى الوثقى فى بيان السنة»، والمقالات الوجدية فى أسرار الصوفية، والرسالة القدسية، وغيرها وله ديوان مشهور انظر: الزركلى: الإعلام، بيروت ١٩٧٤، ج ٥، ص ١٢٠.

(٣) انظر: عبدالمجيد عابدين: تاريخ الثقافة العربية فى السودان، ص ٢٠.

(٤) هو محمد بن على بن محمد بن أحمد بن عبدالله الحانمى من قبيلة طى، يكنى أبا بكر، ويلقب بمحبى الدين، ويعرف بالحانمى وبابن عربى لدى أهل المشرق تمييزاً بينه وبين القاضى أبى بكر بن العربى، وبابن العربى لدى المغاربة، وكما يسمى هو نفسه فى كتبه، ويعرف فى الأندلس بابن سراقفة، كان مولده عام ٥٦٠ هـ مرسية وهو من أسرة عريقة فى العلم والتقوى، وهو صوفى نادى بوحدة الوجود، وامتألت حياة محبى الدين بالأسفار، رحل من الأندلس إلى المغرب فى مطلع عام ٥٩٠ هـ، ورحل إلى مصر عام ٥٩٧ هـ، وحج بيت الله الحرام، وطاف ببغداد والشام، وكانت وفاته فى الصالحية بالقرب من دمشق عام ٦٣٨ هـ، يقول الشعرانى عنه فى اليواقيت والجواهر أنه ألف أربعمائة كتاب. انظر لمزيد من الدراسة:

Osman Yahia: Histoire et classification de L'Oeuvre L'Ibn Arabi - Etude er-irique Institut Francais de Damas 1944, Ouvrage Publié Par Le Concours du Centre National de La Recherche. Scientifique Tome 1, et 11; وانظر أيضاً: يحيى هويدى: تاريخ فلسفة الإسلام فى القاهرة الإفريقية، ج ١، ص ٣١٦؛ محمد إبراهيم أبوسليم: الحركة الفكرية فى المهديّة، الخرطوم ١٩٧٠، ص ٢؛ يحيى محمد إبراهيم: مرجع سابق، ص ٤٣.

(٥) محمد إبراهيم أبوسليم: مرجع سابق، ص ٢ وما بعدها.

وهناك عالم آخر وهو الأخضرى^(١)، انتشرت مؤلفاته في السودان وادى النيل ودار الوثائق المركزية نسخ خطية عبارة عن شروح على مختصره، وكذلك لعبد الواحد بن عاشر له كتاب «المرشد المعين على الضرورى من علوم الدين»^(٢).

— الطرق الصوفية:

إن ذا النون المصرى هو أول من وضع الأسس الأولى للصوفية في تاريخ الحياة الروحية الإسلامية^(٣)، «وقد كان ذو النون أوحده وقتة علماً وورعاً وأدباً»^(٤).

ولم يقتصر نشاط ذى النون على وضع أسس علم التصوف، بل كانت له علوم ومعارف أخرى، فقد ألحقه القفطى «بطبقة جابر بن حيان في انتحال صناعة الكيمياء، وتقلد علم الباطن والإشراف على كثير من علوم الفلسفة»^(٥).

وهكذا كانت لذى النون مكانة مرموقة في عالم التصوف، وكان له أتباع ومريدين ساهموا في قيام حركة صوفية قوية بمصر^(٦) والنوبة^(٧).

على أن الصوفية قد دخلت السودان قبل عصر الممالك والمشيخات الإسلامية التي ظهرت على أثر انهيار ممالك النوبة، وذلك لأن كثير من العرب المهاجرين

(١) لغوى وفقه جزائرى من أهل بسكرة، ولد في عام ٩١٨هـ/١٥١٢م له «شرح المسلم» و«الجواهر المكنون» و«الدرة البيضاء» و«حاشى وشروح على الصبان والباجورى». انظر الزركلى: الاعلام، ج٤، ص١٠٨.

(٢) نشأ بفاس وتوفى بها، له «الكافي في القرآن»، و«مورد الظمان في رسم القرآن»، و«شرح مختصر خليل، سركيس: معجم المطبوعات، القاهرة ١٩٢٨، ج٦، ص٢٠٥؛ الزركلى: الاعلام، ج٤، ص٣٢٣.

(٣) نيكلسون: في التصوف الإسلامى وتاريخه: القاهرة ١٩٥٦م، ص١١٢.

(٤) السيوطى: حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، ٢٣٢٧هـ، ج١، ص٢١٨؛ حول أصله ونسبه هو ذو النون المصرى الأخمىمى - أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم وقيل الفيض بن إبراهيم المصرى - وكان أبوه إبراهيم عبداً نوبيا. انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج١، ص٣١٥، ٣١٦؛ ابن الجوزى: تنوير الغيش، ص٢٢٨؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج١، ق١، ص١٥٣.

(٥) القفطى: أخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص١٨٥ - ولمزيد من التفاصيل عن أحواله ومقاماته انظر: الشعرانى: الطبقات الكبرى المسماة «بلواقيح الأنوار في طبقات الأخبار»، القاهرة ١٢٩٦هـ، ج١، ص٧٠، ١٤٩؛ السمعانى: أنساب العرب، ليدن ١٩١٢، ص٣٢٤، ٣٢٥؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج٢، ص٣٢٠، ٣٢١.

(٦) المسلمى: طبقات الصوفية، ط الأولى، دار الكتاب العربى، مكتبة الخانجى بمصر، ١٩٥٣، ص٦٧؛ محمد كامل حسين: أدب مصر الإسلامية، عصر الولاة، دار الفكر العربى بدون، ص٦٦.

(٧) عن صوفية القرن الرابع الهجرى انظر: ابن الجوزى: تنوير الغيش، ص٢٥٩.

في تلك الحقبة حملوا معهم صوفيتهم^(١) وفي هذا يقول الدكتور عثمان سيد أحمد: «أن الصوفية قد دخلت السودان، بصورة أو بأخرى، مع دخول الإسلام فيه^(٢)».

وهناك رواية مؤداها أن الشيخ حمد أبو دنانة، صهر عبدالله بن محمد بن سليمان الجزولي مؤسس الطريقة الشاذلية بالمغرب^(٣) قد قدم للسودان في القرن الخامس عشر واستقر في سقادي غرب^(٤) الواقعة غرب المحمية فإذا صدقت هذه الرواية تكون الشاذلية أول الطرق الصوفية انتشرا في السودان^(٥).

والثابت أن أول طريقة صوفية دخلت السودان هي القادرية الجيلانية التي قامت على يد الشيخ عبدالقادر الجيلاني (١٠٧٧ - ١١٦٦ م) في القرن الثاني عشر الميلادي^(٦). ثم دخلت إفريقيا في القرن الخامس عشر^(٧)، وحوالي سنة ٩٥٢ هـ/ ١٥٤٥ م جاء تاج الدين البهاري البغدادي الصوفي القادري خليفة الشيخ عبدالقادر الجيلاني من مكة حيث كان حاجا، وأدخل القادرية في السودان وادي النيل^(٨). ومن

(١) انظر: مخطوطة: تاريخ مختص بأرض النوبة ورقة ٢٠، ٢١، عبدالمجيد عابدين: تاريخ الثقافة العربية، ص ٦٣؛ عباس محمود العقاد: الطرق الصوفية، مجلة الكتاب، عدد يوليو ١٩٥٣، ص ٧٩٣.

(٢) د. عثمان سيد أحمد إسماعيل «الختمية والأنصار»؛ السودان ١٩٧٠، ص ١٦.

(٣) Y.F. Hasan: External Islamic influences and the Progress of Islamization in the Eastern Sudan, P.8.

مقدمة الطبقات، ص ٣.

(٤) سقادي هي قرية من قرى الجميلين على بعد كيلومتر جنوب محطة المحمية وتقع على خط عرض ١٧,٠٦ شمالا وخط طول ٣٣,٤٠ شرقا، ويسكنها من فروع الجميلين: مكابر، عمراب، عكالي، شهاداب، كما يسكنها فادنية ومغارية. انظر هامش الطبقات، ص ١٤٨، حاشية (٨).

(5) C.F. Trimingham: Islam in the Sudan, P. 223 FF.;

وانظر كذلك: حسن محمد الفاتح قريب الله: التصوف في السودان إلى نهاية عصر الفونج، رسالة ماجستير، جامعة الخرطوم، كلية الآداب، شعبة اللغة العربية ١٩٦٥، ص ٢١٣، يحيى محمد إبراهيم، التعليم الديني، ص ٥٣، ٥٤.

(٦) انظر: الطبقات، ص ١٢٧، وجاء في ترجمة عبدالقادر الجيلي بن الشيخ عبدالحمود بن الشيخ نور الدائم بن الشيخ أحمد الطيب بن البشير بن مالك بن محمد بن سرور بن الحاج غنادة بن سرور ينتمي إلى قبيلة حمير اليمينية. انظر: الشيخ عبدالحمود بن الشيخ الجيلي: عبدالقادر الجيلي، ج ١، الخرطوم، بدون، ص ٤٩.

(٧) انظر: ارنولد: الدعوة، ص ٢٧٧؛ عبدالمجيد عابدين: تاريخ الثقافة، ص ٦٦.

(٨) مخطوطة: تاريخ مختص بأرض النوبة، ورقة ٢١، الطبقات، ص ١٢٧؛ مخطوطة كاتب الشونة، ص ٥، يحيى محمد إبراهيم: التعليم، ص ٥١؛ Y.F. Hasan: Op. Cit., P.8 FF. عبدالعزيز عبدالحميد، التربية، ج ١، ص ٦٧.

ثم أخذت القادرية تزدهر فى هذه البلاد حتى اعتنقها الكثيرون^(١).

أما الطريقة الصوفية الثانية فى السودان فهى الشاذلية التى تنسب إلى الإمام أبى الحسن الشاذلى المولود فى تونس عام ٥٩٣هـ / ١١٩٦م، والمتوفى بجميثرء فى صحراء عيذاب سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م^(٢)، وهو العالم الفقيه الصوفى السنى الذى يعتبر الامتداد السليم لمدرسة الإمام الغزالى^(٣).

وقد انتشرت الطريقة الشاذلية فى السودان وادى النيل على يد خوجلى بن عبدالرحمن بن إبراهيم^(٤) الذى جمع بين الطريقتين القادرية والشاذلية ثم تحولت الشاذلية من بعده إلى الشيخ حمد بن محمد المجذوب^(٥) إذ أسس بعد عودته من مكة فرعاً للشاذلية فى الدامر^(٦)، وسميت طريقته بالمجذوبية^(٧).

وتذهب روايات المجاذيب إلى أن جدهم الحاج عيسى هو أول من أخذ الطريقة

(١) طبقات ود ضيف الله: ٢٥٢، ٢٥٣.

(٢) انظر: الطبقات، ص ١١٤هـ، حسن الفاتح قريب الله: التصوف فى السودان، ص ٢١٣؛ يحيى محمد إبراهيم: التعليم، ص ٥٣، ٥٤.

(٣) عبدالقادر محمود: الفكر الصوفى فى السودان، دار الفكر العربى، ١٩٦٨، ص ٥٣.

(٤) نسبة إلى محمد كبانى بن عجم جد المحس. فهو خوجلى بن عبدالرحمن بن إبراهيم بن محمد بن حسب النبى بن فضل الله بن كرم الله ابن شكر بن سمرة بن عصفور بن سليمان بن محمد كبانى بن عجم. انظر: الصديق حضرة، ص ٤٩١. MacMichael: Op. Cit., Vol. 2, P.100 FF. يقول ود ضيف الله: وأخذ علم الكلام والتصوف من الفقير أرباب وتفقه فى خليل على الشيخ الزين ولد صغيرون، وهو ممن جمع بين التصوف والفقه... وسلك طريق القوم على الشيخ أحمد التنبكتاوى الفلاتى القطب الربانى القاطن بالحرم المدنى. انظر الطبقات، ص ١٩٠. C.F. Y.F. Hasan: External Islamic influences, P. 8. FF.

(٥) حمد بن المجذوب «حفظ الكتاب على الفقيه حمد بن الفقيه عبدالمجد وتفقه فى خليل والرسالة على الفقيه محمد بن مدنى بن محمد وعلى القرارى وعلم الكلام على الحاج سعد»، الطبقات، ص ٨٧، وأسرة المجاذيب من الأسر المشهورة بالعلم والصلاح، وهم جعليون ويدين لهم كثير من الجعليين بالولاء الروحى انظر: بوركهارت، رحلاته، ص ٢٣٦ - ٢٤٠، C.F. E.C.S. Lorimer: "the Magadhib of El-Damer" S. N.R., XIX, ٢٤٠ - ٢٣٦، 1936, P. 335 - 64.

هناك مجموعة كاملة من الوثائق الخاصة بالسادة المجاذيب «متنوعات» دار الوثائق المركزية بالخرطوم.

(٦) انظر: طبقات ود ضيف الله، ص ١٨٧، ١٨٨، عبدالمجيد عابدين: تاريخ الثقافة العربية فى السودان، ص ٦٧، Trimingham: P. 196 - 225.

(٧) طبقات ود ضيف الله: ٤٩ - ٧٠، ١٠٨ - ١٠٩، ١٣٣ - ١٤٨، ٢٥٠، ٢٥١، ٣١٦ - ٣٢٢.

القادرية عن البهاري، وظل هو وابنه وحفيده وغيرهم على القادرية حتى ظهر حمد بن محمد المجذوب فتحول إلى الشاذلية^(١).

وقيل أن أول من «أوقد نار» الشيخ عبدالقادر الجيلاني^(٢) أي أحيا القادرية ونشرها، هو الشيخ إدريس ود الأرياب^(٣) (١٥٠٧ - ١٦٥١ م) الذي يروى أنه أخذها بمدد من الرسول «صلعم»^(٤)، أو من شيخ يدعى عبدالكافي قدم عليه «بالخطوة» من المغرب^(٥)، وربما كانت الرواية هي الأقرب للصواب لصلة الصوفية بالمغرب. وحول محمد الهميم، وبان النقا الضرير وعبدالله العركي وأحفادهم الصادق، واليعقوباب والعركيين وغيرهم من المشايخ كالشيخ إدريس ود الأرياب وحسن ود حسونة أزدهرت الطريقة القادرية^(٦).

تركز سعي أوائل المتصوفين الوافدين إلى السودان في بذر وتعهيد مبادئ العقيدة الإسلامية مع الأخذ بمبدأ التبسيط والتيسير. وكان المتصوفون يعتمدون في تحقيق مرامهم على ما يتمتعون به من علم وخلق ديني وورع وزهد وسلطان روي^(٧).

(١) رواية الشيخ مجذوب جلال الدين. نقلا عن بشير حميده كركو: المجاذيب، ص ٨٨، محمد المجذوب بن محمد جلال الدين: كتاب الواردات الوهبية في أورد الطريقة المجذوبية، مطبعة الشبكي بالأزهر، ص ٢٢.

(٢) عبدالقادر الجيلاني (أو الجيلي) محيي الدين أبو محمد أبي صالح (٤٧٠ - ٥٦١ هـ / ١٠٧٧ - ١١٦٦ م) الفقيه الحنفي، الواعظ، الصوفي مؤسس الطريقة القادرية. ولد نيف في جيلان من بلاد فارس نشأ وتعلم في بغداد وبها توفي. ويروى أنه من ذرية الحسن بن علي. انظر: الشعراني: الطبقات الكبرى، ج ١، ص ١٢٦ - ١٣٢، الطبقات، ص ٥٦.

(٣) انظر: الطبقات، ص ٤٩ مخطوط: تاريخ مختص بأرض النوبة، ورقة ٢٠، ٢١.

(٤) الطبقات، ص ٥٦.

(٥) الطبقات: ص ٢٥٢، ٢٥٣.

(٦) يروى أن تاج الدين قبل أن يغادر السودان إلى الحجاز قلد بان النقا هذا شعار الرئاسة عند الفونج، وهو الطاقية والكر (الكرسي) ولا يزال هذا الشعار لدى خليفة اليعقوباب انظر: الطبقات ص ٤١، ٢٥٢، ٢٥٣، عبدالمجيد عابدين: الثقافة العربية ص ٦٦ حاشية (٦).

(٧) يبدو لي أنهم سعي إلى نشر التعاليم الدينية بالتلقين وباستعمال الطبول والترانيم في الأناكار الصوفية بحببوا كثيرا من العامة إلى طرقهم، محمد صالح محيي الدين: علاقات السودان الثقافية بالمغرب العربي في العهد الفونجي، المجلة الإسلامية، الرياض، المملكة المغربية، العدد الثاني ١٩٧٥ م، ص ٤٦ - ٥٠.

ولقرب هؤلاء المشايخ من نفوس من حولهم كان انتشار الإسلام على أيديهم أوسع نطاقاً إلا أنه كان مشوباً بكثير من الشعوذة والخرافة فالتف المريدون حول مشايخهم فى مساندة بعيدة المدى بلغت حد إصفاء خوارق الأعمال عليهم، كما جاءت فى «طبقات ود ضيف الله»^(١).

لم يقتصر الإيمان بكرامات الأولياء على عامة الناس إنما انسحب أثره على الملوك والسلاطين أيضاً فأضحوا لا يقدمون على عمل شيء إلا بعد استشارة الأولياء^(٢) وكثيراً ما ترد عبارة «وكانت لا ترد له شفاعه» فى معظم تراجم الأولياء التى ذكرها ود ضيف الله^(٣).

وبرغم أن بعض الفقهاء لم يكونوا ليحسنوا الظن بالمتصوفين. إلا أنهم بدأوا يترسمون خطاهم بعد أن شاهدوا ما حققه رجال الصوفية فكان أن جمع العلماء بين علمى الظاهر والباطن، ونجد فى سيرة الشيخ دفع الله بن الشيخ أبى إدريس والشيخ مصى بن مدنى والشيخ شرف الدين بن على ود برى أبلغ دليل على ذلك^(٤).

والحق نقول أن وظيفة كل من الشيخ الصوفى والفقهاء العالم لم تكن منفصلة للحد الذى أوضحته سابقاً، بل لعله من العسير جداً أن نفرق بين الوظيفتين. ويتضح التلاحم بين الوظيفتين فى الاستعمال المحلى إذ تعنى كلمة «فكى» فقيه، وتجمع «فقراء» أى فقهاء. وترمز كلمة فقير إلى الصوفى، وتجمع فقراء أى متصوفة^(٥) وبذلك صارت كلمة الفكى تشير دون تمييز إلى الفقيه الصوفى. ومرد ذلك كله أن الفقهاء جمعوا بين علمى الظاهر والباطن، وصاروا يعلمون النشء مبادئ الفقه كما «يسلكون» الكبار فى طريق القوم فى الخلوة. ومن ثم جمعت الخلوة بين الوظيفتين التعبدية والتعليمية بعد

(١) انظر: كرامات الأولياء: طبقات ود ضيف الله. الترجمة: ٢٠، ١٧٥، ٦٦، ٩٤؛ يوسف فضل: مقدمة فى تاريخ الممالك الإسلامية، ص ١٢٦، ١٢٧.

(٢) انظر: مخطوط: واضح البيان فى تاريخ العبدلاب، ورقة ٣، ٤.

(٣) انظر: طبقات ود ضيف الله: ١١، ٢٠٢، ٢٠٣؛ يوسف فضل: المقدمة ص ١٢٨؛ وأيضاً:

C.F. Y.F. Hasan: Islamic external influences, P. 76 - 77.

(٤) انظر: طبقات ود ضيف الله: صفحات ٢٠٥ - ٢٠٧، ٢٢٨، ٢٣٢؛ محمد المكى إبراهيم: الفكر السودانى: أصوله وتطوره، ط الثانية ١٩٨٩، الخرطوم، ص ١٨ - ٢٠.

(٥) انظر: الطبقات، ص ٤٧، حاشية (١٥) من نفس الصفحة.

أن جمع الشيخ الواحد بين وظيفة الفقيه والفقير فصار «فكياً» بل صارت الخلوة وهي محور نشاط الفكي مركزاً للإشعاع الروحي والثقافي والاجتماعي في سائر القرى^(١).

وخلاصة القول فإن المرحلة الثانية لنشر مفاهيم العقيدة الإسلامية وتعميقها جاءت، بعد اكتمال موجة الهجرات العربية، على يد العلماء والمتصوفة الذين اسهموا بما لديهم رغم محدودية محصولهم الثقافي والفكري فقد كان عطاؤهم على قلاته سخياً. أما التصوف قد كان له صدى واسع في نفوس عامة السودانين وتشهد على ذلك الأضرحة والقباب المنتشرة على شواطئ النيل خاصة في مشيخة العبدلاب^(٢).

ويرى الدكتور يوسف فضل أنه «قد التقت تعاليم الفقه الإسلامي النظرية والجوانب العملية من التصوف مع الموروث المسيحي والوثني على بساط واحد دون صراع يذكر، الشيء الذي يعكس نوعاً من التسامح والتراخي مازال موجوداً بين سائر السودانين^(٣)».

(١) انظر: طبقات ود ضيف الله: ص ١١ - ١٣، ٣٤١؛ يوسف فضل: مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية، ص ١٢٩؛ عبدالمجيد عابدين: مرجع سابق، ص ٦٥؛ محمد صالح محيي الدين: مرجع سابق، ص ٥٢، ٥٣، ارنولد: الدعوة ص ٩٩، ١٠٠.

(٢) انظر: ملحق الدراسة. بعض نماذج من القباب المنتشرة في السودان وادي النيل.

- قبة الشيخ إدريس ود الأرياب بالعيلفون. شكل رقم (١/٩).

- قبة الشيخ النجمي بن الشيخ حمد ولد إدريس شكل رقم (٢/٩).

عن طبقات ود ضيف الله.

(٣) يوسف فضل: مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية في السودان الشرقي، ص ١٢٩.

ثانيا: أشهر المراكز الثقافية فى السودان وإسهامها فى الإنتاج العلمى:

عرف السودان وادى النيل المساجد^(١) قبل أن يعرف الخلاوى^(٢)، وكانت هذه المساجد أماكن للعبادة والوعظ والإرشاد^(٣).

وتعتبر المساجد من أهم مرافق المدينة الإسلامية، وأهم ما تتمثل فيها العمارة العربية، فقد حرص المسلمون على بناء المساجد الجامعة عند إنشائهم المدن^(٤).

وفى السودان اهتم الرعيل الأوائل من العلماء بإنشاء المساجد لنشر تعاليم الإسلام فاهتم بعضهم بتدريس القرآن وحده فيها، وركز آخرون على تعليم الفقه بينما جمعت بعض المساجد بين المنهجين^(٥).

– مدارس المساجد:

عرف السودان المدارس الممثلة فى مساجده التى كانت فوق وظيفتها الأساسية

(١) المسجد: هو الموضع الذى يسجد فيه. قال الزجاج. كل موقع يتعبد فيه فهدر مسجد، والجامع نعت للمسجد، وإنما نعت بذلك لأنه علامة الاجتماع وما كانوا فى الصدر الأول يفردون كلمة الجامع، وإنما كانوا تارة يقتصرون على كلمة المسجد، وطورا يضيفونها إلى الصفة فيقولون المسجد الجامع أو مسجد الجامع، ويطلق هذا الاسم عادة على المسجد الكبير لأنه مكان اجتماع الناس انظر: المقرئى: الخطط، ج٢، ص٤٠٨.

(٢) جاء فى نص معاهدة البقط كما ورد عند المقرئى: ... وعليكم حفظ المسجد الذى ابتناه المسلمون بفناء مدينتكم ولا تمنعوا منه مصليا ولا تعرضوا لمسلم قصده أو جاوره إلى أن ينصرف عنه، وعليكم كنسه وإسراجه وتكرمه، الخطط، ج١، ص٢٠٠.

C.F.: MacMichael: Op. Cit., PP. 157 -158.

ويرى ابن فضل الله العمري أن مسجد دنقلا كان مسجداً جامعاً، وكان مأوى للغرباء، ويحظى بعناية ملكها الذى كان يبعث برسلة إلى هؤلاء الغرباء ويستدعيهم إليه، فإذا جاءوا أضافهم ووهبهم وأكرمهم هو وأمرأوه. انظر: مسالك الأبصار ج٢، رقم ٥٥١ معارف عامة، دار الكتب المصرية، ص٤٩٢. وعن مسجد دنقلا العجوز- C.F. Crawfoot, J.W.: Christian Nubia, J.E.A. XIII, PP. 144 - 154; Somers Clarke, Christian Antiquities in the Nile Vialley, P. 44; Michalowski, Fouilles Polonaises a Dongola, Nubische Kunst, P. 165.

(٣) المعتصم أحمد الحاج: الخلاوى فى السودان، نظمها ورسومها، رسالة ماجستير كلية الآداب، جامعة الخرطوم (غير منشورة) إشراف بشير إبراهيم بشير ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص٧٦، ٧٧.

(٤) على حسن الخربوطلى: الحضارة العربية الإسلامية، القاهرة ١٩٦٢، ص١٥٠.

(٥) بواكير الدعوة الإسلامية، الطبقات، ص ١٢، ١٣.

مكانا لتدريس العلم^(١)، هذا بالإضافة إلى المساكن الداخلة، ورواتب الطلبة والمدرسين^(٢).

ويطلق ود ضيف الله أحيانا كلمة مدرسة على مكان اجتماع الطلبة لدراسة العلم في أى جزء من المسجد، كما يشير أحيانا إلى عدد الطلبة فيقول: «وكانت له مدرسة عظيمة في خليل^(٣)». واستثناء على ذلك سوف نطلق كلمة مدارس على المساجد التي أتخذها مؤسسوها أماكن للتدريس بجانب وظائفها الأخرى.

– مدرسة أولاد جابر. (بلاد الشايقية):

ذكر ود ضيف الله. أولاد جابر فقال: «وأولاد جابر الأربعة كالطبايع الأربعة كل واحد له خاصية: أعلمهم إبراهيم، وأصلحهم عبدالرحمن، وأورعهم إسماعيل، وأعبدتهم عبدالرحيم، وأختهم فاطمة بن جابر نظيرتهم في العلم والدين^(٤)».

وقد ولد أشهر الأخوة وهو إبراهيم بدار الشايقية، ثم رحل إلى الأزهر، وهناك درس على الشيخ محمد البنوفرى الفقه والأصول، وعندما عاد إلى بلاده درس

(١) سوف نطلق كلمة مدرسة على مسجد العلم، وذلك لما بينهما من تشابه وتداخل في وظيفتهما. فالمدرسة مكان للدرس، والمسجد مكان للصلاة والعبادة ومقرًا للدراسة. ويفرق البعض فيرى أن للمدرسة خواصًا، منها وجود الإيوان الذى يعد أبرز مراقفها وأهمها. ومن خواصها أيضًا المساكن التى تبنى بالقرب منها ليعيش فيها الطلاب والمدرسون الذين ينتسبون إليها. ويرى البعض أنها المكان المشيد للتعليم خاصة، وللدخول فيه شروط معينة، وأن يرتب لمن فيه من الطلاب والمدرسين الرواتب الخاصة، وأن يكون مزودا بكل ما تحتاج إليه الدراسة من عدد الدروس والكتب والألواح والغرف. انظر: أحمد شلبى تاريخ التربية الإسلامية، ط الثانية القاهرة ١٩٦٠، ص ٩٦؛ أسماء فهمى: مبادئ التربية الإسلامية، القاهرة ١٩٤٨، ص ٢٣؛ محمد عبدالرحيم غنيمه: تاريخ الجامعات الإسلامية، مراكش ١٩٥٣، ص ١٠٨، ١٠٩.

(٢) انظر: بواكير الدعوة للطبقات، ص ١٢.

(٣) جاء فى ترجمة محمد بن مسلم المشهور بامة قوته: «أما مسلم أبوه خلقي من ناس ولد سيد واه قوته بنت آمنة فاطمة بنت جابر أخت الائمة الأربعة. وأخذ علم الفقه (خليل والرسالة من خاله الفقيه محمد بن التنقار). ومهر فيه حتى صار واحد زمانه وأذعنت له جميع علماء الجزيرة كأنه ابن عرفه، وله فى هذه الكتب باع طويل مادام موجوداً ما أحد من العلماء يدرس بحضرته ولا يفتى.. ويدرس خليل والرسالة والعقائد وابن عطاء الله وشراب القوم وكانت مدرسته فى القوز، انظر الطبقات، ص ٣٦٢، وعن القوز انظر: MacMichael: Op. Cit., Vol. 2, P. 302.

(٤) انظر: الطبقات: ص ٤٦، ص ٢٥١. مخطوطة: تاريخ مختص بأرض النوبة، ص ٢٠، ٢١، انظر تفاصيل اختلاف نسبهم فى مقال محمد محبوب مالك عن مخطوطة الطبقات، نشر بمجلة بوليس السودان، عدد الثالث، يوليو ١٩٦٦، ص ٣٠ - ٣٢، نكولز: الشايقية، ص ١٦، ١٧.

«الخليل» و«الرسالة»^(١)، لأربعين من تلامذته صاروا كلهم أولياء وأقطابا، منهم أخوه عبدالرحمن الذى درس «الفقه وسائر الفنون» بعد أخيه وبلغت ختماته فى «خليل» أربعين ختمة»^(٢).

ويشير ود ضيف الله إنه كان يقضى فى كل مسجد من مساجدهم الثلاثة فى كورتى والدفار ودار الشايقية أربعة أشهر، ويعتقد أن يكون قد أنفق جانباً من وقته فى اختيار اتباعه ومريديه، لأننا نرى له اهتماماً بالتصوف، «مزاولة وتأليف»^(٣).

ويتضح من اختيار هؤلاء العلماء أن كل واحد منهم تميز بخاصية كما وصفهم ود ضيف الله^(٤)، مما كان له أثره فى إرساء قواعد نهضة علمية زادت من أثرها قوتهم فى العلم، ودراستهم فى الأزهر، حتى انتشر المذهب المالكي عن طريقهم فى أجزاء من البلاد، وقد ضمت حلاقاتهم طلاباً فى أعمار ومستويات مختلفة، فبعضهم كانوا يدرسون الرسالة، وهؤلاء عادة هم المبتدئون وأما المتقدمون فكانوا يدرسون «الخليل»^(٥).

(١) تذكر مخطوطة: كتاب فى ذكر نسب غلام الله، ص ٢٠، ٢١، إنه عند قدومه من مصر وجد الناس فى فترة تدهور فى تعاليم الدين بسبب الحروب وقد جهل الناس آنذاك قواعد الشريعة، ولم يجدوا أحد بين ما يرثه الرجل والمرأة، ويوضح لهم أركان الإسلام فقام البولاد بذلك فسر منه ملك الشايقية وأعلن على الملوك أنه طلب ولد جابر لأجل أن يعلمهم الشريعة ولما بنى مسجده وضع فيه خمسة أعمدة حذو بقواعد الإسلام، وصار ملوك الشايقية يحضرون لاستماع الدروس والإرشادات التى كانت توجه إليهم من داخل هذا المسجد، ويلاحظ مدى التشابه بين هذه الرواية وبين رواية ود ضيف الله عن تعليم محمود العركى الناس العدة بعد قدومه من مصر.

(٢) انظر: الطبقات، ص ٢٥١، انظر مدرسة أولاد جابر على الخريطة شكل رقم (١٨) بملحق الدراسة.

(٣) انظر: ود ضيف الله: الطبقات، ص ٢٥١.

(٤) فتلميذه عبدالله العركى ولاء الشيخ عجيب القضاء فباشره بعفة ونزاهة، وكان له باع فى التوحيد. الطبقات: ص ٢٥٤؛ وعبدالرحمن النربوى تولى القضاء فى عهد الملك دكين ود نائل (تولى عرش سنار ٩٧٦هـ/١٥٦٩م)، وكان له معرفة فى علم القضاء وفصل الخصومات. الطبقات ص ٢٥٥؛ أما إسماعيل فقد مال إلى التصوف؛ ودرس الفقه على أخيه عبدالرحمن ثم جلس فى خلوته من بعده؛ وقد أجاره شيخه البنوفرى فى الفقه، واشتهر من تلاميذه الشيخ صغيرون الذى أجازه فى التدريس، وعبدالرحمن ولد حمدتو. الطبقات ص ٤٦، ص ٥٦؛ أما فاطمة فقد علمت عشرين إنساناً. الطبقات ص ٢٥٨.

(٥) انظر: الطبقات، ص ٢٥١ وما بعدها؛ محبوب زيادة: مرجع سابق ص ٥٥؛ يحيى محمد إبراهيم: التعليم الدينى، ص ١١٦؛ المعتصم أحمد الحاج: الخلاوى فى السودان، ص ٨٥، يوسف فضل: بواكير الدعوة «الطبقات» ص ١٢، ١٣، وأيضاً: External influences, P. 67 - 77.

وعن طريقة التدريس في هذه المدرسة تنقل لنا مخطوطة «كتاب في ذكر نسب غلام الله، أن إبراهيم البولاد كان يلجأ إلى طريقة علمية عند شرحه للدرس «فكان كلما تكلم عن ركن من أركان الإسلام يجلس في كل عمود من عمائد المسجد لتوضيح أركان الإسلام الخمسة من الشهادتين إلى حج بيت الله الحرام^(١)، وهي طريقة تتناسب مع قوم حديثي العهد بالإسلام وتعاليمه.

وبجانب مدرسة أولاد جابر شهدت بلاد الشايقية مدارس أخرى، بعضها اشتهرت بتدريس القرآن وأحكامه، وأخرى جمعت بينه وبين العلم، ومن النوع الأول مدرسة الحموياب^(٢)، الذين كانوا من الشهرة والسعة في العلم بحيث لا يقبلون في حلقاتهم إلا من يلمسون فيه القدرة على الاستيعاب^(٣).

وفي تنقاسي^(٤) ظهر الشيخ محمد بن عدلان^(٥) الذي درس علم الكلام والمنطق والأصول العربية بالمدينة المنورة، ومن ثم نقل هذه العلوم إلى بلاده ولم تكن هذه الكتب معهودة لهم من قبل^(٦).

وكان لمدرسة تنقاسي هذه عناية بالتصوف، ومؤسسها كان صاحب تآليف وشروحات انتفع بها أتباعه ومريديه^(٧).

(١) مخطوطة: في ذكر نسب غلام الله، ص ٢١، هذا وقد أمدت أثر أولاد جابر العلمي إلى ابن اختهم محمد صغيرون الذي سلك نفس الاتجاه حيث تفقه على أستاذهم البوفري، ثم جلس للتدريس بعده ابنه الزين الذي بلغ مكانة رفيعة في العلم انظر: الطبقات، ص ٧٣.

(٢) عبدالرحمن بن حمدتو الخطيب زعيم أسرة الحميتاب في دار الشايقية، ويسكنون بنوري وأم بكول، وبعضهم بمنطقة المناصير في أرض الزورة، وفي نادي بدار الرباطاب وفي الفجيجة وقندتو بديار الجعليين وفي الهلالية بالجزيرة والحميتاب من ذرية أبي بكر الصديق، ويلتقون مع الزنارخة في جدهم نجم، ولاختلاطهم بالشايقية كثيراً ما عدوا منهم انظر: الطبقات، حاشية رقم (٦). ص ٢٥٦.

(٣) ومن علماء هذه المدرسة مؤسسها الشيخ عبدالرحمن ولد حمدتو تلميذ البوفري، والشيخ حمد الأغبش، والشيخ إبراهيم الفرصى. انظر الطبقات: ص ٣٧، ٢٥٦.

(٤) قرية تقع شمال مروي على خطى ١٨، ٢٥ شمالاً و ٣١، ٤٧ شرقاً. الطبقات حاشية ٢١، ص ٣٥٨.

(٥) محمد بن عمران، أخذ علم الكلام والمنطق من المصوى بن المصرى ببندر شندى وشرح أم البراهين، شرحاً مفيداً انتفعت به الطلبة ودرسوا الكتب به «وهو» نحو عشر كراريس. ودرس بعد شيخه، وانتفعت به الطلبة. انظر:

الطبقات، ص ٣٥٨. C.F.: MacMichael: Op. Cit., Vol. 2, P. 256

(٦) انظر الطبقات، ص ٣٥٨، ص ٣٥٩.

(٧) المصدر نفسه، والصفحات.

ولهذا النوع من الاهتمام بالعلم ذاعت شهرة مدارس الشايقية، وصارت مراكز إشعاع دينى وعلمى، ومنها خرجت جماعات تحمل مشاعل العلم إلى دار الأبواب والجزيرة وغيرها^(١) وقد بقيت هذه المدارس كعبة يحج إليها طلاب العلم من كل أطراف السودان لأنهم كانوا يجدون أن أكثر العلوم الإسلامية يقوم بتدريسها أشهر العلماء، وهذا ما يقرره بوركهارت عندما يذكر أن العلوم الإسلامية ماعدا الرياضيات والفلك كانت تدرس فيها، وعلماءها كانوا يجدون احتراماً زائداً من المواطنين وبداخليتها طلاب من أماكن أخرى^(٢).

— مدرسة سوار الذهب .. «دنقلا»

هناك عوامل كثيرة ساهمت فى شهرة الشيخ محمد بن عيسى بن صالح الجعلى البديرى^(٣) المشهور بسوار الذهب، فهو ينتسب من جهة أمه إلى الشريف حمد أبى دنانة^(٤)، صهر الشيخ الجزولى مؤسس الطريقة الشاذلية، ووالده كان صاحب مدرسة مشهورة فى تدريس الخليل^(٥)، كما تتلمذ على أولاد جابر^(٦). وقد شهد له بالعلم والصلاح.

قرأ التوحيد والمنطق وعلوم القرآن على الشيخ محمد المصرى، وقد أخذ نفس العلوم مرة أخرى على التلمسانى المغربى الذى قدم عليه فى أول النصف الثانى من القرن العاشر الهجرى، وعلى يده انتشر علم التوحيد والتجويد فى جزيرة الفنج^(٧).

هكذا نرى أنه قد جمع بين العلم والتصوف، وبالتالى جمع بين التأثير المصرى، والتأثير المغربى، ولا غرو إذا رأينا نبوغ تلاميذه فى نفس العلوم التى اشتهر

(١) الطبقات: ص ٣٥٩.

(٢) رحلات بوركهارت: ص ٦٠، ٦١.

(٣) نسبة إلى قبيلة البديرية. انظر الطبقات، ص ٢٧٢.

(٤) تزعم الرويات أنه تقدم دار الابواب وسكن جهة المحمية فى القرن الخامس عشر الميلادى، وزوج احدى بناته للشيخ عيسى والد المترجم له، والثانية للشيخ عجيب العبد لابی.

MacMichel: Op. Cit., Vol. 2, P. 62, 64, 65, 70. Crawford: Op. Cit., P. 41.

(٥) الطبقات، ص ١٧، ٧٩، ٣٤٧.

(٦) الطبقات، ص ٢٧٢.

(٧) الطبقات، ص ٣٤٦، ٣٤٧.

بها^(١)، بالإضافة إلى مشاهير القضاة الذين بلغوا مكانة سامية^(٢).

- مدرسة بربر:

قدم الشيخ محمد بن علي بن قرم الكيماني المصري الشافعي إلى السودان وادي النيل «من أول ملك الفنج» ودخل سنار ثم توطن في بربر^(٣) وبنى له مسجداً صار مركزاً لتعليم الفقه الشافعي، ودرس فيه مشاهير العلماء منهم «الشيخ عبدالله العركي، والقاضي دشين الشافعي، والشيخ عبدالرحمن ولد حمدتو، والشيخ إبراهيم الفرصى، والشيخ جويده صاحب المنظومة والشيخ محمد المصري.. تلقى هؤلاء العلماء الفقه الشافعي، بجانب دراسة «المنهج» و«المنهاج» وكلاهما من كتب الشافعية التي كانت تدرس في حلقاتهم^(٤).

وتأسست في بربر مدرسة أخرى أنشأها الشيخ محمد المصري القناوى لتدريس الفقه والتوحيد والنحو وسائر العلوم الدينية، بجانب معرفته بأحكام القضاء^(٥).

- مدرسة الغبش:

تعود نشأة هذه المدرسة إلى الشيخ عبدالله البديري الدهمشي المعروف بالأغبش^(٦) استهل حياته العلمية بحفظ القرآن على يد الشيخ محمد عيسى سوار

(١) أخذ عليه التوحيد وقرأ عليه القرآن وأحكامه كل من عبدالله الأغبش والد الغبش، ونصرالله الترعى والد الفقيه ابو سميته شيخ ارجى، والفقيه عبدالرحمن بن أبوملاح والد الشيخ خوجلى وغيرهم. أنظر: الطبقات، ص ٤١، ٩٧، ٣٤٧.

(٢) أنظر: الطبقات: صفحات ١٢٥، ١٥٠، ١٨٣، ١٨٤، أنظر موقع المدرسة على شكل رقم (١٨) بملحق الدراسة.

(٣) الطبقات، ص ٣٥٣. خذا وقد أخذ محمد بن علي قرم الكيماني العلم من الخطيب الشربيني وهو (شمس الدين بن أحمد الشربيني من فقهاء الشافعية عاش في القاهرة في عام ٩٧٧هـ / ١٥٧٠م وله مؤلفات كثيرة منها السراج المنير أربعة مجلدات في تفسير القرآن الكريم ومغنى المحتاج أربعة أجزاء في شرح منهاج الطالبين للقناوى ومناسك الحج أنظر الزركلى، ج ٦، ص ٢٣٤.

(٤) أنظر بواكير الدعوة (الطبقات) ص ٥، الطبقات ص ٢٣٩، ٣٥٢. أنظر الخريطة شكل رقم (١٨).

(٥) أنظر: الطبقات، ص ١٠٠. يقول عنه إبراهيم عبدالدافع: «ومنهم المصري نزيل بربر... هو محمد القناوى الشهير بالمصري لكونه أخذ العلم من الشيخ سالم السنهورى والشيخ يوسف الزرقانى قدم بلاد الفنج أول النصف من القرن العاشر في زمن الشيخ عجيب ودخل بربر وأرجى وسنار، ووافقه سكنى بربر، ودرس فيها ساير العلوم وولى القضاء وباشر بعفة ونزاهة». أنظر طبقات ود ضيف الله الذيل والتكملة، حققه إبراهيم أبو سليم ويوسف فضل، الخرطوم ١٩٨٢م، ص ١١٧.

(٦) يرجع السبب في تسميته بالأغبش إلى أنه عندما كان تلميذاً عند أولاد جابر صلى بالناس الكسوف وقرأ فيها سورتي البقرة وآل عمران، فأنجالت الشمس فقال أحد ملوك الشايقية عندئذ، نعم أهل الغبشة فسار عليه اسم الأغبش. الطبقات ص ٢٧٩.

الذهب في دنقلا، ثم رحل إلى أولاد جابر في دار الشايقية لدراسة العلم، ثم عاد إلى بربر، وفيها أسس مدرسته التي تعاقب عليها أولاده وأحفاده بالتدريس.

ولهذه المدرسة فضل في ازدهار علوم القرآن وعلوم الدين، فمحمد الأغيش درس بعد أبيه عبدالله، وجمع بين العلم والعمل^(١)، وعبدالمجد حفظ القرآن على أبيه، ثم قرأ «مختصر خليل» على الشيخ الأعسر^(٢).

— مدرسة الدامر:

وصف بوركهارت مسجد المجازيب بالدامر بأنه كبير حسن البناء، يسنده عقود من الآجر، وأرضه مفروشة بالرمال الناعم، وإليه يأوى الغرباء لأداء الفريضة وتلقى العلم^(٣).

وقد شملت الدراسة علوم القرآن والفقه، ومحاضرات في التفسير والتوحيد حتى ذهب هولت إلى القول بأنها كانت أقرب ما تكون إلى جامعة إسلامية^(٤).

— مدرسة شندى:

قدم الشيخ المضوى المصرى بطلبته من بربر إلى شندى، وشرع في تدريس الرسالة والنحو وعلم الكلام والأصول والمنطق، وعمرت حلقة بالطلاب^(٥). ثم خلفه في التدريس تلميذه عبدالقادر البكارى الذى كان كأستاذه بارعاً في كثير من العلوم وشرح «أم البراهين» شرحاً مفيداً^(٦).

وأسس الفقيه محمد صغيرون جد الصغيروناب مركزاً دينياً في الفجيجة جنوب شندى، ثم تطورت الدراسة فيه على يد ابنه الزين الذى إمتد أثره إلى عدد كبير من الأبناء والأجداد والأحفاد^(٧).

(١) الطبقات، ص ١٥٣.

(٢) من علوم الدراسة انظر الطبقات ص ٢٧٩، ٢٨٠.

(٣) بوركهارت: رحلاته، ص ٢٠٦.

(٤) انظر: هولت: الأولياء والصالحون والمهدية في السودان. ط الثانية، بيروت ١٩٧١، ص ٢٥. وعن علوم الدراسة انظر الطبقات، ص ١٨٨؛ إبراهيم عبدالدافع: طبقات ود ضيف الله الذيل والتكملة، ص ١١٥. انظر: الخريطة شكل

رقم (١٨).

(٥) انظر: الطبقات: ص ١٠١ - ١٠٢.

(٦) الطبقات: ص ٢٦٨.

(٧) الطبقات: ص ٧٣، هولت: مرجع سابق، ص ١٩ - ٢٠.

- مدرسة الحلفاية:

أخذ البنداري منطقة الحلفاية مقراً لتدريس القرآن قبل قيام مملكة الفونج أو في مستهله، ذلك أن الشيخ إدريس ود الأرباب الذي دخل هذا المكتب كانت ولادته في سنة ٩١٢ هـ/ ١٥٠٧ م^(١) وإذا أفترضنا أن عمره كان سبع سنوات عندما دخل المكتب فإن هذا يؤكد ما ذكرناه عن وجوده قبل عهد الفونج أو في مستهله.

لقد شهدت منطقة الحلفاية بوادر الدعوة الدينية منذ وقت مبكر، وكان للضرير وأبناء عون أثر في ذلك^(٢).

- مسجد الحلفاية بين الهنونا ب والجموعية:

أشار ود ضيف الله إلى مسجد الحلفاية^(٣) واقتترانه بالشيخ موسى بن هنونة تلميذ الشيخ دفع الله العركي، الذي كان يحبه ويجله بحيث أسمت ابنته رية بنت موسى بن هنونة ولدها دفع الله بن محمد الكاهلي على شيخ أبيها دفع الله العركي^(٤). ويعتقد أن موسى ابن هنونة كان يتولى القيام على أمر مسجد الحلفاية كما يستدل من أخبار حمد بن حميد أن الذي جاء به الشيخ موسى بن هنونة للتدريس فيه^(٥).

ويؤكد الدكتور عبدالعزيز أمين عبدالمجيد أن موسى الجعلي هو نفسه موسى بن هنونة وأنه هو الذي كان يدرس القرآن، أولاً بالمسجد، وعلى هذا الرأي يكون حمد بن

(١) إبراهيم عبدالدافع: طبقات ود ضيف الله الذيل والتكملة، حققه محمد إبراهيم أبو سليم، يوسف فضل، معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم، سنة ١٩٨٢، ص ٢٩.

(٢) يبدو أن صلة الحلفاية بالصالحين والعلماء أقدم من ذلك بكثير كما يستشف من أخبار الشيخ إدريس بن الأرباب، وأخبار الضرير واللقير أبناء عون الله (أو غلام الله) المدفونين بجهة الصبابي. انظر: الطبقات ص ٧٢، الفحل، ص ١٠٨، عون الشريف، حلفاية الملوك، ص ١١٥، عبدالعزيز أمين عبدالمجيد، التربية، ج ١، ص ٥٩؛ وانظر أيضاً: الطبقات ص ١٤٩؛ انظر أيضاً ما سبق أن أوضحناه عن أبناء عون الله في هذا البحث. ص.

(٣) انظر: الطبقات، ص ٢١٠.

(٤) الطبقات، ص ٢١٠.

(٥) يقول ود ضيف الله عن حمد بن حميدان «قرأ على الشيخ دفع الله العركي، وقيل على الشيخ موسى الجعلي في مسجد الحلفاية، ومقرى أولاده، ويسمى عندهم شيخ العيال، فلما قدم بلده أعطاه الشيخ دفع الله العركي عبد الله ولده والأمين ولد بنته للاقراء (أي ليد رسمهم) وأذن له فدخل مسجد الحلفاية ودرس فيه وقرأ عليه أئمة صالحون.. وبعدهم ترك التدريس ثم جابه موسى وله هنونة للقراءة في المسجد ثانياً.. فمكث في المسجد للاقراء إلى أن توفاه الله. انظر: الطبقات، ص ١٥٣، ١٥٤.

حميدان من تلاميذه بمسجد الحلفاية، ولما ترك حمد التدريس بالمسجد جاء موسى بن هنوننة ليواصل التدريس ثانية^(١).

ولكن ما أورده صاحب الطبقات عن الفقيه إمام بن موسى الجعلى هذا تجعلهما شخصيتين مختلفتين وكلاهما مرتبط بمسجد الحلفاية؛ ويتضح من رواية الطبقات أن موسى الجعلى جموعى الأصل^(٢)، إذ تذكر الرواية أن عثمان ود حمد الشايقى أغار على دار الجموعية وسبى خدماً للفقيه إمام بن الفقيه موسى الجعلى فجاء إلى الفقيه محمد بن دوليب^(٣) وقال له: «أنا رجل جعلى بدورك ترد لى فرخاتى من عثمان، فذات يوم قام الفجر يقرأ القرآن وكان حسن الصوت ومجوداً فسأل عنه فقالوا له: الجموعى سيد الرقيق، فناده وقال له: إنت بتحفظ القرآن، قال له: أنا حافظ ومجود وأبوى كذلك، فلامه وقال له: تقول أنا جعلى، والله قال: إن أكرمكم عند الله أتقاكم. وما قال جعليكم، وأرسل إلى عثمان فرد عليه جواريه^(٤)».

(١) عبدالعزيز أمين، التربية فى السودان، ج١، ص ٩٢.

(٢) انظر: الطبقات، ص ٣٤٨، ص ٣٤٨، ٣٤٩.

(٣) كتب محمد بن محمد دوليب الطرف الثالث من مخطوط مهم يذكر مكايل ملخصاً له فى الجزء الثانى من تاريخ العرب فى السودان، ج٢، ص ١٩٧ - ٢١٢ وأصله محفوظ بدار الوثائق المركزية، والطرف الأول من الكتاب من تأليف غلام الله بن عايد وهو عن تاريخ الخليقة حتى العصر العباسى. والطرف الثانى منه من تأليف محمد دوليب الكبير، وقد أورد فيه روايات وحوادث تاريخية يكمل بها مؤلف غلام الله. أما الطرف الثالث والذى ألفه محمد دوليب الصغير فخاص بسكان السودان وقبائله، وقد عده مكايل أهم من الطرفين السابقين. انظر طبقات ود ضيف الله الذيل والتكملة، ص ١١٣.

(٤) انظر: الطبقات: ص ٣٤٨، ٣٤٩.

- مدرسة كترانج^(١):

يرجع تأسيس مسجد كترانج^(٢) إلى أوائل القرن العاشر الهجري والسادس عشر الميلادي^(٣) ففي ذلك التاريخ قدم الشيخ عيسى بن بشارة الأنصارى إلى كترانج بعد أن درس في الأزهر العلوم المعقولة والمنقولة، وبرع في المذهبين الشافعي والمالكي^(٤). وتذهب الروايات إلى أنه حين قدومه اتصل بقبيلة الجموعية، وتزوج

(١) انظر الخريطة بملحق الدراسة. (موقع قرية كترانج) شكل رقم (١٦) كترانج (بضم الكاف وسكون الناء والنون) هي إحدى قرى مديرية الخرطوم، وتقع على الشاطئ الشرقي من النيل الأزرق، وعن أصل اسمها يرجعه البعض إلى «قطر عنج» فهو أصل علم مركب تركيباً إضافياً، وأنه يحدد أنها كانت مسكناً من مساكن العنج، وتعليل آخر أن كلمة «كتره» بضم الكاف والفاء وسكون الزاء، تعني «مكاناً آخر» أو «جهة ما» أو نحو ذلك. أما رانج فهو اسم لأحد ملوك العنج، ومازال الناس بالقرية يذكرون هذا الأسم ويقولون أن «رانج» كان يسكن تلك المنطقة. ودليل ذلك أنه توجد الآن شمال القرية آثار تنسب إليه هي بقايا من «الطوب الأحمر» المتناثرة بكثرة والتي تشير إلى الحياة التي كانت تقوم هناك. وأهل القرية يسمون هذا الموضع «الضنيقية»، ويتضح مما تقدم أن التعليل الثاني لاسم تلك القرية، يعتمد على مركب إضافي هو «كترانج»، ونقول إن هذا المركب على ضوء هذا التعليل يعني «مكان رانج» أو «جهته» أو ناحيته مثلاً ثم حذفت إحدى الراءين للتخفيف، كما سكنت الناء لنفس السبب فصارت «كترانج» بضم الكاف وسكون الناء والنون وهذا التعليل الثاني هو الشائع عند أهل القرية دون سواه. انظر عز الدين الأمين: قرية كترانج وأثرها العلمي في السودان، معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية، ط الأولى ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م ص ٨؛ عبدالعزيز عبدالمجيد: التربية في السودان ج-٣، ص ١٨؛ وانظر كذلك آراء أخرى حول اسم كترانج.

(٢) لقد ظل أمر هذه المدرسة مجهولاً رغم الدور الذي قام به مؤسسها عيسى بن بشارة الأنصارى وأولاده وأحفاده لنشر العلم والدين. ويرجع السبب في ذلك إلى أن ود صنيف الله صاحب كتاب «الطبقات» في تراجم الأولياء والصالحين أغفل ذكر هذه الأسرة، حيث لم يترجم إلا للمضوى، وأغفل ذكر أحمد ود عيسى. وفي الآونة الأخيرة جمع محمد عبدالمجيد السراج في كتابه «إرشاد السارى لتراجم آل عيسى بن بشارة الأنصار» بعض مآثرهم اعتماداً على روايات الأحفاد. ومنذ سنوات اكتشف د. محمد إبراهيم أبوسليم ذبلاً للطبقات تضمن تراجم لبعض علماء كترانج لم يذكرهم ود صنيف الله، جاء مؤكداً لدور آل عيسى وتراثهم العلمي. انظر: قرية كترانج، ص ٨ وما بعدها.

(٣) انظر: محمد عبدالمجيد السراج: إرشاد السارى لتراجم آل عيسى بن بشارة الأنصارى، ص ٨، ١٥ - ١٨؛ كاتب الشونة ص ١٠٢ - ١٠٦؛ عز الدين الأمين: قرية كترانج، ص ١٣.

(٤) هو أحمد بن عيسى بن مضوى بن مدنى عبدالدائم بن عيسى بن بشارة الأنصارى الخزرجى، يقال أن جده عيسى بن بشارة ولد في المدينة المنورة ودرس في مصر على الشيخ زكريا الأنصارى ومحمد البونفري وقدم للسودان في القرن العاشر وتزوج بنت سليمان النارمك الجموعية، ثم استقر في كترانج، حيث يقيم جماعة من رفاة، وبني فيها مسجداً لتعليم العلوم الإسلامية وظل هذا المسجد يزدهر في كنف أحفاده، وقد ولد أحمد بكترانج سنة ١١٣٤هـ وصحب في مصر عدداً من أجلة العلماء أمثال أحمد الدرديرى وحسن الكفراوى، والشريف المرتضى الزبيدى وحصل منهم على عدد من الإجازات. وبعد عودته للسودان أخذ يدرس الفقه في مسجد كترانج، ثم انتقل إلى سنار، وتوفي ذى الحجة ١٢٤١هـ/ يوليو ١٨٣٥م. وقد رثاه السيد أحمد السلاوى والفقير إبراهيم عبدالدافع انظر: إرشاد السارى: ص ٨، ١٥ - ١٨؛ كاتب الشونة، ١٠٢ - ١٠٦؛ قرية كترانج، ص ١٣٠.

بنت ملكها، ثم رحل لجهة كترانج فأسس مسجده هناك، وحوله بنيت الحلة القائمة الآن^(١).

إذا فقد كان معاصراً للعركى والبولاد، وإن لم يكن سابقاً لهما فى القدوم لأنه درس على نفس أساتذتهما، ويرجح الدكتور عزالدين الأمين أنه كان معاصراً للشيخ البندارى ومعاصريه من العلماء، وأن بركات بن حمد ابن الشيخ إدريس الأرياب ومضوى بن مدنى عبدالدائم ابن عيسى كانا ندين، إذ درس كل منهما على الآخر، مما يحتمل معه أن يكون الشيخ إدريس المولود فى سنة ٩١٣هـ/١٥٠٧م نذاً للفقهاء عبدالدائم، وبالتالي يكون الشيخ عيسى والد عبدالدائم معاصراً للشيخ البندارى أستاذ الشيخ إدريس^(٢).

وقد بدأ عيسى هذا بتدريس القرآن والعلوم الدينية، ثم خلفه ابنه عبدالدائم فى التدريس بعد أن درس عليه القرآن، وسمع منه الحديث والتفسير أما حفيده المضوى فيروى ود ضيف الله عن علمه وتصوفه فيقول: «ولد بكترانج وتفقّه على الفقيه القدال بن الفرضى وأخذ طريق القوم على الشيخ بركات بن حمد، وأخذ أيضاً على الشيخ شرف الدين ولد برى، وسلك وأرشد، وكان شاعراً، وله فى النبى قصائد وأشعار مطربة للنفوس^(٣)».

وأما نوع التصوف الذى أخذ به كل من عبدالدائم وابنه المضوى فهو الطريقة القادرية، لأن الشيخ خوجلى الذى أخذ عنه الأب كان قادري الطريقة، شاذلى الأوراد، كذلك كان الشيخ إدريس ود الأرياب أحد أقطاب القادرية، وفى رواية أنه أول من نشرها فى سودان وادى النيل^(٤).

وأما المضوى فقد أخذه من بركات بن أحمد بن إدريس الذى سلك طريقه جده إدريس الأرياب، وأخذه على شرف الدين ولد برى أخذه على عبدالله الحلنقى، وهذا

(١) إرشاد السارى: ص ٩؛ إبراهيم عبدالدافع: طبقات ود ضيف الله الذيل والتكملة، ص ٤٢.

(٢) عزالدين الأمين: قرية كترانج، ص ١٢، ١٣؛ انظر الوثيقة رقم ١٥ من وثائق الفونج والأرض، فقد كان أحمد بن عيسى أحد شهودها. انظر الفونج والأرض ص ٢٦، ٢٧، ٩٤.

(٣) الطبقات: ص ٣٤١؛ إبراهيم عبدالدافع: طبقات ود ضيف الله الذيل والتكملة، ص ٤٢، ٤٣.

(٤) انظر ما سبق ذكره فى الطرق الصوفية.

سلك الطريق على دفع الله الكاهلي صاحب بدوى أبى دليق، وكان بدوى هذا فيما نقل ود ضيف الله رواية عن الشيخ خوجلى «أول من أوقدت نار الشيخ عبدالقادر الجيلانى عنده بعد الشيخ إدريس^(١)».

ونضيف بعداً إلى حديثنا عن الشيخ عيسى أن محمد عبدالمجيد السراج^(٢) يروى^(٣) أن بشارة الأنصارى والد الشيخ عيسى قدم أيضاً من المدينة إلى السودان بعد ابنه عيسى، وسكن بجزيرة كلومسيد^(٤) من بلاد دنقلا وتوفى هناك. ويروى السراج كذلك أن أخا لبشارة الأنصارى اسمه على، قد هاجر أيضاً من المدينة إلى دنقلا، ثم رحل منها إلى أبى حراز بمديرية الجزيرة، وسكن أخيراً فى بلدة أريجى أمام الحصاصيصا إلى أن توفى بها، وقد أعقب وأضحى له ذرية من بعده^(٥)، بعضها باق إلى اليوم بأريجى فى حين تفرق بعضها الآخر بين «ود الشافعى» وشلقوها الخوالدة والكممر (كممر الجعليين) وأم مغد والمسيد والنوبة والمسعودية، وكلها قرى فى مديرية الجزيرة^(٦).

(١) الطبقات، ص ١١٥، طبقات ود ضيف الله الذيل والتكملة، ص ٤٢، ٤٣، بروفيسور عزالدين الأمين: قرية كترانج، ١٢ - ١٥.

(٢) عنى محمد عبدالمجيد السراج بكثير من التحرى والدقة عند تأليف كتابه «إرشاد السارى» فرجل لمنطقة بحثه، وأقام بها مدة، اتصل أثنائها بالشيخوخ الذين يحفظون هذا التاريخ، ويروونه عن سلسلة أسلافهم العلماء، وأهم من أخذ عنهم السراج هو المؤرخ الشيخ شمس الدين الحنفى بن عبدالرحمن، كذلك الشيخ الأمين أخ الشيخ شمس الدين، من أهم من اتصل بهم السراج، وبخاصة فيما يتعلق بتوثيق الإجازات العلمية التى نقلها السراج. عن كتاب «التربية فى السودان» للدكتور عبدالعزيز عبدالمجيد، فقد اطلع عند الشيخ الأمين على الأصول المخطوطة لتلك الإجازات قبل أن تتسلمها جامعة الخرطوم. انظر: عزالدين الأمين: قرية كترانج، ص ١٤.

(٣) «إرشاد السارى»: ص ٩؛ طبقات ود ضيف الله الذيل والتكملة، ص ٤٢، ٤٣.

(٤) كلومسيد فى اللهجة الدنقلوية النوبية تعنى مسجد الحجر، لأن كلمة «كلو» معناها عندهم «حجر» بفتح الحاء والجيم، وكلمة مسيد هى كلمة مسجد بعد قلب الجيم ياء، واستعمال الكلمة هكذا بعد القلب شائع فى السودان، ومسجد الحجر هذا مازال قائما فى منطقة الزورات غرب النيل تجاه أرقو ويلاحظ الآن أن جزءاً كبيراً من هذا المسجد يدخل فى مياه النيل. انظر: قرية كترانج، ص ١٤. ومما يؤيد نزوح بشارة والد عيسى إلى كلومسيد أن سكان منطقة الزورات الحاليين أكثرهم من الجابرية الذين ينتهى نسبهم إلى جابر بن عبدالله، ولقد ذكرنا أن نسب عيسى بن بشارة ينتهى كذلك إلى جابر بن عبدالله، وكل ذلك يشير أيضاً إلى أن هذا الفرع من الخزرج نزح بأعداد كبيرة من الأراضى الحجازية. انظر: «إرشاد السارى»: ٨، ١٥ - ١٨؛ كاتب الشونة، ١٠٢ - ١٠٦؛ قرية كترانج، ص ١٤ وما بعدها.

(٥) «إرشاد السارى»: ص ٩، الطبقات الذيل والتكملة، ص ٤٢، ٤٣.

(٦) انظر: هذه المواقع على خريطة كترانج. شكل رقم (١٦) بملحق الدراسة.

هكذا أدت مدرسة كترانج دورها فى نشر علوم اللغة والدين بعد أن اكتملت لها كل المقومات منذ عهدها الأول، وقد تخرج منها رواد العلم الذين تقلدوا مناصب مختلفة، وقد نقل علماؤها تقاليد الحلقات فى مصر والحجاز، ويكفى لبيان علم علمائها أن نورد ما قاله إبراهيم عبدالدافع عن أحمد بن عيسى: «وصار علمه منقحا مهذباً أكثر من علم سائر من ينسب للعلم فى الجزيرة وخصوصاً فى العلوم العقلية، (١) وقوله: «وما وجد فى بلاد السودان عالماً أعلم ولا أورع من تلامذته، ولا وجدت علماً أنظف ولا أصفى من علمه» (٢).

— مدرسة العركيين :

قدم محمود العركى من الأزهر — الذى كان قد ذهب إليه فى نحو بداية القرن العاشر الهجرى — إلى السودان، وأسس مدارس العلم فى منطقة النيل الأبيض (٣). وأخذها مركزاً لنشاطه الدينى والتعليمى. ونرجح أن يكون الفقه المالكى (٤) أحد مواد الدراسة فى مسجده، لأنه العلم الذى اشتهر به أستاذه الشيخ شمس الدين

(١) الطبقات: الذيل والتكملة ص ٤٢، ٤٣.

(٢) الطبقات: الذيل والتكملة، ص ٤٢، ٤٣، عزالزين الأمين: قرية كترانج، ص ١٥، ص ٤٢.

(٣) القصير بلدة بالنيل الأبيض، ومن عاداتهم فى التلقيب أن ينسب البلد أحياناً إلى رجل صالح على سبيل تشريف البلد، فيقال راجل القصير، وراجل كترانج، ورجل المنيرة، والشيخ محمود هذا ذهب إلى مصر لدراسة مذهب الإمام مالك وعندما عاد أسس خمسة عشرة خلوة على النيل الأبيض، وقد عاش فى النصف الأول من القرن السادس عشر، انظر: طبقات ود ضيف الله الذيل والتكملة ص ١١٠، ١١١؛ الطبقات، ص ٤٠، ٣٤٤؛ مخطوطة تاريخ مختص بأرض النوبة ص ١٦، ١٧؛ مخطوطة كاتب الشونة، ص ١٢٤؛ التربية فى السودان، ص ٥٩؛ حسن محمود، الإسلام والثقافة العربية، ج ١، ص ٣٧٠؛ محمد سليمان: دور الأزهر، ص ٢٦؛ التصوف فى السودان، ص ٧٥.

(٤) هو الإمام مالك بن أنس بن مالك بن عامر اليمنى. ولد بالمدينة نحو عام ٩٣هـ، وقد أقام بها طوال حياته وتوفى سنة ١٧٩هـ، وهو من كبار الفقهاء ومنشئ أحد المذاهب الأربعة واشتهر بكتاب الموطأ وهو كتاب حديث وفقه، وقد انتشر مذهبه فى بلاد كثيرة كالحجاز ومصر وشمال إفريقيا والأندلس وبلاد السودان عموماً انظر: المقرئى: الخطط، ج ٢، ص ٣٣٤؛ القاضى عياض، ترتيب المدارك، ج ١، ص ١٠٤ — ١١٣؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ط مصر ١٣٥٨هـ، ج ١٠، ص ١٧٤، الذهبى: تذكرة الحفاظ، ج ١، ص ٢٠٧؛ وأيضاً العبر، ج ١، ص ٢٧٢؛ ابن فرحون: الديباج المذهب، ص ١٧، ١٨،

اللّقانى^(١)، بجانب علوم أخرى منها النحو. أما ناصر الدين اللّقانى أستاذة الثانى، فكان يدرس عدة علوم، وكان مهتماً بالفتاوى^(٢).

ويمكن القول أنه درس الفقه وعلومًا أخرى، ودرس معه بعض معاصريه لأننا إذا سلمنا أنه أسس سبع عشرة مدرسة فإن عددًا كبيرًا كهذا، يقتضى وجود أكثر من مدرس سواء من تلاميذه أو من غيرهم، ولا يمكن أن يقوم بالتدريس بمفرده فى كل هذه المدارس. ومنهم ابنه محمد قد حملوا عنه عبء التدريس، ليصرف جانباً من وقته فى إرشاد الناس، وتعليمهم أمور الدين^(٣).

– الجزيرة وسنار:

كانت مدينة أربجى^(٤) أحسن مدائن الجزيرة، ذات تجارة وعمارة ومبان حسنة ومدارس علم وقرآن، وأهلها ذورفاهية وتفنن فى الأطفمة^(٥).

ويقال أن نشأتها ترجع إلى ما قبل قيام مملكة الفونج بثلاثين عاماً، حيث أسسها حجازى بن معين^(٦).

ورغم ما أثير من جدل حول شخصية مؤسسها فإن ما يهمنا هنا أن قدم تاريخها واشتهارها بمدارس العلم والقرآن، وشهرتها كمركز تجارى هياً لها أن تؤدى

(١) هما الأخوان شمس الدين وناصر الدين اللّقانى وهما أساتذة محمود العركى أول من أدخل علوم الدين فى منطقة النيل الأبيض، وشمس الدين هو محمد بن على بن عبدالرحمن ولد بلقانة من قرى مصر. حفظ القرآن (الشاطبية، والرسالة) ثم قدم القاهرة وحفظ مختصر خليل وألفية ابن مالك ولازم فى الفقه البرهان اللّقانى وأخذ العربية عن السنهورى، ولد سنة ٨٧٥هـ/١٤٧٠م، ومات سنة ٩٣٥هـ/١٥٢٨م، أما أخوه ناصر الدين؛ محمد بن حسن فقد شارك أخاه فى غالب شيوخه وجلس لإقراء العلوم على اختلافها وقد ولد عام ٨٧٣هـ/١٤٦٨م ومات فى عام ٩٥٨هـ/١٥٥١م انظر ابن بابا: ٣٣٥ – ٣٣٧؛ الطبقات ص ١١٢.

(٢) انظر الطبقات، ص ٤١، ١١٢، ٣٤٥؛ الذيل والتكملة، ص ١١٠، ١١١؛ حسن الفاتح: التصوف فى السودان، ص ٦٤.

(٣) الطبقات: ص ٣٤٥؛ الطبقات الذيل والتكملة، ص ١٦، ١٧؛ مخطوطة تاريخ مختص بأرض النوبة، ص ١٦، ١٧.

(٤) مدينة تجارية على الشاطئ الغربى للذيل الأزرق على بعد ميلين من الحصاصيصا جنوباً، انظر الخريطة شكل رقم

(٩) بملحق الدراسة.

(٥) يتعارض هذا التاريخ الذى ذكره ود ضيف الله مع الواقع، لأن شخصاً بهذا الاسم كان معاصراً لتاج الدين البهارى الذى قدم بعد هذا التاريخ بحوالى مائة عام. ويرجع البعض وجود شخصيتين بهذا الاسم أولهما الذى بنى أربجى قبل تأسيس سنار، وثانيهما أحد أحفاده. انظر مكى شبيكة؛ مملكة الفونج الإسلامية، ص ٢٤.

(٦) الطبقات، ص ٩٠.

دوراً كبيراً عندما استقرت الأحوال فى مملكة سنار بعد حربها مع مملكة سوبا المسيحية كما أنها بدأت تستقبل العلماء وتبعث بأبنائها إلى ديار سنار لتلقى العلم على مشاهير العلماء، ثم العودة لنشر العلم فيها، وهؤلاء اشتهروا بعنايتهم بعلوم العقائد والتصوف والفقه الشافعى^(١).

ولقد كان لتعدد ثقافتهم وحرصهم على تحصيل علوم العصر أثره فى ذبوع شهرتهم حتى بلغ عدد من وفد إلى حلقة الفقيه أبى سنية ألف طالب^(٢)، «وقرأ عليه خلائق لا يحصون».

ومن علماء أربجى الفقيه حمد بن أبى زيد الحضرى البصيلابى الذى اشتهر بالتصوف، ويتدرس «الرسالة» الى درسها لخلائق كثيرين على قدم الصلاح والدين كشيخهم^(٣)، ومنهم سنوسى ابن نورين، حيث كان مدرسا للقرآن ذائع الصيت عند أهل أربجى^(٤).

أما شمو ولد محمد عدلان، فقد جمع بين الفقه والعقائد ودرس «المنهج» و«المنهاج»، وكلاهما من كتب الشافعية – على الفقيه بلاد المصيقع عالم أربجى وخطيبها وقاضيا. ويذكر ود ضيف الله أنه صار «مفتيا فى مذهب مالك والشافعى ومدرسا فيهما، حتى سماه أهل أربجى بمركب الهند لتعدد ثقافته»^(٥).

ويعد القاضى دشين أشهر علماء أربجى، وقد اشتهر بنزاعة مع الهميم لخروجه عن حدود الشرع الذى كان هذا القاضى حريصاً عليه وعالماً بأصوله. وقد عمل خلال حكم الشيخ عجيب قاضياً على أربجى^(٦).

ورغم اشتهاره كأحد تلاميذ الشيخ محمد بن قرم الشافعى الذى زار أربجى عند قدومه من مصر، فإن الصلة بينهما فيما يبدو لم تستمر طويلاً، إذ يعتقد أنه لم يتأثر

(١) نفس المصدر والصفحة.

(٢) طبقات ود ضيف الذيل والتكملة، ص ٣٨.

(٣) الطبقات، ص ١٨٦.

(٤) الطبقات، ص ٢٢٤، ٣٦٦.

(٥) الطبقات، ص ٢٣٣.

(٦) الطبقات، ص ٢١٢، ٢١٣.

أولاده بالمذهب الشافعي الذي انتشر على يد ابن قرم. وآية ذلك أن ابنه مدني كان يحث ابنه على اعتناق المذهب المالكي بدلاً من المذهب الشافعي، وبالفعل تحول إلى المالكية وصار مدرساً له الخليل والرسالة، بعد أن درسهما على الشيخ القدال ابن الفرصى^(١).

واشتهر في منطقة سنار والجزيرة علماء جمعوا بين الفقه والتصوف والأدب والتأليف منهم إبراهيم بن عبودي، وكان بارعاً في علم الميراث حتى اشتهر بالفرصى لهذا السبب^(٢)، وأما القدال ابنه فقد درس عليه وصار عدد من يدرسوا بحلقته ألفاً. وقيل ألفان من التكاير وأولاد البلد^(٣) وكانت مجالسه خمسة: الخليل والرسالة والعقائد والتفسير وقراءة الجامع في الحديث^(٤).

أما الشيخ حسن ود حسونة، فيبدو أنه رغم شيوع شهرته لم يترك أثراً واضحاً في مجال الدراسة الفقهية، لأن ثمة إشارة إلى لحنه في سور القرآن، فقد أخذ عليه أحد مريديه ذلك^(٥).

وكان لعائلة اليعقوباب شهرة واسعة في مجال التصوف، فيعقوب ابن بان النقا^(٦) جد اليعقوباب سلك وأرشد كثيراً من التلاميذ الذين كان لهم أيضاً مكاشفات كما كان يعقوب هذا صاحب دراية بالفتاوى والأحكام، وفوق ذلك كان دارساً للفقه، ووالده بان النقا كان أحد تلاميذ البهاري وملازمه في الطريقة^(٧).

وصفوة القول أن سنار وما جاورها كانت منبعاً ثرياً لنشاط ديني وعلمي ساهم في بعثة الفقهاء والمتصوفة عن طريق مراكزهم العلمية وحلقات أذكاهم، كما ساهم الملوك بالرعاية، والمريدين والاتباع في تلقي العلوم وتوارثها لأبنائهم.

(١) الطبقات، ص ٣٣١؛ طبقات ود صنيف الله الذيل والتكملة، ص ٦٩.

(٢) الطبقات، ص ٧٩.

(٣) المصدر نفسه، ص ٨٠.

(٤) المصدر نفسه، ص ٨٢.

(٥) المصدر نفسه، ص ١٤٠.

(٦) المصدر نفسه، ص ٣٧٢.

(٧) الطبقات ص ١٠٩، هذا ويذهب هولت إلى أن شهرة عائلة اليعقوباب وأهميتها ترجع إلى إنجابها لبعض العلماء الصوفييين. وما ذهب إليه هولت يؤكد الواقع لأننا لم نر لديها أثراً فقهياً واضحاً، ويرجع ذلك إلى إنصرافهم للاشتغال بالتصوف. انظر هولت، الأولياء والصالحون، ص ١٣، يحيى محمد إبراهيم، التعليم الديني، ص ١٤٩.

ومما يجدر ذكره أن ما ذكرناه لا يعدو القليل، فهناك علماء، ونشاط علمى لم نستطع حصرهم ومتابعتهم، فى طبقات ود ضيف الله، والذيل والتكملة، يحوى الكثير، وقد يعزى هذا إلى أن هذه الترجمات قد تسبق الفترة المعنية بالدراسة وإن كانت توضح لنا هذا الامتداد الثقافى لسودان وادى النيل فى فترة الممالك الإسلامية، ومن ثم التحولات والتطورات التى طرأت على السودان على أثر تغير الثقافات، وما اكتسبه من الشعوب المجاورة وعلى الأخص مصر.

— الزوايا والربط:

عرف سودان وادى النيل الزوايا منذ العهد الفونجى كدار علم وعبادة، ودار يأوى إليها الغرباء، ومن أشهر الزوايا فى عهد الفونج زاوية عمار بن عبدالحفيظ^(١) فى سنار، وصفها الفقيه محمد بن عويضة بقوله:

«قدمت زاويته، فوجدت الخيل والبغال والحمير، متحاشاها^(٢)، وفى بابها نعلات الصرموجة والفونجاوية والعربية، ودخلت فيها، فوجدت الناس حلقات حلقات، فناس يتحدثون بتجارة الحجاز، وناس بتجارة الغرب، وناس بتجارة الصعيد، وناس بحوش الملك، وهو بينهم شايلى سبحتة يسبح، فإذا قاموا شرع فى التدريس يقرأ اثنا عشر مجلس. فإذا سألته عن كلام الجماعة قال: كلمة واحدة مان ضابطها^(٣)».

والعلوم التى كانت تدرس فى زاوية عمار بن عبدالحفيظ، أثبتتها تلميذه على ولد الشافى فى قصيدة مدح فيها أستاذه^(٤).

ولم نسمع عن الزوايا بعد ذلك إلا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر عندما بدأت الطريقة التيجانية فى الانتشار^(٥).

هذا ويطلق العامة اسم الزاوية على المساجد الصغيرة التى تقام فيها صلاة الجمعة تميزاً لها عن المساجد الجامعة^(٦).

(١) من علماء سنار، وهو ممن جمع بين العلم والعمل والتقى، وكان صاحب سياحة واسعة للشيوخ، وكان له مكانة سامية عند ملوك الفونج. ترجم له ود ضيف الله (الترجمة ٢١٤) ص ٣٣٦؛ طبقات ود ضيف الله الذيل والتكملة، ص ٨٥.

(٢) تحيط بها.

(٣) ود ضيف الله: الطبقات، ص ١١٨، انظر المعتمص أحمد الحاج: الخلاوى فى السودان، ص ١٠٢.

(٤) انظر: القصيدة فى ود ضيف الله: الطبقات، ص ١١٨، ١١٩.

(٥) انظر: الطاهر محمد على البشير: الأدب الصوفى فى السودان، الدار السودانية، ط الأولى ١٩٧٠، ص ٥٩.

(٦) عبدالقادر محمود: الفكر الصوفى فى السودان، ص ١٠٠، المعتمص أحمد الحاج، الخلاوى فى السودان، ص ١٠٢.

أما عن الربط في السودان وادى النيل فلم يرد ذكر لها بالمعنى المتعارف عليه في الديار الإسلامية كدور عبادة وعلم ودار ضيافة، ومنطلقاً للجهاد، وأول ذكر للرباط في السودان جاء عند زيارة ابن سليم الأسوانى أثناء تجواله لمملكة علوة إذ وصفها بقوله: «وسوية مدينة العلوى شرقى الجزيرة الكبرى التى ما بين البحرين الأبيض والأخضر فى الطرف الشمالى منها، عند مجتمعها.... وفيها أبنية حسان ودور واسعة وكنائس كثيرة الذهب، وبساتين، ولها رىض فيه جماعة من المسلمين^(١)».

هذا وتصمت المصادر العربية عن ذكر أية أربطة كما هو شائع فى الديار الإسلامية عامة وبالمغرب الإسلامى بصفة خاصة.

– الكتاتيب:

جاء ذكر الكتاتيب فى كتاب طبقات ود ضيف الله عندما ترجم للشيخ إدريس بن محمد الأرباب الذى ولد بقرية العيلفون^(٢)، وقيل بالحلفاية^(٣) فى سنة ٩١٣هـ/١٥٠٧م أى بعد تأسيس مملكة الفونج بعامين، وعندما ترجم لحياة الشيخ خوجلى بن عبدالرحمن الملقب بـ«أبو الجاز» وهو اسم لإحدى بناته^(٤)، وقد ولد بجزيرة توتى ١٠٥٥هـ/١٦٤٥م، كما ورد ذكر للمكتب فى ترجمة الشيخ محمد بن دفع الله بن الشيخ إدريس^(٥).

كما يذكر صاحب مخطوطة الشونة أن من أوائل العلماء الذين قدموا إلى السودان وادى النيل قبل قيام دولة الفونج البندارى والشيخ حمد ولد زروق، اللذان تعلم على يديهما الشيخ إدريس بن محمد الأرباب فى مكتبتهما^(٦).

(١) المقرئى: الخطط، ج١، ص١٩١، المعتصم أحمد الحاج، الخلاوى، ص٩٨؛ مصطفى مسعد: الإسلام والنوبة، ص١٣٣، ١٣٤.

(٢) العيلفون قرية على شاطئ النيل الأزرق على بعد ٢١ ميلاً جنوب شرق الخرطوم على خطى ١٥، ٢٦ شرقاً و ٣٢، ٤٣ شمالاً وحولها بعض الآثار القديمة الطبقات: ص٥٥ - ٧٤. Crawford: Op. Cit., P.73 - 74.

(٣) انظر ما سبق ذكره عن مولده. ص الطبقات، ص٤٠، ٤١، ٤٩، ٥٠، ٥٢، ٥٤، ٣٤١ هـ، ٣٦٥.

(٤) الطبقات، ص٤٩، ٥٠ هـ، ١٩٠، ٢٤٦، ٢٤٧.

(٥) الطبقات: ص٣٢٨، ٣٢٩.

(٦) مخطوطة كاتب الشونة، ص١٢٤. وانظر أيضاً الطبقات ص٥١؛ المعتصم أحمد الحاج: الخلاوى فى السودان، ص١٠٤.

هذا ونلاحظ أن ود ضيف الله يستعمل كلمتي مسجد «أو مسيد» وخلوة في شيء من الخلط للدلالة على معهد التعليم؛ ولكن الخلوة قد اشتهرت في العالم الإسلامي بأنها مكان للتعبد يخلو فيها العبد إلى ربه في عزلة عن الناس؛ فلما انتشر التصوف في السودان انتقلت فكرة الخلوة بمفهومها التعبدى إليه وصار دخول الخلوات أمراً شائعاً بين الأولياء والفقهاء فمن الفئة الأولى الشيخ محمد عبدالصادق^(١)، تلميذ تاج الدين البهارى الذى كان يتعبد فى خلوة فى دلوت لمدة سبع سنوات، ومن الفئة الثانية الشيخ حمدود الترابى الذى هجر التدريس بعد أن سلك طريق القوم «ودخل خلوة لمدة اثنين وثلاثين شهراً». ولما سأله بعض تلاميذه أن يدرسهم الفقه أجابهم قائلاً: «أنا وخليلى افترقنا إلى يوم القيامة»^(٢). ولما جمع المعلمون بين التصوف وتدريس علم الظاهر صارت المساجد مسرحاً لنشاطهم التعليمى والتعبدى، وحول هذه المساجد - خاصة المأهولة بالطلبة منها - شيد عدد من الخلاوى والحجرات الصغيرة يختلئ فيها الشيوخ وبعض مريديهم للتعبد، كما استعملت للتدريس ولسكنى الطلبة فى بعض الأحيان^(٣)؛

ومن ثم جمع نفس الموضع بين المسجد والخلوة وتشابهت أغراضهما، وصارت الخلوة تجمع بين الناحيتين التعليمية والتعبدية بعد أن جمع الشيخ الواحد بين الوظائفيتين؛ وبعد أن طغت الصبغة الصوفية على الثقافة الإسلامية فى السودان.

صارت الخلوة أكثر الأسماء استعمالاً ودلالة على معهد التعليم، بل أن الخلوة كانت بمثابة مركز الإشعاع الروحى والثقافى والاجتماعى فى كل قرية^(٤). ومن ثم جمعت الخلوة تحت رعاية الشيخ والفقهاء الصوفى بين وظائف تدريس مبادئ القراءة وتعليم القرآن، والفقه وتنشئة المريدين فى طريق القوم والعبادة بما فيها من صلاة، وتأمل وانقطاع إلى الله تعالى^(٥). ولعل خير ما يوضح تفرع وظائف الخلوة ما رواه

(١) ود ضيف الله: الطبقات، ص ١٢٧ - ١٢٩.

(٢) الطبقات، ص ١٦١.

(٣) انظر: بواكير الدعوة (الطبقات)، ص ١٢.

(٤) كان للخلوة وظيفة ثالثة: فهي بمثابة حجرة الضيافة لكل الغرباء إذ يأوى إليها الغرباء، وعابروا السبيل فيحسن أهل القرية وفادتهم ويكرمونه حتى يغادروهم، ونلاحظ أن الخلوة، وهي حجرة عادية، تجمع بين وظائف العبادة والدراسة والضيافة فى القرى. انظر: بواكير الدعوة (الطبقات) ص ٥٠؛ المعتصم أحمد الحاج: الخلاوى فى السودان ص ١٠٨، ١٠٩.

(٥) للتوسع فى معاهد التعليم فى السودان انظر: عبدالعزيز عبدالمجيد ج١، ص ٧٤ - ١١١.

ود ضيف الله عن المسلمى الصغير.

«وسبب بدء أمره بعدما فرغ من قراءة «خليل»^(١)، أو «الرسالة»^(٢)، سافر إلى الشيخ دفع الله ودخل في خلوة معلم صبيان وقال له: «وأنا جيت من البادية بدأ له من ألف، ب، ت، ث والصبيان يمشوه في لوحة ويضحكوا عليه، وجاء الشيخ ووجده على تلك الحالة. وقال له: تعال يا فقير إنت ماك عالم، قال: لا، قال: أنا بشوف عليك أثر العلم إما صدقتنا ما تنتفع مننا. قال له علمى ما نفعى جيت بدور مددكم فسلكه طريق القوم وذبح له شاه وأمره يأكلها ودخله خلوة سبعة أيام فخرج منها وهو ينظر فى العالم من العرش إلى الفرش»^(٣).

(١) انظر: الطبقات، ص ٨٣، ٨٤؛ يوسف فضل: دراسات فى تاريخ السودان، ج ١، ص ٨٣، ٨٤؛ المعتصم أحمد الحاج: الخلاوى فى السودان، ص ١٠٩ - ١١٤؛ جعفر محمد عبدالرحيم، تاريخ القرآن فى السودان، الخرطوم، يناير ١٩٧٣، ص ٧؛ انظر ما سبق ذكره ص.

(٢) هى رسالة ابن أبى زيد القيروانى ومؤلفها عبدالله أبو محمد بن أبى زيد القيروانى، سكن القيروان، وكان من أشهر أئمة المالكية، وهو الذى جمع المذهب المالكى وشرحه ولخصه ومن أشهر كتبه الرسالة (ت ٣٨٦هـ/ ٩٩٦م) انظر: المعتصم أحمد الحاج: الخلاوى فى السودان، ص ٩٥، ٩٦.

(٣) انظر: الطبقات، ص ٨٣، ٨٤؛ تعبیر (الفرش إلى العرش) العرش هو السماء والفرش الأرض. انظر: الطبقات، حاشية (٢٢) ص ٢٢٩.

ثالثا: إسهام المدارس فى الإنتاج الثقافى :

اهتم العلماء بتدريس القرآن، وركز آخرون على تعليم الفقه بينما جمعت بعض المساجد بين المنهجين. وكانت ثقافة العالم وتخصصه هى التى تحدد نوع المادة المقررة فمثلا اشتهرت مساجد عبدالرحمن ابن جابر الثلاثة التى انشأها فى دار الشايقية وكورتى ودنقلا الدفار بتدريس الفقه^(١).

على أن هذا التخصص وحصر المواد الدراسية فى العلوم الشرعية واللسانية دون العلوم العقلية، هى علوم ناسبت بيئة السودان وقيمه وعاداته الموروثة.

أما عن مواد الدراسة وكتبها التى كانت تدرس فى تلك الحلقات فهى:

— الفقه :

كانت رسالة ابن أبى زيد القيروانى^(٢) ومختصر خليل بن إسحاق^(٣) من أهم مواد الدراسة. وقد عرفها السودان فى حلقات أولاد جابر^(٤) والعركى^(٥) وغيرها وكان المختصر مثار اهتمام العلماء والطلبة حتى ختمه بعضهم أربعين ختمة^(٦).

وكان من أهم كتب الفقه «الرسالة» و«المختصر» ولهما شروحات متعددة كشرح عبدالباقي الزرقانى على المختصر^(٧)، وحاشية على شرح التتائى فى الرسالة لعلى الأجهورى، وفتح الجليل على مختصر خليل للتتائى^(٨) وحاشية على مختصر خليل لأبى عبدالله الخراشى، وشرح الشبراخيتى على العشماوية والمدونة لأسد بن الفرات

(١) انظر: الطبقات، ص ٤٦، ٤٧.

(٢) انظر: ابن فرحون: الديباج، ص ١٣٦.

(٣) انظر: الديباج المذهب، ص ١١٥، ١١٦.

(٤) انظر: الطبقات، ص ٤٥، ٤٦، ٤٧.

(٥) انظر: الطبقات، ص ٣٤٤.

(٦) انظر: الطبقات، ص ٤٥.

(٧) انظر: الطبقات، ص ١٨٢.

(٨) هو أبوعبد الله شمس الدين محمد بن إبراهيم التتائى ولد بتقا من قرى المنوفية، كان موصوفا بدين وعفة، تولى القضاء ثم تركه، واشتغل بالتصنيف شرح مختصر خليل بشرحين سمي الكبير (بشرح الجليل) والصغير (جواهر الدرر) وله (تنوير المقال فى شرح رسالة ابن أبى زيد القيروانى) ولم تطبع تصانيفه وتوفى عام ٩٤٢هـ/١٥٣٥م. أحمد بابا: ٣٣٥.

وسحنون، بجانب كتب أقل شهرة كانت متداولة، من ذلك متن الأخضرى فى العبادات وأشهر الشروح عليه سرح مختار بن محمد جودة الله^(١)، وكان كمتن العشماوية وحاشية ابن تركى من كتب الدراسة؛ وفى الميراث كانت حاشية الفرضية فى علم الفرائض لإبراهيم بن عبودى^(٢) وثلاث حواشى لعبدالرحمن بن حمدتو^(٣).

أما الفقه الشافعى فقد كان منتشرًا أيضًا فى بعض مدارس بربر وسنار وفى بعض مناطق شرق السودان، وقد رأينا بعض مشاهير العلماء فى سنار وأرجى يعملون على نشره، وكان «المنهج» و«المنهاج» من الكتب المتداولة فى بعض المناطق^(٤).

– التوحيد:

انتشر هذا العلم على يد التلمسانى^(٥)، ومحمد المصرى الذى كان أسبق قدومًا من التلمسانى^(٦)، لأن محمد بن عيسى درس العقائد، وبقية العلوم على يد المصرى فى بربر قبل أن يفد إليه التلمسانى^(٧).

وقد اشتهر بتدريس هذا العلم كل من الشيخ حميد الصاردى^(٨) تلميذ الفقيه مكى النحوى^(٩)، والشيخ إدريس بلة الكنانى تلميذ أرياب^(١٠) وقد وصف ود ضيف الله الفقيه عبدالله العركى بأنه كان له باع طويل فى التوحيد^(١١)، والشيخ عبدالرحمن بن أبى ملاح قرأ على الأجهورى منظومته فى التوحيد فأجازه فيها^(١٢). أما الفقيه أرياب

(١) مخطوط: كفاية المبتدى فى حل ألفاظ الأخضرى، أم درمان.

(٢) الطبقات، ص ٣٥٠.

(٣) الطبقات، ص ٢٤٥.

(٤) انظر: بواكير الدعوة (الطبقات)، ص ٥.

(٥) انظر: الطبقات، ص ٤١؛ مخطوطة: تاريخ مختص بأرض النوبة، ورقة ٢٠، ٢١.

(٦) انظر: الطبقات، ص ١٠٠، ١٠١.

(٧) انظر: الطبقات، ص ١٠٠، ١٠١.

(٨) انظر: الطبقات، ص ١٨٥، MacMichael: Op. Cit., Vol. 2, P. 24.

(٩) النحوى الرباطابى واسمه محبى والنحوى كنيته واشتهر بها، والرباطابى نسبة الى قبيلة الرباطاب، أحد فروع الجموعية الجعلية، موطنهم الأصلى بين أبى حمد والقذواب على شاطئ النيل انظر: MacMichael: Op.

Cit., Vol. 1, P. 210- 221.

(١٠) انظر: الطبقات، ص ١٥، ٢٤٦.

(١١) انظر: الطبقات، ص ٢٥٤.

(١٢) الطبقات، ص ٣٤٧.

بن عون فقد نبغ في التوحيد حتى ضمت حلقاته أكثر من ألف طالب^(١)، وألف فيه كتاباً لم تقف عليه ولكن ود ضيف الله يخبرنا بأن «انتفع به الناس شرقاً وغرباً»^(٢). كذلك اشتهر المضوى بن محمد أكاوى في هذا العلم، وفيه وصف بأنه كان عالماً وأميناً^(٣).

وقد تركز هذا العلم في متن السنوسية المعروف بالكبرى^(٤)، وسمى عقيدة أهل التوحيد، والوسطى وتسمى المرشدة، والصغرى وتسمى أم البراهين^(٥)، وهى من أكثر كتب التوحيد رواجاً في حلقات الدروس، وقد تناولها بالشرح والاختصار كثيراً من العلماء فالشيخ المضوى وضع أربعة عشر شرحاً على أم البراهين، وشرحين على «يقول العبد»، وشرح أيضاً عقيدة الرسالة^(٦) ثم تبعه تلميذه محمد بن عمران حيث شرح السنوسية الصغرى شرحاً مفيداً انتفعت به الطلبة^(٧). وألف محمد بن عدلان الشايقى نحو شرحين، وألف إبراهيم بن بقادى شرحاً على السنوسية فى أسلوب سهل وموجز^(٨).

— علوم القرآن :

انتشر علم قراءة القرآن على يد المصرى والتلمسانى، واشتهرت بها مدارس الغبش ببربر، ويشير ود ضيف الله إلى أن «مدار علم التجويد فى الجزيرة، على يد عبدالرحمن الأغبش وعلى تلامذته»^(٩).

ويعد سعد الكرسنى رائد هذه العلوم، فقد حرص على أن يعلم تلامذته أصولها من شد ومد وهمزة وإدغام وإظهار وغنة. ولشهرته رحل إليه الناس من دار الأبواب وأرض الصعيد ودار دنقلة^(١٠).

(١) الطبقات، ص ٩٩، ١٠٠.

(٢) الطبقات، ص ١٠٠.

(٣) الطبقات، ص ١٠١.

(٤) كان متن السنوسية لأبى عبدالله محمد السنوسى التلمسانى (ت ٨٩٥هـ/١٤٨٩م) أكثر رواجاً. انظر الطبقات، ص ١٠١.

(٥) انظر: الطبقات، ص ١٠٠، ١٠١.

(٦) انظر: الطبقات، ص ١٠١.

(٧) انظر: الطبقات، ص ٣٥٨، الطبقات الذيل والتكملة، ص ١١٥.

(٨) انظر: الطبقات، ص ٥، ٢٩١، ٣٥٨؛ وأيضاً الطبقات الذيل والتكملة، ص ١١٥.

(٩) انظر: الطبقات، ص ٢٨٠.

(١٠) انظر: الطبقات، ص ٢٢٣.

ودرس عيسى ولد كنو في دنقلا القرآن وتجويده، ودرس عبدالرحمن بن أسيد «الخراسي»^(١)، و«الجزري» و«الشاطبية»^(٢).

ومن علوم القرآن التفسير الذي عرف على نطاق محدود، وكان بعض فقهاء الدامر من الشبان يلقون محاضرات في التفسير على الطلبة، وكان لفرح ود تكتوك^(٣) كلام في التفسير^(٤).

- علم الحديث:

جاء في حديث ود ضيف الله عن الشيخ محمد القدال^(٥) «وكانت مجالسه^(٦) خمسة خليل^(٧) والرسالة^(٨) والعقائد والتفسير وقراءة الجامع في الحديث^(٩)».

وأيضاً كان عمار بن عبدالحفيظ يدرس «الجامع الصغير» ضمن مجالسه الخمسة^(١٠).

(١) بأرشف دار الوثائق المركزية بالخرطوم نسخة خطية من هذا الشرح بعنوان: «المصباح الدجاني في شرح نظم محمد بن إبراهيم الخراسي الشريفي في ضبط الهجاء». ويتكون هذا المخطوط من ٣٢ ورقة من القطع المتوسط، كتب بخط تقليدي، وكتب المتن بمداد أحمر، والشرح بالأسود، كما يرد في آخر المخطوط ما يلي «وكان الفراغ من هذا الكتاب سنة ألف وبعد مائتين وتسعة سنين من الهجرة النبوية، ويرجع تأليفه إلى ١١٠٣هـ/١٦٩١م».

(٢) الطبقات، ص ٢٨٢، والشاطبية ارجوزة في القراءات لأبي القاسم بن قيرة بن خلف بن أحمد الرعيني أبو محمد الشاطبي، وكان عالماً بالحديث والتفسير واللغة انظر: الزركلي ج٦، ص ١٤.

(٣) نشبة إلى قبيلة البطاحين، فرع العبادة، قرأ العقائد على الفقيه أرباب ولازم الخطيب عمار، وقرأ عليه علم العربية وله كلام في التفسير، الطبقات، ص ٣١٢، C.F.: MacMichael: Op. Cit., Vol. 2, P.290.

(٤) الطبقات، ص ٣١٢.

(٥) انظر: الطبقات، ص ٨٠، ويلاحظ أن هذا الحديث في بداية عصر الفونج.

(٦) أي مجالس تدريسه.

(٧) مختصر الشيخ خليل انظر ما سبق ذكره.

(٨) رسالة ابن أبي زيد القيرواني. انظر ما سبق ذكره.

(٩) لعله (الجامع الكبير في الحديث) تأليف الإمام جلال الدين السيوطي ٨٤٩ - ٩١١هـ / ١٤٤٥ - ١٥٠٥م. وقد جمع فيه «أحاديث الرسول وسننه بعد أن رتبها ترتيباً دقيقاً».

(١٠) انظر: الطبقات، ص ٢٦١.

— علوم اللغة العربية :

كانت علوم اللغة من نحو وصرف ومنطق وبلاغة من مواد الدراسة وهى العلوم الموصلة لفهم القرآن والفقه والتوحيد، وكان النحو يدرس فى حلقة الشيخ محمد القناوى فى بربر^(١).

وكان المضوى المصرى يدرس النحو والأصول والمنطق^(٢).

وأما المقررات فلم تكن تخرج عن المؤلفات المتداولة إذ ذاك وبجانب ما سبق كان هناك عناية برواية السير والأخبار وإنشاد المدائح النبوية^(٣).

— التصوف :

لم يبلغ التأليف فى مجال التصوف مستوى العلوم الأخرى، وهذا أمراً طبيعياً لإنصراف أكثر العلماء إلى التعبد والزهد، واختيار المريدين، ومع ذلك نجد محاولات قليلة تعكس جانباً من ثقافتهم، ومنها يتبين لنا أنه كان ثمة اتجاه لوضع مبادئ التصوف فى كتاب عبدالرحمن جابر وعنوان: «ترشيد المريدين فى علم التصوف»^(٤)، لم نفق عليه، ولكن شهرة مؤلفه فى الفقه والتصوف وما وصلنا من نموذج لإجازته لأحد مريديه تؤكد أنه كان متمكناً فى علمه^(٥).

ومن المؤلفات فى التصوف كتاب فى الطريقة وآداب الذكر لاسيما على الدقلاش المشهور بصاحب الريابة. وللشيخ محمد ولد هدى كتاب فى «صفة الفقير،

(١) الطبقات، ص ١٠٠، ١٠١.

(٢) الطبقات، ص ١٠١، ١٠٢.

(٣) انظر: الطبقات، ص ١٨١.

(٤) انظر: إجازته فى ذلك. الطبقات، ص ١٠٤.

(٥) هناك نسخة فى دار الوثائق المركزية بالخرطوم «مصورة، جاء فى هذا المخطوط: «هذا كتاب المجذوب إسماعيل بن الشيخ مكى صاحب الريابة فى طريق أهل الله والسير به، ويقع هذا المخطوط فى ٤٥ صفحة من القطع المتوسط وعدد السطور ١٩ فى الأغلب، كتب بقلم البوص، مع تعقيب على الصفحات ويتناول الكتاب موضوعات تدور حول آداب الطريقة، كما يتضح من العناوين التالية «باب فى التاريخ، فى آداب التلميذ مع الله ومع شيخه ومع العوام، أنواع الطرق، الرؤيا، أقسام المعرفة، أنواع طريق السلوك، أبواب فى العلم، وصفة الرياضة وكيفية المسار إلى الله، الجوع، الخشوع، الإيمان، الشوق، السخاء، الأوراد، مفسدات الهيئة، الكرامات، علامات المقامات، انظر المخطوط بدار الوثائق المركزية بالخرطوم، ص ١.

وورد في كاتب الشونة ان لود ضيف الله شرح على ابن عطاء الله^(١)، وللشيخ فرح ود تكتوك نصيحة في سلوك الطريق^(٢).

– الإجازات العلمية:

الإجازة لغة هي جعل الشيء جائزاً، ويقال أجاز «فلاناً» أى أعطاه الإجازة، أى الإذن، «وأجازته» أعطاه جائزة أى عطية^(٣).

ومن ثم فإننا نستطيع تفسير معنى الإجازات العلمية – هنا – بمعنى الجائزة أو العطية التى يمنحها الأستاذ لتلميذه الذى استوعب العلوم^(٤) التى درسها وعلمه إياها.

(١) مخطوطة كاتب الشونة، ص ٨٧.

(٢) تتكون هذه النصيحة من عشر ورقات و٢٤٨ بيتاً يحض فيها بعض الإخوان على الإنخراط فى سلك التقوى والصلاح، وهى أشبه بمنظومة انظر: الطبقات، ص ٣١٢، يحيى محمد إبراهيم: التعليم الدينى، ص ١٧٣.

(٣) الإجازة إذن بالرواية يمنحها شيخ لطالب ليروى عنه مادة علمية سواء أكان من مروياته أو من مؤلفاته. وقد عنى المسلمون بها كطريقة من طرق نقل الحديث وتحمله، وكان الحرص على نيل الإجازات وسماع الحديث من أفواه روايته سبباً فى ارتياد الأمصار، وطرق نقل الحديث وتحمله ثمانية: السماع من لفظ الشيخ والقراءة عليه والإجازة والمناولة، والمكاتبة والاعلام والوجادة والفرضة بالكتب. انظر: السيوطى: تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى، تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف، القاهرة ١٩٣٨، ص ٨، أحمد رمضان أحمد: الإجازات والتوقيعات المخطوطة فى العلوم النقلية والعقلية من القرن ٤ هـ / ١٠ م إلى ١٠ هـ / ١٦ م، هيئة الآثار المصرية ١٩٨٦ م، ص (ب).

(٤) العلوم النقلية هى العلوم الدينية (القرآن والحديث والسنة) وما يدور فى فلكها التى ليس لأحد أن يضيف إليها أو ينقص منها، والعلوم العقلية هى التى عرفت فى عهد الدولة الأموية بعلوم الأعاجم أى علوم غير العرب، وهى جميع العلوم والمعارف التى بدأت ترقيها منذ العهد الأموى وتمت فى أوائل القرن الثالث الهجرى فى عهد الخليفة المأمون العباسى، هذا وتنقسم العلوم العقلية إلى علوم تجريبية مثل الكيمياء والطب والمواد الطبيعية والجيولوجيا وعلم الهيئة وعلم الموسيقى، أما القسم الثانى من العلوم العقلية فهى التى لا تحتاج إلى معمل وهى علم الجغرافيا والتاريخ والمنطق والفلسفة أما التوقيعات فإن معناها اللغوى مأخوذ من (التوقيع) فهو ما يوقع فى الكتاب بعد الفراغ منه، وهو ما يقال له، الحاشية الآن. انظر: أحمد رمضان: الإجازات والتوقيعات، ص (ب).

والإجازة إما شفوية^(١) وإما تحريرية^(٢) وهى على أنواع^(٣) وقد تصدى علماء الحديث لمناقشتها، وترجيح بعضها على البعض الآخر، وهى:

١- إجازة معين فى معين، كأن يقول المجيز: أجزت لك كتاب البخارى أو أكثر، أو ما اشتملت عليه فهرستى^(٤). ويعد هذا النوع من أعلى أنواع الإجازة، واختلف العلماء فى جواز الرواية بها.

٢- إجازة لمعين فى غير معين: ومثالها أن يقول: أجزت لك أولكم جميع مروياتى أو مسموعاتى. وهذا النوع وإن فقد أحد أركان الإجازة إلا أن جمهوراً من العلماء والمحدثين جوزوا العمل به^(٥).

٣- إجازة لغير معين فى غير معين، وصورتها: أجزت للمسلمين أو لكل من أدرك زمانى، وقد جوز البعض العمل بها، بينما اشترط البعض الآخر أن يقتصر على الموجودين عند الإجازة^(٦).

٤- إجازة المجهول بالمجهول، كأجزت لفلان أن يروى عنى كتاب السنن وهو يروى مجموعة من كتب السنة ثم لا يعين^(٧) وهى فاسدة عند الأكثر.

(١) الشفوية أسبق ظهوراً، فقد روى أن بشير ابن نهيك قال: «كتبت عن أبى هريرة كتاباً فلما أردت أن أفارقه قلت: يا أبا هريرة إنى كتبت عنك كتاباً، فأرويه عنك، قال: نعم، أروه، الخطيب البغدادي، تقييد العلم، دمشق ١٩٤٩، ص ١٠١، وروى أن تلميذاً للإمام جعفر الصادق طلب منه عندما أراد مفارقه أن يجيز قائلاً: أحب أن تزودنى فقال الإمام أيت إيان بن ثعلب (ت ١٤٨هـ) فإنه سمع منى حديثاً كثيراً فما روى لك عنى فأروه عنى. وغير ذلك كثير. يحيى محمد إبراهيم: التعليم، ص ١٨٨.

(٢) الإجازة التحريرية يعتقد أنها ظهرت منذ القرن الثالث الهجرى ولكنها كانت قليلة لذلك يمكن اعتبار القرن الخامس الهجرى البداية الحقيقية لظهور هذا النوع الذى اقترن بظهور المدارس وكثرة عدد طلابها، وظهور المكتبات وحينئذ اعمد الطلاب إلى ظاهرة «أن يثبتوا فى ذيل الكتاب أو صدره أسماء الذين سمعوه على مصنفه أو على شيخ آخر، انظر: عبدالله فياض: الإجازات العلمية عند المسلمين، بغداد، بدون، ص ٣، أحمد شلبى، تاريخ التربية الإسلامية، ص ص ٢٦٣-٢٦٤، صلاح الدين المنجد: إجازات السماع فى المخطوطات القديمة، مجلة معهد المخطوطات العربية، مجلد ١ نوفمبر ١٩٥٥.

(٣) للتوسع: انظر: السيوطى: تدريب الراوى. وعند أغا بزرك تنقسم الإجازة طولا وقصرا إلى ثلاثة أقسام: كبيرة مبسطة، وتكون كتابا مستقلا، ولبعضها عناوين خاطئة كاللؤلؤة والروضة البهية وبغية الوعاه، واللمعة المهدية.

ب - متوسطة مقتصرة على ذكر بعض الطرق والمشائخ، وتعد من الرسائل المختصرة أو المتوسطة ويعبر عنها برسالة الإجازة. ج - مختصرة: وهى لا تعد كتابا أو رسالة (الذريعة إلى تصانيف الشيعة والنجف) ١٩٣٦، ص ١٢٣.

(٤) التهانوى: كشف إصطلاحات الفنون، ص ٢٠٨.

(٥) انظر: أركان الإجازة كما نص عليها التهانوى، المصدر السابق الإجازة ولفظ الإجازة.

(٦) التهانوى: نفس المرجع، ص ٢٠٨.

(٧) ابن الصلاح: مقدمة ابن الصلاح فى علوم الحديث، القاهرة ١٩٧٦م، ص ٢٦٢ وما بعدها.

٥- المناولة: وهى إما أن تكون مقرونة بالإجازة. وتعد حينئذ أعلى مراتب الإجازة. وصورتها أن يناول الشيخ الطالب الأصل العلمى ويبيح له روايته إما تمليكاً أو إعارة أو نسخاً، ويسمى هذا عرض المناولة كما يسمى القراءة^(١) وهى أقل من السماع عند أكثر العلماء.

وإما أن تكون غير مقرونة بالإجازة، كأن يناول الشيخ تلميذه كتاباً ويقول: هذا سماعى أو روايتى دون أن يشير له بالرواية عنه، أو يجيز له بذلك وأكثر العلماء على عدم جواز الرواية بها^(٢).

٦- إجازة بالمكاتبة أو المراسلة وهى أن يكتب الشيخ إلى الطالب شيئاً من حديثه ويسمح له أن يرويه، وتعد فى درجة المناولة المقرونة بالإجازة وإذا كان ما سبق يعد أشهر أنواع الإجازات، فهناك أنواع أخرى أقل منها أهمية، مثل الإجازة بعراضة الكتب^(٣)، والإجازات الفخرية^(٤).

وهناك إجازات كانت تكتب شعراً، من ذلك إجازة التلمسانى المقرئ صاحب «نفح الطيب» إلى الأديب أحمد بن شاهين الشامى^(٥).

وهناك حالات نادرة كانت يشترط فيها أكثر من عالم فى منح الإجازة لمودة قائمة أو صداقة راسخة تربط بينهما^(٦).

لقد خضعت الإجازات لتغيرات كثيرة، فبعد أن كانت فى بدئها موجزة العبارة سهلة الأسلوب، صارت فى العصور المتأخرة تلجأ إلى العناية بالزخرفة اللفظية والإطالة والإسهاب^(٧) وبعد أن كانت قاصرة على ضبط الرواية وإقرار الحقائق

(١) ابن الصلاح: المقدمة، ص ٧٩.

(٢) أحمد رمضان، مرجع سابق، ص ١٤.

(٣) كان الطالب إذا حفظ كتاباً فى علم من العلوم يعرضه على الشيخ فيقرئه أى موضع منه، فإن قرأه دون تعلم أو توقف دل ذلك على حفظه لجميع الكتاب، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٣٢٧، يحيى محمد إبراهيم: التعليم، ص ١٩٠.

(٤) هى نادرة الحدوث، ولكنها كانت تمنع من المجيز بدافع المجاملة، ومن المستجيز للمباهاة والتفاخر لها أية صفة أو قيمة علمية.

(٥) انظر: يحيى محمد إبراهيم: التعليم الدينى، ص ١٩١.

(٦) نفسه، ص ١٩١.

(٧) حسين أمين: المدرسة المستنصرية، ص ٩٤.

صارت تمنح لمن أراد العمل بها فى مجالات أوسع كأن يتصدى للفتيا أو التدريس والقضاء^(١).

كانت الدراسة بالأزهر تقوم على نظام الحلقات، وكان الطالب إذا أراد أن يجلس للتدريس وتيقن أنه استوعب مادته أستاذن أستاذه تأديبا، وعقد حلقة تضم طلابا من أنصاره وخصومه، وهؤلاء كانوا يحرصون على مجابته بسيل من الأسئلة الغامضة بغية تعجيزه، فإذا وفق فى الإجابة، وقارع الحجة بمثلها أو بأحسن منها، واقتنع الحاضرون بذلك سمحوا له بالاستمرار وهذا كان بمثابة إذن له بصلاحيته للتدريس^(٢).

ويشير الدكتور أحمد رمضان إلى إجازة منحت لطالب فى القرن الثامن الهجرى الرابع عشر الميلادى من الأزهر وفيما يلى نصها:

استخير الله تعالى فى الإيراد والإصدار واعتصم به من أفتى التقصير والإكثار، واستغفر الله فيما فرط فى الجهر والإسرار وأقول:

أنى ذكرت فلانا زينة الله بالتقوى وحرصه فى السر والنجوى، فى فنون من العلوم الشرعية والعقلية فألقينته يرجع إلى معقول صحيح ومنقول صريح واطلاع على مشكلات واضطلاح بحل المعضلات لاسيما فى فقه المذهب، فإنه أصبح فيه كالعالم المذهب، وقام بعلم العربية والتفسير وصار فيها الفاضل النحرير، وقد أجبته إلى ما التبس وإن كان غنيا بما حصل وبما اقتبس، فليدرس مذهب الإمام الشافعى رضى الله عنه لطالبه. وليجيب المستفتى بقلمه وفيه ثقة بفضل الباهر وورعه الوافر، وفطرته الوقادة والمعيته النقادة والله تعالى ينفعنا وإياه بما علمناه ويرفعنا بذلك لديه فما المقصود سواه^(٣).

(١) يوضح القلقشندي: الغرض من الإجازة للفتيا والتدريس فيقول: «أما الإجازة للفتيا فقد جرت العادة أنه إذا تأهل بعض أهل العلم للفتيا والتدريس أن يأذن له مشيخه في أن يفتي ويدرس وكتب له بذلك وجرت العادة أن يكون ما يكتب فى الغالب فى قطع عريض إما فى فرضه الشامى أو نحوها من البلدى وتكون الكتابة بقلم الرقاع اسطر متوالية بين كل سطرين نحو أصبع عريض، انظر صبح الأعشى ج٤، ص ٣٢٢.

(٢) أحمد شلبى: التربية الإسلامية، ص ٢٢٠.

(٣) أحمد رمضان أحمد: الإجازات، ص ١٦، ١٧ ولمزيد من الإجازات قام المؤلف بتحقيق عدد من المخطوطات لفترات متعددة. انظر: أحمد رمضان: الإجازات.

وقد عرف السودان وادى النيل الإجازات العلمية، وخاصة مع عصر الفونج عام ٩١١هـ/ ١٥٠٥م، وهى ثمرة الثقافة الإسلامية القادمة من مصر متمثلة فى أزهرها الشريف. وهناك من الدلائل ما يؤكد أن الرعيل الأول الذين درسوا فى الأزهر نالوا إجازات تثبت كفاءتهم وأهليتهم للفتيا والتدريس.

- تقدم بنا أن الطالب ما كان يقدم على الاستجازة إلا بعد أن يأنس فى نفسه الأهلية، وكان الأستاذ يحرص على ذلك لضمان صحة مروياته أو مؤلفاته.

- درس هؤلاء على النبوفرى واللقانيين وزكريا الأنصارى والدرديرى وهم إذ ذاك مشاهير علماء الأزهر وكبار أعلامه، وليس ما يمنع أن يكون هؤلاء قد منحوا تلاميذهم من السودانين إجازات فى العلوم التى درسوها عليهم جريا على عادة علماء العصر، بدليل أن هؤلاء عندما عادوا للسودان قاموا بتدريس العلوم التى درسوها على شيوخهم، ويشير ود ضيف الله أن إسماعيل بن جابر دخل مصر، واجتمع بالشيخ النبوفرى فأجازه^(١)، كما أشاد النبوفرى الذى كان أستاذا لكثير من السودانين فذكر عبدالرحمن بن حمدتو أنه يصلح للفتوى لكونه يسأل عن معانى الشراح، وأشاد بزميله محمد بن سرحان فقال عنه:

«إنه يصلح للتدريس لكونه يسأل عن تحقيق صورة المتن^(٢) وليس ثمة ما يمنع من أن يكون قد منحها إجازات تلبية لرغبتها بعد أن وثق من علمهما وأهليتهما كل فى مجال اهتمامه».

- يحوى كتاب الطبقات على العديد من أسماء العلماء الذين أجازوا من الأزهر وخاصة السودانين الذين درسوا فى الأزهر وتصدروا حلقات الدروس ثم بعد ذلك عادوا إلى بلادهم^(٣).

- اشتهر أولاد جابر بتدريس الفقه وعلوم أخرى، وبلغت ختماتهم فى «مختصر خليل» أربعين ختمة وتزيد، وهذا يؤكد أنهم أجازوا فيما ختموه^(٤).

(١) الطبقات: ص ٤٦.

(٢) الطبقات: ص ٢٥٦.

(٣) الطبقات، ص ٢٨٦ - ٢٨٧.

(٤) انظر: الطبقات، ص ٢٥١.

يتضح من هذا أن سودان وادى النيل قد عرف الإجازات العلمية التى كان الحرص عليها شديداً، وهذا يساعدنا على إقرار أن علماء ذلك العصر الذين نشروا الثقافة الإسلامية فى مساجد السودان كان لهم صلاحية للتدريس والفتيا، وقد عرض دكتور عزالدين الأمين نماذج من الإجازات وإن كانت فى عصر الفونج إلا أنها تعطينها نموذجاً صادقاً عن إجازات هذه الفترة فى سودان وادى النيل^(١).

هكذا يتضح رافد الثقافة الإسلامية المنطلقة من مصر فى أكمل عطائها لظهيرها ورصيدها سودان وادى النيل، الذى تشرب كل هذه المؤثرات، وتشكل فى ثوب إسلامى جديد مع مرحلة التغير فى الثقافات التى كانت وليدة بانهيار ممالك النوبة المسيحية وقيام الممالك والمشيخات الإسلامية.

(١) انظر: عزالدين الأمين: قرية كترانج، ص ٧١ - ١١٠ وهى نماذج للإجازات العلمية التى كانت تمنح فى فترة عصر الفونج، انظر مخطوط العصر المملوكى، مكتوب على ورق التى عند العصر العثمانى وجد بقصر ابراهيم، توضح التعليم الدينى فى هذا العصر، شكل رقم ٢١، ٢٢/ ١٠ بالملاحق.

الخاتمة

ظلت معاهدة البقظ، رغم ما أصابها من شروخ تنظم العلائق بين مصر وبلاد النوبة أمداً طويلاً. وكان السلم يغلب على تلك الصلات إلا في حالات نادرة حدثت فيها مناوشات على الحدود أو حرب محدودة، وكانت أقوى هذه المواجهات هي معركة دنقلا في عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي، حيث توغل الأيوبيون حتى أبريم، من أجل المحافظة على مصالح مصر الحيوية في الجنوب.

وحقيقة الأمر أن الحكومات الإسلامية رغم قوة نفوذها في بلاد النوبة لم تشأ التدخل في شئون مملكة النوبة المسيحية، بل اكتفت بأن كفلت للمسلمين مزاولة شعائهم الدينية في حرية تامة. ولم يحاول القائمون على أمر مصر الإسلامية أن ينشروا العقيدة الإسلامية في بلاد النوبة إذ لم يكن نشر الدين فيما يبدو جزءاً من سياساتهم المعلنة، بل ترك أمر نشر الدعوة للجهود الفردية للتجار والبدو. ومع عدم تيقننا من درجة نجاحهم في هذه الفترة المبكرة، فإن الحماس الديني الذي يدفع بعض المسلمين لنشر العقيدة الإسلامية مضافاً إليه ما حققه المسلمون من انتصارات في البلاد المسيحية المجاورة، وسجلهم الحسن في معاملة رعاياهم من أهل الذمة، كانت كلها خير عون لهؤلاء الدعاة، وقد أكدت الدراسة وجود عدد لا بأس به من المسلمين الوطنيين، لكن هذا العدد قد تزايد بعد اضمحلال النفوذ السياسي لمملكة النوبة المسيحية «المقرة»، وقد تحقق ذلك في عهد المماليك.

وقد أدى قيام دولة المماليك في مصر سنة (١٢٥٠-١٥١٧م) إلى تطورات سريعة ساهمت في انهيار ممالك النوبة المسيحية، فقد تدفقت القبائل العربية - التي أبعدت عن مواضع السلطة والنفوذ من مصر - إلى سوادن وادي النيل.

وقد أدت ثورات العربان المتكررة في صعيد مصر في الصحراء الشرقية إلى اضطراب سير القوافل، وإشاعة الخوف بين من يعملون في أرض المعدن، فاضطر السلطان بيبرس لتأمين تلك الطرق ومد نفوذه حتى ميناء سواكن.

وأحس داود ملك النوبة بأن المماليك بتصرفهم هذا يهدفون إلى حرمان مملكة النوبة المسيحية من الاتصال بالعالم الخارجي عبر البحر الأحمر، وعبر داود عن استيائه هذا بتخريب عيذاب وصعيد مصر سنة ٦٧١هـ / ١٢٧٢م، مبتدراً بذلك سياسة

هجومية لم يقدر عواقبها جيداً. وبينما كان السلطان بيبرس يعد العدة لتأديب الملك داود، وفد إليه أمير نوبى يدعى شكنده، وزعم أن الملك داود قد اغتصب عرش النوبة منه. فوجد بيبرس فى ذلك مبرراً للتدخل فى شئون بلاد النوبة.

وقد حرص سلاطين المماليك على الاهتمام بثغر عيذاب، يتضح هذا منذ أيام الظاهر بيبرس بإعدادة حملته الكبرى على بلاد النوبة فى عام ٦٦٦هـ/١٢٦٧م، وهى الحملة التى هزت أركان النظام النوبى، وكانت من أقوى أسباب اضمحلال مملكة المقرة.

ونستطيع أن نقرر من واقع هذه الدراسة أن بداية التطلع المملوكى نحو الجنوب كان من أجل المحافظة على شريان التجارة الشرقية وبالأخص ميناء عيذاب.

هذا وقد ساعد الوضع الجديد المترتب على التدخل المملوكى فى النوبة، على انتشار الإسلام، وتكثيف عملية الاستعراب التى بدأت منذ أمد بعيد فى بلاد المريس على يد بنى الكنز.

كما ساعد تدخل المماليك العسكرى على إضعاف النظام السياسى لنظام الحكم فى بلاد النوبة، ومهد لدخول كثير من العربان مع الجيش المملوكى واستقرارهم فى بلاد النوبة، على غير ما أراد السلطان بيبرس، وتزوجوا من أهلها ومن أسرها الحاكمة حتى ملكوا زمام الأمر.

ونستطيع أن نقرر كذلك أن مملكة النوبة المسيحية «المقرة» ظلت تقاوم وحدها الضغط العربى المملوكى دون عون خارجى، فلم يتعاون معها أى من الممالك المسيحية المجاورة، فالنزاع الذى نشب بين ملوك النوبة وملوك علوة كان من أهم العوامل التى عجلت بسقوط ممالك النوبة المسيحية، أما ملوك الحبشة من البيت الزغاوى فلم يمدوا يد المساعدة لملوك النوبة ضد السلطنة المملوكية أو القبائل العربية التى ملكت الديار، وذلك لإنشغالهم فى الصراع مع القوى المحلية بهضبة الحبشة وشرق إفريقيا (بلاد الزيلع).

ثم إن اضطراب الأحوال الداخلية لبلاد النوبة فى القرن الرابع عشر الميلادى بسبب حالة الاضطراب السياسى التى آثارها بنى الكنز وغيرهم من القبائل العربية،

أثر على تدهور التجارة النوبية، وبالتالي أصبحت البلاد مهياة لتدخل السلطنة المملوكية لمواجهة المخاطر المتمثلة في هؤلاء العربان.

وأخيراً أفرزت الدراسة أن الكنيسة النوبية كانت دائماً في حاجة لأن تتصل بمنبعها وهي كنيسة الإسكندرية للحصول على الأساقفة، غير أن هذه الصلة الدينية قطعت نهائياً منذ عهد البطريرك «سيريل عام ٦٣٣هـ / ١٢٣٥م، فتركت دون عون خارجي، فضعف مركزها، ونعتقد أنه لم يكد ينتصف القرن الرابع عشر الميلادي حتى كان النوبيون قد اعتنقوا الإسلام باستثناء أقلية نوبية ظلت على المسيحية حتى أواخر القرن الخامس عشر الميلادي.

وقد أحسن العلامة ابن خلدون (١٣٣٢ - ١٤٠٥ - ١٤٠٦م) وصف حالة الضعف التي تردت فيها البلاد بعد أن تفتت قوى حكومة النوبة المركزية، وتدفق العرب في أعداد كبيرة على تلك البلاد، واستحوذت عليها، يقول ابن خلدون: «إن الجزية انقطعت بإسلامهم «أى النوبة، ثم انتشرت أحياء العرب من جهينة في بلادهم واستوطنوها وملكوها،.... وذهب ملوك النوبة إلى مدافعتهم فعجزوا، ثم صاروا إلى مصانعتهم بالمصاهرة فافترق ملكهم، وصار لبعض أبناء جهينة من أمهاتهم على عادة الأعاجم في تملك الأخت وابن الأخت. فتمزق ملكهم، واستولى أعراب جهينة على بلادهم».

ومع إننى أميل إلى أن بنى الكنز قد قاموا بدور قيادى وهام فى هذه المرحلة، إلا أن هذا الترجيح لا ينفى أن جهينة كانت من أهم القبائل العربية التي توغلت فى السودان وأكثرها عدداً ومن ثم أسهمت بدور كبير فى الهجرة العربية.

ويسقوط مملكة النوبة المسيحية زال الكيان السياسى القوى الذى كان يحول دون دخول العرب فى أعداد كبيرة عن طريق وادى النيل، وقد صادف هذا الحدث قمة الصراع بين العربان والمماليك فى مصر، فتدفق العرب فى مجموعات كبيرة عبر الصحراء الشرقية التى كانت مسرحاً لنشاط عربى اقتصادى كبير وموطناً لكثير من العرب الذين قدموا لتلك الديار «إما من مصر أو ساحل البحر الأحمر» حيث تزوجوا من البجة ونشروا الإسلام، وكثيراً من مظاهر الثقافة العربية.

وسارت هذه الجماعات حتى بلغت أرض البطانة والجزيرة ثم عبر بعضها النيل إلى كردفان ودارفور، وهناك التقت هذه الموجة من الهجرة بموجة أخرى كانت قد

تابعت ضفة النيل الغربية حتى دنقلا، فوادی المقدم، ووادی الملك، حتى بلغت مملكة كانم، برنو، فى أواخر القرن الرابع عشر حيث كان الإسلام قد بلغ تلك الجهة قبل عشرات السنين من قدومه من جهة بلاد المغرب وشمال إفريقيا.

واستقر هؤلاء المهاجرون وجلهم من البدو فى سهول أواسط السودان الغنية بالمرعى، وانفتحوا على السكان الوطنيين من نوبيين وبجة وذنج وغيرهم، فصاهروهم، مكررين تجربة التلاحم التى بدأتها ربعة فى بلاد البجة والمريس منذ مئات السنين.

ونتيجة هذا التلاحم الشديد صارت العربية أو العروبة ذات مدلول ثقافى.

وقد أثبتت الدراسة أنه كان لتلك الهجرات العربية أثر كبير فى القضاء على مملكة علوة المسيحية التى تربطها بعض الصلات بالدولة الإسلامية منذ زمن بعيد. ويخبرنا اليعقوبى أن التجار العرب كثيراً ما ترددوا على سوبا فى القرن التاسع الميلادى، وفى القرن العاشر تمكنوا من إقامة رباط لهم فى سوبا، كما أن مجموعات من الأعراب الذين لم يغرمهم الاشتغال بالتعدين، والعمل فى نقل البضائع الشرقية تسربوا إلى مراعى علوة، وقد كثر عددهم بعد أن تدهورت إمكانات المنطقة الشرقية الاقتصادية، وبعد سقوط مملكة النوبة المسيحية. ولما كثر عدد الوافدين، وازدادوا منعة وقوة بظهور التكوينات القبلية الكبيرة، وحدهم عبدالله جماع القاسمى، وقضى على علوة فى منتصف القرن الخامس عشر، ومع أن سقوط علوة جاء نتيجة جهد عربى إلا أن مدة تفرد العرب بالسلطة لم تدم طويلاً، إذ سرعان ما نازع العبدلاب خلفاء عبدالله جماع، جماعة من البدو السود اشتهرت بتربية البقر وعرفوا باسم الفونج، ولا يعرف أصل الفونج البعيد. ولكن الراجح أنهم شعب أسود، وفد من منطقة أعالي النيل الأزرق وتمثل الثقافة العربية الإسلامية أو ربما كانوا سلالة أب عربى وأم سودانية، ومهما كان أصلهم فالمهم أن ظهورهم فى التاريخ أرتبط إلى درجة كبيرة ببلوغ المؤثرات الإسلامية العربية إلى تلك المنطقة؛ وتمكن الفونج سنة ١٥٤٠ م من بسط نفوذهم على العبدلاب، وعلى رعاياهم من العرب والمجموعات المستعربة وغيرهم من الوطنيين حتى الشلال الثالث، كما شملت مملكة الفونج أو السلطنة الزرقاء أجزاء كبيرة من كردفان وبلاد البجة.

وفى سلطنة الفونج الإسلامية التى أنشأها عمارة دونقس نماذج العنصران العربى والسودانى - الإفريقى وتكاملاً ثقافياً فى بوتقة الحضارة الإسلامية، مقدمين بذلك نموذجاً جديداً للتلاحم بين شعوب مختلفة فى إطار الدين الإسلامى. ونجد خير دليل على انصهار الشعبين وتكامل الثقافتين فى اسم مؤسس دولة الفونج: فعمارة رمز العروبة ودونقس رمز الإفريقية وقد تكررت نفس الظاهرة عند قيام سلطنة الفور فى غرب السودان، وفى مملكة تغلى فى أوسطه.

يتضح من واقع دراستنا أن انتشار الإسلام بين الوطنيين وهم خليط من المسيحيين والوثنيين يعزى إلى تسرب القبائل العربية فى أعداد كبيرة وإلى توغل التجار فى تلك الديار. ولكن عملية التحول إلى الدين الإسلامى كانت بطيئة جداً. وحقيقة الأمر أن السودان وادى النيل لم يصبح بلداً مسلماً إلا بعد قيام السلطنات الإسلامية كالفونج والعبدلاب، والسبب فى ذلك أن الديانة المسيحية لم تمت بسقوط الكيان السياسى فى مملكتى النوبة وعلوة، بل بقيت المسيحية فى بعض مظاهرها حتى وقت متأخر، وقد ظلت الشعائر المسيحية تمارس فى أقصى شمال السودان حتى أواخر القرن الخامس عشر ١٤٨٥ م. وهناك ما يشير إلى وجود بعض المسيحيين فى إحدى جزر المديرية الشمالية، ولعلها جزيرة تنقس حتى سنة ١٧٤٢ م.

إن انتشار الإسلام قد اتسم بالتدرج، فقد دخل العرب مزودين بالقيم الإسلامية، واختلطوا بالسكان الوطنيين، ثم توالدوا معهم، وتغيرت طبيعة المجتمع لشعب تغلب عليه الثقافة العربية ويحمل فى سماته كثيراً من السمات الإفريقية، ممثلة فى ملامحه وعاداته وممارساته، وفنونه الشعبية، بجانب قوة الدين الإسلامى ومميزاته التى مكنته من الانتشار.

هذا ونستطيع أن نقرر أن انتشار الدعوة الإسلامية قبل قيام الممالك الإسلامية كانت منظمة فى كثير من مظاهرها، فقد أهتم الرواد الأوائل من المسلمين، وجلهم من التجار والبدو وهم ممن حملوا المعرفة الدقيقة للشريعة الإسلامية، لنشرها بين المسيحيين والوثنيين مركزين على أصول العقيدة الإسلامية وقد شارك هاتين الفئتين بعض العلماء، وقد روى عن أول عالم ورد ذكره فى الأخبار وهو غلام الله بن عائد اليمنى. وكان قد قدم من اليمن إلى دنقلا فى منتصف القرن الرابع عشر، أنه قرر

البقاء فى تلك المدينة للمساهمة فى نشر تعاليم الإسلام بعد أن هاله ما رأى باهلها من جهل وحيرة لإنعدام العلماء. وأخذ الشيخ غلام الله يعمر المساجد، وينشئ المدارس ويعلم القرآن، وشهد القرن الخامس عشر مجيء حمد أبو دنانة صهر الشيخ عبدالله بن محمد الجزولى الشاذلى. وكان استقراره بالمحمية، حيث بدأ فى نشر الطريقة الشاذلية بالسودان.

ويتضح أثر مصر الثقافى فى السودان وادى النيل من خلال أزهرها الشريف، فقد أصبحت مصر مقصد العلماء المسلمين من كل مكان، يأتونها ليجدوا فى رحابها الانفتاح الثقافى فكانت القاهرة مركزاً للإشعاع العلمى والثقافى فى العالم الإسلامى كله زمن المماليك تدرس بها سائر العلوم الدينية واللغوية.

وكان الأزهر الشريف يمثل ركناً هاماً فى نشر الثقافة الإسلامية فى عصر سلاطين المماليك، إذ كان مركزاً لدراسة شتى أنواع العلوم من الحديث والفقه والتفسير والنحو، بل كان مقرراً دائماً لتلاوة القرآن وتدريس علومه، إلى جانب أنه كان داراً للتصوف؛ وكدليل على مدى حرص مصر على احتضان أبناء السودان وادى النيل أنه قد خصص فى الجامع الأزهر رواقاً لطلبة سنار عرف برواق السنارية، ورواقاً لطلبة دارفور. وهذا يعطينا دليلاً على كثرة عدد الطلاب الوافدين من السودان وادى النيل.

ومن الرواد السودانيين الذين وفدوا إلى مصر للدراسة فى الأزهر. كما تصوره كتب الطبقات الشيخ محمود العركى الذى تتلمذ على يد الشيخين شمس الدين اللقانى، وناصر الدين اللقانى فيما بين (٩٣٥ م - ٩٤٠ هـ / ١٥٢٩ - ١٥٣٤ م)، وهما من شيوخ المالكية المعروفين آنذاك. ثم أشتد وفود العلماء من مصر فى النصف الثانى من القرن العاشر. بعد أن توطنت دولة الفونج، وبسطت ظلها على السودان، وظهرت مكانة سنار بين عواصم الإسلام. وتعدد كتب الطبقات أسماء الوافدين وتعرض لإنتاجهم، وتتحدث عن أثرهم فى ميدان الثقافة، ومنهم الشيخ إبراهيم البولاد بن جابر بن غلام الله بن عائذ حيث رحل إلى مصر وتفقه على يد الشيخ محمد البنوفرى أمام المذهب المالكى فى القاهرة.

هذا وقد حوت الدراسة أسماء العديد من العلماء الذين قصدوا القاهرة طلباً للعلم، ومنحوا الإجازة العلمية من الأزهر الشريف، فنقلوا هذه المؤثرات الثقافية إلى السودان وادى النيل.

كما يتضح الأثر المصرى فى ثقافة السودان وادى النيل من خلال ثفرى أسوان وعيذاب، اللذين نشطتا فيهما الحركة العلمية والأدبية؛ وبذا انتقلت بسهولة ويسر مع اشتداد نفوذ مصر السياسى على بلاد النوبة، فقد كان هذا الوقت مناسباً فى ظل هذا الاستقرار من المناخ السياسى أن تزدهر الثقافة العربية المنطلقة من مصر إلى ظهورها وموئل أمنها السودان وادى النيل.

وقد أهتم الدعاة الأوائل بتحفيظ القرآن للنشئ وتدريسهم مبادئ الفقه والتوحيد، وكان المذهب الشائع هو مذهب الإمام مالك بينما تبعت القلة تعاليم الإمام الشافعى. ومرد ذلك إلى أن معظم من هاجر إلى السودان من القبائل العربية جاء من صعيد مصر الذى عرف بشيوع المذهب المالكي بين سكانه.

ودخلت تعاليم المذهب الشافعى إلى السودان نحو عام ٩٧١هـ / ١٥٦٣م على يد الشيخ محمد بن على بن قرم الفقيه الشافعى المصرى الذى زار سنار وأرجى وبربر، وأخذ من الأخيرة مقاماً له، ومنها نشر بعض تلاميذه المذهب الشافعى وإن لم يصيروا جميعاً من أتباعه. ومن الفئة الأخيرة إبراهيم الفرضى، والقاضى دشين، وعبدالله العركى، وعبدالرحمن ولد حمدتو، وانتهت المنافسة بين المذهبين بفوز المذهب المالكي، إلا أن منطقتى سواكن وطوكر ظلت على هدى الشافعية حتى يومنا هذا.

وبالرغم من أن الجمع بين حفظ القرآن، ودراسة «الرسالة»، ومختصر الخليل، ومقدمة السنوسى، فى التوحيد والانخراط فى الطرق الصوفية كان غاية ما يصبوا إليه كثيراً من المتعلمين السودانيين، فإننا نجد بعض الأدلة على دراسة علوم القرآن والفرائض، ومبادئ النحو والصرف، وعلوم العربية «كاللغة والمعانى والبيان والعروض والشعر، والمنطق والحديث والتفسير والأصول، كما كان لبعضهم معرفة السير والأخبار».

وقد قام رجال الطرق الصوفية بدور كبير فى نشر العقيدة الإسلامية وتعميق مفاهيمها، على يد العلماء والمتصوفة، وما أن جاء نصر الله والفتح ودخل الناس فى دين الله أفواجا، وأحرز الاستعراب تقدماً ملحوظاً فى الجزء الشمالى من سلطنة الفونج، وهو الجزء الخاضع لنفوذ ملوك العبدلاب، والذى يمتاز بأنه ذو مضمون حضارى

عريق حتى تهيأ لهذه المنطقة أن أن تحتل مكان الصدارة للإشعاع الإسلامى والحضارى لباقى أقاليم السودان وادى النيل.

وبعد أن تهيأت لهذا الإقليم القيادة الدينية والسياسية بدأت هجرة العلماء ورجال الطرق الصوفية للمناطق الحديثة العهد بالإسلام أو الواقعة على أطراف دار الإسلام، وهذه المناطق تقع إما داخل التكوينات السياسية القائمة فى السودان وادى النيل أو على أطرافه، ونخلص من هذا إلى أن جيل الدعوة الإسلامية الذين حملوا مشعلها فى المرحلة الثانية كان جلهم من الجيل الجديد، من النوبة المستعربين، أو العرب الذين استوطنوا فى هذه الديار منذ عشرات السنوات كالدناقلة، والمحس، والركابية، والشايقية، والجعليين.

وبعد فقد أثبتت الدراسة أن لهذا التسرب العربى الإسلامى من الهجرات العربية المتجهة من مصر إلى السودان وادى النيل قبيل العصر المملوكى دوافع ثلاثة.

- الضغط من جانب حكام مصر.
- البحث عن الكلا فى أقاليم النوبة الشاسعة.
- التجارة، وخاصة تجارة الذهب التى ذاعت شهرتها فى أرض البجة، بالإضافة إلى تجارة الرقيق.

ونستطيع أن نقرر أن بداية التطلع المملوكى نحو الجنوب كان شديد الارتباط بالصراع الدولى على التجارة فى البحار الشرقية، وبالأخص ميناء عيذاب. فقد أدرك الظاهر بيبرس هذا الخطر الصليبي الكامن فى الجنوب، وأدرك احتمال طعن النوبيين لمصر من الخلف أثناء انشغالها بتصفية الجيوب الصليبية فى بلاد الشام، وقد أعد حملته الكبرى التى انتهت بعقد اتفاقية جديدة تنظم العلاقات بين مصر والنوبة وأسفرت عن خضوع بلاد النوبة خضوعاً إقليمياً لمصر لأول مرة فى العصر الإسلامى بعد أن تمكنت الحملة من فتحها فتحاً حقيقياً؛ وكانت ثمرة هذا الفتح نتائج خطيرة:

* ضم القسم الشمالى من بلاد النوبة إلى مصر ويشمل بلاد العلى والجبل بما فيه قلعتى الدو وأبريم، وتقدر بنحو ربع بلاد النوبة وأصبح تحت السيادة المباشرة

للسلطان المملوكى، ويقوم صاحب الجبل بصفة نائب للسلطان بحكمه.

* أصبح ملك النوبة نائبا للسلطان المملوكى على ما بقى تحت يده من البلاد، وبذلك استقر نفوذ مصر فى بلاد النوبة، وانتظم ملوكها فى أداء ما التزموا به للسلطان المملوكى الذى أصبح من حقه تعيين ملوك النوبة أو عزلهم.

* عوملت بلاد النوبة معاملة البلاد المفتوحة عنوة، وأصبح غير المسلمين من أهلها أهل ذمة يؤدون ما فرض عليهم من جزية ماداموا على غير الإسلام.

* اعتناق ملك النوبة الإسلام، ويستدل على ذلك مما ورد فى كتاب من إنشاء ابن عبدالظاهر كتبه على لسان السلطان بيبرس رداً على رسالة الأمير شمس الدين أقسنقر الفارقانى.

* أنشأ السلطان بيبرس ديوانا جديدا هو ديوان النوبة، و اضافه إلى وزيره صاحب بهاء الدين بن حنا، ورسم له أن يتولى الإشراف عليه، ويستخدم عمالا على ما يستخرج من النوبة من جزية وخراج ومتابعة انتظام وصولها.

* إقبال ملوك الأبواب التابعين لمملكة علوة، الواقعة جنوب مملكة المقررة على الارتباط بعلاقات ودية مع السلطنة المملوكية، بعد أن تمكنت قواتها من التوغل داخل أراضي تلك المملكة فى مطاردة الملك داود، ولهذا تدفقت هداياهم على البلاط المملوكى ضمانا لعدم تعرضهم للمخاطر.

* بالإضافة إلى الشروط السياسية والاقتصادية المرفقة فى الاتفاق خسرت النوبة بضعة آلاف من أبنائها، وقعوا أسرى فى أيدي القوات المملوكية، وبذا كانت حملة السلطان الظاهر بيبرس منجزة لأهدافها بالكامل، وحققت ما لم تستطع حملة أخرى أن تحققه فى تلك البلاد منذ الفتح العربى لمصر.

وقد ثبت لدينا أن تلك الحملات التى بدأها الظاهر بيبرس إلى فتح بلاد النوبة، وأصبح ملكها رعية من رعايا صاحب مصر، يؤدى سنويا ما تقرر على بلاده من عبيد وإماء وحراب ووحوش نوبية، ويخطب لخليفة العصر وصاحب مصر، قال ابن فضل الله العمرى: «وملكها الآن (أى فى أواخر عصر الناصر محمد، مسلم من أولاد كنز الدولة.. ولا يملك الآن بها ملك إلا من الأبواب السلطانية بمصر).

وإذا كانت العلاقة بين مصر والنوبة لم تقف عند ذلك الحد فإنها أخذت شكلا جديداً، فقد توقفت إغارات النوبيين على مصر، وصارت سلطنة المماليك بعد بيبرس تتدخل فى شئون النوبة الداخلية، وانتهى الأمر فى عصر الناصر محمد بن قلاوون بسقوط ممالك النوبة المسيحية فى النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادى، واعتلى عرشها ملك مسلم هو كنز الدولة، وبهذا اتسقت الأوضاع السياسية فى بلاد النوبة مع أوضاعها الاجتماعية فصار الملوك على دين شعوبهم، وانتهى ذلك الوضع الشاذ الذى كان سائداً من قبل، حين كان الملوك يتمسكون بالعقيدة المسيحية، بينما كانت الشعوب قد تحولت منذ فترات مبكرة إلى الإسلام.

هذا ونستطيع من واقع الوثائق أن نقرر أن بنى ربيعة الكنوز ومن والاهم من قبائل العرب قد أثروا بشكل حاسم فى التكوين السكانى للمجتمع النوبى، وساهموا بدور أساسى فى تعلم اللغة العربية، وانتشار الإسلام بتلك البلاد بعد سقوط المملكة، وعلى الرغم من أن المسيحية بقيت ديانة بعض السكان لمدة قرنين بعد استيلاء بنى ربيعة الكنوز على عرش دنقلة، إلا أنها فى النهاية انحسرت أمام المد العربى الإسلامى فى ظل هؤلاء الحكام الربيعيين وحلفائهم.

ويتضح من الدراسة أن استقرار العرب فى مملكة علوة وتدرجهم فى الاستيلاء على السلطة قد سار فى أكثر من اتجاه، أولها بعد سقوط مملكة المقررة فى الشمال فى أوائل القرن الرابع عشر الميلادى، وانهيار السد المنيع الذى ظل يحول دون أن يحدث انهيار كامل فى بنية الدولة المسيحية.

وتوافدت الهجرات وأعظمها جهينة، وقبائل عربية أخرى، أخذت طريقها نحو علوة فى انتشار سلمى لم يسبقه عنف أو قتال، وبذا نجح التيار العربى الجارف فى الهيمنة على المملكة حتى صارت المواجهة حتمية فاضطر إلى أن يستأصل شأفة المملكة المتهالك - فقصد هنا مملكة علوة المسيحية - وصبغها بالصبغة الإسلامية.

ونستطيع أن نتبين المدى الذى وصلت إليه الكثرة العربية فى أرض علوة من المادة الكثيرة فى المصادرة السودانية التى تقول أن قبائل جهينة وحدها حول سوبا عاصمة مملكة علوة بلغت اثنتين وخمسين قبيلة.

كذلك عمل هؤلاء العرب أن يقوموا بعمل جماعى مباشر يهدف إلى نشر الإسلام بين السكان، بالموعظة الحسنة والحرية الدينية إلى أن انتشر الإسلام بالتدرج بعد المعاشة والمصاهرة والاختلاط.

ونتيجة للهجرات العربية المتتالية تغير التركيب البشرى فى أرض النوبة تغيرا يكاد أن يكون كاملا، فتعرضت أرض النوبة العليا لموجات كبيرة من العرب المهاجرين، وأصبحت موطن مجموعة القبائل الجعلية.

وقد اندمجت العناصر النوبية فى هذه القبائل اندماجاً كلياً، حتى اجتمعت كلمة بعض القبائل العربية بقيادة عبدالله جماع، وكلمة الفونج بقيادة عمارة دنقس فى بداية القرن السادس عشر فخبروا سوبا، واسقطوا دولة النوبة المسيحية العليا.

هذا ونستطيع أن نقرر من واقع المخطوطات التى رجعت إليها أنه قد انصهرت كل هذه العناصر مع العنصر النوبى، فتكلمت بلسانه، وأخذت بعاداته، وها هنا نجد تنوبيا لا استعرابا وإن كانت اللغة العربية تتقدم والمؤثرات العربية تزداد مع معدل التعليم والاحتكاك مع الخارج.

وتتجمع الأدلة الأثرية على أن النوبيين المسيحيين قد ظلوا بمنطقة قصر أبريم وجبل عدة، فقد كشف النقاب عن إمارة صغيرة تسمى «دوتاو باللغة العربية، ومعناها منطقة الدو السفلى، وكانت تقع بين الشلال الأول والثانى، كما اكتشفت فى أبريم وجبل عدة وثائق أثرية تذكر أسماء ثمانية ملوك وأساقفة، وبعض من رجال الكنيسة الذين كانوا يلعبون دوراً أساسياً فى إدارة المملكة ويحملون نفس الأعباء التى نجدها فى مملكة دنقلا؛ وهذا يدل على أن الأسرة التى ملكت فى دوتا وهم شعبة من الأسرة القديمة المسيحية التى كانت مالكة فى دنقلا. ويعتقد أن هذه المملكة قد بقيت حتى عام ٨٨٩هـ / ١٤٨٤م على الأقل. ويعد استمرار وجود المسيحيين طوال هذه الفترة دليلاً حاسماً على سماحة الإسلام، وعمل حكام هذه البلاد بمبدأ لا إكراه فى الدين.

وتؤكد الوثائق العربية على تغير العادات والتقاليد فى مجتمع السودان وادى النيل، حيث قدمنا أقدم وثيقة زواج عثر عليها من منطقة قصر أبريم، وهى وثيقة الزواج الملكية الخاصة بملك دنقلا الربيعى عام ٧٣٣هـ / ١٣٣٢م وبالمقارنة مع نموذجين من عقود الزواج الخاصة بأمرأ وأميرات من بنى الكنز من ثغر أسوان،

ويرجع تاريخها إلى القرنين السابع والثامن الهجريين؛ هذا بالإضافة إلى اختيار مجموعة من الوثائق البالغة الأهمية لعقود الزواج فى سودان وادى النيل، والتي ترجع إلى فترات زمنية مختلفة اتضح لنا من صيغة العقد معرفتهم التامة بالشرعية فى مجال العدة، وقد تمكنا بفضل الله من تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة التي حاولت بعض دعاة الفونج التأكيد بأن دورهم فى نشر الإسلام هو الذى حول بلاد النوبة إلى عقيدته، إذ يذكر محمد النور ود ضيف الله «أعلم أن الفونج ملكت أرض النوبة، وتغلبت عليها أول القرن العاشر «السادس عشر الميلادى»، ولم يشتهر فى تلك البلاد مدرسة علم ولا قرآن، ويقال أن الرجل كان يطلق المرأة ويتزوجها غيره فى نهارها من غير عدة، حتى قدم الشيخ محمود العركى من مصر. وعلم الناس العدة». إلا أننا الآن من خلال هذه الوثائق نستطيع الرد على ود ضيف الله ومن تابعه من المؤرخين المحدثين بأن هذا محض تعميم لا ينبغى القياس عليه دائما.

وبالاطلاع على مجموعة دار الوثائق القومية بالخرطوم وجدنا هناك مجموعة عقود كثيرة خاصة بالسادة النضيفاب، وهى فى فترات زمنية مختلفة وإن كانت متقدمة عن دراستنا، إلا أننا حرصنا على عرضها لبيان مدى التطور الذى حدث فى مجال توثيق عقود الزواج.

هذا، وقد كان الشهود على العقد أكثر من شاهدين كما هو واضح فى عقد الزواج الكنزى، فقد بلغ عددهم ستة شهود على العقد. وهذا لعلو كعب العروس.

وتؤكد الوثائق المكتشفة فى قصر أبريم مدى ما بلغه سودان وادى النيل فى فهم حقوق الزوجة وواجباتها من خلال المطالبة بالنفقة التى كان القاضى يحكم بنفاذها.

لقد انعكس التطور الاجتماعى فى مصر المملوكية على سودان وادى النيل متمثلاً فى انتقال هذه المؤثرات الإسلامية، واكتسابها فى سهولة ويسر لدى النوبيين المستعربين، جاء ذلك بحكم أواصر القرى، ولقربها من ثغر أسوان، وما تبعه من اتصال وثيق منذ بداية العصر المملوكى فى مصر، وقيام المشيخات والممالك الإسلامية فى سودان وادى النيل.

ويتضح من دراستنا لنماذج الوثائق التى تحت أيدينا وخاصة مخطوطة «أنساب عرب السودان، أن المسميات العربية فى مجتمع سودان وادى النيل قد تأصلت بشجرة

الأنساب العربية، إذ جاء فى مخطوطة «تاريخ النوبة»: «لأن العرب كثرت وفودهم إلى بر السودان فى تبع الخصب، وأغلبهم من حمير وربيعة وبنى عامر وقحطان وكنانة وجهينة وبنى يشكر وبنى كاهل وبنى ذبيان».

هذا وقد أثبتت الدراسة مدى التطور فى العادات الاجتماعية الخاصة من حيث الملبس والمأكل والمشرب، وأدوات الزينة، والمسكن والأثر الإسلامى فى الزخارف المعمارية، ثم أخيراً الاحتفالات والطقوس الدينية معتمدين فى ذلك على وثائق الفونج.

وأخيراً أثبتت الدراسة أن العصر المملوكى فى مصر قد شهد قمة الإشعاع الحضارى فى تاريخ مصر الإسلامية، وكان لابد لهذا الإشعاع الحضارى أن يمتد جنوباً إلى بقية أرض وادى النيل فمصر والنوبة توأمان فى ارتباط المصالح ولا أدل على هذا الرىط من اعتماد البلدين على النيل شريان حياتهما، ومصدر العطاء لشعبيهما مما يجعل توجه مصر نحو الجنوب أمراً حتمياً منذ ما قبل التاريخ وحتى الوقت الحاضر.

لقد صدق العلامة ابن خلدون فى حكمه على ذلك العصر «ولا أوفر اليوم فى الحضارة من مصر، فهى أم العالم وايوان الاسلام، وينبوع العلم والصنائع».

والله ولى التوفيق

دكتور

كرم الصاوى باز

المصادر والمراجع

أولاً: الوثائق :

(أ) وثائق غير منشورة:

- ١- عقد زواج خاص بالأمير الربيعي كنز الدولة أبني عبد الله على ابنة عمه السيدة بشرية بنت سيف الدين ماجد؛ متحف الفن الإسلامي بالقاهرة، تحت رقم (٤٢٢٢).
- ٢- عقد زواج غير منشور. تذكرة مباركة لصداق أم كلثوم بنت أحمد بنت عبد الغفار من زوجها الأمين - وثائق النضيغاب، دار الوثائق القومية بالخرطوم، تحت رقم Misc 1/27/366 :

٣- عقد زواج غير منشور، خاص بزواج مليحة مملوكة السيدة ام الخير ابنة الأمير عز الدين هبة الله ، وقد تم تحريره سنة ٧٤٤هـ، متحف الفن الإسلامي بالقاهرة، تحت رقم ٤٢٢٥،

٤- عقد زواج غير منشور، خاص باسم بخيت احمد خاصة ولد محمد عثمان، من وثائق النضيغاب، دار الوثائق القومية بالخرطوم، . Misc 1 / 27 / 361

(ب) وثائق منشورة:

٥- أوراق النسبة : نسبة احمد بن الفكي معروف- دار الوثائق القومية بالخرطوم متنوعات.

٦- أوراق نسب جمعها محمد بن الحاج على بن دفع الله، نسخة إبراهيم حاج محمد عن : انساب عرب السودان، نسخة جعفر حسان في الأنساب، دار الوثائق القومية بالخرطوم تحت رقم . Misc 1 / 27 / 184

متنوعات

٧- أول عقد زواج في مصر الإسلامية ، ويرجع تاريخه إلى عام ٩١هـ، بردية منشورة تحت رقم ٢٥٢٩٥، متحف الفن الاسلامي بالقاهرة. نشرها الباحث في رسالة الماجستير.

٨- عقود الزواج الخاصة بأمرأ وأميرات من بني الكنز من ثغر أسوان، والمسجلة برقم ٤٢٢٣ ، ٤٢٢٤، ويرجع تاريخهما إلى القرنين السابع والثامن الهجريين، ثم نشر

العقدين الدكتور سعاد ماهر: مدينة أسوان وأثارها فى العصر الإسلامى: دار الكتب المصرية ، ١٩٧٧ م .

٩- وثائق أوراق النسبة :

- أنساب عرب السودان . Misc 1 / 18 / 198 .

- نسبة أصول العرب Misc 1 / 22 / 249

- شجرة أصول العرب والملوك Misc 1 / 91 / 1472 - 73.

- واضح البيان Misc 1 / 20 / 232

١٠- وثيقة بردية منشورة: خطاب مرسل من والى مصر موسى بن كعب إلى .. صاحب مقرة ونوبة، سنة ١٤١ هـ، متحف الفن الإسلامى بالقاهرة، تحت رقم (٢٥٤٨٠) ، نشرها:

C.F. : Martin , : Studia Arabica of Islamica, American Univerity of Beirut,

وقد أعاد الباحث نشرها فى رسالة الماجستير . 1981.

١١- وثائق خاصة بالنفقة، تم نشرها عام ١٩٧٤ م بواسطة :

R.S.O, Fahey & Sharif Harir :

- Sudan Texts Bulletin, VII, November 1985, Edited by Ali Osman and Robin

thelwall University of Ulster.

١٢- وثائق خليفة الشيخ خوجلى، دار الوثائق المركزية بالخرطوم، مطبوعات رقم ١٩٦٥ م .

١٣- وثائق السادة المجاذيب، متنوعات، دار الوثائق المركزية بالخرطوم .

١٤- وثائق الفور: نشرها الدكتور محمد إبراهيم أبو سليم ، ١٩٧٥ م .

وثائق الفونج: نشرها الدكتور/ محمد إبراهيم أبو سليم ، ١٩٦٧ وأعيد نشرها الآن .

١٥- وثائق نسب الجعافرة . Box 197 Piece 2619 .

وثائق نسب العركيين . Box 200 Piece 2669 .

دار الوثائق القومية بالخرطوم.

١٦- وثيقة تصدق بأرض حمد بن الشيخ على قبل عام ١١٥٦ هـ ، وثائق خليفة الشيخ خوجلى، دار الوثائق القومية بالخرطوم.

١٧- وثيقة خاصة بأوقاف مشيخة العبدلاب فى المدينة المنورة نشرها الدكتور احمد عبد الرحيم نصر (الاغوات ، ص ١٧) .

ثانياً - المخطوطات :

١٨- إبراهيم عبد الدافع : تاريخ ملوك السودان وأقاليمه، مخطوط بدار الوثائق القومية بالخرطوم.

١٩- مخطوطات كاتب الشونة (احمد بن الحاج أبو على وآخرين) :

أ - مخطوطة باريس ، Bibliotheque Nationale, MS Arabe 5069 , Paris .

ب- مخطوطة المتحف البريطانى ، British Museum Or, 2345, London .

ج- مخطوطة فيينا ، Nationale Nibliotheek, MS Next 611a, Vienna .

دار الوثائق المركزية بالخرطوم.

٢٠- الأرباب الحسن بن شارو:

- واضح البيان فى ملوك العرب بالسودان، وملوك العبدلاب من الشيخ عجيب الأول إلى تاريخه، مخطوط بدار الوثائق القومية بالخرطوم تحت رقم ٢٠ / ١ / ٢٣٢ .

- سيرة ملوك العبدلاب (ملوك العبدلاب) ، ١ / ٢٠ / ٢٣٢ دار الوثائق القومية، الخرطوم.

٢١- ابن ابيك الدوادارى (ابو بكر بن عبد الله - ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م): كنز الدرر وجامع الغرر مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٤٦٤٣ تاريخ .

٢٢- البدوى محمد نافع : مخطوط فى ذكر نسب غلام الله بن عايد مخطوط بدار الوثائق المركزية بالخرطوم (متنوعات) .

٢٣- البهاء الجندى (أبو عبد الله يوسف بن يعقوب - ت ٧٣٢هـ / ١٣٣٢م) : السلوك فى طبقات العلماء والملوك ، مخطوط بدار الكتب المصرية، تحت رقم ٩٩٦ تاريخ ، ج ٢ .

٢٤- ابن بهادر (محمد بن محمد - ت ٨٨٧هـ / ١٤٧٢م) : فتوح النصر فى تاريخ ملوك مصر، مخطوط، جزءان، بمكتبة جامعة القاهرة رقم ٢٦١٦٦، ج١ .
وبدار الكتب المصرية رقم ٤٩٧٧ تاريخ.

٢٥- بيبس الدوادار (ركن الدين المنصورى المصرى - ت ٧٢٥هـ / ١٣٢٥م) : زبدة الفكر فى تاريخ الهجرة ، نسخة مصورة بالفوتستات، جامعة القاهرة رقم ٢٤٠٢،

٢٦- تاريخ الملوك الفونج ببلد صناع أحضرها بروس من سنار عام ١٧٧٢، (قائمة بروس) Bodleian Library, Bruce MS-18 (2) FF. 546 - 57a. تاريخ ملوك العبدلاب ، ٣٥ صفحة، ١٣٣٤هـ، نسخة مصورة بدار الوثائق القومية بالخرطوم. متنوعات.

٢٧- الذهبى (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م) : تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام ، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ٣٩٦ تاريخ .

٢٨- السمرقندى: كتاب أنساب عرب السودان، مخطوط بدار الوثائق القومية بالخرطوم (متنوعات).

٢٩- ابن شاعر الكتبى (صلاح الدين محمد ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٣م) : عيون التواريخ، مخطوط بدار الكتب المصرية.

٣٠- مخطوط الصديق حضرة: نسبة الفكى الصديق حضرة: ملف ماكمايكل، صفحات ٤٩٠ - ٥٠٤، دار الوثائق المركزية بالخرطوم، الترجمة الإنجليزية: MacMichael, 11 , ABC, 181- 99.

٣١- مخطوط عبد الرحمن الاغبش (مؤلف ١١٠٣هـ / ١٦٩١م) : المصباح الدجاني فى شرح نظم محمد إبراهيم الخرازى الشريشى، دار الوثائق المركزية بالخرطوم ، نسخة خطية.

٣٢- ابن عبد السلام (شهاب الدين احمد بن عبد السلام الشافعى ت ٩٣١هـ / ١٥٢٥م) : الفيض المديد فى أخبار النيل السعيد ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٤٢٩ تاريخ، ٦٦ جغرافيا.

٣٣- ابن عبد الظاهر (محيى الدين أبو الفضل عبد الله بن رشيد الدين أبو محمد، ت ٦٩٢ هـ / ١٢٩٢ م) : تشریف الأيام والعصور فى سيرة الملك المنصور ، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ٢٢٢٦ .

٣٤- الشيخ عبد المحمود (الشيخ عبد المحمود بن نور الدايم الطيى) : كتاب الرحلة المسماة بالدرة الثمينة فى أخبار مكة والمدينة ، مخطوط غير منشور، دار الوثائق المركزية بالخرطوم، رقم Misc 1 / 18 / 198 .

٣٥- الشيخ عثمان أونسه : تاريخ مشيخة العبدلاب ، مخطوط، دار الوثائق القومية بالخرطوم، متنوعات.

٣٦- العيى (بدر الدين محمود ، ت ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م) : عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان ، مخطوط رقم ١٥٨٤ تاريخ بدار الكتب المصرية.

٣٧- نسب العبدلاب -دار الوثائق القومية بالخرطوم- تحت رقم ٦١٥-٦٢٨ ، وينسب لابن الحاج حسين بن شريف الفحل بن ضياب بن أونس بن كليس بن عجيب بن ديومة بن عبد الله جماع. متنوعات (أوراق نسب) Misc 1 / 16 / 184.

٣٨- الفحل (ابن الحاج حسن بن الشريف الفحل بن ضباب) : نسب العبدلاب، مخطوط، بدار الوثائق المركزية بالخرطوم ، متنوعات، تحت رقم Misc 1 / 18 / 198

٣٩- ابن فضل الله العمرى (شهاب الدين ابوة العباس احمد بن يحيى بن فضل الله العمرى العدوى القرشى ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م) : مسالك الأبصار فى ماللك الأمصار ، ج٢ ، مخطوط دار الكتب المصرية رقم ٥٥٩ معارف عامة.

٤٠- الفيومى (احمد بن محمد بن على المقرى ت ٧٧٥ هـ / ١٣٧٤ م) : نثر الجمان فى تراجم الأعيان ، مخطوط رقم ١٧٤٦ تاريخ بدار الكتب.

٤١- مجهول: مخطوط كفاية المبتدى فى حل ألفاظ الاخضرى، جامعة ام درمان الإسلامية.

٤٢- مجهول: انساب عرب السودان: مخطوط بدار الوثائق القومية بالخرطوم تحت رقم : Misc 1 / 18 / 198 (لم يحقق بعد) .

٤٣- مجهول: تاريخ مختص بأرض النوبة ومن ملوكها ملوك الفونج ومن تولى بعدهم، مخطوط غير منشور، دار الوثائق القومية بالخرطوم تحت رقم : Misc 1 / 15 / 191

٤٤- ابن المجاور: (يوسف بن يعقوب المجاور ت ٦٩١هـ / ١٢٩١م): تاريخ ابن المجاور أو كتاب المستبصر ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٣١٧٧ تاريخ، ج٢

٤٥- مخطوط: المجذوب إسماعيل بن الشيخ مكى صاحب الربابه فى طريق أهل الله والسير به. دار الوثائق المركزية، بالخرطوم، متنوعات.

٤٦- مخطوطات: نسب الدواليب لمحمد الدرديرى محمد خليفة الشيخ خورس، دار الوثائق المركزية، نسب البرياب: أحضرها السيد عثمان الشيخ محمد عبد الله. نسب النور عنقرة، ملف ماكمايكل، صفحات ٤٥٩-٥٧٦، دار الوثائق المركزية أو. MacMichael, 11 , BA, 16- 59.

٤٧- محمد عبد الرحيم: مخطوط عن القبائل والعادات والتقاليد ، دار الوثائق القومية بالخرطوم، تحت رقم Misc 1 / 34

٤٨- المقرئى: (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن على المقرئى ت ٨٤٥هـ / ١٤٤٥م): المقفى فى تاريخ وتراجم أهل مصر والواردين عليها، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ٥٣٧٢ تاريخ.

٤٩- مخطوط من عبد الله بن أبى السرح وعلاقته بالرسول ، دار الوثائق القومية بالخرطوم.

٥٠- ابن منكى (احمد بن منكى): التدابير السلطانية فى سياسة الصنائع الحربية، مخطوط بدار الكتب المصرية ق ٢٠، (لم يحقق).

٥١- نسب أولاد معين، ملف ماكمايكل، صفحات ٤٣٥-٤٣٩، دار الوثائق المركزية أو. MacMichael, 11 , BI, PP. 139- 143.

٥٢- النويرى (شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب ت ٧٣٢هـ / ١٣٣٢م): نهاية الأرب فى فنون الأدب مخطوط مصور بدار الكتب، رقم ٥٤٩، ٥٥١ معارف عامة، ج ٢٨، ٢٩ .

٥٣- الهرثمي: مختصر سياسة الحروب، مخطوط بمكتبة كوبريلي باسطنبول - ١٢٩٤ .

٥٤- ابن وصيف (ابن وصيف شاه . ت ٥٩٩هـ / ١٢٠٣م) : جواهر البحور ووقائع الدهور مخطوطة بمعهد المخطوطات العربية- جامعة الدول العربية، ميكروفيلم رقم ٢٠٢ تاريخ.

ثالثاً : المصادر المطبوعة :

٥٥- القرآن الكريم.

٥٦- (الكتاب المقدس) (العهد القديم - العهد الجديد) .

٥٧- إبراهيم عبد الدافع: «طبقات ود ضيف الله الذيل والتكملة شرح الشيخ أحمد السلاوي» حققه وقدم له الدكتور محمد إبراهيم أبو سليم - الدكتور يوسف فضل حسن، ط معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم، ١٩٨٢ م .

٥٨- ابن أبي الفضائل (ت ٧٥٩هـ / ١٣٥٨م) : كتاب النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد ط باريس ، ١٩١١ م.

٥٩- أحمد بن الحاج أبو على : مخطوطة كاتب الشونة في تاريخ السلطنة السنارية والإدارة المصرية ، تحقيق الشاطر بصيلي عبد الجليل، دار أحياء الكتب العربية ، القاهرة ١٩٦١ م.

٦٠- أحمد بن الحاج أبو على : مخطوطة كاتب الشونة : تاريخ ملوك السودان ، تحقيق مكى شبيكة، ط الخرطوم ١٩٤٧ م.

٦١- ابن الاخوة (محمد بن أحمد القرش ت ٧٢٩هـ / ١٣٢٩م) : معالم القرية في أحكام الحسبة تحقيق محمد محمود شعبان، وآخرون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦ م.

٦٢- الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس ت ٥٦٠هـ) : صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس . ط ليدن - ١٨٦ م، نابلي ١٩٧٠ م (المجلد الثاني) .

- ٦٣- الادفوى (ابو الرفضل كمال الدين جعفر بن ثعلب الادفوى ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م) : الطالع السعيد، الجامع لاسماء نجباء الصعيد تحقيق سعد محمد حسن، ومراجعة الدكتور طه الحاجرى، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦م.
- ٦٤- الأصطخرى (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسى الأصطخرى ٣٤٦هـ / ٩٥٧م) : المسالك والممالك، ط القاهرة ١٩٦١م.
- ٦٥- الأصفهاني (العماد الأصفهاني الكاتب ت ٥٩٧هـ) : حريدة القصر وجريدة العصر. قسم شعراء مصر، تحقيق احمد أمين وآخرون، ط القاهرة ١٩٥١م، ج. ١.
- ٦٦- الأصفهاني (ابو الفرج الأصفهاني المتوفى سنة ٣٥٦هـ) : كتاب الأغاني ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٣١م، ٢٢ جزء.
- ٦٧- أغابزرك: الذريعة الى تصانيف الشيعة ط النجف ١٩٣٦م.
- ٦٨- ابن اياس (ابو البركات محمد بن احمد. ت ٩٣٠هـ / ١٥٢٣م) : بدائع الزهور فى وقائع الدهور الجزء الأول، طبع بولاق ١٣١١هـ.
- ٦٩- ابن بابا (أحمد بن عمر بن محمد أقيت التبكيتى) : كتاب نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، القاهرة ١٣٥١ .
- ٧٠- ابن بطريق (أفيتشوس المكنى سعيد بن بطريق ٣٢٨هـ) : التاريخ المجموع على التصديق والتحقيق ط بيروت ١٩٠٩م.
- ٧١- ابن بطلان: (أبو الحسن المختار بن الحسن بن عبدون بن سعدون الطبيب البغدادي ت ٤٤٩هـ): رسالة جامعة الفنون نافعة فى شرى الرقيق وتقليب العبيد تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة ١٩٥٤م.
- ٧٢- ابن بطوطة (شرف الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتى الطنجى): تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ط بيروت ١٩٦٤م، ج. ١ .
- ٧٣- البغدادي (عبد اللطيف موفق الدين عبد اللطيف ٦٢٩هـ / ١٢٣١م): تقييد العلم. دمشق ١٩٤٩م.
- ٧٤- البلاذرى (ابو العباس احمد بن يحيى بن جابر ت ٢٧٩ / ٨٩٢م) : فتوح البلدان، ط بيروت ١٩٧٨م، الجزء الأول ؛

٨٥- حاجى خليفة (المتوفى ١٠٦٧هـ / ١٦٥٧م) كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ٣ أجزاء . ط استنبول ١٣٦٠هـ / ١٩٤١م .

٨٦- ابن حجر العسقلانى (احمد بن على ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م) : تهذيب التهذيب الهند ١٩٠٨م ، ١٣٢٥هـ . رفع الاصر عن قضاة مصر تحقيق حامد عبد الحميد ، القاهرة ١٩٦١م .

٨٧- ابن حجر العسقلانى (شهاب الدين بن على ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٩م) : أنباء الغمر بأبناء العمر تحقيق حسن حبشى ، القاهرة ١٩٦٩-١٩٧٢م ، ج ٣ ،

٨٨- نفسه الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ، ط حيدر آباد ١٣٤٨هـ ، ج ٣ ،

٨٩- ابن حزم (ابو محمد على بن احمد ٤٥٦هـ / ١٠٦٤م) : جمهرة انساب العرب ، ج ٢ .

٩٠- الحكمى (عمارة بن على الحكمى) : النكت العصرية فى أخبار الوزارة المصرية ، تحقيق Hartwig Derenbourg باريس ١٨٩٧م .

٩١- ابن حوقل (أبو القاسم احمد النصبى ت ٣٥٠هـ / ٩٦١م) : كتاب صورة الأرض - القسم الأول - الطبعة الثانية - ط ليدن عام ١٩٦٧م .

٩٢- ابن خرداذبة (أبو القاسم عبد الله بن عبد الملك ت ٣٠٠هـ) : المسالك والممالك - ط ليدن ١٩٦٧م .

٩٣- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد المغربى المتوفى ٨٠٨هـ / ١٤٠٥-١٤٠٦م) : المقدمة القاهرة - المكتبة التجارية . العبر وديوان المبتدأ والخبر المجلد الأول ، ط الثالثة ، المجلد الثانى ، بيروت ١٩٦٣ ، ١٩٦٤م .

٩٤- ابن خلكان (أبو العباس احمد بن محمد بن إبراهيم المتوفى ٦٨١هـ / ١٢٨١م) : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، حقيقة د. إحسان عباس ، المجلد الأول ، بيروت ١٩٦٨م ، المجلد الثانى بيروت ١٩٦٩ ، المجلد الثالث بيروت ١٩٧٠ ، المجلد الرابع بيروت ١٩٧٠ ، المجلد الخامس ١٩٧٠ ، المجلد السادس ١٩٧٠م ، المجلد السابع ١٩٧٠م .

- ٩٥- ابن دقماق (إبراهيم بن محمد ت ٨٠٩هـ / ١٤٠٦م): الانتصار بواسطة عقد الأمصار ، الجزء ان الرابع والخامس، ط بولاق، ١٣١٠هـ / ١٨٩٣م.
- ٩٦- الدمشقي (شمس الدين ابو عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري الصوفي الدمشقي ت ٧٣٩هـ / ١٣٣٨م): نخبة الدهر في عجائب البر والبحر سانت بطرسبرج ١٨٦٦م.
- ٩٧- الذهبي (شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان المتوفى ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م- ١٣٤٨م) تذكرة الحفاظ ، ج١ ط حيدر آباد الهند ١٣٣٣هـ.
- ٩٨- ابن رسته (أبو علي احمد بن عمر من أهل القرن الثالث): الاعلاق النفسية ، ط ليدن، مطبعة بريل ١٩٨١م.
- ٩٩- الزركلي (خير الدين الزركلي): الإعلام ، ج٤، ج٥، ج٦ ط بيروت ١٩٧٤م.
- ١٠٠- السبكي (التاج السبكي عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي ت ٧٧١هـ): طبقات الشافعية الكبرى تحقيق محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، ٦ أجزاء ١٩٦٤-١٩٦٨م.
- ١٠١- السخاوي (الحافظ المؤرخ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي ت ٩٠٢هـ / ١٤٩٧م): التبر المسبوك في ذيل السلوك، ط بولاق ١٨٩٦م).
- ١٠٢- السخاوي (الحافظ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ت ٩٠٢هـ): الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، القاهرة ١٩٣٤-١٩٣٦م.
- ١٠٣- السلمى (ابو عبد الرحمن السلمى ت ٣٤٣هـ): طبقات الصوفية ط الأولى ، دار الكتاب العربى، مكتبة الخانجي بمصر ١٩٥٣م.
- ١٠٤- السمرقندى (علاء الدين السمرقندى ٣٥٩هـ): تحفة الفقهاء ، ج٢، حققه محمد زكى عبد البر، ط الأولى ، ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م.
- ١٠٥- السمعاني (ابو سعيد عبد الكريم بن ابى بكر محمد المظفر المنصورين محمد بن عبد الجبار التميمي ت ٥٦٢هـ / ١١٦٦م): كتاب الأنساب، ط ليدن، سنة ١٩١٢م.

- ١٠٦- السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن ابن ابى بكر بن محمد ت ٩١١هـ): حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة، جزءان (القاهرة ١٣٢٧هـ) .
- ١٠٧- نفسه: بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق : محمد ابو الفضل إبراهيم جزءان (القاهرة ١٩٦٤م) .
- ١٠٨- نفسه: تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى ، تحقيق : عبد الوهاب عبد اللطيف، القاهرة ١٩٣٨م .
- ١٠٩- ابو شامة (عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان شهاب الدين الملقب بابى شامة :«الروضتين فى أخبار الدولتين، ج٢، القاهرة ١٩٦٧م .
- ١١٠- ابن شاهين (غرس الدين خليل الظاهرى ت ٨٧٣هـ): زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، باريس ١٨٩٤م .
- ١١١- الشعرانى (عبد الوهاب بن احمد بن على الأنصارى) : الطبقات الكبرى المسماه بلواقح الأنوار فى طبقات الأخيار، القاهرة ١٢٩٦هـ ، ج١،
- ١١٢- الشوكانى (محمد بن على بن محمد): نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخبار ط بيروت ١٩٧٣، الجزء الخامس .
- ١١٣- نفسه: فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدارية فى علم التفسير بيروت (خمس مجلدات) .
- ١١٤- ابن الصلاح: مقدمة ابن الصلاح فى علوم الحديث القاهرة ١٩٧٦م .
- ١١٥- الصنعانى (محمد بن إسماعيل): سبل السلام ، ج٣، ط الرياض ، ١٩٧٧م .
- ١١٦- ابن طباطبا (محمد بن على بن طباطبا المعروفة بابن الطقطقى): منتقلة الطالبية تحقيق السيد محمد مهدى السيد حسن الخرسانى، النجف الاشرف .
- ١١٧- ابن عبد البر القرطبى (ابو عمر يوسف المتوفى ٤٦٣هـ): الاستيعاب فى معرفة الأصحاب تحقيق محمد البحراوى، مطبعة النهضة المصرية بالقاهرة، ج٣، ٨ .
- ١١٨- ابن عبد الحكيم (ابو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله المتوفى ٢٥٧هـ): فتوح

مصر وأخبارها ط ليدن ١٩٢٠ م.

١١٩- ابن عبد الظاهر (مح الدين ابو الفضل بعد الله ت ٦٩٢ هـ / ١٢٩٢ م):
الألطف الخفية من السيرة الشريفة السلطانية الملكية الاشرفية ط ليبزج ١٩٠٢ م.

١٢٠- ابن العماد الحنبلي (ابو الفلاح عبد الحى بن أحمد بن محمد الصالحى ت
١٠٨٩ هـ / ١٦٧٩ م): شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ٨ أجزاء ، بيروت ،
بدون .

١٢١- عياض (القاضي عياض بن موسى بن عياض المالكي التوفى ٥٤٤ هـ):
ترتيب المدارك وتقريب المسالك ، الجزء الأول . ط/ الرباط .

١٢٢- الفاسى (تقى الدين الفاسى) : العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين ، تحقيق :
فؤاد سيد، القاهرة ١٩٦٦ م.

١٢٣- الفاسى (محمد بن احمد الفاسى ت ٨٣٢ هـ / ١٤٢٩ م): شفاء الغرام بأخبار
البلد الحرام، نشر ليبزج ١٨٥٩ م.

١٢٤- أبو الفدا (الملك المؤيد إسماعيل صاحب حماة ت ٧٢٣ هـ): تقويم البلدان،
باريس ١٨٥٠ م.

١٢٥- أبو الفدا (الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل أبى الفدا ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م):
المختصر فى أخبار البشر، دار المعارف للطباعة والنشر، ط بيروت ، ١٢٨٦ هـ،
المجلد الأول والثانى والرابع .

١٢٦- ابن الفرات(ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم ت ٨٠٧ هـ / ١٤٠٤ م): تاريخ
الدول والملوك ط بيروت ، ١٩٣٨ م.

١٢٧- ابن فرحون (برهان الدين إبراهيم ابن على بن محمد بن فرحون اليعمرى
المدنى المالكي ت ٧٩٩ هـ): كتاب الديباج المذهب فى معرفة أعيان المذهب ، ط
الأولى ، مصر، ط ١٣٥١ هـ .

١٢٨- ابن فضل الله العمرى (شهاب الدين ابو العباس احمد ت ١٧٤٩ هـ /
١٣٤٨ م): التعريف بالمصطلح الشريف، القاهرة ١٣١٢ هـ .

- ١٢٩- ابن الفقيه (ابو بكر احمد بن محمد بن إسحاق الهمذانى ت ٢٩٠هـ / ٩٠٣م): مختصر كتاب البلدان ، نشردى غريه - مطبعة بريل - ليدن ١٩٦٧م .
- ١٣٠- القزوينى (ذكرى بن محمد ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م): أثار البلاد وأخبار العباد ، ط بيروت ، ١٩٦٠م .
- ١٣١- القفطى (جمال الدين على بن محمد بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الوهاب ت ٦٤٦هـ) أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، بغداد ، مكتبة المتنبى .
- ١٣٢- القلقشندى (الشيخ أبى العباس احمد القلقشندى ت ٨٢٣هـ / ١٤١٨م): صبح الاعشى فى صناعة الانشا ١٤ جزءا، ط القاهرة ١٩٦٣م .
- ١٣٣- ابن قيم الجوزية (شمس الدين ابو عبد الله محمد بن أبى بكر توفى سنة ٧٥٠هـ): فتاوى رسول الله تحقيق مصطفى عاشور، ط القاهرة ١٩٨٠م .
- ١٣٤- الكتبى (محمد بن شاکر الكتبى ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٣م): فوات الوفيات ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد، القاهرة ، ١٩٥١م .
- ١٣٥- ابن كثير (عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير القرشى المتوفى ٥٧٤هـ): تفسير ابن كثير ط بيروت ١٩٦٩م .
- ١٣٦- نفسه: البداية والنهاية ، ط القاهرة ١٣٥٨هـ .
- ١٣٧- الكندى (ابو عمر محمد بن يوسف الكندى المصرى ٣٥٠هـ / ٩٦١م): كتاب الولاة والقضاة، ط بيروت ١٩٠٨م .
- ١٣٨- ليو الأفريقى (الحسن بن محمد الوزان الزياتى ٩٤٤هـ): وصف أفريقيا ، ترجمة من الفرنسية للعربية د. عبد الرحمن حميدة، وراجعته . على عبد الواحد، المملكة العربية السعودية .
- ١٣٩- ابن ماجة (الحافظ ابو عبد الله القزوينى) : سنن ابن ماجه جزئين، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ط بيروت ١٩٨٧م ، الجزء الأول .
- ١٤٠- ابن ماسويه (يحيى بن ماسويه ت ٢٤٣هـ / ٨٥٧م): كتاب الجواهر وصفاتها، تحقيق عماد عبد السلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧م .
- ١٤١- الماوردى (ابو الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى البغدادى): الأحكام

- السلطانية ط مصر ١٢٩٨
- ١٤٢- المحبى (محمد المحبى): خلاصة الآثار فى أعيان القرن الحادى عشر، القاهرة
، ج٢، (القاهرة ٤ أجزاء).
- ١٤٣- ابو مخرمة (١٠/١٦)، (ابو محمد)، تاريخ ثغر عدن، ج١، ٢، ط ليدن
١٩٣٦م، نشره : Lofgren.
- ١٤٤- المسعودى (ابو الحسن على بن الحسين بن على ت ٣٤٦هـ / ١٩٥٦م):
مروج الذهب ومعادن الجوهر أربعة أجزاء ، ط بيروت ١٩٧٣م.
- ١٤٥- نفسه: التنبيه والأشراف تحقيق عبد الله إسماعيل الصاوى ، ج١ ، مكتبة
الشرق الإسلامية مصر ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨م.
- ١٤٦- المقدسى (شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد بن ابى بكر المقدسى ت
٣٨٨هـ / ٩٩٧م): احسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم نشر دى غوية طبعة بريل -
ليدن الطبعة الثانية ١٩٦٧م.
- ١٤٧- المقرئى (تقى الدين احمد بن على بن عبد القادر بن محمد ت ٨٤٥هـ) :
المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار طبعة بيروت ، جزءان.
- ١٤٨- نفسه: لبيان والأعراب عما بأرض مصر من الأعراب تحقيق د. عبد المجيد
عابدين - القاهرة ١٩٦١م.
- ١٤٩- نفسه: النقود الإسلامية ط النجف ١٩٦٧م.
- ١٥٠- نفسه: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ج٢، نشرهما د. محمد مصطفى
زيادة، ج٣، ج٤ نشرهما د. سعيد عاشور، دار الكتب المصرية ١٩٣٤-
١٩٧٢م.
- ١٥١- نفسه: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، ٣ أجزاء ، تحقيق جمال
الدين الشيال وآخرون، القاهرة ١٩٦٧-١٩٧٣م.
- ١٥٢- نفسه: الإلهام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام ، القاهرة ، طبع
بمطبعة التأليف بمصر سنة ١٨٩٥ ميلادية.

١٥٣- ابن المقفع (ساويرس بن المقفع اسقف الاشمونين ت فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى) : سير الآباء البطارقة ط المعهد القبطى بالقاهرة .

١٥٤- أبو المكارم جرجس بن مسعود (المتوفى فى أوائل القرن السابع الهجرى) : كنائس وأديرة مصر المنسوب لآبى صالح الارمنى ، نشره ايفيتس ، اكسفورد ١٨٩٥ م .

١٥٥- ابن مماتى (القاضى الوزير شرف الدين ابو المكارم الأسعد ت ٦٠٦هـ) : قوانين الدواوين ، تحقيق عزيز سوريال عطية ١٩٤٣ م .

١٥٦- ناصر خسرو (ناصر خسرو علوى الفارسى الأصل ت ٤٨١هـ / ١٠٨٨ م) : سفر نامه ، نقله للعربية د. يحيى الخشاب ، القاهرة ١٩٤٥ م الطبعة الأولى .

١٥٧- النويرى (شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب ت ٧٣٢هـ / ١٣٣٢ م) : نهاية الأرب فى فنون الأدب ، ج١ ، ج٤ ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٢٣ م .

١٥٨- الهروى (أبى الحسن على بن أبى بكر الهروى ت ٦١١هـ) : كتاب الإشارات إلى معرفة الزيارات ، دمشق ١٩٥٣ م .

١٥٩- الهمذانى (محمد بن احمد) : صفة جزيرة العرب ، ط ليدن ١٨٨٤ م .

١٦٠- ابن واصل (محمد بن سالم بن واصل ت ٦٩٧هـ / ١٢٩٨ م) : مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ، تحقيق جمال الدين الشيال ، ج٢ ، القاهرة ١٩٥٧ م .

١٦١- الواقدى (محمد بن عمر ت ٢٠٧هـ / ٨٢٣ م) : فتوح مصر والإسكندرية ، ط ليدن ١٧٢٥ م .

١٦٢- ود ضيف الله ، محمد النور : كتاب الطبقات فى خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء فى السودان ، نشره : إبراهيم صديق ، القاهرة ١٣٤٨ / ١٩٣٠ م .

١٦٣- ود ضيف الله ، محمد النور : كتاب طبقات وود ضيف الله فى أولياء وصالحين وعلماء وشعراء السودان نشر سليمان داود ، منديل ، القاهرة ١٣٤٩هـ / ١٩٣٠ م .

- ١٦٤- ود ضيف الله (محمد النور بن ضيف الله بن على بن إبراهيم بن الحاج نصر من الجعليين العباسية ت ١١٢١هـ / ١٧٠٩م): كتاب الطبقات فى خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء فى السودان تحقيق الدكتور يوسف فضل حسن، الطبعة الثالثة، دار جامعة الخرطوم للنشر، ١٩٨٥ م.
- ١٦٥- ابن الوردي (زين الدين عمر ت سنة ٧٥٠هـ): تنمة المختصر فى أخبار البشر، إشراف وتحقيق احمد رفعت البدرأوى، المجلد الأول، دار المعرفة، بيروت ١٩٧٠ م.
- ١٦٦- ياقوت الحموى (شهاب الدين ابو عبد الله الحموى الرومى ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م): معجم البلدان، أربعة أجزاء، ط بيروت ١٨٧٠ م.
- ١٦٧- ياقوت الحموى (شهاب الدين ابو عبد الله الحموى الرومى ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م): معجم البلدان ج ١، ج ٢، ط بيروت ١٩٥٥ م.
- ١٦٨- اليعقوبى (احمد بن أبى يعقوب بن واضح ت ٢٨٤هـ / ٨٩٧م): تاريخ ليعقوبى، ج ٢، ط ليدن ١٨٨٣ م.
- ١٦٩- البلدان ليدن ١٨٩١ م.

رابعاً : المراجع العربية الحديثة :

- ١٧٠- آدم الزين: التراث الشعبى لقبيلة المسبعات (شرق مدعية الفاشر) شعبة أبحاث السودان، جامعة الخرطوم ١٩٧٠ م.
- ١٧١- إبراهيم على طرخان (دكتور): إمبراطور البرنو الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٤ م.
- ١٧٢- إبراهيم على طرخان (دكتور): مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسة ١٣٨٢ / ١٥١٧، القاهرة، النهضة المصرية ١٩٦٠ م.
- ١٧٣- إبراهيم محمد عبد الفتاح: الثقافات الأفريقية، القاهرة، ١٩٦٥ م.
- ١٧٤- إبراهيم المويلحى: الأرض والفلاح فى العصر العثمانى، بدون.
- ١٧٥- احمد أمين: فجر الإسلام، ج ١، القاهرة ١٩٦٥ م.

١٧٦- احمد الحفناوى (دكتور): سودان وادى النيل فى ظل الإسلام، ط دار المعارف، ١٩٨٢ م.

١٧٧- احمد رمضان احمد (دكتور): الاجازات والتوقيعات المخطوطة فى العلوم النقلية والعقلية من القرن ٤هـ / ١٠ م الى ١٠هـ / ١٦ م، هيئة الآثار المصرية ١٩٨٦ م.

١٧٨- احمد شلبى (دكتور): تاريخ التربية الإسلامية، ط الثانية، القاهرة ١٩٦٠ م.

١٧٩- احمد عبد الرحيم الشامى (دكتور): تاريخ العرب والإسلام، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٨٢ م.

١٨٠- احمد عبد الرحيم نصر (دكتور): الاغوات: دراسة تاريخية مقارنة لاغوات المسجد الحرام بمكة، والمسجد النبوى بالمدينة، معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم ١٩٨٦ م.

١٨١- احمد عبد الرحيم نصر (دكتور): تاريخ العبدلاب (من خلال رواياتهم السماعية)، شعبية أبحاث السودان، الخرطوم، ١٩٦٩ م.

١٨٢- احمد عمر الزيلعى (دكتور): مكة وعلاقاتها الخارجية، جامعة الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٨١ م.

١٨٣- احمد فخرى (دكتور): دراسات فى تاريخ الشرق القديم، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٦٢ م.

١٨٤- أحمد فخرى (دكتور): مصر الفرعونية، القاهرة، الانجلو المصرية، ط الثانية ١٩٦٠ م.

١٨٥- احمد محمد على الحاكم (دكتور): الزخارف المعمارية وتطورها فى منطقة وادى حلفا، جانب حديث من الفن النوبى، الناشر شعبية الدراسات السودانية، جامعة الخرطوم ١٩٦٥ م.

١٨٦- احمد مختار العبادى (دكتور): قيام دولة المماليك الأولى فى مصر والشام، دار النهضة العربية ١٩٦٩ م.

- ١٨٧- إسحق عبيد (دكتور): محاكم التفتيش نشأتها ونشاطها، ط دار المعارف ١٩٧٨ م.
- ١٨٨- أسماء فهمي (دكتورة): مبادئ التربية الإسلامية ، القاهرة ١٩٤٨ م.
- ١٨٩- الأزهر تاريخه وتطوره ، القاهرة ١٩٨٣ م.
- ١٩٠- الأمين محمد زين الناسخ: العرف المنشوق من تاريخ وأنساب سكان بلدة معتوق بالجزيرة، دار الوثائق القومية بالخرطوم.
- ١٩١- الأب أنستاس ماري الكرملی: النقود العربية وعلم النميات ، القاهرة ١٩٣٩ م.
- ١٩٢- بشير كوكو حميدة (دكتور): لمحات من تاريخ المجاذيب (١٦٠٠-١٨٩٨) دار الوثائق القومية بالخرطوم ، ١٩٧١ م.
- ١٩٣- التجاني عامر: السلالات العربية السودانية فى النيل الأبيض، الدار السودانية ، ط الثانية ١٩٧١ م.
- ١٩٤- التهانوى : كشف اصطلاحات الفنون ، بدون.
- ١٩٥- جروهمان: أوراق البردى العربية ، الأجزاء ١-٦، ج ١ (١٩٣٤)، ج ٢ (١٩٣٦)، ج ٣ (١٩٣٨)، ج ٤ (١٩٦٢)، ج ٥ (١٩٦٨)، ج ٦ (١٩٧٤)، طبعة دار الكتب المصرية.
- ١٩٦- جعفر محمد عبد الرحيم: تاريخ القرآن فى السودان، الخرطوم، يناير ١٩٧٣ م.
- ١٩٧- جمال الدين الشيال (دكتور): أعلام الإسكندرية فى العصر الإسلامى ، القاهرة ١٩٦٥ م.
- ١٩٨- حسن إبراهيم حسن (دكتور): انتشار الإسلام فى القارة الأفريقية، ط الثالثة، ١٩٨٤ م.
- ١٩٩- حسن إبراهيم حسن، وعلى إبراهيم حسن (دكتور): النظم الإسلامية، القاهرة ١٩٧٠ م.
- ٢٠٠- حسن احمد محمود (دكتور): الإسلام والثقافة العربية فى أفريقيا الجزء الأول. مطبعة لجنة البيان العربى، دار النهضة العربية ، ١٩٦٣ م.

- ٢٠١- حسن رجب (دكتور): البردى، ط دار المعارف، القاهرة ١٩٨١ م.
- ٢٠٢- حسن كمال (دكتور): الطب المصرى القديم، الأجزاء الثالث والرابع، المجلد الثانى، ١٩٦٤ م.
- ٢٠٣- حسن محمد خليل الباشا: جوانب من تاريخ العبدلاب من رواياتهم السماعية، بدار الوثائق القومية بالخرطوم.
- ٢٠٤- حسن محمد الفاتح (دكتور): التصوف فى السودان إلى نهاية عهد الفونج، الخرطوم.
- ٢٠٥- حسين امين : المدرسة المستنصرية، بغداد ١٩٦٠ م.
- ٢٠٦- حكيم أمين عبد السيد (دكتور): قيام دولة المماليك الثانية ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر، القاهرة ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٧ م.
- ٢٠٧- دائرة المعارف الإسلامية: مادة دهلك.
- ٢٠٨- رجب محمد عبد الحليم (دكتور): العلاقات السياسية بين مسلمى الزيلع ونصارى الحبشة فى العصور الوسطى دار النهضة العربية بالقاهرة ١٩٨٥ م.
- ٢٠٩- الريح العيدروسى : تقويم السودان لسنة ١٩٤٩ م.
- ٢١٠- زاهر رياض (دكتور): تاريخ أثيوبيا، ط ١٩٦٦ م.
- ٢١١- زاهر رياض (دكتور): الإسلام فى أثيوبيا ، ط القاهرة ١٩٦٤ م.
- ٢١٢- زهدى يكن: الزواج ومقارنته بقوانين العالم، بيروت ١٩٥٢ م.
- ٢١٣- سركيس: معجم المطبوعات، ج٦، القاهرة ١٩٢٨ م.
- ٢١٤- سعاد ماهر (دكتورة): البحرية فى مصر الإسلامية، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر، ١٩٦٧ م.
- ٢١٥- سعاد ماهر محمد (دكتورة): مدينة أسوان وآثارها فى العصر الإسلامى، ط القاهرة ١٩٧٧ م.
- ٢١٦- سعد الخادم (دكتور): الفن الشعبى والمعتقدات الشعبية، النهضة المصرية، ١٩٦٢ م.

- ٢١٧- سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور): العصر المماليكى فى مصر والشام، القاهرة ١٩٦٥ م.
- ٢١٨- سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور): مصر فى عصر دولة المماليك البحرية ، القاهرة ١٩٥٩ م.
- ٢١٩- سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور): الظاهر بيبرس، القاهرة ١٩٦٣ م.
- ٢٢٠- سلاطين : السيف والنار فى السودان، نشر مكتبة الحرية بام درمان ١٩٣٠ م. (الخرطوم).
- ٢٢١- سيدة إسماعيل كاشف (دكتورة): دراسات فى المجتمع المصرى الإسلامى قبل العصر الفاطمى، المجلد الثانى، ١٩٨٠ م.
- ٢٢٢- سيدة إسماعيل كاشف (دكتورة): مصر فى فجر الإسلام، دار الفكر العربى ١٩٤٧ م.
- ٢٢٣- سيدة إسماعيل كاشف (دكتورة): مصر فى عصر الإخشيديين ، القاهرة ١٩٥٠ م.
- ٢٢٤- الشاطر بصيلى عبد الجليل (دكتور): معالم تاريخ السودان وادى النيل من القرن العاشر إلى القرن التاسع عشر الميلادى، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٥٥ م.
- ٢٢٥- الشاطر بصيلى عبد الجليل (دكتور): تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط من القرن السابع إلى القرن التاسع عشر الميلادى ، القاهرة ١٩٧٢ م.
- ٢٢٦- شوقى عطا الله الجمل (دكتور): تاريخ السودان وادى النيل، الجزء الأول، طبعة الانجلو المصرية ١٩٦٩ م.
- ٢٢٧- صلاح احمد هريدى (دكتور): دور الصعيد فى مصر العثمانية ، دار المعارف، ١٩٨٤ م.
- ٢٢٨- صلاح الدين الشامى (دكتور): دراسات فى النيل ، ط القاهرة ١٩٦٧ م.
- ٢٢٩- الطاهر محمد على البشير (دكتور): الأدب الصوفى فى السودان، الدار السودانية، الطبعة الأولى ١٩٧٠ م.
- ٢٣٠- عبد الحميد يونس (دكتور): الهلالية، القاهرة ١٩٥٦ م.

٢٣١- عبد الرحمن زكى (دكتور): الحلى فى التاريخ والفن والإرشاد، القاهرة ١٩٦٥ م.

٢٣٢- حفائر مصلحة الآثار بأسوان، الموسم الأول، ديسمبر ١٩٦٠ م الى فبراير ١٩٦١ م: (يوميات الحفائر للأستاذ / عبد الرحمن عبد التواب).

٢٣٣- عبد السلام الترمانيى (دكتور): الزواج عند العرب فى الجاهلية والإسلام، دراسة مقارنة، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت (عالم المعرفة)، ١٩٨٤ م.

٢٣٤- عبد العزيز الشناوى (دكتور): الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، القاهرة ١٩٨٠ م. ، ج١،

٢٣٥- عبد العزيز عبد المجيد (دكتور): التربية فى السودان ، الجزء الاول والثانى والثالث، المطبعة الأميرية ١٩٤٩ م.

٢٣٦- عبد القادر محمود (دكتور): الفكر الصوفى فى السودان مصادره وتياراته وألوانه، ط الأولى ، دار الفكر العربى ١٩٦٨ م - ١٩٦٩ م.

٢٣٧- عبد القادر محمود (دكتور): الطوائف الصوفية فى السودان، أنسابهم وأصول تراثهم وفلسفتهم ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م، مطبعة مصر (سودان ليتمد).

٢٣٨- عبد الله حسين (دكتور): السودان القديم والجديد، القاهرة ١٩٥٣ م.

٢٣٩- عبد الله حسين (دكتور): السودان من التاريخ القديم الى رحلة البعثة المصرية / الجزء الأول، القاهرة ١٩٣٥ م.

٢٤٠- عبد الله خورشيد (دكتور): القبائل العربية فى مصر فى القرون الثلاثة الأولى للهجرة ، دار الكاتب العربى ١٩٦٧ م.

٢٤١- عبد الله عبد الرحمن الأمين الضير: العربية فى السودان، ج١، ج٢، ط بيروت، ط الثانية، ١٩٦٧ م.

٢٤٢- عبد الله على إبراهيم، واحمد عبد الرحيم نصر (دكتور): من أدب الرباطاب الشعبى، سلسلة دراسات فى التراث السودانى، الخرطوم، شعبة أبحاث السودان،

- معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية جامعة الخرطوم ١٩٦٨ م.
- ٢٤٣- عبد الله فياض: الإجازات العلمية عند المسلمين، بغداد، بدون.
- ٢٤٤- عبد المجيد عابدين (دكتور): بين الحبشة والعرب، دار الفكر العربى، القاهرة.
- ٢٤٥- عبد المجيد عابدين (دكتور): تاريخ الثقافة العربية فى السودان، دار الثقافة للطباعة، الطبعة الثانية ١٩٦٧ م.
- ٢٤٦- عبد المجيد عابدين (دكتور): دراسات سودانية، ط الثانية، الخرطوم، ١٩٧٢ م.
- ٢٤٧- عبد المجيد عابدين (دكتور): دراسات فى تاريخ العروبة فى وادى النيل، ملحق بكتاب البيان والأعراب للمقريزى، تحقيق المؤلف، القاهرة ١٩٦١ م.
- ٢٤٨- عبد المجيد عابدين (دكتور): قبائل من السودان الأوسط الغربى، الدار السودانية ١٩٧٢ م.
- ٢٤٩- الشيخ عبد المحمود بن الشيخ الجبلى: عبد القادر الجبلى، ج ١، ط الخرطوم، بدون.
- ٢٥٠- عبد المنعم خفاجى (دكتور): الأزهر فى ألف عام، المطبعة المنيرية بالأزهر، ط الأولى ١٣٧٤ هـ.
- ٢٥١- عبد المنعم ماجد (دكتور): تاريخ الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٧٣ م.
- ٢٥٢- عبد المنعم ماجد (دكتور): التاريخ السياسى لدولة سلاطين المماليك فى مصر، الأنجلو المصرية ١٩٨٨ م.
- ٢٥٣- عبد المنعم ماجد (دكتور): ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها فى مصر، الأنجلو المصرية ١٩٦٨ م.
- ٢٥٤- عبد المنعم ماجد (دكتور): الدولة العربية، ج ١، ط الرابعة، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧١ م.

- ٢٥٥- عبد المنعم ماجد (دكتور): نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم فى مصر، فى جزئين، ط٢، ١٩٧٩م-١٩٨٢م.
- ٢٥٦- الشيخ عثمان حمد الله العبدلاب: سهم الأرحام فى السودان، ط بيروت، بدون.
- ٢٥٧- عثمان سيد أحمد (دكتور): الختمية والأنصار السودانية ١٩٧٠م.
- ٢٥٨- عثمان الكعاك (دكتور): مراكز الثقافة فى المغرب، القاهرة ١٩٥٨م.
- ٢٥٩- عز الدين الأمين (بروفيسور): قرية كترانج وأثرها العلمى فى السودان، معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية، الطبعة الأولى ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.
- ٢٦٠- عطية القوصى (دكتور): تاريخ دولة الكنوز الإسلامية، ط القاهرة ١٩٨١م.
- ٢٦١- على باشا مبارك: الخطط الجديدة لمصر، القاهرة- بولاق- ج ١٣، ١٤، ١٣٠٥هـ.
- ٢٦٢- على حسنى الخربوطلى (دكتور): الحضارة العربية الإسلامية، القاهرة، ١٩٦٢م.
- ٢٦٣- على بن حسين السليمان (دكتور): العلاقات الحجازية المصرية، ط القاهرة ١٩٧٣م.
- ٢٦٤- على زين العابدين (دكتور): تاريخ فن صياغة الحلى النوبية والسودانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٨م.
- ٢٦٥- على زين العابدين (دكتور): المصاغ الشعبى فى مصر، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م.
- ٢٦٦- على عبد الواحد وافى (دكتور): حقوق الإنسان فى الإسلام، ط الخامسة، دار النهضة مصر ١٩٧٩م.
- ٢٦٧- عمر حاج الزاكي (دكتور): الإله آمون فى مملكة مروى ٧٥٠ ق.م - ٣٥٠ م، مطبوعات كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم ١٩٨٣م.
- ٢٦٨- عون الشريف قاسم (دكتور): حلفاية الملوك التاريخ والبشر، دار جامعة أم درمان الإسلامية، ط الأولى ١٩٨٨م.

- ٢٦٩- عون الشريف قاسم (دكتور): قاموس اللهجة العامية فى السودان، الخرطوم ١٩٧٢م.
- ٢٧٠- ج. فانتينى (دكتور): تاريخ المسيحية فى الممالك النوبية القديمة والسودان الحديث، الخرطوم ١٩٧٨م.
- ٢٧١- الفحل الفكى الطاهر: تاريخ أصول العرب بالسودان، الخرطوم، دار الطابع العربى ١٩٧٦م.
- ٢٧٢- فريد شافعى (دكتور): العمارة العربية فى مصر الإسلامية، عصر الولاية، المجلد الأول، القاهرة، ١٩٧٠م.
- ٢٧٣- قاسم عبده قاسم (دكتور): اهل الذمة فى مصر فى العصور الوسطى ، دراسة وثائقية ، دار المعارف، الطبعة الثانية ١٩٧٣م.
- ٢٧٤- قاسم عبده قاسم (دكتور): أسواق مصر فى عصر سلاطين المماليك ، القاهرة ١٩٧٨م.
- ٢٧٥- قاسم عبده قاسم (دكتور): دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى عصر سلاطين المماليك ، ط دار المعارف ١٩٧٩م.
- ٢٧٦- قاسم عبده قاسم (دكتور): النيل والمجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك ، ط دراسات المعارف ١٩٧٨م.
- ٢٧٧- ليلى عبد اللطيف احمد (دكتورة): الصعيد فى عهد شيخ العرب همام، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٧م.
- ٢٧٨- ماكمايكل: دخول العرب فى السودان، تعريب منصور على حسيب، ط عباس عبد الرحمن بمصر، بدون.
- ٢٧٩- محجوب زيادة: الإسلام فى السودان ، ط الخرطوم ، (٢٠٨ من سلسلة أقرأ) القاهرة ١٩٦٠م.
- ٢٨٠- محمد إبراهيم أبو سليم (دكتور): تاريخ الخرطوم، الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٧٩م.

- ٢٨١- محمد إبراهيم أبو سليم (دكتور): الحركة الفكرية فى المهديّة، الخرطوم ١٩٧٠م.
- ٢٨٢- محمد إبراهيم أبو سليم (دكتور): دور العلماء فى نشر الإسلام فى السودان، الخرطوم ١٩٨٢م.
- ٢٨٣- محمد إبراهيم أبو سليم (دكتور): الساقية ، معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية، الطبعة الأولى ١٩٨٠م.
- ٢٨٤- محمد إبراهيم أبو سليم (دكتور): الفور والأرض وثائق تملك، معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية، كراسة رقم (١٠)، ١٩٧٥م، جامعة الخرطوم.
- ٢٨٥- محمد إبراهيم أبو سليم (دكتور): الفونج والأرض - وثائق تملك، نشر شعبة أبحاث السودان، جامعة الخرطوم، أغسطس ١٩٦٧م، مطبعة التمدن بالخرطوم.
- ٢٨٦- محمد أدروب أوهاج: من تاريخ البجا، ج١ ، مطبعة جامعة الخرطوم ١٩٨٦م.
- ٢٨٧- محمد جمال الدين سرور (دكتور): الظاهر بيبرس وحضارة مصر فى عصره، القاهرة ١٩٣٨م.
- ٢٨٨- محمد جمال الدين سرور (دكتور): دولة بنى قلاوون فى مصر ، القاهرة ١٩٤٧م.
- ٢٨٩- محمد سليمان : دور الأزهر فى السودان، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥م.
- ٢٩٠- محمد السيد غلاب (دكتور): تطور الجنس البشرى، مكتبة الانجلو المصرية، الطبعة السادسة ١٩٨١م.
- ٢٩١- محمد صالح ضرار: تاريخ السودان (البحر الأحمر - إقليم البجة) ، بيروت ١٩٦٥م.
- ٢٩٢- محمد صالح ضرار: تاريخ سواكن والبحر الأحمر، الدار السودانية للكتب، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

- ٢٩٣- محمد صالح ضرار : تاريخ قبائل الحباب والحماسين بالسودان وإريتريا، الدار السودانية ، ط الأولى ١٩٨٤ م.
- ٢٩٤- محمد صالح محي الدين (دكتور): مشيخة العبدلاب وأثرها في حياة السودان السياسية، الدار السودانية، الطبعة الأولى ، ١٩٧٢ م.
- ٢٩٥- محمد الطاهر المجذوب : الوسيلة الى المطلوب، القاهرة ١٣٣٢ م.
- ٢٩٦- محمد عبد الرحيم : العروبة في السودان، الخرطوم، (بدون ت) .
- ٢٩٧- محمد عبد الرحيم غنيمه (دكتور): تاريخ الجامعات الإسلامية ، مراكش ١٩٥٣ م.
- ٢٩٨- محمد عبد العال احمد (دكتور): بنو رسول وبنو طاهر، وعلاقات اليمن الخارجية في عهديهما، الإسكندرية ، ١٩٨٠ م.
- ٢٩٩- محمد عبد الغنى سعودى (دكتور): أفريقية (دراسة لشخصية الأقاليم) مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٦ م.
- ٣٠٠- محمد عبد المجيد السراج: إرشاد السارى لتراجم آل عيسى بن بشاره الأنصارى، مطبعة النهضة السودانية ، ١٩٥٥ م.
- ٣٠١- محمد عواد حسين (دكتور): تاريخ الإسكندرية وحضارتها منذ أقدم العصور ، القاهرة ١٩٦٣ م.
- ٣٠٢- محمد عوض (دكتور): السودان ووادي النيل ، القاهرة ١٩٥١ م.
- ٣٠٣- محمد عوض محمد (دكتور): السودان الشمالى (سكانه وقبائله) ، لجنة التأليف والترجمة.
- ٣٠٤- محمد غيطاس (دكتور): أعضاء جديدة على تاريخ النوبة، الإسكندرية ١٩٨٧ م.
- ٣٠٥- محمد الفاتح الصلوى: نسب القبائل العربية في السودان، مطبعة منديل بالخرطوم .
- ٣٠٦- محمد كامل حسين: أدب مصر الإسلامية ، عصر الولاة ، الناشر دار الفكر العربى، بدون .

- ٣٠٧- محمد كمال السيد محمد (دكتور): الأزهر جامعا وجامعة ، سلسلة البحوث الإسلامية، القاهرة ١٩٨٦ م.
- ٣٠٨- محمد المجذوب محمد جلال الدين: كتاب الواردات الوهبية فى أورد الطريقة المجذوبية ، ط مصر، مطبعة الشبكشى بالأزهر، بدون .
- ٣٠٩- محمد محمد أمين (دكتور): تطور العلاقات العربية الأفريقية، معهد الدراسات العربية، القاهرة ١٩٧٧ م.
- ٣١٠- محمد محمد على (دكتور): الشعر السودانى فى المعارك السياسية، المكتبة الأزهرية، ١٩٦٩ م.
- ٣١١- محمد محمود زيتون (دكتور): إقليم البحيرة صفحات مجيدة من الحضارة والثقافة والكفاح، القاهرة ١٩٦٢ م.
- ٣١٢- محمد المكى إبراهيم (دكتور): الفكر السودانى: أصوله وتطوره، الطبعة الثانية ١٩٨٩ م بالخرطوم.
- ٣١٣- محمد مهدى كركورى: رحلة مصر والسودان ، سنة ١٩٠٩ م.
- ٣١٤- محمود محمد الحويرى (دكتور): أسوان فى العصور الوسطى، ط الأولى ، دار المعارف ١٩٨٠ م.
- ٣١٥- محمود نديم (ع.ا.ح) : الفن الحربى للجيش المصرى فى العصر المملوكى البحرى، ط دار الكتب المصرية ١٩٨٣ م.
- ٣١٦- مراد كامل (دكتور): القبط فى ركب الحضارة، مطبوعات جمعية مارمينا العجايبى بالإسكندرية، بدون .
- ٣١٧- مصطفى كامل الشريف : عروبة مصر من قبائلها ، القاهرة ١٩٥٦ م.
- ٣١٨- مصطفى مسعد (دكتور): الإسلام والنوبة، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٠ م.
- ٣١٩- مصطفى مسعد (دكتور): المكتبة السودانية العربية (مجموعة النصوص والوثائق العربية الخاصة بتاريخ السودان فى العصور الوسطى)، تحقيق دكتور مصطفى مسعد، ط الأولى ، ١٩٧٢ م.

- ٣٢٠- مكى شبكية (دكتور): السودان عبر القرون ، القاهرة ١٩٦٤ م.
- ٣٢١- مكى شبكية (دكتور): مملكة الفونج الإسلامية، معهد الدراسات العربية ١٩٦٣م، ١٩٦٤م.
- ٣٢٢- المهدي مندور (دكتور): السودان من اقدم العصور الى قيام الأحزاب، الخرطوم.
- ٣٢٣- نسيم مقار (دكتور): السودان فى النصف الأول من القرن التاسع عشر، الرحالة بالم، القاهرة ١٩٦١م. الرحالة جون بتريك، ط لجنة البيان ١٩٦١م.
- ٣٢٤- نعوم شقير (دكتور): تاريخ السودان، تحقيق وتقديم الدكتور محمد إبراهيم ابو سليم، ط بيروت ١٩٨١م.
- ٣٢٥- نعوم شقير (دكتور): جغرافية وتاريخ السودان ، ط بيروت ١٩٦٧م.
- ٣٢٦- نعيم زكى فهمى (دكتور) : طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣م.
- ٣٢٧- هولت: الأولياء والصالحون والمهدية فى السودان، الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٧١م.
- ٣٢٨- هولت: تاريخ السودان الحديث، ط الخرطوم ، بدون .
- ٣٢٩- وزارة الشؤون الاجتماعية: النوبة حاضرها ومستقبلها، القاهرة ١٩٦٤م.
- ٣٣٠- وهيب كامل (دكتور): استرابون فى مصر ، القاهرة ١٩٤٧م.
- ٣٣١- يحيى محمد إبراهيم: تاريخ التعليم الدينى فى السودان، بيروت، ط الأولى ١٩٨٧م.
- ٣٣٢- يحيى هويدى (دكتور): تاريخ فلسفة الإسلام فى القاهرة الأفريقية ، ج١ ، ط ١، النهضة المصرية عام ١٩٦٦م.
- ٣٣٣- يوسف فضل حسن (دكتور): انتشار الإسلام فى أفريقيا، ط الخرطوم، ١٩٧٩م.

٣٣٤- يوسف فضل حسن (دكتور): دراسات فى تاريخ السودان، الجزء الأول، ط جامعة الخرطوم، الطبعة الأولى ١٩٧٥ م.

٣٣٥- يوسف فضل حسن (دكتور): الشلوخ اصلها ووظيفتها فى السودان وادى النيل الأوسط، دار جامعة الخرطوم للنشر، ١٩٧٦ م.

٣٣٦- يوسف فضل حسن (دكتور): معالم تاريخ الإسلام فى السودان، (الإسلام فى السودان)، الخرطوم، ١٩٨٢ م.

٣٣٧- يوسف فضل حسن (دكتور): مقدمة فى تاريخ الممالك الإسلامية فى السودان الشرقى ١٤٥٠-١٨٢١ م، ط الثالثة، دار جامعة الخرطوم للنشر ١٩٨٩ م.

خامساً : المراجع الإفرنجية المترجمة الى العربى :

٣٣٨- احمد شفيق (دكتور): الرق فى الإسلام، ترجمة عن الفرنسية احمد زكى، الطبعة الأولى، المطبعة الأهلية الأميرية ببولاك، ١٣٠٩ هـ / ١٨٩٢ م.

٣٣٩- ف. أديسون: الدليل الموجز إلى مخلفات السودان الإنجليزى المصرى التاريخية.

٣٤٠- أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، تعريب : حسن إبراهيم حسن، عبد المجيد عابدين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٧٠ م.

٣٤١- آلان مورهد: النيل الأزرق، تعريب إبراهيم عباس، ط. بيروت ١٩٦٩ م.

٣٤٢- بوركهارت -جون لويس): رحلات بوركهارت فى بلاد النوبة والسودان، ترجمة الأستاذ/ فؤاد أندراوس، القاهرة ١٩٥٩ م.

٣٤٣- ريتشارد هيل : على تخوم العالم الإسلامى، حقبة من تاريخ السودان، (١٨٢٢-١٨٤١ م)، د١، ترجمة من الإيطالية إلى الإنجليزية ريتشارد هيل، والى العربية عبد العظيم محمد احمد عكاشة، المطبوعات العربية للتأليف والترجمة، الخرطوم، ط. الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

٣٤٤- سليجمان : السلالات فى أفريقيا، ترجمة يوسف خليل، مكتبة العالم العربى ١٩٥٩ م.

- ٣٤٥- ب.ل. شينى : بلاد النوبة فى العصور الوسطى، رسالة ترجمها: نجم الدين محمد شريف، مصلحة الآثار السودانية.
- ٣٤٦- فيرفسون ، هـ. : مشروع الجزيرة، ترجمة : محمد حسن محمد، ويعقوب الصائغ، مصر مطبعة دار الهنا.
- ٣٤٧- لوثرروب ستوارد : حاضر العالم الإسلامى، ترجمة عجاج نويهض، ج٢ ، ط٣ بيروت ، ١٩٧١م.
- ٣٤٨- محمد عوض محمد (دكتور): الشعوب والسلالات الأفريقية ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٥م.
- ٣٤٩- و. نكولز : الشايقية، نقلة إلى العربية وقدم له وعلق عليه الدكتور عبد المجيد عابدين، بحث ضمن كتاب قبائل من السودان الأوسط والسودان الغربى، الدار السودانية ، ط . الأولى، ١٩٧٢م.
- ٣٥٠- نيكلسون (رينولد) : فى التصرف الإسلامى وتاريخه ، تعريب د. أبو العلا عفيفى، القاهرة ١٩٤٧م - ١٩٥٦م.
- سادساً - الدوريات والبحوث :
- ٣٥١- إبراهيم على طرخان (دكتور): الإسلام والممالك الإسلامية بالحبشة فى العصور الوسطى، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، العدد الثامن ١٩٥٩م.
- ٣٥٢- احمد السيد دراج (دكتور): عيذاب ، مجلة نهضة أفريقيا، وزارة الثقافة، القاهرة ١٩٥٨م، العدد التاسع والعاشر (يوليو - أغسطس).
- ٣٥٣- احمد عبد الحميد الشامى (دكتور): أوراق البردى العربى ، مجلة المؤرخ العربى، العدد التاسع، بغداد .
- ٣٥٤- احمد عبد الرحيم نصر (دكتور): رصد ودراسة لبعض الجوانب السيرة الهلالية فى السودان، مجلة الدراسات السودانية ، العدد الأول والثانى مزدوج، المجلد الثانى ، أكتوبر ١٩٨٨م.

٣٥٥- احمد على الحاكم (دكتور): المشروع السودانى الفرنسى للأبحاث العلمية فى منطقة البحر الأحمر السودانية ١٩٧٩-١٩٨١ م ، مجلة كلية الآداب، جامعة الخرطوم، العدد الخامس، ١٩٨٣ م.

٣٥٦- احمد فخرى (دكتور): الواحات البحرية فى التاريخ، مجلة الجمعية التاريخية المصرية، ١٩٥١ م.

٣٥٧- الأمين عبد الكريم (دكتور): الصراع بين القوى الإسلامية المسيحية فى أثيوبيا إلى نهاية القرن التاسع عشر، مجلة دراسات أفريقية ، العدد الأول، أبريل ١٩٨٥ م، المركز الإسلامى الأفريقى بالخرطوم.

٣٥٨- بشير إبراهيم بشير (دكتور): الأصل الأموى فى بلاد السودان، مجلة الدراسات السودانية جامعة الخرطوم، العدد الأول ، المجلد الرابع، يونيو ١٩٧٣ م.

٣٥٩- بشير إبراهيم بشير (دكتور): عذاب حياتها الدينية والأدبية، مجلة الدراسات السودانية، جامعة الخرطوم، العدد الثانى، المجلد الخامس، يوليو ١٩٧٩ م.

٣٦٠- بشير إبراهيم بشير (دكتور): الفاطميون والبحر الأحمر، مجلة كلية الآداب ، جامعة الخرطوم ، العدد الأول ١٩٧٢ م.

٣٦١- تمام همام تمام (دكتور): الهجمات الاستعمارية والمقاومة الإسلامية، سلسلة مقالات منشورة فى مجلة الهداية بدولة البحرين فى عامى ١٩٧٦ م ، ١٩٧٧ م .

٣٦٢- توفيق اسكندر (دكتور): نظام المقايضة فى تجارة مصر الخارجية فى العصر الوسيط، المجلة التاريخية المصرية ، العدد السادس سنة ١٩٥٧ م.

٣٦٣- حسنين محمد ربيع (دكتور): البحر الأحمر فى العصر الايوبى (البحر الأحمر فى التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة سمنار الدراسات العليا للتاريخ الحديث)، جامعة عين شمس، أبحاث الأسبوع العلمى الثالث ١٠-١٥ مارس ١٩٧٩ م، القاهرة ١٩٨٠ م.

٣٦٤- زاهر رياض (دكتور): اتجاهات مصر الأفريقية فى العصور الوسطى، مجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة - المجلد العشرين- الجزء الأول ، مايو ١٩٥٨ م.

- ٣٦٥- سعاد ماهر (دكتورة): محافظات الجمهورية ، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة ، مجلد ٢١ ، العدد الأول ١٩٥٩ م.
- ٣٦٦- سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور): بعض أضواء جديدة على العلاقات بين مصر والحبشة في العصور الوسطى، مجلة الجمعية التاريخية المصرية ، مجلد ١٤، ص ١-٤٣ سنة ١٩٦٨ م.
- ٣٦٧- الشاطر بصيلي : الكارمية ، بحث بمجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، العدد ١٣، لسنة ١٩٦٧ م.
- ٣٦٨- صبحى لبيب (دكتور): سياسة مصر التجارية في عصرى الأيوبيين والمماليك، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، المجلدان الثامن والعشرون، والتاسع والعشرون ١٩٨١-١٩٨٢ م.
- ٣٦٩- صبحى لبيب (دكتور): التجارة الكارمية وتجارة مصر في العصور الوسطى، مجلة الجمعية المصرية التاريخية، المجلد الرابع عشر ١٩٦٨ م.
- ٣٧٠- صلاح الدين المنجد (دكتور): إجازات السماع في المخطوطات القديمة، مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد الأول، نوفمبر ١٩٥٥ م.
- ٣٧١- صلاح محى الدين (دكتور): مخطوطة تاريخية عن العبدلاب، مجلة الخرطوم ، ديسمبر ١٩٦٧ م.
- ٣٧٢- عباس محمود العقاد : الطرق الصوفية ، مجلة الكتاب ، عدد يوليو ١٩٥٣ م.
- ٣٧٣- الشيخ عبد الرحمن احمد (ابن السودان): فى العادات ، الشلوخ، مجلة النهضة السودانية، العدد ١٦، ج ١٩٣، سنة ١٩٣٦ م.
- ٣٧٤- عبد السلام الترماني (دكتور): الزواج عند العرب فى الجاهلية والإسلام، مجلة عالم المعرفة، العدد ٨٠، ١٩٨٤ م.
- ٣٧٥- عبد المجيد عابدين (دكتور): من مصادر الثقافة العربية فى السودان، بحث مقدم للمؤتمر العالمى الثانى للغات والآداب بجامعة الخرطوم، ديسمبر ١٩٦٨ م.
- ٣٧٦- عبد المجيد عابدين (دكتور): ميلاد سوبا، مجلة الجمعية التاريخية السودانية، المجلد الأول ، الجزء الثانى ، ١٩٦٧ م.

- ٣٧٧- عطية القوصى (دكتور): أضواء جديدة على تجارة الكارم من واقع وثائق الجنيزة، مجلة الجمعية التاريخية ، المجلد الثانى والعشرون لسنة ١٩٧٥ م.
- ٣٧٨- عمر حاج الزاكي (دكتور): حقيقة القتل الطقسى فى مملكة مروي ، مجلة كلية الآداب ، جامعة أم درمان، العدد الثانى ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤ م.
- ٣٧٩- عوض عبد الهادى (دكتور): الشايقية : تاريخهم وثقافتهم حتى الفتح التركى، مجلة الدراسات السودانية ، جامعة الخرطوم، العدد الثانى ، المجلد الثانى ، أبريل ١٩٧٧ م.
- ٣٨٠- فوزى مكاوى (دكتور): أضواء جديدة على العلاقات بين مملكة اكسوم وممالك جنوب الجزيرة العربية خلال القرنين الثانى والثالث الميلاديين، دراسات الخليج والجزيرة.
- ٣٨١- فوزى مكاوى (دكتور): الملاحة فى الحوض الجنوبى للبحر الأحمر وأثرها فى التاريخ السياسى للمنطقة خلال العصور القديمة، ندوة القرن الأفريقى ١٩٨٥ م.
- ٣٨٢- كروباتشيك: النوبة من نهاية القرن الثانى عشر حتى فتح الفونج فى بداية القرن السادس عشر، موسوعة اليونسكو (تاريخ أفريقيا العام)، المجلد الرابع ، ١٩٨٨ م.
- ٣٨٣- كمال دسوقى (دكتور): مجتمع الرعاة فى رفاعة شرق ، تحليل سيكو انثروبولوجى لظاهر البداوة، مجلة جامعة أم درمان الإسلامية ، العدد الأول ، ١٩٦٨ م.
- ٣٨٤- محمد جمال الدين مختار (دكتور): آثار النوبة ومحاولة إنقاذها، حوليات كلية الآداب، جامعة عين شمس- المجلد السابع ١٩٦٢ م.
- ٣٨٥- محمد رياض (دكتور): العباددة، بحث منشور بالجمعية الجغرافية ، ٢٦ / ٤ / ١٩٦١ م.
- ٣٨٦- محمد صالح محى الدين (دكتور): علاقات السودان الثقافية بالمغرب العربى فى العهد الفونجى، المجلة الإسلامية ، الرباط، المملكة المغربية ، العدد الثانى ١٩٧٥ م.

- ٣٨٧- محمد عبد الخالق البتيتي : إمارة الصعيد إمرة هواره ونسبها : مقال بجريدة البلاغ ١٩ / ٢ / ١٩٣٤م.
- ٣٨٨- محمد عبد العال (دكتور): النوبة والمحاولات الإسلامية لفتحها فيما بين عامي (٢٠-٣١هـ / ٦٤١-٦٥٢م) مجلة كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، المجلد ٣٣، ١٩٨٤م، ١٩٨٥م.
- ٣٨٩- محمد عبد العال احمد (دكتور): موقف مصر من النوبة في العصر المملوكي الأول، بحث منشور بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة ١٩٨٧م.
- ٣٩٠- محمد عمر بشير (دكتور): تدفق الهجرات العربية للسودان، مجلة الدراسات السودانية ، العدد الأول ، المجلد السابع.
- ٣٩١- محمد محبوب مالك: مخطوطة الطبقات ود ضيف الله، نشر بمجلة بوليس السودان، العدد الثالث ، يوليو ١٩٦٦م.
- ٣٩٢- محمد محمد أمين (دكتور): العبدلاب وسقوط مملكة علوة ، مجلة الدراسات الأفريقية، العدد الثاني ، ١٩٨٣م.
- ٣٩٣- مصطفى مسعد (دكتور): الإسلام وحركات الفلان الإصلاحية في غرب أفريقية، مجلة أم درمان الإسلامية، العدد الأول ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م.
- ٣٩٤- مصطفى مسعد (دكتور): امتداد الإسلام والعروبة إلى وادي النيل الأوسط، مملكة علوة ، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، العدد الثامن ١٩٥٩م.
- ٣٩٥- مصطفى مسعد (دكتور): البجة والعرب في العصور الوسطى، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة العدد (٢١) ، المجلد الثاني ، ديسمبر ١٩٥٩م.
- ٣٩٦- مصطفى مسعد (دكتور): بعض معالم الدعوة الإسلامية في السودان، مجلة كلية العلوم الاجتماعية بالرياض، العدد الرابع، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.
- ٣٩٧- مصطفى مسعد (دكتور): بعض ملاحظات جديدة في تاريخ مملكة الفونج

- الإسلامية، مجلة جامعة القاهرة، الخرطوم، العدد الثالث ١٩٧٢ م.
- ٣٩٨- مصطفى مسعد (دكتور): سلطنة فور تاريخها وبعض مظاهر حضارتها، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، المجلد الحادى عشر ١٩٦٣ م.
- ٣٩٩- مصطفى مسعد (دكتور): معاهدة البقط نمط فريد فى مجال العلاقات الدولية فى الإسلام، بحث فى مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية ، جامعة الأمام محمد بن سعود العدد الخامس ، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥ م.
- ٤٠٠- مفيد محمد فوزى : نماذج الأشكال لتجميل لدى الشعوب البدائية، مجلة الجامعة الموصل العدد الثانى عشر، السنة الثانية، ١٥ آذار ١٩٧٢ م.
- ٤٠١- نسيم مقار (دكتور): أضواء على تاريخ الهوارة فى صعيد مصر، المجلة التاريخية المصرية ، العدد ٢٦،
- ٤٠٢- يوسف فضل حسن (دكتور): بواكير الدعوة الإسلامية والثقافة العربية، مقدمة كتاب الطبقات، ط الثالثة ، الخرطوم ، ١٩٨٥ م.
- ٤٠٣- يوسف فضل حسن (دكتور): القتل الطقسى عند الفونج، مجلة الدراسات السودانى، المجلد الثانى، العدد الأول، ١٩٧٠ م.
- ٤٠٤- يوسف فضل حسن (دكتور): الممالك والسودان، مجلة الدراسات السودانية ، العدد الأول، المجلد الرابع ، يونيو ١٩٧٣ م.
- ٤٠٥- يوسف فضل حسن (دكتور): الهجرات البشرية وأثرها فى نشر الإسلام فى السودان، من كتاب الإسلام فى السودان ، ط الخرطوم ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٢ م.

سابعاً : الرسائل الجامعية:

- ٤٠٦- احمد عثمان محمد إبراهيم : الجزيرة فى خلال المهدية، رسالة ماجستير غير منشور، بجامعة الخرطوم، ١٩٧٠ م.
- ٤٠٧- حسن محمد الفاتح قريب الله: التصوف فى السودان إلى نهاية عصر الفونج، رسالة ماجستير، جامعة الخرطوم، ١٩٦٥ م ، كلية الآداب ، شعبة اللغة العربية .

- ٤٠٨- زينب احمد على هاشم : علاقة مصر بالدول الإسلامية فى حوض نهر النيجر فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين ، ماجستير بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية ، جامعة القاهرة ١٩٨٢م .
- ٤٠٩- سليمان عطية سليمان : سياسة الممالك فى البحر الأحمر، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة ، ١٩٥٩م .
- ٤١٠- شوقى عبد القوى عثمان : العلاقات التجارية بين مصر والدول الأفريقية فى العصور الوسطى، رسالة ماجستير منشورة، بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة .
- ٤١١- عبد الفتاح حسنين مقلد: سلطنة البونو حتى ١٨٠٨م - رسالة ماجستير غير منشورة، بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة ١٩٧٨م .
- ٤١٢- فوزى مكاوى : مملكة أكسوم ، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية ١٩٧٤م ، جامعة القاهرة .
- ٤١٣- كرم كمال الدين الصاوى باز: التطور الاجتماعى فى مصر الإسلامية وانعكاسه على السودان وادى النيل فى عصر الولاة ، رسالة ماجستير منشورة، جامعة القاهرة ، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، القاهرة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
- ٤١٤- محمد احمد على الحاج : انتشار الإسلام فى وادى النيل الأزرق بالسودان حتى نهاية مملكة الفونج ٩١٠-١٢٣٦هـ / ١٥٠٤-١٨٢٠م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب جامعة أم درمان الإسلامية ١٩٨٢م .
- ٤١٥- محمد بهجت عصفور : الصلات السياسية والحضارية بين مصر وبلاد الحجاز منذ بداية العصر الإسلامى فى مصر حتى نهاية عصر المماليك، دكتوراه جامعة القاهرة ، فرع الخرطوم، كلية الآداب ، ١٩٨٠م ، إشراف على حبنى الخربوطلى .
- ٤١٦- المعتصم أحمد الحاج : الخلاوى فى السودان، نظمها وروسومها، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الخرطوم، إشراف بشير ابراهيم بشير ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

٤١٧- نادية بدوى: «الزينة الشخصية عند العباددة»، دسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية ١٩٨٥ م.

٤١٨- نسيم مقار (دكتور): اقتصاد السودان فى العهد الفونجى، رسالة دكتوراه، جامعة فؤاد الأول، ١٩٥٥ م.

ثامنا: المراجع الأفرنجية:

- تقارير عن الحفائر فى النوبة المصرية:

419- Actes du 11 Symposium international sur la Nubie (Fevrier 1-3, 1971). Organisé par L'Institut d' Egypte. Edité par Labib, Le Caire 1981.

420- Adams, W.Y.: Pottery Kiln Excavations, Kush X, 1962.

421- Adams, W.Y. : Sudan Antiquities service excavations in Nubia, Fourth Season 1962-63, Kush XII, 1964.

422- Adams, W.Y. :The Evolution of Christian Nubian pottery, Nubische Kunst, 1970.

423- A.E.R. "The Fung Drum or Nehas" S.N.R. IV, 1921.

424- Al Shahi, (A.S): The Shaigige of the northern Sudan, 1965.

425- F. Alvarez: Narrative of the portuguses Embassy to Abyssinia, 1520-27, Transl by Stanley, London 1881. .

426- Ammar, (A): The People of Sharqiya, Cairo , 1944, Vol. (1).

427- Arkell, A.J.: Fung Origins, S.N.R. ZV, 1932.

428- Arkell, A.J. : A history of the Sudan from the Earliest Times to 1821, London,1955.

429- Armbruster (G.H.): Dongolese Nubian: A Lexicon, Cambridge, 1965.

- 430- Ashtor. F.: The Karimi Merchants, J.R.A.S., April, 1956.
- 431- Baker (s); the Nile tributaries of Abyssania and the Sword Hunters of the Hamran, London.
- 432- Bent (T): A visit to the Northern Sudan, the Geographical Journal, VII, January to June 1896.
- 433- Bloss, J.F. E. : The story of Suakin, S.N. R. XIX, 11, 1936.
- 434- Breasted: Ancient records of Egypt. 5 Vols, Chicago, 1906.
- 435- Browne: The history and Description of Africa by Leo Africanus, done into English by John Pary 1600, Vol. III.
- 436- Bruce: Travels to Discover the Sources of the Nile, Vol. 4, Edinburgh 1804 - 5, 7 Volumes 2nd edition, 1964.
- 437- Budge, W.: Text relating to Saint Mena of Egypt and Canons of Nicara in a Nubian dialect with Facsimile, London, 1909.
- 438- Budge. B.A.W.: The Egyptian Sudan, its History and Monuments, London, 1907.
- 439- Budge. E.A.W.: A history of Ethiopia, Nubia and Abyssinia , Vol. I, London, 1928.
- 440- Burckhart, J.L.: Travels in Nubia, London, 1819.
- 441- Browen (W. G.) : Travels in Africa, Egypt and Syria, 1792-98, London, 1799.
- 442- Cadalvene (E. De) et Breuvers L'Egypte et La Turquie, Paris, 1839, Vol. I.
- 443- Cailliaud: Voyage a Mero et au fleuve blanc dans les annes 1819, 1820, 1822, Paris, 1820, Vol. II.

- 444- Catalogue général du Musée Arabe du Caire Stèles Funéraires, Vol. I,
Par Hassan Hawary et Hussein Bached.
- 445- Chataway (J.D.P): Fung Origins, S.N.K. Vol. 17, 1934.
- 446- Chatway, J. D. P.: Notes on the hist - of Fung", S.U.R., XIII, Part
II, 1939.
- 447- C.H.H.S. Centre de Reserches Archeologiques Laboratoire de Ce-
ramohogier, 1980.
- 448- Conti. Roossini: "Sugli Habasat", Hendiconti della Accademia dei
limcei, 1906.
- 449- Coulbeau. J.B.: Histoire Politique et Religieuse d'Abyssinie.
- 450- Crawford, O.G. S. : The Fuag Kingdom of Sennar, Gloucester, 1951.
- 451- Crowfoot, J.W. : Christian Nubia, J.B.A- EII, 1927.
- 452- Cuog, J. : Islamisation de la Nubie Chretienne, Publiee sous la direc-
tion de Dominique Saurdel et Junine Saurdel thomine, 1939.
- 453- De Villard, M.: La Musulmaaa di Aswan, Cairo, 1930.
- 454- De Villard (M).J Teste Meritici della Nubia Setten triaabile , Kush
VIII, 1960.
- 455- De Villard (M): Storia Della Nubia, Christians, Roma, 1938.
- 456- Dozy: Supp. Diet. Arab.
- 457- Dubois-Ayme: Memoire Sur les tribus Arabes des Deserts de L'Egypte,
T. 12, 1809.
- 458- Mostapha El-Emir: Fouilles de L'University d'Alexandrie a Gebel
Adda, 1959, Fouilles on Uubie 1.

- 459- Elliot Smith, G.: Ancient Egyptians, London 1911.
- 460- Emery and L.P. Kerwan: Excavations and Darvey between Wadies - S'anbua and Adindan 1929-31, Sevice des Antiquites de Egypte, mission Archeologique de Uubie 1929-34, Cairo, 1935, Vol. 1.
- 461- Encyclopedia Britanica, Art Mutilation.
- 462- Ency Britt Art Aswan.
- 463- Evans Pritchard: Ethnological observation in Dar Fung S.33". R. XV, 1932.
- 464- R. S. O'Fahey: "Religion and trade in the Fur Sultante" Sudan in ed. Yusuf Fadl Hasan, K.U.P. 1971. State and State Formation' in the Eastern Sudan, African Studies Seminar Series, Sudan Research Unit, University of Khartoum, 1970.
- 465- Foster. W.: The Red Sea and Adjacent Countries at the close of the seventeenth Century, London, 1949.
- 466- Frazer: The Golden Bough, Vol. Ill, London , 1966.
- 467- Gamst; On Abyssinia A response to Bender, N 4, Vol. 79, December 1977.
- 468- Gerhard Haeny: Tafa, Kalabsha, Wadi EL Sebu, Rock inscriptions and Semna South, Actes du II Symposium.
- 469- Gloser (E): Die Abessinier in Arabien and Afrika, Munich, 1095.
- 470- Godallah, P.P. : The Egyptian Contribution to Nubian Christianity, S.K.R. XL, 1959.
- 471- Goitein: A tentarive bibiliography of Geniza Docuirn Paris 1964
- 472 -Goitein: Hew lights on the beginning of the Karim Merchants, tesho, V. I, 1958.

- 473- Goitein: From the Mediterranean to India, Document the trade to India, South Arabia, Speculum, H. 2X1 April 1S54, No. 2, Part 1.
- 474- Griffith, P.L.I : Oxford Excavations in Nubia, L.AAA nil, 1926, L AAA ELY, 1927, L AAA XV, 1928.
- 475- Hamilton. J. A. De. C.: The Anglo. Egyptian Sudan, Prom Within, London 1935.
- 476- Hasan (Y.F.): Umayyed Genealogy of the Fung, S.H.R. XIV, 1965.
- 477- Hasan (Y.F.): The Umayyad Geneology of the Fung, S.N.R. IVI, 1965.
- 478- Hasan (Y.F.): The Arabs and the Sudan, Edinburgh, 1967.
- 479- Hasan (Y.F.): External Islamic influences and the progress of Islamization in the Eastern Sudan Between the fifteenth and the Nineteenth centuries, Sudan in Africa, 1968.
- 480- Hair (P.E.H.) the Atlantic Slave Trade and Black Africa London, 1978.
- 481- Henderson, K.D.D.: Fung Origins" S.N.R. XVII, Part 1, 1935-
- 482- Heyd: Histoire du Commerce de Levant au Moyen Age 2 Vols, Leipzig 1923-
- 483- Hillelson (S) : David Reubini an Early Visitor of Sennar, S.I.R. Vol. XVI, Part 1, 1933.
- 484- Hinterland: Anglo Egyptian Sudan from Within ed. Hamilton, London, 1935.
- 485- Holt, P.M. : A Sudanese historical Legend: The Fung Conquest of Soba "Bulletin of the school of oriental and African studies, XXIII, 1960.
- 486- A Modern history of the Sudan, from the Fung Sultanate to Present day, London, 1961.

- 487- Holt: P.M.: The Sons of Jabir and their Kins: a clan of Sudanese Religious notablos, B.S.O.I. S, XXX, 1967.
- 488- Holt, P.M. : Sultan Selim 1 and the Sudan, J.A.H Till, 1967.
- 489- Holt, P.M.: The Pattern of Egyptian Political history from 1517 & 1798, in Political and social change in Modern Egypt, London 1968.
- 490- Holt, P.M. : Four Fung Land - Charters, S.U.R., 1969.
- 491- Huntingford (G.W.B.): Review of Crawford's book , Bulletin of School of Oriental and African Studies XV, 1953.
- 492- Jackson (H.C.): Tooth of Fire , London 1912.
- 493- Jakobielski, S. : Some remarks on Earas incipitons, Nubische Kunst, 1970.
- 494- Jakobielski, S.: Faras III, A history of the Bishopric of Pachoras on the Basis of Coptic inscriptions, Warszawa, 1972.
- 495- Jaussen. A.: Goutmaes des Arabs au Pays de Moa" Paris 1908.
- 496- Jean-Leon L.: Africin, Description de L'Afrique ed. Tr. A. Epaulard, Paris, 1956, Premcire Patie.
- 497- John of Ephesus: Ecclessiastical history, Part II, tr. by. E. Payne Smith, London, I860.
- 498- Kanal Y.: Monumenta Cartographica Africa et Aegyptie tome, IV, Pase 1,
- 499- Keith Seele: From Dehmit to Beit El-Wali, Pauilles en Nubie.
- 500- Kirwan, L.P.: Notes on the topography of the Christian Nubian Kingdoms, J.E.A XXI, 1934.
- 501- Kirwan, L.P.: A Contemporary Account of the Converision of the Su-

- dan to Christianity, S.IT.R. XX, Part 11, 1937.
- 502- Kirwan, L.P.: The International Position of the Sudan - in the Roman and Medieval times, S.K.R. Vol. XI, 1959.
- 503- Klunzinger: - Upper Egypt: its people and its products, London 1878.
- 504- Kolodzieczyk (K) : Some Remarks on the Christian Ceramics from Faras In Nubia Christiana, Tom 1, 1982.
- 505- Subhi Labib: Egyptian Commerical Policy in the Middle Ages in "Studies in the Economic history of the Middle East" ed. M. A. Cook, London, 1970.
- 506- Subhi Labib: Les Marchands Karimis eu orient et sur l'Inde: M. Mallat (Ed): Dociete's at companies de Commerce eu orient et dans l'Océan Indien, Paris, 1970.
- 507- Subhi Labib: Medieval Islamic Maritime Policy in the Indian Ocean Area in "Les Grandes Bsaies" Recueils de la Societe Jean Bodin, T. 32, Bruxelles, 1974.
- 508- Subhi Labib: Die Mittelaiterliche Islamische Politik Im Mittelmeerraum, in: "Stud n memoria d Federzo Melis" Vol. 1, Roma 1978.
- 509- La découverte de la Circulation: Meyerhaf Pulmonaire Par Ibn-Nafis, Médecin Arabe du Caire, Xlllène Siecele, 1931.
- 510- Lorimer: The Hagadhib of KL-Damerl S.H.R., XIX, 1936.
- 511- Leonard Woolley and D.R. McLver, KARNOG, The Roman and Uubian Cemetry, Philadelphia, Vol. III.
- 512- Lepsius, R.: Letters from Egypt, Ethiopia and the Peninsula of Sinai, London, 1853.

- 513- Lewis. B. : The Patimids and the Route to India* Revue de La Faclte des Sciences Econoraiquee de L'universite d'Istanbul, Kos. 1-4 (1949-1950).
- 514- Linant de Beliefondg: Journal d'un Voyage a Méroe dans Les annees 1821 et 1022, ed by M. Shinnie, Khartoum, 1958.
- 515- Lionel Bender: Comment on the use of the term "Abyssinia" American Antheropologist, Vol. 79, H.I, January 1977.
- 516- Longfield: The Growth of Sudan Communication Anglo Egyptian Sudan from Within, ed. Hamilton.
- 517- Ludolphus (J): A New history of Ethiopia , London 1682.
- 518- MacMichael: Nubian elements in Darfur, S.N.E. Vol. I, 1918.
- 519- MacMichaels the tribes of Northern Central Kardofan, Cambridge, 1921.
- 520- MacMichael, H.: A history of the Arabs in the Sudan, 2 Vols, London, 1922.
- 521- EL Mahadi Mandour: A short history of the Sudan, Oxford University Press, London, 1965-
- 522- Martin, H. : Studic Arabica of Islamica, American University of Beirut, 1981.
- 523- Martin Hinds and Hamdi Sakkout: Arabic Documents from the Ottoman period from Qasr Ibrim, London, 1986.
- 524- Matthwes (J.G.): Land Customs and tenures in Singa District, S.N.R. Vol. IV, 1921.
- 525- Meroe: A Civilization of the Sudan, London 1967.

- 526- Meroe: A Civilization of the Sudan, London, 1971.
- 527- Michalowski, K.: Polish Excavations at old Dongola, First Season, Nov., Dec, 1964, Kush, XIV, 1966.
- 528- Michalowski, K.: Kush XIV, XII, HII.
- 529- Mileham, G.S. : Church in Lower Nubia, Philadelphia, 1910.
- 530- Millet: "Jebel Adda, Preliminary Report, Journal of American Research Center in Egypt, VI, 1967.
- 531- Mcorsel, Paulvan, and Others: The Central Church of Abdallah Nirgi, Leiden 1975.
- 532- Murray. A: Account of the life and writings of James Bruce of Kinaird. Edinburgh, 1908.
- 533- Murray, G.W. : Aidhab, Geographical Journal, XVIII, No. 3, September 1926.
- 534- Murry: Sons of Ismael, London 1935.
- 535- Mustafa M. Musad: The downfall of the Christian Nubian Kingdoms, S.N.R. XL, 1959.
- 536- Nachtigal (G): Sahara and Sudan, Leipzig, 1967, III.
- 537- Hadler (L.F.) : Fung Origins, S.H.E. Vol. XEV, 1930, Part I.
- 538- Al-Nagar (U) : The Pilgrimage tradition in West Africa, Khartoum, 1972.
- 539- Navile. E. : She Origin of Egyptian Civilization, Smithsonian Rep. 1907.
- 540- Newbold, D.: The Crusaders in the Red Sea and The Sudan, SI7R XXVI, Part II, 1945, Part 1, 1945-

- 541- Ogot (B.A.): History of the Southern Lou , Vol. I, Nairobi, 1967.
- 542- Oliver Roland and Mathew, G.: History of East Africa, Vol. I, Oxford, 1963.
- 543- Osman Jahia: Histoire et elassification de L'Oeuvre L'bn Arabi-Etude eririque Institut Francais de Damas 1944" Ouvrage Publie par le Concours du Centre National de la Recherche Scientifique Tome 1, et 11.
- 544- Palmer (H.R.): History of the first twelve years of the reign of Mai Idris Aloom of Bornu 1571-(585) by his Imam Ahmed Ibn Fartua.
- 545- Paul, A.: Some Aspects of the Fung, Sultanate, S.H.E, ZZXV, 1954.
- 546- Paul, A.: A history of the Beja tribes of the Sudan, Cambridge, 1954.
- 547- Paul. A.: Aidhab, A Medieval Red Sea Part, S.H.R. XX3CVT, Part 1, June 1955-
- 548- Paul, A. : The Hadareb, A study in Arab-Beja relationships, S.H.R.H, 1959.
- 549- Paul, H.G. : History and Antiquities of Darfur,
- 550- Penn (A.B.D.): Traditional Storise of the Abdallab tribe, S.N.R Vol. I7II, 1934.
- 551-Perotafur: Travels and Adventures 1435-1439, London 1920.
- 552-Pluraley, J.M.: Some examples of Christian art from the excavations at Qasr Ibrim, ttubische, Kunst 1970.
- 553-C.J. Poncet : A voyage to Ethiopia made in the years 1698, 1699, 1700, incorporated in the Red Sea and Adjacent Countries at the close of the 17th Century .. ed ly Sir William Poster, London 1949.

- 554-Poncet, Jacques: The Eed Sea and Adigacent Countries at the close of the seventeenth century ed by Sir William Foster, London, Hakluyt Society 1949i
- 555-D. Randall, M. McLver and Leonard Woolley: Areika Vol. I, Oxford 1909, No. 5014, Plate-18 and No. 5020 Plate 19.
- 556-Reid (J.A.): Some Notes on the tribes of the White and Blue Nile Provinces, S.N. R. XIII, Part II, 1930.
- 557-Robertson: Fung Origins, J.N.R. Vol. XVII.
- 558- Sadik Nur: Two Merotix Pottery Coffiu from Argianin Hallfa District, Kush IV, 1936.
- 559- Sanders: The Bisharin, S.N.R. Vol. XVI, 1933-
- 560- Save-Soderberg, T.: Christian Nubia, the Excavations Carried out by the Scandinavian Joint Expedition to Sudanese Nubia,
- 561- Sayid Hamid Hurriez: Brith, Marriage, Death Initiation Customs and Beliefs in the Central Sudan, M.A. Thesis, Leeds University 1966.
- 562- Scanlon (G.T.): The Pustat Moun d S. Archaeology 24f Uo.3" June 1976. Donalos.' Whitcomb and Janet K. Johnson: Qoseir. Al-Qalini 1978-Preliminary Report. American Research Centre in Sgypt Cairo 1979.
- 563- Seligman, Pagan Tribes of the Nilotic Sudan, 1965.
- 564- Nigm Ed Din M. Sherif: The Arabic inscriptions from Meinarti, Kush ZII,1964.
- 565- Shinnie: Christian Nubia, In the Cambridge history, Vol. 2, London 1978.

- 566- Diodurus Siculus: Book II, 5 London, 1961.
- 567- Somers Clarke: Ancient Egyptian Frontier Portresses, J.E.A- III, 1916.
- 568- Stewart: Report on the Egyptian Province of the Sudan, London, 1883.
- 569- Strabo: The Geography Strabo, VIII, London, 1959.
- 570- Taddesse Tamrat: Church and State in Ethiopia 1270-1527, Oxford 1972.
- 571- Thomas, E. S. : The ancient mine plant of turin Papyrus, Cairo Scientific Journal, Vol. 3, 1913.
- 572- Trimingham (T. S.): Islam in the Sudan, London 1949.
- 573- Trimingham: Islam in Ethiopia, Oxford 1952.
- 574- Trimingham: The influence of Islam upon Africa, London 1968, (Africa).
- 575- Ullendorbb. E.: The Ethiopians: An introduction to Country and Peoples, 1967.
- 576- Van Berchem; Corpus Inscrptionum Arabicarum, Premiere Partie, Egypte, Paris 1903.
- 577- Vantini, G.: The Excavation at Paras A Contribution to the history of Christian Nubia, Italy 1967.
- 578- Vantini, G.: Christianity in Medieval Nubia, Cairo 1976.
- 579- Waddington and Hanburgh: Journal of Visit to Some Parts of Ethiopia, London.
- 580- Weigall, A.: A Report on the Antiquities of lower Nubia (the first cataract to the Sudan frontier) and their Condition in 1906-7, Oxford.

581- Marrian Wenzel (M): House Decoration in Nubia, London 1972.

582- Wiet: L'Egypte Musulmane, (Precis de l'histoire d'Egypte, Toa. II, Le Caire 1932.

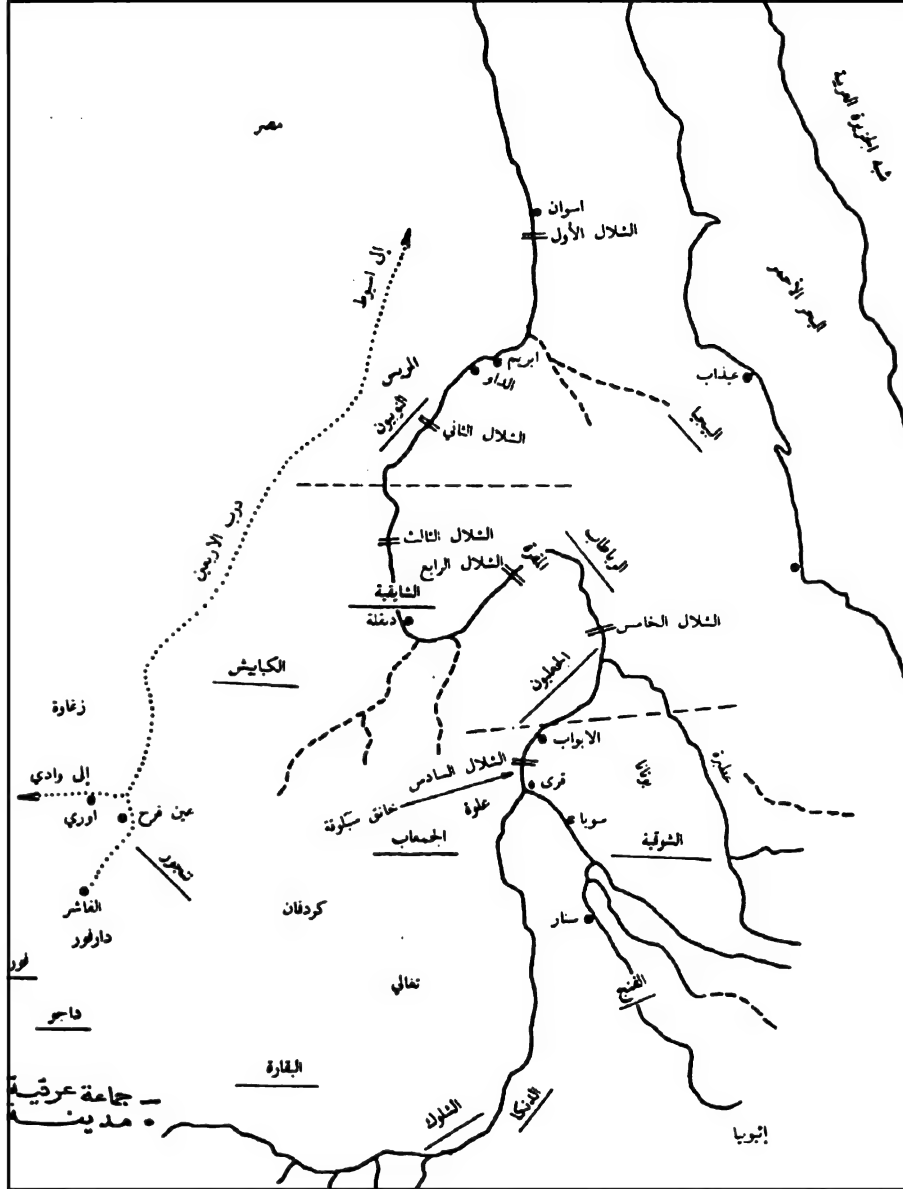
583- Wiet (G): Nouvelles Inscriptions Fatimides, Extrait du Bulletin de l'Institut d'Egypte, Vol. 24, (1941 - 2).

ABBREVIATIONS

- Actes du II Symposium: Actes du II Symposium International Sur la Nubie (Fevrier 1-3, 1971, 1971), Le Oaire 1981.
- ASH: The Archaeological Survey of Budge, Ethiopia, Vol. I: Budge, E.A.W., A history of
- B. S.O.A.S. : Bulletin of the School of Oriental and African Studies.
- Jakobielski, Bishopric: Jakobielski, 3., A history of the Bishopric of Pachoras on the Basis of Coptic inscriptions, Warszawa, 1972.
- J.A.R.C.I.: Journal of the American Research Centre in Egypt, Cairo.
- J.A.H. : Journal of African History. J.E.A"J Journal of Egyptian Archaeology, Oxford. Kush: Kush, Journal of the Sudan Antiquities Service, Khartoum.
- L AAA : Annals of Archaeology and Anthropology, Liverpool.
- Nubischekunst: Kunst and Geschichte Nubiens in Christlicher Zeit. Recklinghausen - 1970.
- S.H.R.: Sudan Notes and Records, Khartoum.

الملاحق

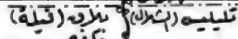
- الخرائط التوضيحية
- الوثائق والمخطوطات
- الاشكال التوضيحية



النوبة من أواخر القرن الثانى عشر إلى عهد الفونج فى أوائل القرن
السادس عشر

المرجع : ل. كروياتشيك، موسوعة اليونسكو، مجلد ٤ ، ص ٤٠١ .

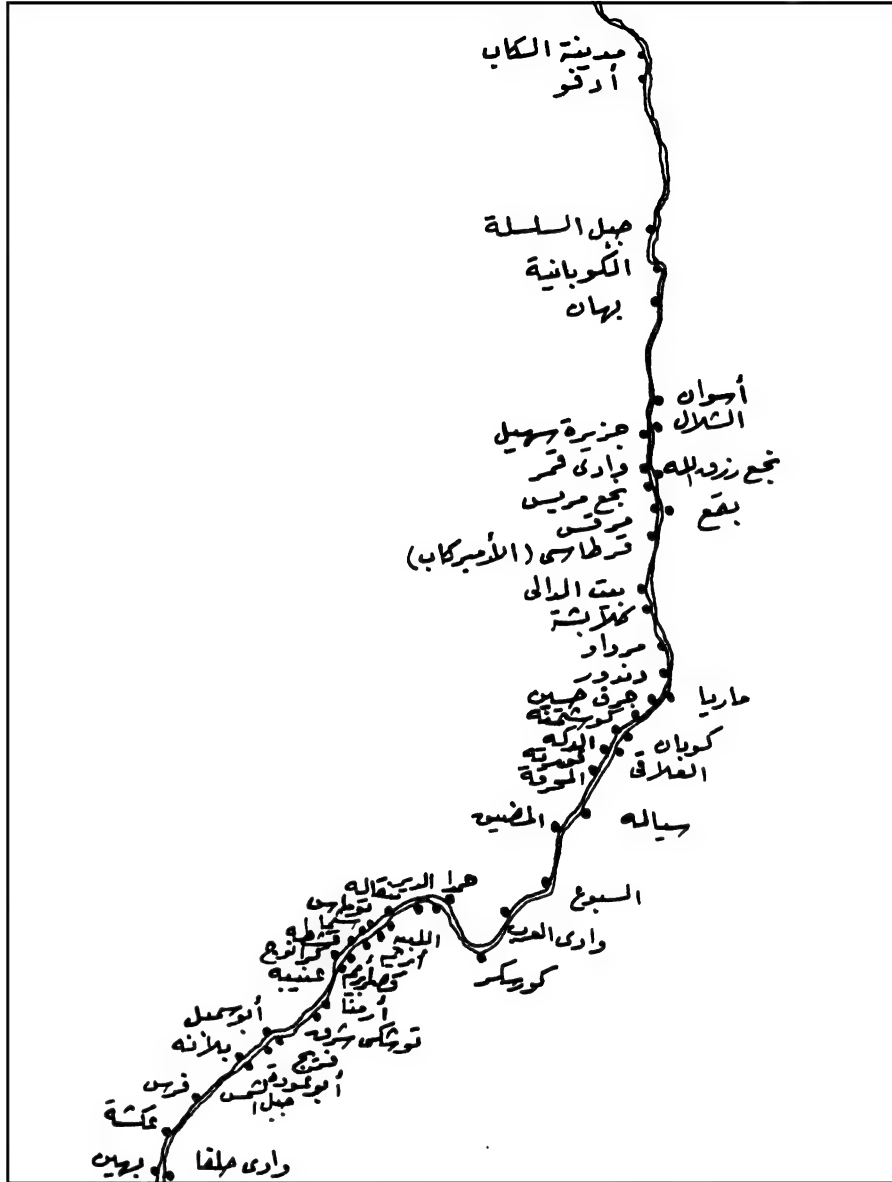
(شكل ١)



نقلا عن: ابن سليم الأسواني: المواعظ والإعتبار ج ١ من ص ١٩٠ -
١٩٧؛ مصطفى مسعد: الإسلام والنوبة، ص ٧٣
(شكل ٢)

١٩٧؛ مصطفى مسعد: الإسلام والنوبة، ص ٧٣

(شکل ۲)



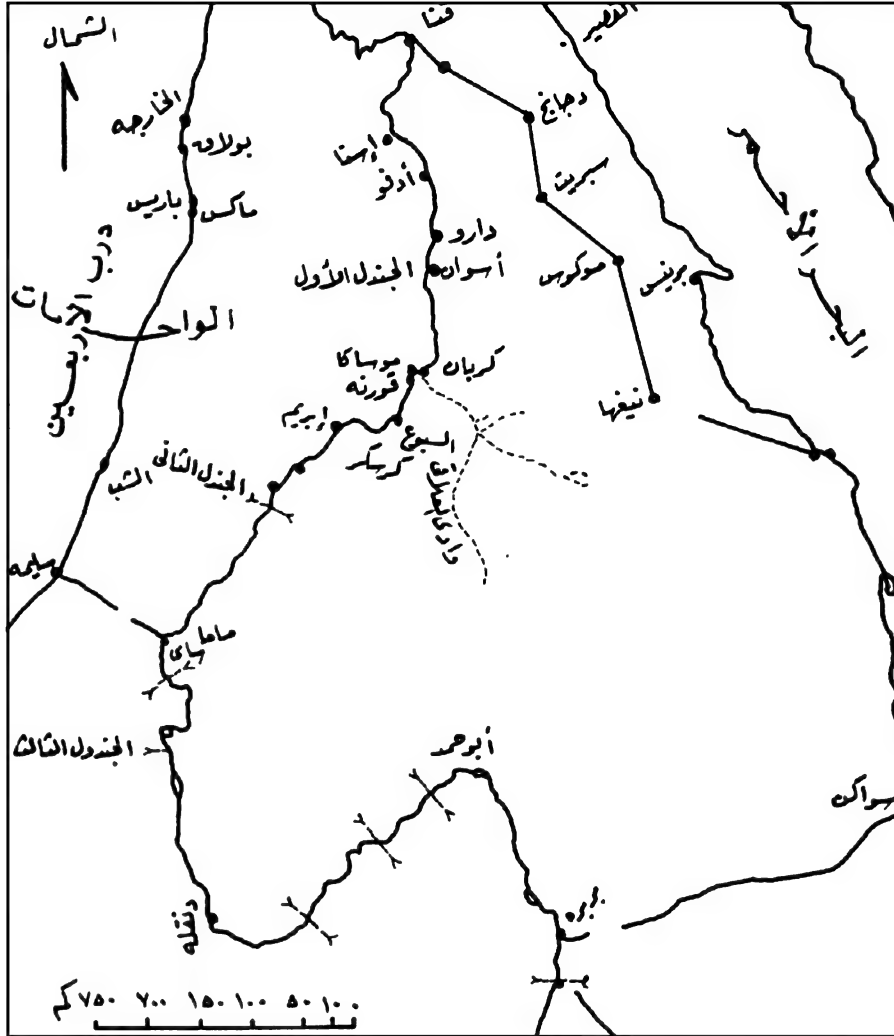
خريطة بلاد النوبة الوسطى

عن تقرير مصلحة الآثار المصرية عن آثار بلاد النوبة المهددة بالغرق
لمناسبة مشروع السد العالي

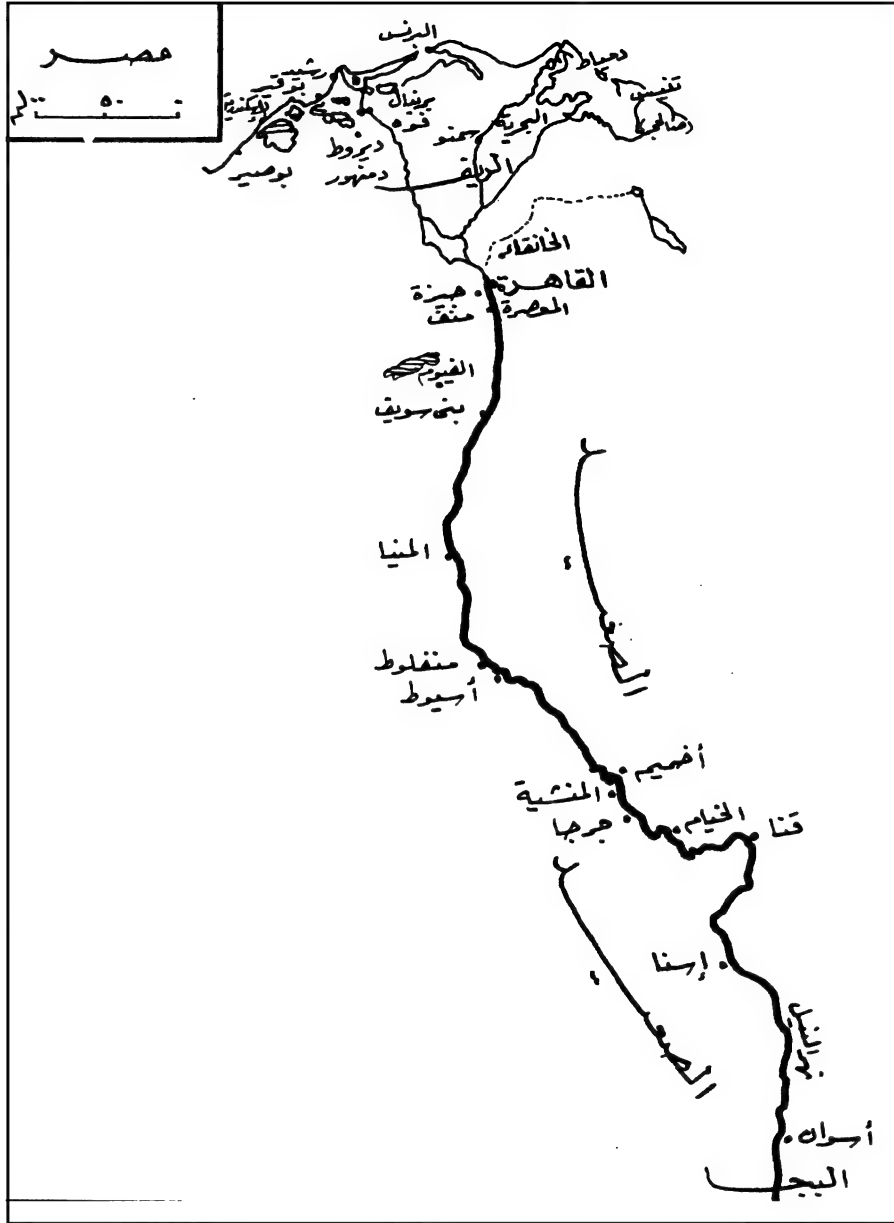
(شكل ٣)



النيل من الشلال الأول إلى الشلال السادس
من إعداد الباحث
(شكل ٤)



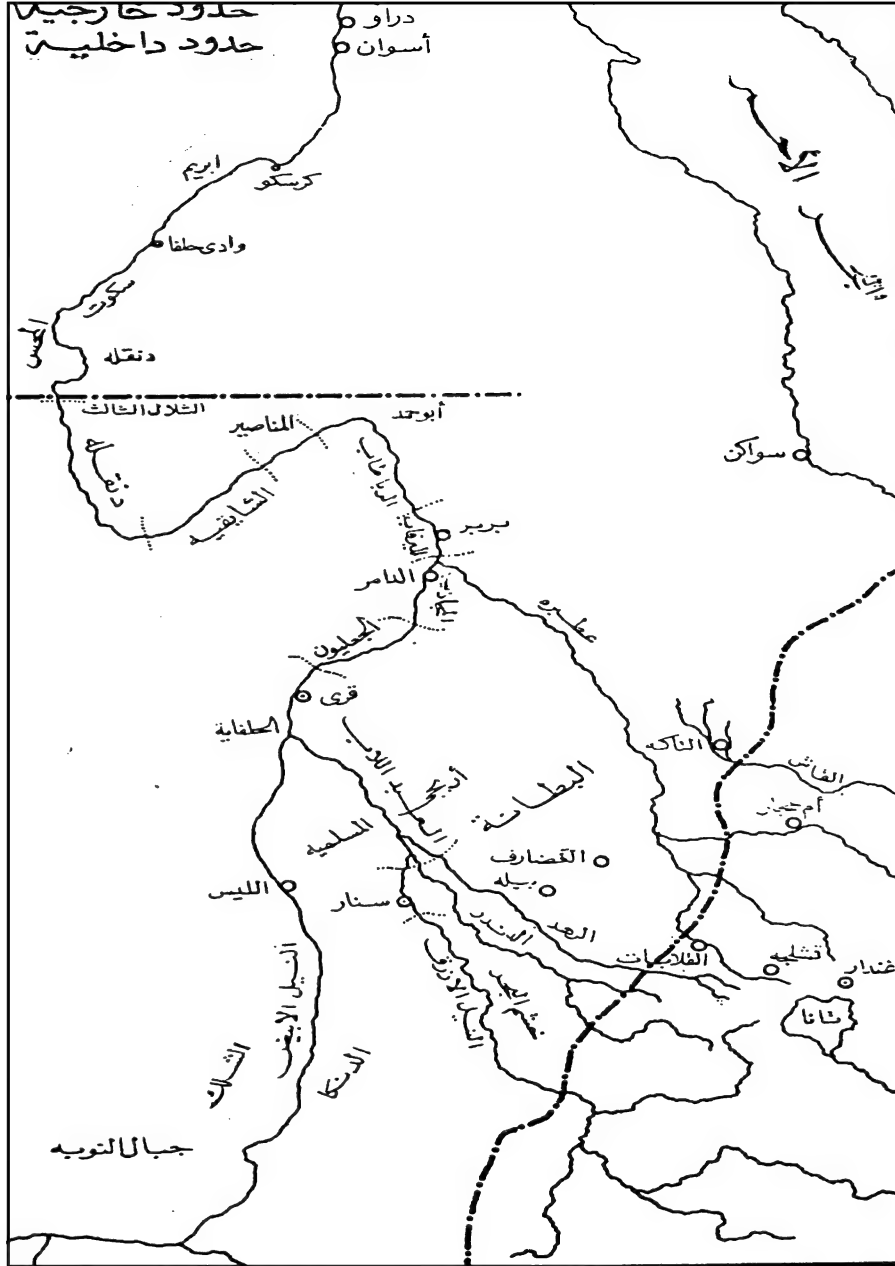
خريطة توضيحية لأهم مدن النوبة في العصور الوسطى
من إعداد الباحث
(شكل ٥)



النوبة وأرض البجا كما وردت عند ليو الأفريقى
 المصدر : ليو الافريقى : وصف افريقيا، ص ٥٦٠ .
 (شكل ٦)



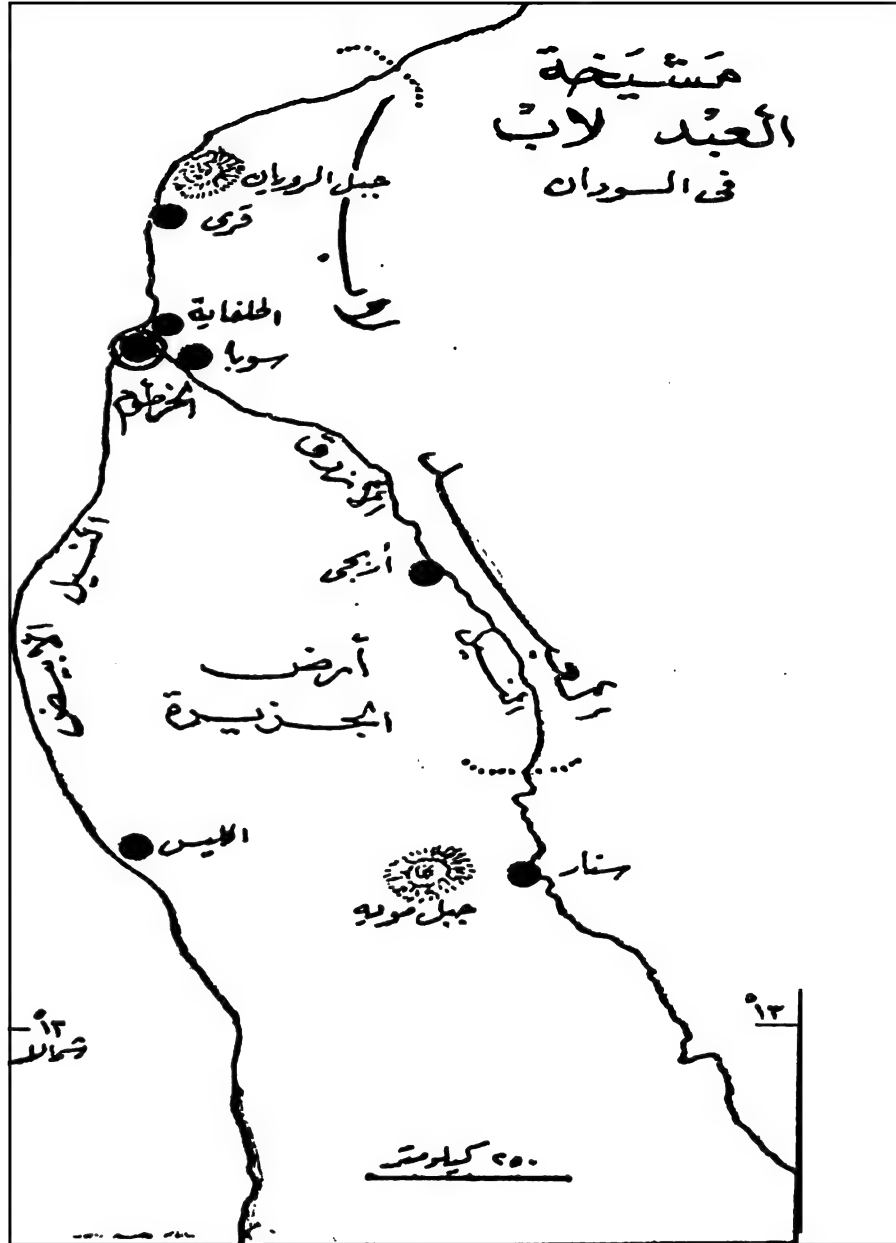
مملكة الحبشة في القرون من الثالث عشر إلى الخامس عشر
 المرجع: رجب محمد عبد الحليم: العلاقات السياسية بين مسلمي
 النيل ونصارى الحبشة ص ٢٦٧ .
 (شكل ٨)



الديار القبلية التي تكون منها الحلف السناري

المرجع: الشاطر بصيلي: معالم تاريخ سوذان وادي النيل ص ٣٨٩

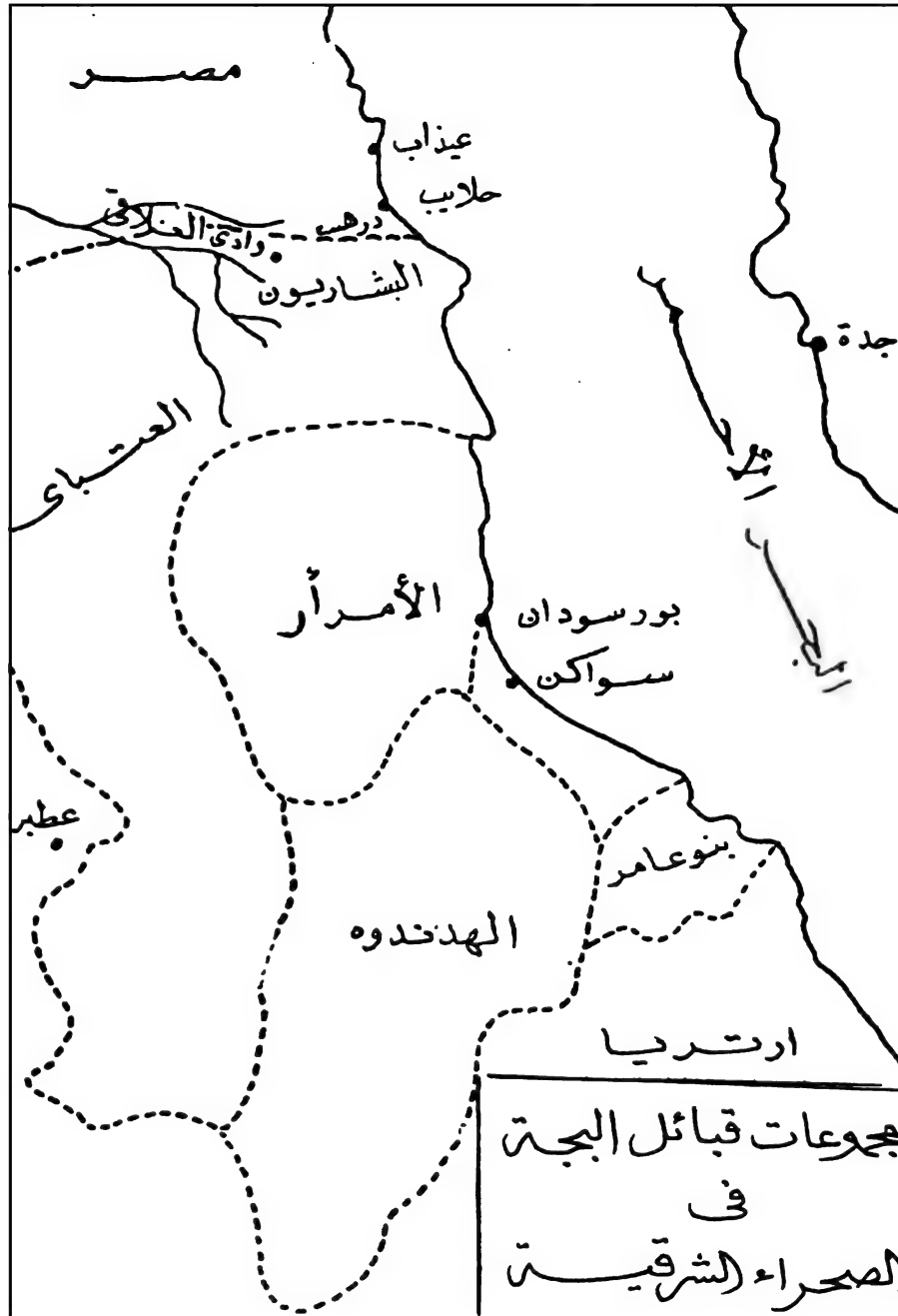
(شكل ٩)



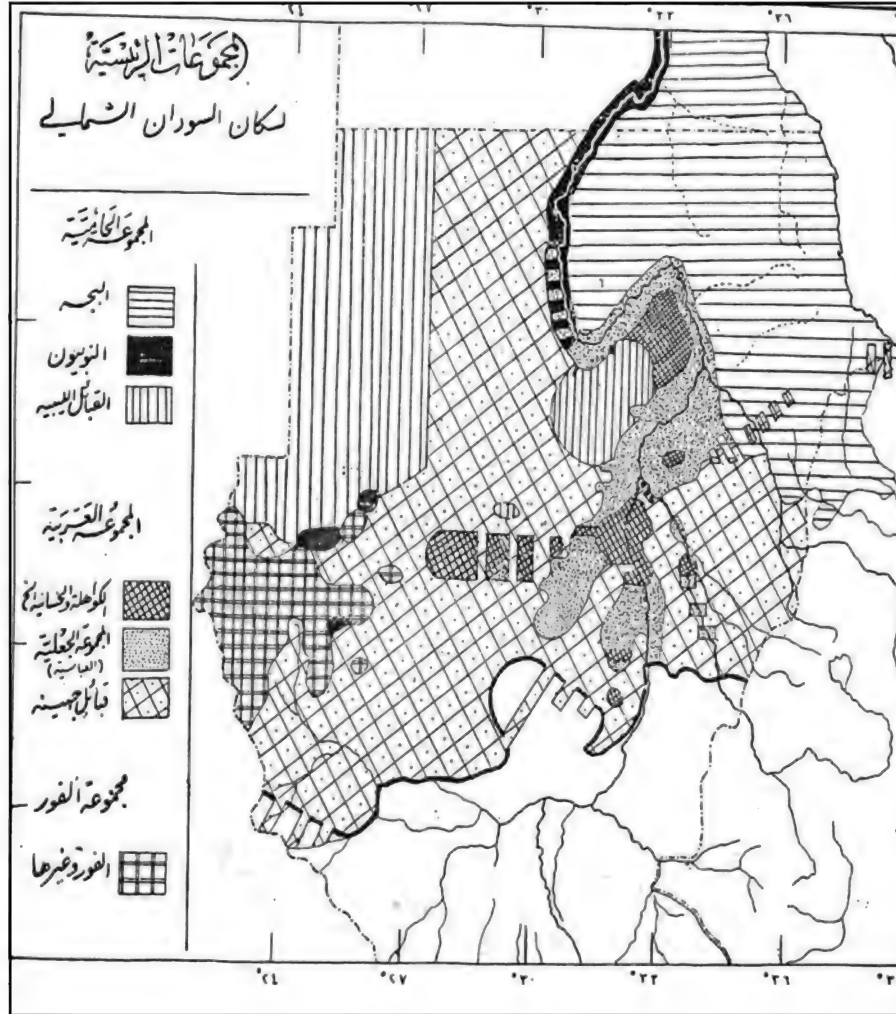
المرجع: محمد محمد أمين: مجلة الدراسات الأفريقية العدد الثاني

١٩٧٣ ص ٢٠٧

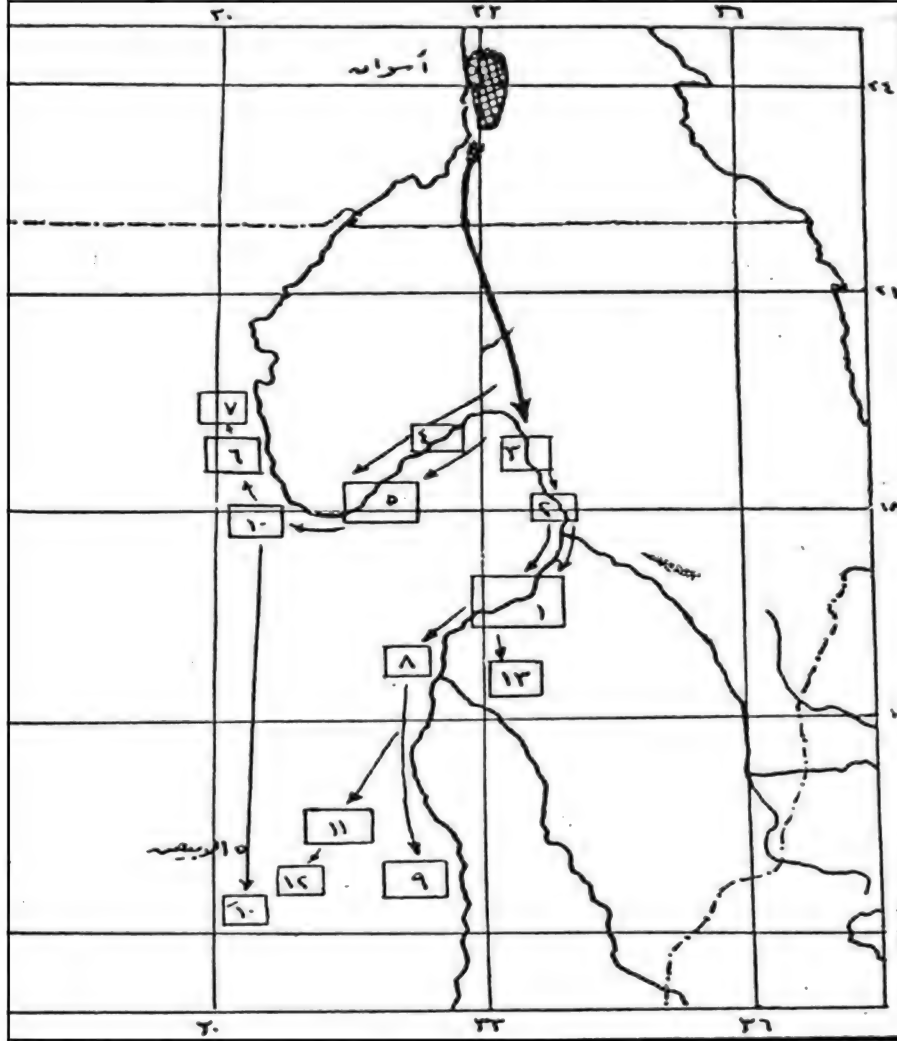
(شكل ١٠)



(شكل ١٢)



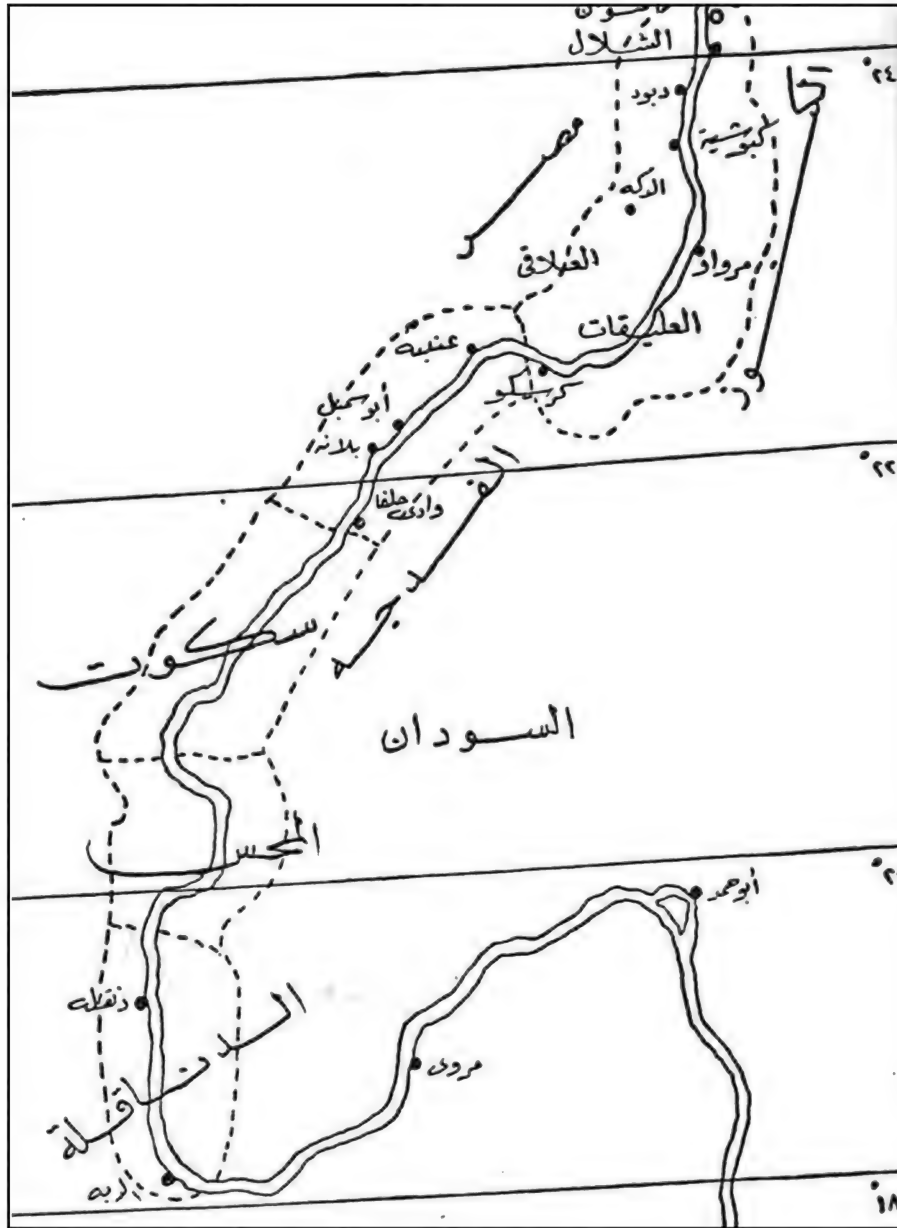
المرجع: محمد عوض محمد: السودان الشمالي، ص ٣٠٠
(شكل ١٣)



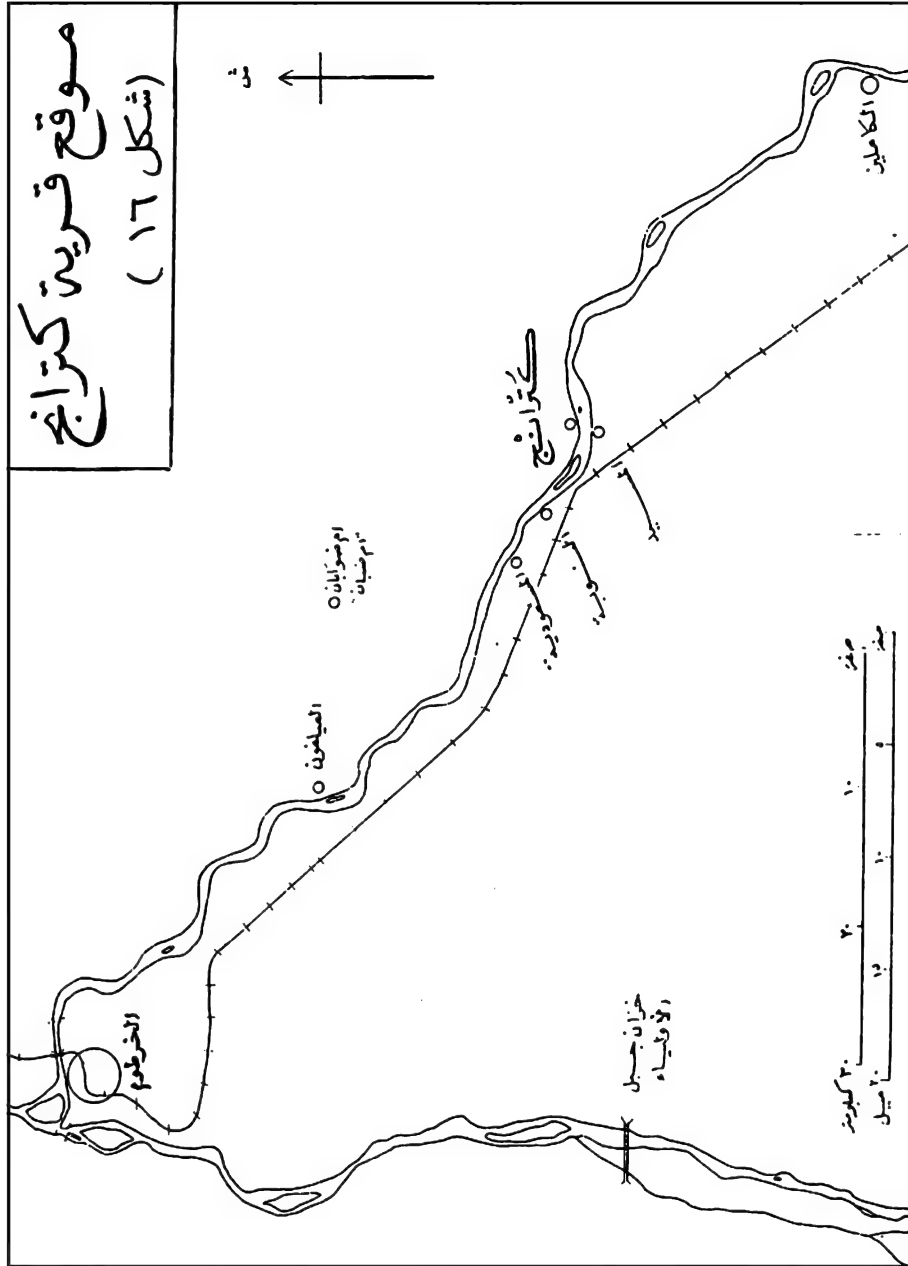
انتشار القبائل الجعلية في السودان

- | | | |
|---------------|---------------|--------------|
| (١) الجعليون | (٢) الميرفاب | (٣) الرباطاب |
| (٤) المناصير | (٥) الشايقية | (٦) الجوابرة |
| (٧) الركابية | (٨) الجموعية | (٩) الجمع |
| (١٠) البديرية | (١١) الجوامعة | (١٢) الغديات |
| (١٣) البطاحين | | |

المرجع: محمد عوض محمد: السودان الشمالي، ص ١٦٧ (شكل ١٤)



توزيع مجموعات النوبيين على جانبي نهر النيل
المرجع : عطيه القوصى: تاريخ دولة الكنوز، ص ١٥٤ .
(شكل ١٥)

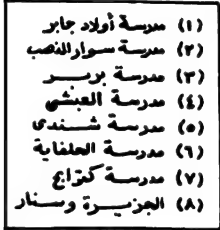


المرجع: عز الدين الأمين: قرية كتراشج وأثرها العلمى فى السودان،

ص ٦ .



المرجع: عبد المجيد عابدين: تاريخ الثقافة العربية في
السودان ص ٢٣
(شكل ١٧)



المدارس الثقافية في السودان خلال القرن السادس عشر
من إعداد الباحث
(شكل ١٨)



النوبة والقوى الخارجية المجاورة لها في العصر المملوكي
 المرجع: كولن ماكفیدی: أطلس التاريخ الافريقي، ص ٩٤،
 (شكل ١٩)

ملحق رقم (١)
وثيقة الزواج الخاصة
بملك دنقلة الربيعي عام ٧٣٣هـ.

وثيقة الزواج الملكية الخاصة بملك دنقلة الربيعي عام ٧٣٣هـ (١).

١- بسم الله الرحمن الرحيم. «والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين أمماً، أولئك يجزون الغرفة بما صبروا».

٢- ويلقون فيها تحية وسلاماً، خالدين فيها حسنت مستقراً ومقاماً (٢). أما بعد، فإن محامد لله خير ما ابتدأ بها الإنسان وجعلها منهاجاً يدلّه علي طريق الصواب فنقول.

٣- الحمد لله الذي شرف الأنساب وفضلها، وعلم الاحساب وكملها وأوضح الأحكام وبينها. الذي هدانا بملة الإسلام التي هي افضل المال وجعلها.

٤- ميزان عدل معتدل وجاوز من الأشياء مادي وجل، وتفرد بوحدانيتها عز وجل، هادي الأبواب ومرشد النظر إلي الصواب، وحافظ الذراري والأعقاب.

٥- الذي خلق أبا البشر من تراب، وج أجري النطف من الاصلاب، الحاكم بعد له والهادي إلي الخير وسبله، ومعمّر البسيطة بآدم ونسله الذي جعل النكاح عصمة.

٦- من الشيطان وحيله، فهو مما أمرت الشريعة باعتماد فعله، وأباحه الله علي السنة رسله، فقال عز من قائل في محكم تنزيله: وأنكحوا الأياس منكم والصالحين من عبادكم وامائكم.

٧- ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله (٣). احمد علي ما يسره وأظهره، واشكره علي ما قضي به من التواصل وقدره، وسهله من التصاهر ويسره واشهد ان لا اله إلا الله.

(١) كُتبت الوثيقة بالمداد الأسود على قطعة حريدية صفراء بخط الرقاع. وتضم الوثيقة قسمين: الأول عبارة عن مقدمة طويلة لعقد الزواج حوت كثيراً من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحت المسلمين على الزواج، وتذكر مزاياه، وتشير إلى أهميته بالنسبة لبقاء الإنسان وسعادته. أما القسم الثاني فهو عبارة عن نص عقد الزواج الخاص بالأمير (الملك) الربيعي كنز الدولة أبي عبد الله محمد بن كنز الدول شجاع الدين المتملك بدنقلة منذ عام ٧١٧هـ على ابنة عمه السيدة بشرية بنت سيف الدين ماجد. تكونت المقدمة من اثني عشر سطراً، بينما تكون نص العقد من أربع وعشرين سطراً، بالإضافة إلى أسماء أربعة من الرجال كانوا شهوداً على عقد الزواج الذي حرر في الثالث من شهر ذي العقدة عام ٧٣٣هـ. ورد في الوثيقة النسب الكامل للملك المتزوج، وخلال ذلك أشارت الوثيقة إلى أسماء أمراء من بنى ربيعة الكنوز لا نجد لهم ذكراً في المصادر التاريخية والأدبية المتوافرة، متحف الفن الإسلامي، (٤٢٢٢) بالقاهرة.

(٢) سورة الفرقان، الآيات: ٧٤، ٧٥، ٧٦.

(٣) سورة النور، آية ٣٢.

٨- وحده لا شريك له شهادة تدرا العذاب، وتستنزل رحمة العزيز الوهاب وأشهد ان محمدا عبده ورسوله الذي اصطفاه من خلقه وآتاه الحكمة وفصل الخطاب.

٩- صلي الله عليه وعلي آله وأصحابه صلاة دائمة إلي يوم المآب. قائمة بالعلم والعمل حاكمة بالأمان عند الفزع والوجل. وبعد ، فان النكاح مما دعا الله اليه كافة الأنام.

١٠- وأباحه ليستغني بالحلال عن الحرام. فقال جل ثناؤه في حق من خشي العيلة من كثرة أهله: «وان خفتم عليه فسوف يغنيكم الله من فضله»^(١). وقد ورد عن سيد بني.

١١- تهامة : تناكحوا كثثروا فاني أكاثر بكم الأمم يوم القيامة . وسيرفع الحجاب عما سبق في هذا الكتاب ويجعل الله فيه خيرا كثيرا. ولله ما في السموات وما في الأرض.

١٢- وكان الله سيمعا بصيرا^(٢). وكان من قضائه السابق، وقدره الموافق، الذي قدره في القدم وجري به القلم ما سأورده عليكم في كتاب أوله:

١- بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله وسلام علي عباده الذين اصطفى.

٢- هذا كتاب صداق، وعقد توفيق واتفاق، وبركة تنحو علي أصحابها وسعادة تسمو إلي خطابها، ونعمة قد من الله سبحانه وتعالى بها ، أكتتبه الجنا ب العالي المولى الأميرى.

٣- الكبيرى السيفى سيد الدين كنز الدولة أبو عبد الله محمد، الممتلك بدنقلة، أدام الله سعادته ونعمته، بن الأمير الأجل الكبير المحترم شجاع الدين، ابن الأمير الأجل الكبير المجاهد المئاغر، العضد المقدم ركن.

٤- الإسلام مؤيد الجيوش منجد العساكر، سداد الثغور مدبر الأمور فخر الدين تاج العشيرة والقبيلة ابي المنصور مالك.

(١) سورة التوبة ، آية ٢٨ .

(٢) نص الآية : - ولله ما فى السموات وما فى الأرض وكفى بالله وكيلا . من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة وكان الله سميعا بصيرا (النساء ١٣٤) .

أمير به دست الإمارة قد زها فتاهيك من مجد وناهيك، من فخر
له سير في عدله عمرية بها سارت الركبات في البر والبحر
لا جرم ان هذه البيت الكريم دست هو صدره . وصدر هو سره وارض هو سماؤها ،
وعين هو أنسابها . وكف هو بنانها .

٦- بن الأمير الأجل الكبير المجاهد المختار العضد عز العرب شرف الأمراء صارم
الدولة وكنزها ابي عبد الله محمد بن الأمير الأجل الكبير المجاهد المختار المحترم
كمال الأمراء طراز .

٧- الكبراء سيف الدولة وعمدتها ابي الفتح نصر، بن الأمير الأجل الكبير الأجل
المجاهد المختار، المخلص المنصور تاج الأمراء عز الملك فخر العرب كنز الدولة
وعمدتها ابي القاسم .

٨- أمير المؤمنين إبراهيم، بن الأمير الأجل كنز الدولة محمد من روت الركبان من
أمره في الأيام المنتصرية ما كان وعلا شأنه في ذلك الزمان، بن الأمير الأجل
كنز الدولة هبة الله بن محمد بن علي بن .

٩- محمد بن يوسف المعروف بابي يزيد بن اسحق بن معدي كرب بن الحارث بن
مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن يريوع بن ثعلبة بن الدول بن حنيفة بن لخم بن
صعب بن علي .

١٠- بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصي بن دغمي بن جديله بن أسد بن
ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان- لمخطوبته الأمير الجليلة الرئيسة المصونة
ابنه .

١١- عمه الست بشرية المرأة الكاملة ابنة الأمير الأجل الكبير المحترم سيف الدين
ماجد بن الأمير الأجل الكبير المنعوت أعاليه مالك بن الكنز . وبه تزوجها
اصداها علي بركة الله تعالى وعونه وحسن .

١٢- توقيقه وعنه صداقا شرعيا مبلغه من الذهب العين المصري المثاقيل المسكوكة
مائتا دينار وخمسون دينارا حالا ومؤجلا . الحال من ذلك مائة دينار أقرت

الزوجة المذكورة بقبضها من يد.

١٣- وكيلة القابل له عقد هذا النكاح مما أحضره من مال . موكله، وبقية ذلك وهو مائة وخمسون دينارا يقوم بها الزوج للزوجة مقسطة في سلخ كل سنة تمضي من تاريخ العقد بينهما، وهو الثالث من شهر ذي القعدة الحرام من شهور سنة ثلاث .

١٤- وثلاثين وسبعمائة، خمسة دنانير. وعليه ان يتقي الله عز وجل فيها ويحسن عشرتها ويعاملها بالمعروف والخلق الرضي المألوف كما أمر الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم وسنة نبيه محمد.

١٥- عليه افضل الصلاة والتسليم. وله عليها مثل الذي لها عليه ودرجته زائدة عليها لقوله تعالى في محكم كتابه الكريم: «وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم^(١)»، وولي تزوجها.

١٦- والقائم بعقد نكاحها بأذنها وإدراكها حسام الدين عز الدولة في ذلك الأمير الأجل المحترم عز الدين هبه الله أخيها لأبيها . ولما وضح ذلك لحضرة سيدنا ومولانا اقض القضاة حاكم الحكام جلال الأحكام.

١٧- شرف العلماء الأعلام حسنة الليالي والأيام بقية السلف الكرام ناصر الحق مؤيد الشريعة شرف الدين علم المدرسين حجة المناظرين أبي مدين شعيب، بن سيدنا.

١٨- ومولانا العبد الفقير إلي عفوريه القاضي الأجل الفقيه الإمام العالم العامل جمال الحكام جلال الأحكام جمال الدين صدر المدرسين حاكم المسلمين ابي التقي يوسف القرشي.

١٩- الشافعي الحاكم يومئذ بمدينة أسنا وأدفو وثغر أسوان ومنبان (؟) (٢) وما مع ذلك من الوجه القبلي من الأعمال القوصية عن الناظر في الحكم العزيز بالديار المصرية.

٢٠- أدام الله إقبالهما وختم بالصالحات أعمالهما ان الزوجة المذكورة ثيب حرة مسلمة صحيحة العقل والبدن خالية من الموانع الشرعية وان الزوج من أكفائها، فحينئذ.

(١) سورة البقرة آية ٢٢٨ .

(٢) هكذا وردت فى النص ولم أجد لها تعريفا أو تحديدا على الخرائط ولعلها قبان . إحدى مرافق ارض المعدن الهامة .

٢١- أمر يكتبه فكتب فزوجها وليها المذكور من الزوج بالصدّاق المذكور حالة ومؤجلة، قبل ذلك للزوج المذكور المولى الأجل الكبير المحترم علم الدين علي بن المولى الأجل المحترم سراج.

٢٢- الدين عمر المولى الأجل جمال الدين محمد بن أخت الموكل الملك كنز الدولة الزوج المنعوت أعالية حسب توكيله إياه في ذلك، قبله له قبولاً صحيحاً شرعياً فوراً. وبجميعه يشهد علي الزوج.

٢٣- الموكل الوكيل القابل والولي والزوجة من ذكر ذلك في رسم شهادة آخره خار الله لكل من الزوجين في صاحبه وبلغه أقصي مأربه، وبه شهد علي من سمي فيه بما نسب.

٢٤- إليهم فيه في التاريخ المذكور أعاليه وهو الثالث من شهر ذي القعدة الحرام من شهور سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة. احسن الله تقضيها في خير وعافية بمنه وكرمه أمين

حضرت مجلس العقد المذكور	حضرت مجلس العقد المذكور
وشهدت علي الولي المزوج	وشهدت علي الولي المزوج
المذكور وعلي الوكيل القابل	المذكور وعلي الوكيل القابل
بما نسب إليهما فيه سعد	بما نسب إليهما فيه بالاسم
بن عبد الله بن الجابي؟؟ (١)	محمد بن سليمان عفا الله عنه
حضرت العقد المذكور وشهدت	حضرت العقد المذكور وشهدت
علي من سمي فيه بما نسب إليهم	علي من سمي فيه بما نسب إليهم
فيه علي بن ابي بكر بن علي	فيه حسام الدين عفا الله عنه
عفا الله عنه أمين	محمد بن علي بن جعفر

(١) الاسم غير واضح في الوثيقة الأصلية.

الحمد لله الذي
جعلنا من عباده
الذين يحبون
الدين والدار
الآخرة

ملحق رقم (٢)
نماذج من نصوص عقود
الزواج بشغل أسوان

نماذج من نصوص عقود الزواج بثغر أسوان

وقد عثرت بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة علي قطعتين من القماش المكتوب عليه عقود زواج لأمرء وأميرات من بني الكنز من ثغر أسوان المحروس وهي مسجلة برقم (٤٢٢٤)، (٤٢٢٣) ويرجع تاريخها إلي القرنين السابع والثامن الهجري وقطع القماش مصنوعة من القطن غير المبيض المنسوخ بطريقة النسيج العادي (Plain Weaving) ثم غمس النسيج القطني في مادة نشوية بيضاء، لتكسبه اللون الأبيض الناصع، (ing) ولكي تسد مسامات النسيج، مما يجعل الكتابة عليه سهلة واضحة. وقد كتب علي كل قطعة منها عقد زواج وما طرأ عليه من أحداث. والكتابة بالمداد الأسود بخط الرقاع. وتعتبر هذه العقود أقدم عقود من نوعها عثر عليهما حتي الآن.

عقد زواج رقم (٤٢٢٤) :

ويتكون نص القطعة رقم (٤٢٢٤) لوحة (٢)، من اثنتين وثلاثين سطرا، ثلاثة عشر سطرا منها الخطبة، والباقي هو صلب العقد. وفيما يلي النص :

(١) بسم الله الرحمن الرحيم وصلي الله علي سيدنا ونبينا محمد النبي الأمي وعلي آلہ وأصحابه وسلم تسليما كثيرا (٢) الحمد لله الذي شرف الأنساب وفضلها وعظم الاحساب وأكملها ، وأوضح الأحكام وبينها، الذي هدانا بملة الإسلام التي هي أفضل الملل (٣) وجعل ميزان عدل معتدل، وجاوز من الأشياء وجل، ونفرد بوحدايته عز وجل، هادي الباب ومرشد الفطر الي الصواب (٤) وحافظ الذراري والأعقاب، الذي خلق أبا البشر من تراب وأجري النطف من الأصلاب، الحاكم بعدله والهادي إلي الخير وسبله (٥) ومعمّر البسيطة بآدم ونسله، الذي جعل النكاح عصمة من الشيطان وحيلة، فهو ما أمرت الشريعة باعتماد فعله (٦) وأباحه الله علي السنة رسله ، فقال عز من قائل في محكم تنزيله وأنكحوا الأياما (الأيامي) منكم والصالحين من عبادكم وامائكم، ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله (٧) أحمده علي ما يسره وأظهره، واشكره علي ما قضى به من التواصل وقدره، وسهله من التصاهر ويسره واشهد ان اله إلا الله وحده لا شريك له (٨) شهادة تدرأ العذاب، وتستنزل رحمة العزيز الوهاب،

واشهد ان محمدا عبده ورسوله الذي اصطفاه من خلقه وأتاه الحكمة وفصل الخطاب (٩) صلي الله عليه وعلي آله صلاة دائمة إلي يوم المآب ، قائمة بالعلم والعمل ، وحاكمة بنالأمان عند الفزع والوجل ، وبعد فان النكاح مما دعا الله ونبيه إليه (١٠) كافة الأنام وأباحه ليستغني بالحلال عن الحرام ، فقال جل ثناؤه في حق من خشي العيلة من كثرة أهله وأن خفتهم عليه فسوف يغنيكم الله من فضله (١١) وقد ورد عن سيد ولد بني نهامة ، تناكحوا تكثروا فأني مكاثربكم الأمم يوم القيامة ، وسيرفع الحجاب عما سبق في هذا الكتاب (١٢) فنسأل الله العظيم ان يجعل التوفيق فيما حضرنا لأجله ويحوطه بالسعادة من بعده ، وقبله ، وان يعضد هذا العقد بالدوام ويحسن له (١٣) الفاتحة والختام ، وكان مما سورع إليه ووقع التعويل عليه وهو مما يقرأ عليكم في كتاب أوله .

(١) بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وسلام علي عباده الذين اصطفي (٢) هذا كتاب صداق وعقد توفيق واتفاق ، وبركة تنمو علي أصحابها وسعادة تسمو إلي خطابها ونعمة قد من الله سبحانه اكتبته المقر الأمير (٣) الأجل المحترم علم الدين علي بن سراج الدين عمر بن جمال ابن حامد بن مرجان بن عمار بن حامد بن عمار الجاهلي لمخطوبته الأمير الجليلة المصونة والدرة المكنونة البكر البالغ المدعوة (٤) ام الخير ابنه الأمير الأجل المرحوم ركن الدين بن الحسين ابن الأمير الأجل الكبير المحترم المرحوم شجاع الدين الجنب العالي المولوي الاميري الاجلي المسحني المختار عضد الدولة ناصر الجيوش (٥) فخر الدين ملك بن الأمير الأجل المجاهد صارم الدولة وكنزها ابي عبد الله محمد بن الأمير الأجل المجاهد سيف الدولة وعمدتها ، ابي الفتح نصر بن الأمير الأجل عضد الخلافة (٦) ابن ثعلبة زين الدولة بن حنيفة بن أقصى ابن دعمي بن جلدية بن ربيع ابن نزار بن معد بن عدنان ، يقر أنه تزوجها اصدقها علي بركة الله تعالى وعونه (٧) وحسر توفيقه من الذهب العين ، المصري المثاقيل المسكوك الجيد خمسمائة دينار ، الحال من ذلك مائة دينار واحدة وباقي ذلك وهو من غير تكرار (٨) أربعمائة دينار بالصفة المذكورة ، يقوم بها الزوج المذكور للزوجة المذكورة مقسطة لها عليه إلي تقضي عشر حجج من تاريخه وهو الي عشرين رمضان (٩) سنة أربع وثلاثين وسبعمائة وذلك بإيجاب شهاب الدين احمد بن ماهر بن سيدهم

النقيب بباب الشرع الشريف بثغر أسوان المحروس وكيل أخيها شقيقها جمال بن محمد (١٠) وذلك بشهادة من يذكر ذلك برسم شهادة أخره، وعلي الزوج المذكور ان يتقي الله عز وجل فيها ويحسن صحبتها ويعاشرها بالمعروف وبخلق الرضي المؤلف (١١) كما أمر الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم وسنة نبيه محمد عليه افضل الصلاة والتسليم، وله عليها مثل الذي عليه ودرجته زائدة عليها لقوله (١٢) تعالى في محكم كتابه الكريم وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم . ولما وضع لسيدنا الفقيه الأجل الأمام العالم الصدر (ر) الكامل المدرس الفاضل القاضي (١٣) العدل الرضي نجم الدين ابي عبد الله محمد بن الشيخ الصالح العالم الورع الزاهد العدل الرضي ضياء الدين ابو العباس احمد القرشي نسبا الاسنائي بلدا، المستخلف (١٤) في الحكم العزيز بمدينة أسوان عن حضرة سيدنا ومولانا اقضي القضاة حاكم الحكام بقية السلف الكرام، شرف الدين ابي شعيب ابن سيدنا العبد (١٥) الفقير الي الله تعالى القاضي الأجل الفقيه الأمام العالم العلامة، جمال الحكام، جلال الأحكام جمال الدين حاكم المسلمين ابن النقي يوسف القرشي الشافعي (١٦) الحاكم يومئذ لمدينتي أسنا وادفوا وثغر أسوان المحروس وما مع ذلك من الوجه القبلي من الأعمال القوصية، عن الناظر والحكم العزيز بالديار المصرية (١٧) الشافعي أدام الله إقبالهم وختم بالصالحات أعمالهم، ان الزوجة المذكورة حرة، مسلمة صحيحة العقل والعقل والبدن خالية من الموانع الشرعية، فحينئذ أمر بكتبه فكتب فزوجها (١٨) من الزوج المذكور بالصدوق المسطر عالياه، حالة ومؤجلة قبل الزوج ذلك لنفسه قبولا صحيحا شرعيا فوريا وخار الله لكل منهما في صاحبه وبلغه أقصى مأربه (١٩) وبجمعية شهد علي من سمي فيه بما نسب إليهم فيه في التاريخ المقيد أعلاه وهو الثاني والعشرين من شهر رمضان المعظم سنة أربع وثلاثين وسبعمائة .

الشاهد الأول : (من اليسار) :

(١) حضرت عقد النكاح وشهدت علي (٢) المذكورين فيه (فيما) نسب إليهم واشهد علي (٣) الزوجة بقبض الحال، وكتب (٤) عمر بن محمد بن عمر بن عبد العزيز.

الشاهد الثانى :

(١) شهد علاء الدين علي ان الزوج المذكور (٢) بموجب الصداق المذكور وعلي الزوجة بقبض (٣) الحال المذكور (أ) علاء كتبه علي بن نعمة الله .

الشاهد الثالث :

(١) شهدت علي الأمير علم الدين الزوج المذكور (٢) بموجب الصداق المذكور اعلاه (٣) وعلي الزوجة بقبض الحال المذكور (٤) كتبه محمد بن الحسين محمد بن عبد العزيز .

الشاهد الرابع :

حضرت العقد (٢) المذكور وشهدت علي من سمي (٣) بما نسب اليهم فيه وكتب (٤) محمد ابن عبد العزيز بن محمد .

عقد زواج رقم (٤٢٢٣) :

ومن الصدف النادرة ان تحتوي الوثيقة رقم (٤٢٢٣) لوحة (٣) علي عقد زواج ثان للسيدة (ام الخير) التي ورد عقد زواجها الأول في لوحة (٢) . وعلي عقد بيع لها من زوجها بعد مضي نحو خمس عشرة سنة من زواجها .

ويتكون عقد الزواج من ثمانية وخمسين سطرا، منها ستة وعشرون سطرا في الخطبة والباقي يكون صلب العقد . وفيما يلي النص :

(١) بسم الله الرحمن الرحيم صلي الله علي سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم (٢) الحمد لله الذي تغمدنا بطاعته وشرفنا بعبادته وأنالنا من إحسانه وغفرانه (٣) ورحمته، الذي جعل النكاح من شريعته وحث عليه في كتابه وسنته (٤) وجمع بين شمل المتباعدين بلطفه وحكمته، وألف بين الزوجين فسكن إليهما (٥) وصرف كل منهما الي الآخر غاية مودته ومحبتة . احمد علي ما أولي (٦) من نعمته واكشره علي آلائه ومنته . واشهد ان لا اله الا الله وحده (٧) لا شريك له شهادة معترف بربوبيته، مقر بوحدانيته واشهد (٨) ان محمدا عبده ورسوله المبعوث الي كافة الأمم برسالته والمخصوص في (٩) المؤمنين لشفاعته، صلي الله عليه وعلي آله وصحابته . ما

أعقب ليلاً صباح (١٠) بكرته . فهذا عقد شمله التوفيق بكليته واكتنفه اليمن بجملته (١١) الزوج منه من ذوي الأقدار المشهورة ومن أرباب البيوت المذكورة قد نشأ (١٢) علي قدم الخير والفلاح وتعاطي أسباب التقوي والصلاح، والزوجة (١٣) بالدين والعفاف موصوفة وأبويها بالأوصاف الجميلة معروفة . فالله ميمون (١٤) عقديهما بالتوفيق ويجريه علي أبهج طريق . وكان مما أراده الله عز وجل (١٥) في القدم وجري في اللوح المحفوظ بالقلم نكاح الأمير الكبير المجاهد عز الدين (١٦) الذي هو عالماً بأن النكاح مندوباً (ب) إليه . ومحدثاً من الشارع عليه (١٧) وأنه محصل الأسباب للتحسين والعصمة وجامع لاسباب المودة (١٨) والرحمة وسبب التعاصر والتناصر، ومقصود به التناسل (١٩) والتكاثر رأي المصلحة في تحصيل هذا المندوب ويجوز لنفسه هذا (٢٠) المطلوب . وعزم علي تزوج من نذب الشرع الي تزوجها والاتصال (٢١) بها ودوام مصاحبتها، وهي عقلية ذات الدين والعقل والجمال ووصف بجمال (٢٢) الأحوال ونشأت في السعادة الكاملة وربيت في حجر النعمة الشاملة (٢٣) والدها من اكبر الأمراء قدرا واسخاهم وأكملهم وصفاً، وهو الأمير الكبير ركن (٢٤)، الدين الحسين صاحب الصدقات والمعروف بين هم (بينهم) بمكارم الأخلاق التي هي (٢٥) موصوف خلقتة دون هذا العقد بالسعادة والتوفيق ويجريه علي آخر الطريق (٢٦) وكان مما سورع إليه ووقع التعويل عليه وهو مما يقرأ عليكم في كتاب أوله .

(١) بسم الله لرحمن الرحيم الحمد لله وسلامه علي عباده الذين اصطفى (٢) خصوصاً ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، وحسبنا لله ونعم الوكيل (٣) هذا كتاب عقد وسيمة ود، وتحديد عهد، وعزم مبارك وساعة سعد (٤) واتفاق في الأمور وائتلاف في الصدور، اكتبته الأمير الأجل الكبير الأخص الأعز (٥) المجتبي المختار الموفق السعيد عز الدين افرون بن الأمير الأجل الكبير المجاهد المرباط (٦) المؤمن السعيد تاج الدين متوج بن الأمير الأجل الأكمل المجني المختار شرف الدين محمود (٧) بن الأمير الأجل الكبير المجتبي المختار المجاهد المرباط (المتاعز) الأخص الأمير الأكمل المؤيد (٨) كنز العشائر فخر الدين ابن المنصور مالك ابن الأمير الكبير المجاهد المرباط المجتبي المختار (٩) تاج الأمراء فخر العرب صارم الدولة وعسكرها

ابن عبد الله محمد بن الأمير الكبير الهمام كنز الدولة (١٠) وبحرها سيف الدولة ابي
 فخر نصر بن الأمير المخلص المنصور المؤيد عضد الخلافة عز الملك تاج (١١) الدولة
 فخر العرب كنز الدولة وعهدتها ابي إسحاق إبراهيم بن صارم الدولة الحسين علي بن
 (١٢) الأمير حسام الدولة ابي العز متوج بن الأمير كنز الدولة ابو المنصور محمد بن
 الأمير كنز الدولة ابي المكارم (١٣) هبة الله بن محمد بن علي بن يوسف بن إسحاق
 بن إبراهيم بن مشروق بن تميم بن معدي كرب (١٤) بن الحارث بن مسلمة بن عبد
 رب (ره) ثعلبة بن الدؤل بن حنيف بن صعب بن علي بن بكر بن وائل (١٥) بن
 باسط ابن هند بن أقصي بن حتما بن حمديلة بن اسد بن ربيعة بن معد بن
 عدنان (١٦) بخطوبته الأميرة الجليلة المصونة والدة المكنونة المرأة المالكة أمر نفسها
 المدعوة ام الخير ابنه الأمير الأجل المرحوم ركن الدين الحسين بن الأمير الأجل
 الكبير المحترم شجاع الدين (١٧) بن الجناب المولي الأمير الاحلي المحسني المختار
 عضد الدولة ناصر الجيوش نجم الدين (١٨) مالك النسب المذكور، وقد تزوجها
 اصداقها علي بركه الله سبحانه وتعالى وعونه وحسن (١٩) توفيقه، ويمنه وسنة نبیه
 محمد صلي الله عليه وسلم، صداقا جملته من الذهب العين المثاقيل (٢٠) الوزان
 المصري مائتا دينار حالا ومؤجلا، فالحال من ذلك خمسون (٢١) دينارا أقرت الزوجة
 المذكورة بقبضتها من الزوج المذكور وبقية ذلك مقسطا لها عليه (٢٢) في سلخ كل
 سنة تمضي من تاريخ العقد بينهما وهو الخامس من شهر جمادي (٢٣) الآخر من
 شهور سنة أثني وأربعين وسبعمائة، عشرة دنانير والله ولي المتقين (٢٤) وولي
 تزوجها والقائم بعقد نكاحها عليه سيدنا العبد الفقير إلي الله تعالى (٢٥) الفقيه الأمام
 العالم الكامل صدر المدرسين مفيد الطالبين القاضي العدل الرضي (٢٦) نجم الدين
 عبد الله محمد بن سيدنا العبد الفقير إلي الله تعالى الشيخ الصالح الورع الزاهد (٢٧)
 العدل الرضي ضياء الدين احمد نجم الدين عبد القوي القرشي الحاكم يومئذ ثغر أسوان
 عن (٢٨) الناظر في الحكم للثغور فالأعمال القوصية أدام الله سعادته ، بأذنها في
 ذلك بشهادته (٢٩) سيضع خطة فيه وذلك كي (ب) وضح خلو الزوجة المذكورة من
 موانع النكاح الشرعية اجمع، ذكر كالزوج (٣٠) المذكور يومئذ حرة مسلمة صحيحة
 العقل والبدن فحينئذ امر بكتب هذا الصداق وكتب فتزوجت (٣١) وكتبه احمد بن
 مبارك بن عبد الله، من خاطبها المذكور ، علي الصداق المذكور قبل الوكيل المذكور

هذا النكاح لموكله قبولا شرعيا (٣٢) بثغر أسوان المحروس بتاريخ الخامس من شهر جمادي الآخرة من شهور سنة (اثنين) أربعين وسبعمائة .

الشاهد الاول : (من اليسار) :

(١) حضرت العقد (٢) المذكور وشهدت علي (٣) سيدنا ومولانا أقضى القضاة صدر المدرسين (٤) مفيد الطالبين ابي عبد (٥) الله محمد الحاكم المنصور الجليل (٦) الزوج والوكيل العامل (٧) بذلك، والزوج بما فيه كله (٨) في تاريخه المذكور أعلاه (٩) ابي صالح بن احمد محمد بن علي .

الشاهد الثاني :

(١) حضرت (٢) العقد المذكور وشهدت (٣) علي سيدنا ومولانا (٤) أقضى للقضاة صدر (٥) المدرسين مفيد الطالبين (٦) ابي عبد اله محمد الحاكم (٧) المنعوت (بالـ) صدق المزوج (٨) والوكيل العامل بما (٩) فيه شهد بما فيه في تاريخه (١٠) محمد بن عمر بن علي القرشي .

الشاهد الثالث :

(١) حضرت (٢) العقد المذكور وشهدت (٣) علي سيدنا ومولانا أقضى (٤) القضاة حاكم المسلمين زين (٥) المدرسين علم العلما المصريين (٦) نجم الدين الحاكم المزوج المذكور (٧) والوكيل العامل بما فيه (٨) الها فيه في تاريخه (٩) كتب إسحاق بن علي القرشي (١٠) عز فيه عظيم .

الشاهد الرابع :

(١) حضرت (٢) العقد المذكور وشهدت (٣) علي سيدنا القاضي الناصر (٤) نجم الدين الحاكم زين (٥) بالثغر المحروس والمزوج (٦) والوكيل العامل بما فيه (٧) وكتب احمد بن عبد الرحمن .

ملحق رقم (٣)
نماذج من عقود النفقة خاصة بإقليم
دارفور نشرت عام ١٩٧٤م

نماذج من عقود النفقة خاصة بإقليم دارفور نشرت عام ١٩٧٤م

بواسطة :

R.S.O 'Fahey & Sharif Harir.

The three documents published here were photographed by O'Fathey in Dar Fur in 1974. They are among the few precolonial judicial records found in the province that deal with matters other than land.¹ Document A comes from an archive of twenty-three documents photographed at Kamala Keirei (Fur, "The camels can go no further") near Khiriban, some twenty miles north of al-Fashir, being the family records of a Tunjur holy family settled there since the mid-seventeenth century.² The document is undated although the seal-date may possibly be read as (12) 57/ 1841-2, but since the whole archive falls within the period approximately 1780 to 1900, it is reasonable to assume that A is from the nineteenth century.

Documents B and C are also undated, but similarly come from an archive dated between approximately 1720 to 1900. This latter archive -the largest family archive found in Dar Fur- consists of fifty-eight items, being the records of a family of the Awlad Jabir, a Zayyadiyya holy clan living around Mellit (Millit), about forty miles north-east of al-Fashir.³

Document A : text 4

القاضي

(الختم)

حبيب

....(٥٧)

من عند القاضي الفقيه حبيب

الي الطيب أمام بعد فزوجتك مريم

قدمت إلينا مظلومة أنك تر

كتبها عديمة النفقة والخدمة

والكوة وغلبت الاجواد

وتسرق بينها وعدم

الإقامة معها في بيتها

بأربعة سنين تظلمت لاجل

ذلك اقدم زيل ضررها وان لك
دعوة بخلاف قولها الشرع يدريكم
قادم مع الفلقناوي شلب
تصل الابن الفقيه محمد منيقير واحمد
ابيه كذلك يقدم

Document A: translation

(seal) The qadi Habib....5

From the qadi the faqih Habib to al-Tayyib.

Thereafter: Your wife, Maryam, has been before us complaining that you have left without any maintenance, 6 support, 7 or clothes. You have defied the elders and have pilfered from her home. And you have not been with her 8 in her home for four years. She has been wronged because of this.

Come and put an end to her distress. And if your case 9 is different from her statement, the Law will decide between you. Accompany the falqanawi shalab.¹⁰ Go to the son, the faqih Muhammad Munayqir, and his father, Ahmad,

Let him be present:

Document A: text 11

فقد ثبت وتقرر بالحكم الشرعية الكاينة
بيد متوليها بما فيه الفقه حريسوا فيما
شجر بين الزوجين/ برضاها وصحة ابدانها
في غير موانع الشرعية/ ١٢ منهم قيد وزوجته
حليمة فاولا ادعا حليمة لان هذا الرجل
مضربي غاية الضرر من النفقة
والكسوة والمسح والنعلين وشدة الضرر
عدم الاقامة انا وهو بيت بالبیت حتي تم

فقد ثبت وتقرر بالحكم الشرعية الكاينا
 بيد متوليها بما فيه القدر حريسا فيما
 تضمنه الزوجين منهم قيد وزوجه
 حليمة قاولا ادعا حليمة لان هذا الرجل
 زوجي ومعه زوجي غايبة العذر من النفقة
 والكسوة والمسح والتعطين وسند العذر
 عدم الاقامة انا ووقعت بالبيت حتى
 اربعة عشر ما جاء عندي لويوما واحد
 وسألنا الزوج قيد واقرا بالامر كله ما نكحنا
 وحدثنا له فقوم نزيل العذر وقال ما عندي
 شيء يوقلنا له كيف تفعل قال طلقنا وقلنا له
 البت مدعي العذر وانت مقبر هذا لا نزيل العذر
 وتطلقها بالبدن حتى الاجواء قالوا اجمعوا وما
 اعزل وسار البت طول ما حصل لها شيئا ينقع
 ورجع عننا وجمعنا لها طلاق العذر وقطعنا نزاع
 قيد كعزة الجماعة ومنها شهدنا عننا منهم
 الفقه حمد والفقه ارباب والحاج بيت والحاج
 شر رجوب وحمد اخو والشهادة في شير
 بذكرهم والله خير الشاهدين

The photograph of document A is too poor
to be copied.

اربعة عشر ما جاء عندي لو يوما واحد
وسالنا الزوج قيد واقرا بالامر كله ما نكر
واحد وقتلنا له قوم زيل الضرر وقال ما عندي
شئ وقتلنا له كيف تفعل قال طلقته وقتلنا له
البنت مدعي الضرر وانت مقريهن لا تزيل الضرر
وتطلقها بالبدن حتي الاجود قالوا له ارجعها وما
امتثل وسار البنت طول وما جعل لها شيا ينفع
ورجع عندنا وحكمنا لها طلاق الضرر وقطعنا نزاع
قيد بحضرة الجماعة وممن شهدنا حكمنا منهم
الفقه حمد والفقه أرياب والحاج بين والحاج
شور وجوير وحمد اخر ولشهادة كثير
بذكرهم والله خير الشاهدين

Document B: translation

Thus it has been confirmed and recorded as an actual lawful judgment before the one so-authorized in the matte, the faqih (sic.) Huraysu; 13 concerning the dispute which arose between the married couple, / both being willing (to accept the judgment) and being free from the legal impediments, / 14 namely Qid 15 and his wife, Halima.

Plea-by the plaintiff 16

First, Halima made her plea, "This man is my husband. He has treated me very badly 17 (in regard to) maintenance, clothes, ointment 18 and footwear, but the greatest ill-treatment is his absence. 19 He and I were living next to each other until fourteen 20 had passed, but he did not come to my place for even a day. 21

Investigation by the judge

We questioned the husband Qid and he admitted the whole matter; he did not deny one (thing). We said to him, "Will the ill-treatment (by you) stop?" He said, "I don't have anything." We said to him, "What will you do?" He said, "I have divorced her." But we said to him, "The girl 22 is (the one) bringing the case for ill-treatment, and you are (the one) admitting 23 that you have not stopped ill-treating her and that you are divorcing her by the body." 24

Investigation by the elders

Then 25 the elders -they said him, "Take her back." But he did not follow (their advice). The girl was left (alone) for a long time, 26 and he did not give her anything to support her.

The judge's ruling

She returned to us and we awarded judgment to her (awarding) a divorce for ill-treatment. 27 we dismissed the complaint of Qida 28 in the presence of the community; and among our witnesses to our judgment were faqih (sic.) Hamad, faqih (sic.) Arbab, al-hajj Bayyin, 29 al-hajj shawr, Juwayr, another Hamad, and the witnesses were (too) numerous to record them (all). And God is the Best of witnesses.

Document C : text 30

الختم

من عند القاضي ادم حرير نايب
 ابيه شيخ الإسلام القاضي محمد إسحاق الي
 حضرت أخينا وصاحب خيرنا الشريف عبد
 المنان مني إليك السلام اما بعد نعلمك من قبل
 زهر بنت أختك الشرفية امحرير حضروا
 عندنا وامرت اوليائها ان يزوجها لرجل اسمه
 ابي الحسن بن الفقيه بخيت هي البنت زهر اختارته
 ان يسترها واوليائها اعتضلوا عليها وهي يتيمة
 خافت فساد نفسها وارفعت امرها عندي اني
 انا ابي اليتمي وزوجها لهذا الرجل ابي الحسن
 وبينوا صداقها عندكم هناك فرخ سداسي اسمه
 سيد بينت هذا من قبل الصداق انت تمسكه اليها
 بسته بقر وبقر واحد
 وصلت عند الحاكم كله

Document C



حسنه وقره وقره
 وحصلت عند الحاكم
 من قبل المصطفى و
 كسبه بقر على وجه
 ربي الحسن هذا من
 الخط الذي كسبه بقر
 كسبه لا شك أم
 من قبله حسن
 السرايد إلى أن مات بالقر
 عليه زينة الحسن و

حسنه عند القاضي آدم حديدنا بين
 ابيه شيخ الاسلام القاضي محمد اسحاق الي
 حضرت اخنا وهاحب خيرا الشريفي عبد
 المنان فنع اليك السلام اما بعد فاعلمك من قبل
 زهر شتاك ختك الشريفة احمدر حضرت
 عندنا وافرنا اولادها ان يزوجهما الرجل اسمه
 ربي الحسن بن الفقيه بخيت هي البنت زهر شتاك
 ابنتها واولادها احمدر وهاحب وهاحب
 حافون فها دندسها وافرنا امرها عند
 انا اسم البنت وزوجها هذا الرجل الحسن
 حسن هذا هو خطها منكم فزوجها اسم
 حسن هذا هو خطها منكم فزوجها اسم

من قبل الصداق وبقي
 خمسة بقر علي ذمة
 ابي الحسن هذا من قبل
 الصداق وخمسة بقر
 تمسكم لا ختاك امحرير
 من قبل الحضانة وجملة
 العوايد الجاريات بالعرف
 علي ابي الحسن والسلام

Document C: translation

(Seal)....

From the qadi Adam Harir, the deputy of his father, the shaykn al-Islam, the qadi Muhammad Ishaq, 31 to our brother and master of our good fortune, the Sharif Abd al-Mannan; 32 greetings from me to you.

Thereafter: I (wish to) inform you concerning Zahr (a), the daughter of your sister, the sharifa 33 Amharir. 34 They were before us and I instructed her (i.e. zahra`s) guardians to marry her off to a man called Abu I-Hasan b. al-faqih bakhit. It is the girl (al-bint) zahr (a) who has chosen him to preserve her honour. The elders (wanted) to prevent her (from marrying him), but she is an orphan (yatmiyya) and was afraid that she might come to some harm, so she brought her case to me, since I am the father of the orphans. 35 I married her to this man, Abu al-Hasan .

(The guardians) have explained about her dowry. 36 you have there a six-span slave, 37 called sayyid Bayn, - that is part of the dowry. You are to receive on her behalf six cows, and one has already reached the chief 38 - all (six cows).being the dowry, And the five cows that remain are a debt upon Abu`I-Hasan and this part of the dowry. And five Cows are to be paid to your sister, Amharir, in regard to the hadana, 39 while all the current customary (payments associated) with the "custom" 40 (are the responsibility) of Abu`I-Hasan. Farewell.

ملحق رقم (٤)
نموذجين من دار الوثائق القومية
بالخرطوم

صلى الله عليه وسلم
لا يفتح بعده

تذكر مبارك الصداق ام كلثوم بنت ابي عبد القادر من زوجها الامين بن
خليفة بن ابوعبيل اما بعد او الزوج المذكور في صحبته وتام عقله وعدم
محبته به وسلامته حواسه من جميع الموانع الشرعية وطوعا عنده من غير
اكرام ولا هجر ولا جبر عليه وكونه خالي عن زوجة غيرها مما اوليا به حين العقد
عقد عليها بمسبحة اية الشرف الحاضرة منه حين العقد خمس في صداق والدته
مدينة بنت عيسى مما يكون لها صداق شرفا وغنا وجرا ابراهيم جمة الاراضي
اصل ورهن ويبيع ويجمع ما عليها من النيات في خلافة وايضا اصدقاها خمس
في عمارة النخل الذي صعبه نخل محمد بن ابراهيم بن محمود وساق له الفقه بنسب ولد
مصنوي وايضا اصدقاها عود نخله خلاص في حقة الحج ومجملها في النخل المقدم ذكره
وايضا اصدقاها نصف في عود في نخل في نخل عيسى بن ابراهيم بن عيسى بن ابراهيم بن عيسى
وايضا اصدقاها ثلاثة اخماس في عمارة النخل الذي غارسه في ارض الشفايق والارض
العاصيات وبيان في خمسة بعضها منه على جمة الشرق وبعضها منه على جمة الغرب
وايضا اصدقاها عمارة النخل كاملة الذي هو موقوف في وسط محلات النخل المقدم
ذكره في ارض العاصيات وايضا اصدقاها ثلاثة اخماس في عمارة النخل الذي
نابت صعيد نخل عبد الصادق ولد صفة على جمة السمايات وايضا اصدقاها
ثلاثة اخماس في نصف عمارة النخل الذي هو موقوف على ولد الامين بن بطان في الشفايق
وايضا اصدقاها خمس في حلة ام حاضرة بعمارة النخل التي هي موقوفه وبالدته هذا
من جمة العقار وفي الحيوان اصدقاها البقرة الزرقاء خلاص الحاضرة في الامم بنسبها
وايضا اصدقاها ثمانية بنسبها وايضا اصدقاها ناقة حاضرة بنسبها وايضا
ايضا اصدقاها نصف عمارة خضرة حاضرة بنسبها وايضا اصدقاها على ظهر
بزعام وقيمة ذهب وسوارين فنية عشرين ريال وارهنها في خمس في دار الخيرية
في السان ويجمع ما عليها من النيات الى اجل خمسة عشر عام واوقافها ذلك في عسبة
مروا ونصف والباقي عليه في ذمة وهذا كله وقع برفق الزوج ورضا والدته
ووصية بم عند الرسم وتاريخ الرسم للوصية في عام ١٤٦٠ والمسطر والشاهد
بذلك الفقهاء الشيخ محمد صالح بن محمد النضيف حرم وسند بذلك الحاج احمد ولد
علي عبد القادر واخيه محمود وخم واخا محمد بن عبد الوهاب شاهد بذلك

ملحق رقم (٥)
وثائق خليفة الشيخ خوجلي

وثيقة رقم (١) :

وتتكون هذه المجموعة من ٥٥ وثيقة صدر أقدمها في حياة الشيخ خوجلي عبد الرحمن المتوفي في سنة ١١٥٦ هـ . بينما صدر أحدثها في ١٣٢٦ هـ . وتدور المجموعة أساسا حول ملكية بعض الأراضى والمنازعات التى قامت حولها .


وقد كشفت هذه المجموعة أهمية سندات الأرض والوثائق المتصلة بها لمؤرخ عصر الفونج ذلك لأنها تقدم نماذج من دواوين الفونج، وبالتالي تعطي صورة واضحة لنظم الكتابة عندهم، والعوامل الكثيرة التى كانت تؤثر فيها .

دار الوثائق القومية بالخرطوم ..

صورة مرفقة ص ٤٨٨ ، ٤٨٩

الرقم	نوع الوثيقة	الجهة الصادرة منها	تاريخ الوثيقة	محرر الوثيقة	الموضوع
١	وثيقة تصدق بأرض ٨×١١ بوصة	حمد بن الشيخ على	قبل ١١٥٦ هـ	سقط الكاتب في الجانب المبتور	يتصدق بساقيه للشيخ خوجلى صدقه على روح السلطان بادی - بين المساحة والحدود - سالفه مسلمة من جميع الشرور والخدم لا طريق ولا غيره -شهد به: الفقه بلوله. الفقه عبد الرحمن القاضى والفقه عبد الصمد ومن العسكر كنتى واخيه ابو القاسم وعبد اله ولد سيد القوم وتعام سيد القوم الخ. الختم دائرى والقش عليه: الواثق برب الناس الشيخ حمد. الدباجة تختلف عن دباجة السلطان. تعليق: بترت اجزاء الوثيقة. وفى ليلا الوثيقة كتابة جديدة مؤداها انه تصدق للشيخ خوجلى بقطعة ارض اخرى بشهادة من ذكرهم فى الوثيقة الاصلية ويضيف اليهم المس السكان معهم بتوت (يقصد توتى) كسرنا لكم عظمهم وجوعناهم (ربما يقصد جينهاهم) امانة للدين. وقد كتبت الوثيقة فى حياة الشيخ خوجلى سنة ١١٥٦ هـ. يفصح عن اقتدائه واستبراكه به لكونه قد جرب ذلك. يعتذر بأن الأمر الذى قام به كان بناء على امر سلطانى ثم يرجوه بان يبين اسماء من يتوسط لهم لكى يكتب لهم بالامان بشرط ان يبتعدوا عن العرب ويعرفوهم.
٢	خطاب الى الشيخ خوجلى ٥,٢٥×٦,٢٥ بوصة	حمد بن الشيخ عجيب	قبل ١١٥٦ هـ		

والحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام
على سيدنا محمد وآله



هذا ما تقدم في النسخة من تاريخ
 النوبة من قبل صاحبها
 بانيها عليه وعلى آله
 وآله وسلم
 في سنة ٨٠٠

والسلام على نبي من عطفنا لصدرنا محمد بن علي القدر والمحل
 المحفوظ من الخطايا والزلزلات ترها فضائله ونور قوايله
 الصادق في قوله الطيب في فعله الوائق بالملك الذي الطبع
 عهدنا المرحوم الشيخ علي زبدت ليالي مجده وجردت ليالي سعد
 بجوامع القرآن العظيم والنبى الكريم امير اما بعد فانه الشيخ محمد
 قد صمم على الفقه الحنبلية في سنة ٨٠٠ في الكرم وهي سنة
 ثمانية اذ رجع لوجهه الشاكر للسلطان باري شكون
 في غيرة له يوم القيامة ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون الا من
 اتقى الله فقلب سليم حديد عاصم جهت الصعيد حجاز وجهته
 السافل انوار مسره وانها ساله مسلمة ما جميع الشرور والخذرا
 علق وكما غيره والسعد اعلى ذلك الفقه بلولة والفقه عبد الرحمن
 القافق والفقه عبد الحميد والمسك كني واخيه ابو القاسم وعبد الله
 ولد سيد القوم ونظام سيد القوم ودفع له ولد عمر واخيه عبد القادر
 وعمر وحسن ولد ليل وعبد الله ولد عميد وفصل السلولي
 حها ولد الكلب وعبد الله ابو زقيية وعنتار ولد علي ورويد
 سيد الخيل وسريه ولد لسريه وعبد الله ابنه رفقون ولد
 سريه وزراع وكاتب الاحوز الفقيه الى الله تعالى...

ملحق رقم (٦)

بعض أوراق النسبة المنتشرة في السودان وادي النيل ، والتي تؤرخ لنسب الاسرات العربية ، واغلب هذه الأوراق (أصولها) تحتفظ بها الاسر السودانية، وهناك صور محفوظة في دار الوثائق القومية بالخرطوم، وهي آلتى اعتمد عليها المستشرق ماكمايكل في وضع أصول القبائل العربية .

(أ) الصفحة الأخيرة من مصحف الشيخ دفع الله شابوش مبين بها نسبة، وقد آل المصحف الي الشيخ صالح محمد نور الدين .

(ب) وثيقة بنسب الجدياب وآل نور الدين .

(ج) وثيقة بنسبة الجباراب.

(د) وثيقة بنسبة الركابية والدواليب .

(هـ) وثيقة بنسب العبدلاب.

دار الوثائق القومية بالخرطوم

(متنوعات)

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ هُوَ كُنُفُوًا

لَهُ
قَالَ أَوَدُّ بِرَبِّكَ الْفَلَقُ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقْتُ مِنْ شَرِّ غَاسِقَةٍ إِذَا وَقَفَتْ مِنْ
شَرِّ الْفَقْرِ شَرِّ الْغَدَقِ مِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ

قَالَ عُوذُ بِرَبِّكَ يَا مَعْشَرَ الْفَالَسِ وَالْغَالَسِ وَالْجَالَسِ وَالْجَالِيسِ وَالْحَبَشَةِ وَالْأَنْصَارِ

ثم علي بن أبي الفتح محمد بن الفقيه عبد الله بن القضاة بن خالازة
لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله

وكان مالك هذا الكفا الحاج دفع الله بن اديس بن حلوان عي عن هرون

النسب دینداری و هویت و المذهب عالم و هذا التنازع الشيخ محمد باقر

اللهم احسن عاقبة امرؤ في الدنيا والآخرة عاين يا ارحم الراحمين
واودعت لهذا الكتاب شهادة ان لا اله الا الله محمد رسول الله عليه وسلم

الْجُبَّارِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

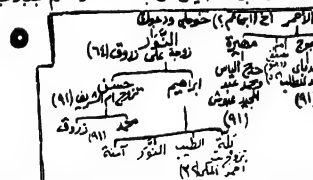
الحمد لله الذي أكرم بني آدم بأبواب الكرامات وحفظ لهم
أنايبهم تميزاً لهم على سائر المخلوقات وجعلهم شعباً
وقبائل ليتعارفوا بالأنساب المصنونات والصلاة والسلام
على سيدنا محمد نبينا الأنام من الأصبال الطاهرات
وأرعي الأرحام . ثم أخرج الله من بضعة الزهراء الكبرى الطيب
بدنه لها في بعض الأيام .

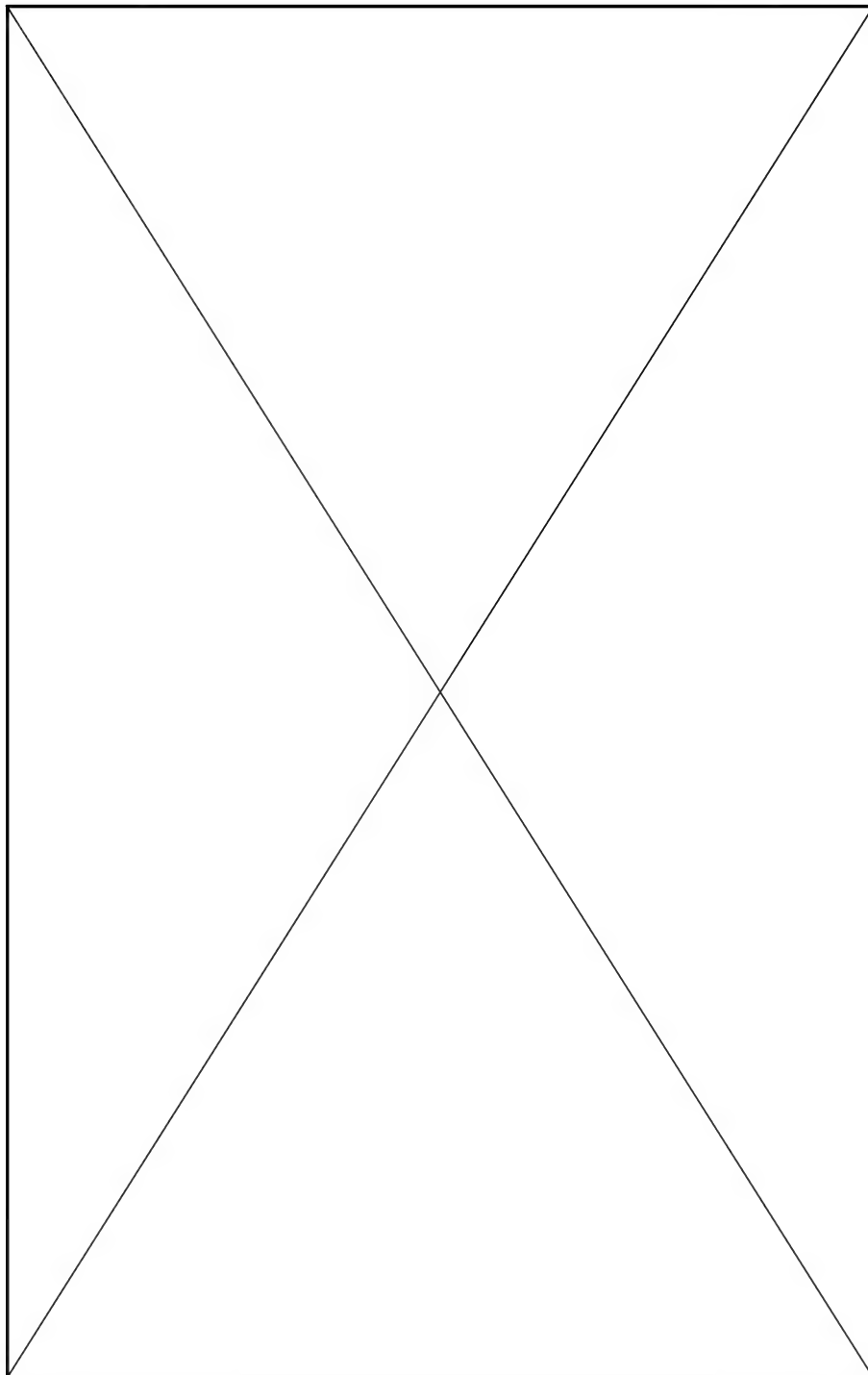
أما بعد فقد قال الله تعالى "واقفوا لله الذي تسألون به والإرحام" وقال عمر رضي الله عنه "تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم" والرحم هي القرابة من جهة الأم والآب، وقد أردت أن أذكر نسبي ترفيهاً فإنني أنا — الفرشي بن عثمان بن الفرشي بن أحمد بن محمد بن محمد بن حماد بن نصر بن محمد بن الحاج جبلة وإليه تنسب الجبارة، ابن الحاج علي بن راد الله بن فحان بن محمد بن أحمد بن محمد ابن أرتيكات بن أبا سيف بن حماد بن نـسـرون بن علي المعروف بستنق بن سليمان بن عبد الله بن عبد الخالق بن أحمد ابن أبوسمرة بن الملك داسي بن محمود بن موسى بن عبد الله بن أحمد بن محمود بن عبد الله بن ساهر بن دفع الله بن محمد بن سليمان ابن عبد الله بن سيدي علي الرضا بن سيدي موسى الكاظم ابن سيدي جعفر الصادق بن سيدي محمد الباقر بن سيدي علي زين العابدين بن سيد مولانا الحسين بن سيدي الإمام علي كرم الله وجهه بن أي طالب سيف الله الضارب أسد الله الغالب فارس المشارق والمغرب زوج البتول ابن عم رسول الصادق فيما يقول الضارب بالسيفين والطعان بالرمحين فارس بدر وحسين .

نقلت هذا النسب في يوم الجمعة ٧ صفر ١٢٦٢ هـ من وثيقة جردا البشير بن عبد الله بن محمد المحزوزي ١٨٢٧ هـ وإلى نقلها من خط جده السادس الحاج جبارة تاريخ كتابته ١٢٤١ هـ والله على ما نقول وكيل قال صلى الله عليه وسلم

لعن الله الداخل فينا بالنسب والخارج مالا سب وهو حسبي ونعم الوكيل . اهـ

من جبالاب حقایقه اللؤلؤ : احدى اى احمد عبداللطيف اورد انه تاجوچ بنت ود الزمر البحار
 ومع أبناء نبات الزمر حسن و ابراهيم زروق (٦٤) ، مصطفی ود النور ، وروج عد
 من أبناء فضی من بنات أخوالهم الجبالاب ناس الثمین احمد القرشی كما ترج هؤلاء معتم





نسب الشيخ إبراهيم ومحمد عبد الهادي

أنا إبراهيم بن النكي محمد بن النكي عبد الهادي بن الشيخ محمد النبري بن الشيخ عبد الهادي بن الشيخ محمد بن الشيخ محمد دوليب بن الشيخ حماد بن الشيخ حجاج بن الشيخ تركي بن الشيخ عويدي بن الشيخ حماد بن الشيخ غلام الله بن السيد علي بن الشيخ ركب بن السيد المنيول بن السيد أحمد بن السيد عمر عبد المصور بن السيد المنيول بن السيد هاشم بن السيد الإمام الزينلي بن السيد معهود بن السيد هاشم بن السيد الإمام زامل بن السيد مختار بن السيد علي بن السيد الإمام زامل بن السيد موسى الكاظم بن السيد علي بن السيد جعفر الصادق بن السيد محمد الباقر بن السيد علي بن السيد الحسين بن سيدى الحسين بن سيدى فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وأولاده وأولاده وذريته وأهل بيته أجمعين وأمتهم وسائر من تبعه إلى يوم الدين»

نحر هزاف يوم الثلاثاء ١٢ شهر ١٠٩٠ هـ ١٢٤٣

ببر إبراهيم محمد عبد الهادي

الحدائق الميضية

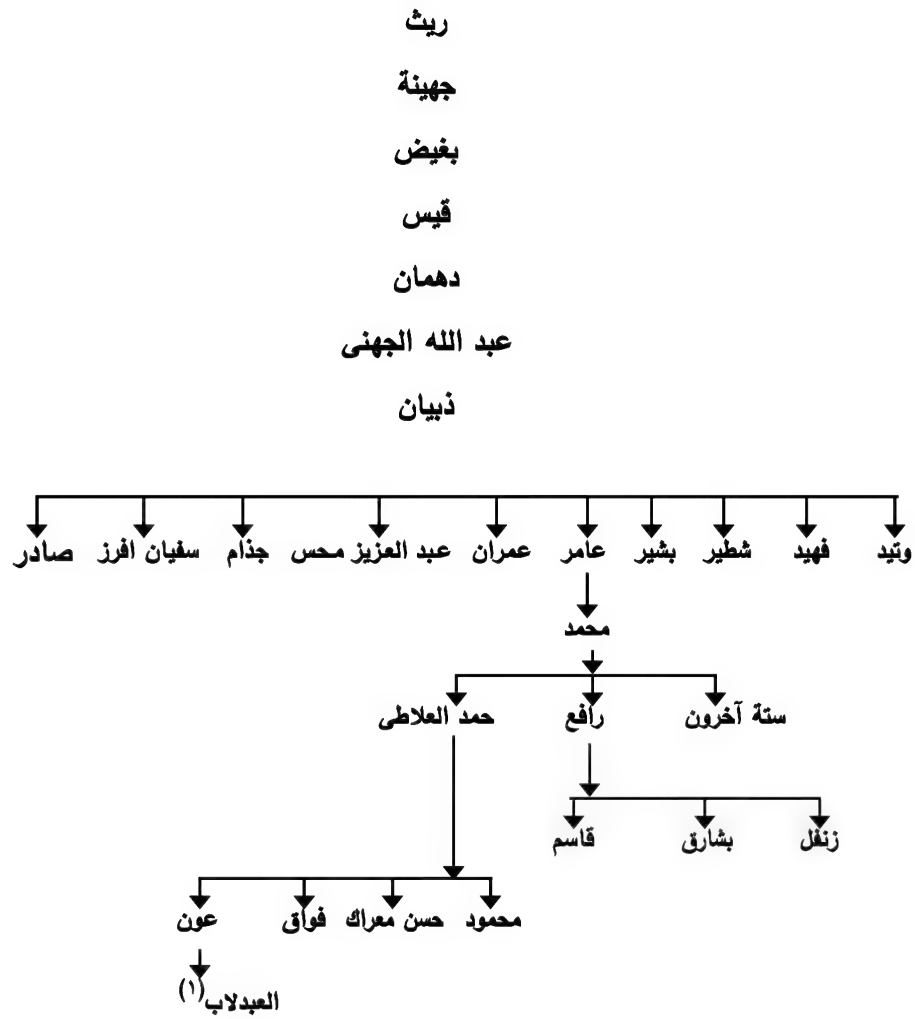
نسب الزكياتية

نسب ملأه الزكياتية

المسلم صلى وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، وبعد فهذه نسبه متضمنة نسبه الزكياتية مسلم الشيخ غلام الله ، فأن أولاده غلام الله فهما إثنين ركب و رباط ، أما ركب نفسه خمسة أولاد ذكور وهم : عبد الله وعبد المني وحبيب وعجيب وزيند الغريسي . أما رباط نفسه ستة أولاد ذكور من ابنته سلام وهم : زيند و هيثم و محمد عون وعبد السراي و هذلول و مصباح . وأما أولاد زينين فهم : حبيب نسو وأولاد هيثم المنصفي على و د منيول بالعفاط و محمد عون أولاده : أولاد جابر الأربعة و المكيش وعبد السراي أولاده الشيخ حسن و د سبط بالكتار وأهل أبو سري ، وهذلول أولاده بالبحرارة وهم : السد فاقه و الهقرة و المطيرة ، ومصباح أولاده مع المكيش : وهم الشيخ علي ولد كبير ، وأما أولاد ركب فهم خمسة : عبد الله وعبد المني سبطين ، وحبيب وعجيب سبطين ، وعبد الله الغريسي معناه ليس له سبط ، وأما عبد الله فهم : حجاج وحجاج ، فأما حجاج ولد الأولاد أولاده الشيخ علي و د عجب جده العشيباني و ناس العشيباني و السامعريب و ذريح مع الكواهلة بتقل و الهسان و البستان أولاده إثنين : عتيق و شقرة ، فأما معشر أولاده ، المصادق ناس معشر ولد عبد الصادق و شكار جده المنصفي . الشيخ ولد عبد الصادق و زيند الغريسي أولاده المشارب و حبيب أولاده ناس المعصلي ، و زيند الغريسي أولاده المشارب و المكياراب و البتاراب و البهاجيه أولاد حجاج ماجد و حجاج

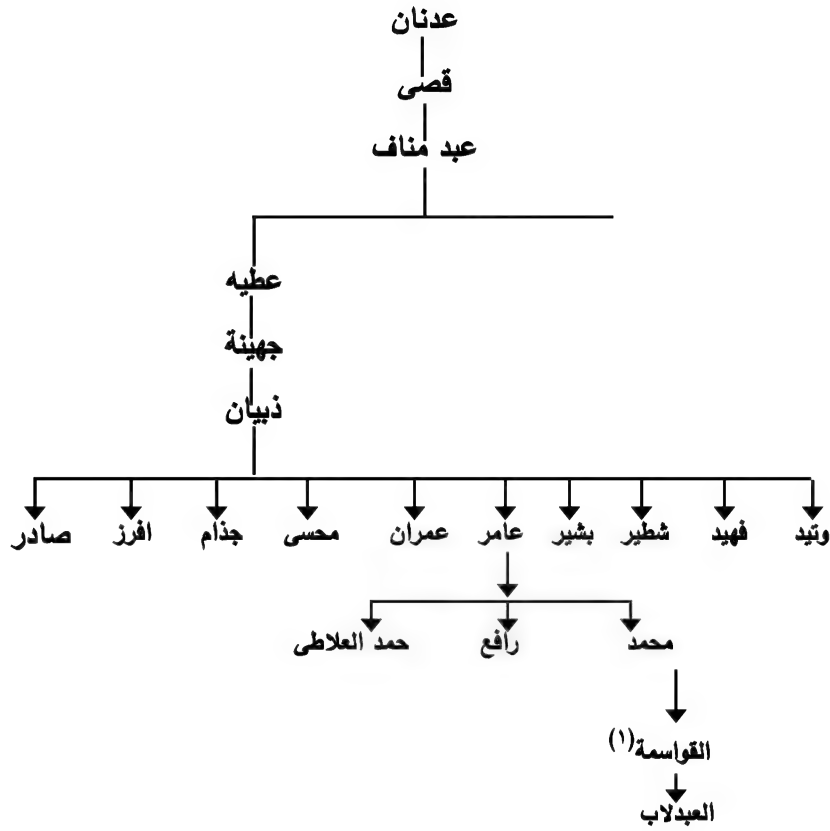


الشجرة الأولى:



(١) نسخة ابراهيم حاج محمد (ص ١١-١٥)، ونسخة جعفر حسان (ص ١٢-١٦).

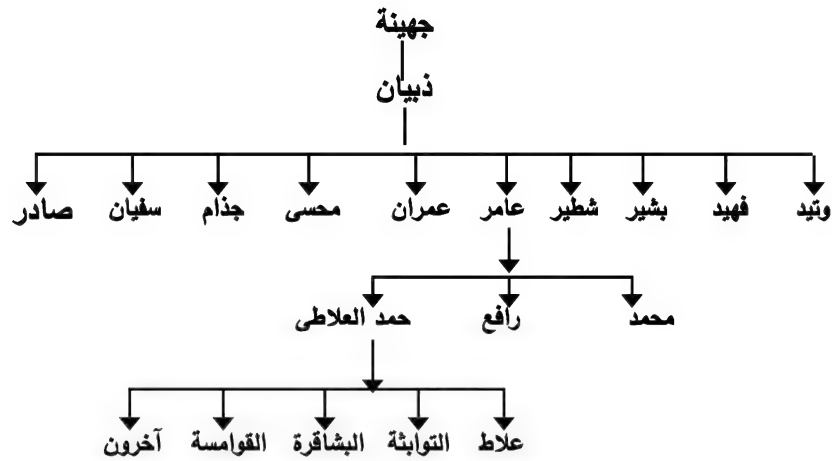
الشجرة الثانية:



(١) MacMichael: A History of Arabs, vol 2, p: 80

أخذ هذا الجزء من شجرة النسب المقابلة لهذه الصفحة. ولما كمايكل في هذا الكتاب أكثر من شجرة نسب، غير أننا لم نأخذ منها إلا ما له صلة بموضوعنا. ولم يأت اسم العبدلاب في الشجرة التي رسمها ماكمايكل، لكننا أضفناه بناء على ما ذكره هو نفسه في متن كتابه (انظر ج ١، ص ١٣٨-١٤١)، وهناك نسخة في دار الوثائق المركزية (متنوعات ١٨٤/١٦/١) صاحبها أحمد الأزهرى تتفق تماماً مع شجرة ما كمايكل هذه ص ٣٤-٣٥).

الشجرة الثالثة:



(١) فى أوراق نسب له، توجد فى ملف يحمل الارقام من (٤٣٤-٤٣٩) دار الوثائق المركزية، مجموعات (١٨٤/١٦/١).

ملحق رقم (٧)

وثيقة من وثائق مشيخة العبدلاب، خاصة بأوقاف مشيخة العبدلاب في المدينة المنورة تم نشرها في ١٩٨٦ م في كتاب:
الاعغوات : دراسة تاريخية مقارنة لاعغوات المسجد الحرام بمكة، والمسجد النبوي بالمدينة .
وتوجد نسخة مصورة منها في دار الوثائق القومية بالخرطوم .

الحمد لله تعالى (١)، هذه حجة شرعية، وثيقة محررة موعية، صدرت بمجلس الشريعة، محرر القضايا والأحكام، خادماً شريعة خير الأناس، محمد عليه من الله تعالى أفضل الصلاة وأزكى السلام، يعرب مضمونها، ويوضح مكنونها، أنه حضر الرجلين العاقلين الكاملين المكرمين (كذا!) الشيخ علي مونه بن محمد، والشيخ إدريس بن ضوا، الوكيلين الشرعيين عن الجناح العالي، الراقي رتب المجد والمعالي، الشيخ ذياب بن المرحوم بادي بن المرحوم الشيخ عجيب بن عبد الله، الثابتين وكالتهما عنه بشهادة الشيخ محمد بن عبد... ومحمد الزين.... في الوقت الآتي ذكره، وأقرأ إقراراً صحيحاً شرعياً بحسب وكالتهما الثابتة الشرعية، بأنهما قد أوقفاً وحبساً وسبلاً وتصدقاً وأكداً وأبداً ما هو في حوزة مولكهما وملكه وتحت تصرفه، والآيل إليه بالشراء الشرعي، وذلك جميع البيت الكائن بزقاق الطوال الشهير ببيت أبناء القفاص، المحدود قبلة بالدرب السالك، وشاماً بحوش المرزوقي وقف السادة الأغوات، وفيه باب للبيت المذكور، وشرقاً بوقف السادة الأشراف آل حياض، وغرباً بالدرب الموصل لباب البيت، ومنه الباب والاستطراق الملاصق بملك المكرم البائع أبو بكر المذكور وشركائه بتمام البيت وكمالها، وكافة حقه وحقوقه، وتوابعه ولواحقه ولوازمه ومراحضه الداخلية فيه والخارجة عنه، ذكرت أم لم تذكر، كل ذلك رغبة في الأجر والثواب، وابتغاء فيما عند الله تعالى عن الزلفي وحسن المآب. أولاً علي طائفة البرارة والأحرار والمعتوقين من ذلك البر، وذلك بالسوية يعم منهم الصغير والكبير الذكر والأنثى من أولاد الذكور دون أولاد الإناث علي حد سواء، إلا المعتوقين بأرض الحرمين الشريفين فلا يكونوا مستحقين لهذا الوقت. ولا لمن غاب عن المدينة المنورة إلا لحج بيت الله الحرام، ولا لمن قطن بمكة وغير المدينة فإنه لا يستحق منه شيء (كذا!) ولا أهالي التنجر فإنهم غير مستحقين في الوقت.

ومعرفة حد البرارة المستحقة للوقف المذكور من جهة الغرب الكاب، وشرقاً سواكن، ومن جهة الصعيد الحبشة، وشمالاً بندر أسوان يكون داخل في الحد لا داخل في الوقت. وغير هؤلاء لا يستحقون. وإن لم يوجد في هذه الطائفة أحد الفادني منهم

(١) قبل هذه الجملة جمل أخرى مكتوبة في أعلى الصحيفة علي الجانب الأيسر، تبدأ بعبارة: (حكمت بصحة هذا الوقف ولزومه في خصوصه وعمومه... حرره العبد الفقير الي بر ربه... وتنتهي به المدينة المنور، وفي مكان هذه النقط كلمات عجزت عن قراءتها، ويظهر أنها تعبر عن الجهة والمكان اللذين صدرت عنهما هذه الوثيقة.

يكون معهم فى الوقت المذكور مدة حياته، وعلى اغواث الحرم الشريف النبوي تقسم الغلة بينهم بالسوية .

ثم بعد تمام الوقف شرطا شرطا عن موكلهما، وأكدا عليها، وجعلا المصير إليها ، منها : أنهما جعلا النظر علي وقفه للجناب المكرم المحترم عبد الرحمن أغا نقيب السادة الأغواث حالا مدة حساته، ومن بعده يكون النظر للمكرم عبد الكريم أغا تابع عبد الرحمن أغا المذكور، ومن بعده يكون النظر لأغواث الحرم النبوي من كان، فأتباع مولاة السلطان سنار المحفوظة الارشد فالارشد، فان انقرضوا - والعياذ بالله تعالى - يعود النظر الي نقيب السادة الأغواث المذكورين كائنا من كان .

ومنها انهما جعلا الجباية للمكرم الشيخ عبد الرحمن بن محمد البري شريف بني علوان حالا، ومنها أنهما جعلتا من غلة الوقف يوم القسمة للناظر كل عام أحمرين وللجاني أحمر واحد. ومنهما انهما شرطا قبل القسمة من الغلة بعمارة الوقف ان احتاج الوقف لذلك، والمقصود إبقاؤه، ووجوده عامرا لينتفع من غلته، وما تبقي بعد ذلك من الغلة يوزع علي أرباب الاستحقاق المعنيين المذكورين حسب ما شرطا. ومنها ان يؤجر البيت المذكور علي ذي شوكة ولا ظالم ولا مماتل ولا أكثر من سنة .

السابع من ربيع الأول من شهور سنة تسع وأربعين ومائة وألف من هجرة من له العزم والشرف وصلي الله علي سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

السيد إبراهيم محمد دياب؟ الشيخ عبده (١) .

(١) ملحوظة: مكان النقط كلمات غير مقررة، وأسماء الشهود وتوقيعاتهم غير واضحة تماما .

ملحق رقم (٨)
وثائق قصر أبريم

مجموعة خاصة بالأرض ، والزواج ، والنفقة ،
والميراث ، قام بنشرها :

Martin Hinds and Hamdi Sakkout

Arabic Documents

ARABIC DOCUMENTS FROM THE OTTOMAN PERIOD

4. Isl. Mus. 23973/83. 20 cm. *h.* × 14.5 cm. *w.*

Sidī Ḥusayn b. Muḥammad 'Abd al-'Aziz has certified that he has given to his wife Fāṭima bt. Muṣṭafā, with her concurrence, fifteen gold [pieces]. He (leg. She) has placed as a pledge for that, for the fifteen gold [pieces], his (leg. her) particular share 5] in the land of ANYBH (scil. 'Anība). That is under pledge until he (leg. she) fulfils [repayment of] the fifteen gold [pieces] and this [document] is a written confirmation (*tamassuk*) in the hands of Fāṭima bt. Muṣṭafā. That (i.e. this certification) has taken place and been set down in the last part of the month of Shawwāl in the year 1045 (early April, 1636)

Witnessed by:	Witnessed by:	Witnessed by:	Witnessed by:
the <i>faqīr</i>	Ḥaydar	by:	the <i>faqīr</i>
Ḥusayn <i>aghā</i>	b. Ilyās	Ḥusayn	'Alī <i>jāwīsh</i>
		b. Salmān	

Right margin

Witnessed by:	Witnessed by:	Witnessed by:
The writer	Ḥusayn	Sulaymān b.
of the document	b. Ibrāhīm	Mūsā <i>aghā</i>
Mūsā <i>kātib</i>	<i>mu'adhdhin</i>	

THE ARABIC TEXTS

- ٥ -

وزاد فى الشهادة محمد المذكور [ان لم يجل ابنته
عائته المذكورة رجل مع الذكور الاولاد
وان الطائفة المذكورة موهوبة لما لله تعالى وكذلك
جعلها رجل هي حبة لله تعالى اشهادا صحيحا شرعيا
تاما معينا مرضيا والله الموفق للصواب

حضر الى شهوده فخر الامائل والاقربان الامير محمد ابن المرحوم حسن كاشف
كان واشهد عليه الاشهاد الصحيح الشرعي المتبر المرضى وهو
بصفة من يجوز الاشهاد عليه فيه شرعا انه اوجب
لابنته من صلبه عائته المرزوقة من المرحومه
امته جميع حصته فى تجار ابنة عبد الله المترفه له
بالرق هبة شرعية لا رجوع له فيها هبة صحيحة شرعية
تامه معتبره مرضيه مشتمله على الايجاب والقبول
الشرعيان ثمريرا فى يوم الاثنين المبارك سابع
شهر ربيع الاول سنة ثمانية واربعين والى ختمت
بالخير والشرف شهود الحال

ابن كاشف
محمد ابن المرحوم
الرفيع الفقير
الى الله

الفقير	الفقير	الفقير	الفقير	الفقير
حسن محمد	علي محمد	محمد احمد	حسن	محمد ولي
حسن	حسن	سربلوك	سربلوك	كتخدا

الفقير	الفقير	الفقير	الفقير	الفقير
ابراهيم	درويش	مصطفى	محمد ابن	مراد
مصطفى	ولد حسن	علي	علي بحر	علي جاسوس
نقره	عزيز			

الفقير	الفقير	الفقير	الفقير	الفقير
حسن	محمد ولد	محمد ولد	رجب	بكير عيسى
ابراهيم	ابوراس	ابوراس	بكير	

كانه الفقير عبد البر الا
مولى الامام
حالا بنقشه

5. Isl. Mus. 23973/112. 27 cm. *h.* × 14.5 cm. *w.*

Gift by: the *amīr* Muḥammad, son of the late Ḥasan, former *kāshif*

to: 'Āyisha, his daughter by the late Amna

of: his whole share in TJAR bt. 'Abd Allāh, who acknowledges her state of slavery to him

Supplement: that 'Āyisha is also to be regarded as one of his sons (i.e. for the purpose of inheritance)

Dated: Monday, 7 Rabī' I, 1048 (19-20 July, 1638)

THE ARABIC TEXTS

- ٥ -

وزاد في الشهادة محمد المذكور [ان له] جعل ابنته
عائته المذكورة رجل مع المذكور الاولاد
وان الجارية المذكورة مومنة كما له تعالى وكذلك
جعلها رجل في جنة الله تعالى الشهادة صحيحة شريفة
تامة معتبرة مرضية والله الوثيق للقراب

حضر الى شهوده فخر الامائل والاقران الامير محمد ابن المرحوم حسن كاشف
كان واشهد عليه الاشهاد الصحيح الشرعي المعتبر المرضي وهو
بصفة من يجوز الاشهاد عليه فيه شرعا انه اوجب
لابنته من صلبه عائشة المرزوقة من المرحومه
امته جميع حصته في ثمار ابنة عبد الله المعترفة له
بالرق هبة شرعية لا رجوع له فيها هبة صحيحة شرعية
تامة معتبرة مرضية مشتملة على الاتياب والقبول
الشرعيان تحريراً في يوم الاثنين المبارك سابع
شهر ربيع الاول سنة ثمانية واربعين والفت ختمت
بالخير والإشرف شهود الحال

محمد
ابن
المرحوم
حسن
كاشف
الفقيه
السيد

الفقير	الفقير	الفقير	الفقير	الفقير
حسين محمد	علي محمد	محمد احمد	حسن	محمد ولي
حسن	حسن	سربلوك	سربلوك	كتخد
الفقير	الفقير	الفقير	الفقير	الفقير
ابراهيم	درويش	مصطفى	محمد ابن	مراد
مصطفى	ولد حسين	علي	علي بحر	علي جاوس
نقره	عزيز	الفقير	الفقير	الفقير
	حسن	محمد ولد	رجب	بكير عيسى
	ابراهيم	ابو راس	بكير	

كانت
الفقير عبد الله
مولى الامام
حالا بقلعه
اربع

7. Isl. Mus. 23973/102. 30 cm. h. × 15 cm. w.

Plate 1

The pride of his peers and the adornment of his equals, *sīdī* Ḥusayn, son of the late Muḥammad 'Abd al-'Azīz, has certified that he has given to his daughter 'Āyisha [a plot of] one and a half *qirāṣ* of the garden in Wādī Shubbāk with its dates, its land, its well, its halfa grass, and all that grows in it. He has given [that] to her for [the sake of] God, glory be to Him

id exalted is He, [seeking] neither reward nor thanks. Everyone who opposes him will be countered / God and His Messenger. By virtue of at, one and a half *qirāṣ* have become [the] possession of 'Āyisha bt. Ḥusayn 'Azīz, om the flowing river to the very great mountain. The land has borders. The southern border is at the order [of the land] of Maḥmūd Nīl, id the northern [border] is at the border of the land of Dālī 'Alī; the western is at the flowing river and e eastern at the very great mountain. hat has taken place and been set down in the last part of the month of Rajab in the year 1061 (mid-ly, 1651). God is sufficient for us, and He is an excellent guardian.

Witnesses

Hasan 'Alī Nīl	Muḥammad Hilālī	'Isā Mabrūk (?)	'Uthmān Muḥammad	'Abd al-Jalīl Muṣṭafā	'Alī Hīḍr <i>jūwīsh</i>	Khalīl Muṣṭafā
'Abd al-'Azīz of the contingent of Sāy	Murād 'Alī <i>jūwīsh</i>	Muṣṭafā Ibrāhīm Bawwāb	Muḥammad Ja'far	Hasan Muḥammad <i>katkhudā</i>	'Isā Muḥammad <i>aghā</i>	Ja'far Muṣṭafā
the <i>ḥajj</i> Muḥammad b. Manṣūr	Rajab Hasan <i>kāshif</i>	Muḥammad 'Alī Yazīqī	'Abd al-Barr Azharī <i>imām</i>	Muḥammad Muṣṭafā <i>ṭībī</i>	Murād Muḥammad Nīl	'Alī Nīl
	Muṣṭafā Ibn Ḥusayn	written by Mūsā <i>kātib</i>	Muḥammad Bakīr Jabra	Muṣṭafā Ja'far	Walī Aḥmad	Hīḍr 'Abd al-'Azīz

١٠٩ / ٧٢ ٢٩٨

اشهره على نفسه فخره اشرافا وزينا اقراه سيدا صفا ابن السرحي محمد بن محمد بن
 انه اعطى البننة عايشة قيس اوطونصف من البنينة مودى شبا
 بيلحه وارضه ويسر وخلقته جميع ما ينبت فيه اعلاه سجان
 ونواحي لابن لا تشكورا وكل من عارفته خصه السور سوله في
 ذلك صار للمور عايشة بنت جند عر قيس اوطونصف ملكا له
 من البحر الجاري الى البحر الاعظم والارض له حدودا الى القبل الى الحدود
 والبحري الى حد ارضه الى علي والعربي البحر الجاري والشرقي البحر الاعظم
 جري ذلك من ربح في اوطونصف ربح من كور ١٧ او حسمه الارض
 من سور لانا

علي بن محمد هلال	عيسى بن محمد	عبد الله بن محمد	علاء الدين بن محمد
علي بن محمد هلال	عيسى بن محمد	عبد الله بن محمد	علاء الدين بن محمد
علي بن محمد هلال	عيسى بن محمد	عبد الله بن محمد	علاء الدين بن محمد
علي بن محمد هلال	عيسى بن محمد	عبد الله بن محمد	علاء الدين بن محمد
علي بن محمد هلال	عيسى بن محمد	عبد الله بن محمد	علاء الدين بن محمد
علي بن محمد هلال	عيسى بن محمد	عبد الله بن محمد	علاء الدين بن محمد
علي بن محمد هلال	عيسى بن محمد	عبد الله بن محمد	علاء الدين بن محمد
علي بن محمد هلال	عيسى بن محمد	عبد الله بن محمد	علاء الدين بن محمد
علي بن محمد هلال	عيسى بن محمد	عبد الله بن محمد	علاء الدين بن محمد
علي بن محمد هلال	عيسى بن محمد	عبد الله بن محمد	علاء الدين بن محمد

THE ARABIC TEXTS

- ٧ -

اشهد علي نفسه فخر امثاله وزين اقرانه سيدى حسين بن المرحوم محمد عبد العزيز

انه اعطا لبنته عايشه قيراط ونصف من الجنيه بوادي شباك^(١)

يلحه واراضه وبيره وحلفته^(٢) وجميع ما بنيت فيه اعطاه لله سبحانه

وتعالي لا جزا ولا شكورا وكل من عارضه خصمه الله ورسوله فبحكم

5 ذلك صار للحرمة عايشه بنت حسين عزيز قيراط ونصف ملكا له

من البحر الجاري الى الجبل الاعظم والارض له حدود الحد القبلي الى حد محمود نيل

والبحري الى حد ارض دالي علي والغربي البحر الجاري والشرقي الجبل الاعظم

جرى ذلك وحرر في اواخر شهر رجب من شهور سنة ١٠٦١ وحسبنا الله ونعم الوكيل

شهود الحال

حسن على نيل	محمد هلالى مبروك ^(٢)	عيسى عيسى	عثمان محمد	عبد الجليل مصطفى	على حضر جاويز	خليل مصطفى
عبد العزيز جماعت ساي	مراد على جاوس	مصطفى ابراهيم بواب	محمد جعفر	حسن محمد كتحدا	عيسى محمد اغا	جعفر مصطفى
الحاج محمد ابن منصور	رجب حسن كاشف	محمد على بيزق	عبد البر ازهرى امام	محمد مصطفى طوبى	مراد محمد نيل	على نيل
مصطفى ابن حسين كاتب	وكاتب الحروف موسى كاتب	محمد بكر جيره	مصطفى جعفر	ولى احمد	حضر عبد العزيز	

(١) بالأصل وشباك.

(٢) واضح انها (حلفاء) النبات المعروف.

8. QI.78.2.14/4B [78/276]. 16 cm. *h.* × 10 cm. *w.*

The virgin Ḥurra bt. Ḥayḍar

has been married by Ḥasan b. Muḥammad Ilyās,

known as KARH b. Ilyās, on this day,

Sunday, in the month of Ṣafar the good (*al-khayr*)

in the year 1073 (September–October, 1662), for a *mahr* in the amount of sixty piastres

and a slavegirl valued at twenty-five

piastres, an anklet valued at ten

piastres, one *sharīf(i)* gold dīnār,

and a bracelet valued at two and a half

piastres — the total being one hundred piastres.

Witnesses present:

			<i>al-faqīr</i> 'Abd al-Qādir <i>al-nāyib</i>
Muṣṭafā <i>aghā</i> Ḥusayn	Sulaymān Bakīr Zayyāt	Muḥammad Muḥammad Abū Rās	Muḥammad Ḥusayn Safar
Murād 'Alī <i>jāwīsh</i>	Muḥammad Khidr <i>ṣūbāshī</i>	'Abd al-Jalīl Muṣṭafā	

ARABIC DOCUMENTS FROM THE OTTOMAN PERIOD

- ٨ -

البنت البكر حره بنت حيضر
 تزوجه حسن ابن محمد الياس
 عرفه بكاره بن الياس في يوم
 تاريخه يوم الاحد في شهر صفر الخير
 سنه ١٠٧٣ بمهر قدره ستين قروش
 وجاريه بثمان قدره خمسة وعشرين
 قروش وخلخال بثمان قدره عشرة
 قروش ودينار ذهب شريف واحد
 وسوار بثمان قدره قرشين ونصف
 قرش يكون الجمله مائة قروش
 شهود الحاضرين
 مصطفى اغا سليمان محمد سفر
 حسين بكيرزيات محمد
 مراد على محمد خضر
 جاويش صوباشي عبد الجليل
 مصطفى

الفقير

عبد

القادر

النايب

محمد حسين

سفر

محمد

محمد

ابوراس

شهود الحاضرين

مصطفى اغا سليمان محمد سفر

حسين بكيرزيات محمد

مراد على محمد خضر

جاويش صوباشي عبد الجليل

مصطفى

13. Isl. Mus. 23973/17. 15.5 cm. h. × 10.5 cm. w.

Main text

Cause of setting down etc.
at Qal'at Ibrīm, may God — exalted is He — make it prosperous.

before witnesses. The model of noblest men, the *amīr*
the *ḥākim* Ḥiḍr, *kāshif* at al-Sukkūt, has certified that he
[5] has donated to God and to His Prophet Muḥammad, may God bless
and preserve him, for his daughter Ḥalima, the Qal'at Ibrīm house, the [well-]known house of *tubs*
Ibrāhīm. The northern limit
is at the lane, the southern limit is at the lane, the eastern is
at Māy Uḡabāshī (?), and the western at the lane next to
10] the mosque. [This is] as a gift for the sake of God — exalted is He — [seeking] neither reward n
thanks
on the day when there is of avail neither property nor children, save [for] him, who comes to God w
sound heart (Koran 26:88f).

Legally correct etc.

Right margin

The setting down of what has passed has taken place on blessed Friday in the month of Muḥarram
sacred (*al-ḥarām*) in the year 1081 (May-June, 1670)

Witnesses

Present:	Present:	Present:	Present:	Present:	Present:
Rajab b.	Ramaḡān b.	Ḥusayn	Sulaymān	Muḥammad	<i>al-shaykh</i>
<i>al-ḥākim</i>	<i>al-ḥākim</i>	Sulaymān	Muḥammad	Ibrahim	Yūsuf
Ḥiḍr	Ḥiḍr	<i>aghā</i>	Ḥasan	Ḥasan	Ḥasan
			<i>kāshif</i>	<i>kāshif</i>	<i>mu'adhdhin</i>

Top right

The writer, Ḥasan, *kātib* at Ibrīm, was present

Top left

That which is attributed to me in it (the document) is true
[Signed by] the *faqīr*, the *ḥākim* Ḥiḍr
Muḥammad 'Azīz of the *mutafarriqa*,
formerly famed in wars. True.

Also [to] the west of Wādī Tabbān (?) of
the Khamanjariyya (?) — half for his daughter Ḥalima for the sake of God.
The [afore-]mentioned have witnessed that.

٢٤٨٧٢
 عن ذر ماضه وروى طر صباغة انهم عزم على قتال
 بين يديهم كهوده اسيد على دفعه قود الاله
 الابرار الى حضرة تاسف بالسكون انه
 اوهب لك دقاني ولنبه محمد اصيل الله عليه
 وسلم لبنته حليمه البيت قلعة ابرم
 البيت تنبش ابراهم المعلوم الحذر المسمى
 الى الرقاق ولكم التبر الى الرقاق والارقي
 الى حد ما من اخصائي والقرم الى الرقاق جانب
 الجامع هبة لوجه الله تعالى لا فرق الا كور
 يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بكتاب
 حكيم كما نسا نسا معتبر اسفيا

السبب إلى فيه صحيح
التغير الحاكم حضر
محمد عزيز الشرفه
علم الخروب كن - صحيح
وكذلك غرب وادي بنان (٩)
المتجبره (١٠) نصف أبت حليمه فيه لوجه الله
وذلك شهدوا المذكورين.

والله ما جرى وقوع التحرير في الجمعة الباركة في شهر محرم الحرام من شهور سنة ١٠٨١

- (١) اى بيت قلعة ابريم، بيت نثى ابراهيم الماعوم.
- (٢) لعلها دماء اودة باشى.
- (٣) سورة الشعراء، ٨٨، ٨٩.
- (٤) اى هذه صحيفة شرعية .. الخ.

18. Isl. Mus. 23973/116. 21 cm. h. × 15 cm. w.

Plate 3

At: Qa'at Ibrīm, before witnesses

Gift by: *sittī* Fāṭima, daughter of the late Ja'far

to: (her son) Khālīd Khālīl *shurbajī*

(her son) Sulaymān [Khālīl]

(her daughter) Maryam

the daughters of 'Āmina in place of her daughter 'Āmina

(her daughter) 'Āyisha

of: the whole of her inheritance and the whole eighth that she inherited from her husband, the late Khālīl Muṣṭafā Yāzījī — land, palms, and whatever she possesses. She has exempted her husband, the late Khālīl *shurbajī*, from [payment of] her marriage settlement (*ṣudūq*), which [accordingly] becomes the possession of the children.

The children have certified that they have given her leave — in accordance with the document of the late [Khālīl?] Muṣṭafā Yāzījī — to live off these shares of theirs and act freely [with them] until she dies, after which each will take his share, the male taking the share of two females.

Dated: last part of Jumād(ā) I, 1090 (early July, 1679)

Supplement: with regard to the eighth in the Tushkā document, [that is] for the *amīr* Khālīd Khālīl *shurbajī*, [and is held] in partnership with the sons of al-Ḥumayd.

Document 18

TRANSLATIONS AND SUMMARIES

17

24. Isl. Mus. 23973/35. 20.5 cm. h. × 15 cm. w.

Plate 4

This is a legal valid document and an accepted unequivocal record, the content of which is known and understood. To continue: the virtuous lady (*ḥurma*) and hidden jewel, the possessor of the screen and the veil (*al-sitr wa'l-ḥijāb*), *sittī* Amna, daughter of the late Khalīl Tūsiya, has bought with her own wealth and that of no other [5] from the vendor, the *shaykh* Muṣṭafā b. Faḍl al-Jābirī, whose authorised representation on behalf of his brother 'Alī b. Faḍl in that respect is legally established, [having been] witnessed by *sīdī* 'Alī Khālīd, *sīdī* Ḥasan 'Abd al-Jalīl, *sīdī* Khalīl Muṣṭafā Sakūrī, *sīdī* Muḥammad Farḥanī, and *sīdī* Khalīl Muṣṭafā Bālīh and whose authorised representation is established also on behalf of his brother Ḥusayn b. Faḍl, witnessed by *sīdī* Khalīl Muṣṭafā Bālīh, [she has bought] a complete half from the whole of a young slavegirl called Ḥubsa bt. 'Awna. Specification of that: what is from the [afore-]mentioned 'Alī — one-third of the [afore-] mentioned slavegirl; what is from the [afore-]mentioned Ḥusayn — one sixth. The total comes to one half of the [afore-]mentioned slavegirl. That is for a known price, the amount being in piastres — twenty-eight piastres taken into possession by the hand

Right margin

of the [afore-]mentioned vendor with his acknowledgement, legally valid before witnesses, [that] he has confirmed the sale, has taken possession of the price, and has freed the [afore-]mentioned purchaser [from obligation], by legal taking into possession [of the price] and receipt in full. The [afore-]mentioned purchaser has acknowledged legal purchase and handing-over — legal sale and legal purchase. The setting down of what has passed has taken place on the first day of the month of Muḥarram in the year 1108 (31 July–1 August, 1696).

Witnesses

<i>sīdī</i>	<i>sīdī</i>	<i>sīdī</i>	<i>sīdī</i>	<i>sīdī</i>	Written by the <i>shaykh</i> 'Alī b. <i>al-ḥājī</i> Ḥabīb, <i>ṭābī</i> of al-Mallawī
'Alī Khālīd	Ḥasan 'Abd al-Jalīl	Khalīl Muṣṭafā Sakūrī	Muḥammad Farḥanī	Ḥasan Sulaymān <i>aghā</i>	

5928/10

فهذه وثيقة صحيحة شرعية وحجة محكمة مرضية
لجميع صفاتها وقيمها ومكثفها وبعد فقد اشتركت فيها
المصونة لجوهر المكفوفة ذات السر والنجى باسما الله
ابنت الموهوم خليل توسيد عما لها لنفسها دون ما لا يغير
من بابيها الشيخ مصطفى بن فضل الجابري الثابت في
في ذلك شريعتي اخيه علي بن فضل بشهادة سيد علي
وسيد حسن بن محمد بن علي بن فضل مصطفى بن علي
محمد وحسين وسيد خليل مصطفى بن علي والاثبات تؤكد
ايضا في اخيه حسن بن فضل بشهادة سيد علي بن فضل
باله جميع النصف من كامل جاريه صغيره تسمى حبسه بنت
عوفه بيان ذلك ما هو علي المذكور من الجاريه المذكور
الثلث وما هو من حياي المذكور السادس عشر
في النصف من الجاريه المذكور وذلك بين معلوم قدره
من القروش ثمانية وعشرون قرشا مقبوضة بيه

[illegible]

الحمد لله الذي جعل
العلم نوراً والدين
هدى والناس خلقاً
مختلفين في القدر

- فهذه وثيقة صحيحة شرعية وحجة صريحة مرضية
يعرف مضمونها وينهم مكنونها وبعد فقد اشترت الحرمة
المصونة الجوهره المكنونه ذات السر والحجاب سني امه
ابنت المرحوم خليل توبيه بمالها لنفسها دون مال غيرها
من بايعها الشيخ مصطفى بن فضل الجابري الثابت توكيله
5 في ذلك شرعا عن اخيه علي بن فضل بشهادة سيدي علي خالد
وسيدي حسن عبد الجليل وسيدي خليل مصطفى سكوري وسيدي
محمد فرحني وسيدي خليل مصطفى باله الثابت توكيله
ايضا عن اخيه حسين بن فضل بشهادة سيدي خليل مصطفى
10 باله جميع النصف من كامل جاريه صغيره تسمي حبه بنت
عونه بيان ذلك ما هو من علي المذكور من الجاريه المذكوره
الثلت وما هو من حسين المذكور السادس نصير الجماله
النصف من الجاريه المذكوره وذلك بشن معلوم قدره
من القروش ثمانية وعشرون قرشا مقبوضه بيد

الباع المذكور باعزافه لدي شهوده الاعتراف الصحيح الشرعي اقر بالبيع وقبض الخنز وبرا
ذمة المشتري المذكوره براءة قبض واستينا شرعيين واعترفت المشتري المذكوره بالشرأ
والصليم الشرعيين بيما وشرا شرعيين وعلى ما يجري وفق التحرير في غرة شهر محرم من شهور سنة ١١٠٨

شهد
رود الحال

سيدي علي خالد	سيدي حسن عبد الجليل	سيدي خليل مصطفى سكوري	سيدي محمد فرحني	سيدي حسن سليمان اغا	كاتبه الشيخ علي بن الحاج حبيب تايه المولي
------------------	---------------------------	-----------------------------	--------------------	---------------------------	--

Plate 5

32. Isl. Mus. 23973/101. 14.5 cm. *h.* × 15.5 cm. *w.*

Cause of setting down etc.

The *amīr* Yūsuf, former *kāshif* in the *wilāya* of Ibrīm
has confirmed and certified that he has neither right nor title
against the late Khalīl Tūsiya, nor against his children,

- [5] in respect of the camel which the slave of the [afore-]mentioned late
Khalīl Tūsiya killed. [The value of] that camel has been provided for (*inqāma*)
in his fees (*ʿawāyid*) and he has left off [litigation] from this date.
The *amīr* Yūsuf *kāshif* has no right against those mentioned [above]
in respect of that camel — neither claim, nor demand, nor anything else.
- [10] To this we have been witnesses on 26 Safar (sic) the good (*al-khayr*) in the year (1)115 (11-12 Ju
1703).

The writer of this	Present	Present and	In the presence of
ʿAlī Khalīl	and witness ʿAlī b.	witness	Muḥammad b. Ḥasan
Yazījī	... at Qaʿat	Sulaymān	[of the] <i>ʿuzabān</i>
	Ibrīm	...	
	

Right margin

The *amīr* Yūsuf *kāshif* has mentioned that
the *muqaddam* ʿAwād has nothing to do with the [afore-]mentioned
camel, and whoever claims [such] thereafter — his claim is
false.

*Top right*The *faqīr*

Yūsuf

*kāshif*in the *wilāya* of

Ibrīm

formerly

SEAL

THE ARABIC TEXTS

١٢

- ٣٢ -

الفقير	سبب تحرير الحروف وباعث تسطيرها		
يوسف	اقر واشهد علي نفسه الامير يوسف كاشف		
كاشف	بولايه ابريم سابقا انه لا يستحق ولا يستوجب		
بولايه	عند خليل توسيه المرحوم ولا عند اولاده		
ابريم	من قتل الجمل الذي قتله عبد المرحوم		
سابقا	خليل توسيه المذكور وانقام ذلك الجمل		
(ختم)	في عوايده وترك ذلك من يوم تاريخه		
	فصار الامير يوسف كاشف لا يستحق عند المذكورين		
	من قبل ذلك الجمل لا دعوى ولا طلب ولا غير ذلك		
	وبه شهدنا عليها في ٢٦ شهر سفر الخير سنه ١١٥ (١)		
كاتبه	حضر	حضر	حضر
على خليل	وشهد على	وشهد	محمد بن حسن
يازجى	٢. بقلعه	سليمان	عزيان
	ابريم	٢.	
	٢...٢.	٢.	

والذي يدعى بعد ذلك يكون دعواه

انقدم عواض ما له في الجمل المذكور

ودكر الامير يوسف كاشف ان

وقد
والذي يدعى بعد ذلك يكون دعواه
انقدم عواض له في الجمل المذكور
وذكر الامير يوسف كاشف

34. Isl. Mus. 23973/98. 18 cm. *h.* × 16 cm. *w.*

ILLEGIBLE
SEAL

Main text

Cause of setting down etc.

at Qal'at Ibrīm, may God — exalted is He — make it prosperous,

Dated: (1)116 (1704–5)

Supplement: *ṣinī* Amna has taken from the [above-]mentioned palms two *qirāṭs* for one *maql*

49 44/9A

الحمد لله
صحت كل شيء من
ما تقرر من شيء
فقد انزلت
الشيء من الشيء
بواسطة

[illegible]

و قد تم البعث في غنى والحمد لله رب العالمين
الحمد لله الذي جعل في الدنيا ما لا يحصى
من نعمه و ما لا يدرى

۱۰۰

سکری حاصل حضرت

2192

توینہ

الحمد لله

عصر

مجلس

見

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

100

78

١٠٠٠

١٠٠٠

١٠٠٠

١٠٠٠

١٠٠٠

١٠٠٠

١٠٠٠

١٠٠٠

١٠٠٠

وقف التحرير في دار الجمعة المباركة عشرة في شهر صفر الخير من شهر سنة الف وستمائة عشره بعد الهجرة
للمرمة عامه بنت خنسا
صاحبها شربعا بانخاس وقول صحيحين شريطين والى ما يجري

شهر الحلال

الحمد لله

مستحق الحمد على الدوام

كاتبه حسن موسى كاتب

بقلعة ابريم وناب

الشرع الشريف (١٣) الشريف

بولاية ابريم حالا

(ختم)

سبب تحرير حروف وموجب تسطير منوف

(١) عن ذكر ما صدر وتسطر بقلعة ابريم عمره الله تعالى بين

يدي شهوده اشهد على نفسه عبد العزيز ابن سليمان كاشف

انه شهد على نفسه ان الامير الحاكم حضر كاشف بالسكوت

انه اوجب لبنته حليمه زوجة عبد العزيز سليمان كاشف 5

البيت القلعه بيت طيشي ابراهيم (٢) بكامل البيت ثم ان اولاد حليمه

حضر وحسن وخذنيه وعاشه بنات حليمه قبضو ثمن البيت

المذكوره الحرمه عامه بنت (٣) خليل محمد توبه ثمانين

وعشرين حمويه وشهد بذلك عبد العزيز المذكوره بما قبضوا

بكامل الثمن المائتين وعشرين حمويه اولاده وبناته المذكورين 10

وسار البيت الكامل بموجب حجه الموهبه (٤) بنته حليمه ملكا

(١) كلمة «صوف» مكررة في أول هذا السطر.

(٢) لعل المقصود هو «بيت قلعة ابريم المعروف بيت طيشي ابراهيم» انظر الوثيقة رقم (١٣).

(٣) لعل المقصود قبضوا ثمن البيت المذكور (من الحرمه وكلمة بت مكررة في الأصل).

(٤) لم يرد في الوثيقة ما يفيد أن حليمه قد وهبت البيت لولدها وسببا إلا هذه الإشارة ولعلها كانت «كروجه». لا تزال على قيد الحياة. أي أن الملكية آلت لأولادها هبة لا إرثا.

(٥) صحبا (نوسية) انظر سطر (٨) من هذه الوثيقة وكذلك المقدمة.

(٦) لعلها مائة وست عشرة بعد الألف لأن تاريخ وثيقة الهبة الأصلية من الحاكم حمير لاسنه حليمه هوسنة

١٠٨١هـ انظر الوثيقة رقم (١٣).

(٧) لفظة المألوفة هي «الشرع الشريف» ولعله ذكر «الشرع» من باب التأكيد.

36. Isl. Mus. 23973/73. 16 cm. h. × 10.5 cm. w.

Recto

Gift by: 'Alī Dahshāb b. Muḥammad b. 'Alī

to: his son, Ḥasan b. 'Alī Dahshāb

of: (1) one *būra* of *barakāwī* palms

(2) one-third of a *būra* of *barakāwī* palms, of which one and a third rows are for the wife of the mother of the [afore-]mentioned son. The [afore-]mentioned palms are bearing fruit in the *sūqiya* of Bakhūt in the *nāḥiya* of ASKY (scil. Tushkā) (the location of the row is specified)

Dated: 1116 (1704-5)

Verso

After the greatest of greetings to him, it is not hidden from him (i.e. you), by God, O 'Alī, [the] should not be slow.

We [have sent] to you a letter via the Barābra (see *EL*² s.v.) that you should sell for us seven or eight or ten *ardubbs* of dates by all possible means (*min kullī būdd^m wa-sabab*), because the matter is very urgent, by God, O my brother — by all possible means,

5] Send it (i.e. the money) to us, for we have had syphilis.

Praise be to God, we are now well. We have been idle for five months. Sell the dates to Muḥammad son of 'Umar and to Sulaymān

From Ḥusayn
Abū Rās

Right margin

because the matter is very urgent.

Whether he has redeemed the [pledged] alluvial land (*al-ḥīn*)

or has not redeemed it, Muḥammad should come

to us; [sell] by all possible means.

Peace.

٢٢٩٧٢/١

PLATE 5

اقرا شمس على نوره
 بولوبه ربيك بقا زنده لايتي ولايتي
 عند خلد لاسيه المصوم ولا عند اولاد
 من قتل اهل الذي قتل عند المصوم
 خليل كتيبه المله وانقام زنده
 در عواين ورك زنده مصلحت
 صار للفرصه لايتي ولايتي
 قتل زنده اهل لادعوى ولا طل ولا دعوى
 وده شمس اعلمها في زنده مصلحت
 كامرئيه مصلحت
 مصلحت
 مصلحت

Document 32

حيدر الله الامير لا جناح يا زنده مصلحت
 انتا لک ورده صله البريه مصلحت
 او تمانه او عراو بيل مصلحت
 لا اهل مصلحت مصلحت
 و سب وار حله مصلحت
 والحمد لله احنا البور طيبين واننا لينا
 اخو طالين والحمد لله مصلحت
 لمحمد ولد عمر والحمد لله مصلحت

Document 36 verso

- (i) २७ -

وَبَصَّ
قِيْرَاطُ
فِي سَاقِيْهِ
الْمَذْكُوْر
الَّذِي
مِنْ قِيْرَاطُ
عَمْدُ دُوْدَا

الحاضرين
وكاتبه
الشيخ علي
الصوف
الغزب العبد
لارب

(٦) الكلمة غير واضحة في الأصل ولعل المقصود: بحاجة تشكي.

ARABIC DOCUMENTS FROM THE OTTOMAN PERIOD

- ٣٦ (ب) -

(ظهر الوثيقة)

بعد مزيد السلام عليه لا يخفاه بالله^(١) يا علي ما تبطيشي«اننا لكم»^(٢) ورقه صحبه البرابره انك تبيع لنا سبعةاو ثمانية او عشر ارب^(٣) بلح من كل بد وسبب

لان الامر محتاج قوي بالله يا خي من كل بد

وسبب وارسله عنا^(٤) فانا كنا وشوشين^(٥)والحمد لله احنا اليوم طيبين واننا لنا خمسة^(٦)

اشهر بطالين وانك تبيع البلح من عند حسين

ابو راس

لمحمد ولد عمر والي سليمان

للمسلم

خمس مائة دينار

سبعة مائة دينار

ثمان مائة دينار

تسعة مائة دينار

5

(١) الكلمة غير واضحة بالأصل ولعل المقصود هو ما افترضنا.

(٢ - ٥) كذا بالأصل ولعله يقصد «اننا أرسلنا لكم».

(٣) أي «أردب».

(٤) لعل المقصود «عندنا».

(٥) لعلها «مشوشين» (عابية) أي مصابين بمرض الزهري.

(٦) كلمة «خمس» مكتوبة فوق «لنا».

55. Isl. Mus. 23973/87. 19.5 cm. *h.* × 15.5 cm. *w.*

Plate 7, 8

Recto

The peace of God — exalted is He — and His compassion. We specify for that [our] dear brother Muṣṭafā Ḥasan, may God — exalted is He — make him great. Amen.

After greeting him, it is not hidden from him (i.e. 'you') that we are thinking of you much, etc. There is not hidden from him (i.e. 'you') that of which we inform you,

- 5] O Muṣṭafā, O brother, that you are our authorised representative — authorised representative after me (? — 'aqibī).

O my brother, you — O Muṣṭafā — are my authorised representative to cultivate the *jarf* of the garden (taking *j. nāma* as *jumayna*)

of Bint Bashīr; the *jarf* of Abū Ḥaddād is to be cultivated by Bint (leg. Ibn?)

Farḥanī; the palms from the garden going southwards towards Tushqa

are to be taken [scil. by Muḥammad Ja'far] on a half and half basis (*munāṣafa*). You, O brother, are our authorised representative, a legally

- 0] authorised representative — you, Ḥasan Farḥanī and Muḥammad Ja'far.

O Muṣṭafā, brother, bring them and give them their due.

From Muḥammad
Ḥasan 'Abd al-Jalīl
Yāziǧī

Right margin

and take

'Īsā *aghāh*

to the *nāhiya* of

the west of Tushqa,

and clear

what is owing to your sister

from Ṭawīl

'Alī

and take

with you

Muḥammad *jūrbajī* (sic)

and Bashīr Sulaymān

and Ḥasan

Farḥanī

and may God — exalted is He —

keep you.

Peace.

Verso

On this date, the *amīr* 'Īsā Bayram *aghāh* came to the *nāhiya* of the west of Tushka, accompanied by a body of troops, on account of 'Ashā bt. Ḥasan 'Abd

TRANSLATIONS AND SUMMARIES

29

al-Jalīl Yāzījī — on account of her inheritance and her marriage settlement (*ṣadāq*) specified as owed by the late Ṭawīl 'Alī

Muṣṭafā. Muḥammad Ismā'īl and his children are the legatees of Ṭawīl 'Alī, and Muṣṭafā Ḥasan [5] is the authorised representative for his sister, for payment of the marriage settlement. The late Ṭawīl 'Alī had given them,

in his lifetime, twenty-three piastres and, as a clothing allowance (*ḥaqq kisā*), he gave them half a *būra* of palms in Tushka, in al-Khōr, in [their own] possession. Similarly in the west of Tushka, he gave three-fifths

of the *sāqiya* of Hākim in respect of the value (*ḥaqq*) of a slave (*khūdīm*) [of hers], being fifteen piastres. Then, after that,

after his death, Muḥammad Ismā'īl and his children gave [her] a [gold] *bunduqī* worth fourteen piastres, [10] as well as fifteen *qirāṭs* in three *būras* of palms in the *sāqiya* of Surūr worth fifteen piastres. In addition, [there is a sum of] twelve piastres for redemption of the land, [this being] the share of 'Abd al-Jalīl (scil. her grandfather) in the *sāqiya* of Surūr, which was pledged with Ṭawīl 'Alī for twelve piastres. [This] will continue [to be regarded] as the case until (*lammā*)

he brings the *tadhkira* in which the amount of the money is written. The remainder of the marriage settlement owed by him

is thirteen piastres. That has passed in the daytime of Wednesday, 2 Jumād(ā) II, in the year 1148 (20–21 October, 1735).

Witnesses

Witnessed by Ḥasan Aḥmad shurbujī	Witnessed by Walī sanjaq	Witnessed by Aḥmad Ḥasan aghāh	Witnessed by Muḥammad Bayram aghāh	Witnessed by 'Isā Bayram aghāh
---	-----------------------------	--------------------------------------	--	---

Right margin

That has passed with joy and gladness, and God gives success in achieving what is right. Witnessed by:
the writer of this, Sulaymān Bashīr Muḥammad Īwāb
Muṣṭafā aghāh

Document 55 recto

[illegible]

(Faint handwritten signatures and names at the bottom of the page)

وجزا ذاك بطبيب القلوب وانتزاع الصدور والاعمال
فني للصواب
شكر محمد بن ابراهيم
شهر بن ابراهيم
مخطوطة ١١١١

(وجه الوثيقة)

	للسلام
	للمصطفى
سلام الله تعالى ورحمته نخص بذلك	والله
علي الاخ العزيز مصطفى حسن اعزه الله تعالى امين ^(١)	قبحه
	بسمه
بعد السلام عليه لا يخفاه ان خاطرنا عندك	بالحسن
كثير قوي والي غير ذلك لا يخفاه الذي نعرفك به	(١) شحته
	للمصطفى
5 يا مصطفى يا اخي انك وكيلنا وكيل عقبي	المصطفى
يا اخي انك يا مصطفى وكيل يزرع جرف جناة	(٥) شحته
بنت بشير وجرف ابو حداد يزرع بنت ^(٢)	للمصطفى
فرحني ونخل من الجبانه مقل الى تشقه	للمصطفى
ياخذهم ^(٣) مناصفه وانك يا اخ وكيلنا وكيلنا	للمصطفى
10 شرعي انت وحسن فرحني ومحمد ^(٤) جعفر	للمصطفى
ويا مصطفى اخ انكم تحضرهم	للمصطفى
(ختم) وتديهم حقيقتهم	
من عند محمد	
حسن عبد الجليل	
يازجي	

(١) كلمة «أمين» مكتوبة تحت «تعالى» فى الأصل.

(٢) فى الأصل «بنت» ولعله يقصد «ابن فرحني» كما هو واضح من بقية النص.

(٣) فاعل «ياخذهم» غير المذكور ولعله «محمد جعفر» كما ترشحه بقية النص.

(٤) كلمة «محمد» مصححة فى الأصل عن كلمة مشطوبة وغير واضحة.

(٥) توجد بعد «علي» كلمة مشطوبة وغير واضحة.

(٦) الكلمة غير واضحة.

(ظهر الوثيقة)

لما كان بتاريخه ان الامير عيسى بريم اغاه حضر في ناحية غرب
تشكه وفي صحته جمعة^(١) من العسكر بسبب عاشه بنت حسن عبد
الجليل يازجي بسبب ميراثه وصدائه المكتتب على المرحوم طويل على
مصطفى وان محمد اسماعيل واولاده ورتا^(٢) طويل على ومصطفى حسن
وكيل عن اخنه في سداد الصداق وان المرحوم طو(يل) على كان اعطاهم
في حياته ثلاثة وعشرين قروش وفي حق كسا اعطاهم نصف بورة
نخل في تشكه في الخور ملكا وكذلك في غرب تشكه اعطاه ثلاثة اخماس
في ساقية حاكم في نظير حق خادم بخمسة عشر قروش ثم بعد ذلك
بعد وفاته محمد اسماعيل واولاده اعطوا بندي باربعه عشر قرشا^(٣)
وكذلك في ساقية سرور في ثلاثة بورات نخل خمسة عشر قيراط
بخمسة عشر قروش وبعد ذلك اتت عشر قروش تحت
فدا الارض «كان مرهوانا حة»^(٤) عبد الجليل في ساقية
سرور عند طويل علي اثني عشر قرش باقي تحت ذلك لما
يحضر التذكرة المكتوبة بقدر المال والباقي من الصداق عليه
ثلاثة عشر قروش وجرا ذلك في نهار الاربع ثاني في جهاز
الآخر سنة ١١٤٨

شهود الحال

شهد	شهد بذلك	شهد بذلك	شهد بذلك	شهد بذلك
بذلك	ولي سنجق	احمد حسن	الك محمد	عيسى
حسن	اغاه	بريم اغاه	بريم	اغاه
احمد شريجي				

هذا ما كان عليه الحال في تاريخه المذكور والله اعلم بالصواب
في تاريخه المذكور
بذلك

(١) كذا بالأصل والمقصود «جماعة».

(٢) كذا بالأصل ولعل المراد «ورثاء».

(٣) توجد بالأصل بعد «اربعة عشر» و«قرش» جزء من كلمة هو «حموه» ولعله كان يكتب «حموية».

(٤) كذا بالأصل ولعل المقصود «وهي حصة عبد الجليل التي كانت مرهونة».

57. Isl. Mus. 23973/57. 19 cm. *h.* × 15 cm. *w.*

Receipt by: *sittī* Fāṭima bt. Muḥammad Ḥasan 'Abd al-Jalīl Yāzījī

from: Bashīr Sulaymān Khalīl *aghāh*

of: twenty-eight piastres, each piastre being thirty *nisf fidḍa*

for which is pledged: the whole of the share of Muḥammad Nūr b. Muḥammad 'Alī in the *nāḥiya* of QBD in the *sāqiya* of Yāzījī, this having been given to her by him as marriage settlement (*ṣadūq*) legally specified as owed by him

Dated: Monday, 15 Dhū 'l-Qa'da, 1154 (22-23 January, 1742)

THE ARABIC TEXTS

- ٥٧ -

[سبب تحريرها]^(١) وموجب تسطيرها

هو [انه في تا] ريخه اقوت واشهدت [على نفسها]

[الحرمة العاقلة في] سحت عقلها وسامت بدنها^(٢)من غير اكراه ولا اجبار^(٣)

5

سنى فاطمه بنت محمد حسن عبد الجليل يازجي

انها اخذت وتسلمت وقبضت الي^(٤) بشير

سلبان خليل اغاه ثمانية وعشرين

قروش كل قرش ثلاثين نصف فضه وارهنت

له تحت ذلك جميع حصت محمد نور ابن

10

محمد علي بناحية قبض في ساقبه يازجي ان

محمد نوري المذكور اعطاها لفاطمه المذكور

تحت صداقتها المكتسب عليه شرعا وان فاطمه

المذكور ارهنت الي عند بشير المذكور ...

بقدر المذكور رهنا صحيحا شرعا

15

مشمولا بالاتياب والقبول وبه شهدنا والله خير

الشاهدين تحريرا في الاثنين المبارك في خامس

عشره شهر ذي القعدة سنة ١١٥٤

بسم الله الرحمن الرحيم
 في سنة ١١٥٤
 في شهر ذي القعدة
 في يوم الاثنين
 في شهر ذي القعدة
 في سنة ١١٥٤

بسم الله الرحمن الرحيم
 في سنة ١١٥٤
 في شهر ذي القعدة
 في يوم الاثنين
 في شهر ذي القعدة
 في سنة ١١٥٤

بسم الله الرحمن الرحيم
 في سنة ١١٥٤
 في شهر ذي القعدة
 في يوم الاثنين
 في شهر ذي القعدة
 في سنة ١١٥٤

(١) الوثيقة منقطعة ومختل أن تكون الكلمات المدونة هي ما اخرجناه بين الأقواس.

(٢) أي وصحة عقلها وسلامة ...

(٣) توجد بعد كلمة «اجباره» عبارة منقطعة هي «انها اخذت وتسلمت».

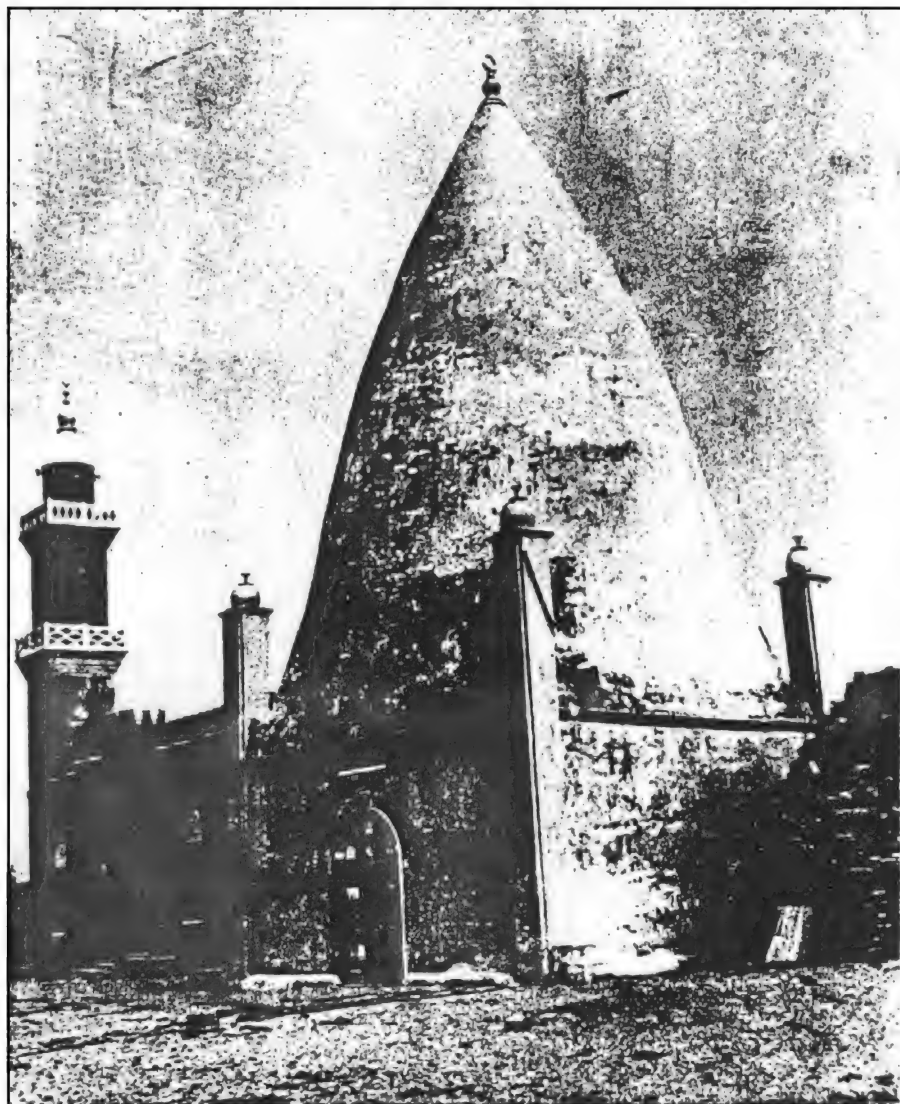
(٤) أي ممنه.

**ملحق رقم (٩)
الصور والأشكال الأثرية**

- (١) قبة الشيخ أدريس ود الارياب بالعيلفون .
- (٢) قبة الشيخ النجمي بن الشيخ حمد ولد ادريس .
- (٣) قصر ملوك دنقلا، حول الملك برشنبو قاعة الطابق الأعلى إلى مسجد في سنة ١٣١٧م .
- (٤) شاهد قبر كتب بالعربية، اكتشفه آدامر ضمن مجموعة من شواهد القبور في جزيرة مينارتى ببلاد النوبة، وتعتبر شواهد القبور من الدلائل على تعايش المسلمين والنوبيين والنوبيين في النوبة السفلى منذ القرن الأول الهجرى .
(اللوحة بأسم فاطمة بنت ابراهيم بن اسحاق بن عيسى) .
- (٥) تمثال خشبي لآحد القواد الصليبيين، عثر عليه ضمن حفريات اتيرى، وأيضا: صليب تم اكتشافه في قبر اسقف من اواخر الاساقفة بكنيسة فرس (حوالى سنة ١٣٠٠م) .

متحف الخرطوم القومى .

- (٦) قطعتان من الفن الفخارى النوبى كلاهما من دنقلا .
- (٧) نماذج من الاوانى الفخارية والزجاجية المكتشفة في قصر أبريم وعيذاب عن:
The Cemeteries fo Qasr Ibrim, A report of the excavations conducted by W.B. Emery im 1961 by A.J. Mills. Egypt Exploration Society, London 1982, Pl LXXX VII.
- (٨) منظر قصر أبريم الواقع في النوبة المصرية .
- (٩) تحصينات نوبية قديمة مبنية على رأس جبل في جزيرة قرب عكمة .



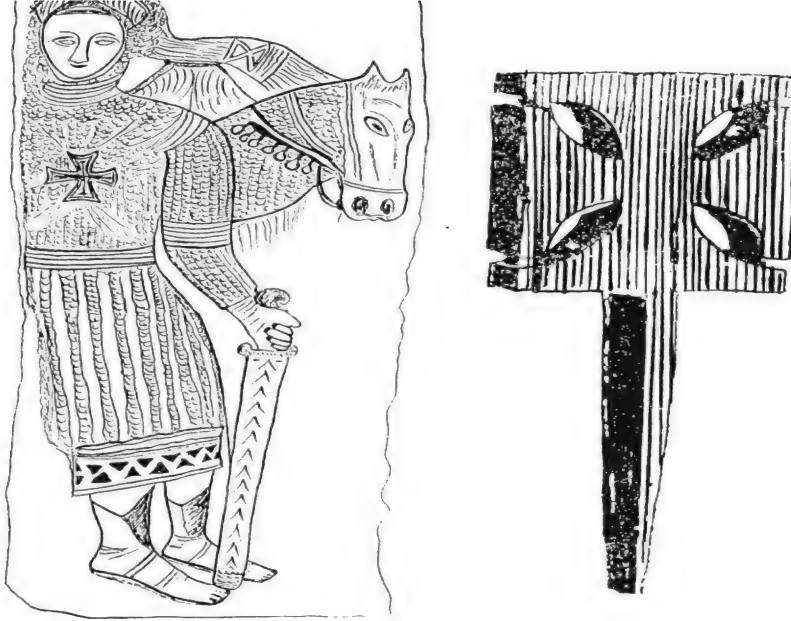
(١) قبة الشيخ ادريس ود الارباب بالعليفون



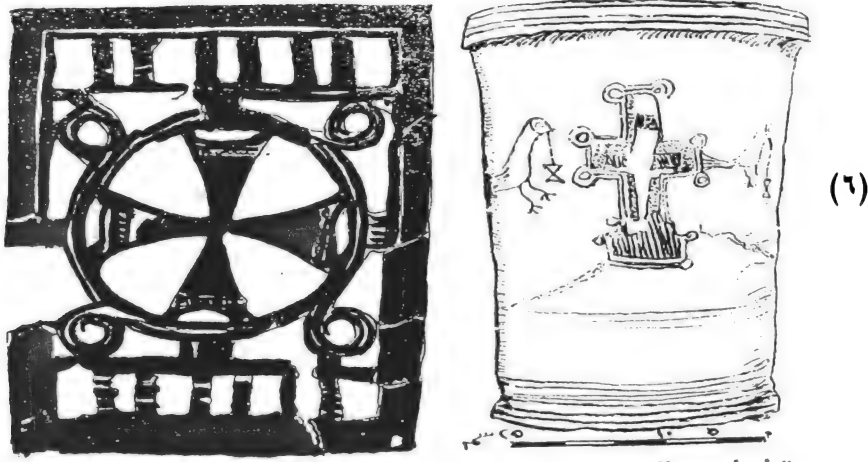
(٢) قبة الشيخ النجمي بن الشيخ حمد ولد ادريس



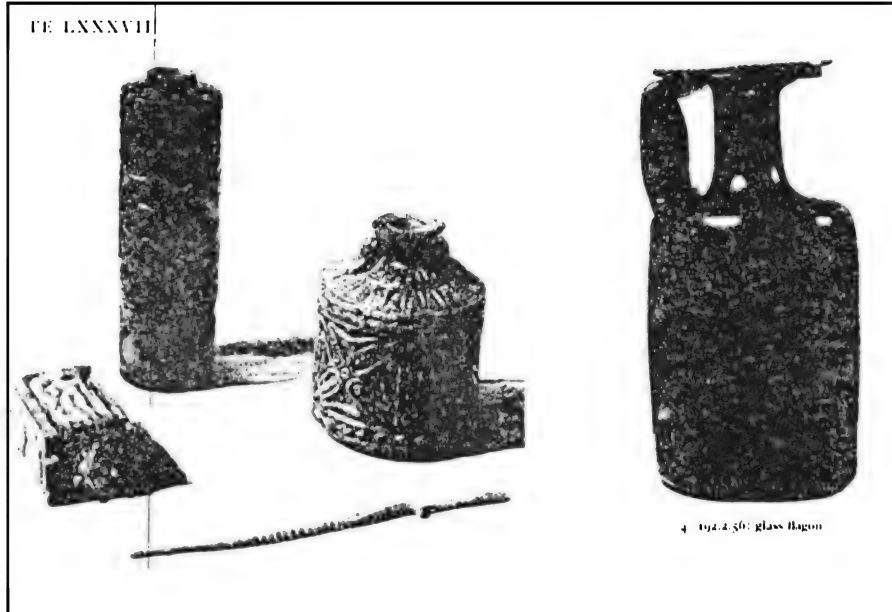
(3)

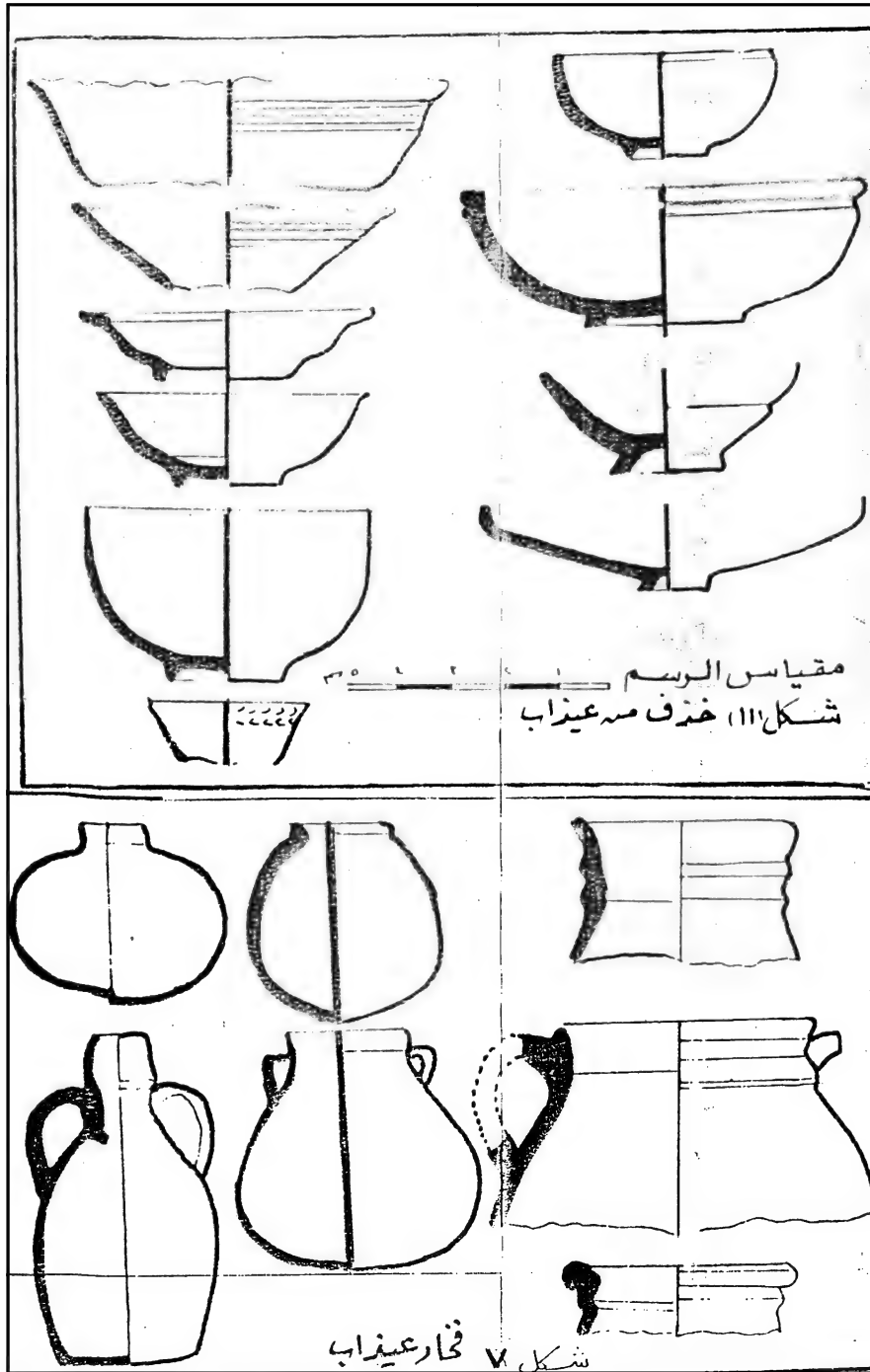


(٥) يسارك: التمثال الخشبي لآحد الصليبيين من حفريات أثيرى - يمينك : صليب
تم اكتشافه فى قبر اسقف من اواخر الاساقفة بفرص (حوالى سنة ١٣٠٠م)



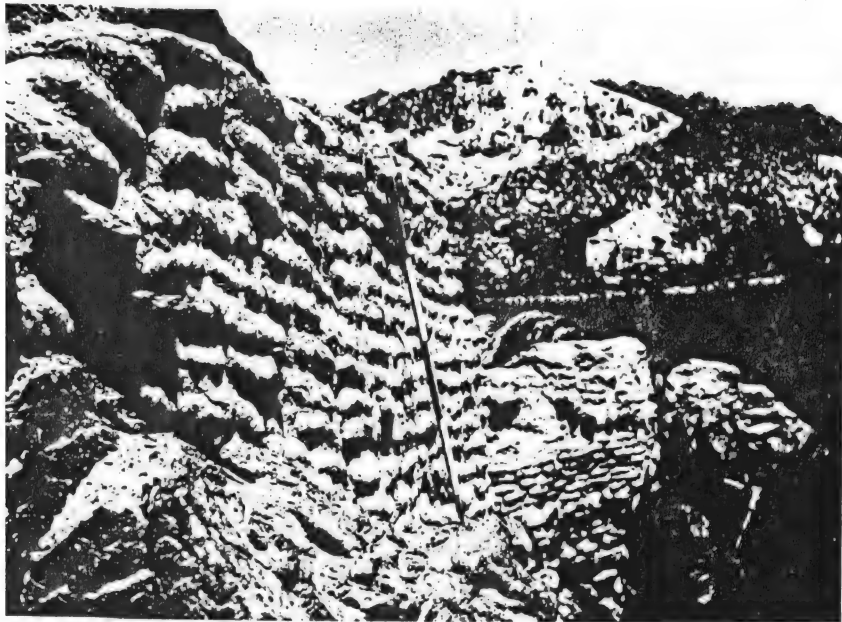
قطعتان من الفن الفخارى النوبى كلاهما من ةنقلا: اناء معلق يوضع فيه
المصباح وستار للشباك (شعرية) بشكل صليب - متحف السودان القومى.







(٨)



(٩)

ملحق رقم (١٠)

الاشكال التوضيحية التي تمثل العصر المملوكى فى مصر، وبلاد النوبة (سودان وادى النيل).

- شكل رقم (١) ، (٢) زخارف البيوت النوبية
 شكل رقم (٣) من قباب أسوان
 شكل رقم (٤) كنيسة عبد الله نرقى بالنوبة
 شكل رقم (٥) تاج نوبى من العصر المسيحى
 شكل رقم (٦) نقش قبطى بالنوبة
 شكل رقم ٧ ، ٨ من الاثاث النوبى
 شكل رقم ٩ ، ١٠ ادوات المنزل فى اسوان والنوبة
 شكل رقم (١١) صينية من جبل عدة بالنوبة
 شكل رقم (١٢) من وسائل التسلية قسطل بالنوبة
 شكل رقم (١٣) ابريق مزخرف بالنوبة
 شكل رقم (١٤) قنينة من جبل عده بالنوبة
 شكل رقم (١٥) حلى من الذهب
 شكل رقم (١٦) انية فخارية بالنوبة
 شكل رقم (١٧) ، (١٨) فخار النوبة
 شكل رقم (١٩) ، (٢٠) من أدوات المرأة النوبية
 شكل رقم (٢١) مخطوط من العصر المملوكى من قصر ابريم بالنوبة
 شكل رقم (٢٢) مخطوط من قصر ابريم
 شكل رقم (٢٣) ، (٢٤) نماذج من شواهد القبور



شكل رقم (١) ، (٢)
زخارف البيوت النوبية (متحف النوبة)

Ahmed. M. Al Hakem: Reflectins and Comments on M.wenzel's
House Decoration in Nubia; Wenzel (M) House Decortion in Nubia
London



شكل رقم (٣)
نموذج من قباب أسوان (قبة المشهد، قبة الجانب الجنوبي؛ وهى من
العصر الفاطمى، القرن الخامس الهجرى، الحادى عشر الميلادى)
المرجع Musée de la Nubia, p. 67



شكل رقم (٤)
 من كنيسة عبد الله نرقى بالنوبة؛ وهي تمثل الظهور الالهي مع
 الصليب: تمثل الحقبة المسيحية لممالك النوبة.
 انظر: محمد غيطاس: التصوير في بلاد النوبة، ص ١٨٩ Musée de la
 Nubie, p65.



شكل رقم (٥)
تاج يمثل امتزاج من الفن المروى والفن البيزنطى من الفترة المسيحية
بالنوبة مطعم بالفضة واللؤلؤ. وجد فى البلينة بالنوبة Ballana Nubie
Musée de la Nubie, p69.



شكل رقم (٦)
نقش قبط على حجر الجير وجد بمنطقة النوبة فيه نقش على شكل طائر
النسر، وهو يرجع إلى الفترة المسيحية بالنوبة
Musée de la Nubie, p63.



شكل رقم (٧) ، (٨)

من الاثاث النوبى:
خزانة نوبية، مصنوع من الخشب، مزخرف برسومات، يستعمل لحاجات
العروس
شمعدان من العصر الفاطمى، قصر ابريم - النوبة

Qaser Ibrim, Nubia
Musée de la Nubie, p72.

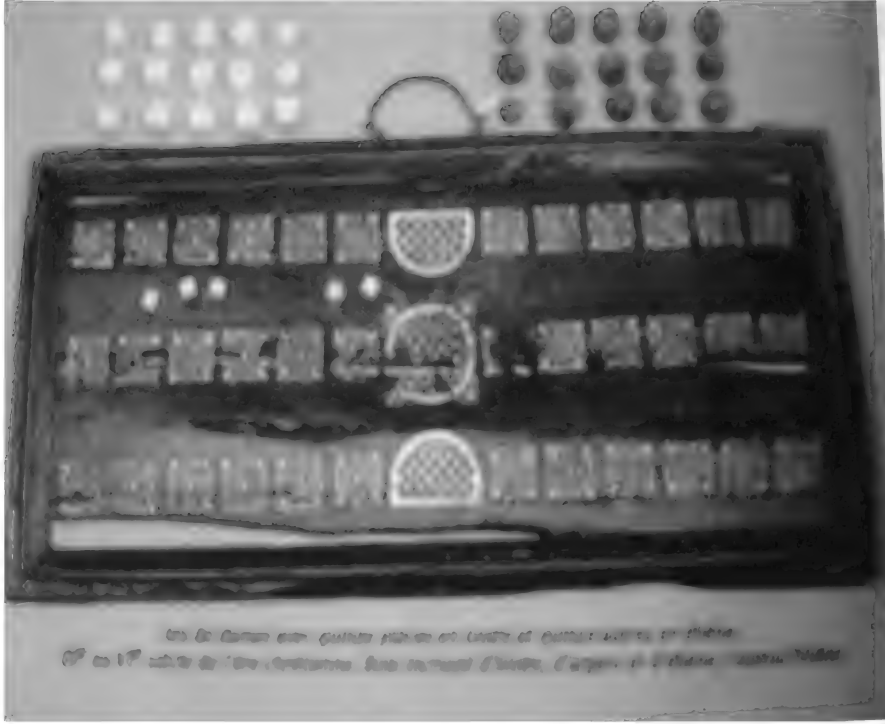


شكل رقم (٩) ، (١٠)
 ابريق على شكل فاكهة الكمثرى، مكون من ثلاث قطع صناعة حديثة
 من النحاس، باسوان.
 كرسى من خشب النخيل، والمعدن، صناعة حديثة بالنوبة
 Musée de la Nubie, p72-73.



شكل رقم (١١)
صينية كبيرة بيضاوية ملونة باللون الاصفر، فيها خطوط من الكتابة
التي ترجع الى القرن الثامن الهجرى، الرابع عشر الميلادى العصر
المملوكى جبل عدة بالنوبة Gabel Adda Nubie

C.F: Musée de la Nubie, p69.



شكل رقم (١٢)

نموذج لوسائل التسلية
لعبة خاصة بالنساء مكونة من خمسة عشرة قطعة من العاج، وخمسة
عشرة قطعة من الابنوس؛ خشب مطعم بالعاج والفضة والابنوس من
القرن السادس الى الثامن الميلادي من منطقة قسطل بالنوبة Qustul

Nubie

C.F: Musée de la Nubie, p66.



شكل رقم (١٣)
أبريق مزخرف برسومات عبارة عن كأس وسيفين من العصر المملوكى
القرن الثامن الهجرى ، الرابع عشر الميلادى (فخار جبل عدة - النوبة)
Gabel Adda Nubie

C.F: Musée de la Nubie, p69.



شكل رقم (١٤)
فنية كبيرة مزينة بأشكال هندسية سوداء ترجع الى القرن السادس
الميلادي (جبل عدة بالنوبة، Gebel Adda Nubie)
C.F: Musée de la Nubie, p66.



شكل رقم (١٥)
حلى من الذهب مزخرف باحجار حمراء وزرقاء محلى بالورود الزرقاء
والحمراء

Musée de la Nubie, p71.



شكل رقم (١٦)
 أنية فخارية كبيرة بقاعدة صغيرة دائرية، وغطاء قمته على شكل
 صليب، ترجع إلى القرن العاشر الميلادي من الحقبة المسيحية بالنوبة
 من وادي السبوعه بالنوبة Wadi Essebau Nubie
 Musée de la Nubie, p63.

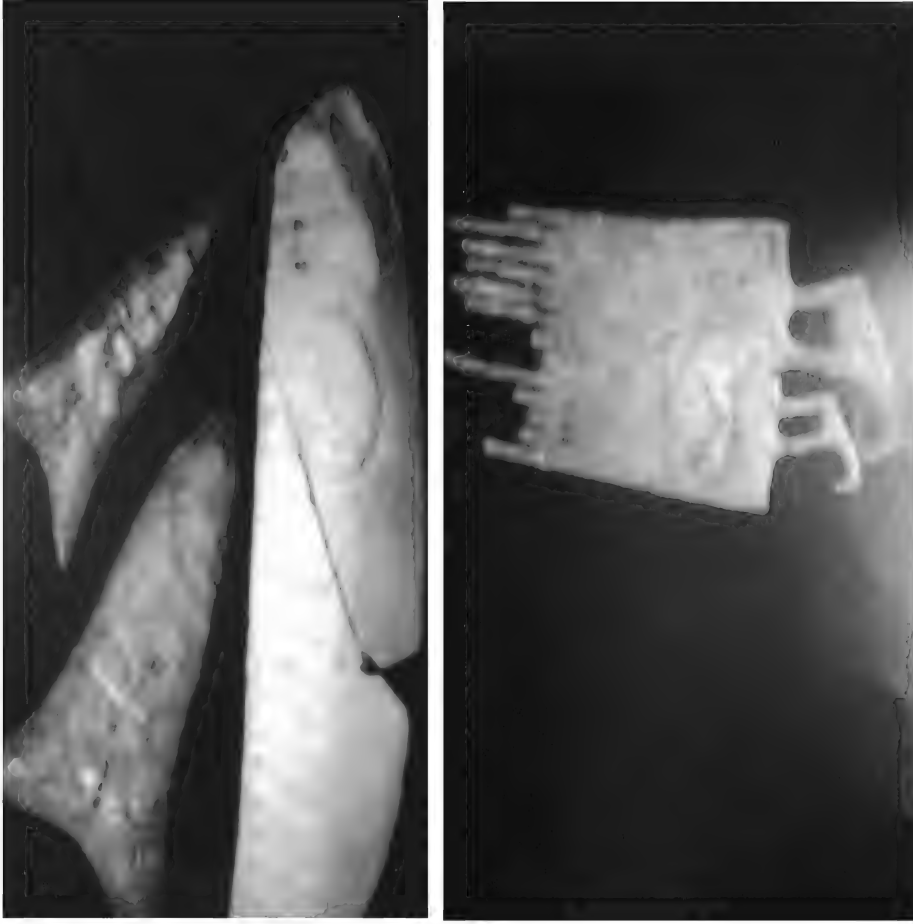


شكل رقم (١٧) ، (١٨)

فخار النوبة

وعاء من الفخار من خزف استخدم فى الفترة المسيحية بالنوبة

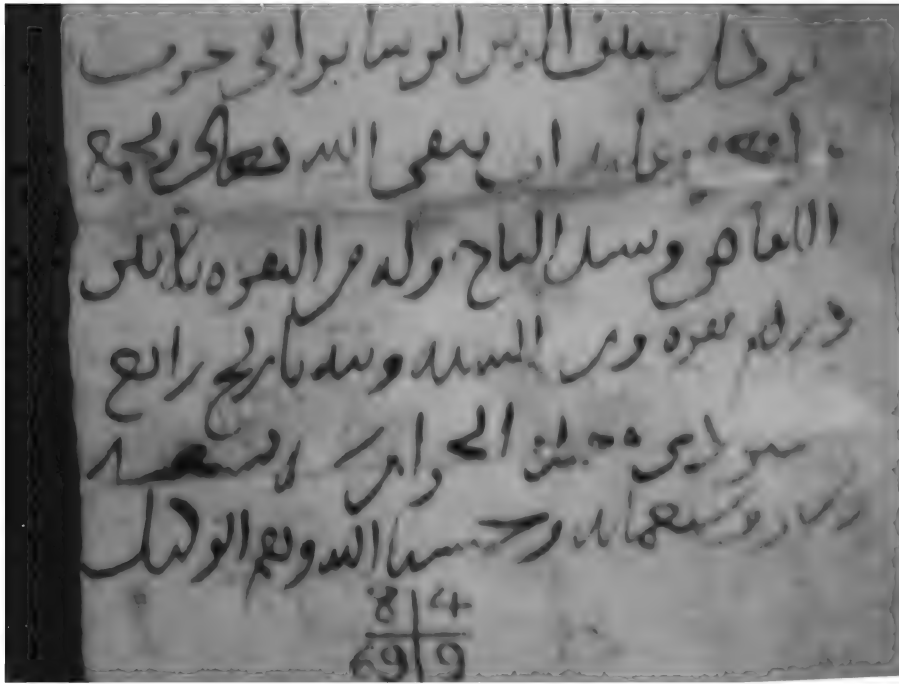
Musée de la Nubie, p51.



شكل رقم (١٩) ، (٢٠)

من ادوات المرأة النوبية في المنزل.
 - مشط من العاج تستعمله المرأة النوبية ضمن أدوات الزينة.
 - نصل سكين من الحجر الصلب الذي اذا اصطدم بالحديد يعمل شرر صغير، وجد ضمن منطقة كشتمنه بالنوبة، ودرع في شكل ذيل سمكة من الحجر الصلب

C.F: Musée de la Nubie, p49.



شكل رقم (٢١)
مخطوط من العصر المملوكي (القرن الثامن الهجري، الرابع عشر
الميلادي، على ورق الكاغد؛ مكتوب بالحبر الأسود: وجد بقصر أبريم
بالنوبة Qaser Ibrim, Nubie

Musée de la Nubie, p70.



شكل رقم (٢٢)
مخطوط من العصر العثماني (القرن السادس عشر الميلادي، يحوي
بعض الآيات القرآنية) مكتوب بالخط الاسود، وجد بقصر أبريم بالنوبة
Qaser Ibrim, Nubie
Musée de la Nubie, p70.



شكل رقم (٢٣) ، (٢٤)
شاهد قبر وجد فى دبيره مؤرخ من عام ٣٨٨هـ / ٩٩٨م .
شاهد قبر مكون من خمسة عشرة سطرا ، عليه كتابة بالخط الكوفى من
العصر الاخشيدى . من تافا بالنوبة Tafa, Nubie
Musée de la Nubie, p68.

المؤلف فى سطور

دكتور كرم كمال الدين الصاوى باز.

- دكتوراه التاريخ الإسلامى والوسيط، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة ١٩٩١ م. امتياز بمرتبة الشرف.

الخبرة الأكاديمية:

- الاشراف على العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه بجامعة القاهرة.

- استاذ مساعد بالمملكة العربية السعودية (الرياسة العامة لتعليم البنات) جيزان - الرياض.

- استاذ مساعد التاريخ الإسلامى والوسيط بمعهد البحوث والدراسات الافريقية، جامعة القاهرة.

- شارك بأوراق بحثية فى مؤتمرات عدة فى جمهورية السودان، وتشاد، والمملكة العربية السعودية - والجمهورية التونسية، والجمهورية العربية الليبية ومالى.

- الباحث التقنى بمركز البحوث والدراسات البردية بجامعة عين شمس ١٩٨١ - ١٩٨٣ م (شعبة البرديات العربية) .

- عضو اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة.

بعض الأبحاث العلمية التى نشرت:

- الصراع بين العرش والعلماء فى سنغاي من ٨٦٩ - ٨٩٩ هـ / ١٤٦٤-١٤٩٣ م ، مجلة معهد البحوث والدراسات الافريقية (نشرة خاصة محكمة، العدد ٢٢ عام ٢٠٠٠ م.

- ديوان الكانم والبرنو: نموذج مبكر للعروبة والاسلام فى تشاد، ندوة اللغة العربية فى تشاد الواقع والمستقبل يناير ٢٠٠١ م.

- كلوة مركز الثقافة العربية الاسلامية فى شرق افريقية عصر اسرة المهدي العربية ٦٧٦ - ٨٢٤ هـ / ١٢٧٧-١٤١٢ م ندوة اتحاة المؤرخين العرب بالقاهرة (الندوة الثامنة عام ٢٠٠١ م.

- نظم التجارة الصحراوية بين المغرب الاقصى والسودان الغربى فى الفترة من ق ٨-١٠ ن / ١٤-١٦ م) تونس ندوة الصحراء والانسان معرفة لكسب المهارات وحسن التصرف ٢٧-٢٩ ديسمبر ٢٠٠٣ م.

- البيت والعائلة السنغائية زمن أسرة الأسكيين، ندوة المجتمعات الافريقية بمعهد البحوث والدراسات الافريقية، مايو ٢٠٠٥ م جامعة القاهرة.

- مصر والنوبة فى عصر الولاة دراسة فى التاريخ الاجتماعى فى ضوء أوراق البردى العربية، مكتبة الانجلو المصرية ٢٠٠٦ .

٧ المقدمة

الفصل الأول:

- ٣٧ أسباب ومظاهر إضمحلال ممالك النوبة
- ٤١ أولا: تدفق العرب المهاجرين إلى بلاد النوبة وأرض البجه واقامتهم بها.
- ٤٩ ثانيا: استتباب النفوذ المصرى بين النيل والبحر الأحمر.
- ٥٦ ثالثا: الصراعات الاقليمية فى هضبة الحبشة وشرق أفريقيا وأثره على التدخل المصرى فى النوبة.
- ٦١ رابعا: ضعف النظام الكنسى وانحلاله بالنوبة.
- خامسا: ضعف التجارة الدولية، وانقطاع التجارة مع مصر، وأثر ذلك على ممالك النوبة.
- ٧٢

الفصل الثانى:

- ٧٥ سقوط ممالك النوبة المسيحية
- المماليك وصراعهم مع القوى المحلية فى مصر وأثر ذلك فى بلاد النوبة.
- ٧٧ – موقف مصر من النوبة فى عصر دولة المماليك الأولى:
- ٨٤ – حملة الظاهر بيبرس.
- انهيار مملكة دنقلا المسيحية (ما بين ٦٧٥هـ – ١٢٧٦م، ٧١٢هـ – ١٣١٢م).
- ١٠١ – حملات المنصور قلاوون.
- ١٠٥ – الموقف فى عهد السلطان الاشرف خليل. (٦٨٩ – ٦٩٣هـ / ١٢٩٠ – ١٢٩٣م).
- ١١٧

- ١٢١ ————— - الاتصالات بين النوبة والصليبيين .
- ١٢٣ ————— - الموقف فى عهد سلطنة الناصر محمد .
- ١٢٩ ————— - أمراء ربيعة الكنوز يرثون عرش النوبة .
- ١٣٤ ————— - الموقف فى عهد الأشرف شعبان .

الفصل الثالث :

- ١٤٥ ————— سقوط مملكة علوة وظهور قوى سياسية جديدة .
- ١٤٧ ————— - سوبا عاصمة علوة المسيحية .
- ١٥١ ————— - اسباب ضعف سوبا .
- ١٦٢ ————— - أحداث سقوط علوة .
- ١٧٣ ————— - أسباب سقوط علوة .
- ١٧٥ ————— - القوى السياسية الجديدة التى ظهرت بأرض النوبة .
- ١٧٥ ————— - مشيخة العبدلاب :
- ١٧٥ ————— أصل العبدلاب وموطنهم الأول .
- ١٨٣ ————— انشاء قرى عاصمة العبدلاب .
- ١٨٨ ————— حدود دولة العبدلاب ومناطق نفوذها .
- ١٩١ ————— - سلطنة الفونج الإسلامية :
- ١٩١ ————— أصل الفونج وموطنهم .
- ١٩٧ ————— الأصل الأموى .
- ٢٠٠ ————— الأصل الشلكاوى .
- ٢٠١ ————— الأصل البرناوى .

الفصل الرابع:

- ٢٠٥ _____ النتائج الاقتصادية لسقوط ممالك النوبة.
- ٢٠٧ _____ - الزراعة وتربية الحيوان.
- ٢١٧ _____ - التعدين.
- ٢١٨ _____ - الحرف والصناعات التقليدية.
- ٢٢٢ _____ - التجارة.
- ٢٢٢ _____ الرقيق - أهم السلع النوبية.
- ٢٣٥ _____ التجارة الكارمية.
- ٢٤٢ _____ الاتصال التجارى بين عيذاب ومقره وعلوة.
- ٢٤٣ _____ المعاملات التجارية.
- ٢٤٤ _____ - طريق القوافل.
- ٢٤٧ _____ الطرق المؤدية إلى أهم الثغور النوبية على البحر الأحمر.

الفصل الخامس:

- ٢٥١ _____ النتائج الاجتماعية لسقوط ممالك النوبة.
- ٢٥٣ _____ - التكوين الاجتماعى لشعب سودان وادى النيل:
- ٢٦١ _____ - العنصر العربى الوافد على سودان وادى النيل.
- ٢٦١ _____ - مجموعة الجعليين.
- ٢٧٦ _____ - مجموعة جهينة.
- ٢٨١ _____ - مجموعة الكواهلة.
- ٢٨٢ _____ - قبائل البجاه.
- ٢٨٤ _____ - الاقليات من النوبيين المسيحيين.
- ٢٨٥ _____ - التكايرة - العبيد- المماليك والأتراك.

- ٢٨٨ ————— العادات الاجتماعية الخاصة فى مجتمع سودان وادى النيل.
- ٢٨٩ ————— الزواج فى ضوء الوثائق العربية.
- ٣٠٢ ————— النفقة (الطلاق).
- ٣٠٥ ————— عادة الشلوخ.
- ٣٠٧ ————— الأنساب العربية.
- ٣٠٨ ————— الختان — أربعون الولادة.
- ٣١٠ ————— الملبس — الزينة.
- ٣١٣ ————— المسكن — الأثر الإسلامى فى الزخارف المعمارية بالنوبة.
- ٣١٦ ————— المأكـل والمشرب.
- ٣١٨ ————— المأتم والاحزان.
- ٣٢١ ————— الاحتفالات والطقوس الدينية (القتل الطقسى عند الفونج).

الفصل السادس:

- ٣٣١ ————— النتائج الثقافية لسقوط ممالك النوبة.
- ٣٣٣ ————— أولا: العوامل المؤثرة فى الحياة الثقافية.
- ٣٣٣ ————— — انتشار الدعوة الى الاسلام.
- ٣٣٨ ————— — انتشار القبائل العربية واستقرارها وأثر ذلك فى لهجات السودان.
- ٣٣٩ ————— — العوامل الخارجية المؤثرة فى تطور السودان الثقافى.
- ٣٧٦ ————— — ثانيا: أشهر المراكز الثقافية فى السودان واسهامها فى الانتاج العلمى.
- ٣٩٦ ————— — ثالثا: أسهام هذه المدارس فى الانتاج الثقافى.
- ٤٠٧ ————— — الخاتمة.
- ٤٢١ ————— — المصادر والمراجع

_____ الفهرس _____ ٦٢١ _____

- الملاحق .

٤٧٧ _____ الخرائط التوضيحية .

٤٩٧ _____ الوثائق والمخطوطات

٥٨٩ _____ الصور والأشكال الاثرية

٥٩٩ _____ الاشكال التوضيحية

٦١٧ _____ الفهرس -